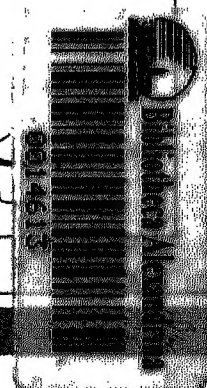


# مَعَالِمُ الْمِلَّةِ السُّنَنِ

المجلد الثاني

تأليف  
مُرْتَضَى الْعَسْكَرِي  
عميد كلية اصول الدين سابقا

سنة مَدْبُولِي  
لألفه





معالم المدينة

---





الجمهورية العربية السورية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
مكتبة جامعة دمشق

# مَجَالِسُ الْمَدِينَاتِ لِلْجَلْدِ الثَّانِي

مَجْلِسُ الْمَدِينَاتِ فِي الصَّحَابَةِ وَالْإِمَامِينَ

تأليف

السيد مُرْتَضَى الْعَسْكَرِي

عميد كلية أصول الدين - بغداد سابقاً



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ  
أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ  
أُولُوا الْأَلْبَابِ .

الزمر ١٧ - ١٨

الطبعة الخامسة  
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

## مقدمة الطبعة الثالثة :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين  
و السلام على أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه البررة الميامين.  
وبعد :

لما كان هذا الكتاب في بحوثه نسيج وحده، شأنه في ذلك شأن كتابي  
« عبد الله بن سبا » و « خمسون ومائة صحابي مختلف » ولم تُنسخ على منوال  
سابق؛ كان لابدّ لبحوث الكتب الثلاثة أن تتكامل تدريجياً.  
لذا صدر الجزء الأول منه :

صفحة	٢١٥	في	١٤٠٥	في طبعته الأولى، عام
صفحة	٣٧١	في	١٤٠٦	وفي طبعته الثانية، عام
صفحة	٥١٩	في	١٤٠٩	وفي طبعته الثالثة، عام
صفحة	٦١٦	في	١٤١٢	وفي طبعته الرابعة هذه، عام

و صدر الجزء الثاني منه :

صفحة	٣٧٨	في	١٤٠٥	في طبعته الأولى، عام
صفحة	٤٠٥	في	١٤١٢	وفي طبعته الثالثة، هذه عام

ولو فصح الله تعالى في الأجل، و شاء لي - عزّ اسمه - أن أستدرك على بعض بحوث هذا الكتاب بعد هذه الطبعة فسوف ألحق المستدرك في طبعاته القادمة بآخر الكتاب ولا أُغَيِّرُ وضع البحوث عما هو عليه في هذه الطبعة إن شاء الله تعالى هذا و الكمال لله وحده و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مرتضى العسكري

نجل السيد محمد الحسيني

نجل السيد اسماعيل شيخ الإسلام

## البحث الثالث

### مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين

المدخل : خمسة مصطلحات اسلامية

الفصل الأول : موقف المدرستين من القرآن الكريم

الفصل الثاني : موقف المدرستين من سنة الرسول (ص)

الفصل الثالث : موقف المدرستين من الفقه والاجتهاد

الفصل الرابع : القرآن والسنة هما مصدرا التشريع لدى مدرسة أهل البيت (ع)

الفصل الخامس : خلاصة بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية

الخاتمة : آراء القراء حول الكتاب . . و نداء ودعوة إلى اعلام الأمة الإسلامية





## تمهيد

في دراسة مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين،  
نبدأ بدراسة المصطلحات الخمسة الآتية: القرآن والسنة  
والبدعة والفقه والاجتهاد.  
ثم ندرس موقف المدرستين من كلّ منها. وندرس  
خلال البحوث مصطلحات أخرى ممّا يدور بعض البحوث  
حولها، إن شاء الله تعالى.



## المدخل

### خمسة مصطلحات إسلامية

- ١ - القرآن
- ٢ و ٣ - السنة و البدعة
- ٤ - الفقه
- ٥ - الاجتهاد



(١)

## القرآن

القرآن : هو كلام الله الذي نزلهُ نوحياً على خاتم أنبيائه محمد (ص)، ويقال له الشعر والنثر في الكلام العربي . وعليه فإنّ الكلام العربي ينقسم إلى قرآن ونثر<sup>١</sup>، وكما أنّه يقال لديوان الشاعر «شعر»، وللمصيدة في الديوان «شعر»، وللبيت الواحد فيه «شعر»، وللشطر الواحد أيضاً «شعر»، كذلك يقال لجميع القرآن «قرآن»، وللسورة الواحدة «قرآن»، وللآية الواحدة «قرآن»، وأحياناً لبعض الآيات «قرآن»<sup>٢</sup>، مثل «وما رزقناهم» في الآية من سورة البقرة.

والقرآن بهذا المعنى، مصطلح إسلامي وحقيقة شرعية، لأنّ منشأ هذه الاستعمالات، ورودها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

### أسماء أخرى للقرآن

استخرج العلماء من القرآن أسماء أخرى للقرآن، وهي في حقيقتها، من باب ذكر الشيء بصفاته. ومن أشهرها «الكتاب»، قال الله سبحانه: «ذلك الكتاب لا ريب فيه» البقرة / ٢. فإنّ المقصود من الكتاب هنا، القرآن الذي بأيدي المسلمين في مقابل كتاب التوراة لليهود، والإنجيل للنصارى. وإنّما شخّص المقصود من الكتاب هنا بالألف واللام للمهد في أوله. وورد لفظ «الكتاب» في القرآن وأريد به التوراة في قوله تعالى: «ومن قبله

١) وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم وذلك لأنّ كلام بني آدم جميعه في جميع اللغات، إمّا شعر أو نثر، والقرآن في كلام العرب ليس بشعر ولا نثر، بل هو قرآن عربي مبين، وهو كلام الله المجيد، وليس من كلام الأميين.

٢) الحمل والتبادر علامتان للحقيقة، كما قررها العلماء في محله من الكتب العلمية.

كتاب موسى». وهنا شتخص المقصود بالاضافة إلى صاحبه موسى .  
وقد اشتهر لدى النحويين كتاب سيبويه في النحوب «الكتاب» .  
قال في باب الكتاب من كشف الظنون:  
«كتاب سيبويه في النحو: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند  
النحويين، فكان يقال بالبصرة: «قرأ فلان الكتاب» فيعلم أنه كتاب سيبويه، و«قرأ  
نصف الكتاب» فلا يشك أنه كتاب سيبويه...»  
وشرحه أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف النحوي الأندلسي  
الأشبيلي (ت: ٦٠٩ هـ) وسماه: تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب.  
وشرح أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي الحنبلي (ت: ٦١٦ هـ)  
أبياته وله «لباب الكتاب» .  
ولأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الأندلسي الأشبيلي (ت: ٣٨٠ هـ) أبنية  
الكتاب<sup>١</sup>.

إذاً فليس «الكتاب» اسماً خاصاً للقرآن، في القرآن الكريم ولا في عرف  
المسلمين.

ومن تلكم الأسماء «النور»، قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك نوراً مبيناً﴾  
النساء/ ١٧٤ . ومنها: «الموعظة»، قال تعالى: ﴿قد جاءكم موعظة من ربكم﴾  
يونس/ ٥٩ وكذلك «كريم»<sup>٢</sup> لقوله تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ الزخرف/ ٤١  
هذه الأسماء بما وردت في القرآن، ليست بأسماء للقرآن كما قاله العلماء، وإنما  
هي من باب التعبير والتعريف بصفات القرآن.

ومن أسماء القرآن لدى مدرسة الخلفاء «المصحف»، وهذه اللفظة لم ترد في  
القرآن الكريم ولا الحديث النبوي الشريف.

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٧٦ هـ) تركيا، ج ٢/ ١٤٢٧ و ١٤٢٨.  
وسيبويه، أبو مبشر أوبشر، عمرو بن عثمان بن قنبر البصري مولى بني الحارث بن كعب. توفي سنة  
١٨٠ هـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، ط. القاهرة، (النوع الخامس عشر: معرفة  
أسمائه)، ج ١/ ٢٧٣ و ٢٧٦.

روى الزركشي وغيره وقالوا:

«لما جمع أبوبكر القرآن قال: سَمَّوه، فقال بعضهم: سَمَّوه إنجيلًا، فكرهوه

وقال بعضهم سَمَّوه (السفر) فكرهوه من يهود، فقال آبن مسعود: رأيت  
للحبشة كتاباً يدعو به (المصحف) فسَمَّوه به<sup>١</sup>.

إذن فإنَّ تسمية القرآن بـ (المصحف) من نوع تسمية المسلمين ومصطلح  
المسلمين، وليس اصطلاحاً إسلامياً، وحقيقة شرعية.

وشأن المصحف في هذه التسمية شأن (الشاري) عند الخوارج، فإنه عندهم  
اسم لكل من هبّا نفسه لقتال المسلمين. ويستعمل عند غير الخوارج ويراد به  
(المشتري) الذي يقابل البائع في البيع والشراء، فإذا وجدنا لفظ (الشاري) في  
كلام غير الخوارج نفهم أنه أريد به (المشتري)، وليس المقصود به من هبّا نفسه  
لقتال المسلمين، وعلى العكس عند الخوارج. وشأنه أيضاً شأن (المبسوط) عند  
السوريين والعراقيين فهو في استعمال العراقيين بمعنى: المضروب، وعند السوريين  
بمعنى: المسرور. فإذا وردت في كلام السوريين عرفنا أنه أريد بها: المسرور، وإذا  
وردت في كلام العراقيين عرفنا أنه أريد بها: المضروب.

وبناءً على ذلك فالمصحف في تسمية مدرسة الخلفاء بمعنى القرآن الكريم إذا  
ورد في كلامهم، وإذا ورد في كلام مدرسة أهل البيت وقالوا: مصحف فاطمة، كما  
قالوا الصحيفة السجادية لكتاب أدعية الإمام السّجاد المشهور والمطبوع، وفي كلا  
المقامين أريد بهما: كتاب فاطمة وكتاب السّجاد.

(١) ن، م، ج، ٢٨٢/١.

والإتقان للسيوطي (ت: ٩١١ هـ)، القاهرة ١٣٦٨ هـ، ص ٦٣.

( ٢ و ٣ )

## السنة و البدعة

السنة و البدعة مصطلحان إسلاميان تتوقف معرفة أحدهما على معرفة الآخر ثم المقارنة بينهما في كل مورد يراد تشخيص أمره، وشرح المصطلحان كالآتي:

**أولاً - السنة:**

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة، حميدة كانت أو ذميمة<sup>١</sup>. وفي الشرع الإسلامي يراد بها ما أمر به النبي (ص) ونهى عنه وندب إليه، قولاً وفعلاً ما لم ينطق به الكتاب العزيز<sup>٢</sup>. ويشمل تقرير الرسول (ص) وهو أن يرى الرسول (ص) عملاً من مسلم ولا ينهاه عن ذلك، فإنه حيثئذ قد أقرّ بسكوته صحة ذلك العمل<sup>٣</sup>. ومن ثمّ يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث<sup>٤</sup>.

### ثانياً - البدعة

البدع في اللغة: الأمر الذي يُفصل أولاً<sup>٥</sup>. والبدعة في الدين: إيراد قول أو فعل لم يستنّ قائله وفاعله فيه بصاحب الشريعة<sup>٦</sup>.

(١) و (٥) مادة ( سنن ) و ( بدع ) في المعجم الوسيط.  
(٢) في سنن أبي داود ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٥ عن الصحابي الأنصاري سهل بن سعد « ما صنّع عند النبي (ص) سنة ».

(٣) و (٤) نهاية اللغة لابن الأثير مادة ( سنن ) .

(٦) راجع مفردات راجب مادة ( بدع ) .



## السنة من مصادر الشريعة الإسلامية

إنما كانت سنة رسول الله (ص) من مصادر الشريعة الإسلامية لقوله تعالى:  
﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الحشر/٧.

وقوله تعالى: ﴿ ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ﴾ النجم/٣.  
وقوله تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم  
الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ الأحزاب/٢١.

وقوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم  
ذنوبكم ﴾ آل عمران/٣١.

وقوله تعالى: ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته  
واتبعوه ﴾ الأعراف/١٥٨.  
إلى آيات أخرى...

ورود في أحاديث كثيرة عنه (ص) أنه حث المسلمين على اتباع سنته ونهاهم عن  
مخالفتها، مثل قوله (ص):

« من رغب عن سنتي فليس مني »<sup>١</sup>.

وعلى هذا، فإن السنة مصطلح إسلامي وحقيقة شرعية، وينحصر طريق  
وصول سنة الرسول (ص)، أي: « سيرته وحديثه وتقريره » إلينا بالروايات المروية  
عنه (ص)، والمدونة في عصرنا في كتب الحديث والسيرة والتفسير وغيرها من مصادر  
الدراسات الإسلامية، مثل الروايات الآتية:

في حديث عائشة عن رسول الله (ص) أنه قال:

« النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني »<sup>٢</sup>.

وعن عمرو المزني أن رسول الله (ص) قال:

(١) راجع مادة ( السنة ) من المعجم المفهرس لالفاظ الحديث.

(٢) سنن أبين ماجدة ص ٥٩٢ كتاب النكاح، باب ماجاء في فضل النكاح، الحديث/١٨٤٥.

« من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس، كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص [ الله ] من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة فعمل بها، كان عليه أوزار من عمل بها لا ينقص [ الله ] من أوزار من عمل بها شيئاً ».

وفي رواية أخرى :

« من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدي . . . » الحديث<sup>١</sup>.

وعن جابر، قال رسول الله (ص):

« أما بعد، فإن خير الأمور كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة »

وفي رواية أخرى :

« إن أفضل الهدي هدي محمد (ص) . . . » الحديث<sup>٢</sup>.

وعن ابن مسعود، أن النبي (ص) قال :

« سيلي أموركم بعدي رجال يطفثون السنة ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها » فقلت : يا رسول الله إن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال : « تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل ! لا طاعة لمن عصى الله ! ! ! » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص):

« أبئى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته »<sup>٤</sup>.

وعن حذيفة أن رسول الله (ص) قال :

(١) سنن ابن ماجه ص ٧٦، المقدمة، باب من أحيا سنة، الحديث ٢٠٩ و ٢١٠، وسنن الترمذي ١٤٧٠ - ١٤٨٠.

(٢) سنن ابن ماجه ص ١٧ المقدمة، باب اجتناب البدع، الحديث ٤٥، والحديث الثاني في سنن الدارمي ٦٩/١، المقدمة، باب اجتناب البدع، الحديث ٤٥.

(٣) سنن ابن ماجه، ص ٩٥٦، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، الحديث ٢٨٦٥، ومسند أحمد ٤٠٠/١.

(٤) سنن ابن ماجه ص ١٩ المقدمة باب ١٧ الحديث ٥٠ و ٤٩ والصرف بمعنى النافلة، والعدل: الفريضة. راجع مادة ( العدل ) في مفردات الراغب، والصرف في نهاية اللغة لابن الأثير.

« لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً؛ يخرج عن الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين » وذكر الله البدعة في قوله تعالى: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ الحديد/ ٢٧ .

#### الخلاصة:

الشرع الإسلامي: ما ورد في الكتاب والسنة وما استنبط منها.  
والبدعة: ما أدخل في الدين برأي إنسان ما و لم يرد في الكتاب والسنة ولا استنبط منها. وإن سميناه بالاجتهاد والمصالح المرسلة أو الإسلام المتطور حسب حاجة العصر بأصطلاح أهل هذا العصر. ويصدق عليه كل ما ورد في أحاديث الرسول (ص) بشأن البدعة والمبدع.

(١) سنن أبن ماجه ص ١٩ المقدمة باب ١٧ الحديث ٥٠ و ٤٩ والصرف بمعنى النافلة، والعدل: القريضة. راجع مادة ( العدل ) في مفردات الراغب، والصرف في نهاية اللغة لابن الأثير.

## ( ٤ )

### الفقه

أ - الفقه في اللغة، كما ورد في المعاجم: الفهم.  
 ب - الفقه في الكتاب والسنة، كما يأتي بيانه:  
 قال الله سبحانه: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين  
 ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» التوبة / ١٢٢.  
 وقال رسول الله (ص): «نصر الله عبداً سمع مقالتي هذه فبلغها، فرب حامل  
 فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»<sup>١</sup>.  
 وروي انه قال: «فقيه اشد على الشيطان من الف عابد»<sup>٢</sup>.  
 و«من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم»<sup>٣</sup>.  
 و«خياركم أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا»<sup>٤</sup>.  
 و«خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»<sup>٥</sup>.  
 و«خصلتان لا تجتمعان في منافق: حسن سمع ولا فقه في الدين»<sup>٦</sup>.

- (١) ابن ماجه، المقدمة باب ١٨ «من بلغ علماً» الحديث، ٢٣ و ٢٣١ و ٢٣٦ و كتاب المناسك باب  
 الخطبة يوم النحر، وسنن أبي داود، كتاب العلم باب فضل نشر العلم، ح ٣٦٦٠، باب ١٠. والترمذي، كتاب  
 العلم باب ٧ ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ١٣٦/١٠ وراجع ١٢٤ منه. والدارمي ٧٤/١ - ٧٦، المقدمة،  
 باب ٢٤. ومسنند أحمد ٢٢٥/٣ و ٨٠/٤ و ٨٢ و ١٧٣/٥.
- (٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ١٠/١٥٤.
- (٣) صحيح البخاري ١٨/١، وكتاب العلم، باب ٢٠ ومسلم كتاب الفضائل ح ١٥، ومسنند أحمد  
 ٣٩٩/٤.
- (٤) مسند أحمد ٤٦٧/٢ و ٤٦٩ و ٤٨١.
- (٥) صحيح البخاري ١٧٥/٢، وصحيح مسلم كتاب الفضائل ح ١٩٩، باب خيار الناس، وسنن الدارمي،  
 المقدمة ص ٧٣ باب ٢٤، ومسنند أحمد ٢٥٧/٢ و ٢٦٠ و ٣٩١ و ٤٣١ و ٤٨٥ و ٤٩٨ و ٥٢٥ و ٥٣٩ و ٣٦٧/٣  
 و ٣٨٣ و ٤٠١/٤.
- (٦) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ١٠/١٥٧.

- و«من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>١</sup>.
- و«إن رجلاً يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون في الدين. فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»<sup>٢</sup>.
- ولأنه دعا لابن عباس وقال: «اللهم فقهه في الدين»<sup>٣</sup>.
- وورد في محاورات أهل البيت والصحابة بعد رسول الله:
- أ - قول الإمام علي: «ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ قالوا بلى يا أمير المؤمنين، قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله»<sup>٤</sup>.
- وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: ما أدركت فقهاء أرضنا إلا يسلّمون في كلّ اثنتين من النهار»<sup>٥</sup>.
- وقال عمر: «تفقهوا قبل أن تسودوا»<sup>٦</sup>.
- فن سوده قومه على فقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم»<sup>٧</sup>.
- وقال آبن عبد الرحمن في وصف آبن عباس: «لأنه قارئ لكتاب الله، فقيه في دين الله»<sup>٨</sup>.
- وفي باب اختلاف الفقهاء من سنن الدارمي: «كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق ليقضي كلّ قوم بما آجتمع عليه فقهاؤهم»<sup>٩</sup>.
- وفيه أيضاً: وإذا جلسوا العشاء - الأخيرة - جلسوا في الققه»<sup>١٠</sup>.
- (١) صحيح البخاري ١/١٦، و ٤/١٧٥، وسنن الدارمي ١/٧٤، ومسنند احمد ١/٣٠٦ و ١/٢٣٤ و ٤/٩٢ و ٩٣ و ٩٥ - ٩٩ و ١٠١.
- (٢) سنن الترمذي ١٠/١١٩، وسنن ابن ماجه المقدمة الباب ٢٢.
- (٣) صحيح البخاري ٢٨/١، ومسنند احمد ١/٢٦٦ و ٣١٤ و ٣٢٨ و ٣٣٥.
- (٤) سنن الدارمي ١/٨٩، والكافي ١/٣٦. وتحف العقول باب ما روى عن أمير المؤمنين، فصل وروى عنه في قصار هذه المعاني. ومعاني الاخبار للصدوق باب معنى الفقيه حقاً، ص ٣٧٤. وكنز العمال كتاب العلم، باب الترغيب فيه، الحديث ٢٧٨، ١٠٣/١٠. وحلية الأولياء ١/٧٧. والبحار ١٧/٤٠٧.
- (٥) صحيح البخاري ١٤١/٢، كتاب التهجد باب ٢٥.
- (٦) صحيح البخاري كتاب العلم ١/١٦، وسنن الدارمي ١/٧٩.
- (٧) سنن الدارمي ١/٧٩. (٩) سنن الدارمي ١/١٥١.
- (٨) مسنند احمد ١/٣٤٩. (١٠) سنن الدارمي ١/١٤٩.

«ولا بأس بالسر في الفقه»<sup>١</sup>، «وكانوا يتجالسون بالليل ويذكرون الفقه»<sup>٢</sup>  
وفي صحيح البخاري باب السر في الفقه<sup>٣</sup>. وقال الشعبي: «لما قدم عدي  
ابن حاتم الكوفة أتته في نفر من فقهاء أهل الكوفة»<sup>٤</sup>  
وعن عمران المنقري قال: قلت للحسن يوماً في شيء قاله: «يا أبا سعيد ليس  
هكذا يقول الفقهاء! فقال: ويحك ورأيت أنتَ فقيهاً قط، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا  
الراغب في الآخرة البصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه»<sup>٥</sup>  
هذا بعض ماورد في كتب حديث مدرسة الخلفاء، وورد في كتب حديث  
مدرسة أهل البيت:

أ- عن رسول الله (ص): «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا»<sup>٦</sup>،  
«من حفظ على أمّتي أربعين حديثاً من أمر دينها ينتفعون بها في أمر دينهم، بعثه الله يوم  
القيامة فقيهاً عالماً»<sup>٧</sup>.

ب- في نهج البلاغة من كلام الإمام عليّ: «من أتجر بغير فقه فقد ارتطم في  
الزبا»<sup>٨</sup>، «وربباً لقلوب الفقهاء»<sup>٩</sup>، «وتفقه في الدين»<sup>١٠</sup>!

ج- وعن الإمام الصادق: «ليت الشياطين على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في  
الحلال والحرام»<sup>١١</sup>، «لا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريف كلامها»<sup>١٢</sup>!

(١) سنن الدارمي ١/١٥٠.

(٢) سنن الدارمي ١/١٥٠.

(٣) صحيح البخاري ١/٧٩، كتاب المواقيت باب ٤٠.

(٤) سنن ابن ماجه ح ٨٧.

(٥) سنن الدارمي ١/٨٩.

(٦) البحار ٢/١١٠.

(٧) البحار ٢/١٥٦ الحديث ١٠، ونظيره الحديث ٩.

(٨) نهج البلاغة باب الحكم الرقم ٤٤٧ ج ٣/٢٥٩.

(٩) نهج البلاغة في وصف القرآن الخطبة ١٩٦ ج ٢/٢٥٢.

(١٠) نهج البلاغة من وصية له للإمام الحسن رقم ٣١ ج ٣/٤٢.

(١١) البرقي في المحاسن، الحديث ٦١ والبحار، ط. أمين الضرب ١/٦٦.

(١٢) البحار ٢/٤٨٤ ح ٥.

وقوله: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه.»<sup>١</sup>

كان هذا مدلول الفقه والفقيه في الكتاب والسنة. ثم آتخص لدى علماء مدرسة أهل البيت بالعلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية.

قال جمال الدين الحسن بن زين الدين (ت: ١٠١١ هـ) في كتابه، معالم الدين، المشهور بـ (معالم الاصول):

الفقه في اللغة: المفهم

وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية<sup>٢</sup>.

يقصد بالاصطلاح، اصطلاح علماء مدرسة أهل البيت.

(١) سفينة البحار ٢/٣٨١ مادة فقه.

(٢) معالم الدين، تصحيح عبد الحسين محمد علي البقال، ص ٦٦

## ( ٥ )

### الاجتهاد

#### أولاً — الاجتهاد في اللغة

قال آبن الأثير: « الاجتهاد بذل الجهد في طلب الأمر، وهو آفعال من الجهد الطاقة »<sup>١</sup>.

وفي هذا المعنى، آستعمل على عهد الرسول وأصحابه إلى آخر القرن الأول. فقد ورد عن رسول الله:

أ — أما السجود فأجتهدوا في الدعاء فقمّن أن يستجاب لكم<sup>٢</sup>.

ب — صلّوا علىّ وأجتهدوا في الدعاء<sup>٣</sup>.

ج — فضل العالم على المجتهد مائة درجة<sup>٤</sup>، أي المجتهد في العبادة.

وعن محمد القرظي: « كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم، عابد مجتهد »<sup>٥</sup>.

وعن عائشة: « كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره »<sup>٦</sup>.

أي يجتهد في العبادة ».

وفي حديث طلحة عن رجلين على عهد رسول الله: « كان أحدهما أشدّ آجتهاداً

(١) مادة جهد من نهاية اللغة لابن الاثير.

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة ح ٢٠٧، ومسنّد احمد ٢١٩/١.

(٣) سنن النسائي ١٩٠/١ باب الامر بالصلاة على النبي، وفي مسنّد احمد ١٩٩/١ باختصار.

(٤) مقدمة سنن الدارمي، ١٠٠/١.

(٥) موطأ مالك كتاب الجنائز ح ٤٣.

(٦) صحيح مسلم كتاب الاعتكاف ح ٨، وسنن ابن ماجة كتاب الصيام ح ١٧٦٧.



من الآخر فغزا المجتهد منها فاستشهد <sup>١</sup> .

وعن أبي سعيد: «كان رسول الله (ص) إذا حلف وأجتهد في اليمين، قال <sup>٢</sup> .  
وفي خبر عبد الله بن أبي في غزوة بني المصطلق: «فأجتهد بيمينه ما فعل <sup>٣</sup> .  
وفي سؤال الصحابية أم حارثة عن شأن ابنها حارثة من رسول الله (ص) : إن  
كان في الجنة، صبرت وإن كان غير ذلك أجتهدت عليه في البكاء <sup>٤</sup> .

نعرف من هذه الموارد والكثرة الكاثرة من نظائرها، أنه كان المتبادر من  
الاجتهاد في القرن الأول، هو بذل الجهد، ثم تطور مدلول الاجتهاد لدى المسلمين،  
وأصبح يدل في اصطلاحهم على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

#### ثانياً - الاجتهاد في اصطلاح المسلمين

قال الغزالي في تعريف الاجتهاد: «هو عبارة عن بذل المجهود واستفراغ الوسع  
في فعل من الأفعال. ولا يستعمل إلا في ما فيه كلفة وجهد... لكن صار اللفظ في  
عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجتهد وُسْعَه في طلب العلم بأحكام الشريعة...» <sup>٥</sup> .  
وقال الدهلوي: «حقيقة الاجتهاد استفراغ الجهد في إدراك الأحكام الشرعية  
من أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها إلى أربعة أقسام: الكتاب والسنة والإجماع  
والقياس <sup>٦</sup> .

وكذلك عرّف محمد أمين أدلة الأحكام في كتاب تيسير التحرير <sup>٧</sup> .

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الرؤيا، ٣٩٢٥، ومسند احمد ١٦٣/١ و ٣٢٣/٢ و ٣٦٣ و ٨٢/٦ و ١٢٣ و  
٢٥٦ و ٤٠/٥ . (٢) مسند احمد ٣٣/٣ و ١٤٨ .

(٣) صحيح البخاري ١٣٦/٣، كتاب التفسير، تفسير سورة (المنافقون) . وصحيح مسلم، كتاب المنافقين،  
ح ١ . ومسند أحمد ٣٧٣/٤

(٤) صحيح البخاري، ٩٣/٢، كتاب الجهاد، ومسند احمد ٢٦٠/٣ و ٢٨٣ .

(٥) أبو حامد محمد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) في كتاب المستصفي في أصول الفقه، ط مصطفى البابي بمصر  
سنة ١٣٥٦ هـ (ج ١٠/٢)، راجع ترجمته بكشف الظنون ١٦٧٣/٢، وراجع الأحكام للأمدى ١٤١/٤ .  
(٦) نقل ذلك محمد فريد وجدي في مادة جهد من دائرة معارف القرن العشرين ٣٣٦/٣ عن رسالة  
الإتصاف في بيان سبب الاختلاف لأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الفاروقي الحنفي المحدث الفقيه (ت ١١٧٦ هـ أو  
١١٧٩ هـ) ترجمه الزركلي في الأعلام ١٤٤/١ .

(٧) أصل الكتاب اسمه التحرير في أصول الفقه للعلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد الشهير بابن  
همام الحنفي (ت: ٨٦١ هـ) وشرحه تلميذه الفاضل محمد بن محمد بن أمير الحاج الحلبي الحنفي (ت: ٨٧٩ هـ)

كان هذا لدى أتباع مدرسة الخلفاء، وقد شاع هذا الاصطلاح لدى علماء مدرسة أهل البيت بعد القرن الخامس كما ورد في كتاب مبادئ الوصول للعلامة الخلي (ت: ٧٢٦ هـ) في الفصل الثاني عشر، المبحث الأول في الاجتهاد ما ملخصه: «الاجتهاد: هو است فراغ الوسع في النظر فيما هو من المسائل الظنية الشرعية، على وجه لازيادة فيه.

ولا يصح في حق النبي (ص) لقوله تعالى «وما ينطق عن الهوى» النجم ٤/٥٣ . ولأن الاجتهاد إنما يفيد الظن، وهو (عليه السلام) قادر على تلقيه من الوحي. ولأنه كان يتوقف في كثير من الأحكام حتى يرد الوحي ولو ساغ له الاجتهاد لصار إليه. ولأنه لو جاز له، لجاز لجبرئيل عليه السلام. وذلك يستد باب الجزم، بأن الشرع الذي جاء به محمد (عليه السلام) من الله تعالى.

ولأن الاجتهاد قد يخطئ وقد يصيب، فلا يجوز تعبد به (عليه السلام) به لأنه يرفع الثقة بقوله.

وكذلك لا يجوز لأحد من الأئمة (عليهم السلام) الاجتهاد عندنا، لأنهم معصومون، وإنما أخذوا الأحكام بتعليم الرسول (عليه السلام) وأما العلماء فيجوز لهم الاجتهاد، باستنباط الأحكام من العمومات، في القرآن والسنة، وبترجيح الأدلة المتعارضة.

أما بأخذ الحكم من القياس والاستحسان فلا<sup>١</sup>.

\* \* \*

ونرى أن علماء مدرسة أهل البيت حين استعملوا مصطلح الاجتهاد والمجتهد لم يتركوا اصطلاح الفقه والفقهاء بل جمعوا بين الاصطلاحين كما فعل ذلك جال الدين صاحب المعالم فإنه قال في أول كتابه كما مر علينا:

→  
وشرح الشرح، المحقق محمد أمين، المعروف بأمير بادشاه البخاري، نزيل مكة وسماء تيسر التحرير. ورجعنا إليه ط.  
مصطفى البابي مصر سنة ١٣٥١ هـ (ج ١/١٧١) راجع تراجمهم بكشف الظنون (٣٥٨/١).  
(١) مبادئ الوصول إلى علم الأصول، ص: ٢٤٠ - ٢٤١.

«الفقه في اللغة: الفهم.

وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية».

وعقد بعد ذلك فصلاً لتعريف الاجتهاد وقال في فصل آخر:

«الاجتهاد في اللغة: تحمل الجهد... وأما في الاصطلاح: فهو است فراغ الفقيه

وسعه في تحصيل الظنّ بحكم شرعيّ...»<sup>١</sup>.

\* \* \*

وبالإضافة إلى ما سبق تختلف المدرستان في بعض أدلة الأحكام الشرعية كما

سنبينه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

\* \* \*

بعد دراستنا للمصطلحات الخمسة الماضية، ندرس في ما يأتي بحوله تعالى

موقف المدرستين من كلّ منها.



## الفصل الأول

### موقف المدرستين من القرآن الكريم

اهتمام الرسول (ص) و الصحابة بجمع القرآن و تدوينه  
ضجة مفتعلة حول مصحف فاطمة



## اهتمام الرسول (ص) و الصحابة بجمع القرآن وتدوينه

كان رسول الله (ص) يتلو على عامة من حضره من المسلمين كلما نزلت عليه آيات من القرآن الكريم، ويفسر لهم منها ما يحتاجون إلى تفسيرها، ويلقن ذلك خاصة الإمام علياً (ع) ويأمره بكتابتها كما يأتي بيانه في بحوث هذا الكتاب — إن شاء الله تعالى —.

ولما هاجر إلى المدينة، حث المسلمين على تعلّم الكتابة، فتبادروا إليها، وحثهم على كتابة القرآن وحفظه، فتسابقوا إليها، وكانوا يكتبون ما يتلقونه من آيات القرآن على ما حضرهم من جلود وغيرها، وكان رسول الله (ص) يعلمهم أسماء السور ومكان الآيات في السور كما علمه الله، ولما توفاه الله كان في المدينة عشرات الصحابة ممن حفظ جميع القرآن، وكثير من الصحابة من كتب جميع القرآن، غير أن ما لديهم لم يكن كتاباً مدوناً كما هو عليه اليوم، وإنما كان أوزاعاً في قطع كتبه عليها، ولما توفي الرسول (ص) بادر الإمام عليّ (ع) إلى تدوين القرآن في كتاب واحد، كما أن عدداً من الصحابة - غير الإمام أيضاً مثل ابن مسعود - كانت لديهم نسخة من القرآن مدونة، لكن الخليفة أبا بكر لم يقتن تلك النسخ، بل أمر جمعاً من الصحابة بتدوين القرآن ككتاب، ثم أودعه عند أم المؤمنين حفصة حتى إذا كان عصر الخليفة عثمان، وآتسعت الفتوح، وانتشر المسلمون، أمر الخليفة باستنساخ عدة نسخ على النسخة المحفوظة لدى حفصة، ووزّعها على بلاد المسلمين، واستنسخ المسلمون على تلك النسخ وتداولوها جيلاً بعد جيل إلى يومنا الحاضر، ولم يكن لدى أحد من المسلمين في يوم ما نسخة غيرها، ولم يكن في يوم من الأيام لدى أحد من المسلمين نسخة فيها زيادة كلمة أو نقصان كلمة على هذا المتداول اليوم بين المسلمين سواء في ذلك جميع فرق المسلمين:

سنيهم وشيعيهم، أشعريهم ومعتزليهم، حنفيهم وشافعيهم، حنبلتهم ومالكيتهم، زيديهم وإماميتهم، وهايتهم إلى الخواارج. لم تكن لدى فرقة منها أو غيرها في يوم من الأيام نسخة فيها زيادة كلمة أو نقصان كلمة، أو أن ترتيب السور والآيات فيها مخالف لهذا المتداول بين المسلمين اليوم.

أما ما ورد في بعض كتب الحديث من نقص مزعوم في القرآن الكريم، فقد بقي في مكانه من كتب الحديث ولم ينتقل إلى نسخة واحدة من نسخ القرآن في يوم من الأيام، مثل ما ورد في الصحاح الستة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجة والدارمي وغيرها:

عن الخليفة عمر (رض) أنه قال وهو على المنبر: «لأن الله بعث محمداً (ص) بالحق، وأنزل عليه الكتاب. فكان مما أنزل الله، «آية الرجم» فقرأناها وعقلناها ووعينناها رَجَمَ رسول الله (ص) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن»<sup>١</sup>.

والآية المزعومة في رواية ابن ماجة عن عمر قال وقد قرأتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجوهما ألتة». وفي موطأ مالك: «الشيخ والشيخة فأرجوهما ألتة» فإذا قد قرأناها.

وفي الحديث نفسه في صحيح البخاري: ثم إنا كنا نقرأ من كتاب الله: «أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم». والحديث المروي عن أم المؤمنين عائشة (رض) أنها قالت: كان فيما أنزل من

(١) — البخاري ج ٤/١٢٠ باب رجم الجبل من الزنا من كتاب الحدود واللفظ له.

ب — ومسلم ج ٥/١١٦.

ج — وسنن أبي داود ج ٢/٢٢٩ باب في الرجم من كتاب الحدود.

د — والترمذي ج ٦/٢٠٤ باب ما جاء في تحقيق الرجم من كتاب الحدود.

ه — وابن ماجة باب الرجم من كتاب الحدود الحديث المرقم ٢٥٥٣.

و — والدارمي ج ٢/١٧٩ باب في حد المصنين بالزنا من كتاب الحدود.

ز — والموطأ ج ٣/٤٢ كتاب الحدود.



القرآن «عَشْرَ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ» فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن<sup>١</sup>.

وفي صحيح ابن ماجة: قالت نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً. ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها.

وفي صحيح مسلم أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء أهل البصرة وكانوا ثلاثمائة رجل، فقال فيما قال لهم: «وإنّا كنا نقرأ سورة كنّا ننسبها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنّي قد حفظت منها» «لَوْ كَانَ لِأَبْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغِي وَادِيَاً ثَالِثاً وَلَا يَمَلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ».

وكنّا نقرأ سورة كنّا ننسبها بإحدى المسبّحات فأنسيتها غير أنّي حفظت منها «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتَكْتَبَ شَهَادَةٌ فِي أَغْنَائِكُمْ فَتَسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>٢</sup>.

\* \* \*

مع وجود هذه الأحاديث في صحاح مدرسة الخلفاء، لم يتم أحد من أتباع مدرسة أهل البيت أتباع مدرسة الخلفاء ويقول إنّ أتباع مدرسة الخلفاء يقولون بنقصان القرآن، أو إنهم يضيفون إلى القرآن سوراً وجملات من عند أنفسهم.

وعلى العكس من ذلك لما وردت نظير هذه الأقوال في بعض كتب حديث أتباع مدرسة أهل البيت، أثار بعض الكتّاب بمدرسة الخلفاء ضجة كبرى على أتباع مدرسة أهل البيت وقالوا إنهم يقولون بنقصان القرآن ويضيفون إلى القرآن من عند أنفسهم عبارات وجملات، ويستدلون على قولهم بها ورد في بعض كتب الحديث.

- ١) — صحيح مسلم ج ٤/١٦٧ باب التحريم بخمس رَضَعَاتٍ، من كتاب الرضاع.
- ب — وأبو داود ج ١/٢٧٩ باب هل يحرم ما دون خمس رضعات، من كتاب النكاح.
- ج — والنسائي ج ٢/٨٢ باب القدر الذي يحرم من الرضاعة، من كتاب النكاح.
- د — وآبن ماجة ج ١/٦٢٦ باب رضاع الكبير، من كتاب النكاح الحديث ١٩٤٤.
- ه — والدارمي ج ١/١٥٧ باب كم رضعة تحرم، من كتاب النكاح.
- و — وموطأ مالك ج ٢/١١٨ باب جامع ما جاء في الرضاعة، من كتاب الرضاع.
- ٢) صحيح مسلم ج ٣/١٠٠ باب لو أن لابن آدم واديين لا يتغى وادياً ثالثاً، من كتاب الزكاة.

على أن أتباع مدرسة أهل البيت لا يلتزمون صحّة كتاب ما عدا كتاب الله،  
وأتباع مدرسة الخلفاء يلتزمون صحّة جميع ما ورد في صحيح البخاري ومسلم،  
ويعالجون هذه الأحاديث بقولهم نسخت تلاوتها<sup>١</sup>.

### ضجّة مفتعلة حول مصحف فاطمة

وأقام بعض الكُتّاب أيضاً ضجة مفتعلة أخرى على أصحاب مدرسة أهل  
البيت وقالوا بأن لهم قرآناً آخر اسمه «مصحف فاطمة (ع)» وذلك لأنّ كتاب  
فاطمة سمي بالمصحف، والقرآن أيضاً سمي من قبل بعض المسلمين بالمصحف، مع  
أنّ الأحاديث تصرّح بأنّ مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن، وإلّا فإيه ما  
سمعت من أخبار من يحكم الأمة الإسلامية، حتّى أنّ الإمام جعفر الصادق (ع) لما ثار  
محمد وإبراهيم من أبناء الإمام الحسن (ع) على أبي جعفر المنصور قال: «ليس في  
كتاب أئمة فاطمة آسم هؤلاء في من يملك هذه الأمة»<sup>٢</sup>.

وفي مدرسة الخلفاء سُمّوا كتاب سيبويه في النحوب (الكتاب) أضف إلى ذلك  
أنّ لفظ «المصحف» لم يرد في القرآن ولا في الحديث النبوي الشريف.  
ووردت تسمية القرآن بـ (الكتاب) في القرآن في قوله تعالى:

«ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» البقرة/ ٢.

«أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» البقرة/ ٨٥.

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» البقرة/ ٨٩.

«ويعلمهم الكتاب والحكمة» البقرة/ ١٢٩.

«ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» البقرة/ ١٥١.

إلى عشرات آيات أخرى مع هذا لو قال أحد أنّ كتاب سيبويه حجه ضيف  
كتاب الله، لم يقصد أنّ كتاب سيبويه قرآن أكبر من كتاب الله، ولم يعترض على هذه

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود باب رجم الخبل من الزنى ح ١، وصحيح مسلم كتاب الحدود

باب رجم الثيب في الزنى ح ١٥.

(٢) راجع آخر الكتاب باب مصدر الشريعة الإسلامية لدى أهل البيت.

التسمية من أتباع مدرسة أهل البيت أحد.

\* \* \*

وأخيراً، إن هذه الأقوال يستفيد منها خصوم الإسلام ويتخذون منها وسيلة للطنن في القرآن، بصر الله بعض الكتاب ليكشف عن هذا الهذيان.

إن القرآن الذي في أيدي المسلمين اليوم، هو الذي أكمل الله إنزاله على خاتم أنبيائه في أخريات حياته، وجمعه - أيضاً - الصحابة بعد وفاته ودونه وأستنسخوه ووزعوه على المسلمين. أوله:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين﴾، وآخره: ﴿من الجنة والناس﴾. لم يكن في يوم من الأيام منذ ذلك العصر إلى يومنا هذا قرآن في يد مسلم، يزيد على هذا المتداول كلمة أو ينقص كلمة، لا خلاف في ذلك بينهم، وإنما الخلاف في تفسير القرآن وتأويل متشابهه، وذلك لأنهما مأخوذان من الحديث.

وقد اختلف المسلمون في شأن حديث رسول الله (ص) كما سنذكره في باب موقف المدرستين من السنة الآتي إن شاء الله تعالى.



## الفصل الثاني

### موقف المدرستين من سنة الرسول (ص)

- ١- موقف المدرستين عن روى عن رسول الله
- ٢- موقف المدرستين من نشر حديث الرسول (ص) في القرن الأول الهجري
- ٣- منع كتابة سنة الرسول (ص) إلى آخر القرن الأول الهجري
- أ - على عهد الخلفيتين أبي بكر وعمر
- ب - على عهد عثمان
- ج - على عهد معاوية
- د - فتح الروافد الإسرائيلية
- هـ - على عهد عمر بن عبدالعزيز
- و - كيف وجد الحديثان المتناقضان



تتفق المدرستان :

في الإيمان بوجوب العمل بسنة الرسول (ص) من مصادر الشريعة الإسلامية .  
ولما كانت سنة الرسول (ص) سيرة وحديثاً وتقريراً، تصل إلينا بواسطة الرواية  
عن الرسول (ص) فإن المدرستين تختلفان في :

- أ - بعض الوسائط لنقل الرواية عن الرسول (ص) .
- ب - جواز كتابة حديث رسول الله (ص) في القرن الهجري الأول .
- وسندرس كلاً من الأمرين على حدة في ما يأتي إن شاء الله تعالى .

(١)

## موقف المدرستين ممن روى عن رسول الله (ص)

لما سبق ذكره في باب الصحابة والإمامة، يأخذ أتباع مدرسة أهل البيت بعد عصر الرسول (ص) معالم دينهم من أئمة آل البيت الاثني عشر في مقابل أتباع مدرسة الخلفاء الذين يأخذون معالم دينهم من أي فرد من أصحاب رسول الله (ص) دونما تمييز بينهم، فإن جميعهم عدول عندهم، بينما لا يرجع أتباع مدرسة أهل البيت إلى صحابة نظراء طلحة<sup>١</sup> وعبدالله بن الزبير<sup>٢</sup> اللذين حارباً علياً يوم الجمل، ولا معاوية<sup>٣</sup> وعمرو

(١) أبو محمد طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، وأمه الصعبة أخت العلاء الحضرمي، أنشأ النبي بينه وبين الزبير. كان من أشد المؤيدين على عثمان، فلما قتل عثمان سبق إلى بيعته علي بن أبي طالب ثم خرج إلى البصرة مطالباً بدم عثمان من علي بن أبي طالب ورآه مروان يوم الجمل فرماه بسهم قتل منه سنة ٣٦ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ٣٨ حديثاً. راجع: «أحاديث أم المؤمنين عائشة» ١/١٠٩ - ١٩٦. وجوامع السيرة ص ٢٨١.

(٢) أبو عبيد الله بن الزبير القرشي الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر. كانت أم المؤمنين تحبه وتكنى به، وكان يفيض آل البيت وكان الامام علي يقول: ما زال الزبير ممّاً أهل البيت حتى نشأ ابنه عبدالله. وكان من المحرضين لما في حرب الجمل، وأستقل بمكة بعد استشهاد الحسين، وقتله الحجاج سنة ثلاث وسبعين في مكة. روى عنه أصحاب الصحاح ٣٣ حديثاً. راجع ترجمته بأسد الغابة وواقعة الجمل في أحاديث عائشة وجوامع السيرة ص ٢٨١.

(٣) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي. أمه هند بنت عتبة. أسلم بعد الفتح، وولاه أخوه لما طمن في عمواس سنة ١٨ هـ، فأقره عمرو بن قنينة والياً على الشام حتى قتل عثمان، فتمرد على الإمام وجهز جيشاً لقتاله فتلاقي بصفين سنة ٣٦ هـ، ولما لاح النصر لجيش الإمام خدعهم برفع المصاحف ودعوتهم إلى حكمه فقررروا التحكيم فغدر عمرو بن العاص بأبي موسى. وفي سنة ٤١ هـ. صالحه الإمام الحسن فأصبح خليفة المسلمين وتوفي سنة ٦٠ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٦٣ حديثاً. راجع فصل: مع معاوية في «أحاديث أم المؤمنين عائشة»، وجوامع السيرة ص ٢٧٧.



ابن العاص<sup>١</sup> اللذين حاربا في وقعة صفين، ولا ذي الخويصرة<sup>٢</sup> وعبدالله بن وهب<sup>٣</sup> اللذين حاربا يوم النهروان.

وكذلك لا يأخذون من نظرائهم من أعداء عليّ سواء كانوا معدودين من الصحابة أو التابعين أو اتباع التابعين أو من سائر طبقات الرواة<sup>٤</sup>.

فبينما نجد مثلاً أمام المحدثين البخاري لا يخرج حديثاً واحداً في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق سادس أئمة أهل البيت<sup>٥</sup> والذي يروي عنه آلاف المحدثين من أتباع مدرسة أهل البيت آلاف الأحاديث. يروي هو وأبو داود والنسائي في صحيحهم عن عمران بن حطان<sup>٦</sup> الخارجي الذي يقول في عبد الرحمن بن ملجم وقته للإمام عليّ:

يا ضربة من تقى ما أراد بها  
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا  
إنني لأذكره يوماً وأحسبه  
أوفي البرية عند الله ميزانا

ويروي النسائي مثلاً في صحيحه عن عمر بن سعد<sup>٧</sup> قاتل الحسين ويقول علماء

(١) أبو عبد الله عمرو بن العاص القرشي السهمي. وأمه النافعة كانت من شهيرات البغايا في الجاهلية، أسلم عام خيبر وفتح مصر ووليا لعمر، ولما عزله عثمان أصبح من أشدّ المؤيدين عليه. وبعد قتله اشترط على معاوية أن يعطيه مصر على نصره وإيادته. فأشترك في صفين وأشار على معاوية برفع المصاحف، وغدر بأبي موسى في التحكيم، ثم ذهب إلى مصر وقتل محمد بن أبي بكر ووليا حتى توفي بها بعد سنة أربعين. وروى عنه أصحاب الصحاح ٣٩ حديثاً. راجع فصل مع معاوية بأحاديث عائشة، وجوامع السيرة ص ٢٨٠.

(٢) ذو الخويصرة التميمي. اسمه الحرقوص. كان رسول الله ذات يوم يقسم فقال: يا رسول الله اعدل فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، وأخبر عن خروجه وقلته، فقتل بالنهروان مع الخوارج وطلبه علي فوجده كما أخبر عنه الرسول. ترجمته بأسد الغابة.

(٣) عبد الله بن وهب الرازي السبائي، بايعه الخوارج على أنه خليفته سنة ٣٧ هـ فقتل في النهروان راجع عبد الله بن سبأ ٢٣٥/٢ - ٢٣٦.

(٤) وقد يروون من هؤلاء ما كان في فضل علي وما شابهه، وذلك لأنّ الفضل ما شهدت به الأعداء أو ما كان منهم اعترافاً بحق.

(٥) أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق قال المفيد في الإرشاد ص: ٢٥٤، «أنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل» توفي سنة ١٤٨ هـ.

(٦) عمران بن حطان البكري ثم الشيباني السدوسي، من شعراء الشراء. ترجمته في الأغاني ط ساسي ج ١٤٧/١٦ - ١٥٢.

(٧) أبو حفص عمر بن سعد القرشي الزهري قتلته المختار سنة ٦٥ أو ٦٦ هـ. ترجمته بتقريب التهذيب ج ٤٠١/٧.

الرجال في ترجمته: «صدوق، لكن مقتته الناس، لكونه أميراً على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي». بينما يلعنهما أتباع مدرسة أهل البيت.

\* \* \*

ولهذا نشأ الخلاف الفكري بين المدرستين - كما رأينا إلى هنا - حول من يأخذون منه حديث الرسول (ص).

## (٢)

### موقف المدرستين من نشر حديث الرسول (ص) في القرن الأول

بالإضافة إلى ما ذكرنا حدد معالم المدرستين وأطر كلاً منها باطارها الخاص بها نشاط رجال المدرستين في نشر الحديث، فبينما منع الخلفاء من كتابة حديث رسول الله (ص) ونشره، نشطت المدرسة الأخرى في سبيل نشره متحذية جهود مدرسة الخلفاء في سبيل منعه، وقد بدأت المعركة سافرة صريحة منذ اخر ساعات حياة الرسول (ص) عندما قال: «أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: يهجر رسول الله (ص)»<sup>١</sup>.

وقد عيّن البخاري في حديث آخر يرويه عن ابن عباس قائل هذا القول، قال: «لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (ص) غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختلفوا فمنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع»<sup>٢</sup>.

(١) البخاري في صحيحه، باب جوائز الوفاء من كتاب الجهاد، ١٢٠/٢، وباب إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجزية، ١٣٦/٢، ومسلم في صحيحه ٧٥/٥ باب ترك الوصية. رواه مسلم بسبعة أسانيد. ومسند أحمد ٢٢٢/١، تحقيق محمد شاكر، الحديث ١٩٣٥. وطبقات ابن سعد، ط بيروت ٢/٢٤٤، وتاريخ الطبري ١٩٣/٣. وفي لفظهم: ما شأنه؟ أ هجر؟ قال الراوي يعني: هذى! استفهموه فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني... الحديث.

وفي صحيح مسلم ٧٦/٥، وتاريخ الطبري ١٩٣/٣، وطبقات ابن سعد ٢/٢٤٣ ولفظه: «إنما يهجر رسول الله».

(٢) البخاري، كتاب العلم، باب العلم ٢٢/١.

وفي رواية لعمر ذكر كيفية تنازعهم قال:

كنا عند النبي وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله (ص) «اغسلوني بسبع قيرب، وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقالت النسوة: اثنا رسول الله بحاجته فقال عمر فقلت: اسكتن فإنك تنصوا حبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإن صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله (ص): هن خير منكم»<sup>٢</sup>.  
وفي رواية أخرى أنّ زينب زوج النبي (ص) قالت: ألا تسمعون النبي (ص) يعهد إليكم فلغظوا فقال: قوموا فلما قاموا قبض النبي مكانه<sup>٣</sup>.

و يظهر من بعض الأحاديث أنهم نشطوا لمنع كتابة حديث الرسول (ص) قبل ذلك وفي زمان صحّة الرسول (ص)، قال عبدالله بن عمرو بن العاص: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) فنهتني قریش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما أخرج منه إلّا حق»<sup>٤</sup>.

\* \* \*

قد كشفوا النقاب في حديثهم مع عبد الله عن سبب منعهم من كتابة حديث الرسول، وهو خشيتهم من أن يروى عنه حديث في حق أناس قاله فيهم حال رضاه عنهم، وفي حق آخرين ما قاله في حال غضبه عليهم.

(١) في امتاع الاسماع، ص ٥٤٦ فقالت زينب بنت جحش وصواحبها.

(٢) طبقات ابن سعد، بيروت ٢/٢٤٣ - ٢٤٤ باب الكتاب الذي أراد أن يكتبه الرسول لأتته، ونهاية الارب ١٨/٣٥٧، وكثر العمال، الطبعة الأولى ٣٨/١٣٨ و ٥٢/٤.

(٣) طبقات ابن سعد، ٢/٢٤٤.

(٤) سنن الدارمي، ١/٢٥١، باب من رخص في كتابة من المقدمة، وسنن أبي داود ٢/٢٦٦، باب كتابة المعلم، ومسند أحمد ٢/١٦٢، ١٩٢ و ٢٠٧ و ٢١٥، ومستدرک الحاكم ١/١٠٥ - ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٨٥ ط. الثانية، ط. العاصمة بالقاهرة سنة ١٣٨٨.

وعبد الله بن عمرو بن العاص قرشي سهمي واه ربيعة بنت منبه السهمي كان اصغر من أبيه بلوحدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة. اختلفوا في وفاته أكان بمصر أو الطائف أو مكة وعام ٦٣ أو ٦٥. راجع ترجمته بأسد الغابة ٣/٢٣، والتبلا ٣/٥٦، وتهذيب التهذيب ٥/٣٣٧.

٤٥

ومن هنا نعرف سبب منعهم كتابة وصية الرسول في آخر ساعات حياته،  
ولماذا أحدثوا اللغط والضوضاء حتى توفي دون أن يكتب وصيته . وسبب منعهم من  
كتابة حديث الرسول عندما ولوا الحكم ولم يبق مانع من ذلك .

(٣)

## منع كتابة سنة الرسول (ص) إلى آخر القرن الأول الهجري

### على عهد الخليفين أبي بكر و عمر

في طبقات ابن سعد: «أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها»<sup>١</sup>.

منعت مدرسة الخلفاء من تدوين حديث الرسول إلى رأس المائة من هجرة الرسول الأكرم (ص)، وليتهم اكتفوا بذلك بل منعوا من رواية حديثه كذلك.

روى الذهبي أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: «إنكم تحدثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»<sup>٢</sup>.

وروى عن قرظة بن كعب أنه قال: «لما سئزنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرار، ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمنا، قال: إن مع ذلك حاجة، إنكم تأتون أهل قرية لم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم، قال قرظة: فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله (ص)»<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى: فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر<sup>٤</sup>.

(١) طبقات ابن سعد ١٤٠/٥ بترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر ٢/١ - ٣.

(٣) أخرجه ابن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون

التفهم له ١٤٧/٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١ - ٥.

٤٧

وكان في الصحابة مثل قرظة بن كعب عن تابعوا سنة الخلفاء وامتنعوا عن نشر سنة الرسول (ص) نظير عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص فقد روى الدارمي في باب من هاب الفتيا بكتاب العلم من سننه ٨٤/١ - ٨٥. عن الشعبي: قال جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله (ص).

وفي رواية أخرى عنه، قال قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصف فما سمعته يحدث عن رسول الله (ص) شيئاً إلا هذا الحديث.

وروى عن السائب بن يزيد، قال:

خرجت مع سعد - ابن أبي وقاص - إلى مكة فما سمعته يحدث حديثاً عن رسول الله (ص) حتى رجعنا إلى المدينة.

وكان في الصحابة من خالف سنة الخلفاء وروى سنة الرسول (ص) فلقي من الإرهاق ما نذكر أمثلة منه في ما يأتي:

في كنز العمال:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: مامات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة ابن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيت عن رسول الله في الآفاق؟

قالوا: تنهانا؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم ونرد عليكم، فما فارقه حتى مات<sup>١</sup>.

وروى الذهبي أن عمر حبس ثلاثة ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود

→

وقرظة بن كعب أنصاري خزرجي، في أسد الغابة هو أحد العشرة الذين وجههم عمر مع عمار بن ياسر إلى الكوفة. شهد أحداً وما بعدها، وفتح الري سنة ٢٣. ولاء على الكوفة لما سار إلى الجمل، وتوفي بها في خلافته. أسد الغابة ٢٠٣/٤.

(١) الحديث رقم ٤٨٦٥ من الكنز ط الأولى ج ٢٣٩/٥، ومنتخبه ج ٦١/٤. وعبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، أتى الرسول بينه وبين عثمان من المهاجرين، وجعل عمر تعيين الخليفة بيده في الشورى

الأنصاري فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله<sup>١</sup>.  
وكان يقول للمصحابة: أفلأوا الرواية عن رسول الله إلا في ما يعمل به<sup>٢</sup>.  
هذه الرواية تتفق مع رواية عبدالله بن عمرو بن العاص في المغزى في أن  
قريشاً نهته عن أن يكتب كل شيء سمعه من رسول الله (ص).  
على عهد عثمان

كان ما ذكرناه على عهد الخليفين أبي بكر وعمر أما عثمان فقد أقر ذلك حيث قال  
على المنبر: « لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا على عهد عمر »<sup>٣</sup>.  
ويظهر أن ما رواه الدارمي وغيره من: « إن أبا ذر كان جالساً عند الجمرة  
الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه، ثم قال: ألم تنه عن  
الفتيا؟ فرفع رأسه إليه، فقال: أ رقيب أنت علي؟ ! لو وضعتم الصمصامة على هذه  
- وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعت من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا

فصنف على يد عثمان بتوفي بالمدينة عام ٣١ أو ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ٦٥ حديثاً. راجع فصل  
الشورى من كتاب: (عبدالله بن سبأ) الجزء الأول. وجوامع السيرة ص ٢٧٩.

وعبدالله بن حذيفة لم أجده ترجمته ولعله عبدالله بن حذافة القرشي السهمي من قدماء المهاجرين مات  
بمصر في خلافة عثمان: تقريب التهذيب ٤٠٩/١

وأبوالدرداء عويمر أو عامر بن مالك الأنصاري الخزرجي، وأمه حبة بنت واقد ابن الاطنابة تأخر  
إسلامه وشهد الحندق وما بعدها، أخى النبي بينه وبين سلمان، وفي قضاء دمشق على عهد عثمان، وتوفي بها  
عام ٣٣ أو ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٧٩ حديثاً. أسد الغابة ١٥٩/٥ - ١٦٠ و ١٨٧ و ١٨٨،  
وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

وعقبة بن عامر أثنان: جهني وروى عنه أصحاب الصحاح ٥٥ حديثاً، وأنصاري سلمي، أسد الغابة  
٣٨١/٤، وجوامع السيرة ص ١٧٩.

(١) تذكرة الحفاظ ٧/١ بترجمة عمر.

وآبن مسعود هو أبو عبد الرحمن، عبدالله بن مسعود الهذلي، وأمه أم عبد بنت عبدود الهذلي. كان أبوه  
حليف بني زهرة. أسلم عبدالله قديماً وأجهر بالقرآن في مكة فضر به حتى أدموه وهاجروا إلى الحبشة والمدينة،  
وشهد بدرأ وما بعدها وقطع عثمان عطاءه سنتين لإنكاره على الوليد ما آرتكبه أزمان ولايته على الكوفة ومات  
سنة اثنتين وثلاثين وأوصى أن لا يصلي عليه عثمان. أسد الغابة ٣/٢٥٦ - ٢٦٠. ومستدرك الحاكم ٣/٣١٥  
و ٣٢٠ وراجع أحاديث عائشة ٦٢ - ٦٥ وأبومسعود الأنصاري عقبة بن عمرو البصري، اختلف في وفاته. أسد  
الغابة ٥/٢٩٦.

(٣) منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٤/٦٤.

(٢) تاريخ ابن كثير ٨/١٠٧.



عليّ لأنفذتها<sup>١</sup>. وفي هذا العصر - أيضاً - كان مارواه الأحنف بن قيس قال: أتيت الشام فجمعت<sup>٢</sup> فإذا رجل لا ينتهي إلى سارية إلاخر<sup>٣</sup> أهلها، يصلي ويخفّ صلاته. قال: فجلست إليه، فقلت له: يا عبدالله من أنت؟ قال أنا أبوذر، فقال لي: فأنت من أنت؟ قال: قلت: الأحنف بن قيس. قال: قم عني لا أعديك بشر، فقلت له: كيف تعديني بشر، قال: إنّ هذا - يعني معاوية - نادى مناديه: «الآ يجالسني أحد»<sup>٤</sup>. ومن أجل مخالفته لأوامر السلطة، نفي أبوذر من بلد إلى بلد حتى لقي حتفه طريداً فريداً بالربذة سنة ٣١ هـ.

كان هذا في النصف الأول من خلافة عثمان، ولما أنتكت أمره في النصف الثاني من خلافته وقام في وجهه أمثال أم المؤمنين عائشة، وطلحة والزبير، وعمر بن العاص وغيرهم من الصحابة والتابعين، لم يبق محظور أمام من أراد رواية سنة الرسول (ص) من الصحابة، فنشر في هذا العصر شيء منها، غير أنها لم تدوّن على عهد الإمام عليّ (ع).

روى الصحابة على عهد الشيء الكثير من سنة الرسول (ص) ممّا كان محظوراً عليهم روايتها قبل عهد، وظهر الاختلاف جليّاً في ما روي من سنة الرسول (ص) مع أجهادات الخلفاء الثلاثة ممّا ذكرناه في آخر الفصل الرابع من هذا الكتاب. هذه أمثلة ممّا كان على عهد الخلفاء الثلاثة من الحظر على الصحابة في نشر أحاديث الرسول (ص)، غير أنهم جمجموا في الكلام ولم يفصحوا عن السبب كما فعله معاوية على عهد.

على عهد معاوية

روى الطبري أنّ معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى

(١) انما قلنا كان ذلك في عصر عثمان لان أحداً من الصحابة ما كان يجرأ على تحدّي أوامر السلطة على عهد الخليفة عمر، والرواية في سنن الدارمي ١/١٣٢، وطبقات ابن سعد ٢/٣٥٤ بترجمة أبي ذر وأخبرها البخاري وأوردها في باب العلم قبل القول في صحيحه ١/١٦١، وأجاز على الجريح: أجهز عليه. (٢) فجمعت: أي حضرت الصلاة يوم الجمعة. (٣) لعل الصواب: فقرأ أهلها.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/١٦٨.

وأبويعر الأحنف بن قيس التميمي السعدي لقب بالأحنف لحنف كان برجله. أدرك الرسول ولم يره. اعتزل الحرب في الجمل وشهد صفين مع الإمام علي، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستين. روى عنه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بأسد الغابة وتقريب التهذيب.

وأربعين وأمره عليها دعاه وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تترك شتم عليّ وذمه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم، والإطراء لشيعه عثمان والإدناء لهم، فقال له المغيرة: قد جرّبت وجرّبت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمني وستلوفتحمداً أو تذمّ، فقال: بل نحمد إن شاء الله<sup>١</sup>.

وروى المدائني في كتاب الأحداث وقال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته وكان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة<sup>٢</sup>.

وفي هذا السبيل قتل حجر بن عدي وأصحابه صبراً، وقتل وصلب رشيد الهجري وميثم التمار<sup>٣</sup>.

(١) في ذكر حوادث سنة ٥٩ هـ من كل من الطبري ١١٢/٢ - ١١٣ و ٣٨/٢، وابن الأثير ١٠٢/٣. والمغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقي، أمّه أمانة بنت الأرقم، أسلم عام الخندق وكان سبب إسلامه ما ذكره الواقدي في مغازيه ٥٩٥/٢ - ٥٩٨ قال كان قد خرج مع أربعة عشر إلى القوقس فأثرهم عليه. فلما رجعوا وكانوا بين خيبر والمدينة، شربوا خمرًا فكف المغيرة عن بعض الشراب فسكّر ثلاثة عشر من حلفائه فوثب عليهم وقتلهم عن آخرهم وهرب الرابع عشر فأخذ أمتعتهم وأموالهم ولحق بالنبي وأظهر الإسلام. فقال النبي لا أخسه هذا غدر، فدفع عنه عروة بن مسعود ثلاثة عشردية عنه، وفي زمن ولايته على البصرة شهدوا عليه بالزنى وأثر الخليفة عمر على أحدهم فحرف شهادته فدرا عنه الحد، كما أوردناه في فصل زنا المغيرة من: «عبد الله بن سبأ ج ١» ومات في ولايته على الكوفة سنة ٥٠ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٣٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة، وجوامع السيرة ص ٢٧٨.

٢ رواية ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عنه ١٥/٣ - ١٦، ط الباهي الحلبي. و عام الجاهلية يابى تفسيره.

(٣) حجر بن عدي بن معاوية الكندي المعروف بمحجر الخير. وفد على النبي وشهد القادسية وشهد مع على الجمل وصفين، وكان على كندة وعلى الميسرة بنهروان. ولما أنكر على زياد بن أبيه لعن الامام علي وحصبه يوماً لتأخير الصلاة بحث به وبجاعته بأمر من معاوية إلى الشام فأمر معاوية بقتل من لم يثبأ من الإمام وقتل على ذلك حجر «مخرج عذراء» سنة إحدى وخمسين. راجع تفصيل قصته في: عبد الله بن سبأ ج ٢، فصل: حقيقة ابن سبأ والسبائية.

ورشيد الهجري نسبة إلى مدينة هجر باليمن. قيل هو رشيد الفارسي مولى بني معاوية من الأنصار ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة وفي لغة الهجري من اللباب: عداؤه في أهل الكوفة كان يؤمن بالرجعة وتكلم في ذلك بالكوفة، فقطع زياد لسانه وصلبه، ترجمته برجال الكشي ص ٧٨.

وميثم بن يحيى التمار، كان عبداً لا امرأة من بني أسد فأشتراه الإمام علي وأعتقه، ولما جلبه ابن زياد قال:

←

هكذا خنقت مدرسة الخلفاء أنفاس الصحابة والتابعين وقضت على من خالف سياستهم، وفي مقابل ذلك فتحت الباب لآخرين أن يتحدثوا بين المسلمين كما يشاؤون وكما نشر إليه في ما يأتي :

### فتح الروافد الاسرائيلية

إن مدرسة الخلفاء حين أغلقت على المسلمين باب التحديث عن رسول الله (ص) كما أشرنا إليه في ما مضى، فتحت لهم باب الأخاديت الاسرائيلية على مصراعيه. وذلك بالسماح لأمثال تميم الداري الراهب النصراني<sup>٢</sup>، وكعب أحبار اليهود<sup>٣</sup> وكانا قد أظهرتا الإسلام بعد أنتشاره، وتقرباً إلى الخلفاء بعد الرسول (ص) —→

سلفوني قبل أن أقتل، فلما سأله الناس وحدثهم أرسل ابن زياد من أجمه بلجام هو هو أول من أجم في الإسلام. خبره في رجال الكشي ص ٨١ — ٨٤.

(١) اي : أحاديث بني اسرائيل المأخوذة من التوراة.

(٢) ابورقية تميم بن أوس الداري، كان نصرانياً من علماء أهل الكتابين وراهب أهل عصره وعابد فلسطين. قدم المدينة بعد غزوة تبوك وأظهر الإسلام بعد سرقة ثبتت عليه ليدفع بإسلامه ما أدين به، وذلك أنه خرج مع رجل من بني سهم وعدي بن بداء في تجارة إلى الشام، فأتى السهمي وأوصى أن يبلغا متاعه إلى أهله وكان قد دس فيه وصيته وأخذ من متاعه ما أعجبها وكان في ما أخذوا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشاً بموها بالذهب. فلما دفعوا بقية المال إلى ورثته فقدوا بعض متاعه فنظروا إلى الوصية فوجدوا المال فيه تاماً لم يبع منه ولم يهب، فرفعوا أمرها إلى النبي فحلفها النبي عند المنبر بعد صلاة العصر، فحلفوا أنها لم يخونوا فخلع سبيلها. ثم وجدا الآتية عند تميم فرفعوهما إلى النبي ثانية فنزلت الآيات: «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم» فحلف السهميان أن الآتية من متاع صاحبنا فأخذوها وبقيت المتاع من تميم وصاحبه ثم اعترف تميم بالخيانة فقال له النبي : «ويحك يا تميم أسلم يتجاوز الله عنك» فأسلم.

عاش هذا في المدينة إلى عصر عمر. وعلى عهده كان يعظمه عمر ويقول فيه خير أهل المدينة وأحقه بأهل بدر في العطاء، ولما سُنَّ قيام شهر رمضان في العام الرابع عشر أمره وأبياً أن يصلي بالناس، وبعد قتل عثمان انتقل إلى الشام وعاش في كنف معاوية وتوفي في سنة أربعين للهجرة قد أوردنا قصة تميم وترجته بإيجاز في كتاب (من تاريخ الحديث) وهناك تفصيل قضاياء ومصادره .

(٣) أبو اسحاق كعب بن ماتم، كان من كبار علماء أهل الكتاب ومن أحبار اليهود باليمن. قدم المدينة، وأظهر الإسلام على عهد عمر وبقي بها بطلب منه. وآرتحل منها إلى الشام عندما ظهرت أمارات الثورة على عثمان. وعاش في كنف معاوية مرعياً الجانِب. ومات بمصر سنة ٥٣٤ هـ بعد أن بلغ أربعاً ومائة سنة. راجع ترجمته بكتابتنا من تاريخ الحديث.

وإن كعب أحبار اليهود هذا والمعلوم وجوده هو الذي أثر على الفكر الإسلامي في بعض جوانبه وليس عبدالله بن سبأ المختلق هو الذي أثر على الصحابة والتابعين كما زعموا. راجع كتاب «عبدالله بن سبأ» للمؤلف.

ففسحت مدرسة الخلفاء لها ولأمثالها المجال أن يثبوا الأحاديث الإسرائيلية بين المسلمين كما يشاءون، وقد خصص الخليفة عمر للأول ساعة في كل أسبوع يتحدث فيها قبل صلاة الجمعة بمسجد الرسول، وجعلها عثمان على عهده ساعتين في يومين. أما كعب أحبار اليهود فكان الخلفاء عمر و عثمان<sup>١</sup> ومعاوية يسألونه عن مبدأ الخلق وقضايا المعاد، وتفسير القرآن، إلى غير ذلك.

وروى عنها صحابة أمثال أنس بن مالك وأبي هريرة<sup>٢</sup> وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير ومعاوية ونظرائهم من الصحابة والتابعين.

ولم يقتصر نقل الإسرائيليات على هذين العالمين من علماء أهل الكتاب وتلاميذهما فحسب، بل قام به ثلة معهما، ومن بعدهما كذلك، وأمتدَّ حتى عهد الخلافة العباسية - ماعدا فترة حكم الإمام عليّ الذي طردهم من مساجد المسلمين - وسُمي هؤلاء بالقصاصين. وأثروا على الفكر الإسلامي بمدرسة الخلفاء أثراً عظيماً، ومن ثم دخلت الشكافة الإسرائيلية في الإسلام وصبغت في جانب منه بلونها، ومن هنا أنتشر بمدرسة الخلفاء الاعتقاد بأنَّ الله جسم، وأنَّ الأنبياء تصدر منهم المعاصي، والنظرة إلى المبدأ والمعاد إلى غيرها من أفكار إسرائيلية، وعظم نفوذ هؤلاء على العهد الأموي وخاصة في سلطان معاوية، حيث اتخذ بطانة من النصارى أمثال كاتبه سرجون<sup>٣</sup>، وطبيبه ابن

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي، وأمه أروى بنت كزير الأموي. وأم أروى البهيساء، بنت عبد المطلب عمّة النبي، وتزوج من رقية بنت رسول الله وهاجرا إلى الحبشة ثم المدينة. وبعد وفاتها، تزوج من أختها أم كلثوم التي توفيت على أثر التعذيب ولم يعقب منها. وبايعه عبد الرحمن بن عوف لما أبى عليّ من شرط العمل بسيرة الشيخين غزوة محرم ٢٤ هـ، وفي خلافته، أساء بنو أمية - ولاته على الولايات - السلوك مع المسلمين فثاروا عليه بقيادة قریش في ذي الحجة سنة ٣٦ هـ ومنعوا دفنه في البقيع فدفن في حش كوكب. روى عنه أصحاب الصحاح ١٤٦ حديثاً. جوامع السيرة ص ٢٧٧. و«أحاديث أم المؤمنين عائشة» فصل (في عصر الصهرين).

(٢) أبو هريرة الدوسي اختلطوا في اسمه ونسبه روائعه ٥٣٧٤ حديثاً، وتوفي سنة ٥٧ أو ٥٨ راجع جوامع السيرة ٢٧٦، وكتاب (شيخ المضيرة) لعالم مصر الراحل الشيخ محمود أبو ريرة.

(٣) سرجون بن منصور الرومي، في ذكر أخبار معاوية من تاريخ الطبري ج ٢/ ٢٠٥، وابن الأثير ٧/٤. وكان كاتبه وصاحب سره. وكتب بعده ليزيد، وفي الاغانى ١٦/ ٦٨ كان يزيد ينادم على شرب الخمر سرجون النصراني مولاة وهو الذي أشار على يزيد أن يولي على الكوفة ابن زياد لما بلغه خبر مسلم بن عقيل بها. الطبري ج ٢/ ٢٢٨ و ٢٣٩، وابن الأثير ج ٤/ ١٧، وكتب ابنه لعبد الملك. التنبيه والأشراف للمسمودى ص ٢٦١، وراجع الخطط للمقرئزي ج ١/ ١٥٩.

أثال<sup>١</sup>، وشاعره الأخطل<sup>٢</sup> من نصارى عصره، ومن المعلوم أنّ هؤلاء عند ما شكلوا البلاط الأموي لم يتركوا أفكارهم المسيحية وأعرافهم خلفهم، بل حملوها معهم إلى بلاط الخلافة الأموية. أضف إلى هذا أنّ عاصمة معاوية الشام كانت قبل ذلك عاصمة لنصارى الروم البيزنطيين، وكانت ذات حضارة عريقة. هذا ما كان من أمر المحيط الذي انتقل إليه معاوية.

أما معاوية نفسه، فكان قد نشأ في وسط أغلظ الجاهليات القبلية التي حاربت الإسلام وأعرافه حتى أخضعها الإسلام بقوة السيف. نشأ فيها حتى صلب عوده، وانتقل على كبرسته من مكة بعد فتحها إلى المدينة، ومن الجاهلية إلى الإسلام<sup>٣</sup>، ولم

(١) ابن أثال، لما أراد معاوية أن يبايع لابنه يزيد بولاية العهد من بعده، رأى ميل أهل الشام إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد. فأمر طبيبه ابن أثال أن يسته، ووعد أن يضع عنه الخراج لمدة سنة ويؤيه على خراج حمص، ففعل، ويذكر معاوية بوعد، فقتله خالد بن عبدالرحمن أو ابن أخيه المهاجر الأغاني ١٢/١٥ - ١٣، وتاريخ الطبري، ٨٢/٢ - ٨٣، وابن الأثير ٣/٣٧٨. وقال اليعقوبي في ج ٢/٢٢٣ من تاريخه: استعمل معاوية ابن أثال النصاري على خراج حمص ولم يستعمل النصاري أحد من الخلفاء قبله... الحديث.

(٢) أبو مالك غياث بن غوث الأخطل من نصارى تغلب. ولد في أوائل خلافة عمر، وتوفي سنة ٨٩٥. ذكر الجاحظ في سبب تقربه للأمويين، أن معاوية أراد أن يهجو الانصار لأن أكثرهم كانوا أصحاب علي بن أبي طالب، ولا يرون رأي معاوية في الخلافة. فطلب ابنه يزيد من كعب بن جعيل أن يهجوهم فأبى ذلك وقال: ولكنني أدلك على غلام من نصرائي كأن لسانه لسان ثور لا يبالي أن يهجوهم فدله على الأخطل، البیان والتبيين ج ٨٦/١.

وفي الأغاني ١٤٢/١٣ عن كعب بن جعيل، قال: إن يزيد بن معاوية قال له: إن ابن حسان قد فضح عبدالرحمن بن الحكم وفضحنا - كانت له قصة مع زوجة ابن الحكم - فأهج الانصار فقال له: أرادي أنت في الشرك؟ أهجو قوماً نصروا رسول الله وأوه؟ ولكنني أدلك على غلام من نصرائي... الحديث وفي رواية أخرى بعدها: أن معاوية دس إلى كعب وأمر بهجائهم فدله على الأخطل... فهجاهم وكان في شعره:

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عصائم الأنصار

وروي أن الأنصار استعدوا على الأخطل معاوية فقال: لكم لسانه إلا أن يكون ابني قد أجاره ودس

إلى يزيد من وقته: «إني قد قلت للقوم كيت وكيت فأجره...» الأغاني ١٤٧/١٣.

وفي ج ٢٩٩/٨ قالوا فيه: «نصرائي كافريهجو المسلمين وكان يجيء عليه جبة خزر وحز خزفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خراً حتى يدخل على عبدالملك بن مروان بغير إذن. وكذلك أنشد شعراً بباب مسجد الكوفة ج ٣٢١/٨.

وكان ينادم يزيد ويسكر معه ج ٦٨/١٦، وخرج مع يزيد عام حج به. الأغاني ج ٣٠١/٨.

(٣) راجع باب مع معاوية من كتاب «احاديث أم المؤمنين عائشة».

يمكث في المجتمع الإسلامي الناشئ إلا وقتاً قصيراً لا يكتفي ليتطبع فيه بالطبع الإسلامي الجديد عليه ويتمرن عليه ليستطيع أن يؤثر على ذلك المجتمع ذي الحضارة الرومية الذي امتدت حضارته إلى آماذ بعيدة في الدهر، بل هو الذي تأثر به. وكان معاوية يبعد من ذلك المجتمع من كان يعترض سبيله من صحابة تطبعوا بالطابع الإسلامي الأصيل نظراء أبي ذر وأبي الدرداء وقرءاء أهل الكوفة<sup>١</sup>. كل تلكم كانت عوامل أدت إلى صبغ مدرسة الخلفاء منذ عصر معاوية بطابع ثقافة أهل الكتاب، ولم تدرس تلك العوامل حتى اليوم دراسة موضوعية ليعرف مدى أثرها على تلكم المدرسة.

وكان معاوية بالإضافة إلى ما ذكرنا متطبعاً بالطابع الجاهلي ملتزماً بأعرافه من التعصب القبلي، وإحياء آثاره<sup>٢</sup>، وكانت له مع ذلك أهداف أخرى من قبيل توريث السلطة في عقبه، وكسر شوكة المعارضين له من المحافظين الذي يشهرون في وجهه سلاح سيرة الرسول، وكان لابتدائه في علاج كل ذلك الوصول إلى أغراضه الجاهلية وأهدافه الخاصة - أن يصنع شيئاً، فاستمد في هذا السبيل من بعض بقايا

(١) راجع أحاديث أم المؤمنين عائشة، فصل (مع معاوية) ص ٢٣٧، وشرح النهج للمتغزلي ط. مصر الأولى ١٥٩/١ - ١٦٠.

(٢) في الأغاني ط. دار الكتب ٢٤١/٢ - ٢٥١.

عند ما كان مروان والياً لمعاوية على المدينة، حذ عبد الرحمن بن أوطاة على شرب الخمر. وكان في الجاهلية حليف حرب جد معاوية، فكتب إليه معاوية أما بعد فإني جلدت حليف حرب أمام الناس ثمانين جلدة، ولو كان حليف أبيك الحكم لما فضحت. أما والله إنا إن نفد حذك وتعلن خطأك وترد أعتباره، أو أن أبطل حذك وأمره بجلدك ثمانين قصاصاً... ففعل مروان ما أمره معاوية، الحديث. ومن ذلك أيضاً إلحاقه زياداً بنسب أبيه وفقاً للأعراف الجاهلية، وخلافاً للأحكام الإسلامية، والتي تمنع عن أن الولد للفراش وللأب للحجر. راجع أحاديث أم المؤمنين عائشة وفصل استلحاق زياد من عبدالله ابن صبا ج ١.

وروى ابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ١٣/٣ أن معاوية دعا الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب فقال: «إني رأيت هذه الحمراء (لقب يطلق على غير العرب) قد كثرت، وأراها قد طعنن على السلف وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق...».

فخالفه الأحنف وردّ عليه وقال سمرة «اجعلها لي أيّما الأمير فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ إلى ما تريد منه» وأخيراً عدل معاوية عن رأيه في قتلهم.

الصحابه من كان في دينه رقة، وفي نفسه ضعف من أمثال عمرو بن العاص، وسمره ابن جندب<sup>١</sup>، وأبي هريرة. فاستجابوا له ووضعوا له من الحديث ما يساعده، ثم روه عن رسول الله (ص).

مثال ذلك ما رواه المدائني في كتاب الأحداث قال:

(كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن يرثت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته.

وكتب إليهم أن أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان وعبيده وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرمهم وكتبوا إليّ بكل ما يروى كل رجل منهم وأسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي؛ فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه. فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتونني بمناقض له في الصحابة؛ فإن هذا أحب إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها. وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير

(١) سمره بن جندب بن هلال الفزاري، قدمت به الله المدينة بعد موت أبيه، فتزوجها شيبان بن ثعلبة الأنصاري. وحالف سمره الأنصار قال رسول الله لبعض أصحابه وفيهم سمره: أتكرم موتاً في النار. فكان سمره آخرهم موتاً. مات سنة ٥٩ في البصرة. ترجمته بأسد الغابة والنبلاء، أخرج له جميع أصحاب الصحاح. وأخباره مع معاوية وما وضع له من حديث وعد من قتل في إمارته في كتاب: «أحاديث أم المؤمنين عائشة» ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

الواسع حتى روهو وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله).

(... فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى أنتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديتائين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان؛ فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما روهوا ولا تدينوا بها<sup>١</sup>.

وقد ستمى ابن أبي الحديد قوماً من الصحابة والتابعين ممن وضعهم معاوية لرواية الأخبار<sup>٢</sup>، وأخرجنا بعضها في كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) <sup>٣</sup>. وقد ستموا كل تلکم الاحاديث الموضوعة بسنة النبي والويل لمن أنكرها ولم يؤمن بها ولم يصدّقها<sup>٤</sup>.

### على عهد عمر بن عبد العزيز:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الأموي<sup>٥</sup> أمر برفع الحظر عن كتابة سنة الرسول (ص)، وكتب إلى أهل المدينة « أن أنظروا حديث رسول الله (ص) فأكتبوه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله » .

(١) ابن أبي الحديد في شرح «من كلام له (ع) وقد سأل سائل عن أحاديث البدع» رقم / ٢٠٣ ج ١٥/٣ - ١٦، وأحد أمين في فجر الإسلام ٢٧٥.

(٢) في شرح: ومن كلام له (ع) لأصحابه «أما أنه سيظهر عليكم بعدى رجل» ج ١/ ٣٥٨.

(٣) وفي كتاب أحاديث أم المؤمنين فصل نتائج البحث من باب مع معاوية ص ٢٩٥ - ٢٩٧.

(٤) روى الخطيب في ج ٧/١٤ من تاريخ بغداد، أنه ذكر عند الرشيد وعنده رجل من وجوه قرش حديث أبي هريرة «أن موسى لقي آدم فقال: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة». فقال القرشي: أين لقي آدم موسى قال: فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف زنديق والله يلعن في حديث رسول الله، فما زال الراوي - أبو معاوية - يسكنه ويقول: كانت منه بادرة ولم يفهم يا أمير المؤمنين، حتى سكته.

(٥) أبو حفص عمر بن عبد العزيز. ولي الخلافة سنة ٩٩ فرغ اللعن عن الإمام علي، وأرجع فدكا إلى ورثة الزهراء، وأمر بكتابة الحديث وله حسنات أخرى. توفي سنة ١٠١ هـ. راجع ترجمته بتاريخ الخلفاء للسيوطي، وتقريب



و كان ابن شهاب الزهري أول من دُون الحديث على رأس المائة بأمر عمر ابن عبد العزيز<sup>١</sup>.

غير أنه لم يتم الأمر لوفاة عمر بن عبد العزيز بالسَّـم عام (١٠١ هـ) ، وفُقد ما كان دُون في عصره . فقد روى ابن حجر في ترجمة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت ١١٧ هـ) ما موجه:

كتب إليه عمر بن عبد العزيز ، أن يكتب له العلم . وقال ابنه بعد وفاته : ضاعت تلك الكتب<sup>٢</sup>.

و كذلك لم يبق ما دون غيره من العلم ، حتى ولي أبو جعفر المنصور وحرص العلماء على التدوين ، قال الذهبي في ذكر حوادث سنة ١٤٣ : وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج التصانيف بمكة ؛ وصنف سعيد بن أبي عروبة ؛ وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ؛ وصنف الأوزاعي بالشام ؛ وصنف مالك الموطأ بالمدينة وصنف ابن اسحاق المغازي ؛ وصنف معمر باليمن ؛ وصنف أبو حنيفة وغيره الفقه والرأي بالكوفة ، وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع ؛ ثم بعد يسير صنف هشيم كتبه ؛ وصنف الليث بمصر وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب<sup>٣</sup> . وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وقبل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلمون

→  
١- التهذيب لابن حجر وفي شأن أمره بكتابة الحديث راجع مقدمة الدارمي ص ١٢٦ . وطبقات ابن سعد ط بيروت (٤٤٧/٧) ومصنف عبد الرزاق ط . الهند عام ١٩٧٠ (٣٣٧/٩) وأخبار اصبهان لأبي نعيم (٣١٢/١) وتدريب الراوي للسيوطي ص ٩٠ .

(١) فتح الباري (٢١٨/١) باب كتابة العلم .

(٢) راجع تهذيب التهذيب ٣٩/١٢ .

(٣) ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، سمع جمعاً من العلماء . يقال إنه أول من

عن حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. فسهل ولله

→

صنف الكتب وكان أحمد بن حنبل يقول: كان ابن حريج من أوعية العلم. توفي سنة ١٥١. تذكيرة خنط ١٦٠/١. وابن خلكان ٢٨٦/١. وتاريخ بغداد ٤٠٠/١٠. ودول الإسلام للذهبي ٧٩/١.

وحباد بن سلمة بن دينار البصري الربيعي بالولاء، أبو سلمة، مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث. وهو أول من صنف التصانيف المرضية. (ت: ١٦٧ هـ). تهذيب التهذيب ١١/٢. وميزان الاعتدال ٢٧٧/١. وحلية الأولياء ٢٣٩/٦. والأعلام للزركلي. والأوزاعي: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد كيرم إمام أهل الشام، ولم يكن بالشام علمه منه، وكان يسكن بيروت، وكانت وفاته ١٥٧. والأوزاعي نسبة إلى أوزاع بطن من همدان ينسب إليه 'أوزاعي' المذكور لا القرية الواقعة بدمشق خارج باب الفراديس. الفهرست لابن إسحاق النديم ٢٢٧/١. والوفيات ٢٧٥/١. وحلية الأولياء ١٣٥/٦. وتهذيب المسبب واللغات، القسم الأول من الجزء الأول ص ٢٩٨.

ومعمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي بالولاء، أبو عروة، فقيه، حافظ للحديث، من أهل البصرة. ولد واشتهر فيها وسكن اليمن. وهو عند مؤرخي رجال الحديث أول من صنف باليمن. (ت: ١٥٣ هـ).

تذكرة الحفاظ ١٧٨/١. وتهذيب التهذيب ٢٤٣/١٠. وميزان الاعتدال ١٨٨/٣. وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، وصفوه بأنه أمير المؤمنين في الحديث. ولد ونشأ بـ كوفة. له من الكتب: الجامع الكبير. (ت: ١٦١ هـ). تهذيب التهذيب ١١١/٤ - ١١٥. وأبن سعد ٢٥٧/٦. وأبن النديم ٢٢٥/١. ودول الإسلام ٨٤/١. وحلية الأولياء ٣٥٦/٦. وأبن خلكان ٢١٠/١. والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء. إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً.

كان كبير الديار المصرية ورئيسها. وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته. أصله من خراسان وفاته في القاهرة وله تصانيف. (ت: ١٧٥ هـ). تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١. وتهذيب التهذيب ٤٥٩/٨. ووفيات الأعيان ٤٢٨/١. وابن لهيعة: كسفيته، أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي المصري، كان كثير الرواية في الحديث والأخبار، تولى قضاء مصر بأمر المنصور الدوانيقي سنة ١٥٥ وصرف عن القضاء سنة ١٦٤ وحديثه مذكور في صحيح الترمذي وأبي داود وغيرهما، توفي بمصر سنة ١٧٤ هـ. ميزان الاعتدال ٦٤/٢. ووفيات الأعيان ٢٤٩/١.

←

الحمد تناول العلم وأخذ الحفظ يتناقص فلله الأمر كله<sup>١</sup>.  
 ونقل الخبر عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ .  
 وورد في موسوعة الفقه الاسلامي :  
 ولما حج المنصور سنة ١٤٣ رغب إلى مالك في تأليف ( الموطأ ) كما  
 رغب هو وولاته العلماء في التدوين .  
 وقد دون ابن جريج ، وابن عروبة ، وابن عيينة وغيرهم ، ودون سائر  
 فقهاء الأمصار وأصحابهم<sup>٢</sup> .

قال المؤلف :

ولا يناقض ما أوردناه هنا ما نقلوا عن وجود مدونات حديثة لبعضهم قبل  
 هذا العصر مثل ما قالوا : أنه كان للصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص  
 الصحيفة الصادقة ، وكذلك قالوا : كان للتابعي الزهري أحاديث مدونة . فإن  
 أمثال ذينك المدونتين بلغ أسماؤها إلى العلماء في عصر تدوين الحديث فحسب .  
 ثم تسابق المحدثون بمدرسة الخلفاء بعد ذلك - وعلى عهد المنصور العباسي - في  
 تدوين ما بقي في ذاكرتهم من سنة الرسول (ص) ، و دونوا معها كذلك ما روي عندهم



وابن المبارك : أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي العالم الزاهد العارف المحدث ، كان من  
 تابعي التابعين . وروي عن أبي اسامة ، قال : ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس .  
 تاريخ بغداد ١٥٢/١٠ . والكنى والألقاب ٤٠١/١ .

وعبدالله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء ، المصري أبو محمد ، فقيه من الأئمة ، من أصحاب  
 مالك . جمع بين الفقه والحديث . له كتب منها : الجامع .  
 تذكرة الحفاظ ٢٧٩/١ . وفيات الأعيان ٢٤٩/١ .

وسبق ذكر تراجم الآخرين .

(١) راجع تاريخ الإسلام للذهبي ٦/٦ .

(٢) إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة ط . سنة ١٣٨٦ هـ ٤٧/١ .

تأييداً لاجتهادات الخلفاء في مقابل سنّة الرسول (ص) - كما سندرسها في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى - ودوّنوا معها أيضاً أحياناً أحاديث إسرائيلية تما درسناها في الباحثين الحادي عشر والثاني عشر من سلسلة بحوث ( أثر الأئمة في إحياء السنّة ) ومارسوا في عصور التأليف - أيضاً - أنواعاً من الكتمان لسنة الرسول (ص) درسنا عشرة منها في بحث الوصيّة من الجزء الأوّل من هذا الكتاب . وسيأتي ذكر تقويمهم للموسوعات الحديثية بآخر الجزء الثالث ، إن شاء الله تعالى .

وقد وجدت الأحاديث المتناقضة بعد وضع الحديث على عهد معاوية تأييداً لسياسة الخلفاء ، كالآتي بيانه .

#### كيف وجد الحديثان المتناقضان

لعل من الأحاديث التي رويت على عهد معاوية وسُجّلت في عداد أحاديث الرسول (ص) وأعتبرت من سنّه، هي الأحاديث الآتية:

في صحيح مسلم وسنن الدارمي ومسند أحمد واللفظ للأوّل، أنّ رسول الله (ص) قال:

« لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه »<sup>١</sup> .

وفي رواية : « لأنهم آستأذنوا النبيّ (ص) في أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم »<sup>٢</sup> .

وفي مسند أحمد وسنن أبي داود عن زيد بن ثابت واللفظ للأوّل :

إنّ رسول الله (ص) نهى أن نكتب شيئاً من حديثه فمحاه<sup>٣</sup> .

وفي مسند أحمد، عن أبي هريرة قال: كتّاقعوداً نكتب ما نسمع من النبيّ (ص)

فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون؟

فقلنا: ما نسمع منك.

فقال: أكتب مع كتاب الله؟

(١) صحيح مسلم ٩٧/٤ - كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ح ٧٢ . وسنن الدارمي ١١٩/١ المقدمة باب ٤٢ ، ومسند أحمد ١٢/٣ و ٣٩ و ٥٦ .

(٢) سنن الدارمي المقدمة باب ١١٩/١

(٣) مسند أحمد ١٨٢/٥ ، وسنن أبي داود كتاب العلم ٣/٣١٩ .

فقلنا: ما نسمع.

فقال: اكتبوا كتاب الله، إحصوا كتاب الله. أكتبوا غير كتاب الله؟ إحصوا كتاب الله.

فقال: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد، ثم أحرقناه بالنار<sup>١</sup>

إن صحت هذه الأحاديث فما على المسلمين إلا أن يجمعوا جميع مصادر الدراسات الإسلامية والتي حوت أحاديث الرسول، أو كان فيها شيء من حديثه مثل الصحاح والسنن والمسانيد والسير والتفاسير ويحرقوها أو يلقيوها في البحر!!! وبناءً على ذلك لست أدري ماذا يبقى من شرائع الإسلام إذا ألقينا بجميع مصادر سنة الرسول في البحر؟ لا. لم يتفوه رسول الله (ص) بتلك الأحاديث، وإنما قال في خطبته بمنى في حجة الوداع:

«نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه» الحديث<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر «فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى قال رسول الله: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فآذاه كما يسمع، فرب مبلغ أوعى من سامع»<sup>٤</sup>. وفي أخرى قال النبي (ص):  
لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ.<sup>٥</sup>  
وقال (ص):

«اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خُلَفَائِي! اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خُلَفَائِي! اللَّهُمَّ أَرْحَمْ خُلَفَائِي! قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي يَرْوُونَ حَدِيثِي وَسُنَّتِي»<sup>٦</sup>.

(١) مسند أحمد ١٢/٣ - ١٣.

(٢) (٤، ٣، ٢) راجع مصادرهما فيما سبق باب تعريف مصطلح الفقه، وبدائع المنج ج ١٤/١.

(٥) صحيح البخاري ج ١/٢٤، ط بولاق، كتاب العلم باب قول النبي: رُبُّ مَبْلُغٌ...، وفي كنز العمال ط / ١٠٢ / ١٣٣، ح ١١٢٦، سنن ابن ماجه ج ١/ ٨٥، ح ٢٣٣، بحار الأنوار ج ٢/ ١٥٢، ح ٤٢.

(٦) في مصادر مدرسة أهل البيت معاني الأخبار ص ٣٧٤ - ٣٧٥، عيون الأخبار، ط. النجف الأشرف ٣٦/٢، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر غفاري ٤/ ٢٠، بحار الأنوار ٢/ ١٤٥، ح ٧.

وفي باب كتابة العلم من البخاري: ان رجلا من أهل اليمن سمع حديث رسول الله فقال: أكتب لي يا رسول الله فقال: أكتبوا لأبي فلان<sup>١</sup>.  
وروي أن رجلا من الأنصار كان يجلس إلى النبي فيسمع من الحديث فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك إلى النبي (ص) فقال له رسول الله (ص): «استعن بيمينك» وأوماً بيده أي خط<sup>٢</sup>.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قلت: يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال: «نعم» قلت: في الرضا والغضب؟ قال: (نعم فأني لا أقول في ذلك كله إلّا حقاً)<sup>٣</sup>.

وفي رواية إني أسمع منك أشياء فأكتبها؟ قال: نعم<sup>٤</sup>.  
وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) أريد حفظه فنهني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشرتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما نخرج منه إلّا حقاً<sup>٥</sup>.

وفي رواية أخرى بعد هذا: أنه أتى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله (ص) إني أروي من حديثك فأردت أن أستعين بكتاب يدي مع قلبي إن رأيت ذلك، فقال

وفي مصادر مدرسة الخلفاء: المحدث الفاضل للرامهرمزي، باب فضل الناقل عن رسول الله ص ١٦٣، وقواعد التحديث للقاسمي، باب فضل راوي الحديث ط ٢ ص ٤٨، شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، باب كون أصحاب الحديث خلفاء الرسول ص ٣٠، جامع بيان العلم لابن عبد البر ج ١/٥٥، أخبار أصبهان لأبي نعيم ج ١/٨١، الفتح الكبير للسيوطي، عن أبي سعيد ج ١/٢٣٣، كنز العمال للمتقي، كتاب العلم باب آداب العلم، فصل رواية الحديث وآداب الكتابة، عن علي (ع) وابن عباس ط ٢ ج ١٠/١٢٨ و ١٣٣ ح ١٠٨٦ و ١١٢٧ و ج ١٠/١٨١، ح ١٤٠٧، والامناع للقاضي عياض، باب شرف علم الحديث و شرف اهله، ص ١١.

(١) صحيح البخاري ج ١/٢٢ وأبو فلان هو أبوشاة كما في الترمذي ج ١٠/١٣٥.

(٢) سنن الترمذي كتاب العلم باب: ما جاء في الرخصة فيه ج ١٠/١٣٤.

(٣) مسند أحمد ج ٢/٢٠٧، و ٢١٥.

(٤) ذكرنا مصادر في أوائل باب موقف المدرسين من نشر حديث الرسول في القرن الأول.

رسول الله (ص): «إن كان حديثي ثم آستعن بيدك مع قلبك»<sup>١</sup>.  
عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال:  
قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها، أفلا نكتبها؟ قال: بلى،  
فأكتبوها<sup>٢</sup>.

\* \* \*

إذاً، كان الرسول (ص) قد أمر وحثَّ على تدوين أحاديثه ونشرها كما قرأناها  
في الأحاديث الصحيحة الأخيرة، إذاً فكيف رويت عنه الأحاديث السابقة التي كانت  
تقول: إن الرسول نهي عن كتابة حديثه!  
الجواب: أنا رأينا أن قريشاً أي المهاجرين من الأصحاب كانت تمنع من  
كتابة حديث رسول الله في حياته، وأنها هي التي منعت من كتابة وصية الرسول قبيل  
وفاته، وبعد وفاته — أيضاً — رأينا الخليفة القرشي الثاني يمنع بشدة عن كتابة حديث  
الرسول، ويحرق ما كتب منها، ويمنع من نشر حديث الرسول، ويسجن في المدينة من  
خالف من الصحابة. وعلى نهجه سار الخليفة القرشي الثالث عثمان، وكان من  
الطبيعي أن يسير في ركاب السلطة جمع من الصحابة.

ورأينا في الجانب الآخر في الصحابة من يخالف هذا الاتجاه، وينشر أحاديث  
الرسول ويناله الإرهاق والشدة مثل الصحابي أبي ذر. وسيأتي في البحوث الآتية بهذا  
الكتاب- إن شاء الله تعالى - أن الإمام علياً (ع) كان مشجعاً لهذا الاتجاه، وكان من  
الطبيعي تشجيعه لنشر حديث الرسول على عهد خلافته، ولما آستشهد في محرابه وولي  
معاوية الحكم لم يكن من الهين على معاوية بعد ذلك أن يمنع كتابة حديث الرسول ما  
لا يريد نشره، وكان لا بدَّ له من مؤيد على هذا الاتجاه، فرويت أحاديث «منع الرسول  
من كتابة الحديث» في هذا العصر، وأنتج كل ذلك أن نجد في أحاديث الرسول هذا  
التناقض:

أحاديث تروى عن رسول الله أنه قال: «أكتبوا حديثي».

(١) سنن الدارمي المقدمة، باب رخص في كتابة العلم/١٢٥-١٢٦.

(٢) مسند أحمد ٢/٢٦٥.

وأحاديث تروى أنه قال: «لا تكتبوا حديثي».

وهكذا وجدت الأحاديث المتناقضة في الأحاديث المروية عن رسول الله (ص). وعلى هذا، متى ما وجدنا الأحاديث متعارضة، ينبغي أن نترك ما يوافق اتجاه السلطة الحاكمة مدى العصور.

ولا يفوتنا أخيراً أن نقول: إن المنع كان بقصد منع نشر فضائل الإمام عليّ (ع) على المسلمين، خاصة على عهد معاوية الذي كان يأمر بلعن الإمام في خطب الجمعة على منابر المسلمين، كما مرّ بنا في الجزء الأول، فصل: كتمان فضائل الإمام عليّ، ونشر سبّه ولعنه.



أشرنا في ماسبق إلى جانب مما اقتضته سياسة الحكم لدى معاوية، وهو صرف الناس عن مدرسة أهل البيت وتوجيههم نحو مدرسة الخلفاء، وأضاف إلى ذلك أن معاوية كان بحاجة إلى تغيير رؤية المسلمين لإمامهم أكثر فأكثر. فإن رؤية المسلمين للحاكم الإسلامي الأول رسول الله (ص)، وأنه مثال للكمال الإنساني، وأنه لا تصدر منه المعاصي، ولا ينساق وراء هوى نفسه.

هذه الرؤية كانت تمنع غير المنحرفين من أفراد الأمة من الانسياق وراء معاوية، ومن قبول يزيد (المخمور المعلن بالفسق) لولاية العهد، ومن هنا كان معاوية بحاجة إلى تغيير رؤية المسلمين إلى مثلهم الأعلى رسول الله (ص)، ولهذا ظهرت أحاديث تُري رسول الله (ص) في مستوى يزيد ومعاوية في الانجراف وراء هوى نفسه، وقد رويت تلك الأحاديث عن بعض أمهات المؤمنين وبعض صحابة رسول الله (ص)<sup>١</sup>.

وكان — أيضاً — في الأحاديث الإسرائيلية عن الأنبياء السابقين والتي كان ينشرها علماء أهل الكتاب بين المسلمين إسناداً وتأيداً لما تتطلبه سياسة معاوية في

(١) راجع بحث منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص) من (بحوث تمهيدية) في الجزء الأول من هذا الكتاب، ل ترى كيف رسمت مدرسة الخلفاء صورة خاتم الأنبياء فإنا نرى أنها وضعت في عصر معاوية والحسابه.



هذا الجانب، وزاد في الطين بلةً المنع من كتابة حديث الرسول والاعتماد على ذاكرة الرواة في ما يحدثون. ولهذا آتخلط الحابل بالنابل، وامتزجت الإسرائيليات بالمروى من أحاديث الرسول.

وهكذا تشكل الفكر الإسلامي في مدرسة الخلفاء بطابعه الخاص به على عهد معاوية وكما أراد معاوية، وأصبح هذا الفكر الخاص بمدرسة الخلفاء هو الإسلام الرسمي منذ عهد معاوية، وأصبح ما يخالفه مرفوضاً ومنبوذاً. وبقي الإسلام الرسمي أو الفكر الإسلامي الذي رسمه معاوية كما أراد على ذلك الشكل والمحتوى حتى اليوم بعد أن وضع استشهاد الحسين سبط رسول الله وأهل بيته حداً للانحراف بعد معاوية، وكشف عن واقع الخليفة يزيد، وجرّد مقام الخلافة من هالة القداسة التي كانت تتبرقع بها، فأصبحت السلطة في جانب، والتمثيل الديني في جانب آخر.



كان هذا موقف مدرسة الخلفاء من حديث الرسول (ص) وسندرس موقف مدرسة أهل البيت من حديث الرسول بعد الانتهاء من بحث موقف المدرستين من الفقه والاجتهاد في ما يأتي من أبواب هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - .

عود على بدء

كان استمرار النهي عن نشر سنة الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء عن كتابتها؛ إلى أول القرن الثاني الهجري؛ من أهم الأسباب التي أدت بهم إلى فتح باب الاجتهاد في الأحكام، والعمل فيها بأراء المجتهدين، وأحياناً في مقابل سنة الرسول (ص) كما سندرسه في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.



## الفصل الثالث

### موقف المدرستين من الفقه والاجتهاد

- ١ - تطور مدلول الاجتهاد بمدرسة الخلفاء
- ٢ - تسمية الاجتهاد
- ٣ - مجتهدو مدرسة الخلفاء في القرن الأول و موارد آجتهداهم  
المجتهدون من الخلفاء والصحابه والتابعين
- ٤ - شرح موارد آجتهداه المذكورين
  - أ - موارد آجتهداه الرسول (ص)
  - ب - موارد آجتهداه الخليفتين أبي بكر وعمر
- ٥ - إجتهداه الخليفتين أبي بكر وعمر في الخمس خاصه
- ٦ - إجتهداه الخليفة عمر في المتعتين خاصه
- ٧ - الاجتهاد في القرن الثاني فما بعد  
حقيقته، تطوره، أدلة صحه العمل به



إنَّ الفقه و الاجتهاد قد آختلط أحدهما بالآخر في المجتمع الإسلامي و أمتزجا أخيراً ولا يتيسر الفصل بينهما، دونما دراسة مستفيضة. و سنبدأ بدراسة الاجتهاد في مدرسة الخلفاء، ثم نشير إلى موقف مدرسة أهل البيت من الفقه و الاجتهاد في آخر الباب، إن شاء الله تعالى.

## - ١ -

### تطور مدلول الاجتهاد بمدرسة الخلفاء

إن مصطلح الاجتهاد والمجتهد متأخر عن عصر الصحابة والتابعين بدهر، إذ كان الصحابة والتابعون يسمّون تغيير الأحكام من قبلهم بالتأويل مثل ما ورد في خبر قتل خالد بن الوليد عامل رسول الله مالك بن نويرة، فإنَّ خالداً أعترض عن فعله وقال للخليفة أبي بكر: «يا خليفة رسول الله! إني تأوّل وأصبت وأخطأت». وقال أبو بكر في جواب عمر حين قال: إنَّ خالداً زنى فأرجه: «ما كنت أرجه فإنه تأوّل فأخطأ»<sup>١</sup>.

ومثل ما ورد في رواية الزهري عن عروة عن عائشة: «إنَّ الصلاة أوّل ما فرضت ركعتين فأقرّت الصلاة في السفر وأتمت صلاة الحضر». قال الزهري: فقلت لعروة: ما بال عائشة تتمّ في السفر؟ قال: إنها تأوّلت كما تأوّل عثمان<sup>٢</sup>.

(١) راجع موارد إجتهد أبي بكر في ما يأتي.

(٢) صحيح مسلم باب صلاة المسافرين وقصرها ج ٣، والبخاري ١/١٣٤ باب تقصير الصلاة وقد حذف

«في السفر» من لفظ الحديث حفظاً لكرامة أم المؤمنين.

وقال أبن حزم في الفصل: وعَمَّار (رض) قتله أبو الغادية. شهد — أي عَمَّار — بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه، ورضي عنه، فأبو الغادية متأول مجتهد مخطئ باغ عليه مأجور أجراً واحداً وليس هذا كقتلة عثمان (رض) لأنهم لا مجال لهم للاجتهاد في قتله<sup>١</sup>.

وقال أبن حجر في ترجمة أبي الغادية: والظنُّ بالصحابة في كُلِّ تلك الحروب، أنهم كانوا فيها متأولين وللمجتهد المخطئ أجر. وإذا ثبت هذا في حقِّ آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى<sup>٢</sup>.

وقال أبن حزم في المحلى، وأبن الترمذاني في الجوهر النقي: ولا خلاف بين أحد من الأمة في أنَّ عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليّاً إلّا متأولاً مجتهداً مقدراً أنه على صواب. وفي ذلك يقول عمران بن حطان:

يا ضربةً من بقي ما أراد بها      إلّا ليلبغ من ذي العرش رضوانا  
إنّي لأذكره يوماً فأحسبه      أوفى البرّة عند الله ميزاناً<sup>٣</sup>

وقال الشيخ عبد اللطيف في هامش الصواعق: وجميع الصحابة ممتن كان على عهد عليٍّ إمّا مقاتل معه أو عليه أو معتزل عن المعسكرين متأول لا يخرج بما وقع عنه عن العدالة<sup>٤</sup>.

وقال أبن كثير في حقِّ يزيد: وحلوا ما صدر منه من سوء التصرفات على أنه تأول فأخطأ وقالوا: إنه مع ذلك كان إماماً فاسقاً لا يعزل ... ولا يجوز الخروج عليه، وأمّا ما ذكر أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرّة، فرح بذلك فرحاً شديداً، فإنه يرى أنه إمام وقد خرجوا عن طاعته، وأمرؤا عليهم غيره، فله قتالهم حتّى يرجعوا إلى الطاعة، ولزوم الجماعة<sup>٥</sup>.

في الخبر الأول سُمي كلٌّ من الصحابي: خالد بن الوليد والحليفة الصحابي أوبكر: قتل مالك ونكاح زوجته بالتأول.

(١) الفصل ٤/١٦١.

(٢) الإصابة ٤/١٥١.

(٣) المحلى لابن حزم ١٠/٤٨٤، والجوهر النقي لابن الترمذاني الحنفي (ت ٢٧٥٠ هـ) بذيّل سنن البيهقي ٨/٨٠٨.

(٤) بهامش الصواعق ص ٢٠٩.

(٥) تاريخ أبن كثير ٨/٢٣٣ وأوردتها باختصار.

وفي الخبر الثاني سمي التابعي عروة بن الزبير إتمام عائشة الصلاة في السفر خلافاً لما ترويه، تأولاً، مثل فعل عثمان.  
وبعد ذلك بدهر نجد ابن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ يصف أبا الغادية في قتله عمار ابن ياسر متأولاً مجتهداً مأجوراً أجراً واحداً.  
ونجد هو وابن التركماني الحنفي المتوفى (٥٧٠ هـ) يصفان ابن ملجم في قتله الإمام علياً متأولاً مجتهداً.  
ونجد ابن حجر المتوفى (٨٥٢ هـ) يصف الصحابة في كل تلك الحروب متأولين وللمجتهد المخطئ أجراً.

\* \* \*

هكذا سمي العمل بالرأي أولاً بالتأويل، وأخيراً بالاجتهاد، ثم أتبع علماء مدرسة الخلفاء الصحابة والخلفاء في ذلك وفتحوا لأنفسهم باب هذا الاجتهاد أي العمل بالرأي - غير أنهم اكتشفوا للعمل بالرأي قواعد، ووضعوا له أساء، وعقدوا له أبواباً في علم الأصول، وسموا أيضاً رجوعهم إلى تلك القواعد التي وضعوها، واستخراجهم الأحكام بموجبها «الاجتهاد»، وسموا من يقوم بذلك «المجتهد». بينما المصطلح الشرعي لعلم الدين هو «الفقه» ولعالمه «الفقيه»، وعلى هذا فينبغي البحث في ما يأتي في ثلاثة أمور:

١- التسمية.

٢- المجتهدون في القرن الأول وموارد آجتهدهم

٣- الاجتهاد في القرن الثاني فما بعده واستنباط الأحكام من عمل الصحابة.

## - ٢ -

### تسمية الاجتهاد

#### التأويل لغة وشرعاً

قال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب (ت ٢٩١ هـ): «التأويل، والمعنى، والتفسير، بمعنى»<sup>١</sup>.

وقال الجوهرى (ت ٣٩٦ هـ): «التأويل، تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد أولته، وتأولته تأولاً، بمعنى»<sup>٢</sup>.

وقال الراغب (ت ٥٠٢ هـ): «التأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل، ومنه المؤئل للموضع الذي يرجع إليه، ومعنى التأويل في اللغة، رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، وقد ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى في:

١- ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ آل عمران / ٧.

٢- ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ الأعراف / ٥٣ أي بيانه الذي هو غايته<sup>٣</sup>.

وأستعمل التأويل في الكتاب والسنة في تعبير الرؤيا، كما ورد في قصّة يوسف

(١) مادة «أول» في لسان العرب.

(٢) مادة «أول» في الصحاح.

(٣) مادة «أول» في مفردات الراغب. وقد أوجزت ما نقلت عنه، وراجع البخاري، كتاب الأذان، باب

١٣٩ وتفسير سورة ١١٠، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة ٢١٧، وسنن أبْنِ ماجه، كتاب الإقامة، باب ٢٠.



﴿نبشنا بتأويله﴾ يوسف / ٣٦ وفي تعبير الرسول (ص) في غزوة أحد : « فأولت أن الدرع المدينة »<sup>١</sup>.

كان هذا معنى التأويل في اللغة وتلك أمثلة من موارد آستعماله، وآستعار الصحابة والتابعون لفظ التأويل وأرادوا به تغيير الأحكام، ومن ثم أصبح للتأويل في عرف مدرسة الخلفاء معنى جديد.

قال ابن الأثير: التأويل من آل الشيء يؤول إلى كذا، أي رجع وصار إليه، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ<sup>٢</sup>.

هكذا غيروا مدلول اللفظ، وانتشر هذا التغيير في كتب الحديث، فقد قال البخاري في كتاب الأدب من صحيحه: «باب من أكفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال». و«باب من لم ير كفر من قال ذلك متأولاً وجاهلاً»<sup>٣</sup>.

وفي شرح «باب ما جاء في المتأولين» من فتح الباري: والحاصل أن من أكفر المسلم نظر، فإن كان غير تأويل، استحقّ الذم، وربما كان هو الكافر، وإن كان بتأويل نظر، إن كان غير سائق استحقّ الذم ولا يصل إلى الكفر بل يبين له وجه خطئه ويزجر بما يليق به، ولا يلتحق بالأول عند الجمهور وإن كان — تكفيره — بتأويل سائق لم يستحقّ الذم، بل تقام عليه الحجة حتى يرجع إلى الصواب.

قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله، ليس بآثم إذا كان تأويله سائقاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم<sup>٤</sup>.

هكذا طوّروا مدلول التأويل، وأخيراً ستموا موارد التأويل في عرفهم بالاجتهاد. وسندرس في ما يأتي المجتهدين في العصر الأول وموارد آجتهادهم.

(١) سنن الدارمي ١٢٩/٢، وراجع في موطأ مالك كتاب اللبس باب ما جاء في الانتعال ح ١٦، والدارمي كتاب الرؤيا الباب ١٣.

(٢) نهاية اللغة مادة «أول».

(٣) صحيح البخاري بمتن فتح الباري ١٢٩/١٣ — ٣٠.

(٤) فتح الباري (١٥ / ٣٣٣) لست أدري ماذا يقولون في تكفير الخوارج عامة المسلمين، بل إنهم لا يعذرونهم ويستونهم المارقين عن الإسلام، عدا آبن ملجم قاتل أمير المؤمنين فهو متأول معذور!!!

### - ٣ -

## مجتهد ومدرسة الخلفاء في القرن الأول وموارد آجتهادهم

أ - خاتم الأنبياء وسيد الرسل (ص)

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في مقام الاعتذار عن تخلف الخليفين أبي بكر وعمر عن جيش أسامة: «إنه - أي الرسول (ع) - كان يبعث السرايا عن آجتهاده لاعتن وحى بحرم مخالفته»<sup>١</sup>. ثم أطل الحديث عن آجتهاده الرسول في هذه القضية. ويأتي في باب آجتهاده الخليفة عمر مورد آخر مما وصفوا فيه حكم الرسول بالآجتهاده. كما نعرض أدلتهم على آجتهاده الرسول بشيء من التفصيل مع بيان رأينا حولها في ما يأتي من هذه البحوث - إن شاء الله تعالى -، لهذا كله صدرنا أسماء المجتهدين عندهم بأسم النبي الأكرم (ص)، خلافاً لما عليه المذهب الإمامي الذي ينفي الآجتهاده عنه بتاتاً.

ب - الخليفة الأول أبو بكر (رض)

أجاب القوشجي في شرح التجريد على اعتراض الطوسي على الخليفة أبي بكر من أنه «أحرق الفجاءة السلمي، ولم يعرف الكلالة، وميراث الجلة». قال: «إحراقه الفجاءة بالتار من غلطة في آجتهاده فكم مثله للمجتهدين، وأما مسألة الكلالة والجلة فليس بدعاً من المجتهدين إذ يبحثون عن مدارك الأحكام

(١) في شرح «ومن كتاب له إلى أهل مصر مع مالك» من شرح نهج البلاغة ج ٤/ ١٧٨ ط. مصطفى البابي  
بمصر سنة ١٣٢٩ هـ تأليف عز الدين عبد الحميد بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي الأديب المؤرخ (٥٨٦ - ٦٥٥ هـ) ببغداد.

ويسألون من أحاط بها...»<sup>١</sup>.  
وقال في جواب اعتراضه على أبي بكر بأنه لم يحذ خالداً ولا اقتص منه: «نزوج امرأته في دار الحرب لأنه من مسائل المجتهدين». قال: «وإنكار عمر عليه لا يدل على قدحه في إمامة أبي بكر ولا على قصده إلى القدح فيها، بل أنكر عليه كما ينكر بعض المجتهدين على بعض»<sup>٢</sup>.

ج - الصحابي المجتهد خالد بن الوليد  
قال ابن كثير: «وآسَمَر أبو بكر بخالد على الإمرة وإن كان قد آجَته في قتل مالك بن نويرة وأخطأ»<sup>٣</sup>.

د - الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض)  
نقل ابن أبي الحديد في الخامس مما أنتقد عليه: «إنه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز حتى إنه كان يعطي عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم كل سنة ومنع أهل البيت خمسهم...».  
وذكر في الجواب عن هذا: «إن بيت المال إنما يراد لوضع الأموال في حقوقها ثم وإلى المتولي للأمر الاجتهاد في الكثرة والقلّة فأما أمر الخمس فن باب الاجتهاد...».

وقال: «فلم يخرج عمر بما حكم عن طريقة الاجتهاد ومن قدح في ذلك فإنما يقدح في الاجتهاد الذي هو طريقة الصحابة»<sup>٤</sup>.

(١) قاله الخواجة نصير الدين محمد بن محمد بن الطوسي الجهرودي (ت ٦٧٢ هـ) في كتابه تجريد الكلام في شرح عقايد الإسلام، راجع الدرية ٣/٣٥١.

وشرح التجريد لعلاء الدين علي بن محمد ملقب أبوه بالقوشجي لأنه كان حافظ البازي للملك ماوراء النهر. شارك علاء الدين في بناء مرصد سمرقند، و سافر إلى تبريز ومنها إلى القسطنطينية للإصلاح بين سلطانها العثماني و سلطان تبريز حسن الطويل فأكرمه السلطان العثماني محمد وولاه على مدرسة آيا صوفيا وتوفي بها سنة ٨٩٧ هـ. راجع ترجمته بهدية العارفين ١/٧٣٦، والكنى والألقاب ٣/٧٧.

(٢) هذه أقوال القوشجي في شرح التجريد ط. تبريز عام ١٣٠١ هـ ص ٤٠٧ وقد تكرر هذا الرقم في هذه الطبعة، وراجع شرح النهج ٤/١٨٣ في الطمن السادس.

(٣) ابن كثير في تاريخه ٦/٣٢٣.

(٤) شرح النهج ج ٢/١٥٣ في ذيل شرح «ومن كلام له (ع) لله بلاد فلان» وقال أيضاً في ج ٣/١٨٠ في جواب هذا النقد: «أدى إليه اجتهاده».

ونقل عن ابن الجوزي أنه قال في الخمس: «إنها مسألة اجتهدية»<sup>١</sup>.  
ونقل في السابع مما أنتقد عليه قولهم: «أنه كان يتلون في الأحكام حتى روي  
أنه قضى في الجدة بسبعين، وروى بمائة قضية وأنه كان يفضل في العطاء وقد سوى الله  
تعالى بين الجميع وأنه قال في الأحكام من جهة الرأي و[الحدس]<sup>٢</sup> والظن».  
وذكر في الجواب أنهم قالوا: «مسائل الاجتهاد يسوغ فيها الاختلاف والرجوع  
عن رأي إلى رأي بحسب الأمارات وغالب الظن».  
وقال: «إنما الكلام في أصل القياس والاجتهاد فإذا ثبت خرج ذلك أن  
يكون طعناً»<sup>٣</sup>.

وقال القوشجي في جواب نقد الطوسي عليه: «أنه أعطى أزواج النبي،  
وأفرض، ومنع فاطمة وأهل البيت من خمسهم، وقضى في الجدة بمائة قضية وفصل في  
القسمة والعطاء ولم يكن ذلك في زمن النبي».  
قال القوشجي: «وأجيب عن الوجوه الأربعة بأن ذلك ليس مما يوجب قدحاً  
فيه فإنه من مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية»<sup>٤</sup>.  
يقصد أن مخالفة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لرسول الله (ص) في هذه  
الأحكام هي من باب مخالفة مجتهد وهو عمر، لمجتهد وهو رسول الله، ولا قدح فيه  
عليه!!!<sup>٥</sup>

#### هـ — الخليفة الثالث عثمان بن عفان

قال القوشجي في جواب ما أنتقد عليه من إسقاطه القود عن عبيد الله بن عمر:  
«إنه اجتهد ورأى أنه لا يلزمه حكم هذا القتل، لأنه وقع قبل عقد الإمامة له»<sup>٦</sup>.  
وأجاب ابن تيمية عنه بأنها «مسألة اجتهدية»<sup>٧</sup>.

(١) المصدر السابق ص ١٥٤.

(٢) في الأصل (الحدث) وهو تصحيف.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٥.

(٤) شرح التجريد ص ٤٠٨.

(٥) يا ناعي الإسلام قم فانه!

(٦) شرح التجريد ص ٤٠٩، وراجع شرح التبيح ج ١/٢٤٣.

(٧) في منهاج السنة ج ٣/٢٠٣ تأليف أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية  
الحنبلي دمشقي مؤسس المدرسة السلفية. أفتى علماء عصره بفساد عقيدته فحبسه الوالي حتى توفي بسجن  
دمشق (٦٦٢-٨٧٢ هـ). ترجمته في تاريخ ابن كثير ١٤/١٣٥.

ونقل المعتزلي في جوابهم على ما أنتقد من ردّ الحكم أنهم قالوا: «إنّ الرسول لولم يأذن في رده لجاز أن يردّه إذا أداه آجتهاده إلى ذلك لأنّ الأحوال تتغير»<sup>١</sup>. وقال ابن تيمية - أيضاً - : «هو أمر آجتهادي».

وقال في جواب ما أنتقد عليه ممّا وقع بينه وبين آبن مسعود: «إذا كان كل واحد منها مجتهداً في ما قاله أثابه الله على حسناته وغفر له سيئاته».

وقال: «قد يكون الإمام مجتهداً في العقوبة مثاباً عليها وأولئك مجتهدون في ما فعلوه لا ياثمون به، بل يثابون عليه لاجتهادهم مثل شهادة أبي بكر على المغيرة، فإنّ أبا بكر رجل صالح من خيار المسلمين قد كان محتسباً في شهادته معتقداً أنّه يثاب على ذلك»<sup>٢</sup>. فلا يمتنع أن يكون ماجرى من عثمان في تأديب ابن مسعود وعمار من هذا الباب. وإذا كان المقتتلون قد يكون كلّ منهم مجتهداً مغفوراً له خطؤه<sup>٣</sup>، فاختصمون أولى بذلك»<sup>٤</sup>.

وأجاب عما أورد عليه في زيادة الأذان الثالث يوم الجمعة، أنّها من مسائل الاجتهاد<sup>٥</sup>.

وقال ابن حجر الهيتمي في صواعقه: «وأما آبن مسعود، فكان ينقم على عثمان كثيراً فظهرت المصلحة في عزله»<sup>٦</sup>. على أنّ المجتهد لا يعترض عليه في أموره الاجتهادية، لكن أولئك الملاعين المعارضين لا فهم لهم بل ولا عقل»<sup>٧</sup>.

وقال: «إنّ حبسه لعطاء ابن مسعود وهجره له فلما بلغه عنه ممّا يوجب ذلك لاسيّما وكلّ منها مجتهد فلا يعترض بما فعله أحدهما مع الآخر»<sup>٨</sup>.

(١) بشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١/٢٣٣.

(٢) لست أدري ما ذا يقول في المغيرة وفي ما شهد الشهود الأربعة عليه بأله جلس بين رجلين أم جميل، وهل يراه مجتهداً مثاباً على فعله لأنّه من صحابة رسول الله (ص)؟!؟

(٣) حتّى في ما إذا كان آجتهاده مخالفاً لنصوص الكتاب والسنة؟

(٤) منهاج السنة ج ٣/١٩٣، وكلّ ما أورد آبن تيمية هنا من أمثلة آجتهاد الصحابة دفاعاً عن عثمان، هي من قبيل المصادرة بالمللوب.

(٥) المصدر السابق ج ٣/٢٠٤.

(٦) مصلحة من مصلحة ابن مسعود أم المسلمين أم بني أمية؟

(٧) الصناعات المحرقة لابن حجر شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر المصري الهيتمي الأنصاري

٩٠٩-٩٧٤هـ، ط. تصحيح الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة القاهرة بمصر سنة ١٣٧٥ هـ، ص ١١١.

(٨) المصدر السابق ص: ١١٢.

وأجاب على ما أعترض عليه من إتمامه الصلاة بمنى عند ما حج بالناس: «أن هذه، مسألة آجتهادية فالاعتراض بها جهل وقبح وغباء ظاهرة إذ أكثر العلماء على أن القصر جائز لا واجب»<sup>١</sup>.

### و- المجتهد أم المؤمن عاتشة (رض)

قال ابن تيمية في جوابه على اعتراض العلامة عليها: «وأما قوله وخالف أمر الله في قوله تعالى «وَقِزْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»، فهي رضي الله عنها لم تتبرج بتبرج الجاهلية الأولى والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة...» «وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً لعائشة، أعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في هذا».

«والمجتهد المخطئ مغفور له خطؤه».

«فالمغفرة لعائشة لكونها لم تفر في بيتها إذ كانت مجتهدة أولى».

«وبهذا يجاب عن خروج عائشة - رضي الله عنها - وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة»<sup>٢</sup>.

وقال القرطبي في الاعتذار عنها «مجتهدة، مصيبة، مثابة في ما تأولت، مأجورة في ما فعلت، إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب»<sup>٣</sup>.

ز- الفقيه المجتهد الذي لا يبارى والخبر الذي لا يجارى معاوية بن أبي سفيان

### ح- وزيره عمرو بن العاص

قال ابن حزم في فصله ما موجهه: «أن معاوية ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً»<sup>٤</sup>.

(١) المصدر السابق ص ١١٣.

(٢) العلامة أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٧- ٧٢٦ هـ) من مؤلفاته منهاج الكرامة وهو الذي رد عليه ابن تيمية وسماه منهاج السنة ورجعنا في بحثنا هذا إلى ط. الأميرية بمصر عام ١٣٢٢ هـ.

(٣) منهاج السنة لابن تيمية ج ٣/ ١٩٠.

(٤) تفسير القرطبي ج ١٤/ ١٨٢ يتفسير الآية «ولا تَبَرَّجْنَ».

(٥) هكذا وصفه ابن حجر الهيتمي في تطهير لسانه ص ٢٢.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل تصنيف أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت/ ٤٥٦ هـ)

ط، مصر أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي سنة ١٣٢١ هـ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني راجع الفصل ١٦١/٤.

وقال: «معاوية رحمه الله مخطئ ما جور مرة لأنه مجتهد»<sup>١</sup>.  
وذكر مرة أخرى معاوية وعمرو بن العاص وقال: «إنما آجتهوا في مسائل دماء  
كالتي آجته فيها المفتون، وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه فأتي فرق بين  
هذه الاجتهادات وآجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير  
علم»<sup>٢</sup>.

واعتذر ابن تيمية - أيضاً - لمعاوية في ما فعل بأنه مجتهد وقال: «إنه كعلي بن  
أبي طالب في ذلك»<sup>٣</sup>.

وقال ابن كثير: «معاوية مجتهد ما جور إن شاء الله»<sup>٤</sup>.  
وقال بعد إيراده قصة التحكيم بين عمرو وأبي موسى: «فأق - أي أقر عمرو بن  
العاص - معاوية لما رأى ذلك من المصلحة، والاجتهاد يخطئ ويصيب»<sup>٥</sup>.  
قال ابن حجر الهيتمي في صواعقه: «ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة  
- أيضاً - أن معاوية (رض) لم يكن في أيام علي خليفة، وإنما كان من الملوك وغاية  
اجتهاده أنه كان له أجر واحد على آجتهاده وأما علي فكان له أجران أجر على آجتهاده  
وأجر على إصابته...»<sup>٦</sup>.

وقال ابن حجر - أيضاً - في كتابه تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه  
بشلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان: «كان معاوية مأجوراً على آجتهاده للحديث أن المجتهد  
إذا اجتهد فاصاب فله اجران وان اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، ومعاوية مجتهد بلا شك فإذا  
أخطأ في تلك الاجتهادات كان مثاباً وكان غير نقص فيه»<sup>٧</sup>، ثم عقد فصلاً طويلاً في  
إثبات آجتهاد معاوية<sup>٨</sup>.

ونقل في تأويل معنى الباغي في صواعقه وقال: «وفي الأنوار من كتب أئمتنا

(١) الفصل لابن حزم ٨٩/٤.

(٢) الفصل لابن حزم ١٦٠/٤.

(٣) راجع منهاج السنة ج ٣/٢٦١ و ٢٧٥ - ٢٦٦ و ٢٨٤ و ٢٨٨ - ٢٩٨.

(٤) بتاريخ ابن كثير ج ٧/٢٧٩.

(٥) تاريخ ابن كثير ج ٧/٢٨٣.

(٦) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢١٦.

(٧) تطهير الجنان لابن حجر ص ١٥.

(٨) المصدر السابق ص ١٩ - ٢٢.

المتأخرين، والباغون ليسوا بفسقة ولا كفرة، ولكنهم مخطئون في ما يفعلون ويذهبون إليه ولا يجوز الطعن في معاوية لأنه من كبار الصحابة»<sup>١</sup>.  
وقال الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف في تعليقه على تطهير الجنان بعد ما نقل عن كتاب دراسات اللبيب: «أنه أنكر كثير من الصحابة على معاوية في محدثاته»: «وذكر من ذلك وقائع وفتاوى كثيرة مرجعها ما يقع لكل المجتهدين من الاختلاف في الرأي أو عدم العلم بالنص ومثلها وقع من الصحابة وغيرهم فلا تنزل بمعاوية عن صف المجتهدين»<sup>٢</sup>.

#### ط - المجتهد أبو الغادية قاتل عمار

قال ابن حزم في الفصل: «وعمار (رض) قتله أبو الغادية يسار بن سبع السلمي، شهد بيعة الرضوان، فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه ورضي عنه، فأبو الغادية (رض) متأول مجتهد مخطئ باغ عليه، مأجور أجراً واحداً وليس هذا كقتلة عثمان (رض) لأنهم لا مجال لهم للاجتهاد في قتله...»<sup>٣</sup>.  
وكذلك قال ابن حجر بترجمته من الإصابة وعده من الصحابة المجتهدين كما سيأتي.

#### ي - مجتهدون بالجملة

قال ابن تيمية في جواب قول العلامة: «أما المطاعن في الجماعة فقد نقل الجمهور منها أشياء كثيرة حتى صنف الكلبي في مثالب الصحابة ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت».

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢٢١.

(٢) الشيخ عبد الوهاب كان مدرساً بكلية الشريعة في القاهرة ونقلنا تعليقه على ص ١٨ من تطهير ابن حجر وقد نقل ما أورده عن الدراسة الثانية من كتاب دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب للمعين بن الأمين.

(٣) الفصل لابن حزم ١٦١/٤.

ويقصد بالكلبي أبا المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، قال الذهبي في العبر ١/٣٤٦: «وواصله يزيد على مائة وخمسين أثبت أسماء ١٤١، منها أحمد زكي في ثبوت مصنفاته بملحق الأضنام، وورد ذكر كثير مما لم يذكره أحمد زكي بترجمته من رجال النجاشي، وصفه علماء أهل السنة بالرفض والخلو في التشيع توفي سنة ٢٠٤ هـ راجع ترجمته بطبقات الحفاظ وأنساب السمعاني».



قال ابن تيمية في جواب هذا القول: «وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير مخرجها عن أن تكون ذنوباً، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران، وإن أخطأ فله أجر وعامة المنقول عن الخلفاء الراشدين، من هذا الباب». ثم أطال الحديث حول ذلك في الصفحات ١٩ — ٣٠ من الجزء الثالث من منهاجه؛ ثم أجاب بعدها عن كثير مما أورده العلامة على الكبراء النابيين بأنها من موارد الاجتهاد<sup>١</sup>.

وقال ابن حجر في ترجمة أبي الغادية من الإصابة: «والظن بالصحابة في كل تلك الحروب أنهم كانوا فيها متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأول»<sup>٢</sup>.

وقال الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف في هامش الصواعق: «وجميع الصحابة متين كان على عهد علي، إما مقاتل معه، أو عليه، أو معتزل عن المعسكرين فلم يقاتله، وامتنع عن قتاله جماعة منهم: أصحاب آبن مسعود وسعد بن أبي وقاص واعتزل الفريقين حذيفة وآبن مسلمة وأبوذر وعمران بن حصين وأبوموسى الأشعري والجميع مجتهد متأول لا يخرج بما وقع عنه عن العدالة»<sup>٣</sup>.

هكذا أجمع أتباع مدرسة الخلفاء منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم — أوائل القرن الخامس عشر — على أن الصحابة كلهم مجتهدون، وأن الله سبحانه يشيهم على كل ما فعلوا من خصومات وإراقة دماء، لم يقتصر على رفع القلم عنهم، بل يشيهم على سيئاتهم. وعلى ما يزعمون! ما أعده من حاكم ديان حين يجازينا بسيئاتنا سيئات ويجازيهم بها حسنات!!!

أجمعوا على هذا القول في حق الصحابة حتى عصر معاوية، وقال بعضهم: إن ذلك

(١) منهاج السنة ج ٣/١٩.

(٢) الإصابة بتراجم حرف الفين المعجمة من الكنى ١/١٥٩.

(٣) بهامش الصواعق ص ٢٠٩، وأكد ذلك في فصل عدالة الصحابة من كتابه المختصر.

لم نعرف من هم أصحاب ابن مسعود الذين هم اعتزلوا الفتنة كما أن حليفة لم يكن يومذاك في المدينة، وإنما كان في المدائن، وتوفي فيها وأوصى باتباع الإمام. وأبوذر أعلن بالإنكار على إحداث الحكم حتى نفى من بلد إلى بلد، وأخيراً قضى نحبه طريداً في الريلة في خلافة عثمان سنة ٣٢ هـ، وآبن أبي وقاص ندم على تخلفه عن الإمام، وأبو موسى كان هواه مع مخالف في الإمام. وعمران بن حصين كان قد توفي قبل ذلك.

يجري حتى عصر يزيد كما قاله ابن خلدون عن كان يؤمناك قال: إن منهم من رأى الإنكار على يزيد ومنهم من رأى محاربتة ثم قال: «وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل مجتهدون ولا ينكر على أحد من الفريقين، فقاصدهم في البر وتحري الحق معروفة، وقفنا الله للاقتداء بهم»<sup>١</sup>.

لست أدري إن كان كل هؤلاء مجتهدين لإدراكهم صحبة الرسول بما بال قتلة عثمان ولم لم يعدوا من المجتهدين! قال ابن حزم بعد ما سبق ذكره في باب آجتهد أبي الغادية قاتل عثمان:

«وليس هذا كقتلة عثمان (رض) لأنه لا مجال للاجتهد في قتله، لأنه لم يقتل أحداً ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنى بعد إحصان ولا آرتة فُسُوغ المحاربة تأويل، بل هم فساق محاربون سافكون دماً حراماً عمداً بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون»<sup>٢</sup>.

وقال ابن حجر الهيتمي: «أن الذي ذهب إليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة، وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبههم، ولأنهم أصروا على الباطل بعد كشف الشبهة وإيضاح الحق لهم، وليس كل من أنتحل شبهة يصير بها مجتهداً لأن الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد»<sup>٣</sup>.

لست أدري لماذا كيف أصبح قاتل الإمام علي مجتهداً متأولاً وقد ضربه بالسيف في الصلاة وفي محراب مسجد الكوفة كما يأتي التصريح به في ما يأتي:

كـ — المجتهد المتأول عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي

قال ابن حزم في المحلى، وابن التركماني في الجوهر النقي، واللفظ للأول: «لا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياً إلا متأولاً مجتهداً مقدراً أنه على صواب، وفي ذلك يقول عمران بن حطان شاعر الصفريه:

يا ضربة من تقى ما أراد بها      إلا ليلبلغ من ذي العرش رضوانا  
إني لأذكره يوماً فأحسبه      أوفى البرية عند الله ميزاناً<sup>٤</sup>

(١) مقدمة ابن خلدون ط. دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٥٦ م ص ٣٨٠، وهو أبو يزيد عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨ هـ) دفن بمقابر الصوفية بمصر ويقصد بن حاربه ابن الزبير بمكة وأهل المدينة الواقعة الحرة.

(٢) الفصل لابن حزم ج ١/١٦١. (٣) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢١٥. (٤) ابن حزم في المحلى ج ١/٨٤ وابن التركماني في الجوهر النقي بلبيل سنن البيهقي ٨/٥٨، والجوهر

لست ادري كيف أصبح عبد الرحمن بن ملجم مجتهداً، ولم يكن من الصحابة!  
ولست أدري كيف أصبح يزيد — أيضاً — مجتهداً كما يأتي التصريح به، ولم يكن  
من الصحابة!

ل — الخليفة الإمام يزيد بن معاوية

قال أبو الخير الشافعي في حق يزيد: «ذاك إمام مجتهد»<sup>١</sup>.

وقال ابن كثير بعد ما نقل عن أبي الفرج<sup>٢</sup> تحييز لعنه: «ومنع من ذلك آخرون  
وصنفوا في ذلك أيضاً لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى [لعن<sup>٣</sup>] أبيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ما  
صدر منه من سوء التصرفات على أنه تأوله فأخطأ وقالوا: إنه مع ذلك كان إماماً فاسقاً،  
والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قول العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في  
ذلك من إثارة الفتنة ووقوع المهرج وسفك الدم الحرام... وأما ما ذكره بعض الناس من أن  
يزيد لم يبلغ خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة<sup>٤</sup> وجيشه فرح  
بذلك فرحاً شديداً، فإنه يرى أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته، وأمرؤا عليهم غيره فله قتالهم  
حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة»<sup>٥</sup>.

ونقل ابن حجر في الصواعق عن الغزالي والمتولي القول بأنه: «لا يجوز لعن يزيد  
ولا تكفيره، فإنه من جملة المؤمنين. وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»<sup>٦</sup>

الشيخ علاء الدين علي بن عثمان المعروف بابن التركماني الحنفي (ت ٥٧٥٠ هـ) قال في مقدمته:  
«هذه فوائد علقها على السنن الكبيرة...» والسنن لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، قال حاجي  
خليفة في كشف الظنون: «لم يؤلف في الإسلام مثله» راجع كشف الظنون ١٠٠٧/٢.  
(١) بتاريخ ابن كثير ٩/١٣، وأبو الخير هو أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشافعي الأشعري المفسر كان يعظ  
بالمدرسة النظامية ببغداد (ت ٥٩٠ هـ).

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي الواعظ المحدث المفسر، له كتاب  
الرد على عبد المغيث بن زهير الحنبلي الذي ألف كتاباً في فضائل يزيد توفي ببغداد سنة ٥٩٧ هـ.  
(٣) يقتضيه السياق ولم يكن في الأصل.

(٤) مسلم بن عقبة قائد جيش يزيد في واقعة الحرة بمدينة الرسول (ص).

(٥) بتاريخ ابن كثير ٨/٢٢٣ — ٢٢٤.

(٦) في الصواعق الحرة لابن حجر ص ٢٢١.

والمتولي: أبو سعيد عبد الرحمن بن أبي محمد، مأمون بن علي الموهلي، الأصولي، الفقيه الشافعي  
النيسابوري تولى التدريس بالنظامية ببغداد (ت ٤٧٨ هـ). الكني والألقاب ١١٩/٣  
وراجع إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) ٣/١٢٥.

## - ٤ -

### شرح موارد اجتهاد المذكورين

أ- رسول الله (ص)

كان رسول الله (ص) أول من وصف في مدرسة الخلفاء بالاجتهاد كما مرّ قولهم في قصة بعث أسامة «أنه كان يبعث السرايا عن آجتهد» فما هي قصة بعث أسامة وكيف كان تخلف الخليفتين عنه؟

في طبقات آبن سعد وأنساب الأشراف وعيون الأثر وغيرها واللفظ للأول: «لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله أمر رسول الله (ص) الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال: «سراى موضع مقتل أبىك فأوطنهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش...»

فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله (ص) فحمّ وصديق، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءه بيده... فخرج بلوائه معقوداً وعسكر بالجرف<sup>١</sup> فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا أنتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد... فتكلم قوم، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين! فغضب رسول الله غضباً شديداً، فخرج وقد عصّب على رأسه عصاة وعليه قطيفة، فصعد المنبر وقال:

«ما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأميري أسامة، ولقد طعنتم في إمارتي أباه قبله، وأيم الله إنّه كان للإمارة خليفاً، وإنّ آبنه من بعده لخليق للإمارة».

(١) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. معجم البلدان.

ثم نزل وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعونهم ويمضون إلى المعسكر بالجرف، وثقل رسول الله (ص) فجعل يقول: «أنفذوا بعث أسامة» فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله وجهه فدخل أسامة من معسكره والنبى مغموراً فطأ طأ أسامة فقتله، ورسول الله لا يتكلم، ورجع أسامة إلى معسكره، ثم دخل يوم الاثنين وأصبح رسول الله (ص) مفيقاً فقال له: «أعد على بركة الله» فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب إذا رسول الله (ص) ثم أين قد جاء يقول: «إن رسول الله يموت» فأقبل وأقبل معه عمرو وأبو عبيدة فانتها إلى رسول الله (ص) وهو يموت فتوفي حين زاغت الشمس يوم الاثنين لا تني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول<sup>٢</sup>.

وفي شرح النهج: فلما أفاق رسول الله (ص) سأل عن أسامة والبعث فأخبر أنهم يتجهزون فجعل يقول: «أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عنه» فكرر ذلك فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمرو أكثر المهاجرين، ومن الأنصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه فغضبهم رسول الله (ص) ثم أين يقول... الحديث<sup>٣</sup>.

هذا ما كان من أمر بعث أسامة في حياة الرسول وروى عروة عن أمره بعد وفاة الرسول وقال: «لما فرغوا من البيعة وأطمأن الناس قال أبو بكر لأسامة: امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله (ص)»<sup>٤</sup>.

فذهب أسامة بجيشه وتخلّف عنه الخليفان أبو بكر وعمرو لا نشغالهما بإدارة شؤون الخلافة.

وكان الخليفة عمر يقول لأسامة:

(١) مغمور: يغمى عليه.

(٢) طبقات ابن سعد ط. داري صادر وبيروت عام ١٣٧٦ هـ ١٩٠/٢ - ١٩٢ في ذكر سرية أسامة، وعيون الأثر كذلك ٢٨١/٢ ومن نص على أن أبا بكر وعمرو كانا في بعث أسامة بكل من صاحب الكنفط. الأولى ٣١٢/٥، ومنتخبه بهامش مسند أحمد ١٨٠/٤ عن عروة، وبترجمة أسامة من أنساب الأشراف ٤٧٤/١ عن ابن عباس وبترجمة أسامة أيضاً من طبقات ابن سعد ٦٦/٤ عن ابن عمرو وبترجمته في تهذيب ابن عساکر ولفظه «استعمله على جيش فيه أبو بكر وعمرو»، وبتاريخ يعقوبي ط. بيروت ٧٤/٢ في ذكر وفاة الرسول وابن الأثير في تاريخه ١٢٣/٢.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢/٢١.

(٤) تاريخ ابن عساکر ٤٣٣.

مات رسول الله (ص) وأنت عليّ أمير، وحتى أن ولي الخلافة كان إذا رأى أسامة (رض) قال: ( السلام عليك ايها الأمير! ) فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا! فيقول: لا أزال أدعوك ما عشت، الأمير، مات رسول الله (ص) وأنت عليّ أمير! .  
وقد انتقدوا الخليفين على تخلفهما عن بعث أسامة فكان في ما اعتذروا عنها ما مر من قولهم أنه كان يبعث السرايا عن آجتهد<sup>٢</sup> وعلى هذا فيجوز مخالفة أوامر الرسول في السرايا باجتهد من الصحابة المجتهدين<sup>٣</sup>.

#### ب- اجتهد أبي بكر

أما موارد اجتهد أبي بكر فنها قصة إحراقه الفجاءة السلمي كما رواها الطبري وآبن الأثير وابن كثير واللفظ للأول قال: قدم على أبي بكر رجل من بني سليم أسمه الفجاءة وهو بجبر بن أيس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف<sup>٤</sup>، فقال لأبي بكر: إني مسلم وقد أردت جهداً من أردت من الكفار فأحملني وأهني، فحمله أبو بكر على ظهره وأعطاه سلاحاً فخرج يستعرض الناس المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم ومعه رجل من بني الشريد يقال له نجبة بن أبي الميثاء، فلما بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طريفة بن حاجر<sup>٥</sup> أن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم ويسألني أن أقويه على من أردت عن الإسلام فحملته وسلحته، ثم انتهى إلي من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم، ويقتل من خالفه منهم، فسر إليه من معك من المسلمين حتى تقتله، أو تأخذه فتأنيب به. فسر إليه طريفة بن حاجر. فلما ألتقى الناس كانت بينهم الرميّ بالنبيل فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رمي به فلما رأى فجاءة من المسلمين الجدة قال لطريفة: والله ما أنت بأولى مني أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره، فقال له طريفة: إن كنت صادقاً فضع

(١) راجع سرية أسامة في السيرة الحلبية ص ٢٣٧.

(٢) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٤/ ١٧٣ - ١٧٨.

(٣) ويرد نظير ذلك في مخالفتهم لنصوص أخرى وردت عن رسول الله راجع شرح ابن أبي الحديد للخطبة ٣ الشقشقية ٥٣/١.

(٤) في جمهرة أنساب ابن حزم ص ٢٦١ بباب ذكر نسب بنو سليم بن منصور «الفجاءة وهو بجبر بن أياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن سلمة بن عميرة بن خفاف المرتد أحرقه أبو بكر (رض) بالنار».

(٥) طريفة أبان بن سلمة بن حاجر السلمي، ترجمته في الإصابة ٢/ ٢١٥.

السلاح وأنطلق معي إلى أبي بكر، فخرج معه فلما قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجر فقال: أخرج به إلى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً قذفه فيها.

وفي رواية قبلها عند الطبري: «فأوقد له ناراً في مصلّى المدينة على حطب كثير ثم رمى به فيها مقموطاً».

وفي لفظ ابن كثير: «فجمعت يده إلى قفاه وألقي في النار فحرقه وهو مقموط»<sup>١</sup>.  
وندم أبو بكر على فعله ذلك وقال في مرض موته:

«ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ، وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على حرب، وددت أنّي لم أحرق الفجاءة السلمي وأنّي كنت قتله تسريحاً أو خلّيته نجيحاً، وددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين يريد عمر وأبا عبيدة»<sup>٢</sup>.

واعترض على أبي بكر في ذلك لأنّ حكم مفسد كالـفجاءة جاء في القرآن الكريم مصرّحاً به في سورة المائدة الآية ٣٣: «إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم».

ووردت روايات عن رسول الله في النهي عن الإحراق كما في صحيح البخاري ومسنّد أحمد قوله (ص): «لا يعذب بالنار إلّا ربّ النار»، و«أنّ النار لا يُعذب بها إلّا الله»، و«لا يعذب بالنار إلّا ربّها»:

وورد قوله: «من بذل دينه فاقتلوه»<sup>٣</sup>، وقوله «لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله إلّا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان فإنّه يرجم، ورجل

(١) تاريخ الطبري ط. مصر الأولى ٣/٢٣٤ - ٢٣٥، وابن الأثير ٢/١٤٦، وابن كثير ٩/٣١٩ في ذكرهم حوادث السنة الحادية عشرة.

(٢) الطبري ٤/٥٢ في ذكر حوادث السنة الثالثة عشرة، وراجع بقية مصادره في فصل التحصن بدار فاطمة من عبد الله بن سبأ ١٠٦/١٠٦.

(٣) صحيح البخاري ١/١١٥ باب لا يعذب بعذاب الله من كتاب الجهاد، ومسنّد أحمد ٢/٢٠٧ و٣/٤٩٤، وسنن أبي داود كتاب الجهاد، باب في كراهية حرقة العدو بالنار ح ٢٦٧٣، ٢٦٧٥، ج ٣/٥٥، ٥٦، وكتاب الأذنب باب في قتل الذرّح ٥٢٦٨، ج ٤/٣٦٧ - ٣٦٨، والبيهقي ٩/٧١ و٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب آستتابة المرتدين، وسنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم في من ارتد.

يخرج محارباً لله ورسوله فإنه يقتل أو يصلب، أو ينفي من الأرض، أو يقتل نفساً فيقتل بها»<sup>١</sup>.

واعتذر العلماء عن مخالفته للنصوص الصريحة في هذه القضية بقولهم: «إحراقه فجاءة السلمي من غلطة في آجتهاده فكم مثله للمجتهدين»<sup>٢</sup>.  
ومنها فتواه في مسألة الكلالة، والكلالة: الميت الذي لا ولد له في ورثته ولا والد وورثته أيضاً يقال لهم: الكلالة<sup>٣</sup>.

وقد ورد في القرآن الكريم في سورة النساء الآية ١٢: «وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منها السدس وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث»<sup>٤</sup>.

وفي الآية ١٧٦: «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن أمرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، فإن كانتا أختين فلها الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين. يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم»<sup>٥</sup>.

وقد سئل أبو بكر (رض) عنها فقال: إني سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأً فنني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه. أراه ما خلا الولد والوالد فلها استخلف عمر (رض) قال إني لا استحبي الله إن أرد شيئاً قاله أبو بكر<sup>٦</sup>.  
وقال مرة: الكلالة من لا ولده<sup>٧</sup>.

ومنها جوابه عن إرث الجدة، كما في موطأ إمام المالكية، وسنن الدارمي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجة وغيرها واللفظ للأول قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله شيئاً فأرجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله (ص) أعطاه السدس فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري

(١) سنن البيهقي ٧١/٩. (٢) راجع مصدره في ص ٦٧ من هذا الكتاب.

(٣) راجع تفسير الكلالة بفردات الراغب.

(٤) قصد بالكلالة هنا الأخ والأخت من الأم إجماعاً ونصاً راجع تفسير الآية في التفاسير.

(٥) وأريد بأخ الميت وإخوته من كانوا من الأبوين أو من الأب حسب.

(٦) سنن الدارمي ٣٦٥/٢، وأعلام الموقعين لابن القيم الجوزية ٢٨/١، والسنن الكبرى للبيهقي ٢٢٣/٦.

(٧) تفسير القرطبي ٧٧/٥.



فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر الصديق... الحديث<sup>١</sup>.  
وفي ترجمة عبد الرحمن بن سهل من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وفي موطأ مالك ما موجزه قالوا: «أنته جدتان أم الأم و أم الأب فاعطى الميراث أم الأم دون أم الأب». فقال عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله! لقد أعطيت النبي لو أنها ماتت لم يرثها فجعله أبو بكر بينهما يعني السدس<sup>٢</sup>.  
ومنها قصة مقتل مالك بن نويرة وتزويج أمراته في ليلة مقتله، ومالك بن نويرة التميمي البزيعي، يكنى أبا حنظلة ويلقب الجفول<sup>٣</sup> كان شاعراً شريفاً فارساً من فرسان بني يربوع في الجاهلية وأشرافهم فلما أسلم آستعمله النبي (ص) على صدقات قومه فلما توفي النبي أمسك الصدقة وفرقها في قومه وقال في ذلك:  
فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر في ما يجيء من الغد  
فلن قام بالدين المخوف قائم أطعنا وقلنا الدين دين محمد<sup>٤</sup>  
وفي الطبري عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: لما نزل خالد بالبطاح<sup>٥</sup> بعث ضرار بن الأزور<sup>٦</sup> في سرية وفيهم أبوقتادة<sup>٧</sup> فداهموا قوم مالك ليلاً.  
وكان أبوقتادة يحدث: «أنهم غشوا القوم وراعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال:

- (١) موطأ مالك ٥٤/٢، وسنن الدارمي ٣٥٩/٢، وإبي داود ٣٨/٢، وآبن ماجة ص ٩١٠ وبداية المجتهد ٢٧٨/٢.
- (٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤١١/٢، وأسد الغابة ٢٩٩/٣، والإصابة ٣٩٤/٢، وبداية المجتهد ٣٧٩/٢، وموطأ مالك ٥٤/٢.
- (٣) الجفول: الريح التي تجفل السحاب وجفل الشمر جفولاً صار شعثاً وتنصب.
- (٤) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٦٠، وترجمته بالإصابة ٣٣٦/٣.
- (٥) البطاح: ماء في ديار أسد بن خزيمة - معجم البلدان.
- (٦) ضرار بن الأزور أبو الأزور الأسدي كان شاعراً فارساً شجاعاً بترجمته في الإصابة ٢٠٠/٢ - ٢٠١.
- بعثه خالد في سرية فأغاروا على حي من بني أسد، فاخذوا امرأة جميلة فسأل ضرار أصحابه أن يهبوا له ففعلوا فوطئها ثم ندم فذكر ذلك لخالد فقال لقد طيبتها لك فقال: لاحقاً تكتب إلى عمر، فكتب أرضخه بالحجارة فجاء الكتاب وقدمت فقال خالد لما كان الله ليخزي ضرار أوقيل إنه ممن شرب الخمر مع أبي جندل... الحديث.
- (٧) أبوقتادة الحارث الأنصاري الخزرجي السلمي شهد أحداً وما بعدها كان يقال له فارس رسول الله، وشهد مع علي مشاهده كلها، اختطفوا في وفاته بالكوفة سنة ٣٨ أو ٤٠ أو بالمدينة سنة ٥٤ بترجمته بالإصابة ١١٠/١ - ١١١ وبهامش الإصابة ١٦٠/٤ - ١٦١، والإصابة ١٥٧/٤ - ١٥٨.

فقلنا: إنا المسلمون!  
 فقالوا: ونحن المسلمون!  
 قلنا: فما بال السلاح معكم؟  
 قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟  
 قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح.  
 قال: فوضعوها، ثم صلينا وصلوا<sup>١</sup>.  
 وفي شرح ابن أبي الحديد: «فلما وضعوا السلاح رُبطوا أسارى فأتوا بهم  
 خالدًا». <sup>٢</sup>  
 وفي الإصابة: «أنَّ خالدًا رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك  
 بعد ذلك لامرأته: «قتليني» يعني سأقتل من أجلك»<sup>٣</sup>.  
 وفي تاريخ اليعقوبي: «فلما رآها أعجبه، فقال: والله ما نلت ما في مثابتك حتى  
 أقتلك»<sup>٤</sup>.  
 وفي كنز العمال: «أنَّ خالد بن الوليد آذَى أنَّ مالك بن نويرة آرتدَّ بكلام بلغه  
 عنه، فأنكر مالك ذلك، وقال: أنا على الإسلام ما غيَّرت ولا بدَّلت، وشهد له أبو قتادة  
 وعبد الله بن عمر، فقتله خالد وأمر ضرار بن الأزور الأسدي فضرب عنقه، وقبض خالد  
 امرأته أُم تميم فتزوجها»<sup>٥</sup>.  
 وفي وفيات الأعيان وفيات الوفيات وتاريخ أبي الفداء وابن شحنة واللفظ  
 للأول: «كان عبد الله بن عمرو وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكَلَّمَا خالدًا في أمره فكره  
 كلامهما. فقال مالك: يا خالد! ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فلأنك بعثت  
 إليه غيرنا ممَّن جرَّمه أكبر من جرَّمتنا.  
 فقال خالد: لا أقالني الله أن أقتلك، وتقدَّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه.  
 فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال.  
 فقال له خالد: بل الله قتلَكَ برجوعك عن الإسلام.

(١) الطبري ط. أوروبا ١/١٩٢٧-١٩٢٨.

(٢) الإصابة ٣/٣٣٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٣١/٢.

(٤) كنز العمال ط. الأولى ج ٣/١٣٢.

فقال مالك: أنا على الإسلام.

فقال خالد: يا ضرار! إضرب عنقه.

فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعراً<sup>١</sup>.

وتزوج خالد بامرأة مالك أم تميم بنت المنهال في تلك الليلة<sup>٢</sup>.

فقال في ذلك أبوزهير السعدي:

ألا قل لحيّ أو طشوا بالسنايك تطاول هذا الليل من بعد مالك

قضى خالد بغياً عليه لعمره وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متمالك

وأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكاً في الموالك<sup>٣</sup>

ومر المنهال على أشلاء مالك بن نويرة هو ورجل من قومه حين قتله خالد،

فأخرج من خريطته ثوباً فكفنه فيه ودفنه<sup>٤</sup>.

وفي تاريخ اليعقوبي: «فلحق أبوقتادة بأبي بكر فأخبره الخبر وحلف أن لا يسير

تحت لواء خالد لأنه قتل مالكا مسلماً».

وبرواية عبد الرحمن بن أبي بكر في الطبري: «وكان ممن شهد لمالك بالإسلام

أبوقتادة، وكان قد عاهد الله أن لا يشهد مع خالد حرباً أبداً».

وفي تاريخ اليعقوبي، فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر:

يا خليفة رسول الله! إن خالداً قتل رجلاً مسلماً وتزوج امرأته من يومها،

فكتب أبو بكر إلى خالد فأشخصه، فقال: يا خليفة رسول الله إني تأولت<sup>٥</sup> وأصبت

(١) بترجمة وثيمة من وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٦/٥، وفوات الوفيات ٦٢٧/٢ كلاهما نقلًا الخبر

عن ردة ابن وثيمة والواقدي، وبتاريخ أبي الفداء ص ١٥٨، وتاريخ ابن شحنة بهامش تاريخ الكامل

(٢) تاريخ اليعقوبي ١١٠/٢.

(٣) في الوفيات ٦٧/٥، والفوات ٦٢٦/٢ — ٦٢٧، وأبي الفداء ١٥٨، وابن شحنة ١١٤/١١ بهامش

ابن الاثير.

(٤) بترجمة المنال من الإصابة ٤٧٨/٣، والخريطة كالحقبة وعاء من جلد وغيره يجمع على ما فيه.

(٥) تاريخ اليعقوبي ١٣٢/١ والمراد من التأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى

دليل كما ورد في ذيل حديث أم المؤمنين عائشة في صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٤٧٨/١،

كتاب صلاة المسافرين، الحديث رقم: ٣، حديث قال الزهري فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم في السفر؟

يعني الصلاة، قال: تأولت كما تأول عثمان، أراد بتأويل عثمان أنه أتم الصلاة بمكة.

وأخطأت.

وفي وفيات الأعيان وتاريخ أبي الفداء وكنز العمال وغيرها<sup>١</sup> واللفظ للأول: «لَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: إِنَّ خَالِدًا قَدْ زَفَى فَأَرْجِه. قَالَ: مَا كُنْتُ أَرْجِيهِ فَإِنَّهُ تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ. قَالَ: فَأَعْزَلَهُ. قَالَ: مَا كُنْتُ أَعْمِدُ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ. وفي رواية الطبري عن عبد الرحمن بن أبي بكر: «فَلَمَّا بَلَغَ قَتْلَهُمُ عُمَرَ بَنَ الْخَطَّابُ تَكَلَّمَ فِيهِ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ فَأَكْثَرَ وَقَالَ:

عَدُوَّ اللَّهِ عِدَا عَلَى أَمْرِيْ مُسْلِمٌ فَقَتَلَهُ ثُمَّ نَزَا عَلَى أَمْرَاتِهِ. وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَافِلًا حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ لَهُ عَلَيْهِ صَدَأُ الْحَدِيدِ مَعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ<sup>٢</sup> لَهُ قَدْ غَرَزَ فِي عِمَامَتِهِ أَصْهَامًا، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَاتَّزَعُ الْأَسْهَمُ مِنْ رَأْسِهِ فَحَطَمَهَا ثُمَّ قَالَ أَرِيَاءُ! قَتَلْتَ أَمْرًا مُسْلِمًا ثُمَّ نَزَوْتَ عَلَى أَمْرَاتِهِ وَاللَّهُ لَا رَجْمَكَ بِأَحْجَارِكَ، وَلَا يَكَلِّمُهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا أَنْ رَأَى أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِثْلِ رَأْيٍ عُمَرُ فِيهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ الْخَبْرَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَعَذَرَهُ أَبُو بَكْرٍ وَتَجَاوَزَ عَمَّا كَانَ فِي حَرْبِهِ تِلْكَ.

قال: فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد، فقال: «هلم إليّ يا ابن أم شملة» قال: فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه ودخل بيته.

وفي وفيات الأعيان وتاريخ اليعقوبي: وكان أخوه متمم بن نويرة أبو نهشل شاعراً فرث أخاه بمراثي كثيرة، ولحق بالمدينة إلى أبي بكر، وصلى خلفه صلاة الصبح، فلما فرغ أبو بكر من صلاته قام متمم فوقف بحذاءه وأتكا على سية قوسه ثم أنشد:

نعم القاتل إذ الرياح تناوحت      خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور  
أدعوت به بالله ثم غدرته      لو هو دعاك بدمّة لم يغدر

وأوما إلى أبي بكر (رض) فقال أبو بكر: والله ما دعوته ولا غدرته... الحديث. هذه قصة مقتل مالك وتزوج خالد بامرأته في يوم مقتله، تأول خالد في مسلم صلى فأسره، ثم تأول فيه فقتله، ثم تأول في زوجته فتزوجها يوم مقتله، ثم تأول أبو بكر فأسقط عنه القود وتأول فأسقط عنه الحد، اجتهد الصحابيyan فأخطأ ولكلّ

(١) كنز العمال ط. الأولى ج ٣/١٣٢ الحديث ٢٢٨ وبقية المصادر مرتعين صفحاتها

(٢) اعتجر: لف عمامته دون الطحّي

منها أجر على كل خطأ، وللصحابي عمر أجران حيث اجتهد ورأى رجم خالد وأصاب، أما مالك ابن نيرة الصحابي العامل لرسول الله فلا أجر له على أسره، ولا أجر له في قتله لأنه أسروقتل من قبل خالد بن الوليد القائد الكبير!!

### ج - شرح الأمور التي ذكرها في باب اجتهد الخليفة عمر منها أنه أفرض وفصل في العطاء

قال الطبري في باب « حمله الدرة وتدوينه الدواوين من سيرة عمر في ذكر حوادث سنة ثلاث وعشرين من تاريخه: « هو أول من دَوَّن للناس في الإسلام الدواوين، وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم العطاء ».

وقال بعده: «إن عمر بن الخطاب (رض) استشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال له علي ابن أبي طالب، تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال فلا تمسك منه شيئاً، وقال عثمان: أرى مالا كثيراً يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دَوَّنوا ديواناً، وجتدوا جنداً، فدَوَّن ديواناً وجتد جنداً، فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقال: أكتبوا الناس على منازلهم...» الحديث<sup>١</sup>. وذكر ابن الجوزي في أخبار عمر وسيرته تفصيل فرضه العطاء، وتفضيل بعضهم على بعض. قال:

« فرض للعباس بن عبدالمطلب اثني عشر ألف درهم .  
ولكل واحدة من زوجات الرسول عشرة آلاف درهم، وفصل عليهن عائشة بألفين، ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرًا لكل واحد خمسة آلاف ولمن شهدا من الأنصار أربعة آلاف.

وقيل: فرض لكل من شهد بدرًا خمسة آلاف من جميع القبائل.

(١) بتاريخ الطبري ٢٢/٢ - ٢٣، وفتح البلدان ص ٥٤٩. تراجع المذكورين في الخبر: لم أجد في كتب التراجم والرجال الوليد بن هشام بن المغيرة ولعله الوليد بن المغيرة. راجع ترجمته بأسد الغابة ٩٢/٥، وأنساب قريش ص ٣٢٢، وعقيل بن أبي طالب توفي في خلافة معاوية ترجمته بأسد الغابة ٤١٢/٣. ومخرمة بن نوفل القرشي الزهري ترجمته بأسد الغابة ٣٣٧/٤ وجبير بن مطعم القرشي النوفلي توفي بعد الخمسين للهجرة، أسد الغابة ٢٧١/١.

ثم فرض لمن شهد أحداً فما بعدها إلى الحديبية أربعة آلاف.  
ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد الحديبية ثلاثة آلاف.  
ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد وفاة رسول الله (ص) ألفين، وألفاً وخمسمائة، وألفاً واحداً إلى مائتين.  
قال: ومات عمر على ذلك.  
قال: وجعل نساء أهل بدر على خمسمائة، ونساء من بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة، ونساء من بعد ذلك على ثلاثمائة، وجعل نساء أهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك<sup>١</sup>.  
وتختلف رواية اليعقوبي عن هذه الرواية وفيها: «ولأهل مكة من كبار قریش مثل أبي سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان خمسة الاف»<sup>٢</sup>.

هكذا فضل بعضهم على بعض في العطاء حتى بلغ العطاء لبعضهم ستين مرة أكثر من الآخرين مثل عطاء أم المؤمنين عائشة الأثني عشر ألفاً بالنسبة للمائتين (عطاء قسم من النساء المسلمات) وبذلك أوجد النظام الطبقي داخل المجتمع الإسلامي خلافاً لسنة الرسول فأجتمعت الثروة في جانب وبان الإعسار في الجانب الآخر، وتكوّنت طبقة مترفة تتقاعس عن العمل، ويبدو أن الخليفة أدرك خطورة الأمر في آخر حياته فقد روى الطبري أنه قال:

«لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين»<sup>٣</sup>.

وفي ما تمتنى — أيضاً — فضل فقراء المهاجرين على فقراء الأنصار وفقراء سائر المسلمين<sup>٤</sup>!

ومن أوضاع تقسيم بيت المال على صورة عطاء سنوي أنّ المسلمين أصبحوا بعد ذلك تحت ضغط الولاة وكان الولاة يقطعون عطاء من خالفهم، ويزيدون في عطاء من

(١) روى عنه ابن أبي الحديد في الطعن الخامس بشرح «الله بلاد فلان...» من شرح النهج ١٥٤/٣، وورد هذا أيضاً في باب ذكر العطاء في خلافة نمر من فتوح البلدان ص ٥٥٠ — ٥٦٥.

(٢) بتاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣٣/٥ في ذكر سيرة عمر باب حله الدرّة.

(٤) ولست أدري ما معنى أخذه أموال الناس في غير ما فرض الله، لوفعل ذلك.

وافقهم مثل ما وقع في زمان الخليفة عثمان، وما وقع من زياد وأبنة عبيد الله زمن ولايتهما على الكوفة<sup>١</sup>.

(١) راجع فصل عصر الصهرين وسيرة عثمان ومعاوية من «أحاديث أم المؤمنين عائشة» .  
 وزياد كانت أمه سمية جارية للحارث بن كلدة الطبيب الثقفي ومن البغايا ذوات الرايات بالطائف،  
 وتسكن حارة البغايا خارجاً عن الحضر. وتؤدي الضريبة للحارث وكان قد زوجها من غلام رومي له اسمه  
 عبيد وفي أحد أسفار أبي سفيان للطائف طلب من أبي مرجم الخماربغياً، فقدم له سمية فعلق بزياد ووضعت على  
 فراش عبيد في السنة الأولى من الهجرة وكان ينسب إليه ثم أصبح كاتباً لأبي موسى في البصرة، ثم والياً على  
 الري وهناك ألحقه معاوية بأبي سفيان وقيل له زياد بن أبي سفيان ومن تخرج من ذلك على عهد بني أمية  
 قال له: زياد ابن أبيه، ولأه معاوية البصرة والكوفة، ولما أبى أن يأخذ البيعة ليزيد... توفي فجأة بالكوفة  
 سنة ٥٣ هـ . راجع «أحاديث أم المؤمنين عائشة» ص ٢٥٥ - ٢٦١ .  
 وأبنة عبيد الله أمه أمة أسمها مرجانة، ولد بالبصرة سنة ٢٨ هـ، ولأه معاوية خراسان بعد أبيه سنة  
 ٥٣ هـ ثم البصرة سنة ٥٥ هـ، وضم له يزيد الكوفة سنة ٦٠ هـ ليقاتل الحسين (ع) فقتل الحسين وأهل  
 بيته سنة ٦١ هـ، وقتله إبراهيم بن الأشتر قائد جيش المختار بخازر سنة ٧٦ هـ . راجع فهرست الطبري  
 ص ٣٦٦

- ٥ -

## اجتهاد الخليفتين أبي بكر وعمر في الخمس

ومن موارد اجتهاد الخليفتين أبي بكر وعمر؛ منعهما أهل البيت خمسهم - كما ذكروا - وخاصة حقّ ابنة الرسول فاطمة (ع). ولا بد لنا في معرفة كيفية اجتهادهما في هذا المورد أن ندرس:

أولاً: الزكاة والصدقة والفّي والصفّي والأنفال والغنيمة والخمس لغة وشرعاً. ثانياً: شأن الخمس وحقّ ابنة الرسول (ع) في عصر الرسول (ص) ليتيسّر لنا بعد ذلك درس اجتهاد الخليفتين في الخمس وفي حقّ ابنة الرسول (ع) خاصة، فنقول:

### ١ و ٢ - الزكاة والصدقة :

الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح<sup>١</sup> مثل قوله تعالى: «أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً»<sup>٢</sup> أي أطهر، وما روي عن الإمام الباقر (ع) أنه قال «زكاة الأرض يبسها»<sup>٣</sup> أي طهارتها يبسها. وقول الإمام علي (ع): «العلم يزكو على الإنفاق»<sup>٤</sup> أي ينمو، وقولهم: «زكا الزرع»<sup>٥</sup> إذا حصل منه نمو وبركة، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾<sup>٦</sup> أي يمدحونها .

(١) راجع مادة «زكا» من نهاية اللغة لابن الأثير.

(٢) الكهف / ١٩.

(٣) مادة «زكا» من نهاية اللغة.

(٤) نهج البلاغة، كتاب الحكم، العدد ١٤٧.

(٥) مادة «زكا» من مفردات الراغب.

(٦) النساء / ٤٩.



وفي الشرع: ما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى مستحقه، وتسميته بذلك لما يكون فيها رجاء البركة أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات أو لهما جميعاً فإن الخيرين موجودان فيها<sup>١</sup>.

وزكّي أذى زكاة ماله.

هذا ملخص ما ذكره أهل اللغة في بيان معنى الزكاة<sup>٢</sup>.

أما الصدقة فقد قال الراغب في مفرداته: «الصدقة ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة لكن الصدقة تقال في الأصل للمتطوع به والزكاة للواجب»<sup>٣</sup>.

وقال الطبرسي في مجمع البيان: «الفرق بين الصدقة والزكاة أن الزكاة لا تكون إلا فريضاً، والصدقة قد تكون فريضاً وقد تكون نفلاً»<sup>٤</sup>.

ومن ثم نرى أن الزكاة لوحظ فيها معنى الوجوب وقصد منها حق الله في المال، كما لوحظ في الصدقة التطوع أي إعطاء المال قرينة إلى الله تعالى وقد تُلحظ فيها الرحمة على المعطى له مثل قول أخوة يوسف له: «وتصدق علينا»<sup>٥</sup>.

وبما أن الزكاة لوحظ فيها الوجوب أي حق الله في المال نرى أنها تشمل أنواع الصدقات الواجبة والخمس الواجب وغيرها من كل ما كتب الله على الإنسان في المال.

ويشهد لهذا ما ورد في كتاب رسول الله (ص) للملك حمير: «وآتيتم الزكاة من المغنم خمس الله وسهم النبي وصفية وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة»<sup>٦</sup>.  
فإن لفظ «من» بعد الزكاة لبيان أنواع الزكاة المذكورة بعدها وهي:  
أ— من المغنم خمس الله.

(١) راجع مادة «زكا» من مفردات الراغب.

(٢) راجعنا في هذا وما يأتي بترجمة المصطلحات الآتية الراغب في مفرداته، وابن الأنثري في نهاية اللغة، وآبن منظور في لسان العرب، والقاموس وشرحه مضافاً إلى تفاسير القرآن مثل تفسير الطبري والطبرسي وغيرهما.

(٣) مادة «صدق».

(٤) مجمع البيان ج ١/ ٣٨٤ بتفسير الآية ٢٧٢ من سورة البقرة.

(٥) يوسف/ ٨٨.

(٦) يأتي ذكر مصادر الكتاب في ما بعد إن شاء الله.

ب - سهم النبي وصفيه.

ج - ما كتب الله على المؤمنين من الصدقة. أى القسم الواجب من الصدقة.

\* \* \*

وهكذا جعل الصدقة الواجبة قسماً واحداً من أقسام الزكاة. وقد حصر الله الصدقة بالمواضع الثمانية المذكورة في قوله تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وآبن السبيل» فريضة من الله والله عليم حكيم<sup>١</sup> ولم يحضر الزكاة بمورد ما، بل قرنهما بالصلاة في خمس وعشرين آية من كتابه الكريم<sup>٢</sup> وكلما قرنت الزكاة بالصلاة في كلام الله وكلام رسوله قصد منها مطلق حق الله في المال والذي منه: حقه في ما بلغ النصاب من النقدين والأنعام والغلات أي الصدقات الواجبة، ومنه حقه في المغنم أي الخمس، وحقة في غيرهما.

وإذا قرنت في كلامها بالخمس، قصد منها الصدقات الواجبة خاصة. وكذلك إذا أضيفت في الكلام إلى أحد موارد أصناف الصدقة مثل «زكاة الغنم» أو «زكاة النقدين» قصد منها عند ذلك أيضاً صدقاتها الواجبة. ويسمى العامل على الصدقة في الحديث والسيرة بالمصدق<sup>٣</sup> ولا يقال «المرتكي» ويقال لمعطي الصدقة: «المتصدق»<sup>٤</sup> ولا يقال المرتكي أو المرتكي و«الصدقة» هي التي حُرمت على بني هاشم<sup>٥</sup> وليست الزكاة، ولم ينتبه مسلم إلى هذا وكتب في صحيحه «باب تحريم الزكاة على رسول الله (ص) وعلى آله...»<sup>٦</sup> وأورد في الباب ثمانية أحاديث تنص على حرمة الصدقة عليهم وليست الزكاة كما قال، وعلى هذا فكل ما ورد في القرآن الكريم من أمثال قوله تعالى «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»<sup>٧</sup>، فهو أولاً أمر بإقامة كل ما يسمى صلاة سواء

(١) التوبة ٦٠.

(٢) راجع مادة «الزكاة» من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٣) راجع مادة «صدق» بفردات الرافب ونهاية اللغة ولسان العرب.

(٤) قال الله تعالى «إنّ المصدقين والمصدقات» الحديد ١٨ وقال «والمصدقين والمصدقات»

الأحزاب ٣٥، وراجع أبواب الزكاة في صحيح مسلم ١٧٢/٣، وسنن أبي داود ٢٠٢/١، والترمذي ١٧٢/٣. ولا يعاب ما ورد عند بعض المتأخرين مثل المتقي في كنز العمال.

(٥) يأتي تفصيله في ما بعد إن شاء الله.

(٦) صحيح مسلم ١١٧/٣.

(٧) راجع مادة «الزكاة» في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

اليومية منها أو صلاة الآيات أو غيرها. وثانياً أمر بأداء حق الله في المال سواء حقه في موارد الصدقة الواجبة، أو حقه في موارد الخمس أو في غيرها.  
وكذلك المقصود في ما روي عن رسول الله أنه قال: «إذا أدت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك»<sup>١</sup> أي أنك إذا أدت حق الله في مالك أي جميع حقوق الله في المال فقد قضيت ما عليك، وكذلك ما روي عنه أنه قال «من آستفاد مالاً فلا زكاة عليه حتى يحول الحول»<sup>٢</sup> أي لا حق لله في ماله. وورد في أحاديث أئمة أهل البيت: (وحق في الأموال الزكاة)<sup>٣</sup>. ولعل سبب خفاء ذلك على الناس، أن الخلفاء لما أسقطوا الخمس بعد رسول الله ولم يبق مصداق للزكاة في ما يعمل به غير الصدقات، نسي الخمس تدرجاً، ولم يتبادر إلى الذهن من الزكاة في العصور الأخيرة غير الصدقات!

### ٣ - النفي :

النفي في اللغة: الرجوع ومنه ما يقال النفي لرجوع الظل بعد زوال الشمس.  
وفي الشرع كما في لسان العرب: «ما حصل من أموال الكفار من غير حرب» و «ما رد الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف أهل دينه بلا قتال، إما بأن يجلوها عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين أو يصالحوا على جزية يفتدون بها من سفك دمائهم فهذا المال هو النفي في كتاب الله»<sup>٤</sup>.  
وقوله تعالى في سورة الحشر: «وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وآبن السبيل» الآية ٧.  
هذه الآية وسورة الحشر كلها، نزلت في قصة بني النضير. وذلك أن يهود بني النضير، نقضت عهدها مع رسول الله، وأرادت أن تغدر به وتقتله بإلقاء صخرة عليه حين ذهب مع عشرة من أصحابه إليهم، فاخبره الوحي بما بيتوا من نية الغدر فخرج مسرعاً كأنه يريد حاجة، ومضى إلى المدينة فلما أبطأ لحق به أصحابه فبعث النبي إليهم يخبرهم بغدرهم ويأمرهم بالجللاء فأبوا وتحصنوا ١٥ يوماً ثم نزلوا على أن لهم ما

(١) سنن الترمذي ٩٧/٣ باب ما جاء إذا أدت الزكاة فقد قضيت ما عليك.

(٢) سنن الترمذي ١٢٥/٣ باب ما جاء لا زكاة على المال المستفاد حتى يحول عليه الحول.

(٣) الكافي ١٩/٢ و ٢٠، وتفسير المياشي ٢٥٢/١، والبحار ٣٣٧/٦٨ و ٣٨٩.

(٤) بمادة النفي.

حملت الإبل غير الحلقة أي السلاح فخرجوا على ستمائة بعير وذهبوا إلى خير وغيرها فجعل الله ما خلفوه من سلاح كثير وأراضٍ ونخيل لرسول الله، فقال عمر: ألا تختمس ما أصبت؟ (أي تأخذ خمسه وتقسم الباقي على المسلمين) فقال رسول الله (ص): لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المسلمين بقوله: «ما أفاء الله على رسوله» الآية كهينة ما وقع فيه السهمان للمسلمين.

وقال الواقدي وغيره:

إنما كان ينفق على أهله من بني النضير، كانت له خالصة، فأعطى من أعطى منها وحبس ما حبس، وأستعمل على أموال بني النضير مولاة أبا رافع<sup>١</sup>.

#### ٤ - الصفي :

الصفي ويجمع على الصفايا كان يقال في العصر الجاهلي، لما يأخذه الرئيس من المال المسلوب من العدى قبل القسمة. وفي الشرع الإسلامي، لما كان لرسول الله خالصة دون المسلمين من مال منقول وغير منقول من أراضٍ وعقار، غير سهمه في الخمس<sup>٢</sup>، يستفاد ما ذكرناه مما نقله في ما يأتي :

روى أبو داود بسننه<sup>٣</sup> عن الخليفة عمر أنه قال :

١ - كانت لرسول الله ثلاث صفايا: بنو النضير وخيبر وفدك ... الحديث.

ب - وفي حديث آخر له :

إن الله خص رسول الله (ص) بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس، فقال «فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير»<sup>٤</sup> وكان الله أفاء على رسوله بني النضير. . . الحديث.

(١) كلما أوردناه في قصة بني النضير فنمنازي الواقدي ص ٣٦٣ - ٣٧٨، وكذلك قال القرطبي في إمتاع الأسماع ص ١٧٨ - ١٨٢ غير أنه أوردتها بإيجاز، وراجع تفسير الآية بتفسير الطبري. وأبو رافع اسمه إبراهيم أو صالح. قيل كان عبداً قبطياً للعباس فوهبه للنبي فاعتقه وزوجه مولاته سلمى، أسلم بمكة وشهد أحداً وما بعدها وكان أبنته رافع كاتباً لعلي (ع) توفي في خلافة عثمان أو بعده. أسد الغابة ٤١/١ و ٧٧.

(٢) سنن أبي داود، باب : في صفايا رسول الله من كتاب الخراج ١/٣ و ١٤ والأموال لأبي عبيد ص ٩.

(٤) الحشر / ٦ .

ج — وقال في حديث آخر بعد أن ذكر الآية الآنفة: «هذه لرسول الله خاصة قرى عربية فذك وكذا وكذا».

وروى أبوداود عن الزهري أنه قال:

صالح النبي أهل فذك وقرى وهو محاصر قوماً آخرين فأرسلوا إليه بالصلح، قال: «فأؤجفتم عليه من خيل ولا ركاب» يقول، بغير قتال، قال: وكانت بنو النضير للنبي خالصة لم يفتحها عنوة «إفتتحوها على صلح» ويثبت ممّا ذكرنا أنّ البحاث ابن الأثير لم يصب في قوله بمادة «صفا» من نهاية اللغة حين قال: الصفي ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة ويقال له الصفية والجمع الصفايا، ومنه حديث عائشة: كانت صفية (رض) من الصفي، يعني صفية بنت حبي كانت ممن أصطفاه النبي (ص) من غنيمة خيبر وقد تكرر ذكره في الحديث. أي ذكر الصفي والصفايا.

وقال: «وفي حديث عليّ والعبّاس أنّهما دخلا على عمر (رض) وهما يختصمان في الصوافي التي أفاء الله على رسوله (ص) من أموال بني النضير، الصوافي: الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها واحداً صافية، قال الأزهري: يقال للضباع التي يستخلصها السلطان لخاصته: الصوافي».

وأخذ من الأزهري وابن الأثير من جاء بعدهما من اللغويين مثل ابن منظور بمادة «صفا» من لسان العرب.

و خلاصة قولهم: إنّ الصفيّ ويجمع على الصفايا يقال: لما يصطفيه الرئيس من غنائم الحرب غير المنقولة. والصافية وتجمع على الصوافي لما يستخلصها السلطان من أراض وضباع. ولست أدري كيف يصحّ ذلك وقد رأينا الخليفة عمر يسمي فدى وخيبر وقرى عربية أخرى بصفايا رسول الله.

ووجدنا أبداود المتوفى سنة (٢٧٥ هـ) يعقد باباً في سننه باسم «باب صفايا رسول الله» يذكر شأن تلك القرى التي وردت في حديث عمر وغير عمر.

(١) أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب كتاب السنن، قال: كتبت عن رسول الله خمسائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمته هذا الكتاب يعني السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثلاثمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، سكن البصرة وتوفي بها. وراجع تفسير الخبر في تفسير الآية في الدر المنثور.

ورأينا التقسيم المذكور قد استفيد من الأزهرى المتوفى سنة ( ٣٧٠هـ ) أي بعد ما يقارب قرناً من أبي داود، ولعله أخذه من المتعارف في عصره وليس من قبله، وخاصة من القرامطة الذين عاشهم دهراً وهو في أسرهم واستفاد من محاوراتهم كثيراً.

#### وخلاصة القول:

إن الصفايا ومفردها الصفي كانت تطلق حتى عصر أبي داود على كل ما كان خالصاً لرسول الله من أموال وضياع وعقار.

#### ٥ - الأنفال :

الأنفال جمع النفل والنفل في اللغة: العطية والهبة، والنفل بالسكون: الزيادة على الواجب ونفلاً وتنفيلًا ونفله وأنفله إتياء أعطاه نفلاً أي زيادة، ومنه: نفله سلب القتل، ونوافل الصلاة<sup>٢</sup>.

واستعمل لفظ الأنفال في الشرع الإسلامي لأول مرة بسورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن الأنفال . . . ﴾ الآية. وشأن هذه السورة أن المسلمين خاضوا أول معركة حربية تحت لواء قائدهم الأعظم رسول الله (ص) في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، ولما آتته المعركة بفوزهم الساحق على قريش اختلّفوا في ما ظفروا به من جهة العدى ورجعوا إلى رسول الله (ص) في ذلك فنزلت الآيات الكريمة من أول سورة الأنفال:

« يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » الآيات.

في سيرة ابن هشام والطبري وسنن أبي داود<sup>٣</sup> وغيرها واللفظ للأول: « إن

(١) الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر المروى الشافعى اللغوى، أسرته القرامطة فبقى معهم دهراً طويلاً يسكن البادية، فاستفاد من محاوراتهم ألفاظاً جمة. من تصانيفه التهذيب ولعله استفاد ما ذكره في تعريف «الصوائى» من محاورات القرامطة في ما يخص الغزو والسلب والنهب. وعلى هذا فليس تعريفه هذا تعريف مصطلح شرعى ليفسر بموجبه ما ورد في الحديث الشريف.

(١) راجع مادة (نفل) من معاجم اللغة خاصة لسان العرب.

(٢) سنن أبي داود ٩/٣ باب في النفل من كتاب الجهاد.

رسول الله (ص) أمربا في العسكر ممّا جمع الناس فجمع فأختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هولنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتّى أصبتم ما أصبتم، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله (ص) مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم بأحقّ به متّاء، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكننا خفنا على رسول الله (ص) كرتة العدو، فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ به متّاء.

وروى أبن هشام - أيضاً - عن عبادة بن الصامت أنّه قال عن سورة الأنفال: «فينا أصحاب بدر نزلت حين آختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله (ص) فقسّمه بين المسلمين على السواء».

وروى عن أبي أسيد الساعدي قال: أصبت سيف بني عائد المخزوميين ويسمّى المرزبان يوم بدر فلما أمر رسول الله (ص) الناس أن يردّوا ما في أيديهم من النفل أقبلت حتّى ألقيته في النفل.

قال ابن هشام: ثمّ أقبل رسول الله (ص) قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين حتّى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب، فقسّم هنا لك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء<sup>١</sup>.

نفهم من كلّ ما سبق أن الله سبحانه حين استعمل لفظة الأنفال في الآية الكريمة قصد منها معناها اللغوي وهو الهبة والعطية، أي أنّ ما استوليت عليها من أموال العبد ليس من باب السلب والنهب وفق قواعد الجاهلية لتتملكوه، بل هو عطاء من الله، ثمّ هو الله ولرسوله وعليكم أن تردّوه إلى رسوله ليعمل فيه وفق رأيه. ومن هنا نعرف المناسبة في ما استعملت فيه لفظة الأنفال بأحاديث أئمة أهل

(١) سيرة ابن هشام ٢٨٣/٢ - ٢٨٦، وفي طبعة أخرى ٢٩٦/٢ وتفسير الآية بتفسير الطبري وغيره. وعبادة بن الصامت: أبو الوليد الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية ومشاهد رسول الله كلّها وكان أحد نقباء الأنصار وعمن حفظ القرآن على عهد النبي، توفي سنة ٣٤ أو ٤٥ بالرملة أو بيت المقدس بترجمته بأسد الغابة ١٠٧/٣.

وأبو أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا وما بعدها. اختلف في وفاته أكانت في ستين أو خمس وستين للهجرة بترجمته بأسد الغابة ٢٧٩/٤.

وبنوعائه بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من قريش، نسبهم في: نسب قريش لمصعب الزبير ص ٢٩٩. ومضيق الصفراء بوادي الصفراء بينه وبين بدر مرحلة. معجم البلدان.

البيت، وأريد بها: «كلّ ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، وكلّ أرض أنجلي عنها أهلها بغير قتال، وعلى قطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب، والآجام وبطون الأودية والأرضون الموات وما شابهها»<sup>١</sup> فلانّها جميعاً عطاء من الله، وهبة لرسوله ثمّ لنأتمّة من بعده. وبهذا الاستعمال الأخير أصبحت الأنفال في العرف الإسلامي لدى مدرسة أئمة أهل البيت اسماً لما ذكرناه بين القوسين آنفاً.

## ٦ - الغنيمة والمغنم :

إنّ الغنيمة والمغنم قد تطوّرا مدلولهما بعد العصر الجاهلي مرتين: مرّة في التشريع الإسلامي، وأخرى لدى المتشرعة (أي بين المسلمين) حتى أصبح أخيراً مدلولهما عندهم مساويين للسلب والنهب والحرب. وبيان ذلك أنّ العرب كانت تقول: سلبه سلباً إذا أخذ سلّته، وسلب الرجل ثيابه، وما يأخذه القرن من قرنه بما يكون عليه ومعه من لباس وسلاح ودابة وغيرها، والجمع أسلاب.

وتقول: حربه حرباً، إذا سلبه كلّ ماله وتركه بلا شيء، وحرب الرجل ماله سلبه فهو محروب وحريب والجمع حرى وحرباء، وحريته ماله الذي سلب منه، وأخذت حريته أي ماله الذي يعيش به، وأحربه: دلّه على ما يسلبه من عدوه. وتقول: نهبته ونهبته إذا أخذ ماله قهراً، والنهب والنهي والنهي: أخذ المال قهراً والجمع نهب ونهب، والنهب أيضاً ضرب من الغارة والسلب، وأنهب عرضه وماله أباحه لمن شاء.

هكذا فسّرت الألفاظ الآتية في معاجم اللغة<sup>٢</sup> واستعملت في تلكم المعاني أيضاً في السيرة والحديث ومن قبل الصحابة كما يأتي في مايلي:

في الحديث:

«من قتل قتيلاً فله سلبه»<sup>٣</sup>.

(١) راجع البحار للمجلسي، باب الأنفال من كتاب الخمس ج ٢٠٤/٩٦ - ٢١٤ ط. الجديدة.

(٢) مثل الصحاح للجوهري، ونهاية اللغة لابن الأثير، ولسان العرب لابن منظور والقاموس وشرحه.

(٣) سنن الدارمي ٢٢٩/٢ باب من قتل قتيلاً فله سلبه من كتاب السنن ومسنّد أحمد ٢٩٥/٥ و٣٠٦ و

١٢، وراجع سنن أبي داود، كتاب الجهاد ج ٣/٢، وسنن أبي داود أيضاً باب في السلب يعطى القتال من كتاب الجهاد ١٣/٢.



وفي قول رسول الله للمُغتني الذي آستجازه أن يغتني في المدينة «وأحلت سلبك نُهبة لفتيان أهل المدينة»<sup>١</sup>.

وفي السيرة:

لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي غَزْوَةِ حَنْينَ كَلَامًا مِنْ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَعَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَاسٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ وَأُعْطِيَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ دُونَهُمْ قَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ.

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ يَدَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَقْبَرِ

الآيات<sup>٢</sup>.

وقالت قريش في قصة بدر: «أخرجوا إلى حراثتكم»<sup>٣</sup>.

وفي حديث رسول الله: «فإن قعدوا قعدوا موتورين محروين»<sup>٤</sup>.

وفي حديث عمر: «إيتاكم والذين فإن أوله هم وآخره حرب»<sup>٥</sup>.

وفي تاريخ عصر الصحابة: قال معاوية في وصيته لسفيان بن عوف الغامدي لما بعثه لغزو بلاد المسلمين خارج بلاد الشام: «فاقتل من لقيته ممن ليس هو على رأيك، وأحرب كل ما مررت به من القرى، وأحرب الأموال فإن حَرَبَ الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب»<sup>٦</sup>، يقصد أسلب جميع أموالهم.

(١) سنن ابن ماجة كتاب الحدود، الحديث ٢٦١٣.

(٢) صحيح مسلم ١٠٨/٣ باب اعطاء المؤلفه قلوبهم من كتاب الزكاة وفي الاغانى بترجمة عباس بن مرداس ٢٩٠/١٤ وترجمته بآسد الغابة، والعبيد اسم لفرسه وغزوة حنين كانت في السنة الثامنة وبعد فتح مكة، وابوسفيان بن حرب حارب رسول الله في احد والخندق وفي غيرها. وأظهر الاسلام بعد الفتح وتوفي سنة ٥٣١ هـ.

وصفوان بن أمية القرشي الجمحي توفي بمكة في عصر عثمان أو معاوية.

وعيينة بن حصن الفزاري قيل ان الخليفة عمر قتله، وقيل مات في عصر عثمان.

والأقرب بن حابس التميمي أصيب بالجوزجان مع الجيش الغازي بلاد خراسان.

أعطى النبي هؤلاء في حنين سهم المؤلفه قلوبهم فاعترض عليه ابن مرداس وقال دفعت سهمى وسهم فرسي العبيد الى عينيه والأقرب.

(٣) مادة «حرب» من نهاية اللغة لابن الاثير، وحرائب جمع حربة.

(٤) مسند أحمد ٣٢٨/٤، والبخارى ٣١/٣ واللفظ للاول ومحروين: مسلوبى المال.

(٥) موطأ مالك ٢/٢٣٦ باب جامع القضاء وكرهيته من كتاب الوصية وآخره حرب: أي ذهاب المال.

(٦) أورد هذا إبراهيم بن محمد الثقفي ت ٢٨٠ هـ في كتابه الفارات حسب رواية ابن أبي الحديد عنه في

وفي الحديث: إن أصحاب النبي أصابوا غَنَمًا فأتتهبوها فطبخوها فقال النبي (ص): «إن النهي أو النهبة لا تصلح» فأكفأوا القدور<sup>١</sup>. وفي غزاة كابل أصاب الناس غَنَمًا فأتتهبوها فأمر عبد الرحمن منادياً ينادي: إني سمعت رسول الله يقول: «من أتتهب نُهْبَةً فليس متاً» فردّوا هذا الغنم فردّوها فقسمها بالسوية<sup>٢</sup>.

كانت هذه معاني السلب والنهب والحرب، أما الغنيمة والمغنم فقد قال الراغب والأزهري في مادة غنم: «الغنم معروف... والغنم إصابته والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا إِنَّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً﴾ والمغنم ما يغنم وجمعه مغنم قال تعالى: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغْنَمٌ كَثِيرَةٌ﴾ انتهى<sup>٣</sup>.

وفي لسان العرب وتهذيب اللغة للأزهري ونهاية اللغة، وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم: «الغنم: الظفر بالغنم، ثم استعمل في كل ما يظفر به من جهة العدو وغيرهم. غَنِمَ كسمع غنماً والغنم ما يغنم وجمعه مغنم.

«الغنم: الفوز بالشيء من غير مشقة».

«وغنم الشيء: فاز به، والاعتنام انتهاز الغنم»<sup>٤</sup>.

وفيه وفي نهاية اللغة لابن الأثير بنفس المادة: في الحديث «الرَّهْنُ لِمَنْ رَهْنَهُ، لَهُ غُنْمُهُ عَلَيْهِ غُرْمُهُ» عُثِمَهُ: زيادته ونماؤه وفاضل قيمته. انتهى.

→

شرح النج ج ٥٨/٢ — ٩٠ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، والغامدي توفي بأرض الروم بعد الخمسين من الهجرة لميراً على الصائفة من قبل معاوية راجع وأحاديث أم المؤمنين عائشة ص ٢٤٢

(١) مسند أحمد ٣٦٧/٥، وسنن ابن ماجه كتاب الفتن الحديث ٣٩٣٨ واللفظ للأول.

(٢) مسند أحمد ٦٢/٥ و٦٣، وعبد الرحمن بن سمره القرشي توفي بالبصرة سنة خمسين أو إحدى وخمسين ترجمته بأسد الغابة ٢٩٧/٣.

(٣) مفردات القرآن للراغب الاصبهاني بمادة «غنم» والآية الأولى بسورة الأنفال ٤١ والثانية الآية ٦٩ منها والثالثة الآية ٩٤ من سورة النساء، وتهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ج ٨/١٤٩، ومعجم ألفاظ القرآن ٢٩٣/٢.

(٤) مادة «غنم» بنهاية اللغة لابن الأثير ١٧٣/٣، ولسان العرب ج ٤٤٥/١٢ وتهذيب اللغة للأزهري، (ت ٣٧٠ هـ)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ج ٤/٣٩٧، وتفسير الفخر الرازي ج ١٥/١٦٦.

وفي صحاح الجوهري: «المغنم والغنيمة بمعنى»<sup>١</sup>.  
وورد في الحديث من هذه المأادة وأريد به الفوز بالشيء في باب ما يقال عند إخراج الزكاة من سنن ابن ماجه عن رسول الله (ص): «اللهم أجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرمًا»<sup>٢</sup>.

وفي مسند أحمد عن رسول الله (ص): «غنيمة مجالس الذكر الجنة»<sup>٣</sup>.  
وفي وصف شهر رمضان: «هو غنم للمؤمن»<sup>٤</sup>. إلى غير هذه الموارد من الحديث. وورد في كتاب الله تعالى: «فعند الله مغام كثيرة»<sup>٥</sup>.

ويتلخص ما سبق:

إنّ العرب كانت تقول في الجاهلية والإسلام: سلبه إذا أخذ ما مع المسلوب وما عليه من ثياب وسلاح ودابته وتقول: حربه إذا أخذ كلّ ماله، وكانت النهبة والثبهي عندهم تساوق الغنيمة والمغنم في عصرنا.  
ووجدنا غنم الشيء غنماً عندهم بمعنى فاز به بلا مشقة، والاعتناء: انتهاز الغنم، والمغنم: ما يغنم وجمعه مغام. وفي الحديث: «له غنمه» أي نماؤه وفاضل قيمته، وفي وصف شهر رمضان: «هو غنم للمؤمن»، وفي الدعاء عند أداء الزكاة: «اللهم أجعلها مغنماً» و«غنيمة مجالس الذكر الجنة».  
وقالوا: الغنم في الأصل: الظفر بالغنم ثم استعمل في كلّ ما ظفر به من جهة العدى وغيرهم. وأرى شمول الغنم لما ظفر به من جهة العدى وغيرهم صار في العصر الإسلامي لا قبله.

وذلك لأنّ المسلمين خاضوا أول معركة حربية تحت لواء رسول الله (ص) في بدر وتنازعوا في الأسلاب بعد انتصارهم وسلب الله عنهم ملكية ما استولوا عليه من أموال العدى وجعله لله ولرسوله وسمّاه بالأنفال، وبعد نزول هذا الحكم في سورة الأنفال، كان الغزاة في جميع الغزوات يأتون بكلّ ما ظفروا به إلى القائد ليتصرف فيه كما يراه،

(١) مادة «غنم» من صحاح اللغة للجوهري، ص ١٩٩٩.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزكاة، الحديث ١٧٩٧.

(٣) مسند أحمد ٢/١٧٧.

(٤) مسند أحمد ٢/٣٣٠ و ٣٧٤ و ٥٢٤.

(٥) النساء / ٩٤.

١٠٨

ولم يكن لأحد منهم أن ينهب شيئاً جهاراً أو يغلقه سراً فقد حرم رسول الله الانتهاب كما رواه ابن ماجة وأحمد واللفظ للأول، قال: قال رسول الله: «ان النهبة لا تحل»<sup>١</sup>. وقال: «من انتهب نهبه فليس منا»<sup>٢</sup>.

وفي صحيح البخاري ومسنند أحمد عن عبادة قال: بايعنا النبي على أن لا ننتهب<sup>٣</sup>.

وفي صحيح البخاري عن رسول الله (ص): «لا ينتهب نهبه ذات شرف وهو مؤمن»<sup>٤</sup>.

وفي سنن أبي داود باب النهي عن النهب عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله في سفرنا فاصاب الناس حاجة شديدة وجهدوا وأصابوا غنماً فأنتهبوا، فإن قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله يمشي على قوسه، فأكفأ قدورنا بقوسه ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال: «ان النهبة ليست بأحل من الميتة»<sup>٥</sup>. وحرّم الله ورسوله الإغلال قال الله سبحانه: «ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة»<sup>٦</sup>.

وفي حديث رسول الله (ص): «لا نهب ولا إغلال ولا إسلال ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة»<sup>٧</sup>. الإغلال: السرقة الخفية والإسلال: السرقة. في هذا الحديث ذكر النهب والإغلال في عداد السرقة. وفي حديث آخر قال: «أدوا الخيط والمحيط فما فوق ذلك فما دون ذلك، فإنّ الغلول عار على أهل يوم القيامة وشناروعار»<sup>٨</sup>. قال ابن الأثير: الغلول: الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، والشنار أقبح العيب.

(١) الحديثان في كتاب الفتن من سنن أبين ماجة، باب النهي عن النهي ص ١٢٩٩، والحديث الأول بمسنند أحمد ٤/١٩٤، والثاني في مسنده ٣/١٤٠ و ١٩٧ و ٣١٢ و ٣٢٣ و ٣٨٠ و ٣٩٥ و ٤٣٩/٤ و ٤٤٣ و ٤٤٦ و ٦٢/٥.

(٢) صحيح البخاري ٤٩/٢ كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه، ومسنند أحمد ٥/٣٢١ لو عبادة سبقت ترجمته. (٣) صحيح البخاري ٣/٢١٤ كتاب الأشربة، وراجع ٤٨/٢.

(٤) سنن أبين داود كتاب الجهاد، باب في النهي عن النهي، ٣/٩٩.

(٥) آل عمران / ١٦١ (٦) سنن الدارمي ٢/٢٣٠.

(٧) سنن الدارمي ٢/٢٣٠ باب «ما جاء أنه قال أدوا الخيط والمحيط» من كتاب السير.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص: كان رسول الله إذا أصاب غنيمة أمر بلالاً فنادى في الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه فجاء رجل من ذلك بزمام من شعر، فقال: يا رسول الله هذا ما كنا أصبنا من الغنيمة، فقال: «أسمعت بلالاً نادى ثلاثاً» قال: نعم، قال: «ما منعك أن تحيي به؟» فأعترض، فقال: «كن أنت تحيي به يوم القيامة فلن أقبله منك»<sup>١</sup>.

وفي باب الغلول من كتاب الجهاد بسنن ابن ماجة: توفي رجل من أشجع بخير فقال النبي: «صلوا على صاحبكم» فأنكر الناس ذلك وتغيرت له وجوههم فلما رأى ذلك قال: «إن صاحبكم قد غل»<sup>٢</sup>.

وفي باب «ما جاء في الغلول من الشدة» من كتاب السير بسنن الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: «قتل نفر يوم خير فقالوا: فلان شهيد حتى ذكروا رجلاً فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله: «كلّا إني رأيته في النار في عباءة أو في بردة غلّها»<sup>٣</sup>.

وفي باب الغلول من كتاب الجهاد بسنن ابن ماجة: كان على ثقل النبي رجل يقال له كركرة فأت فقال النبي: «... وهو في النار» فذهبوا ينظرون فوجدوا عليه كسا أو عباءة قد غلّها<sup>٤</sup>.

وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود بلفظ آخر وفي آخر الحديث: فجاء رجل - حين سمع ذلك - بشراك أو بشراكين، فقال رسول الله (ص) «شراك أو شراكان من نار»<sup>٥</sup>.

\* \* \*

وإذا كان الإسلام قد منع أفراد الجيش من النهب - أي استملاك المال المظفور به من جهة العدى جهاراً - حتى أن الرسول أكفأ قدور الجائعين الذين كانوا قد نهبوا الأغنام وأرمل لحومها. ونهى عن الاستيلاء عليه سرّاً وسمّاه الغلول أي الحيانة وقال

(١) بسنن أبي داود ١٣/٢ باب تعظيم الغلول من كتاب الجهاد، وفي الكتاب باب في عقوبة الغال ذكر فيه أنهم كانوا يحرقون متاع الغال وفيه باب من كتم غللاً فهو مثله.

(٢) بسنن ابن ماجة ص ٩٥٠.

(٣) بسنن الدارمي ٢/٢٣٠.

(٤) بسنن ابن ماجة ص ٩٥٠.

(٥) تمام الحديث في صحيح البخاري ٣٧/٣ باب غزوة خير، وصحيح مسلم ٧٥/١ بكتاب الإيمان، وسنن أبي داود ١٣/٢ من كتاب الجهاد، وراجع باب تحريم الغلول من كتاب الإمارة بصحيح مسلم ١٠/٦.

الرُّسُولُ: « أَدَا الْخَيْطُ وَالْمَخِيطُ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ فَمَا دُونَ ذَلِكَ » وَلَمْ يَصِلْ عَلَى مَنْ غُلِّ وَلَمْ يَسْمَ الْقَتِيلَ الَّذِي غُلِّ عِبَاءَ بِشَهِيدٍ، وَبِذَلِكَ سَلَبَ الْإِسْلَامُ عَنْ أَفْرَادِ الْجَيْشِ الْغَازِي مِلْكِيَّةَ الْمَالِ الْمَظْفُورِ بِهِ مِنْ جِهَةِ الْعَدَى مَهْمَا كَانَ، وَلَوْ كَانَ شَرَاكَ نَعْلٍ، وَكَيْفَمَا كَانَ، سُرّاً أَوْ جَهَاراً، وَسَيَّاهُ الْقُرْآنُ أَنْفَالاً، وَجَعَلَهُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِيَتَصَرَّفَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ كَيْفَمَا يَرَى، فَمَاذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْمَالِ الْمَظْفُورِ بِهِ مِنْ جِهَةِ الْعَدَى.

أَعْطَى الرَّسُولُ فِي غَزَوَاتِهِ لِلرَّاجِلِ مَا رَأَى أَنْ يُعْطِيَهُ وَلِلْفَارِسِ كَذَلِكَ<sup>١</sup>، سِوَا مَا كَانَ مَتْنٌ آسَتْوَى عَلَى الْمَظْفُورِ بِهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، وَرَضَخَ لِلْمَرْأَةِ<sup>٢</sup>. وَأَكْثَرُ مَنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أُعْطِيَ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ الْغَزَاةَ بِالْمَرَّةِ، مِثْلَ مَا فَعَلَ مَعَ عُثْمَانَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ، وَمَعَ أَصْحَابِ جَعْفَرٍ فِي غَزَاةِ خَيْبَرَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْنَدِي الطَّيَالِسِيِّ وَأَحْمَدَ وَطَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَلَّفَ عُثْمَانَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ عَلَى زَوْجَتِهِ ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، وَأَسْهَمَ لَهُ فِي مَا أَصَابُوا كَوَاحِدَ مَتْنٍ حَضَرَ الْغَزَاةَ<sup>٣</sup>.

وَفِي الصَّفْحَةِ نَفْسَهَا مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ (ص) وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مَهَاجِرِينَ إِلَيْهِ فِي بَضْعٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكَبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَيْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبْشَةِ، وَوَأَقَفْنَا جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ، فَأَقْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدَمْنَا جَمِيعاً فَوَاقَفْنَا النَّبِيَّ (ص) حِينَ أَفْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا أَصْحَابُ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ وَقَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ<sup>٤</sup>.

وَكَذَلِكَ أَعْطَى النَّبِيُّ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ فِي حَنْئِهِ - كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ - أَضْعَافَ سَهْمِ الْمُؤْمِنِ الْمَجَاهِدِ.

هَكَذَا سَلَبَ الْإِسْلَامُ مِلْكِيَّةَ الْمَالِ الْمَظْفُورِ بِهِ مِنْ جِهَةِ الْعَدَى مَتْنٌ ظَفَرَهُ وَجَعَلَهُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَتَصَرَّفَ فِيهِ الرَّسُولُ وَقَسَمَهُ حَسَبَ مَا رَأَاهُ، وَصَحَّ بِهَذَا الْإِعْتِبَارُ أَنَّ

(١) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ٣/٣٦ «بَابُ غَزَاةِ خَيْبَرَ» أَنَّهُ قَسَمَ لِلْفَارِسِ سَهْمَيْنِ وَلِلرَّاجِلِ سَهْماً.

(٢) رَضَخَ لَهُ: أَعْطَاهُ عَطَاءً غَيْرَ كَثِيرٍ.

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ١٣١/٢ بَابُ إِذَا بَعَثَ الْإِمَامُ رَسُولاً إِلَى حَاجَةٍ أَوْ أَمْرٍ بِالْمَقَامِ هَلْ يَسْهَمُ لَهُ مِنْ كِتَابِ الْجِهَادِ وَالسَّرِّ، وَبِمُسْنَدِ الطَّيَالِسِيِّ الْحَدِيثُ ١٩٨٥ وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ٦٨/١ وَ٧٥ وَج ١٠١/٢ وَ١٠٢، وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٥٦/٣، وَبَدَايَةُ الْمُجْتَهِدِ ٤١٠/١ - ٤١٢ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الْجِهَادِ.

(٤) أَوْرَدْنَا الْحَدِيثَ مِنَ الْبُخَارِيِّ بِإِخْتِصَارٍ.

نقول: إنَّ الذي أصابه سهم من المظفور به سواء من حضر الغزوة أو من لم يحضرها، ظفر به بلا مشقة لآته ظفر به من يد رسول الله وليس من الغزو؛ وصحَّ بهذا الاعتبار أن نحسب المظفور به من نوع «الغنيمة والمغنم» بعد ما كانت الغنيمة والمغنم لدى العرب تدلان على ما ظفر به بلا مشقة من غير جهة العدى، وكان للذي ظفر به من جهة العدى تسميات أخرى ذكرناها في ما سبق. وبهذا الاعتبار نزلت آية «واعلموا أنما غنمتم» في هذه الغزوة بعد نزول آية الأنفال بصدر السورة، أو نزلت في غزوة أحد، وأصبح للغنيمة بعد نزول هذه الآية معنيان:

- ١ - معنى لغوي: وهو الفوز بالشيء بلا مشقة؛ وليس من ضمنه المظفور به من جهة العدى، فإن له تسميات خاصة وهي: السلب والنهب والحرب.
- ٢ - معنى شرعي: وهو «ما ظفر به من جهة العدى وغيرهم». كما فتره الراغب، وهكذا جعل الإسلام أسلاب الحرب من مصاديق المغنم بعد أن لم تكن من مصاديقه.

ووجدنا الغنيمة والمغنم مستعملين في الحديث والسيرة، في معناهما اللغوي تارة، كما يستعمل اللفظ في معناه الحقيقي دونما حاجة إلى قرينة كما مرَّ بسابقاً. وتارة في معناهما الشرعي مع وجود قرينة في الكلام، أو في حال التخاطب تدلُّ على المعنى الشرعي المقصود.

هكذا استعمل اللفظان في المعنيين حتَّى عصر انتشار الفتوح على عهد الخليفة عمر فما بعد حيث كثر استعمال مشتقات مادة «غنم» في ما ظفر به من جهة العدى خاصة مع وجود قرائن حالية أو مقالية تدلُّ على هذا القصد. وعند ما جاء اللغويون بعد ذلك، واستقرَّوا موارد استعمال مادة «غنم» لدى العرب في عصرهم فما فوق، وجدوها مستعملة كما يلي:

أ - في الفوز بالشيء بلا مشقة، في العصر الجاهلي و صدر الإسلام لدى العرب عاقبة.

ب - في الفوز بالشيء من جهة العدى وغيرهم، بعد نزول آية الخمس لدى المسلمين خاصة منذ عصر الرسول حتى عصر الصحابة.

ج - في ما ظفر به من جهة العدى خاصة، في عصر الفتوح مع قرائن لم ينتبه إليها، ثم استعملت متدرجاً إلى عصر اللغويين بلا قرينة في المجتمع الإسلامي خاصة

وعند ما قام رواد اللغة بتدوينها لم ينتهوا إلى تطور مدلول مادة «غنم» كما ذكرنا، وأنتج ذلك أن بعضهم لاحظ استعمالها في المدينة بعد تشريع الخمس مثل الراغب فقال: «استعمل في كل مظهره من جهة العدى وغيرهم».

ولا حظ آبن منظور وغيره تارة استعمالها في العصر الجاهلي، وقالوا: «غنم الشيء»: فازبه، والاغتنام: انتهاز الغنم...».

وتارة استعمالها في عصر الفتوح مع قرينة خفيت عليهم وبعدها بلاقرينة، فقالوا: «الغنيمة ما أصيب من أموال أهل الحرب».

وتردد صاحب القاموس في «الغنم» هل هو بمعنى الفوز والنيء<sup>١</sup> كليها أي أنه مشترك بين المعنيين، أو أن الغنيمة بمعنى النيء وسائر مشتقات المادة بمعنى الفوز بالشيء<sup>٢</sup>.

هكذا خلطوا في تفسير مادة «غنم»، والصواب أن نلاحظ تطور مدلول المادة كما ذكرنا ونقول: إن مادة «غنم» كانت:

أ — في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، في اللغة: حقيقة في الفوز بالشيء بلا مشقة.

ب — بعد نزول آية الخمس في الشرع: حقيقة في ما ظفربه من جهة العدى وغيرهم، إلى جنب حقيقتها اللغوية فإنها لم تكن منسبة يومذاك.

ج — في عصر تدوين اللغة لما بعد: حقيقة عند المشرعة — أي المسلمين — في ما ظفربه من جهة العدى خاصة، وذلك أيضاً إلى جنب حقيقتها اللغوية.

وعلى هذا فإننا إذا وجدنا إحدى مشتقات هذه المادة مستعملة في الكلام حتى صدر الإسلام، ينبغي أن نحملها على معناها اللغوي خاصة أي «الفوز بالشيء بلا مشقة» وفي غير ما ظفربه من جهة العدى.

وإذا وجدناها مستعملة بعد تشريع الخمس عند المسلمين أو في التشريع الاسلامي، فاما ان تحمل على معناها اللغوي المذكور وإما على معناها الشرعي: «الظفر بالشيء من جهة العدى وغيرهم» فإنها مشتركة بينهما.

وإذا وجدناها مستعملة عندهم في عصر تدوين اللغة لما بعد، فالأرجح حملها

(١) فسر صاحب القاموس النيء في مادة (النيء) بالغنيمة.

(٢) بمادة «غنم» من القاموس.



على المشهور منها يومذاك عندهم، أعني الظفر بال العدى خاصة.  
ويتضح ممّا ذكرنا أنّا إذا وجدنا إحدى مشتقات هذه المادّة مستعملة في الحديث وغيره بعد تشريع الخمس منذ عصر الرسول وحتى عصر الصحابة، فلا بدّ أن نحملها على أحد معنيين إمّا اللغويّ «الفوز بالشيء بلامشقة»، وإمّا الشرعي «الظفر بالشيء من جهة العدى وغيرهم» فينبغي والحالة هذه أن نبحث عند ذاك عن قرينة تدلّ على المقصود.  
وفي استقراءنا لموارد استعمال هذه الكلمة في ذلك العصر غالباً ما وجدناها مصحوبة بقرينة حالّة أو مقالّة تدلّ على المعنى الشرعي، مع وجود موارد كثيرة استعملت فيها في معناها اللغوي دونما قرينة.

## ٧ - الخمس

الخمس في اللغة: أخذ واحد من خمسة، وخمستُ القوم: أخذتُ خُمس أموالهم.

أمّا معناه الشرعي فينبغي لدركه أن نرجع أولاً إلى عرف العرب في العصر الجاهلي لمعرفة نظامهم الاجتماعي يومذاك في هذا الخصوص، ثمّ نعود إلى التشريع الإسلامي لندرس الخمس فيه وندرس أمره بعد ذلك لدى المسلمين بالتفصيل إن شاء الله تعالى. فإلى دراستها في مايلي:

### أولاً: في العصر الجاهلي

كان الرئيس عند العرب يأخذ في الجاهليّة ربع الغنيمة، ويقال: ربع القوم يربعهم ربعا أي أخذ ربع أموالهم، وربع الجيش أي أخذ منهم ربع الغنيمة، ويقال للربع الذي يأخذه الرئيس: المربع. وفي الحديث، قال الرسول لعديّ بن حاتم قبل أن يسلم: «أنك لتأكل المربع وهولا يحلّ في دينك»<sup>١</sup>. وقال الشاعر:

لك المربع منها والصفايا وحكك والنشيطه والفضول  
الصفايا ما يصطفيه الرئيس، والنشيطه ما أصاب من الغنيمة قبل أن تصير

(١) مادة ربع من القاموس واللسان وتاج العروس ونهاية اللغة لابن الأثير وفي صحاح الجوهري  
بعضه، وسيرة ابن هشام ٢٤٩/٤.

إلى مجتمع الحي، والفضول ما عجز أن يُقسّم لقلته فخصّ به الرئيس<sup>١</sup>.  
وفي النهاية: «إن فلاناً قد ارتبّع أمر القوم، أي انتظر أن يؤمر عليهم، وهو على رباة قومه أي هو سيدهم».

وفي مادة «خمس» من النهاية: ومنه حديث عدي بن حاتم «رُبعت في الجاهلية وخست في الإسلام» أي قُدت الجيش في الحالين، لأنّ الأمير في الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة وجاء الإسلام فجعله الخمس وجعل له مصاريف انتهى<sup>٢</sup>.

#### ثانياً: في العصر الإسلامي

هذا ما كان في الجاهلية، أمّا في الإسلام فقد فرض الخمس في التشريع الإسلامي، وذكر في الكتاب والسنة كما يلي:

#### أ - الخمس في كتاب الله:

قال الله سبحانه: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ كُتِبَ الْجَمْعَانِ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» الأنفال / ٤١.  
هذه الآية وإن كانت قد نزلت في مورد خاص، ولكنها أُعلنت حكماً عاماً وهو وجوب أداء الخمس من أي شيء غنموا - أي فازوا به - لأهل الخمس. ولو كانت الآية تقصد وجوب أداء الخمس ممّا غنموا في الحرب خاصة، لكان ينبغي أن يقول عزّ اسمه: وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ فِي الْحَرْبِ، أو أنّ ما غنمتم من العدى لا أن يقول ان ما غنمتم من شيء.

في هذا التشريع: جعل الإسلام سهم الرئاسة الخمس بدل الربع في الجاهلية، وقلّل مقداره، وكثّر أصحابه فجعله سهماً لله، وسهماً للرسول، وسهماً لذوي قرى الرسول، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل من فقراء أقرباء الرسول، وجعل الخمس لازماً لكلّ ما غنموا من شيء عامة ولم يختصه بما غنموا في الحرب،

(١) في نهاية اللغة ٦٢/٢ (٢) في نهاية اللغة ٣٢١/١، ومسند أحمد ٢٥٧/٤

وعدي: أبو طريف، أسلم سنة ٩ هـ وشهد فتح العراق والجمل وصفين ونهروان مع الإمام، وفقت عينه بصفين. روى عنه المحدثون ٦٦ حديثاً. توفي بالكوفة سنة ٦٨ هـ. ترجمته بالاستيعاب وأسد الغابة والتقريب.

وسمّاه الخمس مقابل المربع في الجاهلية.  
ولمّا كان مفهوم الزكاة مساقواً لحقّ الله في المال - كما أشرنا إليه في ماسبق -  
فحيث ما ورد في القرآن الكريم حثّ على أداء الزكاة في ما ينوف على ثلاثين آية<sup>١</sup>،  
فهو حثّ على أداء الصدقات الواجبة والخمس المفروض في كلّ ما غنمه الإنسان، وقد  
شرح الله حقّه في المال في آيتين: آية الصدقة وآية الخمس.  
كان هذا ما آتفقدناه من كتاب الله في شأن الخمس.

ب - الخمس في الستّة:  
أمر الرسول بإخراج الخمس من غنائم الحرب ومن غير غنائم الحرب مثل  
الركاز كما روى ذلك كلّ من ابن عباس، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله بن الصامت،  
وأنس بن مالك كما يلي:  
في مسند أحمد وسنن ابن ماجّة - واللفظ للأوّل - عن ابن عباس قال: « قضى  
رسول الله (ص) في الركاز الخمس »<sup>٢</sup>.

وفي صحيح مسلم والبخاري، وسنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجّة،  
وموطأ مالك، ومسند أحمد واللفظ للأوّل: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص):  
« العجاء جرحها جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس » وفي بعض الروايات عند  
أحمد: البيمة عقلها جبار<sup>٣</sup>.

شرح هذا الحديث أبو يوسف في كتاب الخراج وقال: كان أهل الجاهلية إذا  
عطب الرجل في قلب جعلوا القلب عقله، وإذا قتله دابة جعلوها عقله، وإذا قتله

(١) راجع مادة « الزكاة » في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٢) مسند أحمد ١/٣١٤، وسنن ابن ماجّة ص ٨٣٩.

(٣) صحيح مسلم ١٢٧/٥ باب (جرح العجاء والمعدن والبئر جبار) أي هدر من كتاب الحدود بشرح  
النووي ١٢/٢٢٥، وصحيح البخاري ١٨٢/١ باب « في الركاز الخمس »، و٣٤/٢ باب « من حفر بئراً في  
ملك لم يضمن » من كتاب المساقاة وسنن أبي داود ٢/٢٥٤ باب « من قتل عمياً بين قوم » من كتاب الحدود،  
وباب « ما جاء في الركاز »، ٧٠/٢، وسنن الترمذي ٣/١٣٨ باب « ما جاء في العجاء جرحها جبار وفي الركاز  
الخمس لله »، وسنن ابن ماجّة ص ٨٠٣ باب من « أصاب ركازاً » من كتاب اللقطة، وموطأ مالك ج ١/٢٤٤  
باب « زكاة الشركاء ». ومسند أحمد ج ٢/٢٢٨ و٢٣٩ و٢٥٤ و٢٧٤ و٢٨٥ و٣١٩ و٣٨٢ و٣٨٦ و٤٠٦ و  
٤١١ و٤١٥ و٤٥٤ و٤٥٦ و٤٦٧ و٤٧٥ و٤٨٢ و٤٩٣ و٤٩٥ و٤٩٩ و٥٠١ و٥٠٧، والأموال لأبي عبيد  
ص ٣٣٦.

معدن جعلوه عقله، فسأل سائل رسول الله (ص) عن ذلك فقال: «العجاء جبار، والمعدن جُبار، والبثر جبار، وفي الركاز الخمس» فقيل له: ما الركاز يا رسول الله؟ فقال: «الذهب والفضة الذي خلقه الله في الارض يوم خلقت»<sup>١</sup> انتهى.

وفي مسند أحمد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص): «السائمة جُبار، والجبت جُبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس» قال الشعبي: الركاز الكنز العادي<sup>٢</sup>.

وفي مسند أحمد عن عبادة بن الصامت قال: من قضاء رسول الله (ص) أنَّ المعدن جبار، والبثر جبار، والعجاء جرحها جبار، والعجاء البهيمة من الأنعام وغيرها. والجبار هو الهدر الذي لا يُعْرَم وقضى في الركاز الخمس<sup>٣</sup>.

وفي مسند أحمد عن أنس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله (ص) إلى شيبير فدخل صاحب لنا إلى خربة يقضي حاجته فتناول لبنة ليستطيب بها فانهارت عليه تبرأ فأخذها فألقى بها النبي (ص) فأخبره بذلك، قال: «زنها» فوزنها فإذا مائتا درهم فقال النبي: «هذا ركاز وفيه الخمس»<sup>٤</sup>.

وفي مسند أحمد: ان رجلا من مزينة سأل رسول الله مسائل جاء فيها: فالكنز نجده في الحرب والآرام؟ فقال رسول الله (ص): «فيه وفي الركاز الخمس»<sup>٥</sup>.

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ولد بالكوفة ١١٣ هـ وتلمذ علي أبي حنيفة وهو أول من وضع الكتب على رأي أبي حنيفة وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، وتوفي سنة ١٨٢ هـ ونقلنا عن كتاب خواجه طالقاهرة ١٣٤٦ هـ ص ٢٦ وقد وضعه لخليفة عصره الرشيد. وعطبت أي هلك. والقليل: البثر لم تطل. والعقل: الدية.

(٢) مسند أحمد ٣/٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٥٦ و ٣٥٣ — ٣٥٤، ومجمع الزوائد ٣/٧٨ باب «في الركاز والمعادن» وأبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي الشعبي. نسبة إلى شعب بطن من همدان. روى عن حسين ومائة من أصحاب رسول الله. توفي بالكوفة سنة ١٠٤ هـ، أنساب السمعاني ص ٣٣٦.

(٣) مسند أحمد ٥/٣٢٦.

(٤) مسند أحمد ٣/١٢٨، ومجمع الزوائد ٣/٧٧ باب «في الركاز والمعادن»، ومغازي الواقدي ص ٦٨٢.

(٥) مسند أحمد ٢/١٨٦ و ٢٠٢ و ٢٠٧، وفي سنن الترمذي ١/٢١٩ باب اللقطة من كتاب الزكاة مع اختلاف في اللفظ. والأموال لأبي عبيد ص ٣٣٧.

وأشار إلى هذه الأحاديث الترمذي في باب: (ما جاء في العجاء جرحها جبار، وفي الركاز الخمس) قال: «وفي الباب عن أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت وعمرو بن عوف المزني وجابر».

وفي مادة «سيب» من نهاية اللغة ولسان العرب وتاج العروس وفي نهاية الإرب والعقد الفريد وأسد الغابة واللفظ للأول: «وفي كتابه — أي كتاب رسول الله — لوائل بن حجر: «وفي السيوب الخمس» السيوب: الركاز». وذكر انهم قالوا: «السيوب عروق الذهب والفضة تسبب في المعدن أي تتكون فيه وتظهر» «والسيوب جمع سيب يريد به — أي يريد النبي بالسيب — المال المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه». وتفصيل كتاب رسول الله هذا في نهاية الإرب للقلقشندي<sup>١</sup>.

#### تفسير ألفاظ الأحاديث:

في سنن الترمذي<sup>٢</sup>: العجاء: الدابة المنفلتة من صاحبها فإصابته في أنفلاتها فلا غرم على صاحبها والمعدن: جُبار يقول: إذا آتت الرجل معدناً فوقع فيها إنسان فلا غرم عليه، وكذلك البئر إذا آتت الرجل للسبيل فوقع فيها إنسان فلا غرم على صاحبها، وفي الركاز الخمس، والركاز، ما وجد من دفن أهل الجاهلية، فن وجد ركازاً أذى منه الخمس إلى السلطان وما بقي له، انتهى.

وفي نهاية اللغة لابن الأثير مادة «ارم»: الآرام، الأعلام وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها، واحدها إرم كعنب، وكان من عادة الجاهلية أنهم إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه.

وفي لسان العرب وغيره من معاجم اللغة: ركزه يركزه: إذا دفنه. والركاز: قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن واحده الركزة كأنه ركز في الأرض. وفي نهاية اللغة: والركزة: القطعة من جواهر الأرض المركزة فيها، وجمع الركزة الركاز.

(١) نهاية الإرب ص ٢٢١ يرويه عن كتاب الشفاء للقاضي عياض، والعقد الفريد ٤٨/٢ في الوفود، وبترجمة الضحاك من أسد الغابة ٣٨/٣ وأشار إلى الكتاب صاحب الاستيعاب وأسد الغابة بترجمة وائل. ووائل بن حجر كان أبوه من أقبال اليمن وفد إلى النبي (ص) وكتب له عهداً جاء فيه ما أورده في المتن، بعث الرسول (ص) معه معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية: أردني فقال: لست من أرداف الملوك، توفي وائل في خلافة معاوية، ترجمته بالإصابة ٥٩٢/٣.

(٢) سنن الترمذي ١٤٥/٦ — ١٤٦ باب «ما جاء في العجاء جرحها جبار».

### خلاصة الروايات السابقة:

خلاصة ما يستفاد من الروايات السابقة، أن رسول الله (ص) أمر بدفع الخمس من كل ما يستخرج من الأرض من ذهب وفضة سواء كان كنزاً أو معدناً وكلاهما ليسا من غنائم الحرب، كما زعموا أنها — أى غنائم الحرب — هي المقصود من « غنمتم » ، في الآية الكريمة، وإنما تدل تلكم الأحاديث على ما برهنا عليه أن ما « غنمتم » قصد به في التشريع الاسلامي « ما ظفر به من جهة العدو وغيرهم » فثبت من جميع ما سبق أن الخمس لا يخص غنائم الحرب وحدها في الإسلام، وكذلك أستفاد الفقهاء من تلكم الروايات مثل القاضي أبي يوسف في كتاب الخراج<sup>١</sup>، فإنه أستنبط من الروايات حكم وجوب أداء الخمس من غير غنائم الحرب.

قال أبو يوسف: في كل ما أصيب من المعادن — من قليل أو كثير — الخمس، ولو أن رجلاً أصاب في معدن أقل من وزن مائتي درهم فضة أو أقل من وزن عشرين ذهباً، فإن في ذلك الخمس. ليس هذا موضع الزكاة<sup>٢</sup>، إنما هو على موضع الغنائم، وليس في تراب ذلك شيء إنما الخمس في الذهب الخالص، والفضة الخالصة، والحديد، والنحاس والرصاص، ولا يحسب لمن استخرج ذلك من نفقته عليه شيء، قد تكون النفقة تستغرق ذلك كله، فلا يجب إذن فيه خمس عليه، وفيه الخمس حين يفرغ من تصفيته قليلاً كان أو كثيراً، ولا يحسب له من نفقته شيء من ذلك، وما أستخرج من المعادن سوى ذلك من الحجارة — مثل الياقوت والفيروزج والكحل والزئبق والكبريت والمغرة — فلا خمس في شيء<sup>٣</sup> من ذلك إنما ذلك كله بمنزلة الطين والتراب.

قال: ولو أن الذي أصاب شيئاً من الذهب أو الفضة أو الحديد أو الرصاص أو النحاس، كان عليه دين فادح لم يبطل ذلك الخمس عنه. ألا ترى لو أن جنداً من الأجناد، أصابوا غنيمة من أهل الحرب، خست ولم ينظر أعيانهم دين أم لا. ولو كان عليهم دين، لم يمنع ذلك من الخمس.

قال: وأما الركاز فهو الذهب والفضة الذي خلقه الله عز وجل في الأرض يوم خلقت، فيه أيضاً الخمس، فمن أصاب كنزاً عادياً في غير ملك أحد فيه ذهب أو فضة

(١) الخراج ص ٢٥ — ٢٧.

(٢) قصد بالزكاة هنا ما يقابل الخمس أي الصدقة.

(٣) هذا يخالف عموم آية الخمس ويخالف ما في فقه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

أوجوه أو ثياب، فإن في ذلك الخمس وأربعة أخماسه للذي أصابه، وهو بمنزلة الغنيمة يغنمها القوم فتحمس وما بقي فلهم.

قال: ولو أن حربياً وجد في دار الإسلام ركازاً، وكان قد دخل بأمان تُزيع ذلك كله منه، ولا يكون له منه شيء. وإن كان ذمياً أخذ منه الخمس، كما يؤخذ من المسلم، وسلم له أربعة أخماسه. وكذلك المكاتب: يجد ركازاً في دار الإسلام فهو له بعد الخمس...

وقال - أيضاً - في «فصل ما يخرج من البحر»: مخاطباً للخليفة هارون الرشيد: «وسألت يا أمير المؤمنين عما يخرج من البحر فإن في ما يخرج من البحر من حلية والعنبر الخمس»<sup>١</sup>.

\* \* \*

استعرضنا في ما سبق روايات رسول الله التي أمرت بدفع الخمس عن أشياء غير غنائم الحرب، وكذلك ما آتفادوه من تلك الروايات، وفي ما يلي نستعرض كتب الرسول (ص) وعهده التي ورد فيها أمر بدفع الخمس.

### الخمس في كتب الرسول (ص) وعهده:

أ - في صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي ومسنند أحمد واللفظ للأول: أن وفد عبد القيس لما قالوا لرسول الله (ص): «إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإننا لانصل إليك إلا في أشهر حرم، فرنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة. وندعو إليه من وراءنا».

قال: «أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع؛ أمركم بالإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتعطوا الخمس من المغنم...» الحديث<sup>٢</sup>.

(١) الخراج ص ٨٣. ونقل أبو عبيد في كتاب الأموال ص ٣٤٥ - ٣٤٨ قولين فيه: أ - أن فيه الزكاة.

ب - أن فيه الخمس.

(٢) بصحيح البخاري ٢٠٥/٤ باب «والله خلقكم وما تعلمون» من كتاب التوحيد، وج ١٣/١ و ١٩ منه، وج ٥٣/٣، وفي صحيح مسلم ٣٥/١ و ٣٦ باب الأمر بالإيمان عن ابن عباس وغيره، وسنن النسائي ٣٣٣/٢. ومسنند أحمد ٣١٨/٣ وج ١٣٦/٥، وعبد القيس قبيلة من ربيعة كانت مواطنهم بتهامة، ثم انتقلوا إلى البحرين وقدم وفدهم على الرسول في السنة التاسعة، ولفظه في ص ١٢ من الأموال لأبي عبيد: «وأن تؤذوا خمس ما غنمتم».

إن الرسول (ص) لما أمر وفد عبد القيس أن يعطوا الخمس من المغنم، لم يطلب اخراج خمس غنائم الحرب من قوم لا يستطيعون الخروج من حيتهم في غير الاشهر الحرم خوفاً من المشركين من مضر، وإنما قصد من المغنم معناه الحقيقي في لغة العرب وهو: الفوز بالشيء بلا مشقة، كما سبق تفسيره، أي: أن يعطوا خمس ما يربحون، أو لأقل من أنه قصد معناه الحقيقي في الشرع وهو: «ما ظفر به من جهة العدى وغيرهم».

وكذلك الأمر في ما ورد في كتب عهوده للوافدين إليه من القبائل العربية وفي ما كتب لرسله إليهم، ولولا ته عليهم مثل ما ورد في فتوح البلاذري، قال: «لما بلغ أهل اليمن ظهور رسول الله وعلوّ حقّه، أتته وفودهم، فكتب لهم كتاباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأراضيهم وركازهم، فأسلموا، ووجه إليهم رسله وعمّاله لتعريفهم شرائع الاسلام وسننه وقبض صدقاتهم وجزى رؤوس من أقام على النصرانية واليهودية والمجوسية».

ثم ذكر هو وابن هشام والطبري وابن كثير واللفظ للبلاذري قال: كتب لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن:

ب — «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله، «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن. أمره بتقوى الله في أمره كلّ، وأن يأخذ من المغنم خمس الله، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل وسقت السماء، ونصف العشر ممّا سقى الغرب»<sup>٢</sup>.

البعل: ما سقى بعروقه، والغرب: الدلو العظيمة.

ج — ومثل ما كتب لسعد هذيم من قضاة، وإلى جذام كتاباً واحداً يعلمهم فرائض الصدقة ويأمرهم أن يدفعوا الصدقة والخمس إلى رسوليّه أبيّ وعنبسة أو من

(١) سورة المائدة، الآية ١

(٢) فتوح البلدان ٨٢/١ باب «اليمن»، وسيرة ابن هشام ٢٦٥/٤ — ٢٦٦، والطبري ١٧٢٧/١ — ١٧٢٩، وتاريخ ابن كثير ٧٦/٥، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٥ واللفظ للأول. وهناك رواية أخرى أوردتها الحاكم في المستدرک ٣٩٥/١، وفي كنز العمال ٥١٧/٥.

وعمر بن حزم أنصاري خنزجي شهد الخندق وما بعدها، توفي سنة إحدى أو ثلاث أو أربع وخمسين هـ بالمدينة. اسد الغابة ٩٩/٤.



أرسلاه»<sup>١</sup>.

إن الرسول (ص) حين طلب من قبيلتي سعد وجدام أن تدفعا الصدقة والخمس إلى رسوليّه أو لمن يرسله إليه، لم يكن يطلب منها خمس غنائم حرب خاضتها مع الكفار، وإنما قصد ما استحق عليهما من الصدقة وخمس أرباحهما.

د — وكذلك ما كتب لمالك بن أحر الجذامي، ولمن تبعه من المسلمين أماناً لهم ما أقاموا الصلاة وآتبعوا المسلمين وجانبوا المشركين وأدّوا الخمس من المغنم وسهم الغارمين وسهم كذا وكذا، الكتاب<sup>٢</sup>.

ه — وما كتب للفجيع ومن تبعه: «من محمد النبيّ للفجيع ومن تبعه وأسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة [وأطاع] الله ورسوله، وأعطى من المغنم خمس الله، ونصر النبيّ وأصحابه، وأشهد على إسلامه، وفارق المشركين فإنه آمن بأمان الله وأمان محمد»<sup>٤</sup>.

و — وما كتب للأسبذيين:

«من محمد النبيّ رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عمان، من منهم بالبحرين أنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله، وأعطوا حقّ النبيّ، ونسكوا نسك المسلمين فإنهم آمنون وإنّ لهم ما أسلموا عليه، غير أنّ مال بيت النار ثنيا لله ولرسوله، وأنّ عشور التمر صدقة ونصف عشور الحب، وأنّ للمسلمين

(١) طبقات ابن سعد ١/٢٧٠، وجدام: يحي كبير من القحطانية، نسبهم بجمهرة ابن حزم ص ٤٢٠ — ٤٢١، وسعد هذيم من بطون قضاعة ينسبون إلى قحطان، نسبهم بجمهرة ابن حزم ص ٤٤٧ أما أبي وعنبسة ففي الصحابة عدد بهذين الاسمين، ولم يميز ابن سعد رسولي النبيّ بكنية أو لقب أو نسب لعرفهما. (٢) بترجة مالك من أسد الغابة ٤/٢٧١، والإصابة ٣/ برقم ٧٥٩٣، ولسان الميزان ٣/٢٠، وفي الأخير ورد اسمه مبارك بدلاً من مالك.

ومالك بن أحر من جذام بن عدي، بطن من كهلان وكانت مساكنهم بين مدين إلى تبوك ولما أسلم مالك سأل الرسول أن يكتب له كتاباً يدعو قومه إلى الإسلام، فكتب له في رقعة آدم عرضها أربعة أصابع وطولها قدر شبر.

(٣) هكذا في أسد الغابة ورجع عندنا هذا على ما في طبقات ابن سعد: «وأعطى».

(٤) بطبقات ابن سعد ١/٣٠٤ — ٣٠٥، وأسد الغابة ٤/١٧٥، والإصابة ٤/ الترجمة ٦٩٦٠ واللفظ للأول في ذكر وفد بني البكاء وهم بطن من بني عامر من العدنانية والفجيع بن عبد الله البكائي. ترجمته في أسد الغابة والإصابة تذكر وفادته إلى الرسول أيضاً بترجمة بشر بن معاوية بن ثور البكائي. الإصابة ١/١٦٠.

نصرهم ونصحهم وأن لهم أرحاؤهم يطحنون بها ما شاءوا<sup>١</sup>.  
إنّ المقصود من حقّ النبيّ في هذا الكتاب هو الخمس وحده أو الخمس  
والصفيّ معاً، وقد سبق شرح الصفيّ.

ز- وكذلك المقصود من «حظ الله وحظّ الرسول» هو الخمس في ما كتب  
«لمن أسلم من حدس ولحم» وأقام الصلاة وأعطى الزكاة وأعطى حظّ الله وحظّ  
الرسول، وفارق المشركين فإنّه آمن بذمة الله وذمة محمّد، ومن رجع عن دينه فإنّ ذمة الله  
وذمة رسوله منه بريئة...<sup>٢</sup> الكتاب.

ح- وفي ما كتب لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه: «ما أقاموا الصلاة وآتوا  
الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا من المغنم خمس الله وسهم النبيّ وفارقوا المشركين  
فإنّ لهم ذمة الله وذمة محمّد بن عبد الله»<sup>٣</sup>.

ط- وفي ما كتب لبني معاوية بن جبرول الطائيين: «لمن أسلم منهم وأقام  
الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم خمس الله وسهم النبيّ  
وفارق المشركين وأشهد على إسلامه أنّه آمن بأمان الله ورسوله وأنّ لهم ما أسلموا  
عليه»<sup>٤</sup>.

وكتاب آخر لبني جوين الطائيين، أو أنّه رواية أخرى للكتاب الأوّل مع

(١) مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حيد الله بقلّ عن الأموال لأبي عبيد ص ٥٢، وصبح الأعشى  
للقلقشندي ٣٨٠/٦.

والأسبدي نسبة إلى قرية بهجر كان يقال لها: الأسبد، وما قيل: أنّه نسبة إلى الأسبديين الذين كانوا  
يعبدون الخيل لا يفتق وما ورد في كتاب الرسول «لعباد الله الاسبديين» فإنّ الرسول قد نسبهم إلى عبودية الله  
وهذا ينافي أن ينسبهم بعده إلى عبادة الخيل. راجع فتح البلدان ص ٩٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٢٦٦/١ وحُدس بن أريش بطن عظيم من لحم من القحطانية، ونسبهم بمجبرة ابن  
حزم ص ٤٢٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٢٧٠/١ باب ذكر بعثة رسول الله (ص) بكتبه، وفي ترجمة جنادة بأسد الغابة  
٣٠٠/١ وراجع كنز العمال ط. الأولى ج ٣٢٠/٥.

وذكروا لجنادة الأزدي أربع تراجم: ١- لجنادة بن أبي أمية. ٢- لجنادة بن مالك ٣- لجنادة  
الأزدي، وهذا لم يذكره اسم أبيه ٤- جنادة غير منسوب، وأوردوا هذا الخبر بترجمة الأخير ولعل الأربعة  
شخص واحد. راجع أسد الغابة ٢٩٨/١ - ٣٠٠. (٤) طبقات ابن سعد ٢٦٩/١.

اختلاف يسير في اللفظ<sup>١</sup>.

ي - وفي ما كتب لجهينة بن زيد: «إن لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها، على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها، على أن تؤدوا الخمس. وفي التبعة والصريمة، شاتان إذا آجتمعتا، فإن فرقنا فشاة شاة، ليس على أهل المثير صدقة...»<sup>٢</sup>.

قال آبن الأثير في نهاية اللغة: «التبعة: اسم لأدنى ما يجب فيه الزكاة». و «الصريمة: القطيع من الإبل والغنم». وقال: «المراد بها - أي بالصريمة - في الحديث في مائة وإحدى وعشرين شاة إلى المائتين، إذا آجتمعت ففيها شاتان وإن كانت لرجلين وفرق بينهما في كل واحدة منها شاة» انتهى. وأهل المثير: أهل بقر الحراث الذي يثير الأرض وليس عليهم فيه صدقة.

ك - وقد ورد في بعض كتب الرسول (ص) ذكر «الصفى» بعد لفظ سهم النبي مثل ماورد في كتابه للوك حمير الآتي: «أما بعد، فإن الله هداكم بهدايته إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة من المغنم، خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة...» الكتاب<sup>٣</sup>.

(١) طبقات ابن سعد ٢٦٩/١.

وجرول بن ثعل بن عمرو بن القوث بن طي، نسبهم بجمهرة ابن حزم ص ٤١٠ - ٤٠١.

(٢) روى هذا الكتاب محمد حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية ص ١٤٢ رقم ١٥٧ عن جمع الجوامع للسيوطي.

وأورد جمادة «صرم» قسماً من الكتاب كل من ابن الأثير في نهاية اللغة وابن منظور في لسان العرب. وجهينة بن زيد من قضاة من القحطانية، نسبهم بجمهرة ابن حزم ص ٤٤٤ - ٤٤٦، وذكرت المصادر الثلاثة الألفه أن الرسول كتب الكتاب مع عمرو بن مرة الجهني ثم الغطفاني وكنيته أبو مريم. وقد إلى النبي وشهد أكثر غزواته، وسكن الشام وأدرك حكومة معاوية أسد الغابة ١٣٠/٤، وفي الإصابة ١٦/٣: أنه رجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ووفدوا إلى رسول الله، وأنه توفي في خلافة معاوية.

(٣) فتوح البلدان ٨٥/١، وفي سيرة ابن هشام ٢٥٨/٤ - ٢٥٩ بلفظ آخر، وكذلك في مستدرك الحاكم ٣٩٥/١، وراجع تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٧٣/٦ - ٢٧٤، وكز العمال ط. الأولى ١٦٥/٦، وص ١٣ من الأموال لأبي عبيد.

ل - وما ورد في كتابه لبني ثعلبة بن عامر: «من أسلم منهم وأقام الصلاة - وآتى الزكاة وخمس المغنم وسهم النبي والصني فهو آمن بأمان الله» الكتاب<sup>١</sup>.

م - وما ورد في كتابه لبني زهير العكليين: «... إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي وسهم الصفي. أنتم آمنون بأمان الله ورسوله»، الكتاب<sup>٢</sup>.

ن - وما ورد في كتابه لبعض أفضاخ جهينة: «من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من الغنائم الخمس وسهم النبي الصفي»<sup>٣</sup>.  
إن الصفي في هذه الكتب ويجمع على الصفايا، هو كل ما كانت خالصة لرسول الله من أموال وضياع وعقار بالإضافة إلى سهمه من الخمس كما شرحناه سابقاً.

\* \* \*

وعدا ما أوردنا في ماسبق ورد ذكر الخمس أيضاً في كتابين آخرين نسباً إلى رسول الله لم نعتمد هما لما ورد في الأول أنه كتبه لعبد يغوث من بلحارث<sup>٤</sup>.

→

وحيدر بن عظيم من القحطانية من بني سبأ بن يشجب، سكنوا اليمن قبل الإسلام. ترجمتهم بجمهرة ابن حزم ص ٤٣٢ - ٤٣٨ وفدوا إلى النبي في السنة التاسعة للهجرة، والكتاب إلى الحارث بن عبد كلال والنعمان من ملوك حير.

(١) ورد الكتاب بترجمة صيني بن عامر من الإصابة ١٨٩/٢ الترجمة ٤١١، وأشار إليه بترجمته في كل من الاستيعاب بهامش الإصابة ١٨٦/٢، وأسد الغابة ٣٤/٣ ووصفه ابن الأثير بسيد بني ثعلبة وبنو ثعلبة بن عامر بطن من بكر بن وائل من العدنانية ونسبهم بجمهرة ابن حزم ص ٣١٦ وذكرت وفادة لبني ثعلبة على رسول الله في السنة الثامنة ولست أدري أكان صيني هذا فيهم أم لا؟ راجع طبقات ابن سعد ٢٩٨/١، وعيون الأثر ٢٤٨/٢.  
(٢) سنن أبي داود ٥٥/٢ باب ما جاء في سهم الصفي من كتاب الخراج، وطبعة دار إحياء السنة النبوية (د. ت) ١٥٣/٣ - ١٥٤. وسنن النسائي ١٧٩/٢، وطبقات ابن سعد ٢٧٩/١، ومسند أحمد ٧٧/٥ و ٧٨ و ٣٦٣، وأسد الغابة ٤/٥ و ٣٨٩، والاستيعاب واللفظ للأول، وفي بعض الروايات: «أعطيتم من المغنم الخمس» وص ١٣ من الأموال لأبي عبيد. وزهير بن أقيش في تاج العروس ٢٨٠/٤ حي من عكل، كتب لهم رسول الله، وفي جمهرة ابن حزم ص ٤٨٠: «بنو عكل بن عوف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر».

(٣) طبقات ابن سعد ٢٧١/١.

(٤) ذكره ابن سعد في الطبقات ٢٦٨/١.

ولم يكن الرسول (ص) يكتب «لعبد يغوث» ويغوث اسم صنم، بل كان يغير أسماء كهذا مثل عبد العزى الذي بدله بعبد الرحمن، وعبد الحجر<sup>١</sup>. وعبد عمرو الأصم الذي بدلها بعبد الله<sup>٢</sup>.

والكتاب الشافي قليل، إنه كتبه لنهشل بن مالك الوائلي<sup>٣</sup> وقد بدأ فيه بلفظ «بأسمك اللهم» بدلاً من بسم الله الرحمن الرحيم الذي كان الرسول يبدأ به كتبه.

\* \* \*

في ما مر من كتب وعهود عندما كتب الرسول (ص) لسعد هذيم «أن يدفعوا الصدقة والخمس إلى رسولي أو من يرسله» لم يكن يطلب منهم أن يدفعوا خمس غنائم حرب أشتروا فيها، بل كان يطلب ما استحق في أموالهم من خمس وصدقة. وكذلك في ما كتب لجهينة أن يشربوا ماء الأرض، ويرعوا أكلاءها على أن يؤدوا الخمس والصدقة، لم يشترط لدفع الخمس خوض الحرب واكتساب الغنائم، بل جعل دفع الخمس والصدقة شرطاً للانتفاع من مرافق الأرض، أي علمهم الحكم الإسلامي في ما يكسبون.

وكذلك عندما علم وفد عبد القيس أن يدفعوا الخمس من المغنم ضمن تعليمهم جبلاً من الأمر أن عملوا بها دخلوا الجنة لم يطلب منهم وهم لا يستطيعون الخروج من حيتهم في غير الأشهر الحرم خوفاً من المشركين أن يدفعوا إليه خمس غنائم حرب يخوضونها ضد المشركين وينتصرون فيها، بل طلب منهم دفع خمس أرباحهم.

وكذلك في ما كتب من عهد لعامله عمرو بن حزم أن يأخذ الصدقات والخمس من قبائل اليمن، لم يعهد إليه أن يأخذ خمس غنائم حرب أشتكت القبائل فيها.

وكذلك في ما كتب لتلك القبائل أو غيرها أن يدفعوا الخمس، وما كتب لغير عمرو بن حزم من عماله أن يأخذوا الخمس من القبائل.

(١) راجع ترجمتها باسد الغابة.

(٢) راجع طبقات ابن سعد ١/٣٠٥.

(٣) طبقات ابن سعد ١/٢٤٨.

إنَّ شأنَ الخمس في كل تلك الكتب والعهد شأن الصدقة فيها وهما حقّ الله في أموالهم حسبما فرضه الله فيها .

ويؤكد ما ذكرناه من أنَّ الخمس فيها ليس خمس غنائم الحرب ويوضحه أنَّ حكم الحرب في الاسلام يخالف ما كان عليه لدى القبائل العربية قبل الاسلام في ان يكون لكل مجموعة أو فرد الاختيار في الاغارة على غير أفراد القبيلة وغير حلفائها لنهب أموالهم كيف ما اتفق، وأنه عند ذاك يملك كل فرد ما نهب وسلب وحرب، وما عليه سوى دفع المربع للرئيس، ليس الأمر هكذا في الاسلام ليصح للنبي أن يطالبهم بالخمس بدل الربع في ما يثيرون من حرب على غيرهم لا ، ليس لفرد مسلم في الاسلام ولا لجماعة اسلامية فيه أن يعلن الحرب على غير المسلم من تلقاء نفسه ويسلب وينهب كما يشاء ويقدر! وإنما الحاكم الاسلامي هو الذي يقدر ذلك ويقرر وفق قوانين الشرع الإسلامي ، والفرد المسلم يتخذ قراره، ثم إنَّ الحاكم الإسلامي - بعد ذلك - أو نائبه هما اللذان يليان بعد الفتح قبض جميع غنائم الحرب، ولا يملك أحد الغزاة عدا سلب القتل شيئاً عما سلب، وإنما يأتي كل غاز بما سلب إليهما، وإلاَّ عدَّ من الغلول العار على أهله، وشنار ونار يوم القيامة .

والحاكم الإسلامي هو الذي يعين - بعد إخراج الخمس - للراجل سهمه ولل فارس سهمه، ويرضخ للمرأة، وقد يشرك الغائب عن الحرب في الغنيمة ويعطي للمؤلفة قلوبهم أضعاف سهم المؤمن المجاهد .

وإذا كان إعلان الحرب وإخراج خمس غنائم الحرب على عهد النبي من شؤون النبي في هذه الأمة فإذا يعني طلبه الخمس من الناس وتأكيده ذلك في كتاب بعد كتاب وعهد بعد عهد إن لم يكن الخمس في تلك الكتب والعهد مثل الصدقة مما يجب في أموال المخاطبين وليس خاصاً بغنائم الحرب .

وعلى هذا فلا بدّ إذاً من حل لفظ الغنائم والمغنم في تلك الكتب والعهد على معناها اللغوي: «الفوز بالشيء بلا مشقة»، أو معناها الشرعي: «ما ظفر به من جهة العدى وغيره» .

١٢٧

أضف الى هذا ما ذكرناه بتفسير الغنيمة في أول البحث من أن الغنيمة أصبحت حقيقة في غنائم الحرب في المجتمع الإسلامي بعد تدوين اللغة لاقبله. ولا يصحّ مع هذا، حمل ماورد في حديث الرسول على ما تعارف عليه الناس قرابة قرنين بعده، وأما ماورد في بعض تلك الكتب والعهود بلفظ «حفظ الله وحفظ الرسول»، أو «حق النبي»، أو «سهم النبي» وما شابهها، فإن تفسيرها في الآية الكريمة «وَأَعْلَمُوا أَن مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...» وفي السنة النبوية التي تبين هذه الآية وتشرحها حيث تعينان سهم الله وسهم النبي في «المغنم» وهو الخمس وهو أيضاً حَقُّها وحفظها.

وبعد ما ثبت مما أوردناه في ما سبق أن النبي كان يأخذ الخمس من غنائم الحرب ومن غير غنائم الحرب، ويطلب ممن أسلم أن يؤدي الخمس من كل ما غنم عدا ما فرض فيه الصدقة، بعد هذا نبحت في مايلي عن مواضع الخمس.

### مواضع الخمس في الكتاب والسنة:

#### في القرآن الكريم:

نصّت آية الخمس على أن الخمس لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وأبن السبيل.  
فن هم (ذي القربى) في الآية؟ ومن هم من ذكروا بعده؟

#### أ- ذوالقرنى

إنّ شأن ذي القرنى، والقرنى، وأولي القرنى، في الكلام شأن الوالدين فيه فكما أنّ «الوالدين» أين ما ورد في الكلام قصد منه والدا المذكورين قبله ظاهراً أو مضمراً أو مقدّراً، كذلك القرنى وأولوه وذووه فمثال المذكور منها ظاهراً قبله في القرآن الكريم قوله تعالى: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قرنى» التوبة / ١١٣.

فالمراد من «أولي قرنى» هنا أولو قرنى النبي والمؤمنين المذكورين ظاهراً قبل

«أولي القرنى».

و مثال المذكور مضمراً قوله تعالى : ﴿ وإذا قلتم فأعدلوا ولو كان ذا قربي ﴾ الأنعام / ١٥٢ ، والمراد من ذي القربي هنا قربي مرجع الضمير في « قلتم » و « أعدلوا » .

و مثال المذكور مقدراً قوله تعالى : « وإذا حضر القسمة أولوا القربى » النساء ٨ . والمراد قرى الميت المقدّر ذكره في ما سبق من الآية ، وكذلك شأن سائر ما ورد فيه ذكر ذي القربي وأولي القربى في القرآن الكريم .  
وقد جمع الله في الذكر بين الوالدين وذي القربى في مكانين منها ، قال سبحانه : ﴿ وبالوالدين إحساناً وذي القربى ﴾ البقرة / ٨٣ ، ﴿ وبالوالدين إحساناً وبذي القربى ﴾ النساء / ٣٦ .

في الآية الأولى قصد والد بني إسرائيل وذوو قرباهم والمذكورين ظاهراً قبلهما ، وفي الآية الثانية قصد والد مرجع الضمير وذووه في « واعبدوا » و « ولا تشركوا » وهم المؤمنون من هذه الأمة .

وإذا ثبت هذا فنقول : لما قال الله سبحانه في آية الخمس : « وأعلموا أنها غنمتم من شيء فأن الله خمسه وللرسول ولذي القربى .. » فلا بد أن يكون المراد من « ذي القربى » هنا ذا قرى الرسول المذكور قبله بلافاصلة بينهما ، وإن لم يكن هذا فذا قرى من قصد الله في هذا المكان ؟!

وكذلك المقصود من ذي القربى في قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى ... »<sup>١</sup> هم قرى الرسول وهو الاسم الظاهر المذكور قبله .

وكذلك المقصود من القربى في قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى »<sup>٢</sup> هم قرى ضمير فاعل « أسألكم » وهو الرسول<sup>٣</sup> .

(١) سورة الحشر / ٧ .

(٢) سورة الشورى / ٢٣ .

(٣) قد يرى العلماء من بعدنا في بحثنا هذا عن ذي القربى ونظائرها توضيحاً للواضحات التي لا ينبغي صرف الوقت في شرحها ولا يعلمون ما وجدنا في عصرنا وفي أقوال نابتة عصرنا من انحراف بعيد عن فهم مصطلحات الإسلام وعقائده وأحكامه فالجأنا ذلك الى امثال هذا الشرح والبسط .



ب - اليتيم

اليتيم هو الذي مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ.

ج - المسكين

المسكين هو المحتاج الذي تسكنه الحاجة عما ينهض به الفتي.

د - ابن السبيل

ابن السبيل هو المسافر المنقطع به في سفره<sup>١</sup>.

ويدلّ سياق آية الخمس على أنّ المقصود يتامى أقرباء الرسول ومساكينهم وأبناء سبيلهم. وأنّ شأن هذه الألفاظ في الآية، شأن «ذي القرى» المذكور قبلها.

ثم إنّ الله تعالى قد جعل للمسكين وابن السبيل - من غير بني هاشم - سهماً في الصدقات عندما عين مورد الصدقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ... وابن السبيل...﴾ التوبة/ ٦٠.

ومن كان منهما من بني هاشم فقد حرمت عليه الصدقة وأبدله الله عنها سهماً في الخمس.

مواضع الخمس في السنة ولدى المسلمين:

١- كان يقسم - الخمس - على ستة: لله وللرسول سهمان وسهم لا قاربه حتى قبض<sup>٢</sup>.

وعن أبي العالية الرياحي: كان رسول الله يؤتي بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهداها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذي القرى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل.

١) راجع تفسير آية الخمس بمجمع البيان ومادة «سبل» من مفردات الراغب.

٢) تفسير النيشابوري بهامش الطبري ج ١٠/ ٤.

فال: والذي جعله للكعبة هو سهم الله<sup>١</sup>.

تصرّح هاتان الروايتان أنّ الخمس كان يقسم ستة أسهم وهذا هو الصواب لموافقته لنصّ آية الخمس، وما في رواية أبي العالية بأنّ الرسول كان يجعل سهم الله للكعبة، لعلّه وقع ذلك مرّة واحدة، وأرى الصواب في ذلك ما رواه عطاء بن أبي رباح قال: «خمس الله وخمس رسوله واحد وكان رسول الله يحمل منه ويعطي منه ويضعه حيث شاء ويصنع به ما شاء»<sup>٢</sup>.

ومثلها ما رواه ابن جريج قال: «... أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله ولرسوله خمسة يضعه حيث شاء وخمس لذوي القرى — الحديث»<sup>٣</sup>. الصواب في رواية أبي العالية وابن جريج ما ورد فيها أنّ أمر سهم الله وسهم رسوله من الخمس كان إلى رسول الله يحمل منها ويعطي منها ويضعها حيث شاء ويصنع بها ما شاء. أمّا ما يفهم من الروايتين أنّ «سهم الله وسهم الرسول واحد» فإلّا يخالف ظاهر آية الخمس حيث قسم الله فيها الخمس إلى ستة أسهم، إلّا إذا قصدوا أنّ أمر السهمين واحد ولم يقصدوا أنّ السهمين سهم واحد.

وكذلك لا يستقيم ما رواه قتادة إذ قال: كان نبيّ الله إذا غنم غنيمة جعلت أخماساً فكان خمس لله ولرسوله ويقسم المسلمون ما بقي وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله، لرسوله ولذوي القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل. فكان هذا الخمس خمسة أخماس، خمس لله ولرسوله. الحديث<sup>٤</sup>.

(١) الأموال لأبي عبيد ص ٣٢٥ و ص ١٤ وتفسير الطبري ج ٤/١٠، وأحكام القرآن للحصاص ج ٦٠/٣، وفي ص ٦١ منه بإيجاز واللفظ للأول.

وأبو العالية الرياحي هورفع بن مهران مات سنة تسعين أو بعدها، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. تهذيب التهذيب ٢٥٢/١.

(٢) الأموال لأبي عبيد ص ١٤.

وعطاء ابن أبي رباح وآسم أبي رباح أسلم المكي مولى قريش، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. مات سنة ١١٤ هـ، تهذيب التهذيب ٢٢/٢.

(٣) تفسير الطبري ج ١٠/٥ بسنتين.

وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز المكي مولى بني أمية، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. توفي سنة ١٥٠ هـ أو بعدها. تهذيب التهذيب ٥٢٠/١.

(٤) تفسير الطبري ج ٤/١٠.



١٣١

ويظهر من رواية ابن عباس في تفسير الطبري أن جعل السهمين سهماً واحداً كان بعد النبي قال: «جعل سهم الله وسهم الرسول واحداً، ولذي القرى فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح»<sup>١</sup>.

وروى الطبري — أيضاً — عن مجاهد أنه قال: كان آل محمد (ص) لا تحلّ لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس<sup>٢</sup>.

وقال: قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة<sup>٣</sup>.

وقال: هؤلاء قرابة رسول الله (ص) الذين لا تحلّ لهم الصدقة<sup>٤</sup>.

وقال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأنفال: «وآعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القرى» الآية.

قال: نعم،

قال: فإنكم لأنتم هم؟

قال: نعم<sup>٥</sup>.

كان هذا تفسير لفظ «ذي القرى» الوارد في آية الخمس وغيرها. أما اليتامي والمساكين، فقد قال النيسابوري في تفسير الآية: روي عن علي بن الحسين (ع) أنه قيل له: إن الله تعالى قال: «واليتامي والمساكين». فقال: أيتامنا ومساكيننا<sup>٦</sup>.

وروى الطبري عن منهال بن عمرو قال سألت عبد الله بن محمد بن علي،

وقتادة بن دعامة الدوسي أبو الخطاب البصري، أخرج حديثه أصحاب الصحاح مات سنة بضع عشرة ومائة. تهذيب التهذيب ١٢٣/٢.

(١) تفسير الطبري ج ١٠/٦.

٢ و ٣ و ٤ و ٥. تفسير الطبري ج ١٠/٥.

(٦) تفسير النيسابوري بهامش الطبري، وتفسير الطبري ج ١٠/٧.

والإمام علي بن الحسين زين العابدين توفي سنة ٩٤ هـ، أخرج حديثه أصحاب الصحاح تهذيب التهذيب ٣٤/٢.

(٧) والمنهال بن عمرو الأسدي — مولا هم — الكوفي من الطبقة الخامسة، أخرج حديثه أصحاب الصحاح عدا مسلم. تهذيب التهذيب ٢٧٨/٢.

وعبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب توفي في الشام سنة ١٩٩ هـ، أخرج حديثه أصحاب الصحاح تهذيب التهذيب ٤٤٨/٢.

وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا: هولنا.  
فقلت لعلي: إنّ الله يقول: «واليتامى والمساكين وآبن السبيل».  
فقالا: يتامانا ومساكيننا<sup>١</sup>.

إلى هنا أعتمدنا كتب الحديث والسيرة والتفسير لدى مدرسة الخلفاء في ما  
أوردناه من أمر الخمس، وفي مايلي مواضع الخمس لدى مدرسة أهل البيت.

#### مواضع الخمس لدى مدرسة أهل البيت:

تواترت الروايات عن أئمة أهل البيت أنّ الخمس يُقسم على ستة أسهم: سهم  
منه الله، وسهم منه لرسوله، وسهم لذي القربى، وسهم ذي القربى في عصر الرسول  
لأهل البيت خاصة ومن بعده لهم، ثم لساائر الأئمة الاثني عشر من أهل البيت، وأنّ  
السهم الثلاثة لله ولرسوله ولذي القربى للعنوان، وأنّ سهم الله لرسوله يضعه حيث  
يشاء، وما كان للنبي من سهمه وسهم الله يكون من بعده للإمام القائم مقامه، فتصف  
الخمس في هذه العصور كمالاً لإمام العصر، سهمان له بالوراثة وسهم مقسوم له من الله  
تعالى وهو سهم ذي القربى، وأنّ هذه الأسهم الثلاثة لإمام العصر من حيث إمامته،  
والأسهم الثلاثة الأخرى سهم لأيتام بني هاشم وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء  
سبيلهم، وهؤلاء هم قرابة النبي الذين ذكرهم الله في قوله «وأندر عشيرتك  
الأقربين».

وهم بنو عبد المطلب، الذكر منهم والآثى، وهم غير أهل بيت النبي. وملاك  
الاستحقاق في الطوائف الثلاث أمران:  
أ - قرباتهم من رسول الله.

ب - افتقارهم إلى الخمس في مؤونتهم، خلافاً لأصحاب السهام الثلاثة  
الأول الذين كانوا يستحقونها بالعنوان.

ويقسم نصف الخمس على الطوائف الثلاث من بني هاشم على الكفاف  
والسعة ما يستغنون به في سنتهم، فإن فضل عنهم شيء فللوالي. وإن عجز أو نقص عن  
استغنائهم فإنّ على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به، وإتيا صار عليه أن

يؤلمه لأن له ما فضل عنهم.

ويعتبر في الطوائف الثلاث أنتسابهم إلى عبد المطلب بالأبوة، فلو انتسبوا بالأبوة خاصة لم يعطوا من الخمس شيئاً وتحل لهم الصدقات لأن الله يقول: «أدعوهم لآبائهم».

وروي عن الإمام الصادق: أن المطلب يشارك الهاشمي في سهام الخمس في الحديث المروي عنه: «لو كان العدل ما احتاج هاشمي ولا مطلبي إلى صدقة، أن الله عز وجل جعل لهم في كتابه ما كان فيه سعته، ثم قال: إن الرجل إذا لم يجد شيئاً حلت له الميتة، والصدقة لا تحل لأحد منهم إلا ألا يجد شيئاً ويكون ممن حلت له الميتة». وإن ما قبضه واحد من أفراد الطوائف الثلاث من باب الخمس وتملكه، يصح بعد وفاته كغيره مما تركه ينتقل إلى وارثه، وكذلك ما كان قد قبضه النبي أو الإمام الماضي من الأسهم الثلاثة وتملكه ينتقل بعد وفاته إلى وارثه على حسب ما تقتضيه آية الموارث لا آية الخمس<sup>١</sup>.

رواية واحدة تبين موضع الخمس في عصر الرسول:

في سنن أبي داود ومسنند أحمد وتفسير الطبري وسنن النسائي وصحيح البخاري، واللفظ للأول في باب مواضع قسم الخمس وسهم ذي القرنين من كتاب الخراج، عن جبير بن مطعم، قال:

لما كان يوم خيبر وضع رسول الله (ص) سهم ذي القرنين في بني هاشم وبني المطلب، وترك بني نوفل وبني عبد شمس فأطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا النبي (ص) فقلنا: يا رسول الله! هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم، فما بال إخوان بني المطلب أعطيتهم وتركنا وقرابتنا واحدة، فقال رسول الله (ص):

«أنا وبني المطلب لا نفترق — وفي رواية النسائي: إن بني المطلب لم يفارقوني — في جاهلية ولا إسلام وإننا نحن وهم شيء واحد» وشبك بين أصابعه<sup>٢</sup>.

(١) رجعت في هذا البحث إلى مصباح الفقيه للهدائي، كتاب الخمس ص ١٤٤ — ١٥٠، وأوجزت متون الأحاديث التي استشهد بها وأوردته هنا بالإضافة إلى رجوعي إلى الموسوعات الحديثية الأخرى.

(٢) رواه أبوداود في سننه ج ٢/٥٠، والطبري في تفسيره ٥٠/١٠، وأحد في مسنده ٨١/٤، ويختلف

وفي رواية أخرى بمسند أحمد أنّ ذلك كان في غزوة حنين<sup>١</sup>.  
وفي رواية ثالثة بسنن أبي داود وسنن النسائي ومسند أحمد لم تعين فيها الغزوة<sup>٢</sup>.

وسبب قول عثمان وجبير لرسول الله ما قالاه وجوابه إياهما بما مرّ، ان  
عبد مناف ولد بنين أربعة:  
أ - هاشم واسمه عمرو.  
ب - المطلب.  
ج - عبد شمس.  
د - نوفل<sup>٣</sup>.

واجمعت بنوهاشم وبنو المطلب على نصرة رسول الله، وحاربهم قريش جميعاً  
وكتبت عليهم صحيفة بمقاطعتهم، فدخلوا جميعاً شعب أبي طالب ومكثوا فيه سنين  
المقاطعة خلافاً لبني عبد شمس وبني نوفل الذين شاركوا قريشاً في أمرهم، وفي ذلك  
يقول ابن أبي الحديد :

وكان ممّا بظاً ببني نوفل عن الاسلام ابطاء اخوتهم من بني عبد شمس، فلم  
يصحب النبي منهم أحد، ولا شهد مشاهدته الكريمة خلافاً لبني المطلب، فقد حثهم على  
الاسلام بفضل محبتهم لبني هاشم لأنّ امر النبي كان بيناً، وإنّما كان يمنع عنه الحسد  
والبغض، ومن لم يكن فيه هذه العلة، لم يكن له دون الاسلام مانع وشهد بدرأ من  
بني المطلب بنو الحارث بن المطلب كلّهم: عبيدة وطفيل وحصين، ومسطح بن اثانة بن  
عباد بن المطلب، وقال أبو طالب لمطعم بن عدي بن نوفل في أمر النبي لما تملأت عليه  
قريش:

→

لفظهم من لفظ البخاري في صحيحه ٣٦/٣ باب غزوة خيبر، وعن لفظ النسائي في سننه ١٧٨/٢، وباب قسمة  
الخنس من كتاب الجهاد في سنن ابن ماجه ص ٩٦١ والواقدي في مغازيه ص ٦٩٦، وفيه: إنّ ذلك كان بإشارة  
جبرئيل، وأبي عبيد في الأموال ص ٣٣٩.

وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وأمّ أمه أم حبيب بنت العاص بن أمية وكان أبوه  
أحد من قام بنقض صحيفة المقاطعة. أسلم بعد الحديبية أو بعد الفتح. أسد الغابة ٢٨١/١.  
(١) مسند أحمد ٨٥/٤.

(٢) سنن أبي داود ٥١/٢ - ٥٢، وسنن النسائي ١٧٨/٢، ومسند أحمد ٨٣/٤.

(٣) راجع الجمهرة لابن حزم ص ١٤.

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا جزاء مسي عاجلاً غير آجل

الآيات - انتهى<sup>١</sup>.

ذكر الراوي في هذا الحديث وهو جبير بن مطعم أن الرسول (ص) وضع « سهم ذي القرنى » في بني هاتسم وبني المطلب، ونحن نرى أن الذي شاهده الراوي في هذا الخبر هو أن الرسول دفع إلى هؤلاء من سهام الخمس ولم يدفع منها إلى بني أمية وبني نوفل. أما تشخيص السهم الذي دفع الرسول منه إلى هؤلاء، فهذا ما ذكره الراوي من عند نفسه ولم يرو أن الرسول قال ذلك. ومن الجائز أن الرسول قد أعطى بعض أولئك من سهم الله وسهم رسوله، فإن الرسول كان يضعها حيث يشاء كما سبق ذكره، وأنه أعطى بعضهم من سهم المساكين فإن الصدقة كانت محرمة على فقراهم كما يأتي بيانه في مايلي.

#### تحريم الصدقة على الرسول وذوي قريبه

إن الأحاديث في ذلك كثيرة، منها ما رواه مسلم في صحيحه: أن النبي (ص) كان إذا أتى بطعام سأل عنه فإن قيل هدية أكل منها وإن قيل صدقة لم يأكل منها<sup>٢</sup>. ومنها ما رواه مسلم والبخاري في صحيحهما، وأبوداود والدارمي في السنن:

(١) أوردناه باختصار من شرح النهج ٤٨٦/٣، وعبيدة «عبيد في المتن معرف» وطفيل وحسين أهم سحيلة بنت خزاعي الثقي، أسلم عبيدة قبل دخول النبي دار الأرقم، وكان أسن من النبي بعشرين وهاجر مع أخوته وابن عمهم مسطح إلى المدينة في وقت واحد. وفي ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة، عقد له رسول الله أول لواء عقد وبمعه في ستين راكباً من المهاجرين فالتقوا بالمشركين ورئيسهم أبوسفیان بشية المرة، وبارز عبيدة عتبة الأموي بيدراً فاختلغا ضربتين أثبت كل منهما صاحبه فلفف علي وحمزة على عتبة وحملوا عبيدة إلى رسول الله فوضع رأسه على ركبته وتوفي بالصفراء مرجعهم من بدر وعمره ثلاث وستون سنة - أسد الغابة ٣٥٦/٣، وتوفي الطفيل سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين وتوفي أخوه الحصين بعده بأربعة أشهر. أسد الغابة ٥٢/٣.

روى ابن الأثير بترجمة الحصين في أسد الغابة ٢٤/٣ عن ابن عباس أن قوله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربه» الآية ١١٠ من سورة الكهف نزلت في علي وحمزة وجعفر وعبيدة والطفيل والحصين بني الحارث ومسطح ابن أئانة بن عباد بن المطلب.

ومسطح أمه ابنة أبي رهم بن المطلب وأم أمه رانطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر. قيل توفي سنة أربع وثلاثين وقيل شهد صفين مع علي وتوفي سنة ٣٧. أسد الغابة ٣٥٤/٤.

(٢) صحيح مسلم ١٢١/٣ باب قبول النبي الهدية وردة الصدقة بجميع الزوائد ٩٠/٣.

إِنَّ النَّبِيَّ مَرَّ بِتَمْرَةٍ بِالطَّرِيقِ فَقَالَ: «لَوْلَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا» وَأَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: كَخْ كَخْ إِمْرَ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَا لَأَنَا أَكُلُ الصَّدَقَةَ.

وفي رواية «أَنَا لَا تَحَلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ»<sup>١</sup>.

وكان الرسول (ص) يأبى أن يستعمل بني هاشم على الصدقات، فينتفعوا من سهم العاملين عليها كما رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وأبو عبيد وغيرهم واللفظ للأول، قال:

اجتمع ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب، فقالا: واللَّهِ لو بعثنا هذين الغلامين «لعبد المطلب بن ربيعة<sup>٢</sup> والفضل بن عباس» إلى رسول الله (ص) فكلمناه فأمروهما على هذه الصدقات، فأذيا ما يؤذي الناس، وأصابا مئتا يصيب الناس. قال: فبينما هما في ذلك جاء علي بن أبي طالب فوقف عليهما فذكر له ذلك فقال علي بن أبي طالب: لاتفعلا فواللَّهِ ما هو بفاعل، فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال: واللَّهِ ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا، فواللَّهِ لقد نلت صهر رسول الله (ص) فما نفسناه عليك، قال علي: أرسلوهما فأنطلقا وأضطجع علي.

وفي رواية: فألقى علي رداءه ثم أضطجع عليه وقال: أنا أبو الحسن القرم، واللَّهِ لا أريم مكانني حتى يرجع إليكما ابناكما بحور ما بعثتا به.

قال عبد المطلب: فلما صلى رسول الله (ص) الظهر سبقتنا إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بأذاننا ثم قال: «أخرجوا ما تصرران»، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش، قال: فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا فقال: يا رسول الله! أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمنا على بعض هذه الصدقات فنؤذي إليك كما يؤذي الناس، ونصيب كما يصيبوا، قال: فسكت

(١) صحيح البخاري ١/١٨١ باب ما يذكر في الصدقة للنبي من كتاب الزكاة، وصحيح مسلم ٣/١١٧ باب تحريم الزكاة على رسول الله وعلى آله، وسنن أبي داود ١/٢١٢ باب الصدقة على بني هاشم من كتاب الزكاة، وسنن الدارمي ١/٣٨٣ باب الصدقة لا تحل للنبي ولا لأهل بيته، وراجع ص ٣٧٣ منه، ومجمع الزوائد ٣/٨٩، ودعائم الإسلام ص ٢٤٦، والبحار ٩٦/٧٦ باب حرمة الزكاة على بني هاشم.  
(٢) روى مسلم في هذا الباب من صحيحه روايتين في هذا الأمر في الأولى منها خطأ اسم «نوفل بن الحارث» بدلا من «عبد المطلب بن ربيعة» والتصويب من الرواية الثانية.



طويلاً حتى أردنا أن نكلّمه — وجعلت زينب تُلْمَعُ علينا من وراء الحجاب أن لا تكلّماه — ثم قال: «إنّ الصدقة لا تنبغي لآل محمد، أنّها هي أوساخ الناس، أدعو الي محمّية - وكان على الخمس - ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب» قال: فجاءه، فقال لمحمّية: «أنكح هذا الغلام ابنتك». للفضل بن عباس، وقال لنوفل بن الحارث: أنكح هذا الغلام ابنتك». لي، فأنكحني، وقال لمحمّية: أصدق عنها من الخمس كذا وكذا<sup>١</sup>.

هكذا أبى الرسول أن يستعمل واحداً من بني هاشم على الصدقات. ومن ثمّ نعرف خطأ من توهم أنّ الرسول بعث عليّاً إلى اليمن مصدّقاً، والصواب ما قاله ابن قيمّ الجوزية<sup>٢</sup> في: «فصل في أمرائه» من كتاب زاد المعاد قال: «وولي علي بن أبي طالب الأخماس باليمن والقضاء بها».

(١) صحيح مسلم ١٨/٣ باب تحريم الزكاة على آل النبي، ومسند أحمد ١٦٦/٤، وسنن النسائي ٣٦٥/١ باب استعمال آل النبي، وسنن أبي داود ٥٢/٢ كتاب الخراج والإمارة باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى ح ٢٩٨٥، وطحار إحياء السنة النبوية ١٤٧/٣ — ١٤٨؛ والأموال لأبي عبيد ص ٣٢٩، وجميع الزوائد ٩١/٣، وفي ترجمة عبد المطلب ابن ربيعة ونوفل بن الحارث ومحمّية باسم الغابة، وفي تفسير التبايش ٩٣/٢، ومغازي الواقدي ص ٦٩٦.

وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان أسن من عمه العباس، وشريك عثمان في التجارة وأعطاه الرسول من خيبر مائة وسق. توفي بالمدينة سنة ٢٣. أسد الغابة ٦٦/٢.

وابنه عبد المطلب توفي بدمشق سنة ٦١ هـ. أسد الغابة ٣٣١/٣. والفضل بن عباس، كان أكبر ولد أبيه، شهد غسل النبي اختلفوا في سنة وفاته ومكان وفاته في البرموك أو حمص أو يوم مرج المصفر، أسد الغابة ١٨٣/٤، اخرج له اصحاب الصحاح السنة ٢٤ حديثاً، تقريب التهذيب ١١٠/٢، وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

ونوفل بن الحارث أخى الرسول بينه وبين العباس وكانا شريكين في الجاهلية توفي بالمدينة سنة خمس عشرة. أسد الغابة ٤٦/٥.

ومحمّية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدي، كان قديم الإسلام شهد غزوة المريسيع. أسد الغابة ٢٣٤/٤.

تفسير الألفاظ من النووي شارح صحيح مسلم:

فانتجناه ربيعة: أي عرض له وقصده. وما تصرّان: أي تجمعه في صدركما من الكلام وكل شيء جمعته فقد صرّته. وتواكلنا: أي وكل أحدنا الكلام إلى صاحبه. و: ألغ ولغ أشار بثوبه أو بيده. القرم: السيد وقصد منه المقدم في معرفة الامور وبحور ما بعثنا به: أي بجوابه.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيمّ الجوزية ٦٩١ — ٧٥١ هـ من تأليفه «زاد المعاد في هدى خير العباد» رجعتنا إلى ط. الحلبي بمصر سنة ١٣٩٠ هـ ج ١/٤٧.

وقال قبله في: «فصل في كتبه ورسله (ص) إلى الملوك»: وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك وقيل: بل سنة عشر من ربيع الأول داعيين إلى الإسلام، فأسلم عاعة أهلها طوعاً من غير قتال. ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب إليهم ووافاهم بمكة في حجة الوداع<sup>١</sup>.

ولعل سبب الوهم عند بعضهم ما أصبح بعد الرسول وبعد إسقاط الخلفاء فريضة الخمس كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، فإنه لم يبق ما يجبي من المسلمين غير الصدقات الواجبة فحسب أولئك عصر الرسول مثل عصورهم ومن هنا نشأ الوهم عندهم أن الرسول بعث علياً مصدقاً وقد فاتهم أن الرسول كان يمنع مولاة من مشاركة المصدق في عمله فكيف بآبن عمه وأبي عترته؟

كما رواه أبوداود والنسائي والترمذي في سننهم، قالوا: إن النبي بعث رجلاً على الصدقة من بني مخزوم — قال الترمذي: اسمه الأرقم ابن أبي الأرقم — فقال لأبي رافع: أصحبي كي ما تصيب منها. قال: لا حتى آتي رسول الله فأسأله.

فأنطلق إلى النبي فسأله فقال: مولى القوم من أنفسهم وإننا «لا تحل لنا الصدقة»<sup>٢</sup>. كذا منع النبي أبا رافع أن يصاحب المصدق فيصيب من سهم العاملين على الصدقة لأنه مولاة، وكذلك فعل أئمة أهل البيت بعد الرسول فإنهم آمنتوا من أخذها ومنعوا بني هاشم كافة عنها.

في دعائم الاسلام: أن الإمام جعفر بن محمد الصادق لما قيل له: فإذا منعتم الخمس هل تحل لكم الصدقة؟

قال: لا، والله ما يحل لنا ما حرم الله علينا بغصب الظالمين حقناً، وليس

(١) زاد المعاد ٤٦/١، وراجع سنن أبي داود كتاب الأقضية، باب كيف القضاء ١٢٧/٣.

(٢) سنن أبي داود ٢١٢/١ باب «الصدقة على بني هاشم» من كتاب الزكاة، والنسائي ٣٩٦/١ باب «مولى القوم منهم» من كتاب الزكاة، والترمذي ١٥٩/٣ باب «ما جاء في كراهية الصدقة للنبي وأهل بيته ومواليه» من كتاب الزكاة، ومجمع الزوائد ٩٠/٣ — ٩١، وكنز العمال ٢٥٢/٦ — ٢٥٦، وأما الطوسي ١٧/٢، والبحار ٥٧/٩٦، وفي ألفاظ رواياتهم بعض الاختلاف. وسنن البيهقي ٣٢/٧.

وأبو الأرقم، اسمه عبد مناف، وكان الأرقم من السابقين إلى الإسلام وأستخفى الرسول في بيته بأصل الصفا بمكة حتىكملوا أربعين رجلاً، شهد بدرأ وما بعدها وتوفي بالمدينة سنة خمس وخمسين ودُفن بالبقيع. اسد الغابة ٥٩/١ — ٦٠.

منعهم إيانا ما أحلّ الله لنا بمحلّ لنا ما حرّم الله علينا<sup>١</sup>.  
وفي الخصال عن الصادق عن أبيه (ع) قال: لا تحلّ الصدقة لبني هاشم إلا  
في وجهين: إن كانوا عطاشاً وأصابوا ماءً شربوا، وصدقة بعضهم على بعض<sup>٢</sup>.  
ومن هنا نعرف أنّ ما كان يقبله أئمة أهل البيت ممّا يدفعه إليهم حكّام  
عصورهم من أموال بيت المال، كان من باب بعض حقّهم في النية والأنفال، وجزء  
رؤوس أهل الذمّة، وخمس غنائم الفتوح، وليس من باب الصدقات الواجبة كما توهمه  
البعض.

أمّا المياه المسبلة للشرب، فجلبها من باب الأوقاف التي أوقفها أصحابها  
لانتفاع عامة المسلمين. وشأنها في ذلك، شأن المنازل المشيّدة في طرق المسلمين  
ومساجدهم، فهي وإن كان أصحابها قد تقربوا إلى الله بانفاقها في سبيله وبهذه المناسبة  
قد تسمّى بالصدقات، غير أنّها ليست من باب الصدقات على الأفراد موضوع البحث  
كـي لا يصحّ - لغير الفقير من غير بني هاشم - الانتفاع بها بل هي لانتفاع المسلمين كافة  
سواء فيها الفقير والغني والأمير والسوقة والهاشمي وغيره، فهي لهذا خارجة عن موضوع  
البحث.

\* \* \*

إلى هنا ذكرنا ما وجدنا في مصادر الدراسات الإسلامية من أمر الخمس،  
وأصحاب سهامه في عصر الرسول، وحرمة الصدقة على بني هاشم ومواليهم وأمتناعهم  
عنها في عصره ومن بعده. أمّا ما فعل الخلفاء في فريضة الخمس وكيفية اجتهدهم فيه  
وفي حقّ أبنة الرسول خاصّة فيلزمنا أيضاً لفهمها درس ما خلفه الرسول من ضياع  
وعقار، ثمّ درس ماجرى عليها من قبل الخلفاء، وشكوى فاطمة منهم في أمرها وفي أمر  
الخمس، فإلى دراسة كلّ ذلك في مايلي:

**تركة الرسول وشكوى فاطمة من تصرفهم فيها وفي سهمها من الخمس**  
قال القاضي الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) وأبو يعلى (ت: ٤٥٨ هـ): صدقات  
رسول الله (ص) التي أخذها بحقّه فإنّ أحد حقّيه الخمس من النية والغنائم، والحقّ

(١) دعائم الإسلام ص ٢٤٦، والبحار ٧٦/٩٦.

(٢) الخصال ٣٢/١، والبحار ٧٤/٩٦.

الثاني أربعة أحاس النبي الذي أفاءه الله على رسوله مما لم يوجب عليه المسلمون بخيل ولا ركاب... إلى قولها: فأما صدقات النبي (ص) فهي ثمانية: إحداهما وهي أول أرض ملكها رسول الله (ص): وصية مخريق اليهودي «الحوائط السبعة».

والصدقة الثانية: أرضه من أموال بني النضير بالمدينة. والصدقة الثالثة والرابعة والخامسة: ثلاثة حصون من خيبر. والصدقة السادسة: النصف من فلك.

والصدقة السابعة: الثلث من أرض وادي القرى.

والصدقة الثامنة: موضع سوق بالمدينة يقال له مهزورا.

وقال القاضي عياض (ت: ٥٤٤ هـ): «إنها صارت إليه بثلاثة حقوق:

أحدها: ما وهب له (ص) وذلك وصية مخريق اليهودي له عند إسلامه يوم أحد، وكانت سبع حوائط في بني النضير وما أعطاه الأنصار من أرضهم وهو ما لا يبلغه الماء، وكان هذا ملكا له (ص).

الثاني: حقه من النبي من أرض بني النضير حين أجلاهم، كانت له خاصة لأنها لم يوجب عليها المسلمون بخيل ولا ركاب. وأما منقولات بني النضير، فحملوا منها ما حملته الإبل، غير السلاح كما صالحهم، ثم قسم (ص) الباقي بين المسلمين، وكانت الأرض لنفسه ويخرجها في نوائب المسلمين. وكذلك نصف أرض فلك، صالح أهلها بعد فتح خيبر على نصف أرضها، وكانت أيضاً خالصة له، وكذلك ثلث أرض وادي القرى أخذها في الصلح حين صالح أهلها اليهود، وكذلك حصنان من حصون خيبر وهما الوطيط والسلام أخذها صلحاً.

والثالث: سهمه من خمس خيبر، وما أفتتح فيها عنوة فكانت هذه كلها ملكاً لرسول الله (ص) خاصة لاحق فيها لأحد غيره...»<sup>٢</sup>.

١) الأحكام السلطانية للمؤردى هـ ١٦٨ - ١٧٢، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٨١ -

١٨٥.

٢) بشرح النووي على صحيح مسلم ٨٢/١٢ باب حكم النبي من كتاب الجهاد.

والقاضي عياض هو أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبي، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته. له تصانيف شهيرة منها «شرح صحيح مسلم» مخطوط، ولعل النووي نقل منه ما أورده هنا. توفي في مراكش سنة ٥٤٤ هـ، راجع ترجمته في «وفيات الأعيان» و«الأعلام».

انتهى ما قاله القضاة الثلاثة، وفي ما يلي شرح بعض اقوالهم:

أ — قولهم: «صدقات رسول الله (ص)». اصطلاح علماء مدرسة الخلفاء من محدّثين ومؤرّخين وفقهاء ولغويين إلى تسمية كلّ ما خلفه الرسول (ص) من ضياع وعقار بالصدقات استناداً إلى ما رواه أبو بكر وحده عن رسول الله أنّه قال: «ما تركنا صدقة».

ب — ما ذكروا من املاك رسول الله. وفي ما يلي شرحها ومنشأ تملكه اياها:

بيان ما تملكه الرسول ومنشؤه:

أ — وصية مخريق: كان مخريق أيسر بني قينقاع، وكان من أحبار اليهود وعلمائهم بالتوراة<sup>١</sup>. وعند ما هاجر رسول الله إلى المدينة، ونزل قبا في أوّل الأمر، أتى إليه مخريق وأسلم<sup>٢</sup>.

وفي يوم أحد خاطب قومه وقال: «يا معشر اليهود! والله إنكم لتعلمون أنّ محمداً نبيّ وأنّ نصره عليكم لحقّ».

قالوا: إنّ اليوم يوم السبت!

قال: لا سبت، ثم أخذ سلاحه ثم حضر مع النبيّ (ص) فأصابه القتل، فقال رسول الله: «مخريق خير يهود» وقد كان مخريق حين خرج إلى أحد قال: إن أصبت فأموالي لمحمد<sup>٣</sup>.

وكانت أمواله حوائط سبعة وهي: الأعواف والصفاية والدلال والميثب وبرقة وحسن ومشرية أم إبراهيم التي كانت تسكنها مارية جارية النبيّ<sup>٤</sup>.

وتفصيل قصّة هذه الحوائط في وفاء الوفا<sup>٥</sup>، وكتابي الأحكام السلطانية

(١) طبقات ابن سعد ٥٠٢/١. (٢) إمتاع الأسماع ص ٤٦.

(٣) مغازي الواقدي ص ٢٦٢ — ٢٦٣، إمتاع الأسماع ص ١٤٦، والإصابة ٣/٣٧٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٥٠١/١ — ٥٠٣، ومادة «ميثب» من معجم البلدان.

والحوائط جمع الحائط: البستان المسيج. والمشرية: الغرفة. وجارية النبيّ مارية القبطية أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبيّ فأسكنها في أحد الحوائط السبعة وولدت لرسول الله ابنه إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وتوفي بعد ستة أو ثمانية عشر شهراً ودفنه الرسول بالقيع. أسد الغابة ٣٨/١. وتوفيت مارية سنة ست عشرة. أسد الغابة ٥٤٣/٥. وفاء الوفا ١١٢٨ و ١١٩٠.

(٥) وفاء الوفا ص ٩٤٤ — ٩٨٨.

للماوردي ولأبي يعلى<sup>١</sup>، والاكتفاء<sup>٢</sup>.

وروى السمهودي عن الواقدي: أنّ النبيّ وقف الأعواف وبرقة وميثب والدلال وحسنى ومشربة أم إبراهيم سنة سبع من الهجرة<sup>٣</sup>.

ب - ما وهب الأنصار من أرضهم للنبي: عن ابن عباس، قال: إنّ رسول الله لما قدم المدينة جعلوا له كلّ أرض لا يبلغها الماء يصنع بها ما يشاء<sup>٤</sup>.

ج - أرض بني النضير: لما قدم اليهود المدينة نزل بنو النضير بطحان من العالية، وبنو قريظة مهزوراً منها وهما واديان يهبطان من حرّة هناك، وكانت تنصب منها مياه عذبة<sup>٥</sup>. ولما أفاء الله على رسوله هذه الأرض قال له عمر: ألاّ تحتمس ما أصبت؟ فقال له الرسول: «لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المسلمين بقوله تعالى «ما أفاء الله على رسوله...» كهيته ما وقع فيه السهمان للمسلمين<sup>٦</sup>.

وأجمع علماء السير<sup>٧</sup> والحديث<sup>٨</sup> والتفسير<sup>٩</sup> على أنّ أرض بني النضير كانت خالصة لرسول الله، صافية له، يتصرف فيها تصرف الملاك في أملاكهم، ينفق منها على أهل بيته، ولما ينتابه، ويهب منها ما يشاء لمن يشاء. أقطع منها أبا بكر وعبد الرحمن بن عوف وأبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي وآخرين وكان ذلك في سنة أربع من الهجرة<sup>١١</sup>.

(١) كتاب الأحكام السلطانية: للماوردي ص ١٦٩، ولأبي يعلى ص ١٨٣.

(٢) الاكتفاء ١٠٣/٢.

(٣) وفاة الوفا ص ٩٨٩. وفي البحار ج ١٠٨/٨ عن أبي الحسن الرضا: «ان رسول الله خلف حيطاناً بالمدينة صدقة».

(٤) الأموال لأبي عبيد ص ٢٨٢ باب الإقطاع من كتاب أحكام الأرضين.

(٥) معجم البلدان مادة «بطحان» يضم أوله أوفتحه وسكون ثانيه وراجع «البويرة» منه.

(٦) راجع بحث النية من هذا الكتاب.

(٧) مغازي الواقدي ص ٣٦٣ - ٣٧٨، وإمتاع الأسماع للمقريزي ص ١٧٨ - ١٨٢.

(٨) سنن أبي داود ٤٨/٣ كتاب الخراج، والنسائي باب قسم النية ١٧٨/٢، وشرح النهج ٧٨/٤.

(٩) تفسير سورة الحشر بتفسير الطبري ٢٨/٢٤ - ٢٥، والنيسابوري بهامش الطبري ٣٨/٢٨ الدر

المنثور ١٩٢/٦.

(١٠) في كتابي الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٦٩، ولأبي يعلى ص ١٨٣: إلّا ما كان ليامين بن عمير وأبي سعد بن وهب فإنها أسلمها قبل الظفر فأحرزها إسلامها جميع أموالها.

(١١) فتوح البلدان للبلاذري ١٨/١ - ٢٢.

١٤٣

د - أراضي خيبر: خيبر على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، ويطلق هذا الاسم على الولاية، وكانت تشتمل على سبعة حصون منيعة أو ثمانية<sup>١</sup>، ومزارع ونخل كثير<sup>٢</sup> يقطنها عتاة اليهود وقد تحالفوا مع القبائل العربية.

قصدهم رسول الله (ص) بعد عودته من الحديبية في صفر سنة سبع أو هلال ربيع الأول منها<sup>٣</sup>.

ولم يأذن لأحد تخلف عن الحديبية أن يشهد معه خيبر إلا جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري<sup>٤</sup>، وكانوا قد تخلفوا عنه في الحديبية وأرجفوا بالمسلمين<sup>٥</sup>.

حاصر النبي اليهود في حصونهم بخيبر قريباً من شهر، وكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل<sup>٦</sup> ففتح بعضها عنوة وبعضها صلحاً<sup>٧</sup>، فخمس ما أخذها عنوة، وقسم أربعة أخماسها بين المسلمين ممن كان شهد خيبر من أهل الحديبية<sup>٨</sup>. ولما لم يكن له من العمال من يكفيه عمل الأرض، دفعها إلى اليهود يعملونها على نصف ما خرج منها<sup>٩</sup>.

قالوا: قسم النبي خيبر على ٣٦ سهماً، وجعل كل سهم مائة سهم: لرسول الله ١٨ سهماً، و١٨ سهماً للمسلمين اقتسموها بينهم ولرسول الله مثل سهم أحدهم<sup>١٠</sup>. وقالوا: قسم سهمان المسلمين بين من حضر الحديبية، ومن قدم مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة<sup>١١</sup>.

(١) في كتابي الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٦٩، ولأبي يعلى ص ١٨٤.  
(٢) مادة خيبر من معجم البلدان، وفيها أن خيبر بلسان اليهود الحصن وسميت خيابر لأنها كانت تشتمل على عدة حصون.

٣ و ٥) مغازي الواقدي ص ٦٣٤.

(٤) الدر المنثور للسيوطي ١٩٢/٦.

(٦) مغازي الواقدي ص ٦٣٧.

(٧) وفاء الوفا ص ١٢١٠.

(٨) فتوح البلدان للبلاذري ٣١/١.

(٩) فتوح البلدان ٢٦/١ - ٢٨. وفي مغازي الواقدي ص ٦٨٨ - ٦٩٩: لما توفي أبو بكر (رض) كان ولده ورثته يأخذون طعمته من خيبر مائة وسق في خلافة عمر وعثمان - إلى قوله - حتى كان زمن عبد الملك أو بعده فقطع.

(١٠) فتوح البلدان ٢٩/١. والأموال لأبي عبيد ص ٥٦.

(١١) فتوح البلدان ٢٨ - ٣٢.

قالوا: وكان سهم الخمس منها، الكتيبة. وكان الشق والنطة وسلام والوطيح للمسلمين فأقرها بيد يهود على الشطر، ويقسم ما يخرج الله منها بين المسلمين حتى كان عمر، فقسم رقبة الأرض بينهم على سهامهم<sup>١</sup>.

وفي سيرة ابن هشام والاكتفاء وغيرهما واللفظ للأول: كانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي وسهم ذوي القرى والمساكين وطعم أزواج النبي وطعم رجال مشوا بين رسول الله وأهل فذك بالصلح<sup>٢</sup>.

وفي فتوح البلدان: وجعل لأزواج النبي فيها نصيباً وقال: «أيتكن شئت أخذت الثرة، وأيتكن شئت أخذت الضيعة لها ولورثتها»<sup>٣</sup>.

وقد ورد في مغازي الواقدي تسمية سهمان الكتيبة بتفصيل واف<sup>٤</sup>.

وفي وفاء الوفا: أن أهل الوطيح وسلام صالحوا عليها النبي (ص)، فكان ذلك له خاصة وخرجت الكتيبة في الخمس وهي ممالي الوطيح والسلام فجمعت شيئاً واحداً، فكانت مما ترك رسول الله من صدقاته<sup>٥</sup>، وهو يقتضي أن بعض خير فتح عنوة وبعضها صلحاً. وبه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك<sup>٦</sup>.

وقال القاضيان الماوردي وأبو يعلى: «وملك من هذه الحصون الثمانية ثلاثة حصون: الكتيبة والوطيح والسلام. أما الكتيبة فأخذها بخمس الغنime، وأما الوطيح والسلام فهما مما أفاء الله عليه لأنه فتحهما صلحاً فصارت هذه الحصون الثلاثة بالنبي والخمس خالصة لرسول الله (ص)»<sup>٧</sup>.

قال المؤلف: يؤيد ما ذكرنا أن سهام رسول الله في خير كانت ١٨ سهماً،

(١) فتح البلدان ٢٨/١.

(٢) سيرة ابن هشام ٤٠٤/٢، والاكتفاء في مغازي رسول الله، والثلاثة الخلفاء ٢٦٨/٢، وراجع مغازي الواقدي ص ٦٩٢ — ٦٩٣، وإمتاع الأسماع ص ٣٢٩.

(٣) فتح البلدان ٣٢/١.

(٤) مغازي الواقدي ص ٦٩٣، وراجع فتح البلاذري ٢٧/١ وطبعة أخرى ٣٣/١.

(٥) إصطلحوا كما ذكرنا على تسمية كل ما ترك رسول الله من ضياع بالصدقة أخذاً برواية أبي بكر عن النبي «ما تركنا صدقة».

(٦) وفاء الوفا ص ١٢١، وراجع سيرة ابن هشام.

(٧) في كتابي الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧٠، ولأبي يعلى ص ١٨٤ — ١٨٥، وراجع الأموال لأبي عبيد ص ٥٦.



وهي مثل مجموع سهام سائر الغزاة في خير، وهذا يقتضي أن يكون قسم من خير مما أفاء الله على رسوله بلا إيجاب خيل ولا ركاب، وأن ذلك أضيف إلى سهم الخمس مما فتح منها عنوة وبذلك صار مجموع سهام النبي مساوياً لمجموع سهام المسلمين منها.

هـ - فذك: قال ياقوت: فذك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، وفيها عين قوارة ونخيل كثير<sup>١</sup>.

بعث رسول الله (ص) إلى أهل فذك وهو بخيبر أو منصرفه منه يدعوهم إلى الإسلام فابوا<sup>٢</sup>. فلما فرغ رسول الله (ص) من خير، قذف الله الرعب في قلوبهم فبعثوا إلى رسول الله (ص) يصالحونه على النصف فقبل ذلك منهم<sup>٣</sup>.

وفي الأموال لأبي عبيد: كان أهل فذك قد أرسلوا إلى رسول الله (ص) فبايعوه على أن لهم رقابهم ونصف أراضيهم ونخلهم، ولرسول الله شطر أراضيهم ونخلهم<sup>٤</sup>.

وفي فتوح البلدان: فكان نصف فذك خالصاً لرسول الله، لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكان يصرف ما يأتيه منها<sup>٥</sup>.

وفي شواهد التنزيل للحسكاني، وميزان الاعتدال للذهبي، ومجمع الزوائد للهيثمي، والدرر المنتور للسيوطي، ومنتخب كنز العمال للفظ للأول عن أبي سعيد الخدري: لما نزلت «وأت ذا القرنى حقّه» دعا النبي فاطمة وأعطاه فذك<sup>٦</sup>.

وفي تفسير الآية (٣٨) من سورة الروم عن ابن عباس كذلك<sup>٧</sup>.

و- وادي القرى: وادي القرى وادي بين المدينة والشام، ما بين تيماء وخيبر، وتيماء بليد بأطراف الشام<sup>٨</sup>.

(١) مادة «فذك» من معجم البلدان.

(٢) فتوح البلدان ٣١/١ و ٣٢ - ٣٤ منه، وكتابه الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧٠، ولأبي يعلى ص ١٨٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٤٠٨/٣، والاكتفاء ٢٥٩/٢، وراجع مغازي الواقدي ص ٧٠٦ - ٧٠٧، وإمتاع الأسماع ص ٣٣١، وشرح النهج ٧٨/٤.

(٤) الأموال لأبي عبيد ص ٩.

(٥) فتوح البلدان للبلاذري، ٤١/١، ط. دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م.

(٦) بتفسير الآية ٢٦ من سورة بني إسرائيل في شواهد التنزيل ٣٣٨/١ - ٣٤١ بسبعة طرق، والدرر المنتور ١٧٧/٤، وميزان الاعتدال ٢٢٨/٢، ط. الأولى، وكنز العمال ١٥٨/٢، ط. الأولى ومنتخبه ١٥٨/٢، ومجمع الزوائد ٤٩/٧، والكشاف ٤٤٦/٢، وتاريخ ابن كثير ٣٦/٣.

(٧) شواهد التنزيل للحسكاني ٤٤٣/١. (٨) مادة «تيماء» من معجم البلدان.

وسمّي وادي القرى، لأنّ الوادي من أوّله إلى آخره قرى منظومة، وفيه قرى كثيرة على طريق حاج الشام وكان اليهود يسكنونها<sup>١</sup>.

خبر فتح وادي القرى<sup>٢</sup>:

أتى رسول الله (ص) منصرفه من خيبر في جمادى الآخرة سنة سبع وادي القرى، فدعا أهلها إلى الإسلام فآمنوا وقاتلوا، ففتحها عنوة، وغنمه الله أموال أهلها، وأصاب المسلمون منها أثاثاً ومتاعاً، فخمّس رسول الله ذلك وترك النخل والأرض في أيدي اليهود، عاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر، وكان له منها — أيضاً — الخمس وأقطع حمزة بن النعمان العذري رمية سوط من وادي القرى<sup>٣</sup>.  
ولهذا قال القاضيان الماوردي وأبو يعلى: كان له الثلث من وادي القرى، لأنّ الثلث كان لبني عذرة وثلاثها لليهود فصالحهم رسول الله على نصفه فصارت أثلاثاً ثلثها لرسول الله (ص)...<sup>٤</sup>

ز — مهزون: قال القاضيان الماوردي وأبو يعلى: الصدقة الثامنة موضع بسوق المدينة يقال له مهزون، استقطعها مروان من عثمان فنقم الناس عليه<sup>٥</sup>.  
قال المؤلف: كان مهزور وادياً في العالية سكنته بنو قريضة، ولعله اتخذ سوقاً بعد اتساع المدينة.

وسوى ما ذكرنا كان النبيّ قدورث من أمّه آمنة بنت وهب دارها التي ولد فيها بمكة في شعب بني علي.

وورث من زوجته خديجة بنت خويلد دارها بمكة بين الصفا والمروة خلف سوق العطارين، فباعها عقيل بن أبي طالب بعد هجرة رسول الله (ص) إلى المدينة فلمّا قدم مكة في حجّة الوداع قيل له: في أيّ داريك تنزل؟ فقال: هل ترك لنا عقيل من

(١) مادة «القرى» و «وادي القرى» من معجم البلدان.

(٢) فتوح البلدان ٣٩/١ — ٤٠، ومغازي الواقدي ص ٧١٠ — ٧١١، وإمتاع الأسماع ص ٣٣٢.

(٣) فتوح البلدان ٤٠/١.

وحزة كان سيد بني عذرة وهو أول أهل الحجاز قدم على النبي بصدقة بني عذرة. أسد الغابة ٧/٢.

(٤) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧٠، ولأبي يعلى ص ١٨٥.

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧٠ — ١٧١، ولأبي يعلى ص ١٨٥.

ربع<sup>١</sup>.

وأما رحل رسول الله (ص) فقد روى هشام الكلبي عن عوانة بن الحكم أن أبا بكر الصديق (رض) دفع إلى علي (رض) آلة رسول الله (ص) ودابته وحذائه وقال ما سوى ذلك صدقة<sup>٢</sup>.

\* \* \*

كانت تلك أخبار ما تملكه الرسول بالخمس والهبة والفيء من الضياع، وهب شيئاً منها إلى بعض صحابته وبعض ذوي قرباه في حياته، وأمسك بعضها ضمن ما يملكه وفي ما يلي أخبار تركته من بعده:

خبر تركه الرسول وخبر شكوى فاطمة

استولى الصحابيَّان الخليفَتان أبو بكر وعمر (رض) مرة واحدة على كل ما تركه الرسول من ضياع من بعده ولم يتعرضا لشيء مما أقطع منها للمسلمين عدا ما فعلا بفدك التي كان النبي قد أقطعها أبنته فاطمة في حياته، فإتَّهما استوليا عليها كما استوليا على سائر ضياع النبي ومن هنا نشأ الخلاف بين فاطمة وبينها على ذلك، وعلى إرثها من الرسول كما شرحته الروايات الآتية:

أ- رواية عمر:

عن عمر: لما قبض رسول الله (ص) جثت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما تقول في ما ترك رسول الله (ص)؟

قال: نحن أحقُّ الناس برسول الله (ص).

قال: فقلت: والذي بخير؟

قال: والذي بخير.

قلت: والذي بفدك؟

قال: والذي بفدك.

فقلت: أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير فلا<sup>٣</sup>.

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧١، ولأبي يعلى ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧١، ولأبي يعلى ص ١٨٦.

(٣) جمع الزوائد ج ٣٩/١ باب «في ما تركه الرسول (ص)» عن الطبراني في الأوسط.

ب - رواية أم المؤمنين عائشة (رض):

في صحيح البخاري ومسلم ومسنند أحمد وسنن أبي داود والنسائي وطبقات ابن سعد واللفظ للأول: عن أم المؤمنين عائشة: أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي (ص) في ما أفاء الله على رسوله (ص) تطلب صدقة النبي التي بالمدينة<sup>١</sup>، وفدك وما بقي من خمس خيبر<sup>٢</sup>.

فقال أبو بكر: إن رسول الله (ص) قال «لا نورث ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال يعني مال الله ليس لهم أن يزيدوا على المأكل» وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي التي كانت عليها في عهد النبي (ص)، ولا عملن فيها بما عمل فيها رسول الله (ص)<sup>٣</sup>.

في هذا الحديث سمي أبو بكر تركة الرسول: «الصدقات» استناداً إلى الرواية التي رواها هو عن الرسول بأنه قال: «م تركنا فهو صدقة» ومنذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا سُميت تركة الرسول بالصدقات.

أمّا قوله: «لأعملن فيها بما عمل رسول الله فيها» وما هو قصده من العمل الذي قال إنه سيعمل فيها، فإنه يعرف من الحديث الآتي عن أم المؤمنين عائشة: إن أول هذا الحديث كالحديث الماضي إلى قولها: «... فغضبت فاطمة بنت رسول الله (ص)، فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر، قالت عائشة: فكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة<sup>٤</sup>. فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن

(١) تقصد من صدقته بالمدينة الحوائط السبعة اللاتي وهبا خريق للنبي كما شرحناه سابقاً.

(٢) تقصد ما بقي من خمس خيبر: أن رسول الله أقطع شيئاً من سهمه من الخمس إلى بعض صحابته فما بقي من خمس خيبر يعني ما عدا ما أقطع.

(٣) صحيح البخاري ٢٠٠/٢ باب مناقب قرابة رسول الله من كتاب المناقب، سنن أبي داود ٤٩/٢، كتاب الخراج، باب صنفيا رسول الله، وسنن النسائي ١٧٩/٢ باب قسم النبي، ومسنند أحمد ٦١/٩، وطبقات ابن سعد ٣١٥/٢، وج ٨ منه ص ٤٢٨ ومنتخب الكزّاب ما يتعلق بميراثه، ج ٣/١٢٨.

(٤) صحيح البخاري ١٢٤/٢ باب فرض الخمس من كتاب الخمس، وصحيح مسلم الحديث ٥٤ من كتاب الجهاد. وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣٤٦/١ وتاريخ ابن كثير ٢٨٥/٧ باب «بيان أنه عليه السلام قال لا نورث» وسنن البيهقي ٣٠٠/٦ ومسنند أحمد ٦١/٩، وطبقات ابن سعد ١٨/٨.

أزيغ .

فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعبّاس، وأما خير وفدك فأمسكها  
عمر وقال: هما صدقة رسول الله (ص) كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من  
ولي الأمر، قال: فهما على ذلك إلى اليوم<sup>١</sup>.

في حديث عائشة الثاني هذا: يصرح الخليفة بأن ضياع رسول الله كانت لحقوقه  
التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر من بعده، إذن فهو الذي ينفق منها لحقوقه  
التي تعروه ونوائبه وهذا هو معنى قول الخليفة في الحديث الأول: لأعملن فيها بما عمل  
فيها رسول الله أي لأتفقن منها لحقوقي التي تعروني ونوائبي.

ولّى هذا — أيضاً — يشير في حديث عائشة الثالث الآتي في صحيح البخاري  
ومسلم عن عائشة: أن فاطمة (س) بنت النبي (ص) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها  
من رسول الله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خير<sup>٢</sup> فقال أبو بكر: إن  
رسول الله قال: «لأنورث ما تركنا صدقة» إنها يأكل آل محمد (ص) في هذا المال»،  
وانني لا أُغَيِّر شيئاً من صدقة رسول الله (ص) عن حالها التي كان عليها في عهد رسول  
الله (ص)، ولا أُعملن فيها بما عمل به رسول الله (ص) فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة  
منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت  
بعد النبي ستة اشهر فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أباً بكر ووصلّى  
عليها، وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجهه الناس  
فأتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر... الحديث<sup>٣</sup>.

\* \* \*

إقتصرت أم المؤمنين عائشة في ذكرها مورد نزاع فاطمة مع أبي بكر في أحاديثها  
المطوّلة بذكر مطالبتها إياهم لإرث أبيها الرسول بينما كانت خصومتها معهم في ثلاثة  
أمور:

- أ - مطالبتها إياهم بمنحة الرسول، ب - مخاصمتها إياهم في إرث الرسول،
- ج - مخاصمتها إياهم في سهم ذي القربى . وفي مايلي بيان ذلك:

١ و ٢) راجع الهامش ٤ من الصفحة السابقة.

٣) صحيح مسلم/كتاب الجهاد والسير/باب قول النبي لا نورث، الحديث ٥٢ ص ١٣٨٠، والبخاري

٣٨/٣ باب غزوة خيبر، وسنن البيهقي ٣٠٠/٦، ومشكل الآثار ٤٧/١.

### ١٥٠ - مطالبتها إياهم بمنحة الرسول

في فتوح البلدان: إن فاطمة (رض) قالت لأبي بكر الصديق (رض): أعطني فذك فقد جعلها رسول الله لي، فساها البينة فجاءت بأتم أمين ورباح مولى النبي فشدها بذلك، فقال: إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وأمرأتين. وفي رواية أخرى: شهد لها علي بن أبي طالب فساها شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن<sup>١</sup>.

من البديهي إن هذه الخصومة كانت بعد أن استولى أبو بكر على فذك كما استولى على ضياع رسول الله غير فذك. وبعد رد أبي بكر لشهود فاطمة في شأن فذك ثنت بخصومة أخرى في شأن إرث الرسول كما توضحه الروايات الآتية بالإضافة إلى أحاديث أم المؤمنين عائشة السالفة.

### ب - مخاصمتها إياهم في إرث الرسول

١ - رواية أبي الطفيل<sup>٢</sup>: بمسند أحمد وسنن أبي داود، وتاريخ الذهبي، وتاريخ ابن كثير، وشرح النهج، واللفظ للأول، عن أبي الطفيل قال: لما قبض رسول الله (ص) أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (ص) أم أهله؟ قال: فقال «لا، بل أهله».

قالت: فأين سهم رسول الله (ص)<sup>٣</sup>.

قال فقال أبو بكر: اتني سمعت رسول الله يقول: «إن الله عز وجل إذا أطعم

(١) فتوح البلدان ١/٣٤ - ٣٥.

وأم أيمن بركة الحبشية مولاة رسول الله وحاضنته، أعتقها رسول الله وأسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة والمدينة تزوجها عبيد الحبشي ومن بعده زيد بن حارثة. توفيت بعد رسول الله بخمسة أشهر أو ستة أو في خلافة عثمان، أخرج ابن ماجه لها خمسة أحاديث في سننه. أسد الغابة ٥/٦٧٠ جوامع السيرة ص ٢٨٩، وتقريب التهذيب ٢/٦٩٩، ورباح كان مولى أسود لرسول الله يستأذن عليه وصبره بعد قتل يسار مكانه بغوم بلقاه أسد الغابة ٢/١٦٠، وجوامع السيرة ص ٢٧، والإصابة ١/٤٩٠.

(٢) أبو الطفيل: عامر بن واثلة الكنانى الليثى عد في صفار الصحابة ولد عام أحد وكان من أصحاب علي المحبين له وشهد معه مشاهد كلها وكان ثقة مأموناً إلا أنه كان يقدم علياً وهو آخر من مات من رأي النبي مات سنة ١٠٠ أو ١١٦. أسد الغابة ٣/٩٦ أخرج له أصحاب الصحاح للسنن تسعة أحاديث. جوامع السيرة ص ٢٨٦، وتقريب التهذيب ١/٣٨٩.

(٣) لعل هذا الاحتجاج كان في أمر سهم رسول الله من خمس خيبر ووادي القرى.

نبيّاً طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده، فرأيت أن أردّه على المسلمين».

قالت: فأنت وما سمعت من رسول الله أعلم<sup>١</sup>.

وفي شرح النهج بعد هذا: ما أنا بسائلتك بعد مجلسي!

٢ - رواية أبي هريرة:

أ - في سنن الترمذي عن أبي هريرة: أنّ فاطمة جاءت إلى أبي بكر وعمر (رض) تسأل ميراثها من رسول الله (ص) فقالا: سمعنا رسول الله يقول «إني لا أورث».

قالت: والله لا أكلمكما أبداً، فأتت ولا تكلمها<sup>٢</sup>.

ب - في مسند أحمد وسنن الترمذي وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن كثير واللفظ للأول عن أبي هريرة قال: إنّ فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي.

قالت: فإلنا لانرث النبيّ (ص)؟!

قال: سمعت النبيّ (ص) يقول: «إنّ النبيّ لا يورث» ولكتي أعول من كان رسول الله (ص) يعول وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه<sup>٣</sup>.

٣ - رواية عمر:

في طبقات ابن سعد عن عمر قال: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله (ص) بويح لأبي بكر في ذلك اليوم، فلما كان من الغد جاءت فاطمة لأبي بكر معها عليّ فقالت: ميراثي من رسول الله أبي (ص) فقال أبو بكر: أمن الرثة أو من العقد؟ قالت: فذلك، وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما ترثك بناتك إذا مت.

فقال أبو بكر: أبوك والله خير منّي وأنت والله خير من بناتي وقد قال رسول الله (ص): «لا نورث ما تركنا صدقة» يعني هذه الأموال القائمة<sup>٤</sup>.

(١) مسند أحمد ٤/١ الحديث ١٤، وسنن أبي داود ٥٠/٣ كتاب الخراج، وتاريخ ابن كثير ٥/٢٨٩.

وشرح النهج ٨١/٤ نقلاً عن أبي بكر الجوهري والتممة من ص ٨٧ منه، وتاريخ الذهبي ٣٤٦/١.

(٢) رواية أبي هريرة الأولى في سنن الترمذي ١١١/٧ أبواب السير ماجاء في تركة الرسول.

(٣) رواية أبي هريرة الثانية بمسند أحمد ١٠/١ الحديث ٦٠، والحديث فيه مروي عن أبي سلمة، وفي سنن الترمذي ١٠٩/٧ باب ماجاء في تركة الرسول، وطبقات ابن سعد ٣٧٢/٥، وابن كثير ٥/٢٨٩.

(٤) رواية عمر في طبقات ابن سعد ٣١٦/٢، والرثة بوزن الهرة: متاع البيت الدون. والعقد: أصحاب الولايات على الأمصار من عقد الالوية للأمرء، كذا فسرهما ابن الأثير في نهاية اللغة.

نرى أنَّ تحديد عمر زمن مجيء فاطمة إلى أبي بكر، لا يستقيم مع مجرى  
الحوادث بعد السقيفة، وإنَّما الصواب ما قاله ابن أبي الحديد:  
«حديث فذك وحضور فاطمة عند أبي بكر كان بعد عشرة أيام من وفاة رسول  
الله»<sup>١</sup>.

ومها كان من أمر زمان ذلك، فإنَّ أبابكر منعها لإرثها من الرسول بما روى هو  
عن الرسول «إنَّا لانورث ما تركنا صدقة» كما صرَّحت بذلك أمَّ المؤمنين حيث قالت:  
واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد من ذلك علماء، فقال أبو بكر سمعت رسول  
الله (ص) يقول: «إنَّا معشر الأنبياء لانورث ما تركنا صدقة»<sup>٢</sup>.  
وكذلك قال ابن أبي الحديد في شرح النهج «المشهور أنَّه لم يرو حديث انتفاء  
الإرث إلَّا أبو بكر وحده»<sup>٣</sup>.

وقال: «إنَّ أكثر الروايات أنَّه لم يرو هذا الخبر إلَّا أبو بكر وحده، ذكر ذلك  
أعظم المحدثين حتَّى أنَّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر  
برواية الصحابي الواحد، وقال شيخنا أبو علي: لا يقبل في الرواية إلَّا رواية اثنين  
كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم، واحتجوا بقبول الصحابة رواية أبي بكر  
وحده: نحن معشر الأنبياء لانورث»<sup>٤</sup>.

وفي تعداد السيوطي لروايات أبي بكر قال: «التاسع والعشرون حديث  
لانورث، ما تركناه صدقة»<sup>٥</sup>.

قال المؤلف: مع كلِّ هذا وضعوا أحاديث أسندوا فيها إلى غير أبي بكر أنَّه  
روى ذلك عن الرسول<sup>٦</sup>.

### ج - مخاصمتها إياهم في سهم ذي القربى

لما منعوا ابنة الرسول من إرث أبيها بحديث أبي بكر، طالبتهم بسهم ذي القربى  
كما روى أبو بكر الجوهري ذلك في ثلاث روايات:

(١) شرح النهج ٩٧/٤.

(٢) كنز العمال ج ١٤/٣٠١ الفضائل (الأعمال) فضل الصديق.

(٣) شرح النهج ٨٢/٤.

(٤) شرح النهج ٨٥/٤.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٩.

(٦) راجع شرح النهج ٨٥/٤.



١- عن أنس بن مالك أنَّ فاطمة (س) أتت أبا بكر فقالت: لقد علمت الذي ظلمتنا أهل البيت من الصدقات<sup>١</sup> وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن الكريم من سهم ذوي القربى. ثم قرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقَرْبَى﴾ الآية، فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمي ووالد ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحق رسول الله (ص) وحق قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرئين منه، ولم يبلغ علمي منه أنَّ هذا السهم من الخمس مسلم إلكم كاملاً، قالت: أفلك هو ولا قربائك؟ قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم الله... الحديث.

٢- عن عروة قال: أرادت فاطمة أبا بكر على فذك وسهم ذوي القربى فأبى عليها وجعلها في مال الله تعالى.

٣- عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب (ع) أنَّ أبا بكر منع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربى، وجعله في سبيل الله، في السلاح والكراع<sup>٢</sup>. وفي كنز العمال عن أم هاني قالت: إنَّ فاطمة أتت أبا بكر تسأله سهم ذوي القربى، فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: «سهم ذوي القربى لهم في حياتي وليس لهم بعد موتي»<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى لأم هاني جمعت في الذكر بين مخاصمتها إياهم في الإرث ومخاصمتها في سهم ذوي القربى كما يأتي:

في فتوح السيلدان، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الإسلام للذهبي، وشرح النهج واللفظ للأول، عن أم هاني قالت: إنَّ فاطمة بنت رسول الله أتت أبا بكر (رض) فقالت: من يرثك إذا مت؟

قال: ولدي وأهلي.

قالت: فما بالك ورثت رسول الله دوننا؟

(١) لعل المقصود بالصدقات منها بعض الحوائط السبعة التي ذكر في بعض الروايات أن الرسول تصدق بها.

(٢) الروايات الثلاث في شرح النهج ٨١/٤ والرواية الأولى في تاريخ الإسلام للذهبي ٣٤٧/١.

(٣) رواية أم هاني الأولى بكنز العمال ٣٦٧/٥ كتاب الخلافة مع الإمامة قسم الأعمال، أم هاني بنت أبي طالب أسلمت عام الفتح وماتت في خلافة معاوية أخرج لها أصحاب الصحاح الستة ٤٦ حديثاً. أسد الغابة ٦٢٤/٥، وجوامع البيرة ص ٢٨٠، وتقريب التهذيب ٦٢٥/٢.

قال: يا بنت رسول الله! ما ورثت أباك ذهباً ولا فضة.  
فقال: سهمنا بخير و«صدقتنا»<sup>١</sup> فذلك.  
ولفظ طبقات ابن سعد: «قال ما ورثت أباك أرضاً ولا ذهباً ولا فضة ولا غلاماً ولا مالا».

قالت: فسهم الله<sup>٢</sup> الذي جعله لنا وصافيتنا بيدك.  
قال: يا بنت رسول الله سمعت رسول الله يقول: «إنما هي طعمة أطعمني الله حياقي فإذا مت فهي بين المسلمين»<sup>٣</sup>. وفي لفظ ابن أبي الحديد وتاريخ الإسلام للذهبي:  
قال: ما فعلت يا بنت رسول الله (ص).  
فقالت: بلى إنك عمدت إلى فذلك وكانت صافية لرسول الله (ص) فأخذتها، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا!  
فقال: يا بنت رسول الله! لم أفعل، حدثني رسول الله (ص) أن الله تعالى يطعم النبي (ص) الطعمة ما كان حياً فإذا قبضه إليه رفعت.

فقال: أنت ورسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسي، ثم آنصرفت.  
تقصّد من سهم الله سهامهم من الخمس، ومن الصافية صواقي رسول الله، ومن قولها «عمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا» سهم ذوي القرنى الذي نزل في القرآن، وحكم الإرث الذي يعمّ المسلمين كافة رسول الله ومن عداه.  
وذكرت بعض الروايات أن العباس اشتراك معها في مطالبة إرث الرسول مثل مارواه ابن سعد في طبقاته، وتابعه المتقي في كنز العمال واللفظ للأول قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب ميراثه، وجاء معه علي فقال أبو بكر: قال رسول الله: «لا نورث ما تركناه صدقة» وما كان النبي يعول فعلي. فقال علي: «وورث سليمان داود» وقال «برثني ويرث من آل يعقوب».  
قال أبو بكر: هو هكذا وأنت والله تعلم مثل ما أعلم.

(١) «صدقتنا» تحريف والصواب ما في طبقات ابن سعد «صافيتنا» وذلك لأن فذلك كانت صافية لرسول الله قبل أن يمنحها لفاطمة.

(٢) فتح البلدان ٣٥/١ - ٣٦، وطبقات ابن سعد ٣١٤/٢ - ٣١٥، وشرح النهج ٨١/٤، والتتمة في ص ٨٧ منه، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣٤٦/١.

(٣) طبقات ابن سعد ٣١٥/٢، وكنز العمال ٣٦٥/٥ كتاب الخلافة مع الإمامة من قسم الأفعال.

فقال علي: هذا كتاب الله ينطق! فسكتوا وانصرفوا<sup>١</sup>.  
نرى في هذه الرواية وهماً من الرواة وأن العباس لم يأت مع علي ليطلب إرثاً،  
ولأنها جاءت ليعينا فاطمة. ولعلّ العباس طالب بسهمه من الخمس، فالتبس الأمر على  
الرواة، وذكروا أنه جاء يطلب الميراث.

\* \* \*

لما أدلت فاطمة بكل ما لديها من دليل وشهود وأبى أبو بكر أن يقبل منها  
ويعطيها شيئاً من تركة الرسول ومنحته، رأت أن تبسط الخصومة على ملاء من  
المسلمين، وتستنصر أصحاب أبيها، فذهبت إلى مسجده كما رواه المحدثون والمؤرخون.  
في سقيفة أبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد وبلاغات النساء لأحمد بن  
أبي طاهر البغدادي واللفظ للأول: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منعها فذك، لاثت  
خارها على رأسها، وأشتملت جلبابها، وأقبلت في لمة من حفتها ونساء قومها  
تطأ ذيوها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (ص) حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد  
من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة ثم أنثت أنه أجش لها القوم  
بالبكاء وآرتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم،  
افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه، والصلاة على رسول الله، ثم قالت:  
أنا فاطمة ابنة محمد، أقول عوداً على بدء، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما  
عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم، فإن تغزوه تجذوه أبي دون آبائكم وأخا ابن  
عمي دون رجالكم، ثم أسترسلت في خطبتها إلى قولها:

ثم أنتم الآن، تزعمون أن لا إرث لنا ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من  
الله حكماً لقوم يوقنون ﴾، يا ابن أبي قحافة! أترث أباك ولا أترث أبي لقد جئت  
شيئاً فرئاً فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم  
محمد (ص) والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون. ثم أنكفات إلى قبر  
أبيها (ع) تقول: قد كان بعدك أنباء وهبنة .... الأبيات<sup>٢</sup>

قال: ولم ير الناس أكثر بأك ولا باكية منهم يومئذ، ثم عدلت إلى مسجد  
الأنصار، فقالت:

(١) راجع الهامش ٣ من الصفحة السابقة.

(٢) شرح النهج ٧٨/٤ - ٧٩، وص ٩٣ منه. وبلاغات النساء ص ١٢ - ١٥.

يا معشر البقية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ! ما هذه الفترة عن نصرتي، والونية عن معونتي، والغمزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي ؟ ! أما كان رسول الله (ص) يقول: « المرء يحفظ في ولده » ؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم، الآن مات رسول الله (ص) أمتم دينه ؟ ! ها، إن موته لعمرى خطب جليل، استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد راتقه، واطلمت الأرض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، أضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمه، وأزيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنباكم بها قبل وفاته، فقال: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل آنتقلبتكم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

إيهاب بن قيلة آهتضم تراث أبي وأنتم بمراى ومسمع تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العلة والعدد، ولكم الدار والجن، وأنتم نخبة الله التي آنتخب، وخيرته التي آتخار. باديتم العرب، وبادهتم الأمور، وكافحتم البهم، حتى دارت بكم رضى الإسلام، ودرّ حلبة وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك، وهذأت دعوة المخرج واستوثق نظام الدين، أفأنا خرتم بعد الإقدام ؟ ! ونكصتم بعد الشدة، وجنبتكم بعد الشجاعة عن قوم نكصوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم « فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » .

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، ووركنتم إلى الدعة، فجحدم الذي وعيتم ودسعت الذي سوغتم، وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد. ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة متي بالخذلة التي خامرتكم، وخور القناة وضعف اليقين، فدونكموها فأحتووها مدبرة الظهر، ناقبة الخفت، بباقية العار، موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تعملون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

قال: وحديثي محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن الضحاك، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم، قال: لما كلمت فاطمة (ع) أبا بكر بما كلمته به، حمد الله أبو بكر وأثنى عليه وصلى على رسول ثم قال: يا خيرة النساء وآبنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله (ص)، وما عملت إلا بامرءه، وإن الراشد لا يكذب أهله، وقد قلت فأبلغت وأغلظت فأهجرت فغفر الله لنا ولك، أما بعد فقد دفعت آلة رسول الله ودابته وحذاءه إلى علي (ع)، وأما ما سوى ذلك فإني سمعت

رسول الله (ص) يقول: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً، ولكننا نورث الإيمان والحكمة والعلم والستة» فقد عملت بما أمرني ونصحت له، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وفي رواية بلاغات النساء: ثم قالت: أيها الناس! أنا فاطمة وأبي محمد (ص) أقولها عوداً على بدءاً لقد جاءكم رسول من أنفسكم... ثم ساق الكلام على مثل ما أوردناه إلى قوله:

ثم قالت أفعلى عملكم تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾، وقال الله عز وجل في ما قص من خبر يحيى ابن زكريا: ﴿رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾، وقال عز ذكره: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْفَرْقِ لِلْأُنثَىٰ نِصْفُ الَّذِي لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وقال: ﴿إِنْ تَرَكْتُ خَيْراً لِّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، وزعمتم أن لا حق ولا إرث لي من أبي ولا رحم بيننا أفخصكم الله بآية أخرج نبيّه (ص) منها أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثون. أ و لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ (ص) ﴿أفحكم الجاهليّة يبغون﴾...<sup>١</sup>

قال ابن أبي الحديد: وحديث فذك وحضور فاطمة عند أبي بكر كان بعد عشرة أيّام من وفاة رسول الله (ص)، والصحيح أنه لم ينطق أحد بعد ذلك من الناس من ذكر أو أنثى بعد عود فاطمة (ع) من ذلك المجلس بكلمة واحدة في الميراث<sup>٢</sup>.

### الخلاصة:

دلّت الأحاديث الواردة في هذا الباب على أنّ خصومة أبنه الرسول معهم كانت في ثلاثة أمور:

#### ١ - في منحة الرسول

منح الرسول أبنته فاطمة فذك بعد نزول آية «وآت ذا القربى حقه»، ولما توفي آستولوا عليها مع ما آستولوا عليه من تركه الرسول فخاصمته فاطمة في ذلك

(١) بلاغات النساء ص ١٦ - ١٧.

(٢) شرح النهج ٩٧/٤.

واستشهدت على صحته تصرفها بشاهد وشاهدة يشهدان على أن الرسول كان قد منحها إتياءها في حياته، ولم يقبلوا الشهادة لأنها لم تبلغ النصاب، ويدل على أن فذك كانت بيدها - بالإضافة إلى ما أوردناه في ماسبق - قول الإمام علي في كتابه إلى عثمان بن حنيف واليه على البصرة:

«بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمت السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله»<sup>١</sup>.

٢ - في إرث الرسول

ترك الرسول من الضياع ما يلي:

أ - الحوائط السبعة اللاتي وهبن مخيرق إتياء.

ب - ما وهب الأنصار إتياء وهي كل ما ارتفع من أراضيهم الزراعية.

ج - أراضي بني النضير الزراعية ونخلها.

د - ١٨ سهماً من مجموع ٣٦ سهماً من أراضي خيبر وكانت ريف الحجاز.

هـ - أراضي وادي القرى الزراعية ونخلها.

وبعد وفاة الرسول استولى الخليفة عليهن جميعاً واحتج بحديث رواه هو وحده عن الرسول أنه قال: «لا نورث ما تركنا صدقة». وأنه قال: «إن الله عز وجل إذا أطعم نبياً طعمة، جعله للذي يقوم من بعده».

ولم يجدر نفعاً ما احتج به الإمام علي وفاطمة من تصريح القرآن بأن الأنبياء ورثوا، وأن آيات الإرث عامة وغير ذلك فاستنضت الأنصار كذلك بلا جدوى فغضبت على أبي بكر وعمر ولم تكلمهما حتى توفيت واجدة عليهما.

٣ - في سهم ذي القرى

طلبت فاطمة من أبي بكر سهم ذي القرى وقالت له: لقد علمت الذي ظلمتنا... وقرأت عليه «وآعلموا أننا غنمتم...» فأبى عليها، وجعل سهم ذي القرى في السلاح والكراع، أي صرفه على حرب الممتنعين من أداء الزكاة إليه، فقالت له: عمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا.

(١) عثمان بن حنيف الأنصاري ثم الأوسي ولاء عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق، وولاه علي البصرة فأخرج طلبة والزبير منها حين قدماها في وقعة الجمل، وسكن الكوفة ومات بها في زمان معاوية. شرح النج ٧٧/٤.

كان هذا خلاصة ما سبق وسيأتي مزيد بيان له في مايلي:

تصرف الخلفاء في الخمس وفي تركة الرسول وفي فذك منحه لابنته:

أ- على عهد أبي بكر وعمر

في كتاب الخراج لأبي يوسف، وسنن النسائي بكتاب الأموال لأبي عبيد، وسنن البيهقي وتفسير الطبري وأحكام القرآن للجصاص، واللفظ للأول، عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال: اختلف الناس بعد وفاة رسول الله (ص) في هذين السهمين: سهم الرسول (ع) وسهم ذوي القرى، فقال قوم: سهم الرسول للخليفة من بعده.

وقال آخرون: سهم ذوي القرى لقربة الرسول (ص).

وقالت طائفة: سهم ذوي القرى لقربة الخليفة من بعده، فأجمعوا على أن جعلوا

هذين السهمين في الكراع والسلاح!

وفي سنن النسائي والأموال لأبي عبيد: فكانا في ذلك خلافة أبي بكر وعمر.

وفي رواية ابن عباس، قال: جعل سهم الله وسهم رسوله واحداً ولذي القرى فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح، وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم<sup>٢</sup>.

وفي رواية أخرى قال: فلما قبض الله رسوله ردة أبو بكر نصيب القربة في المسلمين فجعل يحمل به في سبيل الله<sup>٣</sup>.

وعن قتادة لما سئل عن سهم ذي القرى، قال: كان طعمة لرسول الله (ص)

فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله<sup>٤</sup>.

ولعل هذا ما عناه جبير بن مطعم في روايته حيث يقول: لم يكن يعطي

(١) كتاب الخراج ص ٢٤-٢٥، وسنن النسائي ١٧٩/٢، وكتاب الأموال لأبي عبيد ص ٣٣٢، وتفسير

الطبري ج ١/٦، وأحكام القرآن للجصاص ٦٢/٣، وسنن البيهقي ٣٤٢/٦-٣٤٣.

(٢) تفسير الطبري ٦/١٠.

(٣) تفسير الطبري ٦/١٠، وأحكام القرآن للجصاص ج ٣/٦٠ باب قسمة الخمس قال: وقتادة عن

عكرمة مثله.

(٤) تفسير الطبري ج ١/٦.

— أبوبكر — قرى رسول الله (ص) ما كان النبي يعطيهم<sup>١</sup>.

\* \* \*

كان ما ورد في هذه الروايات في أول الأمر وخاصة في عصر أبي بكر حيث اتجهت سياسة الخلافة إلى إرسال الجيوش لإخضاع الفئات المعارضة لبيعة أبي بكر، والتي امتنع قسم منهم من أداء الزكاة إلى السلطة أمثال مالك بن نويرة<sup>٢</sup> أو الذين اختلفوا مع المصدق على بعض مال الصدقة، مثل بعض قبائل كندة<sup>٣</sup> وهؤلاء سموا بالمرتدين، وبعد إخضاع أمثال هؤلاء، جهزت الخلافة الجيوش للفتوح ومن بعد اتساع الفتوح وازدياد الثروة وزعوا الخمس على المسلمين بني هاشم وغيرهم، ودفعوا إلى بني هاشم بعض تركة الرسول على أنها صدقات ليتولوا توزيعها.

روى جابر قال: كان يحمل الخمس في سبيل الله تعالى، ويعطي نائبة القوم فلما كثر المال جعله في غير ذلك<sup>٤</sup>.

ويظهر من كثير من الروايات أن هذا التغيير حصل في عصر عمر... وأن عمر أراد أن يعطي بني هاشم شيئاً من الخمس فأبوا إلا أن يأخذوا كل سهم كما جاء في جواب ابن عباس لنجدة الحروري حين سأله عن سهم ذوي القرى لمن هو. قال: قد كنتا نقول «إنناهم فأبى ذلك علينا قومنا» وقالوا: قرش كلها ذو قرى<sup>٥</sup>.

وفي رواية أخرى: قال ابن عباس: سهم ذي القرى لقرى رسول الله قسمه لهم رسول الله (ص) وقد كان عمر عرض من ذلك علينا عرضاً فأرأناه دون حقنا فرددناه عليه وأبين أن نقبله<sup>٦</sup>.

(١) سنن أبي داود باب بيان مواضع الخمس، وسنن البيهقي ج ٦ باب سهم ذوي القرى، ومسند أحمد ٨٣/٤، ومجمع الزوائد ٣٤١/٥.

(٢) راجع فصل قصة مالك بن نويرة في «عبد الله بن سبأ» ج ١.

(٣) راجع فصل خاتمة الكتاب من «عبد الله بن سبأ» ٢٨٩/٢ — ٣٠٤.

(٤) الخراج لأبي يوسف ص ٢٣، وأحكام القرآن للجصاص ص ٦١/٣.

(٥) بصحيح مسلم ١٩٨/٥ باب النساء الغازيات يرضخ لمن ولايهم ولفظ «وزعم قومنا أنه ليس لنا» من كتاب الجهاد، ومسند أحمد ٢٤٨/١ و ٢٩٤ و ٣٠٤ و ٣٠٨، وسنن الدارمي ٢٢٥/٢ كتاب السير والطحاوي في مشكل الآثار ١٣٦/٢ و ١٧٩، ومسند الشافعي ١٨٣ وحلية أبي نعيم ٢٠٥/٣.

(٦) هذه الزيادة بتفسير الطبري ج ٥/١٠، والأموال لأبي عبيد ص ٣٣٣.

(٧) مسند أحمد ٢٢٤/١ و ٣٢٠، وسنن أبي داود ٥١/٢ كتاب الخراج، وسنن النسائي ١٧٧/٢، وسنن



وفي رواية أخرى قال: هولنا أهل البيت، وقد كان عمر دعانا إلى أن ينكح منه أئمننا ويحذي منه عائلنا ويقضي منه عن غارمنا، فأبيننا إلا أن يسلمه لنا وأبى ذلك فتركناه عليه<sup>١</sup>.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: كان عمر يعطينا من الخمس نحواً مما كان يرى أنه لنا فرغبنا عن ذلك وقلنا: حقّ ذوي القرى خمس الخمس. فقال عمر: إنما جعل الله الخمس لأصناف ستها. فأسعدهم بها أكثرهم عدداً وأشدّهم فاقة. قال: «فأخذ ذلك منا ناس وتركه ناس»<sup>٢</sup>.

وكذلك روي عن الإمام علي كما رواه البيهقي في سننه عن عبد الرحمن بن أبي يعلى قال: لقيت علياً عند أحجار الزيت، فقلت له: بأبي وأمي ما فعل أبو بكر وعمر في حقكم أهل البيت من الخمس — إلى قول علي — إنّ عمر قال: لكم حق ولا يبلغ علمي إذا كثّر أن يكون لكم كلة، فإن شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم فأبيننا عليه إلا كلة، فأبى أن يعطينا كلة<sup>٣</sup>.

ويظهر أنّ ما تذكره بعض الروايات — من أنّ الخليفة عمر دفع إلى عمّ النبيّ العباس والإمام عليّ بعض تركة النبيّ في المدينة ليتولّيا أمرها — كان في هذا العصر<sup>٤</sup>.

ب — على عهد الخليفة عثمان

أعطى عثمان خمس فتوح إفريقية مرة لعبد الله بن سعد بن أبي سرح<sup>٥</sup>، وأخرى لمروان بن الحكم.

قال ابن الأثير في تاريخه: أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى، وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي آفتحت فيها جميع إفريقية<sup>٦</sup>.

→

البيهقي ٣٤٤/٦ و ٣٤٥.

(١) الخراج لأبي يوسف ص ٢٣ و ٢٤ بلفظ آخر، ومغازي الواقدي ص ٦٩٧، والأموال لأبي عبيد ٣٣٣، وسنن النسائي ١٧٨/٢، وأحكام القرآن للجصاص ٦٣/٣، وبترجمة نجدة بلسان الميزان، ١٤٨/٦.

(٢) الأموال ص ٣٣٥، وكنز العمال ٣٠٥/٢.

(٣) البيهقي ج ٣٤٤/٦ باب سهم ذي القرى، ومسند الشافعي ص ١٨٧ باب قسم النبي.

(٤) صحيح البخاري ج ١٢٥/٢ وج ٣٨/٣ كتاب المغازي باب غزوة خيبر، وسنن أبي داود ج ٤٧/٣ كتاب الخراج في صفايا رسول الله من الأموال، ومسند أحمد ٦/١، وطبقات ابن سعد ٢٨/٨، ومنتخب الكنز ١٢٨/٣ باب ما يتعلق بجماله.

(٥) راجع تاريخ الذهبي ج ٧٩/٢ — ٨٠.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٧١/٣ ط. أروبا وط. مصر الأولى ٣٥/٣.

وقال ابن أبي الحديد: أعطى عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين<sup>١</sup>.

وقال الطبري: «لما وجه عثمان عبدالله بن سعد إلى أفريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق أفريقية جرجير ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار».

وقال: «وكان الذي صالحهم عليه عبدالله بن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب. فأمر بها عثمان لآل الحكم، أو لمروان<sup>٢</sup>.

وروى ابن عبد الحكم في كتاب فتوح أفريقيا، قال: غزا معاوية بن خديج أفريقية ثلاث غزوات، أما الأولى فسنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان وأعطى عثمان مروان الخمس في تلك الغزوة وهي غزوة لا يعرفها كثير من الناس»<sup>٣</sup>.

وروى البلاذري في ذكر ما أنكروا من سيرة عثمان، والسيوطي في تاريخ الخلفاء قال: وكتب لمروان خمس أفريقية<sup>٤</sup>.

وروى عن عبدالله بن الزبير أنه قال: أغرانا عثمان سنة سبع وعشرين أفريقية فأصاب عبدالله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم<sup>٥</sup>.

وروى أن مروان لما بنى داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور في من دعا، فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه، فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لك خيراً لك لقد غزوت معنا أفريقية وإنك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً، وأخفنا ثقلأ فأعطاك ابن عفان خمس أفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين... الحديث<sup>٦</sup>.

وقال في ذلك أسلم بن أوس بن بكرة الساعدي من الخرج وهو الذي منع ان

(١) شرح النهج ٦٧/١.

(٢) الطبري ط. أوروبا ٢٨١٨/١، وابن كثير ١٥٢/٧.

(٣) فتوح أفريقيا لابن عبد الحكم ٥٨ — ٦٠.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ٢٥/٥ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٦.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ٢٧/٥.

(٦) أنساب الأشراف للبلاذري ٢٨/٥.

يُدفن عثمان بالبقيع:

أقسم بالله رب العبا      دما ترك الله خلقا سدى  
دعوت اللعين فأذنيته      خلافاً لسنة من قد مضى  
(يعني باللعين: الحكم.)  
وأعطيت مروان خمس العباد      ظلما لهم وحيث الحمى<sup>١</sup>.

وفي الأغاني: وكان مروان قد صفق على الخمس بخمسمائة ألف فوضعها عنه عثمان فكان ذلك ممّا تكلم فيه بسببه وقال فيه عبدالرحمن بن حنبل بن مليل...  
الآيات<sup>٢</sup>.

كان ذلكم آجتهد الخليفة عثمان في أمر الخمس، أمّا آجتهد في ما تركه الرسول فقد قال أبو الفداء وابن عبد ربه واللفظ للأول: وأقطع مروان فذك وهي صدقة النبي التي طلبتها فاطمة من أبي بكر<sup>٣</sup>.

وقال ابن أبي الحديد: وأقطع عثمان مروان فذك وقد كانت فاطمة (س) طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدفعت عنها<sup>٤</sup>.  
وروى في سننه كل من أبي داود والبيهقي عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال في ذكره شأن فذك: «فلما ولي عمر (رض) عمل فيه بمثل ما عملا حتى مضى لسبيله ثم أقطعها - عثمان - مروان...»<sup>٥</sup>.

وقال البيهقي بعد إيراده تمام الحديث: «إنما أقطع مروان فذكاً في أيام عثمان بن عفان (رض) وكأنه تأول في ذلك ما روي عن رسول الله (ص): إذا أطلع الله نبياً

(١) أنساب الأشراف ٣٨/٥ وسمى الشاعر الخمس: خمس العباد ٤، لأنهم اعتادوا في عصر الشيخين أن يحسبوا الخمس: خمس العباد وليس لله ولرسوله ولذوي قرباه!  
(٢) الأغاني ٥٧/٦ وفي لفظ الآيات عنده بعض الاختلاف مع رواية البلاذري والصفق: التبايع.  
وكذلك رواه أبو الفداء في تاريخه ٢٣٢/١، وراجع المعارف لابن قتيبة ص ٨٤، والعقد الفريد ج ٢٨٣/٢.

(٣) تاريخ أبي الفداء ٢٣٢/١١ في ذكر حوادث سنة ٣٤، والعقد الفريد ٢٧٣/٤ كتاب المسجلة الثانية في الخلفاء وتواريخهم، وإنما قال: وهي صدقة النبي تبعاً لرواية أبي بكر «ما تركنا صدقة».

(٤) شرح النهج ٦٧/١.

(٥) سنن أبي داود ٤٩/٢ - ٥٠ باب صفايا رسول الله من كتاب الخراج كتاب قسم الفيء والغنيمة، وسنن البيهقي ٣١٠/٦.

طعنة فهي للذي يقوم من بعده وكان — أي الخليفة — مستغنياً عنها بما له فجعلها لأقربائه ووصل بها رحمهم ..»  
وقال ابن عبد ربه وابن أبي الحديد واللفظ للأول:  
وتصدق رسول الله بهزور — موضع سوق المدينة — على المسلمين فأقطعها — عثمان — الحارث بن الحكم أخا مروان<sup>١</sup>.

\* \* \*

كان هذا ما انتهى إلينا من أجتهد الخليفة عثمان في أمر الخمس وتركه الرسول على عهده، أما سبب نقمة الناس عليه فيعود لأمرين:  
أولاً: لأن الخليفين قبله كانا يضعان تلك الأموال في النفقات العامة وخصصها عثمان لأقربائه.  
ثانياً: موضع أقربائه من الإسلام وأهله وبيان ذلك كما يلي:  
سيرة أقارب عثمان المذكورين أعلاه:  
أ — عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري القرشي ابن خالة عثمان وأخوه من الرضاة<sup>٢</sup>.

قال الحاكم: كان كاتباً لرسول الله فظهرت خياناته في الكتابة فعزله رسول الله (ص) فارتد عن الإسلام ولحق بأهل مكة فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يلي علي «عزير حكيم» فأقول أو «عليم حكيم» فيقول: نعم كل صواب فأنزل الله فيه «ومن أظلم ممن أفترى على الله كذباً أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت، والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على

(١) العقد الفريد ٤/٢٨٣، وشرح النهج ١/٦٧، وفي لفظ شرح النهج «بهزور» تحريف. وراجع محاضرات الراغب ٢/٢١١، والمعارف لابن قتيبة ص ٨٤، وقال القاضيان الماوردي وأبو يعلى في باب بيان تركة الرسول: إن عثمان أقطع مهزور لمروان.

(٢) ذكر ذلك الحاكم في مستدرك ٣/١٠٠.

(٣) ذكر ذلك جميع مترجيه.

(٤) أجمع مترجوه على ذلك.

(٥) مستدرك الحاكم ٣/١٠٠.

(٦) ترجمته بأسد الغابة ٣/١٧٣.

الله غير الحق، وكنتم عن آياته تستكبرون، سورة الأنعام الآية ١٩٤.  
فأهدر الرسول دمه ولما فتح مكة أمن الناس كلهم إلا أربعة نفر وأمرأتين، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، أحدهم عبدالله، ففر إلى عثمان فقيبه عثمان حتى أتى به رسول الله بعد ما أطمأن أهل مكة فاستأمنه له فصمت رسول الله (ص) طويلاً ثم قال: نعم. فلما أنصرف عثمان، قال رسول الله (ص) لمن حوله: ما صمت إلا ليقوم إليهم بعضهم فيضرب عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهلا أو مأت إلي يا رسول الله، فقال: إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين<sup>٢</sup>.

هذا هو عبدالله بن سعد<sup>٣</sup>، ولما استخلف عثمان كان عمرو بن العاص على مصر فعزله عن الخراج وأقره على الصلاة والجند، واستعمل عبدالله على الخراج فتداعيا فعزل عمرراً وأضاف الصلاة إلى ابن أبي سرح. وبعد مقتل عثمان اعتزل عبدالله وكره معاوية وقال: لم أكن لأجامع رجلاً عرفته إن كان يهوى قتل عثمان، وتوفي في خلافة علي بالرملة، قال الذهبي: له رواية حديث.

ب وجـ مروان والحارث أبنا الحكم بن أبي العاص عم عثمان  
روى البلاذري أن الحكم بن أبي العاص كان جاراً لرسول الله في الجاهلية، وكان أشد أذى له في الإسلام وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة وكان مغموماً عليه في دينه فكان يمرّ خلف رسول الله فيغمز به ويخلج بأنفه وفه، وإذا صلى قام خلفه فاشار باصابعه، فبقي على تخليجه وأصابته خيلة، وأطلع على رسول الله ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة وقال: من عذيري من هذا الوزغة اللعين، ثم قال: لا يساكنني ولا ولده.

فغرتهم جميعاً إلى الطائف فلما قبض رسول الله كلم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردّهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لأوي طرداء رسول الله، ثم لما استخلف عمر كلمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر، فلما استخلف عثمان ادخلهم المدينة<sup>٤</sup>.  
ويوم قدم المدينة كان عليه خزر خلق، وهو يسوق تيساً والناس ينظرون إلى

(١) تفسير الكشاف ٣٥/٢، وأنساب الأشراف ٤٩/٥.

(٢) أجمع مترجمه على ذلك واللفظ بترجمته من أسد الغابة وسنن أبي داود ١٢٨/٤، وراجع تفسير الآية بتفسير القرطبي والرازي والبيضاوي والخازن والنسفي والشوكاني.

(٣) من هنا إلى آخر ترجمة عبدالله نقلناه بإيجاز من ترجمته بسير النبلاء للذهبي ٢٣/٣ — ٢٤.

(٤) أنساب الأشراف ٢٧/٥.

سوء حاله وحال من معه حتى دخل دار الخليفة، ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان<sup>١</sup>. وكان إذا أمسى عامل صدقات المسلمين على سوق المسلمين أتاه عثمان فقال له: ادفعها الى الحكم<sup>٢</sup>، ثم ولاه صدقات قضاة فبلغت ثلاثمائة الف درهم فوهبها له حين أتاه<sup>٣</sup> ولما توفي ضرب على قبره فسطاطاً<sup>٤</sup>.

وكان مروان صهر عثمان من ابنته أم أبان، والحارث صهره من ابنته عائشة. وقد وردت عن رسول الله (ص) أحاديث كثيرة في لعنهم وذمهم. لعن رسول الله (ص) الحكم وأولاده<sup>٥</sup>. وقال: «ويل لأمتي ممّا في صلب هذا»<sup>٦</sup>.

وقال: لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل هم<sup>٧</sup>. وقال: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً ومال الله دولا<sup>٨</sup>.

وقال: إني رأيت في منامي كأنّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري نزو القردة، فما رأيي النبيّ (ص) مستجعماً ضاحكاً حتى توفي<sup>٩</sup>.

وروى الحاكم عن عبدالرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبيّ (ص) فدعا له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون<sup>١٠</sup>.

هذا بعض ما ورد عن رسول الله فيهم، وفي ما سبق ذكرنا بعض منع عثمان إياهم.



إلى هنا ذكرنا اجتهاد الخلفاء قبل الإمام عليّ في الخمس وفي تركة الرسول فإذا فعل الإمام فيها على عهده؟

(١) تاريخ اليعقوبي ١٦٤/٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٦٨/٢.

(٣) أنساب الأشراف ٢٨/٥.

(٤) أنساب الأشراف ٢٧/٥.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ١٢٦/٥، ومستدرک الحاكم ٤٨١/٤.

(٦) ترجمة الحكم بأسد الغابة ٣٤/٢.

(٧) مستدرک الحاكم ٤٧٩/٤ - ٤٨١.

## سيرة الإمام علي (ع) في الخمس وفي تركة الرسول (ص)

عن ابن عباس أنَّ الخمس كان في عهد رسول الله (ص) على خمسة أسهم لله وللرسول سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامي والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم. ثم قسّمه أبوبكر وعمر وعثمان (رض) على ثلاثة أسهم، وسقط سهم الرسول وسهم ذوي القربى وقسم على الثلاثة الباقي، ثم قسّمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على ما قسّمه عليه أبوبكر وعمر وعثمان (رض)<sup>١</sup>.

وسئل أبو جعفر الباقر ما كان رأي علي - كرم الله وجهه - في الخمس؟ قال: كان رأيي فيه رأي أهل بيته، ولكنه كره أن يخالف أبابكر وعمر (رض)<sup>٢</sup>.

وعن محمد بن إسحاق قال سألت أبا جعفر محمد بن علي فقلت علي بن أبي طالب حيث ولي من أمر الناس ما ولي كيف صنع في سهم ذي القربى؟ قال: سلك به سبيل أبي بكر وعمر، قلت: كيف وأنتم تقولون ما تقولون؟ فقال: ما كان أهله يصعدون إلا عن رأيي. قلت: فما منعه؟ قال: كره - والله - أن يدعى عليه خلاف أبي بكر وعمر<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى بسنن البيهقي، قال: ولكن كره أن يتعلق عليه خلاف أبي بكر وعمر<sup>٤</sup>.

تدلنا هذه الروايات على أن الإمام علياً لم يغير شيئاً مما فعلوه قبله في الخمس وتركة الرسول، ولم يكن ليستطيع أن يغير شيئاً.

وفي سنن البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه: إن حسناً وحسيناً وابن عباس وعبد الله بن جعفر (رض) سألوا علياً (رض) نصيبهم من الخمس فقال: هو لكم حق، ولكنني محارب معاوية فإن شئتم تركتم حقاكم منه<sup>٥</sup>.

قال المؤلف: تدل هذه الرواية على أن الإمام صرف الخمس في تجهيز الجيش لحرب معاوية.

(١) الخراج ص ٢٣.

(٢ و ٣) الخراج ص ٢٣، وأبو عبيد في الأموال ص ٣٣٢، وأحكام القرآن للجصاص ٦٣/٣.

(٤) سنن البيهقي ٣٤٣/٦.

(٥) سنن البيهقي الكبرى ٣٤٣/٦ ثم قال: قال الشافعي (ره) فأخبرت بهذا الحديث عبا العزيز بن محمد قال: صدق - أي الراوي - هكذا كان جعفر يحدثه...

### الخمس وتركه الرسول (ص) في عصر خلفاء بني أمية

يظهر ممّا ورد في الاخبار أن اجتهاد معاوية في منع بني هاشم من الخمس ومنع ذرية الرسول من إرثه كان مشابهاً لاجتهاد الخلفاء الثلاثة قبله، غير أنه اُضيف إلى ذلك ما أدى إليه آجتهاده الخاص. أمّا منعهم من الخمس فيعلم من الروايتين التاليتين:

في طبقات ابن سعد: أنّ عمر بن عبد العزيز لما أمر بدفع شيء من الخمس إلى بني هاشم اجتمع نفر منهم فكتبوا كتاباً وبعثوا به مع رسول إليه يتشكرون له ما فعل بهم من صلة أرحامهم، وأنهم لم يزالوا مجفّين منذ كان معاوية... الحديث<sup>١</sup>.

وفيه أيضاً: إنّ عليّ بن عبد الله بن عباس وأبا جعفر محمّد بن علي قالوا: «ما قسّم علينا خمس منذ زمن معاوية إلى اليوم»<sup>٢</sup>.

أمّا ما أدى إليه آجتهاده الخاص في ذلك، فقد رواه بترجمة الحكم بن عمرو كلّ من الحاكم في مستدرّكه والذهبي في تلخيصه وابن سعد في طبقاته وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الأثير في أسد الغابة، وذكره في حوادث سنة خمسين من تاريخه كلّ من الطبري وابن الأثير والذهبي وابن كثير<sup>٣</sup> واللفظ للحاكم ثم للطبري.

قال الحاكم: بعث زياد الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان فأصابوا غنائم كثيرة فكتب إليه زياد «أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين كتب أن يصطفي له البيضاء والصفراء ولا تقسّم بين المسلمين ذهباً ولا فضة».

وفي تاريخ الطبري: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ: أن أصطفي له كلّ صفراء وتبيضاء والروائع فلا تحركن شيئاً حتى تخرج ذلك.

فكتب إليه الحكم: أمّا بعد، فإنّ كتابك ورد تذكراً أنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له كلّ صفراء وبيضاء والروائع ولا تحركن شيئاً، فإنّ كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنّ الله لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد فأتق الله لجعل له سبحانه وتعالى مخرجاً. وقال للناس أغدوا على غنائمكم فغدا الناس وقد عزل

(١) طبقات ابن سعد ط. أوروبا ٥/٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه ٥/٢٨٨.

(٣) مستدرّك الحاكم وتلخيصه بهامشه ج ٣/٤٤٢، وطبقات ابن سعد ط. أوروبا ٧/١٨١، والاستيعاب ١/١١٨، وأسّد الغابة ٢/٣٦، والطبري ط. أوروبا ٢/١١١، وابن الأثير ط. أوروبا ٣/٣٩١، والذهبي ٢/٢٢٠، وابن كثير ٨/٤٧.



الخمس فقتسم بينهم تلك الغنائم.

قال : كتب إليه زياد . والله لئن بقيت لك لأقطعن منك طابقاً سحتاً . انتهت رواية الطبري .

وقال الحاكم : إن معاوية لما فعل الحكم في قسمة الفيء مافعل ، وجه إليه من قيده وجبسه فمات في قيوده ودفن فيها وقال : إني مخاصم .

وفي ترجمته بتهذيب التهذيب : فأرسل معاوية عاملاً غيره فحبس الحكم وقيده فمات في قيوده<sup>١</sup>

وقال الطبري وغيره ، فقال الحكم : اللهم إن كان لي عندك خير فأقبضني فمات بخراسان بمرور.

قال المؤلف : كره بعض العلماء هذا الخبر فأورده ناقصاً محرّفاً مثل الذهبي ، فإنه قال في تاريخه «فكتب إليه لا تقسم ذهباً ولا فضة فكتب إليه أقسم بالله لو كانت السموات رتقاً... الحديث.

وكتب ابن كثير: فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يصطفي من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله.

وكتب ابن حجر بترجمته في التهذيب والإصابة واللفظ للأول: أن معاوية وجهه عاملاً على خراسان ثم عتب عليه في شيء فأرسل عاملاً غيره فحبس الحكم وقيده فمات في قيوده.

كانت هذه القصة للحكم بن عمرو كما ذكرنا ، وهم من قال إنها كانت للربيع بن زياد الحارثي ، فإن هذا لما أتاه مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فأقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات . راجع ترجمته في أسد الغابة (١٦٤/٢).

هذا ما كان من شأن الخمس على عهد معاوية أما شأن تركة الرسول على عهده فقد ذكروا من شأن فذك ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج قال:

(٢) نفس المصدر ٢٨٨/٥.

نسب الحكم إلى بني غفار وهو من بني عتمة وفي ترجمته بطبقات ابن سعد ١٨/١/٧ صاحب حتى توفي ، أي صاحب الرسول حتى توفي الرسول . وفيه وفي الاستيعاب : أنه روى عن النبي . أخرج حديثه أصحاب الصحاح عدا مسلم تقرب التهذيب ١٩٢/١ ، وجوامع السيرة ص ٣٠٦ .

أقطع معاوية بعد موت الحسن بن عليّ مروان بن الحكم ثلث فذك، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان<sup>١</sup>.

روى ابن سعد في طبقاته أنّ معاوية لما نزع مروان عن ولاية المدينة وغضب عليه قبض فذك منه فكانت بيد وكيله في المدينة، فطلبها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان من معاوية فأبى معاوية أن يعطيه، وطلبها سعيد بن العاص فأبى معاوية أن يعطيه، فلما وليّ معاوية مروان المدينة المرة الأخيرة ردّها عليه بغير طلب من مروان وردّ عليه غلّتها في ماضى فكانت بيد مروان<sup>٢</sup>.

ووهم بعضهم فظنّ أنّ معاوية كان أول من أقطع فذك مروان في حين إنّ عثمان أقطعها إيّاه قبل معاوية ولعل سبب الوهم هو دفع معاوية فذك إلى مروان في المرة الأخيرة كما ذكرنا.

### على عهد خلفاء بني أمية بعد معاوية

كان تصرّف سائر خلفاء آل أمية في الخمس — عدا ابن عبد العزيز — تصرّف المرء في ما يملكه، يهبونه تارة لمن يشاءون كما يشاءون، وأخرى يكتنزونها في كنوزهم مع غيرها ممّا يستولون عليه مثل الوليد بن عبد الملك حين دفعها إلى ابنه عمر كما في سنن النسائي قال:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد كتاباً فيه: وقسم أبيك لك الخمس كلّه، وإنّما سهم أبيك كسهم رجل من المسلمين وفيه حقّ الله وحقّ الرسول وذو القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل فما أكثر خصماء أبيك، فكيف ينجم من كثرت خصماؤه؟ وإظهارك المعازف والمزمار، بدعة في الإسلام، ولقد هممت أن أبعث إليك من يجز جنتك جنة السوء<sup>٣</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤/ ٨٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٨.

(٣) النسائي، باب قسم الفسء ٢/ ١٧٨.

وعمر هذا: هو ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان. قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٢٢٣ - ٢٢٤: وكان الوليد جباراً ظالماً، وكان لئالماً، ولي الخلافة في شوال سنة ست وثمانين، ومات في نصف جهادى الآخرة سنة ست وتسعين وله إحدى وخمسون سنة.

لم نجد في غير هذا الحديث ذكراً عن أمر الخمس وتركه الرسول بعد معاوية ولا تغييراً حصل فيها عما كان الأمر عليه على عهد معاوية حتى ولي عمر بن عبد العزيز.

#### على عهد عمر بن عبد العزيز

كتب عمر بن عبد العزيز<sup>١</sup> إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة أن يفحص له عن الكتيبة أكانت خمس رسول الله من خير أم كانت لرسول الله خاصة؟ ففحص عنها وأجاب: إن الكتيبة كانت خمس رسول الله، فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز أربعة آلاف دينار أو خمسة وأمره أن يضم إليها خمسة آلاف أو ستة آلاف دينار يأخذها من الكتيبة حتى يبلغ مجموعها عشرة آلاف ويقسمها على بني هاشم ويسوي بينهم الذكر والأنثى والصغير والكبير ففعل<sup>٢</sup>.

وروى ابن سعد عن جعفر بن محمد: أن عمر بن عبد العزيز قسم سهم ذي القرى بين بني عبد المطلب ولم يعط نساءهم اللاتي كنّ من غير بني عبد المطلب. وروى - أيضاً - أن كتاب عمر بن عبد العزيز لما وصل إلى والي المدينة أن يقسم الخمس على بني هاشم أراد السوالي أن ينحي بني المطلب عن الخمس فقالت بنو عبد المطلب: لا نأخذ درهماً واحداً حتى يأخذوا. فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك، فأجابه: إني ما فرقت بينهم وما هم إلا من بني عبد المطلب في الحلف القديم العتيق فأجعلهم كبنى عبد المطلب فأعطوا<sup>٣</sup>.

وروى أبو يوسف في كتاب الخراج قال: إن عمر بن عبد العزيز بعث بسهم الرسول وسهم ذوي القرى إلى بني هاشم<sup>٤</sup>.

قال ابن سعد: فكتبت فاطمة بنت حسين تشكر له ما صنع وتقول: لقد أخدمت من كان لا خادم له وأكتسى من كان عارياً، فسرّ بذلك عمر<sup>٥</sup>.

(١) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي ولد سنة ٦٣ وبويع بالخلافة في صفر سنة تسع وتسعين ومكث فيها سنتين وخمسة أشهر وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان في سفح قاسيون بدمشق ترجمته بطبقات ابن سعد ج ٢٤٣/٥، وتاريخ السيوطي ٢٢٨، والعبرج ١٢٠/١. وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري التجاري مات سنة عشرين ومائة وأخرج حديثه أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ٣٩٩/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢٨٧/٥ - ٢٨٨ وقد أوردتها ومايليا بإيجاز.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢٨٩/٥.

(٤) الخراج ص ٢٥. (٥) طبقات ابن سعد ج ٢٨٨/٥.

وقال: قال عمر بن عبدالعزيز: إن بقيت لكم أعطيتكم جميع حقوقكم<sup>١</sup>.

أمر فذك

قال ياقوت: لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برّد فذك إلى ولد فاطمة (رض)<sup>٢</sup>.

وبعد هذا في شرح النهج: فكتب إليه أبو بكر بن حزم: إن فاطمة عليها السلام قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من أرد منهم؟ فكتب إليه: أما بعد فإني لو كتبت إليك أترك أن تذبح شاة لكتبت إليّ أجتاء أم قرناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني مالونها فإذا ورد عليك كتابي هذا فأقسمها في ولد فاطمة (ع) من علي (ع)، والسلام.

قال: فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبدالعزيز وعاتبوه فيه وقالوا: هجنت فعل الشيخين. وخرج إليه جماعة من أهل الكوفة فلما عاتبوه على فعله قال إنكم جهلتم وعلمت ونسيتم وذكرت أنّ أبا بكر بن عمر بن حزم حدثني عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله (ص) قال: فاطمة بضعة منّي يسخطها ما يسخطني، ويرضيها ما أرضاها، وإن فذك كان صافية على عهد أبي بكر وعمر ثم صار أمرها إلى مروان، فوهبها لعبد العزيز أبي فورتها أنا وإخوتي عنه فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها فن بائع وواهب حتى استجمعت لي فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة.

قالوا: فإن أبيت إلّا هذا، فأمسك الأصل واقسم الغلّة ففعل<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى: لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة، كانت أول ظلامه ردّها دعا حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقيل بل دعا علي بن الحسين (ع) فردّها عليه وكانت بيد أولاد فاطمة (ع) مدة ولاية عمر بن عبدالعزيز<sup>٤</sup>.

بعد عمر بن عبدالعزيز

لا ذكر للخمس بعد ابن عبدالعزيز، أمّا فذك فقد قال ياقوت وابن أبي الحديد:

(١) طبقات ابن سعد ٢٨٩/٥.

(٢) مادة فذك من معجم البلدان.

(٣) شرح النهج ١٠٣/٤.

(٤) شرح النهج ٨١/٤.

لما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم فصارت في ايدي بني مروان كما كانت، يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبدالله بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث، ثم ردها المهدي أبنته على ولد فاطمة (ع)، ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه، فلما تزل في أيديهم حتى ولي المأمون فردّها على الفاطميين.

قال أبو بكر حدثني محمد بن زكريا، قال حدثني مهدي بن سابق قال: جلس المأمون للمظالم فأول رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى وقال للذي على رأسه، ناد: أين وكيل فاطمة؟ فقام شيخ عليه دراعة وعمامة وخف ثغري فتقدم فجعل يناظره في فلك والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون، ثم أمر أن يسجل لهم بها فكتب السجل وقرئ عليه فأنفذه. فقام دعبل إلى المأمون فأنشد الأبيات التي أولها:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا  
برد مامون هاشم فدكا<sup>١</sup>  
وتفصيل الكتاب ورد في فتوح البلدان قال: ولما كانت سنة عشر ومائتين أمر أمير المؤمنين المأمون عبدالله بن هارون الرشيد، فدفعها إلى ولد فاطمة وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة.  
«أما بعد فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسول الله (ص)

(١) شرح النج ٨١/٤، وفتوح البلدان بمادة فلك .  
أبو خالده يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. ولد بدمشق وولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ. بعد من أخيه سليمان في امرأة الجنان ١/٢٢٤ - ٢٢٥ قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز فأتوه بأربعين شيخاً شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب. وغلبت جاريته حبابة في تولية الولاة وغيرها. وطرب يوماً فقال دعوني أطير فقالت على من تدع الأمة؟ قال عليك. ولما مات تركها ثلاثة أيام حتى أنثنت وهو يشتمها ويقبلها ويكي، ومات بعدها بأيام سنة خمس ومئة. قيل مات عشقاً ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره. راجع فهرست الأغاني وأبن الأثير ٩٠/٥ - ٩٣، وتاريخ الخميس ٣١٨/٢.  
والسفاح أبو العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أول الخلفاء العباسيين. ولد ونشأ بالشرارة وبوسع له بالخلافة في الكوفة سنة ١٣٢ هـ توفي بالجدري بالأندلس سنة ١٣٦ هـ. راجع تاريخ ابن الأثير ١٢٥/٥، وغيره في حوادث سنة ١٣٦ هـ.

ولي بعده أخوه أبو جعفر المنصور عبدالله وتوفي سنة ١٥٨ هـ في طريق مكة ودفن بالحنجون من مكة.  
راجع حوادث سنة ١٥٨ هـ من كتب التاريخ.

ولي بعده أبو عبدالله محمد المهدي بن المنصور وتوفي سنة ١٦٩ هـ. ثم ولي بعده أبو محمد موسى الهادي بن المهدي وتوفي سنة ١٧٠ هـ. ثم ولي بعده أبو جعفر أخوه هارون الرشيد وتوفي سنة ١٩٣ هـ. وولي المأمون أبو جعفر عبدالله بن الرشيد سنة ١٩٨ هـ. بعد قتل أخيه الأمين وتوفي سنة ٢١٨ هـ.

والقربة به أولى، من استقر سنته ونفذ أمره وسلم لمن منحه منحة وتصدق عليه بصدقة منحتة وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته وإليه في العمل بما يقرُّه إليه رغبته. وقد كان رسول الله (ص) أعطى فاطمة بنت رسول الله (ص) فذك وتصدق بها عليها وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله (ص)، ولم تزل تدعي منه ما هو أولى به من صدق عليه فرآى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقّه وعدله وإلى رسول الله (ص) بتنفيذ أمره وصدقته فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عماله.

فلئن كان ينادي في كلّ موسم — بعد أن قبض الله نبيه (ص) — أن يذكر كلّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك فيقبل قوله وينفذ عدته، إنّ فاطمة (رض) لأولى بأن يصدّق قولها فيما جعل (ص) لها وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برّد فذك على ورثة فاطمة بنت رسول الله (ص) بمجودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك وتسليمها إلى محمّد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمّد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها.

فأعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وما ألهمه الله من طاعته ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسوله (ص) وأعلمه من قبلك وعامل محمّد بن يحيى ومحمّد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، وأعنها على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله، والسلام.

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلت من ذي القعدة سنة عشر ومائتين: فلما استخلف المتوكل على الله رحمه الله أمر بردها على ما كانت عليه قبل المأمون رحمه الله<sup>١</sup>. وذكر بقية الخبر ابن أبي الحديد وقال: فلم تزل في أيديهم حتّى كان أيام المتوكل فأقطعها عبد الله بن عمر البازيار وفيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله (ص) بيده فكان بنو فاطمة يأخذون تمرها فإذا كان أقدم الحاج اهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر، وجه رجلاً يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصمره ثم عاد إلى البصرة

ففلج<sup>١</sup>.

كان هذا آخر العهد باخبار فذك والخمس من قبل خلفاء المسلمين. أما آراء علمائهم فكمايلي:

\* \* \*

استعرضنا في ماسبق رأي الخلفاء في الخمس وفعلهم جيلاً بعد جيل ورأينا كيف ناقض بعضه الآخر. وتضاربت كذلك آراء فقهاء مدرسة الخلفاء في الخمس تبعاً لما فعله الخلفاء.

قال ابن رشد: واختلفوا في الخمس على أربعة مذاهب مشهورة:  
أحدها: أن الخمس يقسم على خمسة أقسام على نص الآية وبه قال الشافعي.  
والقول الثاني: أنه يقسم على أربعة أخماس...  
والقول الثالث: أنه يقسم اليوم ثلاثة أقسام، وأن سهم النبي وذوي القربى سقطا بموت النبي.

والقول الرابع: أن الخمس بمنزلة النية يعطى منه الغني والفقير.  
والذين قالوا يقسم أربعة أخماس أو خمسة اختلفوا فيما يفعل بسهم رسول الله (ص) وسهم القرابة بعد موته، فقال قوم: يرث على سائر الأصناف الذين لهم الخمس، وقال قوم: بل يرث على باقي الجيش، وقال قوم: بل سهم رسول الله (ص) للإمام، وسهم ذوي القربى لقرابة الإمام. وقال قوم: بل يجعلان في السلاح والعدة. واختلفوا في القرابة من هم؟<sup>٢</sup>

وقال ابن قدامة في المغني بعد ما روى أن أبا بكر قسم الخمس على ثلاثة أسهم:

وهو قول أصحاب الرأي — أبي حنيفة وجماعته — قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة: اليتامى والمساكين وابن السبيل وأسقطوا سهم رسول الله بموته وسهم قرابته أيضاً.

وقال مالك: النية والخمس واحد يجعلان في بيت المال». وقال الثوري والحسن يضعه الإمام حيث أراه الله عز وجل.

(١) شرح النهج ج ٤/٨١.

(٢) ابن رشد في الفصل الأول في حكم الخمس ج ١/٤٠٧ من بداية المجتهد.

وما قاله أبو حنيفة فمخالف لظاهر الآية فإن الله تعالى سَمَى لرسوله وقربته شيئاً وجعل لها في الخمس حقاً كما سَمَى الثلاثة الاصناف الباقية فن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب، وأما حمل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على سهم ذي القربى في سبيل الله فقد ذكر لأحمد فسكت وحرك رأسه ولم يذهب إليه، ورأى أن قول ابن عباس ومن وافقه أولى لموافقة كتاب الله وستة رسول الله (ص) «...»<sup>١</sup> ورأى أبو يعلى والماوردي أن تعيين مصرف الخمس منوط باجتهاد الخلفاء.<sup>٢</sup>



لقد طال بنا الحديث عن اجتهاد الخلفاء في الخمس وحق أبنة الرسول وتشعب ولا بد لنا من أجل آستيعاب الفكرة وأخذ النتيجة أن نلخص البحث ونضيف إليه بعض الإيضاحات في مايلي:

### خلاصة البحث:

من أجل فهم مغزى اجتهاد الخلفاء في الخمس وفي حق أبنة الرسول بعد ما لابسها الغموض خلال أحقاب طويلة اضطررنا أولاً إلى درس المصطلحات الإسلامية: الزكاة والصدقة والنفى والصفى والأنفال والغنمة والخمس فوجدنا:

أ - إن الزكاة في الشرع الإسلامي بمعنى: عامة حق الله في المال.

ب - وأن الصدقة: اسم لما يجب إخراجه من النقدين والغلات والأنعام إذا بلغ أحدها النصاب، وما فرض دفعه يوم عيد الفطر. ومما يدل على ما ذكرنا؛ أن الخمس والصدقة والصفى ذكرت في كتاب رسول الله لبيان أنواع الزكاة إذ فالصدقة صنف من أصناف الزكاة وليست مرادفة لها، وبالإضافة إلى ذلك لنا أن نقول: كيف تكون الزكاة بمعنى الصدقة وقد وردت في الآيات المكية وقبل أن ينزل تشريع الصدقة في المدينة؟<sup>٣</sup> وعلى ضوء ما ذكرنا تفسر الزكاة في الحديث الشريف «إذا أذيت زكاة مالك

(١) المغني لابن قدامة ج ٣٠١/٧ باب تسمية النفى والغنمة. وابن قدامة هو موفق الدين، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمود بن قدامة (ت ٦٣٠ هـ).

(٢) باب قسم النفى من الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٢٦، وص ١٢٠ من الأحكام السلطانية لأبي يعلى.

(٣) مثل قوله تعالى «والذين هم للزكاة فاعلون» الآية ٤ من سورة «المؤمنون»، وقوله تعالى «فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة» الآية ١٥٦ من الأعراف، وكذلك الزكاة في الآيات ١٣ و ٣١ و ٥٥



فقد قضيت حقّ الله في المال»: بأنّه إذا أذيت المفروض عليك في مالك فقد قضيت حقّ الله، وأمّا الدفع المستحبّ من المال فهو نفل وليس بحقّ، وكذلك تفسّر في الحديث «من استفاد مالاً فلا زكاة حتّى يحول الحول» بأنّه لا حقّ لله في ماله حتّى يحول الحول. وكذلك الشأن في نظائرها.

الصدقة مشتركة في ما ذكرناه آنفاً وفي ما يخرج به الإنسان من ماله على وجه القرابة نفلاً كان أو فرضاً، والفرق بينها أنّ الحقّ المفروض في التقدين والغلات والأنعام إذا اخذها الحاكم قهراً يكون زكاة وصدقة واجبة وليس بالصدقة التي يخرجها الإنسان على وجه القرابة.

ج- وأنّ الفيء: ما حصل من أموال الكفار من غير حرب. وأجمعوا على أنّ أموال بني النضير كانت من الفيء، وأنّ النبي تصرّف فيها تصرّف الملاك في أملاكهم.

د- الأنفال، جمع النفل: العطية والهبة، والنفل: الزيادة على الواجب، وانفله: أعطاه زيادة واستعمل الأنفال في القرآن الكريم في غزاة بدر حين سلب الله عن المسلمين تملّك ما حازوه من المشركين يومذاك. واستعمل في أحاديث أئمة أهل البيت وأريد به كلّ ما أخذ من دار الحرب بغير قتال وكلّ أرض أنجلي عنها أهلها بغير حرب وعلى قطائع الملوك والآجام والأرضين الموات وما شابهها.

هـ- وأنّ الغنيمة والمغنم: كانت العرب في الجاهلية والإسلام تقول: غنم الشيء غنماً إذا فاز به بلا مشقة، والاعتنام: انتهاز المغنم، والمغنم ما يغنم، وتقول لما يحصل من جهة العدوّ - وهو مالا يخلو من مشقة - سلبه، إذا أخذ ما على المسلوب وما معه من ثياب وسلاح ودابة، وتقول: حربه، إذا أخذ كلّ ماله، وكانت النهية والنهي عندهم تساوق الغنيمة والمغنم في عصرنا. وأوّل ما استعمل مادة «غنم» في كسب المال مطلقاً وبلا لحاظ «الفوز بلا مشقة» كان في القرآن الكريم، وفي ما جمع من مال العدو ببدر، وبعد أن سلب الله ملكية الأفراد عنه وسماه الأنفال وجعله الله ولرسوله ثمّ جعله مغنماً للجماعة، وشرع الله في الآية دفع الخمس من مطلق المغنم لله ولرسوله ولذوي قرباه بعد أن كان في الجاهلية المزابيع للرئيس خاصة، وعتم مورد الأخذ وجعله من مطلق المغنم ونزل الفرض من الربع إلى الخمس ووزعه على ستة سهام بدل أن يكون

→

من سورة مريم، و ٧٣ من سورة الأنبياء، وفرضت الصدقة في السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة من بعد هجرة الرسول إلى المدينة.

سهماً واحداً وخاصاً بالرئيس.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ فَرَضَ دَفْعُهُ مِنْ مَطْلَقِ الْمَغَانِمِ - بِالإضافة إلى ما ذكرنا - : إجماع المسلمين على أَنَّ الرسول أخذ الخمس من المال المستخرج من الأرض معدناً أو كنزاً وهو ليس مِمَّا حازه المسلمون من العدنى في الحرب .

ويدلُّ على ذلك من السُّنة - أيضاً - أمر الرسول وقد عبد القيس أن يدفعوا «الخمس من المغنم»، قال لهم ذلك عند ما سأله أن يعلمهم أحكام الإسلام كي يعلموا قبيلتهم فانهم لا يستطيعون الخروج من حَيْثهم في غير الأشهر الحرم خوفاً من مضر ولا يتصور لهذه القبيلة أن تكون غازية ليكون المراد من المغنم هنا غنائم الحرب، فلا بدَّ إذاً أن يكون المراد من المغنم مطلق المال المكتسب .

وكذلك الشأن في ما ورد في كتب الرسول لسائر القبائل العربية التي أسلمت، وكذلك في عهوده لولا ته، مثل ما ورد في كتاب عهده لولا ته الذين بعثهم إلى اليمن بعد إسلام أهل اليمن «أن يأخذ - الوالي - من المغنم خمس الله وما كتب على المؤمنين الصدقة» .

وكذلك ما ورد في كتاب الرسول لقبيلة سعد «أن يدفعوا الخمس والصدقة لرسوليه» فإنَّ هذه القبيلة لم تكن قد خاضت حرباً ليطلب النبيَّ منها أن تدفع إلى رسوليه خمس غنائم حروبهم، ولأنها طلب منهم دفع الصدقة من مواردها ودفع خمس أرباحهم .

وكذلك المراد من خمس المغنم في سائر كتبه إلى القبائل العربية المسلمة، خمس أرباح مكاسبها

ويؤكد ما ذكرنا، أنَّ حكم الحرب في الإسلام يخالف ما كانت عليه العرب في الجاهلية حيث كان لكل قبيلة الحق في الإغارة على غير حلفائها ونهب أموالهم كيف ما اتفق، وعند ذاك يملك كل فرد ما نهب وسلب وحرب وما عليه شيء عدا دفع المرباع للرئيس، ليس الأمر هكذا في الإسلام لتصح مطالبة النبيِّ القبائل بخمس غنائم حروبهم بدل الربع بل إنَّ الحاكم الأعلى في الإسلام هو الذي يقرّر الحرب وفق قوانين الإسلام، والمسلمون يتفقدون أوامره، ثم إنَّ الحاكم هو الذي يلي بعد الفتح قبض الغنائم أو يلي ذلك نائبه، ولا يملك أحد من الغزاة غير سلب القتل شيئاً، بل يأتي كل غازيها سلب حتى الخيط والمحيط ولأعدت من الغلول الذي هو عار وشعار على أهله ونار

يوم القيامة، ثم إن الحاكم هو الذي يقبض الخمس من الغنائم ويقسم الباقي على المجموعة.

إذاً فالحاكم هو الذي يعلن الحرب في الإسلام هو الذي يقبض الغنائم ويأخذ خمسها بنفسه، ثم يقسم الباقي، وليس غيره الذي يدفع الخمس إليه، وإذا كان الأمر هكذا في الإسلام وكان إخراج الخمس على عهد النبي من شئون النبي في هذه الأمة فما معنى طلب النبي الخمس من الناس وتأكيده ذلك في كتاب بعد كتاب إن لم يكن الخمس في تلك الكتب مثل الصدقة مما يجب على المخاطبين دفعه من أموالهم، وليس خاصاً بغنائم الحرب؟

وبناءً على ما ذكرنا فقد كان النبي يطلب ممن أسلم أن يؤدي الخمس من كل ما غنم عدا ما فرضت فيه الصدقة، وكان مدلول الغنائم والمغانم يومذاك مساوفاً لمطلق ما ظفربه من المال، ثم تطوّر مدلول هذه المادة عند المسلمين من بعد انتشار الفتوح ومنع الخلفاء الخمس من أهله ونسيان المسلمين هذا الحكم.

أما مواضع الخمس فقد نصّت آية الخمس على أن الخمس لله ولرسوله ولذوي قربي الرسول ويتاماهم ومساكينهم وأبناء سبيلهم. فالخمس إذاً يقسم ستة أسهم وما ورد في بعض الروايات من أن سهم الله وسهم الرسول واحد إن كان المقصود إن سبيلهما واحداً وإن الرسول يتصرف فيهما فهو صواب، وإلا فهو مخالف لظاهر الآية.

وتواترت الروايات عن أئمة أهل البيت بأن سهم ذي القرنى لأهل البيت في عصر الرسول ومن بعده لهم ولسائر الأئمة الاثني عشر من أهل البيت، وأن السهم الثلاثة لله ولرسوله ولذي قرباه للعنوان، وأن سهم الله لرسوله يضعه حيث يشاء، والسهمان بعد الرسول للإمام القائم مقامه. وعلى هذا فنصف الخمس في هذه العصور لإمام العصر من حيث إمامته والنصف الآخر من الخمس لغير أهل بيت النبي من أيتام أقرباء النبي ومساكينهم وأبناء سبيلهم وهم يستحقونه بقرباتهم من النبي من جهة الأب وحاجتهم إليه في مؤنتهم وأن فضل عنهم شيء فللوالى، وإن نقص فعلى الوالى أن يستعوزهم، وما قبضه أحدهم من الخمس وتملكه ينتقل بعد وفاته لورثته وأقرباء النبي من غير أهل البيت الذين يستحقون نصف الخمس بالفقر، هم ذكور أولاد عبد المطلب وذكور أولاد المطلب الذين حرمت عليهم الصدقة، ولم يرض الرسول أن يلي أحدهم على الصدقات ويصيب من سهم العاملين عليها حتى مولاها، فإنه منع مولاها

من الاشتراك مع عامل الصدقة كي لا يصيب منها<sup>١</sup>، وتابعه على ذلك أهل بيته.  
ومن هنا يتضح خطأ من زعم أنه بعث ابن عمه الإمام علياً إلى اليمن لقبض  
الصدقة مثل ابن هشام، بل بعثه لقبض الخمس كما صرح به غيره.  
قال ابن هشام في باب خروج الأمراء والعلماء على الصدقات من سيرته:  
وكان رسول الله (ص) قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى قوله: وبعث علي بن  
أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيته.  
ثم قال في باب موافاة علي رضوان الله عليه رسول الله (ص) في الحج: لما أقبل  
علي (رض) من اليمن ليلقي رسول الله (ص) بمكة تعجل إلى رسول الله (ص) واستخلف  
على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك فكسى كل رجل من القوم حلة من  
البز الذي كان مع علي (رض) فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال:  
ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك انزع  
قبل أن تنتهي به إلى رسول الله (ص)، قال: فانتزع الحلل من الناس فردّها في البز.  
قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم.  
قال: فاشتكى الناس علياً (رض)، فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول:  
«أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله أنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من  
أن يشكى»<sup>٢</sup>.

#### وقال في فصل السرايا والبعوث:

وغزوة علي بن أبي طالب (رض) إلى اليمن، غزاها مرتين. قال: بعث رسول  
الله (ص) علي بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال: إن  
التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب<sup>٣</sup>.  
إذا فقد ذكروا ثلاث خرجات للإمام إلى اليمن غازياً في اثنتين، وجابياً في

(١) سيرة ابن هشام ٢٧٣/٤ - ٢٧٥، والإمتاع ص ٥٠٩، فقد روى البيهقي في سننه الكبرى:  
إن أم كلثوم منعت من إعطاء موالها الصدقة، وروت عن جدّها الرسول أنه قال: «إنّا أهل بيت نهيّا عن الصدقة، وإن  
مولى من أنفستنا» وقالت: فلا تأكلوا الصدقة.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٧٥/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٣١٩/٤، وابن كثير ٣٤٣/٧، وراجع طبقات ابن سعد ١٦٩/٢، وعيون الأثر

واحدة وقد غمّت على العلماء أخبار تلك الخرجات، وأكثبت ونحن نوجز أخبارها في مايلي ليتبين لنا الصواب في الأمر.

في صحيح البخاري عن البراء بن عازب، قال: بعثنا رسول الله (ص) مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، فقال: «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب» الحديث<sup>١</sup>.

وقد روى البيهقي تفصيل هذا الخبر عن البراء قال: إن رسول الله (ص) بعث خالد بن الوليد إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء فكنت في من خرج مع خالد ابن الوليد فأقنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله (ص) بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً إلا رجلاً كان مع خالد فأحب أن يعقب مع علي فليعقب معه. قال البراء فكنت في من عقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ثم تقدم فصلّى بنا علي ثم صفنا صفّاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله (ص) فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله (ص) بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله (ص) الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان السلام على همدان»<sup>٢</sup>.

وفي عيون الأثر وإمتاع الأسماع بعده واللفظ للإمتاع: فقال: السلام على همدان وكرّر ذلك ثلاثاً، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام<sup>٣</sup>.  
هذا خبر إحدى الغزوتين، أورده البخاري مقتضباً، وأورد غيره تمام الخبر لما في بقية الخبر من انتقاص لمقام الصحابي الشهير خالد بن الوليد مقابل منقبة للإمام علي. وإمام المحدثين البخاري (رض) يتجنب ذكر ما فيه منقصة لذوي الجاه من الصحابة من فرط غيرته عليهم وتعصبه لهم.

وخبر الغزوة الثانية في العدد لاني من أورده الواقدي والمقرئزي وابن سيده وهذا موجز خبره: بعث النبي علياً مع ثلاثمائة إلى أرض مذحج وكانت خيله أول خيل دخلت تلك البلاد ففرق أصحابه فأتوا بنهب وسي، ثم لقي جمعاً فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا في أصحابه فحمل عليهم وقتل منهم عشرين فارساً، فأنهزموا فلم

(١) البخاري ٥٠/٣ موكتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن.

(٢) عيون الأثر ٢٧٢/٢ باب سرية علي بن أبي طالب، والإمتاع ص ٥١٠.

(٣) نقل الخبر ابن كثير في ١٠٥/٥ من تاريخه، باب بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب وخالد بن

الوليد إلى اليمن.

يتبعهم، وودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، فخمس الغنائم، ووزع أربعة أخماسها على جنده، وسارهم راجعاً وأسرع ليلقى رسول الله، وخلف عليهم أبا رافع فسألوا أبا رافع أن يكسوهم فكساهم ثوبين ثوبين مقلماً رجع اليهم علي وتلقاهم جردهم منها فشكوه إلى النبي<sup>١</sup>.

كان هذا موجز أخبار الغزوتين، أما خبر بعثه لجباية المال فقد قال البخاري وابن القيم: أنه كان لقبض الخمس<sup>٢</sup> وقال ابن هشام ومن تبعه أنه كان لقبض الصدقة وجزية أهل نجران.

وهناك أخبار أخرى عن خرجات الإمام إلى اليمن منتشرة في كتب الصحاح والمسانيد والسير غير أنها لم تعين في أي خرجاته كانت، مثل ما رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد واللفظ للأول، قال: بعث علي وهو باليمن إلى النبي بذهبية في تربتها<sup>٣</sup>.

وفي رواية: في أديم مقروط لم تحصل من ترابها<sup>٤</sup>.  
في تربتها: أي أنها غير مسبوكة ولم تصف من تراب معدنها، وأديم مقروط: جلد مدبوغ بالقرظ.

وهناك روايات عن إرسال النبي إياه قاضياً إلى اليمن وشرح بعض أحكامه عند ذلك مثل ما في مسند أحمد وسنن أبي داود، باب كيف القضاء؟ عن علي، قال: بعثني رسول الله (ص) إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله: تبعني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء، فقال: «إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك».

(١) مغازي الواقدي ١٠٧٩/٣ - ١٠٨١، وإمتاع الأسماع ص ٥٠٣ - ٥٠٤، وعيون الأثر ٢٧١/٢ - ٢٧٢.

(٢) البخاري ٥٠/٣ باب بعث علي وخالد إلى اليمن، وابن القيم بهامش شرح المواهب ١٢١/١ قال في فصل أمراته: وولي علي بن أبي طالب الأخماس باليمن والقضاء بها.

(٣) البخاري ١٨٨/٤ كتاب التوحيد، باب قوله تعالى تعرج الملائكة...، والنسائي ٣٥٩/٢ كتاب الزكاة، باب المؤلفه قلوبهم، ومسند أحمد ج ٦٨/٣ و ٧٢ و ٧٣، وقريب منه في البخاري ١٥٥/٢، ومسلم كتاب الزكاة ح ١٤٣، وسنن أبي داود ٣٠١/٣ و ١٧٤/٤ باب تحريم الدم، وص ٢٤٣ منه ح ٤٧٦٤ كتاب السنة، باب في قتال الخوارج.

(٤) البخاري ٥٠/٣ كتاب المغازي باب بعث علي، ومسلم ج ٧٤١/٢ ح ١٤٣، وص ٧٤٣ منه ح ١٤٤، ومسند أحمد ٤/٣، وص ٣ منه بإيجاز محل.

وفي مسند أحمد: فوضع يده على صدري، فقال: «تبتك الله وسددك .  
فلماذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما  
سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء» قال: ما شككت في قضاء بعد.<sup>١</sup>  
وذكروا من قضاياء في هذه الخرجة بعض ما استطرفوه، مثل ما روي أن  
ثلاثة نفر من أهل اليمن أتوا علياً يحتصمون إليه في ولد وقد وقعوا على المرأة في طهر  
واحد، فقال لاثنين منها: طيبا بالولد لهذا، فأبيا، ثم قال لاثنين طيبا لهذا بالولد فأبيا  
فقال: أنتم شركاء متشاكسون! إني مقرع بينكم فن قرع فله الولد وعليه لصاحبه ثلثا  
الدية، فأقرع بينهم، فجعله لمن قرع، فأق من اليمن أحدهم وأخبر النبي بذلك فضحك  
رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه.<sup>٢</sup>

وقضية أخرى نوردها من لفظ الإمام بإيجاز، قال: بعثني رسول الله إلى اليمن،  
ثم حدث عن قوم بنوا زبية للأسد فوقع فيها الأسد فكتب الناس عليه فوقع فيها رجل  
فتعلق بآخر وتعلق الآخر بآخر حتى صاروا فيها أربعة فجرحهم الأسد، فأنتدب له  
رجل بحربة فقتله، وماتوا عن جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر  
فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم علي على تفيئة ذلك، فقال: أتريدون أن تقاتلوا  
ورسول الله (ص) حي؟<sup>٣</sup>

وفي رواية: أتقتلون مائتين في أربعة؟ إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو  
القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي (ص) فيكون هو الذي يقضي  
بينكم فن عدا بعد ذلك فلا حق له. إجمعا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية  
وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فلأول الربع لأنه أهلك من فوقه، وللثاني  
ثلث الدية وللثالث نصف الدية وللرابع الدية كاملة، فأبوا أن يرضوا فأتوا النبي وهو  
عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال «أنا أقضي بينكم» واحتج، فقال رجل

(١) سنن أبي داود ٣/٣٠١ ح ٣٥٨٢، وابن ماجه كتاب الأحكام ح ٢٣١٠، ومسند أحمد ١/١٤٩ و  
ص ١١١ منه ح ٨٨٢، وراجع ص ٨٤ منه ح ٦٣٦، وص ٨٨ منه ح ٦٦٦.  
(٢) سنن ابن ماجه كتاب الأحكام ح ٢٣٤٨، وسنن أبي داود ٢/٢٨١ باب من قال بالقرعة وتاريخ  
ابن كثير ٥/١٠٧.

أوجزت لفظ الحديث، ويسدوان عداوة وقوعهم على امرأة واحدة في طهر واحد وقعت من الرجال  
الثلاثة زمن جاهليتهم وولدت المرأة بعد إسلامهم فتحاكموا عند الإمام حال إسلامهم.

من القوم، إنَّ عليّاً قضى فينا، فقصَّ عليه القصة فأجازه رسول الله (ص)¹. هذه أخبار خرجات الإمام إلى اليمن، نسب العلماء وقوع حوادث بعث خرجاته إلى غيره توهماً، وبعضهم أورد أخبار خرجاته الثلاث مجتمعة في مكان واحد²، وآخرون أوردوها في مكانين³. لهذا ولغير هذا⁴ وردت أخبار خرجات الإمام إلى اليمن غامضة وموهمة، ولعلنا نستطيع أن نستكشف الحقيقة من طبيعة الحوادث المروية عن خرجات الإمام إلى اليمن، فلنا أن نقول مثلاً: إنَّ غزاة مذحج كانت الأولى في خرجاته إلى اليمن وغزاة همدان الثانية، وفي الثالثة ذهب والياً وقاضياً ومخمساً. ودليلنا على ما نقول:

أولاً - إنهم في غزاة مذحج قالوا: كانت خيله أول خيل دخلت تلك البلاد، أي بلاد اليمن.

ثانياً - وقوع القتال في غزاة مذحج دون غزاة همدان وينبغي أن يكون القتال قبل السلم، وإنهم قالوا في غزاة همدان: «أسلمت همدان جميعاً» وقالوا: «ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام». إذاً لا قتال في اليمن بعد هذا وإنما أرسل النبي ولاته وجناته إليها ومن ضمنهم الإمام، وكانت هذه ثلاثة خرجاته إليها حيث أرسله النبي والياً وقاضياً ومخمساً، وصدرت منه في هذه المرة أحكام سارت بذكرها الركبان، وفي هذه المرة أرسل ذهبية في ترابها إلى النبي ولم تكن الذهبية من غنائم الحرب لأنَّ أهل اليمن كانوا قد أسلموا وبعث النبي إليهم الولاة والقضاة والمصدِّقين، ولأنَّ غنائم الحرب يحملها الجيش الغازي معه إلى المدينة بعد انتهاء الغزوة سواء سهام الخمس منها أو ببقية الغنائم الموزعة على أفراد الجيش ولا معنى لإرسال المال في هذه الحالة قبل عودة الجيش إلى

(١) مسند أحمد ٧٧/١ ح ٥٧٣، وح ٥٧٤، وص ١٢٨ منه ح ١٠٦٤، وص ١٥٢ ح ١٣٠٩ ومجمع الزوائد ٢٨٧/٦، والمتنقح ٣٩٩٤.

(٢) مثل ابن كثير في تاريخه فإنه أورد جميع أخبار خرجاته تحت عنوان «باب بعث رسول الله علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن».

(٣) مثل ابن هشام ومن تبعه فلأنهم أوردوها في باب خروج الأمراء والعمال على الصدقات في السنة العاشرة وفي باب تعداد السرايا والبحوث.

(٤) ما كانت الظروف في عصور يلين الإمام على جميع منابر المسلمين وخاصة في خطبة الجمعة تسمح لنشر أخبار فيها فضيلة ومنقبة للإمام، فإنَّ الولاة كانوا يطاردون من يذكر الإمام بخير منذ عصر معاوية حتى القرن الأول من عصر بني العباس عدا عصر ابن عبد العزيز وعصر السفاح.



المدينة بل ينبغي أن يكون بعث المال من قبل الوالي والعامل.  
ولم تكن الذهبية من الصدقات لما ثبت أن النبي لا يبعث الإمام عاملاً على الصدقة. ويؤيد ذلك ما في فقه أئمة أهل البيت من اشتراط كون الذهب والفضة مسكوكين لتجب فيها الصدقة<sup>١</sup>.  
ولم تكن الذهبية من جزى أهل نجران لأن جزيتهم كانت محددة في ألفي حلة ثمن كل حلة أربعون درهماً<sup>٢</sup>. إذا فقد كانت الذهبية من خمس السيوب أو خمس أرباح المكاسب.

وعلى ما ذكرنا كان النبي قد بعث الإمام إلى اليمن في هذه المرة مختصاً كما أرسل رسوله أبيتاً وعنبسة إلى سعد هذيم من قضاة وإلى جذام مصدقين وخمسين<sup>٣</sup> ولعل غيرهم من عمال رسول الله ممن ذكروا في عداد المصدقين أيضاً كانوا مأمورين بأخذ الخمس بالإضافة إلى أخذ الصدقة، وأنهم كانوا قد أخذوا الخمس من موارده ودفعوه إلى رسول الله غير أن الخلفاء لما رفعوا الخمس بعد رسول الله<sup>٤</sup> أهمل الرواة والعلماء ذكره، لأنه كان يخالف سياسة الخلفاء في أدوار الخلافة الإسلامية.  
وإذا أنصفنا إلى ما ذكرنا ملاحظة ثروة سكان شبه الجزيرة العربية يومذاك، وأن عامة ثروة القبائل كانت من الأنعام وقليل من الفرس والزرع، وأن كل تلك كانت من موارد الصدقات ولم تكن من موارد الخمس، وكانت المدينة عاصمة الإسلام أيضاً بلداً زراعياً وكانت عامة ثروة أهلها الزرع والضرع، وأن التجارة كانت منحصرة بأهل مكة وبعض قبائل أهل الكتاب، وأن أنصاف المسلمين بالمدينة إلى الحرب ضد قريش واليهود وسائر القبائل العربية والتي ناف عددًا على الثمانين بين غزوة وسرية في زهاء عشر سنوات، أي بمعدل ثماني معارك حربية في كل سنة؛ أدى ذلك كله إلى جعل الطرق التجارية في الحجاز مجالاً للإغارة والغزو والسلب بين الأطراف المتحاربة وأنقطاع التجارة في تلك السنوات، ومن أجل ذلك ندر وجود مورد ربح غير موارد الصدقات.

(١) راجع فصل زكاة التقدين في فقه الإمامية مثل مصباح الفقيه للهمداني ص ٥٣ من كتاب الزكاة.

(٢) راجع إمتاع الأسماع ص ٥٠٢.

(٣) راجع قبله ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) كما جابهت به ابنة النبي أبابكر.

كُلَّ هذا العوامل أدت إلى عدم انتشار أخبار أخذ الرسول الخمس من أرباح المكاسب في كتب السيرة والحديث . أمّا أخبار أخذه الخمس من الكنوز والمعادن وبعثه المحمّسين مع المصدقين فقد أوردنا ما وجدنا من أخبارها على قلّة ما لدينا من مصادر هذه الدراسات .

### الصدقة بعد الرسول (ص)

تابع أئمة أهل البيت الرسول (ص) في تحريمهم الصدقة على ذوي قربى الرسول (ص) فقد قال الإمام جعفر الصادق في جواب من قال له : إذا منعتم الخمس هل تحلّ لكم الصدقة ؟ : « لا والله ما يحلّ لنا ما حرّم علينا بغصب الظالمين حقّنا ، وليس منهم إيتانا ما أحلّ الله لنا بحلّ لنا ما حرّم الله علينا » .

أمّا الخلفاء فقد آستولوا على تركة الرسول وهي :

أ — الحوائط السبعة (وصية مخيرق) .

ب — أرضه من أموال بني النضير .

ج ، د ، هـ — الحصون الثلاثة : في خيبر .

و — الثلث من أرض وادي القرى .

ز — مهزور (موضع سوق بالمدينة) .

ح — فذك ،

وكان الرسول قد وقف ستة من الحوائط السبعة فهي صدقة الرسول ، ووهب شيئاً من أراضي بني النضير لأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وأبي دجانة ، وأعطى أزواجه من حصون خيبر ، وأعطى فاطمة وأعطى حمزة بن النعمان العذري رمية سوط من وادي القرى .

لما توفي الرسول جاء أبو بكر وعمر إلى عليّ فقال له عمر : ما تقول في ما ترك

رسول الله ؟

قال علي : نحن أحقّ الناس برسول الله .

قال عمر : والذي بخير ؟

قال علي : والذي بخير .

قال عمر : والذي بفدك ؟

قال علي : والذي بفدك .

قال عمر: أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير فلا.  
ودفع أبوبكر إلى عليّ آلة رسول الله ودابته وحذاه وقال: ما سوى ذلك  
صدقة، وأستولى على كل ما تركه الرسول مرة واحدة حتى فذك ولم يتعرض لشيء مما  
وهبه النبي لسائر المسلمين فخاصمتهم فاطمة في ثلاثه أمور:

أ - في فذك منحة الرسول إياها: فطلب أبوبكر منها البيئة فشهد لها رجل وأمرأة  
فرفض شهادتهما لأنها لم يكونا رجلين أو رجلاً وأمرأتين.

ب - في إرثها من الرسول: بعد عشرة أيام من وفاة رسول الله جاءت فاطمة إلى  
أبي بكر ومعها عليّ والعباس فقالت: ميراثي من رسول الله أبي، فقال أبوبكر: أمن  
الرثة أو من العقد؟ قالت: فذك وخيبر وصدقته بالمدينة أرثها كما تركت بناتك، فقال  
أبوبكر: أبوك والله خير مني، وأنت والله خير من بناتي.

وفي رواية قالت: من يرثك إذا مت؟

قال ولدي وأهلي.

قالت: ما بالك ورثت رسول الله دوننا؟

قال: يا بنت رسول الله ما فعلت، ما ورثت أباك أرضاً ولا ذهباً ولا فضة ولا  
غلاماً ولا ولداً.

فقالت: سهمنا بخير وصافيتنا بفذك.

قال: سمعت رسول الله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو  
صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال — يعني مال الله — ليس لهم أن يزيدوا على  
المأكل» ما كان النبي يعول فعليّ. فقال عليّ «وورث سليمان داود» وقال: «يرثني  
ويرث من آل يعقوب» قال أبوبكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم مثل ما أعلم، فقال  
عليّ: هذا كتاب الله ينطق، فسكتوا وانصرفوا.

ج - في سهم ذي القري: لما منع أبوبكر فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القري  
وجعله في السلاح والكراع أتته فاطمة وقالت:

لقد علمت الذي ظلمتنا أهل البيت من الصدقات (أي أخذت أوقاف رسول  
الله) وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القري ثم قرأت عليه:  
«وآعلموا أنما غنمتم من شيء فأنت لله خمسة وللرسول ولذي القري...» الآية.  
وفي رواية قالت: عمدت إلى ما أنزل الله فينا من السماء فرفعته عتاً.

فقال أبوبكر: بأبي أنت وأُمِّي ووالد ولدك ، السمع والطاعة لكتاب الله ولحق رسول الله وحق ابنته وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرئين منه ولم يبلغ علمي منه أنَّ هذا السهم من الخمس مسلَّم إليكم كاملاً! قالت: افلك هو ولا قربائك؟ قال: لا! وأنفق الباقي في مسالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم الله. وفي رواية قال لها: حدَّثني رسول الله «إنَّ الله تعالى يطعم النبيَّ الطعمة ما كان حيّاً فإذا قبضه إليه رفعت».

وفي رواية: سمعت رسول الله يقول «سهم ذوي القرى لهم في حياتي وليس لهم بعد موتي» فغضبت فاطمة وقالت: أنت وما سمعت من رسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسي. والله لا أكلِّمكما أبداً، فأتت وما تكلِّمهما.



لَمَّا أدلت فاطمة بكل مالديها من دليل وشهود وأبى أبوبكر أن يردها إليها شيئاً ممَّا أخذ، رأت أن تبسط الخصومة على ملأ من المسلمين وتستنصر أصحاب أبيها وتشركهم في المسؤولية فذهبت إلى مسجد أبيها في لَمَّة من حفدتها ما تخرم مشيتها مشية الرسول حتَّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار فنيطت دونها ملاءة فخطبت فيهم وقالت في خطبتها:

أيُّها الناس أنا فاطمة وأبي محمَّد (ص) أقولها عوداً على بدء ولقد جاءكم رسول من أنفسكم... الآية ثم قالت في كلامها:

أفعل عمداً تركتكم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول الله «وورث سليمان داود» وقال تعالى في ما قص من خبر يحيى بن زكريا «رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب» وقال عزّ ذكره «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» وقال «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» وقال «إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين» وزعمتم أن لاحقاً ولا إرث لي من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج نبيّه (ص) منها أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثون؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ (ص) أفحكم الجاهلية تبغون؟...

ثمَّ عادت فاطمة إلى بيتها وهجرت أبا بكر ولم تزل مهاجرته حتَّى توفيت وعاشت بعد النبيّ ستة أشهر فلَمَّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤدِّن بها أبا بكر.

١٨٩

تأول الخليفة أبوبكر حديثاً رواه هو، فنفع ابنة الرسول من إرث أبيها، واجتهد  
فرغ الخمس عن ذوي قرى الرسول، وعلى ذلك انتهى عهده!

على عهد عمر

قال الإمام عليّ في جواب سؤال من قال له: بأبي وأمي ما فعل أبوبكر وعمر  
في حقكم أهل البيت من الخمس...؟  
«إنّ عمر قال: لكم حق ولا يبلغ علمي إذا كثّر أن يكون لكم كلّ فلان شتم  
أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم. فأبينّا عليه إلّا كلّ فأبى أن يعطينا».   
أراد عمر أن يدفع إلى الإمام وإلى عمّه العباس بعض تركّة النبيّ في المدينة  
وكان كلّ ذلك بعد ما آتت الثروة عليهم على أثر اتّساع الفتوح.  
اجتهد عمر فاستمرّ على منع ذوي القرى من سهامهم في الخمس واجتهد  
فاستمرّ على مصادرة تركّة الرسول، وأخيراً لمّا آتت الثروة عليهم اجتهد وأراد أن  
يدفع إليهم بعضها وعلى هذا انتهى عهده.

على عهد عثمان

أعطى عثمان خمس غزوة أفريقيا الأولى عبد الله بن أبي سرح ابن خالته وأنحاه  
من الرضاعة، وأعطى خمس الغزوة الثانية ابن عمّه وصهره مروان بن الحكم وأقطعه  
فدك، وأقطع الحارث ابن عمّه وصهره «المهزور» موضع سوق بالمدينة، وكان رسول الله  
قد تصدّق به على المسلمين، وأعطى عمّه الحكم صدقات قضاة، وإذا أمسى عامل  
صدقات المسلمين على سوق المسلمين. أثناء عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم، قال  
البيهقي في ما أقطع عثمان من تركّة الرسول ذوي قرباه: تأوّل في ذلك ما روي عن  
رسول الله إذا أطعم الله نبيّاً طعمة فهي للذي يقوم من بعده، وكان مستغنيا عنها بما له  
فجعلها لأقربائه ووصل بها رحمهم.

إذا اجتهد عثمان فأقطع أقرباءه تركّة الرسول وصدقاته، واجتهد فأعطاهم  
الخمس، واجتهد فأعطاهم الصدقات. اجتهد ثمّ اجتهد ثمّ اجتهد. فما أوسع باب هذا  
الاجتهاد!؟!

### على عهد الإمام عليّ (ع)

لم يكن باستطاعة الإمام أن يغير شيئاً من ستة أبي بكر وعمر خاصة في ما يعود على أهل البيت بالمال.

### على عهد معاوية

كان اجتهاد معاوية في منع ذوي قرى الرسول من الخمس ومصادرة تركة الرسول مشابها لاجتهاد الخلفاء من قبله، وإنا زاد اجتهاداً على اجتهاد لئلا يتركب ما يربأ عن تصطفي له كل صفراء وبيضاء والروائع من غنائم الفتوح وألا يقسم منها شيء بين المسلمين.

### على عهد عمر بن عبد العزيز

حاول عمر بن عبد العزيز أن يتابع النص الشرعي فدفع إلى ذرية الرسول شيئاً من سهامهم في الخمس وأعاد إليهم فذلك فوات ميتة مجهولة السبب عندنا.

### بعد ابن عبد العزيز

اجتهد يزيد بن عبد الملك فقبض فذلك من بني فاطمة فلما ولي السفاح ردّها إلى بني فاطمة، ثم اجتهد المنصور وقبضها عنهم، وردّها المهديّ إلى ولد فاطمة، واجتهد موسى ابن المهدي وقبضها عنهم وردّها المأمون إليهم، وبقيت في أيديهم حتى ولي المتوكل فاجتهد وقبضها منهم وأقطعها عبد الله البازياري فقطع إحدى عشرة نخلة كان الرسول قد غرسها وكان هذا آخر ما بلغنا من أخبار اجتهاد الخلفاء في الخمس وفي تركة الرسول ويأتي بعد ذلك آراء العلماء في موارد اجتهاد الخلفاء.

### آراء العلماء في مصرف الخمس

تضاربت آراء العلماء في مصرف الخمس بعد الرسول (ص) تبعاً لتضارب أفعال الخلفاء فقال القوم: إنّ سهم رسول الله (ص) للإمام أي الخليفة وإنّ سهم ذي

(١) كلمة فارسية: أي صاحب البازي ومريه، ويرواه كان على طيور صيد المتوكل.

القرى لقربة الإمام، وقال قوم: بل يجعلان في السلاح والعدة، وقال آخرون: إن تعيين مصرف الخمس منوط باجتهاد الخلفاء.

وقال بعضهم في منع عمر أهل البيت خمسهم: «إنه من باب الاجتهاد» «وإن عمر لم يخرج بما حكم عن طريقة الاجتهاد ومن قدح في ذلك فأنما يقدح في الاجتهاد الذي هو طريق الصحابة» و«إنها مسألة اجتهدية» وقالوا في جواب من انتقده وقال «إنه أعطى أزواج النبي وافرص، ومنع فاطمة وأهل البيت من خمسهم... ولم يكن ذلك في زمن النبي» قالوا في جوابه: «إنه من مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية»<sup>١</sup>.

ولا يعزب عن بالنا أن كل هذا الكلام يجري في مورد خمس غنائم الفتوح، وأن كل هؤلاء القائلين بهذه الأقوال يقولون: إن الآية الكريمة «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى...» إنما تخص خمس غنائم الفتوح. إذاً فإن هؤلاء يقولون — مع تعيين الله سبحانه مصرف خمس غنائم الفتوح في هذه الآية — «فإن تعيين مصرف الخمس منوط باجتهاد الخلفاء».

وقد عيّن الخلفاء مصرف الخمس كما يلي:

اجتهد أبو بكر وعمر فمنعا فاطمة ابنة رسول الله وسائر ذوي قرى الرسول وأقربائه من بني هاشم وبني المطلب من سهامهم في الخمس، وزاد عثمان في هذه المسألة اجتهداً فدفع الخمس وتركه الرسول إلى أقاربه ووصل بذلك رحمهم، وزاد معاوية في هذه المسألة اجتهداً فضم إلى ذلك كل صفراء وبيضاء وروائع غنائم الفتوح وأدخل كلهن خزائنه الخاصة، واجتهد الخلفاء الأمويون والعباسيون من بعد أولئك فأدخلوا الخمس خزائنها الخاصة وأنفقوا من كل ذلك على الشعراء الخلفاء والجواري المغنيات.

واجتهد العلماء وعدوا كل ما فعله الخلفاء حكماً من أحكام الشرع الإسلامي وأن على المسلمين أن يدينوا به وأن من خالف ذلك فقد خالف السنة والجماعة. إذاً فلن قولهم «اجتهد الخليفة في المسألة» يعني: إن الخليفة أرتأى ذلك، وأن «المسألة اجتهدية» يعني: إن رأي الخليفة فيها هو الحكم الإسلامي! وعلى هذا فإنهم يقولون: قال الله وقال رسوله واجتهدت الخلفاء، وإن اجتهد الخلفاء مصدر للتشريع

(١) أي أن مخالفة عمر لرسول الله هي من باب مخالفة مجتهد لمجتهد آخر.

الإسلامي في عداد كتاب الله وسنة رسوله: وإن الله وإننا إليه راجعون!!

\* \* \*

أوردنا بشيء من التفصيل آراء مدرسة الخلفاء في الخمس وأعمالهم فيه واستدلهم على ما أرتأوا، وأشرنا إلى قول أئمة أهل البيت في الخمس وأنه يقسم لديهم على ستة أسهم ثلاثة منها لله ولرسوله ولذوي قرباه للعنوان، يقبض الرسول هذه الأسهم في حياته ويعود أمرها من بعده إلى الأئمة الاثني عشر من أهل بيته، والأسهم الثلاثة الأخرى منه لفقرائه بني هاشم وأيتامهم وأبناء سبيلهم مع وصف الفقراء.

وقالوا أيضاً: إنَّ الخمس يجب إخراجه من كلِّ مال فازبه المسلم من جهة العدى وغيرهم<sup>١</sup>. واستدلوا في كلتا المسألتين بعموم آية الخمس مع مالديهم من ستة الرسول، قال فقهاء مدرستهم في مقام الاستدلال بالآية على المسألة الثانية:

إنَّ الآية وإن كانت قد نزلت في غنائم غزوة بدر، ولكن ليس للمورد أن يخصص<sup>٢</sup>، والتخصيص من غير دليل باطل<sup>٣</sup>، وبيان الإيراد على الاستدلال وجوابه كمايلي<sup>٤</sup>:

إنَّ المورد على الاستدلال بالآية قال: إنَّ الآية نزلت في غنائم غزوة بدر فلا تشمل ما عدا غنائم الحرب.

وأجيب عنه: بأنَّ نزول الآية في غزوة بدر لا يخصص الحكم العام الوارد في الآية — وهو وجوب أداء الخمس من المغنم — ويجعل الحكم خاصاً بغنائم الحرب. ومثاله من غير هذا المورد؛ حكم جلد الشهود على الزنا إن لم يبلغ عددهم الأربعة والوارد في قصة الإفك، فإنَّ المورد وهو قصة الإفك لا يخصص الحكم العام الذي ورد في الآيات وهو جلد الشهود إن لم يبلغوا أربعة بتلك الواقعة، وكذلك شأن حكم الظهار الوارد في سورة المجادلة فإنه ما خص المرأة التي جادلت وزوجها يومذاك وإن نزلت الآية في شأنهما وهكذا الأمر في ما عداهما.

(١) مصي بيانه في باب مواضع الخمس لدى مدرسة أهل البيت.

(٢) ورد ذلك بباب الخمس في الموسوعات الحديثية والكتب الفقهية لدى مدرسة أهل البيت.

(٣) راجع كتاب الخمس بمسند التراقي وغيره.

(٤) المنتهى للعلامة الحلبي (ت ١٣٧٩ هـ) ج ١/ ٧٢٩.

(٥) توخي الشرح والتبسيط في هذا الكتاب وتجنبنا المصطلحات العلمية مهما أمكن ليعم نفعه إن شاء

الله تعالى.



وقالوا في الجواب أيضاً: إنّ تخصيص الآية وتقييدها — بغنائم دارالحرب — أولى بطلب الدليل عليه<sup>١</sup> وإنّ على من يخصّص الآية بها إقامة الدليل<sup>٢</sup>. ومتما يؤيد هذه الأجوبة ما ذكره القرطبي من مدرسة الخلفاء بتفسير الآية قال: والاتّفاق — أي اتفاق علماء مدرسة الخلفاء — حاصل على أنّ المراد بقوله تعالى «ما غنمتم من شيء» مال الكفار إذا ظفربه المسلمون على وجه الغلبة والقهر، ولا تقتضي اللغة هذا التخصيص على ما بيّناه<sup>٣</sup>. إذاً فتخصيص الغنائم بغنائم دار الحرب خلاف المتبادر من اللفظ عند أهل اللغة، وقول علماء مدرسة الخلفاء بالتخصيص يخالف المعنى المتبادر من اللفظ عند إطلاقه.

وأجيب على الإيراد أيضاً: بأنّ الآية وإن كانت نازلة في مورد خاص — هو غزوة بدر — ولكن من المعلوم عدم اختصاصها بذلك المورد الخاصّ حتى إنّ من ذهب من العامة إلى عدم وجوب الخمس في مطلق الغنائم لم يخصّه بخصوص مورد الآية بل عتمه إلى مطلق الغنائم المأخوذة في الحروب . أنّا لو بنينا على الجمود في استفادة الحكم من الآية بحيث لم نتمتع بموردها بوجه لوجب القول بعدم وجوب الخمس إلّا على من شهد غزوة بدر في ما اغتتم من المشركين في تلك الغزوة، ولم يقل بهذا أحد، فلا بد من التعدي من مورد الآية لا محالة، فنحن نتمتع منه إلى مطلق ما يصدق عليه الغنيمة سواء كان مكتسباً من الحرب أو التجارة أو الصناعة أو غير ذلك<sup>٤</sup>.

وبالإضافة إلى استدلالهم بآية الخمس يستدلّون بما ورد عن أئمة أهل البيت في هذا الحكم كما يفعلون في سائر الأحكام فإنّ الرسول قد أمر بالتمسك بهم في حديث الثقلين وغيره، سواء أسند الأئمة حديثهم إلى جدّهم الرسول مثل الحديث الذي رواه الصدوق في الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب عن النبي (ص) قال في وصيّته له: يا عليّ إنّ عبد المطلب سنّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام، حرّم نساء الآباء على الأبناء فأُنزل الله عزّ وجلّ «ولا تنكحوا

(١) مسالك الإفهام ج ٢/٨٠.

(٢) الخلاف للشيخ الطوسي ج ٢/١١٠، وج ١/٣٥٨، وقريب منه لفظ مصباح الفقيه ص ١٩ من كتاب الخمس.

(٣) تفسير القرطبي ١/٨.

(٤) تقريرات الحاج السيد حسين البروجردي زبدة المقال ص ٥.

ما نكح آبائكم من النساء»<sup>١</sup> ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به فانزل الله عزوجل «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة...» ولما حفر زمزم... الحديث<sup>٢</sup>.

وهذا الحديث يعني أن الآية تشمل غير غنائم الحرب، وقد سبق ذكر سنة الرسول في ذلك أيضاً.

هذه خلاصة أدلة أتباع مدرسة أئمة أهل البيت في هذا المقام.

(١) سورة النساء الآية ٢٢.

(٢) الخصال ط. وتحقيق الغفاري ص ٣١٢.

## - ٦ -

### اجتهاد الخليفة عمر في المتعتين

حرّم عمر متعتي الحجّ والنساء فعّد ذلك منه من مسائل الاجتهاد كما قاله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة<sup>١</sup> ورواه أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري — قال:

تمتّعنا على عهد النبيّ الحجّ والنساء فلمّا كان عمر نهانا عنها فانتبهنا<sup>٢</sup>.  
وفي تفسير السيوطي وكنز العمال عن سعيد بن المسيّب قال: نهى عمر عن المتعتين متعة النساء ومتعة الحجّ<sup>٣</sup>.

وفي بداية المجتهد وزاد المعاد وشرح نهج البلاغة والمغني لابن قدامة والمحلّى لابن حزم واللفظ للأوّل: روي عن عمر — وفي زاد المعاد: ثبت عن عمر — أنّه قال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنها واعاقب عليهما: متعة الحجّ ومتعة النساء»<sup>٤</sup>.

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٣٦٣ في جواب الطعن الثامن.

(٢) مسند أحمد ٣/٣٦٣، ونظيره في ص ٣٥٦ منه، وفي ص ٣٢٥ منه بإيجاز.

(٣) تفسير السيوطي ١٤١/٢، وكنز العمال ط. الأولى ٨/٢٩٣، وراجع مشكل الآثار للطحاوي ص ٣٧٥، وسعيد بن المسيّب قرشي غزوي من كبار التابعين. أخرج حديثه أصحاب الصحاح، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. تقريب التهذيب ١/٣٠٦.

(٤) بداية المجتهد ١/٣٤٦ باب القول في التمتع، وزاد المعاد لابن القيم ٢/٢٠٥ فصل «إباحة متعة النساء» ولفظة «أنا أعاقب عليها» تحريف. وشرح النهج ٣/١٦٧، والمغني لابن قدامة ٧/٥٢٧، والمحلّى لابن حزم ٧/١٠٧، وتفسير القرطبي والرازي ٢/١٦٧، و٣/٢٠١ و٢٠٢، وكنز العمال ٨/٢٩٣ و٢٩٤، والبيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٢٣. وراجع الطحاوي في كتابه شرح معاني الآثار، مناسك الحج ص ٣٧٤ عن ابن عمر،

وفي رواية الجصاص وابن حزم واللفظ للأول: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنها وأضرب عليها: متعة النساء ومتعة الحج<sup>١</sup>.

\* \* \*

تشير الروايات الآتية الى اجتهادين لل خليفة عمر في حكمين من أحكام الإسلام: في متعة الحج ومتعة النساء وفي مايلي تفصيل القول فيهما.

→ وكذا العمال ط. الأولى ٢٩٣/٨ و ٢٩٤.

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢٧٩/١، والمحلى لابن حزم ١٠٧/٧، ولعل منشأ الاختلاف في اللفظ ان الخليفة قالها مرتين مرة قال: اضرب عليها واخرى اعاقب.

## «أ» متعة الحجّ

تقع متعة الحجّ ضمن حجّ التمتع وبيان ذلك أنّ الحجّ ينقسم إلى ثلاثة أنواع  
 ١- حجّ التمتع ٢- حجّ الإفراد ٣- حجّ القران.  
 ١- حجّ التمتع وهو فرض من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وصورته: أن  
 يحرم بالعمرة إلى الحجّ ويلبي بها من الميقات في أشهر الحجّ: شوال وذو القعدة  
 وذو الحجة ثم يأتي مكة ويطوف بالبيت سبعا ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين  
 الصفا والمروة سبعا ثم يقصر فيحلّ له جميع ما حرم عليه بالإحرام، ويقم بكعة محلاً  
 حتّى ينشئ يوم التروية من تلك السنة إحراماً آخر للحجّ ثم يخرج إلى عرفات ثم  
 يفيض منها بعد غروب التاسع إلى المشعر ومنها إلى منى وهكذا حتّى يتم مناسك الحجّ  
 ويحلّ بالحلّ أو التقصير من إحرامه. ويسمى هذا الحجّ بحجّ التمتع وعمرته بعمرة التمتع  
 لقوله تعالى: «فمن تمتع بالعمرة إلى الحجّ» ولأنّ الحاجّ يتمتع بالحلّ بين لإحرام  
 العمرة والحجّ ومدة الحلّ بين الإحرامين هي متعة الحجّ التي حرّمها الخليفة عمرو من  
 تبعه على ذلك ويأتي بها جلّ المسلمين في هذا اليوم.

٢ و ٣- حجّ الإفراد وحجّ القران:

أولاً في فقه أهل البيت:

صورة الإفراد: أن يحرم للحجّ من الميقات أو من منزله إن كان دون الميقات ثم  
 يمضي إلى عرفات ويقف بها يوم التاسع، ثم يأتي بباقي مناسك الحجّ حتّى يتمّها جميعاً،  
 ثم يحلّ من إحرامه وعليه عمرة مفردة يأتي بها من أدنى الحلّ أو من أحد المواقيت وتصحّ

تمام السنة ويسميان بالإفراد والمفردة لأنّ الحاجّ يأتي بكلّ منها مفرداً. وصورة حجّ القران: كالإفراد في جميع مناسكه ويتميّز عنه بأنّ القارن يسوق الهدي عند إحرامه أي يقرن بين التلبية والهدي فيلزمه بسياقه، وليس على المفرد هدي أصلاً.

وأحدهما فرض حاضري المسجد الحرام على سبيل التخيير<sup>١</sup>.

ثانياً: في فقه مدرسة الخلفاء:

أ - القران: أن يقرن بين العمرة والحجّ أي يجمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة فيقول: لبيك بحجة وعمرة، أو يهلّ بالعمرة في أشهر الحجّ ثم يردف ذلك بالحجّ قبل أن يحلّ من العمرة. ويلزم القارن من غير حاضري المسجد الحرام هدي المتمتع<sup>٢</sup>. والإفراد: أن لا يكون متمتعاً ولا قارناً بل يهلّ بالحجّ فقط<sup>٣</sup> ويقال: أفرد الحجّ، وفي بعض الروايات جرّد<sup>٤</sup>.

\* \* \*

كانت تلكم أنواع الحجّ لدى المسلمين. أمّا المشركون في الجاهلية فكان عندهم ما رواه كلّ من البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأحمد في مسنده، والبيهقي في سننه الكبرى وغيرهم في غيرها، واللفظ للأول، عن ابن عباس أنّه أخبر عن المشركين في الجاهلية وقال:

« كانوا يرون العمرة في أشهر الحجّ من أفجر الفجور في الأرض ويجعلون المحرم صفر<sup>٥</sup> ويقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر وأنسلخ صفر حلّت العمرة لمن اعتمر<sup>٦</sup> ».

(١) دليل الناسك للسيد محسن الحكيم ط. الأداب - النجف سنة ١٣٧٧ هـ ص ٣٧ - ٤٥.

(٢) خلافاً لبعض أصحاب مالك حسب نقل بداية المجتهد.

(٣) رجعنا لما أوردناه هنا إلى بداية المجتهد ٣٤٨/١ فصل «القول بالقارن» وإلى مادة «القران» من نهاية اللغة لابن الأثير.

(٤) سنن البيهقي ٥/٥ باب من اختار الإفراد.

(٥) هكذا ورد مراعاة للسجع.

(٦) البخاري، كتاب الحجّ، باب التمتع والقران والإفراد. فتح الباري ج ٤/١٦٨ - ١٦٩، وكتاب مناقب

الأنصار منه، وصحيح مسلم، باب جواز العمرة في أشهر الحجّ الحديث ١٩٨، ومسند أحمد ٢٤٩/١ و ٢٥٢ و ٣٣٢ و ٣٣٩، وسنن أبي داود كتاب المناسك، باب العمرة والنسائي، كتاب الحجّ ٧٧، وسنن البيهقي ٣٤٥/٤، والمنق الحديث ٢٤٢٢، وراجع الطحاوي في مشكل الآثار ٣/١٥٥، وشرح معاني الآثار ٣٨١/١ في مناسك الحجّ

شرح الرواية: روى النووي في شرح مسلم أنّ العلماء قالوا في شرح الرواية الآتية:

«ويجعلون المحرم صفر» المراد الإخبار عن النسيء الذي كانوا يفعلونه، وكانوا يستمّون المحرم صفرًا ويحلّونه وينسئون المحرم أي يؤخّرون تحرّجه إلى ما بعد صفر، لئلا يتوالى بينهم ثلاثة أشهر محرّمة تضيق عليهم أمورهم من الغارة وغيرها. و«إذا برأ الدبر» أي برأ ما كان يحصل بظهور الإبل من الحمل عليها ومشقة السفر فإنّه كان يبرأ بعد أنصرافهم من الحجّ.

و«عفا الأثر» أي اندرس أثر الإبل وغيره في سيرها. وقال ابن حجر في تعليل هذا الأمر: وجه تعلّق جواز الاعتمار بأنسلاخ صفر مع كونه ليس من أشهر الحجّ، وكذلك المحرم أنّهم لمّا جعلوا المحرم صفرًا ولا يبرأ دبر إبلهم إلّا عند انسلاخه، ألحقوه بأشهر الحجّ على طريق التبعية، وجعلوا أول أشهر الاعتمار شهر المحرم الذي هو في الأصل صفر، والعمرة عندهم في غير أشهر الحجّ<sup>١</sup>. كان هذا دأب قريش وسنتهم في العمرة وقد خالفهم الرسول في ذلك كما يلي بيانه:

#### سنة الرسول (ص) في العمرة

قال ابن القيم: اعتمر رسول الله (ص) بعد الهجرة أربع عمر كلّهن في ذي القعدة، وأيد ذلك بما رواه عن أنس وابن عباس وعائشة وفي لفظ الأخيرين: «لم يعتمر رسول الله (ص) إلّا في ذي القعدة»<sup>٢</sup>.

قال ابن القيم: «والمقصود أنّ عمره كلّها كانت في أشهر الحجّ مخالفة لهدي المشركين، فإنّهم كانوا يكرهون العمرة في أشهر الحجّ، ويقولون هي من أفجر الفجور. وهذا دليل على أنّ الاعتمار في أشهر الحجّ أفضل منه في رجب بلا شك». وقال: لم يكن الله ليختار لنيّته (ص) في عمره إلّا أولى الأوقات وأحقّها بها

(١) راجع شرح الحديث بشرح النووي على مسلم وشرح ابن حجر بفتح الباري.

(٢) زاد المعاد ٢٠٩/١ فصل في هديه (ع) في حجه وعمره. وتفصيل الروايات بصحيح البخاري ٢١٢/١ باب كم اعتمر النبي، وبصحيح مسلم باب بيان عمر النبي (ص) وزمانه من كتاب الحج الحديث ٢١٧—٢٢٠ ص ٩١٦—٩١٧، والبيهقي بسننه الكبرى ٣٥٧/٤ باب من استحب الإحرام بالعمرة من الجمرات، وفي ١٠/٥—١٢ منه وابن كثير ١٠٩/٥.

فكانت العمرة في أشهر الحج نظير وقوع الحج في أشهره، وهذه الأشهر قد خصها الله تعالى بهذه العبادة، وجعلها وقتاً لها، والعمرة حج أصغر، فأولئ الأزمدة بها أشهر الحج، وذو القعدة أوسطها، وهذا مما «تخار الله» فيه، فمن كان عنده فضل علم فليرشد إليه<sup>٢</sup>.

\* \* \*

بعد إيراد ستة المشركين في العمرة وسنة الرسول فيها نعود إلى البحث عن متعة الحج في الكتاب والسنة ثم نذكر كيفية اجتهد الخلفاء فيها في مايلي:

### متعة الحج في الكتاب

شرح الله الجمع بين العمرة والحج في أشهر الحج والتمتع بالحل بينهما خلافاً لسنن المشركين وقال في كتابه الكريم:

«فلماذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وآتوا الله وأعلموا أن الله شديد العقاب» البقرة/ ١٩٦.

في هذه الآية شرع الله سبحانه التمتع بالعمرة إلى الحج لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وأمنه وبين في الآية التي تليها بقوله تعالى «الحج أشهر معلومات» أن الجمع بين العمرة والحج يجب أن يقع في أشهر الحج. نصبت الآيتان بكل جلاء ووضوح على هذا الحكم، وإلى هذا أشار الصحابي عمران بن الحصين حسب رواية البخاري في صحيحه عنه: حيث قال:

أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمه<sup>٣</sup> ولم ينه عنها حتى مات... الحديث<sup>٤</sup>.

ولفظ مسلم قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله (يعني متعة الحج) وأمرنا بها رسول الله (ص) ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنها رسول الله حتى مات... الحديث<sup>٥</sup>.

(١) هكذا في النسخة ولعل الصواب تختار.

(٢) زاد المعاد ١/ ٢١١، وراجع ص ٢٢٣ منه، وسنن البيهقي ٤/ ٣٤٥، باب العمرة في أشهر الحج.

(٣) بهذا اللفظ ورد النص في البخاري، والأولى أن يقول: (يحرمها) لعودة الضمير على المتعة وهي مؤنثة لفظاً.

(٤) تفسير الآية بصحيح البخاري ٣/ ٧١، وسنن البيهقي ٥/ ١٩.

(٥) الحديث ١٧٢ باب جواز التمتع من صحيح مسلم ص ٩٠٠، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٣٨، وزاد المعاد



٢٠١

وأجمع المفسرون وغيرهم من العلماء على ذلك ولا خلاف فيه ومن العجيب أن يختم الله هذه الآية بإعلام أن الله شديد العقاب. شرع الله متعة الحج في هذه الآية بكل صراحة وسنه رسوله في حجة الوداع كما تواتر الخبر عن ذلك في ما روي عن رسول الله في صحاح الأحاديث مثل ما ورد في الروايات الآتية:

#### متعة الحج في السنة

بما أن العمرة في أشهر الحج كانت لدى قريش في الجاهلية من أفجر الفجور فقد تدرج الرسول في تبليغ حكم عمرة التمتع كما يظهر من الروايات التالية. في صحيح البخاري وسنن أبي داود وابن ماجه والبيهقي، واللفظ للأول، في كتاب الحج باب قول النبي «العقيق واد مبارك» عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله بوادي العقيق يقول: «أتاني آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة».

وفي رواية أخرى: «وقل عمرة وحجة».

وفي لفظ سنن البيهقي: «أتاني جبرئيل (ع)» وفي آخر الرواية: «فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة».

العقيق، في معجم البلدان: العقيق الذي جاء فيه إتك بواد مبارك هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة. وهو الذي جاء فيه أنه مهمل أهل العراق من ذات عرق. وقال ابن حجر في شرح الحديث بفتح الباري: بينه وبين المدينة أربعة أميال<sup>١</sup>.

أخبر رسول الله (ص) عمر بنزول الوحي عليه بأن يجمع بين العمرة والحج وفي تبليغه خاصة حكمة نعرفها مما جرى على عهده في شأن العمرة.



لابن القيم ٢٥٢/١، وطبقات ابن سعد ط. أوربتا ٤ / ق ٢٨/٢.

(١) صحيح البخاري ج ١٨٦/١ والرواية الثانية في باب ما ذكر النبي وحض على اتفاق أهل العلم من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٧٧/٤، وسنن أبي داود المناسك ١٥٩/٢، وابن ماجه الحديث ٢٩٧٣ ص ٩٩١ باب التمتع بالعمرة إلى الحج وسنن البيهقي ١٣/٥ - ١٤، وفتح الباري ١٣٥/٤، وتاريخ ابن كثير ١١٧/٥ و ١٢٨ و ١٣٦.

في وادي عقيق أخبر عمر بنزول الوحي عليه وفي منزل عسفان أخبر سراقه بذلك في جواب سؤاله كما رواه أبو داود قال:

حتى إذا كان - رسول الله (ص) - بعسفان قال له سراقه بن مالك المدلجي : يا رسول الله اقض لنا قضاء قوم كانوا ولدوا اليوم، فقال: «إن الله تعالى قد أدخل عليكم في حجكم هذا عمرة، فإذا قدمتم فن تطوف بالبيت وبين الصفا والمروة فقد حلّ إلا من كان معه هدي»<sup>١</sup>.

عسفان بين الجحفة ومكة والجحفة تبعد عن مكة أربع مراحل. وفي سرف التي تبعد ستة أميال أو أكثر من مكة بلغ عامة أصحابه أن من أحب أن يجعلها عمرة فليفلح كما روت عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله في أشهر الحج وليالي الحج وحرم الحج فنزلنا بسرف، قالت: فخرج إلى أصحابه فقال: «من لم يكن معه هدي فأحب أن يجعلها عمرة فليفلح ومن كان معه الهدى فلا» قالت: فالتأخذ بها والتارك لها من أصحابه<sup>٢</sup>.

يظهر مما سبق أن التاركين لها كانوا من مهاجرة قريش الذين كانوا يرون في الجاهلية أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور.

وكرر التبليغ بذلك بعد نزولهم بطحاء مكة حسب ما رواه ابن عباس قال: قدم لأربع مضين من ذي الحجة فصلّى بنا الصبح بالبطحاء ثم قال: «من شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها»<sup>٣</sup>.

هكذا تدرّج الرسول في تبليغ هذا الحكم حتى إذا ما أتموا الطواف والسعي، نزل

(١) سنن أبي داود ج ١/١٥٩ باب في الإقراء الحديث ١٨٠١ من المناسك، والمنتقى لابن تيمية باب ما جاء في فسخ الحج إلى العمرة الحديث ٢٤٢٧.

وسراقه بن مالك بن جشم أبوسفیان الكنا في المدلجي. كان يسكن قديداً بالقرب من مكة، وهو الذي تبع الرسول حين هاجر إلى المدينة ليرده إلى قريش فيأخذ الجمالة مائة ناقة فساخت قوائم فرسه، أسلم عام الفتح مات سنة أربع وعشرين روى عنه غير مسلم من أصحاب الصحاح تسعة عشر حديثاً. تقريب التهذيب ١/٢٨٤، وجوامع السيرة ص ٢٨٣ - وسيره ابن هشام ١٠٣/٢ و ٢٥٠ و ٣٠٩.

(٢) صحيح البخاري ١٨٩/١ باب قوله تعالى الحج أشهر معلومات، وصحيح مسلم ص ٨٧٥ الحديث ١٢٣ و ١٢١ بإيجاز، وكذلك بسنن البيهقي ٣٥٦/٤ باب المفرد أو القارن يريد العمرة...، ومصنف ابن أبي شيبة ١٠٢/٤.

(٣) سنن البيهقي ٤/٥.

عليه القضاء في ذلك فأمرهم جميعاً بذلك، كما رواه البيهقي قال:  
... نزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم اهل  
بالحج ولم يكن معه هدي أن يجعلها عمرة وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت  
لما سقت الهدي ولكنني لبّدت رأسي وسقت هديي فليس لي محلّ إلا محلّ هديي» فقام  
إليه سراقه بن مالك (رض) فقال: يا رسول الله! اقض لنا قضاء قوم كأنّما ولدوا اليوم  
أعمرتنا هذه لعامنا أم للأبد؟ فقال رسول الله (ص): بل للأبد دخلت العمرة في الحج  
إلى يوم القيامة...<sup>١</sup>

\* \* \*

في الأحاديث السابقة قال رسول الله (ص) لعمر: أمرني ربّي أن أقول «عمرة  
في حجة» أو «عمرة وحجة» أي أن أنوي في سفرى هذا الجمع بين الحج والعمرة.  
وقال في جواب سراقه بعسفان: إنّ الله قد أدخل في حجكم هذا عمرة، خصّ  
التبليغ في حجهم ذلك.

ثمّ بلغ عامة الحاجّ معه بسرف بلفظ من أحبّ أن يجعلها عمرة وفي بطحاء مكة  
بلفظ: من شاء أن يجعلها، حتى إذا حان وقت الأداء والإحلال من العمرة بلغهم كافة أنّ  
العمرة دخلت في الحج للأبد.

وقول سراقه في الحرتين (قضاء قوم كأنّما ولدوا اليوم) يقصد بغضّ النظر عمّا  
كانت عليه قريش في الجاهلية. وهاهنا تواترت الروايات بما فعله الرسول وكيف بلغ  
حكم التمتع بالعمرة إلى الحجّ كما يأتي:

قال أنس كما في مسند أحمد والمنتقى: خرجنا نصرخ بالحجّ فلما قدمنا مكّة  
أمرنا رسول الله أن نجعلها عمرة وقال «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة  
ولكنني سقت الهدي وقرنت بين الحج والعمرة»<sup>٢</sup>.

وقال أبو سعيد الخدري كما في صحيح مسلم ومسنّد أحمد: خرجنا مع رسول  
الله نصرخ بالحجّ صراخاً فلما قدمنا مكّة أمرنا أن نجعلها عمرة إلّا من ساق الهدي فلما

(١) سنن البيهقي ٦/٥ وتلبيد الشعر أن يجعل فيه شيئاً من صمغ عند الإحرام لئلا يشعث ويقعل إبقاء  
على الشعر وإما يلبد من يطول مكثه في الإحرام، نهاية اللغة.  
(٢) المنتقى، الحديث: ٢٣٩٣، نقله عن مسند أحمد ٢٦٦/٣.

- كان يوم التروية ورحنا إلى منى أهللنا بالحج<sup>١</sup>.
- وفي زاد المعاد لابن القيم قال: وفي الصحيحين عن عائشة: (خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلا الحج). فذكرت الحديث وفيه (فلما قدمنا مكة قال النبي (ص) لأصحابه اجعلوها عمرة فأحل الناس إلا من كان معه الهدى... (أ)).
- قال: وفي لفظ البخاري: خرجنا مع رسول الله (ص) ولا نرى إلا الحج فلما قدمنا تطوفنا بالبيت فأمر النبي (ص) من لم يكن ساق الهدى أن يحل فحل من لم يكن ساق الهدى ونساؤه لم يستقن فاحللن (ب).
- قال وفي صحيح مسلم عن ابن عمر عن حفصة زوج النبي قال: حدثتني أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع. فقلت ما منعك أن تحلي؟ فقال: «إني لبدت رأسي وقلدت بدني فلا أجعل حتى أنحر الهدى (ج).
- قال وفي صحيح البخاري عن ابن عباس (رض): أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة أمرنا أن نجعلها عمرة قال رسول الله (ص) «اجعلوا إلهالكُم بالحج عمرة إلا من قلده الهدى...» الحديث (د).
- وأنتم ما ورد في هذا الباب رواية جابر بن عبد الله الأنصاري في كيفية حجة النبي والتي أخرجها أصحاب الصحاح ونحن نورد ملخصها هاهنا عن صحيح مسلم.
- روى مسلم في صحيحه في باب حجة النبي عن جابر أنه قال ما ملخصه: أن رسول الله (ص) مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في العاشرة أن رسول الله حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتبس أن يأتي برسول الله ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فقبل رسول الله في المسجد ثم ركب القموصاء — ناقته — حتى إذا
- (١) صحيح مسلم، الحديث ٢١١، وفي ٢١٢ عنه، وعن جابر ص ٩١٤، ومسنود أحمد ج ٣/٥ و ٧١ و ٧٥ و ١٤٨ و ٢٦٦، والمتنقي بالحديث ٢٤١٨ واللفظ للأول.
- (أ) هذا الحديث وثلاثة بعده أخرجها ابن القيم في زاد المعاد بفصل (في إحلال من لم يكن ساق الهدى ٢٤٦/١ - ٢٤٧) ونحن نبين مواضعها.
- الحديث (أ) بصحيح مسلم الحديث ١٢٠ ص ٨٧٣ و ٨٧٤، وابن ماجة الحديث ٢٩٨١.
- (ب) صحيح البخاري كتاب الحج باب التمتع والإقرا ن والإفراد بالحج، الحديث الأول ١٨٩/١، وصحيح مسلم الحديث ١٢٨ ص ٨٧٧ وسنن أبي داود ١٥٤/٢ باب في إفراد الحج الحديث ١٧٨٣ وليس في لفظه: ونساؤه...
- (ج) صحيح مسلم بالحديث ١٧٧ - ١٧٩ ص ٩٠٢ وسنن أبي داود ١٦١/٢ الحديث ١٨٠٦.
- (د) صحيح البخاري ج ١/١٩١ كتاب الحج باب ٣٦.

٢٠٥

استوت به ناقته على البيداء نظرت مذبصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به، فأهلّ بالتوحيد... إلى قوله: لسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة محتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن...

وهكذا وصف جابر ما عمل به رسول الله إلى قوله: حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال «لو آتيت استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة فن كان منكم ليس معه هدي فليحلّ وليجعلها عمرة». قال جابر: فقام سراقه بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله! ألعاننا هذا أم للأيد؟ فشبك رسول الله (ص) أصابعه واحدة في الأخرى وقال: «دخلت العمرة في الحج» مرتين. «لا، بل لا بد أبد»<sup>١</sup>. وفي البخاري: قال سراقه: ألنا هذا خاصة قال: «لا بل للأبد»<sup>٢</sup>.

### كيف تلقى الصحابة حكم التمتع بالعمرة

ذكرنا في ما سبق كيف تدرج النبي (ص) في تبليغهم تشريع التمتع بالعمرة إلى الحج، وفي ما يلي نذكر كيف تلقته الصحابة يومذاك : في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قدم النبي (ص) وأصحابه لأربع خلون من العشر - أي من العشرة الأولى من ذي الحجة - وهم يلبون بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة.

وفي رواية أخرى بعده: أن يحولوا إحرامهم بعمرة إلا من كان معه الهدي<sup>٣</sup>.

(١) صحيح مسلم باب حجة النبي، الحديث ١٤٧ ص ٨٨٦ - ٨٨٨، وسنن أبي داود، المناسك ج ١٨٢/٢، وسنن ابن ماجه، المناسك ص ١٠٢٢، وسنن الدارمي، المناسك باب في سنة الحاج ٤٤/٢، ومسنند أحمد ٣٢٢/٣، وسنن البيهقي ٧/٥ باب ما يدل على أن النبي (ص) أحرم إحراماً واحداً، ومنحة المعبود الحديث ٩٩١ وفي المحلى: لا بد أبد قيل: بإضافة الأول للثاني أي لآخر الدهر، ١٠٠/٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب التقي باب قول النبي لو استقبلت من أمري ما استدبرت ١٦٦/٤.

(٣) صحيح مسلم، الحديث ٢٠١ - ٢٠٣ من باب جواز العمرة في أشهر الحج ص ٩١١، وفي سنن أبي داود ١٥٦/٢، الحديث ١٧٩١ عن ابن عباس: أن النبي قال: «إذا أهل الرجل بالحج ثم قدم مكة فطاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حلّ، وهي عمرة»...

وفي ثالثة: قدم النبي وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاطم ذلك عندهم، فقالوا: يا رسول الله! أي الحج؟ قال: «الحج كله»<sup>١</sup>. وفي رابعة: قال رسول الله (ص): «هذه عمرة استمتعنا بها فمن لم يكن عنده الهدي فليحلّ الحج كله فإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة»<sup>٢</sup>.

وفي رواية أخرى بصحيح البخاري ومسلم عن جابر: أنه حج مع رسول الله عام ساق معه الهدي وقد أهلوا بالحج مفردا، فقال رسول الله (ص): «أحلّوا من إحرامكم فطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة وقصروا وأقيموا حلّالا حتى إذا كان يوم التروية فأهلّوا بالحج واجعلوا التي قدمتم متعة» — أي عمرة التمتع — قالوا: كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج؟ قال: «افعلوا ما أمركم به فإني لولا أنني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به ولكن لا يحلّ متى حرام حتى يبلغ الهدي محله»<sup>٣</sup>.

وفي رواية ثانية لجابر بصحيح البخاري وسنن أبي داود ومسنند أحمد وغيرها واللفظ للأول، قال: فقالوا: نطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر؟.. الحديث<sup>٤</sup>.

وفي ثالثة بصحيح البخاري ومسلم وسنن ابن ماجه وأبي داود ومسنند أحمد واللفظ للأول: عن عطاء، قال: سمعت جابر بن عبد الله في أناس معه، قال: أهللنا أصحاب رسول الله (ص) في الحج خالصاً ليس معه عمرة، قال: فقدم النبي (ص) صبح رابعة مضب من ذي الحجة فلما قدمنا أمرنا النبي أن نحلّ وقال: أحلّوا وأصيبوا من النساء، قال: ولم يعزم عليهم ولكن أحلّهم لهم فبلغه أننا نقول: لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نحلّ إلى نسائنا فنأتى عرفة تقطر مذكيرنا! قال: فقام رسول الله (ص) فقال: «قد علمتم أنني أتقاكم الله وأصدقكم وأبركم، ولولا هديي لخللت كما

(١) صحيح مسلم، الحديث ١٩٨ ص ٩٠٩ باب جواز العمرة، وصحيح البخاري ١٩١/١ وهلم الروايات الثلاث في زاد المعاد لابن القيم ٢٤٦/١.

(٢) صحيح مسلم ص ٩١١ باب جواز العمرة في أشهر الحج، الحديث ٢٠١ — ٢٠٣، وسنن أبي داود ١٥٦/٢، والبيهقي ١٨/٥، والحديث ٢٤٢٣ من المتفق، والمصنف لابن أبي شيبة ٢٠٢/٤.

(٣) صحيح البخاري ١٩٠/١ باب التمتع والإفراد بالحج...، وصحيح مسلم ص ٨٨٤ — ٨٨٥ باب بيان وجوه الإحرام... الحديث ١٤٣، وزاد المعاد ٢٤٨/١ فصل في إهلاله بالحج.

(٤) صحيح البخاري ٢١٣/١، و ١٦٦/٤ كتاب التمني باب لو استقبلت من أمري ما استدبرت، وسنن أبي داود ١٥٦/٢ باب إفراد الحج، الحديث ١٧٨٩ باختلاف يسير، ومسنند أحمد ٣٠٥/٣، وسنن البيهقي ٣/٥ باب من اختار الأفراد...، وج ٣٣٨/٤ منه، وزاد المعاد ٢٤٦/١ فصل في إحلال من لم يكن ساق الهدي.

تَحْلَوْنَ فَحَلُّوْا فَلَوْ اسْتَقْبَلْتِ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتِ مَا أَهْدَيْتِ... الحديث<sup>١</sup>.  
وفي رابعة بصحيح البخاري: قال: قدم رسول الله (ص) صبيحة رابعة من  
ذي الحجة مهلين بالحج لا يخلطهم شيء، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرة وأن نحل إلى  
نساءنا ففشت في ذلك القالة.

إلى قوله: فبلغ ذلك النبي (ص) فقام خطيباً، فقال: «بلغني أن أقواماً يقولون:  
كذا وكذا والله لأنا أبر وأتقى الله منهم...» الحديث<sup>٢</sup>.

وفي رواية الصحابي البراء بن عازب بسنن ابن ماجة ومسنند أحمد ومجمع الزوائد  
— واللفظ للآول — قال: خرج رسول الله (ص) وأصحابه فأحرمنا بالحج فلما قدمنا  
مكة، قال: «اجعلوا حجكم عمرة» فقال الناس: يا رسول الله! قد أحرمنا بالحج  
فكيف نجعلها عمرة؟! قال: «انظروا ما أمركم به فافعلوا» فردوا عليه القول، فغضب  
فانطلق ثم دخل على عائشة غضبان فرأت الغضب في وجهه فقالت: من أغضبك  
أغضبه الله! قال: «مالي لا أغضب وأنا أمر أمراً فلا أتبع»<sup>٣</sup>.

وقد حدثت عائشة عن هذا — كما في صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم عن عائشة —  
وقالت: قدم رسول الله لأربع مضيئين من ذي الحجة أو خمس فدخل علي وهو  
غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار قال: «أوما شعرت أنني  
أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون»<sup>٤</sup>.

وفي رواية ابن عمر ذكر ما قالوه، قال: قالوا: يا رسول الله أيرجح إلى منى  
وذكره يقطر منياً؟! قال: «نعم» — وسطعت المجامر<sup>٥</sup>.

(١) فتح الباري ١٠٨/١٧ — ١٠٩ باب نهى النبي على التحريم من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،  
وصحيح مسلم ص ٨٨٣ باب وجوه الإحرام، الحديث ١٤١، وسنن أبي داود باب أفراد الحج، وابن ماجة باب  
التمتع بالعمرة، والبيهقي ٣٣٨/٤، وج ١٩/٥، وزاد المعاد ٢٤٦/٣، ومسنند أحمد ٣٥٦/٣.  
(٢) البخاري ٥٢/٢ كتاب الشركة باب الاشتراك في الهدى، وسنن ابن ماجة ٩٩٢/١ الحديث  
٢٩٨.

(٣) سنن ابن ماجة ص ٩٩٣ باب فسخ الحج، ومسنند أحمد ٢٨٦/٤، ومجمع الزوائد ٢٣٣/٣ باب فسخ  
الحج إلى العمرة، وزاد المعاد ٢٤٧/١، والمتنقي باب ما جاء في فسخ الحج إلى العمرة الحديث ٢٤٢٨.  
(٤) صحيح مسلم ص ٨٧٩ باب بيان وجوه الإحرام بوائه يجوز أفراد الحج... الحديث ١٣٠، وزاد  
المعاد ٢٤٧/١، وسنن البيهقي ١٩/٥ باب من اختار التمتع بالعمرة إلى الحج، ومنحة المعبود ح ١٠٥١.  
(٥) صحيح مسلم ص ٨٨٤ باب بيان وجوه الإحرام بالحديث ١٤٢، وقريب منه لفظ زاد المعاد ٢٤٨/١  
فصل في إهلاله (ص) بالحج، وسنن البيهقي ٣٥٦/٤، و ٤/٥، والمتنقي الحديث ٢٤٢٦، ومجمع الزوائد ٢٣٣/٣.

سطعت المجامر أي سطعت رائحة المسك من المجامر وفي الجملة كناية عن مباشرة الرجال للنساء بعد تهيئتهن لذلك.

وفي رواية جابر بصحيح مسلم قال: أهللنا مع رسول الله بالحج فلما قدمنا مكة أمرنا أن نحل ونجعلها عمرة فكبر ذلك علينا وضاعت به صدورنا فبلغ ذلك النبي فما ندري أشيء بلغه من السماء أم شيء من قبل الناس، فقال: «أيها الناس أحلوا فلولا الهدي الذي معي فعلت كما فعلتم» قال: فأحللنا حتى وطئنا النساء وفعلنا ما يفعل الحلال حتى إذا كان يوم التروية وجعلنا مكة بظهر أهللنا بالحج<sup>١</sup>.

وفي رواية أخرى قال: قلنا: أي الحل؟ قال: «الحل كله» قال: فأتينا النساء ومسنا الطيب، فلما كان يوم التروية أهللنا بالحج<sup>٢</sup>.

\* \* \*

هكذا قبلوا أن يجمعوا بين الحج والعمرة في أشهر الحج ويتمتعوا بالحل بينها بكل صعوبة لأنه كان يخالف ما دأبوا عليه في العصر الجاهلي، وبما أن أم المؤمنين عائشة حرمت من العمرة قبل الحج لما حاضت، فقد دعا النبي أن تعتمر بعد الحج. كما صرحت به الروايات الآتية:

عائشة فاتتها العمرة قبل الحج فأمرها النبي أن تعتمر بعده

في صحيح مسلم عن عائشة، قالت: خرجنا مع النبي ولا نرى إلا الحج حتى إذا كنا بسرف أو قريباً منه حضت، فدخل علي النبي وأنا أبكي فقال: «أنفست؟» (يعني الحيضة، قالت) قلت: نعم. قال «إن هذا شيء كتبه الله على بنات آدم فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تغتسلي»<sup>٣</sup>.

وفي رواية قبلها: فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله مع عبد الرحمن بن أبي بكر

(١) صحيح مسلم ص ٨٨٢ الحديث ١٣٨، والمتفق بالحديث ٢٤٠٠ و ٢٤١٥ باب إدخال الحج على العمرة.

(٢) زاد المعاد ١/٢٤٦.

(٣) «سرف» بين مكة والمدينة وعلى أميال من مكة. والحديث ١١٩ باب «بيان وجوه الإحرام» من صحيح مسلم ص ٨٧٣، وفي سنن أبي داود ١٥٤/٢ مع اختلاف يسير، وكذلك في ابن ماجه الحديث ٢٩٦٣.



إلى التمتع فاعتمرت فقال «هذه مكان عمرتك»<sup>١</sup>.

وفي رواية أخرى بصحيح مسلم وسنن أبي داود، أتم ممتا مضى: قالت: خرجنا مع رسول الله في حجة الوداع فأهللنا بعمرة، ثم قال رسول الله (ص) «من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يحل منها جميعاً» فقدمت مكة وأنا حائض، ولم أطف بالبيت، ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى رسول الله (ص) فقال «أنقضي رأسك وامتشطي وأهلي بالحج ودعي العمرة» قالت: ففعلت، فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله (ص) مع عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التمتع، فاعتمرت، فقال: «هذه مكان عمرتك» قالت: فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت، وبين الصفا والمروة، ثم حلوا، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم... الحديث<sup>٢</sup>.

وفي رواية أخرى قالت: فأردفني خلفه على جل له فجعلت أرفع فخاري أحسره عن عني فيضرب رجلي بعلّة الراحلة، قلت: وهل ترى من أحد. قالت: فأهللت بعمرة. ثم أقبلنا حتى انتهينا إلى رسول الله وهو بالحصبة<sup>٣</sup>.

وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله! أعمرتم ولم أعتمر. فقال: يا عبد الرحمن إذهب بأختك فأعمرها من التمتع، فأحبتها على ناقة فاعتمرت<sup>٤</sup>.  
وفي سنن أبي داود والبيهقي واللفظ للأول عن ابن عباس، قال: ما أعمر رسول الله (ص) عائشة ليلة الحصبة إلا قطعاً لأمر أهل الشرك فإنهم كانوا يقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر ودخل صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر.  
ولفظ البيهقي: قال: ما أعمر رسول الله (ص) عائشة في ذي الحجة إلا ليقطع

(١) «التمتع» موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة. أقرب أطراف الحل إلى البيت. سمي بالتمتع لأن على يمينه جبل نعيم، وعلى يساره جبل ناعم.  
والحديث في باب «بيان وجوه الإحرام» من صحيح مسلم ص ٨٧٠ الحديث ١١١، وأورد أحاديث الباب ابن كثير في تاريخه ١٣٨/٥ - ١٣٩.

(٢) سنن أبي داود ج ١٥٣/٢ باب في إفراد الحج، الحديث ١٧٨١، ومنحة المعبود الحديث ٩٩٠ صحيح مسلم، باب بيان وجوه الإحرام، الحديث ١١١ ص ٨٧٠.

(٣) الحديث ١٣٤ من باب «بيان وجوه الإحرام» بصحيح مسلم، ص ٨٨٠، الحفار: ثوب تغطي به المرأة رأسها و«أحسره» أي أكشفه وأزله و«يضرب رجلي بعلّة الراحلة» أي يضرب رجلاً يعود بيده حين تكشف خازنها غير عليها و«الحصبة» المحصب وهو موضع رمي الجمار بمضى.

(٤) صحيح البخاري ١٨٤/٢.

٢١٠

بذلك أمر أهل الشرك بخلاف هذا الحَيّ من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون: إذا عفا الأثر وبرأ الدبر ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر وكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذوالحجة ومحرم.  
وفي لفظ الطحاوي: والله ما أَعمر رسول الله (ص) عائشة في ذي الحجة إلا ليقطع بذلك أمر الجاهلية<sup>١</sup>.

\* \* \*

وقع كل ما ذكرنا من أمر التمتع بالعمرة إلى الحج في حجة الوداع وفي آخر سنة من حياة النبي، ويبدو أن الممتنعين من التمتع بالعمرة إلى الحج الذين تعاظم عليهم ذلك كانوا من مهاجرة قريش من أصحاب النبي ويدل على ذلك:  
أولاً: ما رواه ابن عباس في حديثه «أن هذا الحَيّ من قريش ومن دان دينهم كانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذوالحجة ومحرم»<sup>٢</sup>.

ثانياً: إن الذين منعه بعد رسول الله — أيضاً — هم ولاية المسلمين من قريش كما سيأتي بيانه إن شاء الله.  
وكالوا يقصدون من وراء ذلك احترام الحج على حد زعمهم وأن يأتي الناس إلى مكة مرتين: مرة للحج ومرة للعمرة لما فيه ربيع قريش من سكان مكة كما يفهم هذا من حديث للخليفة عمر حين نهى عن التمتع بالعمرة<sup>٣</sup>.

### على عهد أبي بكر

حُرمت قريش في العصر الجاهلي الجمع بين الحج والعمرة في أشهر الحج ورأته من أفجر الفجور، وشرعه الإسلام وسنه الرسول فلم ير مَنْ ولّمي من قريش بعد الرسول العمل بذلك، فأفردوا الحج عن العمرة وأول من ذكروا أنه أفرد الحج هو الخليفة القرشي أبو بكر حسب ما روى البيهقي في سننه عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال:

(١) سنن أبي داود، باب العمرة ٢/٢٠٤، ومسند أحمد ١/١٦١ الحديث ٢٣٦١، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/٣٤٥ باب العمرة في أشهر الحج، وراجع مشكل الآثار للطحاوي ج ٣/١٥٥ و ١٥٦.

(٢) راجع قبله حديث البيهقي في فصل: عائشة فاتتها العمرة.

(٣) راجع في ما يأتي رواية كنز العمال وحلية الأولياء في باب: على عهد عمر.

حججت مع أبي بكر (رض) فجزد، ومع عمر (رض) فجزد، ومع عثمان (رض) فجزد<sup>١</sup>.  
جزد: أي أفرد الحج.

#### على عهد الخليفة عمر

كان أول من أفرد الحج بعد الرسول الخليفة القرشي أبو بكر وكذلك كان أول من نهى المسلمين عن عمرة التمتع بعد الرسول، والخليفة القرشي عمر، كما دلت عليه الروايات الآتية:

في صحيح مسلم ومسنند الطيالسي وسنن البيهقي وغيرها، واللفظ للأول، عن جابر، قال: تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال: إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازلهم فأتوا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وابتوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجته بالحجارة. وبعده في صحيح مسلم: فافصلوا حجكم عن عمرتكم فإنه أتمّ لحجكم وأتمّ لعمرتكم<sup>٢</sup>.

وأورد البيهقي الرواية في سننه بتفصيل أوفى، قال جابر: تمتعنا مع رسول الله (ص) ومع أبي بكر (رض) فلما ولي عمر خطب الناس فقال: «إن رسول الله (ص) هذا الرسول، وإن القرآن هذا القرآن، وإنهما كانتا تمتعتان على عهد رسول الله وأنا أنهى عنها وأعاقب عليهما: إحداهما متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلا غيبته بالحجارة، والأخرى متعة الحج. فافصلوا حجكم عن عمرتكم فإنه أتمّ لحجكم وأتمّ لعمرتكم<sup>٣</sup>.

يشير الخليفة في الحديث الأول إلى أن الله أحلّ لرسوله التمتع بالعمرة إلى الحج لأنه كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء وليس من تمام العمرة أن يجمع بينهما فأفصلوا حجكم عن عمرتكم فإنه أتمّ لحجكم وأتمّ لعمرتكم.

(١) سنن البيهقي ٥/٥ باب من اختار الأفراد ورآه أفضل، وتاريخ ابن كثير ١٢٣/٥.

(٢) صحيح مسلم، ص ٨٨٥، باب في المتعة بالحج والعمرة، الحديث ١٤٥، ومسنند الطيالسي، ص ٢٤٧.

الحديث ١٧٢٩، وسنن البيهقي ٢١/٥.

(٣) سنن البيهقي ٢٠٦/٧ باب نكاح المتعة وفي لفظه: «هذا القرآن هذا القرآن» تحريف.

ويعين الحديث الآتي الحادثة التي نهى عمر بعدها عن الجمع بين الحج والعمرة:

عن الأسود بن يزيد قال: بينما أنا واقف مع عمر بن الخطاب بعرفة عشية عرفة فلما ذا هوبرجل مرجل شعره يفوح منه ريح الطيب. فقال له عمر: أحرم أنت؟ قال: نعم. فقال عمر: ما هيتك بهينة محرم، إنما المحرم الأشعث الأغبر الأذفر، قال: إني قدمت متمتعاً وكان معي أهلي وإنا أحرمنا اليوم فقال عمر عند ذلك: لا تمتعوا في هذه الأيام، فلنأتي لورخصت في المتعة لهم لعرضوا بهن في الأراك، ثم راحوا بهن حجاجاً<sup>١</sup>.

ترجيل الشعر تسريحه وتنظيفه وتحسينه، والأذفر هنا: الرائحة الكريهة. قال ابن القيم بعد إيراد الرواية: وهذا يبين أن هذا من عمر رأي رآه، قال ابن حزم: وكان ماذا وحبذا ذلك، وقد طاف النبي (ص) على نسائه ثم أصبح محرماً، ولا خلاف في أن الوطء مباح قبل الإحرام بطرفة عين.

وتحدث أبو موسى الأشعري عما جرى له مع الخليفة في شأن متعة الحج وقال كما رواه مسلم والبخاري في صحيحهما وغيرهما واللفظ لمسلم: كان رسول الله (ص) بعثني إلى اليمن فوافقت في العام الذي حج فيه فقال لي رسول الله (ص): «يا أبا موسى! كيف قلت حين أحرمت؟» قال: قلت: لبيتك إهلالاً كإهلال النبي (ص) فقال: «هل سقت هدياً؟» فقلت: لا، قال «فأنطلق فطف بالبيت وبين الصفا والمروة ثم أحلّ...».

وتمام الحديث في رواية قبلها: فطفت بالبيت وبالصفا وبالمروة ثم أتيت امرأة من قومي فشطتني وغسلت رأسي. وفي رواية: ثم أهملت بالحج.

وزاد عليه أحمد بمسنده، يوم التروية، قال: فكنت أفتي الناس بذلك في إمارة أبي بكر وإمارة عمر، فلنأتي لقائم بالموسم إذ جاءني رجل فقال: إنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في شأن النسك.

(١) زاد المعاد ٢٥٨/١ - ٢٥٩ فصل: في ما جاء في المتعة من الخلاف. والأسود بن يزيد بن قيس النخعي: أبو عمرو وأبو عبد الرحمن، مخضرم ثقة مكثر فقيه، من الطبقة الثانية. أخرجه حديثه جميع أصحاب الصحاح. مات سنة أربع أو خمس وسبعين، تقريبات التهذيب ٧٧/١.

٢١٣

ولفظ البيهقي: «فبينما أنا عند الحجر الأسود والمقام أُفتي الناس بالذي أمرني به رسول الله (ص) إذ جاءني رجل فسارني فقال: لا تعجل بفتياك فإن أمير المؤمنين أحدث في المناسك»<sup>١</sup>.

فقلت: أيتها الناس من كتنا أفتيناه بشيء فليثبده فهذا أمير المؤمنين قادم عليكم فبه فائتموا، قال: فلما قدم قلت: يا أمير المؤمنين ما هذا الذي أحدث بشأن النسك؟

ولفظ البيهقي: «أحدث في النسك شيء فغضب عمر أمير المؤمنين من ذلك ثم قال ... إن نأخذ بكتاب الله فإن كتاب الله يأمر بالتهام»<sup>٢</sup>.

وفي رواية: فإن الله عز وجل قال: «فأتوا الحج والعمرة لله»<sup>٣</sup> وإن نأخذ بسنة نبينا عليه الصلاة والسلام فإن النبي لم يحل حتى نحر الهدي<sup>٤</sup>.

وقد بين الخليفة في حديث آخر ما يراه أتم للحج والعمرة كما رواه مالك في موطنه والبيهقي في سننه، عن عبد الله بن عمر قال: إن عمر بن الخطاب، قال: إفصلوا بين حجتكم وعمركم فإن ذلك أتم لحج أحدكم، وأتم لعمركم أن يعتمر في غير أشهر الحج<sup>٥</sup>.

وفي رواية أخرى: قال عمر: إفصلوا بين حجتكم وعمركم، إجعلوا الحج في أشهر الحج وإجعلوا العمرة في غير أشهر الحج أتم لحجتكم وعمركم<sup>٦</sup>.

(١) سنن البيهقي ٢٠/٥.

(٢) سنن البيهقي ٣٣٨/٤ باب: الرجل يحرم بالحج تطوعاً، وج ٢٠/٥ منحة المعبود ح ١٥٠٢.

(٣) البقرة / ١٩٦.

(٤) صحيح مسلم، الحديث ١٥٦ و ١٥٥ من: باب في فسخ التحلل ص ٨٩٥ - ٨٩٦، والبخاري ١٨٨/١ - ١٨٩، وسنن النسائي، باب التمتع ١٥/٢، وباب الحج بغيرته يقصد المحرم ص ١٨، ومسنند أحمد ٣٩٣/٤ و ٣٩٥ و ٤١٠، وسنن البيهقي ٨٨/٤، وكذا العمال، باب التمتع من كتاب الحج ج ٨٦/٥، والبخاري ٢١٤/١ أورد الحديث بإيجاز.

(٥) موطأ مالك كتاب الحج باب جامع ما جاء في العمرة - ٣١٩/١، وسنن البيهقي ٥/٥ باب من اختار الأفراد ورآه أفضل.

(٦) تفسير السيوطي ج ٢١٨/١ بتفسير «الحج أشهر معلومات» عن ابن أبي شيبه، وحلية الأولياء لمبي نعيم ٢٠٥/٥، وشرح معاني الآثار، مناسك الحج ص ٣٧٥.

### خلاصة ما في هذه الأحاديث:

إنّ الخليفة عمر كان يرى الفصل بين الحجّ والعمرة أتمّ لهما، وذلك بأن يجعل الحجّ في أشهر الحجّ ويجعل العمرة في غيرها، ويستدل من الكتاب لما يرى بقوله تعالى «وأتموا الحج والعمرة لله» ومن السنة بعمل النبي في حجة الوداع حيث لم يحلّ حتى نحر الهدي.

في حين أن المراد بإتمام الحج والعمرة في الآية أداء مناسكهما وإتمام سننها بحدودهما في مقابل المصدود والخائف الذي لا يستطيع أداها. وقد نصّت الآية بعد هذه الجملة على تشريع عمرة التمتع بقوله تعالى: «فمن تمتع بالعمرة إلى الحجّ» ونصّ النبي على أنه لم يحلّ لأنّه ساق الهدي وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة» وقال: «دخلت العمرة في الحجّ إلى الأبد» وحاشا أبا حفص ألا يدرك كل ذلك وخاصة بعد ما روى عنه ابن عباس كما في سنن النسائي وقال: سمعت عمر يقول: والله إنّي لأنهاكم عن المتعة وإنّها لفي كتاب الله ولقد فعلتها مع رسول الله (ص) يعني العمرة في الحجّ<sup>١</sup>.

إذا فاستشهاده بالكتاب والسنة غير وجهه وإن دافعه إلى ما فعل هو ما أفصح عنه في حديث آخر له رواه أبو نعيم في حلية الأولياء والمتقي في كنز العمال واللفظ للأول قال: إنّ عمر بن الخطاب نهى عن المتعة في أشهر الحجّ وقال: فعلتها مع رسول الله (ص) وأنا أنهى عنها وذلك أنّ أحدكم يأتي من أفق من الأفاق شعثاً نصباً معتمراً أشهر الحجّ وإنّا شعته ونصبه وتلبّيته في عمرته ثمّ يقدم فيطوف بالبيت ويحلّ ويلبس ويتطيّب ويقع على أهله إن كانوا معه حتّى إذا كان يوم التروية أهلّ بالحجّ وخرج إلى منى يلبّي بحجة لاشعث فيها ولا نصب ولا تلبية إلّا يوماً والحجّ أفضل من العمرة، لو خّلينا بينهم وبين هذا لعانقوهنّ تحت الأراك، وإنّ أهل البيت ليس لهم ضرع ولا زرع وإنّا ربيعهم في من يطراً عليهم<sup>٢</sup>.

وفي رواية أخرى، قال عمر: قد علمت أنّ النبيّ فعله وأصحابه ولكن كرهت

(١) النسائي كتاب الحج، باب التمتع ج ١٦/٢، وط. بيروت، دار إحياء التراث العربي ج ١٣٥/٥، وتاريخ ابن كثير ١٢٢/٥ ولفظه «وقد فعله النبيّ»، قال ابن كثير: أسنده جيد ولم يخرجوه.

(٢) كنز العمال ٨٦/٥، وحلية الأولياء ٢٠٥/٥.

أن يظلوا معترسين بهنَّ في الأراك ثم يروحون في الحجَّ تقطر رؤوسهم.  
في هذين الحديثين صرح الخليفة بأن دافعه إلى ما فعل أمران:  
أولاً: احترام الحج، ويحتج هنا لما يرى بعين الاحتجاج الذي احتجت به  
الصحابة عند ما أبت على رسول الله التمتع بالعمرة إلى الحج في حجة الوداع، ومن هنا  
نرى أن قائل القول في المقامين أيضاً واحدهم مهاجرة قريش الذين رأوا في عمرة التمتع  
مخالفة لما دأبوا عليه من سنن الحج والعمرة في الجاهلية.  
والدافع الثاني له إلى منع الجمع بين الحج والعمرة في سفره واحدة: ما صرح به  
في أحد الحديثين من «أن أهل البيت ليس لهم ضرع ولا زرع وإنا ربيعهم في من يطراً  
عليهم».

إذاً فالخليفة يأمر بالفصل بين الحج والعمرة، وأن تجعل العمرة في غير أشهر  
الحج وليأتى المسلمون إلى مكة مرتين، مرة للحج وأخرى للعمرة فيه ربيع ذوي أرومته  
من قريش سكان الحرم.

ويقصد هذا — أيضاً — في جوابه لعلي بن أبي طالب كما في سنن البيهقي قال:  
قال علي بن أبي طالب لعمر (رض) أنهيت عن المتعة؟ قال: لا، ولكني أردت  
كثرة زيارة البيت، قال: فقال علي (رض) من أفرد الحج فحسن ومن تمتع فقد أخذ  
بكتاب الله وسنة نبيه (ص).

\* \* \*

كان ما تقدم كل ما انتهى إلينا من أخبار نبي عمر (رض) عن عمرة التمتع  
على قلّة ما لدينا من مصادر البحث، وما ذكرناه على قلته ألقى بعض الضوء على آجتاده  
عمر في هذا الحكم ودافعه إلى ما تأول، وقد أدركنا من مجموع ما تقدم أن نبي عمر  
كان شديداً عن متعة الحج، وكان يضرب الناس عليها<sup>١</sup>. قال ابن كثير: وقد كان  
الصحابة رضي الله عنهم يهابونه كثيراً فلا يتجاسرون على مخالفته، ولم نجد من يعارضه

(١) صحيح مسلم الحديث ١٥٧ ص ٨٩٦، ومسند الطيالسي الحديث ٥١٦ ج ٧٠/٢، ومسند أحمد  
٤٩/١ و ٥٠، وسنن النسائي كتاب الحج باب التمتع ١٦/٢، وسنن البيهقي ٢٠/٥، وابن ماجه الحديث ٢٩٧٩  
ص ٦٩٢، وكذا العمال ٨٦/٥.

(٢) سنن البيهقي ٢١/٥.

(٣) نقل ذلك النووي في شرح صحيح مسلم ١٧٠/١ عن القاضي عياض.

(٤) تاريخ ابن كثير ١٤١/٥.

على عهده أو يتكلم ببنت شفة في خلافه عدا ما كان من قول علي له (ومن تمتع فقد أخذ بكتاب الله وستة نبية)<sup>١</sup>.  
وأصبح أفراد الحج بعد ذلك ستة عمرية استن الخلفاء القرشيون به، كما نرى ذلك في سيرة عثمان وغيره في ما يأتي :

### على عهد عثمان

تابع عثمان عمر في ما استن من الفصل بين الحج والعمرة ولا غرو في ذلك فإن كليهما من مهاجرة قريش، ولا فارق بينها وبين عهديها في ما يعود إلى هذا الحكم عدا ما كان من مجاهرة الإمام علي على مخالفة عثمان فيه وأمره من معه أن يجاهروا بمخالفته، في حين أن أحدا لم يستطع أن يجاهر الخليفة عمر في ذلك: بعد قوله: «متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنها وأعاقب عليها متعة الحج...»<sup>٢</sup> وبعد ضربه الناس على ذلك، وفي ما يلي الروايات التي ذكرت كيفية معارضة الإمام للخليفة:

في مسند أحمد عن عبد الله بن الزبير، قال: والله أنا لمع عثمان بن عفان بالجحفة ومعه رهط من أهل الشام فيهم حبيب بن مسلمة الفهري إذ قال عثمان، وذكر له التمتع بالعمرة إلى الحج: إن أتم للحج والعمرة أن لا يكونا في أشهر الحج فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين كان أفضل، فإن الله تعالى قد وسع الخير، وعلي بن أبي طالب في بطن الوادي يعلف بعيراً له، قال: فبلغه الذي قال عثمان فأقبل حتى وقف على عثمان فقال: أعمدت إلى سنة ستها رسول الله (ص) ورخصة رخص الله تعالى بها للعباد في كتابه تضييق عليهم فيها وتنبى عنها وقد كانت لذي الحاجة ولثاني الدار ١٩ ثم أهل بحجة وعمرة معاً. فأقبل عثمان على الناس فقال: وهل نهيت عنها ١٩ إني لم أنه عنها، إنما كان رأياً أشرت به فن شاء أخذ به ومن شاء تركه<sup>٣</sup>.

(١) مضى آنفاً مصدره.

(٢) مضى في أول هذا البحث مصدره.

(٣) مسند أحمد ١/٩٢/الحديث ٧٠٧، وراجع: ذخائر الموارث ٤١٦، والجحفة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة.



وفي موطأ مالك، عن جعفر بن محمد عن أبيه أن المقداد بن الأسود دخل على علي بن أبي طالب بالسقيا وهوينجج بكرات له دقيقا وخبطا فقال: هذا عثمان بن عفان ينهى عن أن يقرن بين الحج والعمرة. فخرج علي بن أبي طالب وعلى يديه أثر الدقيق والخبط فما أنسى أثر الدقيق والخبط على ذراعيه حتى دخل على عثمان بن عفان فقال: أنت تنهى عن أن يقرن بين الحج والعمرة؟ فقال عثمان ذلك رأيي، فخرج علي مغضبا وهو يقول: لبيك اللهم لبيك بحجة وعمرة معا<sup>١</sup>.

وفي سنن النسائي ومستدرک الصحيحين ومسنند أحمد، واللفظ للأول عن سعيد ابن المسيب، قال: حج علي وعثمان فلما كنا ببعض الطريق نهى عثمان عن التمتع فقال علي إذا رأيتموه ارتحل فارتحلوا، فلبى علي وأصحابه بالعمرة فلم ينهم عثمان، فقال علي: ألم أخبر أنك تنهى عن التمتع؟ قال: بلى، قال له علي: فلم تسمع رسول الله (ص) تمتع؟ قال: بلى<sup>٢</sup>!

قال الإمام السندي بهامشه: قوله: «إذا رأيتموه قد ارتحل فارتحلوا» أي ارتحلوا معه ملبين بالعمرة ليعلم أنكم قدتم الستة على قوله وإنه لا طاعة له في مقابلة الستة<sup>٣</sup>. وأخرجه أحمد بلفظ آخر هذا نصه: حج عثمان حتى إذا كان في بعض الطريق أخبر علي أن عثمان نهى أصحابه عن التمتع بالعمرة والحج، فقال علي لأصحابه إذا راح فروحوا، فأهل علي وأصحابه بعمرة، فلم يكلمهم عثمان، فقال علي ألم أخبر أنك نهيت عن التمتع؟ ألم يتمتع رسول الله (ص)؟ قال: فأدري ما أجابه عثمان<sup>٤</sup>. في الروايات الآنفة نرى من الخليفة في شأن عمرة التمتع لينا وتسامحا وفي غيرها أبدى غلظة وشدة في شأنها مثل الروايات التالية:

في صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن البيهقي وغيرها واللفظ للأول، عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن شقيق، قال: كان عثمان ينهى عن المتعة وكان علي يأمر

(١) موطأ مالك، الحديث ٤٠ من باب القرآن في الحج ص ٣٣٦، وابن كثير ١٢٩/٥، و«السقيا» قرية جامعة بطريق مكة، و«ينجج» يسقي، و«بكرات» جمع بكرة ولد الناقة أو الفتى منها، والخبط ورق ينفض بالمخاط ويخلط بدقيق وغيره ويؤخذ بالماء ويسقى للإبل.

(٢) سنن النسائي ١٥/٢ كتاب الحج، باب التمتع، ومسنند أحمد ١٥٧/١، الحديث ٤٠٢ بمسنند عثمان، ومستدرک الصحيحين ٤٧٢/١، وتاريخ ابن كثير ١٢٦/٥ و١٢٩.

(٣) الإمام السندي هو أبو الحسن محمد بن عبد الهادي الحنفي نزيل المدينة المنورة (ت ١١٣٨ هـ).

(٤) مسنند أحمد ١٦٠/١، الحديث ٤٢٤.

بها، فقال عثمان لعلّي كلمة، ثم قال علي: لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله (ص) فقال: أجل، ولكنا كنا خائفين!

وفي رواية بمسند أحمد: فقال عثمان لعلّي إنك كذا وكذا.

وفي رواية أخرى: فقال عثمان لعلّي قولاً.

وفي آخر الرواية: قال شعبة فقلت لقتادة: ما كان خوفهم؟ قال: لا أدري<sup>١</sup>.

في هذا الحديث كتموا قول عثمان لعلّي وأبدلوه مرةً بلفظ. «إنك كذا وكذا» ومرةً بلفظ «قولاً» أما قول عثمان: «أجل ولكنا كنا خائفين» فلم يدر قتادة ما خوفهم ولست أدري — أيضاً — ولا المنتجم يدري ما كان خوفهم وقد أمرهم رسول الله بأداء عمرة التمتع في حجة الوداع وأدوها حينذاك أي في آخر سنة من حياة الرسول وكان ذلك بعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وبعد انحسار الشرك منها إلى الأبد.

قال ابن كثير: ولست أدري على م يحمل هذا الخوف، من أي جهة كان؟

وقال قبله: قد أطد الله له الإسلام، وفتح البلد الحرام، وقد نودي برحاب منى

أيام الموسم في العام الماضي: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان<sup>٢</sup>.

في الحديث السابق احتج عثمان على صحة فتواه بأنهم أدوا عمرة التمتع لأنهم كانوا خائفين وفي الأحاديث الآتية: لم يحتج بشيء وأبدى عنفاً أكثر.

في صحيح مسلم والبخاري وسنن النسائي ومسند الطيالسي وأحمد وغيرهما واللفظ للأول عن سعيد بن المسيب، قال: اجتمع علي وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة، فقال علي: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله انتهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك! قال: لا أستطيع أن أدعك متي. فلما رأى علي ذلك أهل بها جميعاً<sup>٣</sup>.

(١) صحيح مسلم، الحديث ١٥٨ ص ٨٩٦ باب جواز التمتع من كتاب الحج، ومسند أحمد ٩٧/١، الحديث ٧٥٦ والرواية الثانية في ص ٦٠، الحديث ٤٣١ ونظيره الحديث ٤٣٢ بعده، وسنن البيهقي ٢٢/٥، والمتنقى، الحديث ٢٣٨٢، وراجع كنز العمال ط. الأولى ٣/٣٣، وشرح معاني الأخبار، كتاب مناسك الحج ص ٣٨٠ و٣٨١، وفي تاريخ ابن كثير ١٢٧/٥ بابجاز، وقال في ص ١٢٩ منه بعد إيراد الحديث: فهذا اعتراف من عثمان (رض) بما رواه علي. ومعلوم أنّ علياً (رض) أحرم في حجة الوداع بإهلال النبي.

(٢) تاريخ ابن كثير ١٣٧/٥.

(٣) صحيح مسلم، ص ٨٩٧، الحديث ١٥٩ باب جواز التمتع، وصحيح البخاري ج ١/١٩٠ باب التمتع والإقراء، ومسند الطيالسي ١٦/١، ومسند أحمد ١٣٦/١، الحديث ١١٤٦، وسنن البيهقي ٢٢/٥، ومنحة المعبود

وفي صحيح البخاري وسنن النسائي والدارمي والبيهقي ومسنند أحمد والطيالسي وغيرهما، واللفظ للأول، عن مروان بن الحكم، قال: شهدت عثمان وعلياً وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجتمع بينهما فلما رأى عليّ أهلّ بهما: لبّيك بعمره وحبّة معاً، قال: ما كنت لأدع ستة النبيّ (ص) لقول أحد.

ولفظ النسائي: إنّ عثمان نهى عن المتعة وأن يجتمع بين الحجّ والعمره معاً فقال عثمان: أتفعلها وأنا أنهى عنها؟ فقال عليّ: لم أكن لأدع ستة رسول الله لأحد من الناس.

وفي أخرى: لقولك<sup>١</sup>.

\* \* \*

قال ابن القيم بعد إيراد الأحاديث الآنفه:

«فهذا يبيّن أنّ من جمع بينهما كان متمتعاً عندهم، وأن هذا هو الذي فعله رسول الله (ص) وقد وافقه عثمان على أن رسول الله (ص) فعل ذلك فإنّه لما قال له: «ما تريد إلى أمر فعله رسول الله (ص) تنهى عنه» لم يقل له. لم يفعله رسول الله (ص) ولولا أنّه وافقه على ذلك لأنكره، ثمّ قصد عليّ موافقة النبيّ (ص) والاعتداء به في ذلك وبيان أنّ فعله لم ينسخ وأهلّ لها جميعاً تقريراً للاقتداء به ومتابعته في القرآن لسنة نهى عنها عثمان متأولاً<sup>٢</sup> انتهى.

\* \* \*

من مجموع الروايات الآنفه علمنا أنّ الإمام عليّاً كان يتعمّد الإجماع بمخالفة الخليفة في إجماعه بنية حجّ التمتع، وأنّ الخليفة كان متسامحاً فيه أحياناً ومتشدّداً أخرى. ونرى أنّ تسامحه كان في أوائل عهده وأنّ تشدّده كان بعد ذلك، وبلغ من

→

٢١٠/١ باب ما جاء في القرآن الحديث ١٠٠٥، وراجع شرح معاني الآثار ص ٣٧١ وزاد المعاد ٢١٨/١ فصل في جمعه بين الحجّ والعمره، وص ٢٢٠ منه بحث في أنه (ص) كان قارناً لا مفرداً، وتاريخ ابن كثير ١٢٩/٥. وصفان منزل بين الجحفة ومكة. معجم البلدان.

(١) صحيح البخاري ١٩٠/١، وسنن النسائي ١٥/٢ باب القرآن، وسنن الدارمي باب القرآن ٦٩/٢، وسنن البيهقي، ٣٥٢/٤ و ٢٢/٥، ومسند الطيالسي ١٦/١، الحديث ٩٥، ومسند أحمد ٩٥/١، الحديث ٧٣٣، ١٣٦/١، الحديث ١١٣٩، وزاد المعاد ٢١٧/١، وراجع الطحاوي في شرح معاني الآثار ص ٣٧٦ كتاب مناسك الحجّ، وكتر العمال ٣/٣، ومنحة المعبود ص ١٠٠٤، وتاريخ ابن كثير ١٢٦/٥ و ١٢٩.

(٢) زاد المعاد ٢١٨/١.

٢٢٠

تشده أنه ضرب وحلق من فعل ذلك . روى ابن حزم: أن عثمان سمع رجلاً يهله بعمره وحج، فقال: عليّ بالمهل، فضربه وحلقه، فضربه الخليفة تعذيباً له وحلقه تشهيراً به ومثله. ومع كل ذلك التشديد فإن معارضة المسلمين بدئ على هذا العهد، وكان الإمام عليّ هو البادئ بها، فهو الذي جاهر بخلافهم وأمر رفاقه بذلك، ثم انتشرت المعارضة بعد هذا على عهد الخلفاء الآخرين، أما ما جرى على عهد الإمام فهذا بيانه:

### على عهد الإمام عليّ (ع)

رأينا الإمام عليّاً على عهد عثمان يعارضه أشد المعارضة في إقامة سنة الرسول هذه فأحرى به أن يقيمها على عهده حين لا معارض له في إقامتها ومع موافقة رغبة جماهير المسلمين إياه في ذلك، ولهذا السبب لم يكن هناك مسوغ لحدوث القالة حول عمرة التمتع يومذاك لتروي لنا وتدوّن في الكتب، وإنما حدثت القالة مرة ثانية على عهد معاوية حين جاهد في إحياء سنة عمر وبيانه كما يلي:

### على عهد معاوية

كان معاوية على عهده جاداً كل الجد في إحياء سنن الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، وخاصة في ما كان فيها إرغام لأهل البيت ومخالفة لمدرستهم لا سيما الإمام عليّ، كانت هذه سياسته على العموم، وفي ما يخص هذا الحكم ذكرت الروايات التالية ما قام به هو وبعض جلاوزته من جهد<sup>١</sup>.

في سنن النسائي عن ابن عباس، قال: هذا معاوية ينهى الناس عن المتعة وقد

(١) المحلى، لابن حزم ١٠٧/٧.

(٢) وما رواه عن الإمام في ذلك ما رواه ابن كثير في تاريخه ١٣٢/٥ عن الحسن بن علي قال: خرجنا مع علي فأتينا ذا الخليفة، فقال علي: إني أريد أن أجمع بين الحج والعمرة، فمن أراد ذلك، فليقل كما أقول، ثم لبى، قال: ليك بحجة وعمرة.

(٣) من أمثلة ذلك سياستهم في منع نشر حديث الرسول فقد منعه أبو بكر وعمر وتابعهم على ذلك فقال على منبر الرسول «لا يحمل لأحد يروي حديثاً لم يسمع في عهد أبي بكر ولا عمر» منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٦٤/٤، وقال معاوية «عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر» رواه الذهبي بترجمة عمر من تذكرة الحفاظ، ومنتخب الكثر ٦١/٤، وراجع فصل: (مع معاوية) من كتابنا: (الحديث أم المؤمنين عائشة).

## تمتع النبي (ص) ١.

وفي سنن الدارمي عن محمد بن عبد الله بن نوفل، قال: سمعت عام حج معاوية يسأل سعد بن مالك: كيف تقول بالتمتع بالعمرة إلى الحج؟ قال: حسنة جميلة. قال: قد كان عمري ينهي عنها، فأنت خير من عمر؟ قال: عمر خير مني، وقد فعل ذلك النبي وهو خير من عمر ٢.

ويبدو من بعض الروايات أن هذه المحاولة على عهد معاوية لم تقتصر عليه فحسب بل أعانته عليها بعض جلاوزته أيضاً كما تدل عليه الرواية التالية:

في موطأ مالك وسنن النسائي والترمذي والبيهقي وغيرهما واللفظ للأول عن محمد بن عبد الله بن الحارث: أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبي سفيان، وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحاك بن قيس: لا يفعل ذلك إلا من جهل أمر الله عز وجل، فقال سعد: بش ما قلت يا ابن أخي! فقال الضحاك: فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك، فقال سعد: قد صنعها رسول الله (ص) وصنعناها معه ٣.

والضحاك بن قيس قرشي فهرري، ولذا قال له سعد «يا ابن أخي». ولد الضحاك قبل وفاة النبي بسبع سنين، ولي على شرطة معاوية، وله في الحروب معه بلاء عظيم، وسيره على جيش على عهد الإمام علي فأغار على سواد العراق وقتل من لقي من الأعراب، وأغار على الحاج وأخذ أمتعتهم وقتل منهم. ولي دفن معاوية وأخبر يزيد بموته وبإيع ابن الزبير بعد يزيد وقتل مروان بمرج راهط فقتل بها سنة أربع وستين ٤.

هذا هو الضحاك بن قيس قائد جلاوزة معاوية ولا غرابة بعد ذلك في أن يحتطب هذا بحبال معاوية ويعينه على ما يبتغيه.

ويبدو أن معاوية - بالإضافة إلى ما ذكرنا - آستعان بوضع الحديث للمنع من حج

(١) سنن النسائي باب التمتع.

(٢) سنن الدارمي ٣٥/٢. ومحمد بن عبد الله بن نوفل هو محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، في تقريب التهذيب ١٧٥/٢ مقبول من الثالثة.

(٣) موطأ مالك ٣٤٤/١ باب ما جاء في التمتع الحديث ٦٠، وسنن النسائي ١٥/٢ باب التمتع، والترمذي ٣٨/٤ باب ما جاء في التمتع، والبيهقي ١٧/٥، وتفسير القرطبي ٣٨٨/٢، وقال: هذا حديث صحيح وزاد المعاد ٢١٨/٢، وبدائع المنح ٩٠٣، وابن كثير ١٢٧/٥ و ١٣٥.

(٤) ترجمة الضحاك بأسد الغابة وفصل: (مع معاوية) من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) ٢٤٣/١.

التمتع حسب ما رواه كل من البيهقي وأبي داود في سننها وغيرهما واللفظ للأول: إن معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله (ص). ولفظ أبي داود: قال لأصحاب رسول الله أعلمون... أن رسول الله نهي عن صنف النور؟ قالوا: اللهم نعم.  
قال: وأنا أشهد. قال: أعلمون أن النبي (ص) نهي عن لبس الذهب إلا مقطعا؟ قالوا: اللهم نعم!

قال: أعلمون أن النبي (ص) نهي أن يقرن بين الحج والعمرة؟ قالوا: اللهم

لا

قال: والله إنها لمعهن.

قال ابن القيم بعد إيراد الحديث: «ونحن نشهد بالله أن هذا وهم من معاوية أو كذب عليه، فلم ينه رسول الله عن ذلك قط»<sup>١</sup> هكذا قال ابن القيم لحسن ظنه بمعاوية والطريف في الأمر أن معاوية يروي رواية أخرى عن رسول الله يناقض فيها نفسه. وروايته هذه حسب ما رواها كل من البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأحمد في مسنده، واللفظ للأول عن ابن عباس قال: قال لي معاوية: أعلمت اني قصرت من رأس رسول الله عند المروة بمشقص؟ فقلت له: لا أعلم هذا إلا حجة عليك.  
وفي لفظ المنتقى «في أيام العشر بمشقص».

قال ابن القيم: وهذا مما أنكره الناس على معاوية وغلطوه فيه<sup>٢</sup>.

في الرواية الأولى يحلف أصحاب النبي أن النبي لم ينه عن قران العمرة بالحج ضمن مانهى عنه، ويحلف معاوية أنه معهن، وتدلتنا رواية معاوية هذه على أن الروايات الأخرى التي رويت موافقة لرأي معاوية أيضاً وضعت في عصر معاوية كما سندرسها في آخر هذا الباب إن شاء الله تعالى. أما الرواية الثانية التي ناقض فيها روايته الأولى فلأن معاوية أراد أن يتبجح فيها بأنه كان مقرباً من رسول الله وفي خدمته، وفاته أنها تناقض فتواه وروايته الأولى. وقد لاقى معاوية في سبيل إحياء سنة عمر مخالفة شديدة من سعد

(١) سنن البيهقي ٢٠/٥ باب كراهية من كره القرآن والتمتع، وسنن أبي داود باب في إفراد الحج ص ١٥٧، وزاد المعاد ٢٢٩/١، ومجمع الزوائد ٢٣٦/٣ باختصار. وأورد ابن كثير في تاريخه ١٤٠/٥ - ١٤١ جملة من أحاديث الباب.

(٢) صحيح البخاري ٢٠٧/١ باب الخلق والتقصير، وصحيح مسلم باب التقصير في العمرة ح ٢٠٩، وسنن أبي داود ١٥٩/٢ - ١٦٠ ح ١٨٠٢ - ١٨٠٣ من كتاب المناسك، ومسنند أحمد ٩٦/٤ - ٩٨، والمنتقى ٢/٢٧٠ ح ٢٥٧٩، ٢٥٨٠، ومنحة المعبود ح ١٥٠٣، والمشقص: نصل عريض يرمى به الوحش.

ابن أبي وقاص فقد روى مسلم في صحيحه عن غنيم بن قيس، قال «سألت سعد بن أبي وقاص عن المتعة فقال: فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعرش»<sup>١</sup>.  
قال الراوي: يعني بيوت مكة.

وفي رواية أخرى: يعني معاوية.

قال المؤلف: جعلوا لفظ العرش بضمّتين ليكون جمع العرش بضم العين ويكون بمعنى بيوت مكة. ولعلّ سعداً تلفظه بفتح العين وسكون الراء وقصد أنّه كان يومذاك كافراً بربّ العرش.

هكذا عارض سعد معاوية في أكثر من مكان ولم يكن سائر الصحابة بمكانة سعد بن أبي وقاص فاتح العراق والفرد الباقي من الستة أهل الشورى الذين رشّحهم عمر بن الخطاب (رض) للخلافة ليستطيعوا مجاهرة عصابة الخلافة بالخلافة يومذاك بل كان فيهم مثل الصحابي عمران بن حصين الذي كتم أنفاسه طيلة حياته حتّى إذا وجد نفسه على فراش الموت جاهر برأيه كما رواه مسلم وغيره واللفظ لمسلم عن مطرف قال: بعث إليّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه، فقال: إني كنت محدثك بأحاديث لعلّ الله أن ينفكك بها بعدي، فإن عشتُ فأكرم عتي وإن متّ فحدث بها إن شئت، إنه قد سلّم عليّ وأعلم أنّ نبيّ الله (ص) قد جمع بين حجّ وعمره ثم لم ينزل فيها كتاب ولم ينهنا عنها رسول الله، قال فيها رجل برأيه ما شاء<sup>٢</sup>.

وفي رواية أخرى: أني لأحدثك بالحديث اليوم ينفكك الله به بعد اليوم: وأعلم أنّ رسول الله قد أكرم طائفة من أهله في العشر - أي عشرين - الحجة - فلم تنزل آية تنسخ ذلك ولم ينه عنه حتّى مضى لوجه ارتأى كلّ أمرئ. بعد ما شاء أن يرتئي.

وفي رواية: إرتأى رجل برأيه - يعني عمر -<sup>٣</sup>.

\*\*\*

(١) صحيح مسلم باب جواز التمتع ح ١٦٤ ص ٨٩٨، وشرح الحديث عند النووي ٣٠٤/٧، والمنقح ح ٢٣٨٦، وتاريخ ابن كثير ١٢٧/٥ و ١٣٥.

(٢) صحيح مسلم، باب جواز التمتع، الحديث ١٦٨ و ١٦٦ و ١٦٩ ص ٨٩٩، وشرح النووي ٣٠٥ - ٣٠٦، وعمران بن حصين في أسد الغابة بعثه عمر قاضياً على البصرة وكان مجاب الدعوة وكانت الملائكة تسلم عليه في مرض وفاته. توفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين أي في خلافة معاوية. ترجمته بإسد الغابة ١٣٧/٤.

(٣) صحيح مسلم كتاب الحج باب جواز التمتع الحديث ١٦٥ و ١٦٦ وقد اخترنا لفظ مسلم، ومبند

هكذا كان الأمر على عهد معاوية حتى إذا مات وبويع ابنه يزيد بالخلافة انصرف في عامه الأول إلى قتال الحسين وأستئصال أهل بيته، وبعد ذلك أنصرف إلى قتال الصحابة والتابعين بمدينة الرسول حتى فتحها وفعل فيها الأفاعيل ثم انصرف إلى حرب ابن الزبير بمكة، ثم هلك وبويع عبدالله بن الزبير فجاهد عبدالله بن الزبير في إحياء ستة الخلفاء في شأن عمرة التمتع كما يلي بيانه:

### على عهد عبدالله بن الزبير

أبو بكر وأبو حبيب عبدالله بن الزبير القرشي الأسدي، وأمّه أسماء ابنة أبي بكر وخالته عائشة، ولد في المدينة بعد الهجرة. شهد الجمل مع خالته. قال فيه الإمام علي: ما زال الزبير ممّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبدالله.

جاور عبدالله مكة بعد موت معاوية، وامتنع عن بيعة يزيد، ودعا لنفسه بعد قتل الإمام الحسين فأرسل يزيد جيشاً أوقعوا بأهل المدينة يوم الحرّة، ثم نازلوا ابن الزبير بمكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وحاصروه في الحرم فاحترقت في حرمهم الكعبة وقرنا الكبش الذي فدي به إسماعيل وكان في سقفها، وبويع بالخلافة بعد موت يزيد في الحجاز واليمن والعراق وخراسان بولما ولي الخلافة عبدالله بن مروان بعث الحجاج لحربه فقتله في النصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين له — أسد الغابة (١٦١/٣ — ١٦٣).



ولي ابن الزبير مكة أكثر من عشر سنوات، فجدة هو وبنو أبيه في منع المسلمين من عمرة التمتع، فوقع بينهم وبين أتباع مدرسة الإمام علي مناظرات ومساجلات كما شرحتها الروايات التالية:

في صحيح مسلم: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها... الحديث<sup>١</sup>.

→ أحمد ٤/٤٣٤، وسنن الدارمي ٣٥/٢، والبخاري كتاب الحج باب التمتع ١/١٩٠، ويختلف لفظه مع ما سبق وسنن ابن ماجه، الحديث ٢٩٧٨ باب التمتع بالعمرة إلى الحج، ومسند أحمد ٤/٢٩٤ و٤٣٦ و٤٣٨ و٤٣٩، وسنن البيهقي ٤/٣٤٤، وج ٥/١٤، والمنتهى، الحديث ٢٣٨٠ و٢٣٨١، وزاد المعاد ١/٢١٧ و٢٢٠، وتاريخ ابن كثير ٥/١٢٦ وفي ص ١٣٧ منه أحاديث الباب. (١) صحيح مسلم، ص ٨٨٥ الحديث ١٤٥.



وفيه وفي البخارى عن أبي جمره الضبعي قال: تمتعت فنهاني ناس عن ذلك فأتيت ابن عباس فسألته عن ذلك فأمرني بها، قال: ثم أنطلقت إلى البيت فتمت، فأتاني آت في منامي فقال: عمرة متقبلة وحج مبرور، قال: فأتيت ابن عباس فأخبرته بالذي رأيت. فقال: الله أكبر استة أبي القاسم (ص) ١.

وفي مسند أحمد وغيره واللفظ لأحمد عن كريب مولى ابن عباس قال: قلت له: يا أبا العباس أرايت قولك ما حج رجل لم يسق الهدي معه ثم طاف البيت إلا حل بعمره، وما طاف بها حاج قد ساق الهدي إلا اجتمعت له عمرة وحجة. والناس لا يقولون هذا. فقال: ويحك! إن رسول الله خرج ومن معه من أصحابه لا يذكرون إلا الحج فأمر رسول الله (ص) من لم يكن معه الهدي أن يطوف بالبيت ويحل بعمره فجعل الرجل منهم يقول: يا رسول الله! إنما هو الحج فيقول رسول الله (ص) «إنه ليس بالحج ولكنها عمرة» ٢.

#### عاججة ابن عباس وابن الزبير حول عمرة التمتع

روى مسلم عن مسلم القرني قال: سألت ابن عباس عن متعة الحج: فرخص فيها وكان ابن الزبير - عبد الله - ينهى عنها فقال - ابن عباس - هذه أم ابن الزبير تحدث أن رسول الله (ص) رخص فيها. فأدخلوا عليها فأسألوها قال: فدخلنا عليها فإذا امرأة ضخمة عماء. فقالت: قد رخص رسول الله (ص) فيها ٣.

وفي زاد المعاد قال عبد الله بن الزبير: أفردوا الحج - أي لا تجمعوا بين الحج والعمرة - ودعوا قول أعماكم هذا. فقال عبد الله بن عباس: إن الذي أعمى قلبه لأنت. ألا تسأل أمك عن هذا؟ فأرسل إليها فقالت: صدق أبني عباس. جئنا مع

(١) صحيح مسلم، باب جواز العمرة في أشهر الحج، الحديث ٢٠٤ ص ٩١١، ومسند أحمد ٢٤١/١، وسنن أبي داود المناسك باب ٨٠، والدارمي باب ٤١، والبيهقي ١٩/٥، والبخاري ١٩٠/١.

وأبو جمره نصر بن عمار الضبعي البصري نزيل خراسان، من الثالثة، مات سنة ١٢٨. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ٣٠٠/٢.

(٢) مسند أحمد ٢٦١/١، ومجمع الزوائد ٢٣٣/٣. وكريب بن أبي مسلم أبورشددين من الثالثة، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ١٣٤/٢.

(٣) صحيح مسلم، باب في متعة الحج، الحديث ١٩٤، وسنن البيهقي ٢١/٥ - ٢٢. ومسلم بن خرق العبدى القرني البصري من الرابعة. تقريب التهذيب ٢٤٦/٢.

رسول الله (ص) حجاجاً فجعلناها عمرة، فحللنا الإحلال كله حتى سطعت المجامر بين الرجال والنساء<sup>١</sup>.

محاججة عروة بن الزبير و ابن عباس

في مسند أحمد: قال عروة لابن عباس حتى متى تفضل الناس يا ابن عباس ؟ قال : ما ذاك يا عروة ؟ قال : تأمرنا بالعمرة في أشهر الحج وقد نهى عنها أبو بكر وعمر ؟ فقال ابن عباس : قد فعلها رسول الله (ص) . . . الحديث<sup>٢</sup>.  
وفي رواية أخرى. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون أقول: قال النبي (ص) ويقول نهى أبو بكر وعمر<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى: قال عروة: ألا تتقي الله ترخص في المتعة فقال ابن عباس: سل أمك يا عروة فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلم يفعلوا. فقال ابن عباس: أحدثكم عن رسول الله وتحدثوني عن أبي بكر وعمر<sup>٤</sup>.

وفي رواية أخرى محاججة بين عروة ورجل لم يسم:

في زاد المعاد: ان عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله تأمر الناس بالعمرة في هؤلاء العشر وليس فيها عمرة، قال: أولاً تسأل أمك عن ذلك قال عروة: فإن أبابكر وعمر لم يفعلوا ذلك، قال الرجل: من ههنا هل كنتم ما أرى الله عز وجل إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن رسول الله (ص) وتخبروني عن أبي بكر وعمر، قال عروة: اتها والله كانا أعلم بسنة رسول الله (ص) منك، فسكت الرجل<sup>٥</sup>.  
أرى أن الرجل هو ابن عباس نفسه.

وفي مجمع الزوائد روى أن عروة أتى ابن عباس فقال: يا ابن عباس: طالما

(١) زاد المعاد ٢٤٨/١ فصل في إحلال من لم يكن ساق الهدي، وفي زوائد المسانيد الثانية ٣٣٠/١ الحديث ١١٠٨: إلى أمك، وفي المصنف لابن أبي شيبة ١٠٣/٤: أحمى الله قلبه وعينه. وابن عباس كان قد كف بصره؛ ولذلك وصفه ابن الزبير بالأعمى.

(٢) مسند أحمد ٢٥٢/١ الحديث ٢٢٧٧، وزاد المعاد ٢٥٧/١ وعروة تصغير عروة وهو ابن الزبير أبو عبد الله مدني من الثانية مئة سنة أربع وتسعين. أخرجه حديثه أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ١٩/٢.

(٣) مسند أحمد ٣٣٧/١ الحديث ٣١٢١، وزاد المعاد ٢٥٧/١ باب ما جاء في المتعة من الخلاف.

(٤) زاد المعاد ٢٥٧/١، وفي المطالب العالية بزوائد المسانيد الثانية ٣٦٠/١ ح ١٢١٤ مع اختلاف في اللفظ.

(٥) زاد المعاد ٢٥٧/١.

أضللت الناس، قال: وما ذاك يا عروة؟ قال: الرجل يخرج محرماً بحج أو عمرة، فإذا طاف زعمت أنه قد حلّ فقد كان أبو بكر وعمر ينيان عن ذلك، فقال: أهما ويحك أثر عندك أم ما في كتاب الله وما سنّ رسول الله (ص) في أصحابه وفي أئمة؟ فقال عروة: هما كانا أعلم بكتاب الله وما سنّ رسول الله متي ومنك.  
قال الراوي: فخصمه عروة<sup>١</sup>.

### عروة ينهى عن عمرة التمتع

في صحيح مسلم، عن محمد بن عبد الرحمن أنّ رجلاً من أهل العراق قال له: سل عروة بن الزبير عن رجل يهلّ بالحجّ فإذا طاف بالبيت أيجلّ أم لا؟ فيان قال لك: لا يجلّ، فقل له: إنّ رجلاً يقول ذلك. قال فسألته فقال: لا يجلّ من أهلّ بالحجّ إلّا بالحجّ. قلت: فإنّ رجلاً كان يقول ذلك. قال: بشس ما قال. فتصدّاني الرجل فسألني فحدثته فقال: فقل له: فإنّ رجلاً كان يخبر أنّ رسول الله (ص) قد فعل ذلك وما شأن أسماء والزبير فعلاً ذلك. قال: فحجته فذكرت له ذلك. فقال: من هذا؟ فقلت: لا أدري. قال: فما باله لا يأتيني بنفسه يسألني؟ أظنّه عرقياً. قلت: لا أدري. قال: فإنه قد كذب. قد حجّ رسول الله فأخبرتني عائشة (رض)، أنّ أول شيء بدأ به حين قدم مكة أنّه توضأ ثم طاف بالبيت. ثم حجّ أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن غيره — أي عمرة وغيرها — ثم عمر مثل ذلك. ثم حجّ عثمان فرأيت أول شيء بدأ به الطواف بالبيت. ثم لم يكن غيره. ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعّلون ذلك. ثم لم يكن غيره، ثم آخر من رأيت فعل ذلك ابن عمر ثم لم ينقضها بعمرة وهذا ابن عمر عندهم أفلا يسألونه؟ ولا أحد متّ من مضي ما كانوا يبدأون بشيء حين يضعون أقدامهم أول من الطواف بالبيت. ثم لا يحلّون. وقد رأيت أمي وخالتي حين تقدمان لا تبدآن بشيء أول من البيت تطوفان به ثم لا تحلّان! وقد أخبرتني أمي أنّها أقبلت هي وأختها والزبير وفلان وفلان بعمرة قطّفلًا مسحوا الركن حلّوا وقد كذب في ما ذكر ذلك<sup>٢</sup>.

(١) مجمع الزوائد ٣/٢٣٤. ويبدو أن هذا غير ما رواه ابن القيم في زاد المعاد، فإن الخلاف هناك حول الاعتمار في العشرة الأولى من ذي الحجة والخلاف هنا حول الإحلال بعد الطواف والسعي أي أن الناسك يخرج من إحرامه.

(٢) صحيح مسلم، ص ٩٠٦ - ٩٠٧ الحديث ١٩٠ من باب ما يلزم من طاف بالبيت وسمى من البقاء

### بحث لغوي حول الحديث

«تصدّاني» هكذا في جميع النسخ والصواب «تصدّي لي». «وقد أخبرني أمي أنّها أقبلت... بعمرة قط فلما مسحوا الركن حلّوا» أي: ما كان ذلك، وفي مادة «قط» من القاموس وشرحه: تختص بالنفي ماضياً. وفي مواضع من البخاري جاء بعد المثبت.

### تعليق على الحديث

في هذا الحديث لم يذكر عروة ماذا فعل رسول الله بعد الطواف وما نسبه إلى أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية فهو كما قال.

أمّا قوله: ولا أحد ممتن مضي.. ثم لا يحلون وقد رأيت أمي وخالتي... تطوفان به ثم لا تحلان... وقد كذب في ما ذكر من ذلك.. الحديث. فقد سبق تكذيبه في الروايات الكثيرة السابقة، ويخالف ما ذكر عن أمه وخالته ما رواه مسلم — أيضاً — بعد هذا الحديث عن خالته أسماء بنت أبي بكر (رض) قالت:

خرجنا محرمين فقال رسول الله (ص) «من كان معه هدي فليقم على إحرامه. ومن لم يكن معه هدي فليحلل» فلم يكن معي هدي فحللت، وكان مع الزبير هدي فلم يحلل.

قالت: فلبست ثيابي ثم خرجت فجلست إلى الزبير فقال: قومي عني. فقلت: أتخشى أن أثب عليك؟

وفي أخرى بعدها: فقال: استرخي عني استرخي عني. فقلت: أتخشى أن أثب عليك.

وفي أخرى بعدها عن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر (رض) أنّه كان يحدث عن أسماء:

أنها كلّما مرّت بالحجون تقول: صلّى الله على رسوله وسلّم. لقد نزلنا معه ههنا ونحن يومئذ خفاف الحقائق قليل ظهروا، قليلة أزوادنا، فأعتمرت أنا وأختي عائشة والزبير وفلان وفلان فلما مسحنا بالبيت أحللنا. ثم أهللنا من العشي بالحج<sup>١</sup>.

→

على الإحرام وترك التحلل من كتاب الحج وشرح النووي ج ٨/٢١٩ — ٢٢١.

(١) صحيح مسلم، الأحاديث ١٩١ — ١٩٣ ص ٩٠٧ — ٩٠٨، والحديث الأخير بصحيح البخاري

وبما نسب عروة في حديثه إلى ابن عمر بقوله: «ثم لم ينقضها بعمره وهذا ابن عمر عندهم أفلا يسألونه» فقد وجدنا موقف ابن عمر مختلفا في ما روي عنه.

### موقف ابن عمر

في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي والترمذي والبيهقي وغيرها، واللفظ للأول عن ابن عمر قال: تمتع رسول الله (ص) في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدى، ومنهم من لم يهده، فلما قدم رسول الله (ص) مكة قال للناس «من كان منكم أهدى فإنه لا يحلّ من شيء حرم منه حتى يقضي حجه، ومن لم يكن منكم أهدى، فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهلّ بالحج وليهد...» الحديث<sup>١</sup>.

واعترض عليه بقول أبيه ونبيه كرواه الترمذي في سننه عن ابنه سالم: أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبدالله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبدالله بن عمر: هي حلال. فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها، فقال عبدالله بن عمر: أرايت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله (ص) أمر أبي أتبع أم أمر رسول الله (ص)؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله (ص). فقال: لقد صنعها رسول الله<sup>٢</sup>.

وفي رواية قال: اعتمر النبي قبل أن يحج<sup>٣</sup>.

وقال ابن كثير: وكان ابنه عبدالله يخالفه فيقال له: إن أباك كان ينهى عنها! فيقول: خشيت أن يقع عليكم حجارة من السماء! قد فعلها رسول الله، أفسنة رسول الله نتبع أم سنة عمر بن الخطاب؟<sup>٤</sup>

→  
١/٢١٤. والحجون هو الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد عند المصعب.  
(١) صحيح مسلم، باب وجوب الدم على المتمتع، الحديث ١٧٤ ص ٩٠١، وشرح النووي ج ٨/٢٠٨، وسنن أبي داود ١٦٠/٢ باب في الإقراء الحديث ١٨٠٥، وسنن النسائي ج ٢/١٥٢ باب التمتع، وسنن الترمذي ٣٩/٤ باب ما جاء في التمتع وقال: هذا حديث صحيح، وسنن البيهقي ١٧/٥ باب من اختار التمتع بالعمرة إلى الحج...، و٢٠/٥ و٢٣ منه، وزاد المعاد ٢١٦/١ فصل في جمعه بين الحج والعمرة، وص ٢٣٦ منه، والمتفق الحديثان ٢٣٨٧ و٢٤١٦.

(٢) صحيح الترمذي ٣٨/٤ باب ما جاء في التمتع من كتاب الحج.

(٣) سنن البيهقي ٣٥٤/٤ باب العمرة قبل الحج عن البخاري.

(٤) تاريخ ابن كثير ١٤١/٥.

وروى عنه أيضاً خلاف هذا الموقف<sup>١</sup> ولعل سبب اختلاف فتاويه في العمرة اختلاف أزمنة الفتاوى والروايات عنه كما لو كان السؤال منه على عهد أبيه، أو على عهد عثمان مثلاً. فينبغي أن يكون الجواب موافقاً لموقف الخلافة الراشدة. أما في عصر ابن الزبير ومناهضة الخلافة الأموية له، فكان يسهل مخالفته.

وبهذا تسرّ وقوع الخلاف الشديد حول عمرة التمتع في هذا العصر ووقع فكان منهم من ينهى عنها وهم عصبة الخلافة، ومنهم من يجدها ويحبر عن أمر الرسول بها وهم بعض من بقى من أصحاب الرسول مثل جابر بن عبد الله الأنصاري الذي كان يخبر عن سنة الرسول في ذلك كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي نضرة، قال: كنت عند جابر فأتاه آت فقال: إنَّ ابن عباس وابن الزبير اختلفا في التمتعين، فقال جابر: فعلمناهما مع رسول الله ثم لمانا عنهما عمر فلم نعد لهما<sup>٢</sup>.

وبقي هذا الخلاف بين أتباع الطرفين مدة من الزمن. ومن مظاهر ذلك الخلاف ما روي عن موسى بن نافع الأسدي أنه قال: قدمت مكة وأنا متمتع بعمرة فدخلت قبل التروية بثلاثة أيام فقال لي ناس من أهل مكة: تصير حجّتك مكّية فدخلت على عطاء بن أبي رباح أستفتيه، فقال: حدّثني جابر بن عبد الله أنه حجّ مع رسول الله (ص) يوم ساق البدن وقد أهلوا بالحج مفرداً فقال لهم رسول الله (ص): «أحلّوا من إحرامكم بالطواف بالبيت وبين الصفا والمروة واقصروا وانتم حلال فاذا كان يوم التروية فأهلّوا بالحجّ وأجعلوا التي قدمتم بها متعة» قالوا: كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحجّ، فقال «إفعلوا ما أمركم فلو لا أنني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمركم به ولكنتي لا يجزئ مني حرام حتّى يبلغ الهدى محله» ففعلوا<sup>٣</sup>.

وفي عصر ابن الزبير — أيضاً — ظهرت أمارات انتصار من أحيا سنة الرسول وتعلّقت قلوب الناس بعمرة التمتع حسب ما يظهر من روايات مسلم في صحيحه مثل الرواية الآتية:

(١) سنن البيهقي ٥/٤.

(٢) صحيح مسلم، الحديث ١٢٤٩ ص ٩١٤.

(٣) سنن البيهقي ٣٥٦/٤ باب التمتع بالعمرة إلى الحج إذا أقام بمكة حتى ينشأ الحج إن شاء من مكة لأمن الميقات. وصحيح مسلم، ص ٨٨٤، الحديث ١٤٣؛ وتصير الآن حجّتك مكّية لإنشائك إحرامها من مكة فتفوتك فضيلة الإحرام من الميقات فيقل ثوابك بقلة مشقتك.

قال رجل من بني المهجيم لابن عباس ما هذه الفتيا التي تشغبت أو تشغبت بالناس أن من طاف بالبيت فقد حل؟! فقال: سنة نبيكم وإن رغنتم. وفي رواية بعدها: إن هذا الأمر قد تفضّع بالناس من طاف بالبيت فقد حلّ. الطواف عمرة<sup>١</sup>.

«تشغبت» أي علقت بقلوب الناس و«تشغبت» أي خلطت عليهم أمرهم و«تفضّع» أي انتشروفا بين الناس.

وقد علّق ابن القيم على رواية ابن عباس السابقة وقال: «وصدق ابن عباس: كلّ من طاف بالبيت ممّن لا هدي معه من مفرد أو قارن أو متمتع فقد حلّ إمّا وجوباً وإمّا حكماً، هذه هي السنّة التي لا رادّ لها ولا مدفع وهذا كقوله (ص): «إذا أدبر التّهار من ههنا وأقبل الليل من ههنا، فقد أفطر الصّائم» إمّا أن يكون المعنى أفطر حكماً أو دخل وقت إفطاره، وصار الوقت في حقّه وقت إفطار، فهكذا هذا الذي قد طاف بالبيت إمّا أن يكون قد حلّ حكماً، وإمّا أن يكون ذلك الوقت في حقّه ليس وقت إحرام، بل هو وقت حلّ ليس إلّا، ما لم يكن معه هدي وهذا صريح السنّة».

وروى عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: «من جاء مهلاً بالحجّ فإنّ الطواف بالبيت يصيّره إلى عمرة شاء أو أبى» قلت: إنّ الناس ينكرون ذلك عليك قال: هي سنة نبيهم وإن رغنوا<sup>٢</sup>.

هكذا جاهد ابن عباس في عصره. وأعانه غيره من أتباع مدرسة الأئمة أمثال جابر بن عبد الله الأنصاري. ومن هؤلاء وبعد هؤلاء تسرى القول بعمرة التمتع إلى أتباع مدرسة الخلفاء، كما يظهر ذلك من رواية ابن حزم عن منصور بن المعتمر، قال:

حجّ الحسن البصري وحججت معه في ذلك العام، فلما قدمنا مكّة، جاء رجل إلى الحسن، فقال: يا أبا سعيد! إنّي رجل بعيد الشّقة من أهل خراسان وإنّي قدمت مهلاً بالحجّ، فقال له الحسن: إجعلها عمرة واحلّ، فأنكر ذلك الناس على الحسن<sup>٣</sup> وشاع قوله بمكّة فأقّى عطاء بن أبي رباح فذكر ذلك له، فقال: صدق الشيخ ولكنا نفرق أن نتكلّم بذلك<sup>٤</sup>.

(١) صحيح مسلم الحديث ٢٠٦ و ٢٠٧ ص ٩١٢ - ٩١٣.

(٢) زاد المعاد ٢٤٩/١. (٣) هكذا نجد سنة رسول الله في هذا العصر منكراً لدى المسلمين.

(٤) المحلى لابن حزم ١٠٣/٧. والمنصور بن المعتمر أبو عتاب السلمي الكوفي أخرجه حديثه جميع أصحاب

ويزول هذا التخوف في عصر بني العباس وينتشر القول بعمرة التمتع على عهدهم ولعل لموقف جدهم عبدالله بن العباس دخلاً في ذلك، وعلى عهدهم يتبنى أحمد بن حنبل القول بعمرة التمتع ومن الطبيعي أن يستمر ذلك في أتباع مدرسته. ويشهد لذلك قول ابن القيم: وقد روى هذا — أي حج التمتع — عن النبي من سمينا وغيرهم، وروى ذلك عنهم طوائف من كبار التابعين، حتى صار منقولاً نقلاً يرفع الشك ويوجب اليقين، ولا يمكن أحداً أن ينكره أو يقول: لم يقع وهو مذهب أهل بيت رسول الله (ص)، ومذهب حبر الأمة وبجرها ابن عباس وأصحابه ومذهب أبي موسى الأشعري ومذهب إمام أهل السنة والحديث أحمد بن حنبل وأتباعه ومذهب أهل الحديث معه<sup>١</sup>.

وهكذا يزول الحرج عن المسلمين في اتباع سنة الرسول بعد ذلك إلى يومنا الحاضر.

#### الأحاديث التي وضعت في سبيل تبرير موقف الخلفاء:

إلى هنا استعرضنا الجهود التي بذلها الرسول في سبيل إمامة سنة الجاهلية في شأن عمرة التمتع، ثم الجهود التي بذلتها مدرسة الخلفاء في سبيل إحياء تلك السنة وكذلك الجهود التي بذلتها مدرسة أئمة أهل البيت في سبيل إمامة سنة الجاهلية وإحياء سنة الرسول، وكيف شغف الناس بعدئذ بعمرة التمتع ونحتم هذا البحث باستعراض الجهود التي بذلت في سبيل تبرير موقف الخلفاء من عمرة التمتع والدفاع عنهم مثل الأحاديث الآتية التي وضعت في هذا السبيل:

١ — روى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وغيرهم عن القاسم ابن محمد بن أبي بكر عن أم المؤمنين عائشة أنها، قالت: إن رسول الله أفرد الحج<sup>٢</sup>.

→  
الصحيح، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. التقريب ٢/٢٧٧. والحسن بن أبي الحسن يسار البصري مولى الأنصار كان يرسل كثيراً ويدلس، رأس الطبقة الثالثة (ت ١١٠ هـ) وقد قارب التسعين، أخرجه حديثه أصحاب الصحيح. تقريب التهذيب ١/١٦٥. وعطاء بن أبي رباح أسلم، مولى قريش، (ت ١١٤ هـ) روى حديثه جميع أصحاب الصحيح، تقريب التهذيب ٢/٢٢٢.

(١) زاد المعاد ١/٢٤٩ كان مذهب أبي موسى التمتع بالعمرة إلى الحج ويفتي به من قبل أن يسمع من الخليفة ما أحدثه في شأن النسك، ومن بعد ذلك تابعه على رأيه.

(٢) صحيح مسلم، ج ١ ص ٨٧٥، وسنن أبي داود ٢/١٥٢ ح ١٧٧٧، وسنن النسائي ٢/١٣ باب إفرد الحج ص ٩٨٨ ح ٢٩٦٤، والترمذي ٤/٣٦ باب ما جاء في إفرد الحج، والبيهقي ٥/٣ باب من اختار

←



- ٢ — عن عروة بن الزبير عن عائشة: أنَّ رسول الله (ص) أفرد الحج<sup>١</sup>.
- ٣ — وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر: أنَّ رسول الله أفرد الحج<sup>٢</sup>.
- ٤ — وعن عبدالله بن عمر:  
أ — أنَّ النبي (ص) أفرد الحج وأبو بكر وعمر وعثمان.  
ب — أهللنا مع رسول الله بالحج مفرداً.  
وفي رواية: أنَّ رسول الله أהלَّ بالحج مفرداً<sup>٣</sup>.
- ٥ — عن سعيد بن المسيب: أنَّ رجلاً من أصحاب رسول الله (ص): أقي عمر ابن الخطاب (رض) فشهد عنده أنَّه سمع رسول الله (ص) في مرضه الَّذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج<sup>٤</sup>.
- ٦ — عن جابر: أنَّ رسول الله وأبا بكر وعمر وعثمان أفردوا الحج<sup>٥</sup>.
- ٧ — عن الحارث بن بلال، قال: قلت: يا رسول الله! فسح الحج لنا خاصة، أم للناس عامة، قال: «بل لنا خاصة»<sup>٦</sup>.
- ٨ — عن عبدالله والحسن ابني محمد بن عليّ عن أبيهما أنَّ علي بن أبي طالب (رض) قال: يا بني أفرد الحج<sup>٧</sup>.
- ٩ — عن أبي ذر، قال: كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد خاصة.

- 
- الإفراد، والمنتقى ح ٢٣٨٩ ج ٢/٢٢٨، ومسند أحمد ج ٣٦/٦، وموطأ مالك باب إفراد الحج ٣٣٥/٢ ح ٣٧.
- (١) سنن ابن ماجة، ص ٩٨٨ - ٢٩٦٥، وموطأ مالك ج ٣٣٥/٢ ح ٣٨، وراجع تاريخ ابن كثير ١٢٠/٥ - ١٢٣ فيه بحث مفصل عن عمرة التمتع.
- (٢) سنن ابن ماجة، ص ٩٨٩ ح ٢٩٦٦.
- (٣) أ — سنن الترمذي ٣٦/٤ باب ماجاء في إفراد الحج.
- ب — صحيح مسلم، ص ٩٠٤ - ٩٠٥ ح ١٨٤، والمنتقى ٢٢٨/٢ ح ١٣٩١.
- (٤) سنن أبي داود ١٥٧/٢ ح ١٧٩٣، وسنن البيهقي ١٩/٥ باب كراهية من كره القرآن والتمتع.
- (٥) سنن ابن ماجة، ص ٢٩٦٧ ح ٩٨٩.
- (٦) أبو داود ١٦١/٢، كتاب المناسك، باب الرجل يهل بالحج ثم يجعلها عمرة ح: ١٨٠٨، وأبن ماجة ص ٩٩٤ ح ٢٩٨٤، وقد علّق آبن ماجة على الحديث والمنتقى ٢٣٨/٢ ح ٢٤٢٩ وقال: رواه الخمسة إلا الترمذي، والحارث بن بلال بن الحارث المزني من الثالثة. أخرج حديثه بعض أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ١/١٣٩.
- (٧) سنن البيهقي ٥/٥ باب من اختار الإفراد. وعبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب من الطبقة الرابعة مات سنة تسعين بالشام، تقريب التهذيب ١/٤٤٨.

- ١٠ - وفي رواية قال: كانت لنا رخصة يعني المتعة في الحج.
- ١١ - وفي رواية أخرى قال: لا تصلح المعتان إلا لنا خاصة.
- ١٢ - عن عبد الرحمن بن أبي الشعثاء قال: أثبت إبراهيم النخعي وإبراهيم التيمي فقلت: إني أهم أن أجمع العمرة والحج، العام، فقال إبراهيم النخعي لكن أبوك لم يكن ليهم بذلك.
- ثم روى عن التيمي عن أبيه أنه مر بأبي ذر (رض) بالربذة فذكر له ذلك، فقال: إنهما كانت لنا خاصة دونكم.
- وفي سنن البيهقي: إن أبا ذر كان يقول في من حج ثم فسخا بعمرة: لم يكن ذلك إلا للركب الذين كانوا مع رسول الله (ص)¹.

### علل الأحاديث

علق إمام الحنابلة أحمد بن حنبل على الحديث السابع وقال: (حديث بلال بن الحارث عندي غير ثابت. ولا أقول به، ولا نعرف هذا الرجل، يعني الحارث بن بلال. وقال: رأيت لوعرف الحارث بن بلال، إلا أن أحد عشر رجلاً من أصحاب النبي (ص) يروون ما يروون من الفسخ، أين يقوم الحارث بن بلال منهم ٩)².

وأخوه الحسن من الطبقة الثالثة توفي سنة مائة. أخرج أحاديثهما أصحاب الصحاح. تقريب

التعذيب ١٧١/١

(١) وردت الروايتين ١١ - ١٢ مواليتين في صحيح مسند ح ١٦٠ - ١٦٣ ص ٨٩٧، وبشرح النووي عليه ٢٠٣/٨، وفي سنن ابن ماجه ص ٩٩٤ ح ٢٩٨٥، وفي سنن أبي داود ١٦١/٢ ح ١٨٠٧ مع اختلاف في اللفظ، وفي سنن البيهقي ٢٢/٥ ح ٩ و ١٠ و ١٢، وفي ج ٣٤٥/٤ باب العمرة في أشهر الحج ورد القسم الأخير من الحديث ١٢، وفي المنتقى ح ٢٤٣٠. وعبد الرحمن بن أبي الشعثاء سليم بن الأسود الحارثي، قال ابن حجر مقبول من السادسة له حديث واحد متابعة، التهذيب ١٩٤/٦ وتقريبه ٤٨٤/١.

وإبراهيم بن يزيد بن عمرو الكوفي النخعي (ت ٩٦ أو ٩٥ هـ) التهذيب ١٧٧/١ والتقريب ٤٦/١، والجمع بين رجال الصحيحين ١٨/١ - ١٩.

وإبراهيم التيمي لعله أبو اسامه الكوفي ابن يزيد بن شريك من تيم الرباب (ت ٩٢ أو ٩٤ هـ) في حبس الحجاج، التهذيب ١٧٦/١، وتقريبه ٤٦/١، والجمع بين رجال الصحيحين ١٩/١.

(٢) سنن أبي ماجه ص ٩٩٤ باب: من قال كان فسخ الحج لهم خاصة من كتاب المناسك وراجع التعليق على الحديث ٢٤٢٩ في المنتقى من أخبار المصطفى لابن تيمية ٢٣٨/٢. وأورد ابن كثير في موجزه في ١٦٦/٥ من تاريخه.

قال المؤلف: قصد إمام الحنابلة من رواية أحد عشر صحابياً الفسخ: روايتهم فسخ الإحرام، والتمتع بالخل بين العمرة والحج. ولعله قصد من عدم معرفته للحارث عدم معرفته بالوثاقة.

وعلق أيضاً ابن حنبل على حديث أبي ذر وقال: رحم الله أبا ذر هي في كتاب الرحمن «فمن تمتع بالعمرة إلى الحج»<sup>١</sup> قصد إمام الحنابلة إن الآية تفيد أن الحكم عام ولا يخص ناساً دون آخرين فكيف خالف أبو ذر بقوله الآية الكريمة وفاته أن الرواية وضعت على أبي ذر كما وضعت الروايات الأخرى على غيره.

وكما نسب إلى رسول الله (ص) أنه أفرد الحج، وإلى الإمام علي أنه قال لابنه محمد: يا بني أفرد الحج مع ما رأينا في ما سبق من مخالفته للخليفة عثمان، وكذلك ما روي عن سعيد بن المسيب أن رجلاً من أصحاب رسول الله أتى عمر وشهد عنده أنه سمع رسول الله في مرضه ينهى عن العمرة قبل الحج، ولست أدري من هو هذا الصحابي وكيف لم يستشهد عمر بقول هذا الصحابي في عصره، ولا استشهد به عثمان ولا معاوية ولا ابنا الزبير ولا غيرهم؟

كل هذه الأحاديث وغيرها وضعت متأخراً وفي سبيل تبرير موقف الخلفاء من تحريمهم تمتع الحج وما أجود ما قاله في هذا المقام كل من ابن القيم في كتابه زاد المعاد وابن حزم في المحلى، قال ابن القيم: ونحن نشهد الله علينا أننا لو أحرمتنا بحج لرأينا فرضاً علينا ففسخه إلى عمرة تفادياً من غضب رسول الله (ص) وآتباعاً لأمره، فوالله ما نسخ هذا في حياته ولا بعده ولا صحت حرف واحد يعارضه، ولا خص به أصحابه دون من بعدهم، بل أجرى الله سبحانه على لسان سراقه أن يسأله هل ذلك مختص بهم؟ فأجاب «بأن ذلك كائن لأبد الأبد» فما ندري ما نقدم على هذه الأحاديث، وهذا الأمر المؤكد الذي غضب رسول الله (ص) على من خالفه.

والله در الإمام أحمد (ره) إذ يقول لسلمة بن شبيب وقد قال له: يا أبا عبد الله كل أمرك عندي حسن إلا خلة واحدة، قال: وما هي؟ قال: تقول بفسخ الحج إلى العمرة، فقال: يا سلمة! كنت أرى لك عقلاً، عندي في ذلك أحد عشر حديثاً صحاحاً عن رسول الله (ص) أتركها لقولك؟<sup>٢</sup>

(١) المنتقى من أخبار المصطفى لابن تيمية ٢٣٩/١ بهامش ح ٣٤٣١

(٢) زاد المعاد ٢٤٧/٢ فصل في إحلال من لم يكن ساق الهدي معه. والمحلى لابن حزم ١٠٠/٧ - ١١٠.

وقال أيضاً: وقد روى عنه الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر من أصحابه وأحاديثهم كلها صحاح وهم عائشة وحفصة أم المؤمنين، وعلي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله (ص) وأسما بنت أبي بكر الصديق، وجابر بن عبد الله، وأبوسعيد الخدري والبراء بن عازب، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وأبوموسى الأشعري وعبد الله بن عباس وسبرة بن معبد الجهني وسراقة بن مالك المدلجي (رض)¹.

وقال ابن حزم: روى أمر رسول الله (ص) من لا هدي له أن يفسخ حجه بعمرة ويحلّ بأوكد أمر جابر بن عبد الله و... خمسة عشر من الصحابة. رضي الله عنهم. ورواه عن هؤلاء نيف وعشرون من التابعين ورواه عن هؤلاء من لا يحصى إلا الله عز وجل فلم يسع أحداً الخروج عن هذا².

وقال: وأمر النبي كل من لا هدي معه عموماً بأن يحلّ بعمرة، وأن هذا هو آخر أمره على الصفا بمكة، وأنه (ع) أخبر بأن التمتع أفضل من سوق الهدي معه وتأسف إذ لم يفعل ذلك هو، وأن هذا الحكم باقٍ إلى يوم القيامة. وما كان هكذا فقد أمّا أن ينسخ أبداً، ومن أجاز نسخ ما هذه صفته فقد أجاز الكذب على خبر رسول الله (ص) وهذا من تعمد كفر بمجرد، وفيه أن العمرة قد دخلت في الحج وهذا هو قولنا لأن الحج لا يجوز إلا بعمرة متقدمة له يكون بها متمتعا أو بعمرة مقرونة معه ولا مزيد³.

وقال: قد أفتى بها أبوموسى مدة إمارة أبي بكر وصدرأ من إمارة عمر (رض) وليس توقفه - عند ما بلغه نهي عمر - حجة على ما روي عن النبي وحسبنا قوله لعمر: ما الذي أحدث في شأن النسك فلم ينكر ذلك عمر. وأما قول عمر في قول الله تعالى «وأتّموا الحج والعمرة لله» فلا إتمام لها إلا علمه رسول الله الناس وهو الذي أنزلت عليه الآية وأمر ببيان ما أنزل عليه من ذلك.

وأما كونه لم يحلّ حتى نحر الهدي فإن حفصة ابنة عمر روت عن النبي بيان فعله قالت سألت: ما شأن الناس حلّوا ولم تحلّ من عمرتك؟ فقال: إني قلدت هديي فلا أحلّ حتى أنحر، ورواه أيضاً علي...⁴

١) المحلى ج ٧/١٠١.

٢) زاد المعاد ١/٢٤٦.

٣) المحلى ج ٧/١٠٣ أوردنا في مايلي موجز كلام ابن حزم في هذا الباب.

ثم قال: فهذا أولى أن يتبع من رأي رآه عمراً.  
وفي مكان آخر أورد الروايات التي جاء فيها أن فسخ الحج خاص بأصحاب رسول الله، ثم استشهد على بطلانها بأن سراقه قال لرسول الله حين أمرهم بفسخ الحج في عمرة: يا رسول الله! العامنا هذا أم لا بد؟ فقال: بل لأبد الأبد.

ثم قال: فبطل التخصيص والنسخ وأمن من ذلك أبداً. والله أن من سمع هذا الخبر ثم عارض أمر رسول الله (ص) بكلام أحد ولو أنه كلام أمي المؤمنين حفصة وعائشة وأبيهما (رض) هالك فكيف بأكذوبات كنسج العنكبوت الذي هو أو هن الببوت عن الحارث بن بلال ... الذين لا يدري من هم في الخلق. وليس لأحد أن يقتصر بقوله (ع): «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» على أنه أراد جوازها في أشهر الحج دون ما بينه جابر وابن عباس من إنكاره (ع) أن يكون الفسخ لهم خاصة أو لعامهم دون ذلك، ومن فعل ذلك فقد كذب على رسول الله جهاراً.

قال: وأنى بعضهم بطامة وهي أنه ذكر الخبر الثابت عن ابن عباس أنهم كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض فقال قائلهم: إنما أمرهم (ع) بذلك ليوقفهم على جواز العمرة في أشهر الحج قولاً وعملاً. وهذه عظيمة أول ذلك أنه كذب على النبي في دعواهم إنما أمرهم بفسخ الحج في عمرة ليعلمهم جواز العمرة في أشهر الحج ثم يقال لهم هبك لو كان ذلك ومعاذ الله من أن يكون أبحق أمر أم بساطل؟ فإن قالوا بباطل كفروا وإن قالوا: بحق قلنا: فليكن أمره (ع) بذلك لأني وجه كان فإنه قد صار بعد ما أمر حقاً واجباً، ثم لو كان هذا الهوس الذي قالوه فلاي معنى كان يخص بذلك من لم يسق الهدى دون من ساق؟

وأطم من هذا كله أن هذا الجاهل القائل بذلك قد علم أن النبي اعتمر بهم في ذي القعدة عاماً بعد عام قبل الفتح. ثم اعتمر في ذي القعدة عام الفتح ثم قال لهم في حجة الوداع في ذي الحليفة: من شاء منكم أن يهل بعمرة فليفعل ومن شاء أن يهل بحج وعمرة فليفعل ومن شاء أن يهل بحج فليفعل<sup>٢</sup>، ففعلوا كل ذلك فيا لله ويا للمسلمين أبلغ الصحابة رضي الله عنهم من البلادة، والبله، والجهل أن لا يعرفوا مع هذا كله أن

(١) المحل ١٠٢/٧ وقوله «فهذا أولاً أن نضع» أي قول رسول الله وأمره أول أن يسبق من رأي رآه عمر.

(٢) قصد أن الأمر بعمرة التمتع كان في بدء الأمر في حجة الوداع تخييراً ونزل الفضاء به حتماً عند ما كان الرسول في آخر شوط من سعيه.

العمرة جائزة في أشهر الحج؟ وقد عملوها معه (ع) عاما بعد عام في أشهر الحج حتى يحتاج إلى أن يفسخ حجهم في عمرة ليعلموا جواز ذلك، تالله إن الحمير لتمييز الطريق من أقل من هذا فكم هذا الإقدام والجسارة على مدافعة السنن الثابتة في نصر التقليد؟ مرة بالكذب المفضوح، ومرة بالحماقة المشهورة، ومرة بالغشاة والبرد حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال المؤلف: فات ابن القيم وابن حزم وسائر أتباع مدرسة الإمام أحمد أن الباعث على إنكار من أنكروا عمرة التمتع ليس جهلهم بالروايات الصحيحة المتواترة عن رسول الله (ص) في ذلك ليحتاجوا إلى تعريضهم بها، وليس سببه عدم فهمهم لدلول تلك الروايات كي يعترفوا بمدلولاتها وإنها الدافع لهم إلى ذلك ما يقصدون من تبرير موقف الخلفاء من هذا الحكم الشرعي وفي سبيل ذلك جاهدوا على مر القرون، فمنهم من وضع الأحاديث آحتساباً للخير، ومنهم من آتمس للخلفاء أعذاراً مثل البيهقي الذي قال: «أراد عمر (رض) بالذي أمر به من ترك التمتع بالعمرة إلى الحج تمام العمرة التي أمر الله عز وجل بها، وأراد عمر (رض) أن يزار البيت في كل عام مرتين وكره أن يتمتع الناس بالعمرة إلى الحج فيلزم ذلك الناس فلا يأتوا البيت إلا مرة واحدة في السنة.» ودافع عن غيره من الخلفاء بقوله: «اتبعوا ما أمر به عمر بن الخطاب (رض) في ذلك آحتساباً للخير»<sup>١</sup>.

وبعض العلماء خلطوا في هذا السبيل بين الحق والباطل ولم يميزوا الزائف من الصحيح، وبعضهم ناقض نفسه، وآخرون آجتهدوا فآستنبطوا من سيرة الخلفاء أحكاماً لم يقيم عليها دليل من كتاب ولا سنة ويصيب الباحث الدوار إذا أراد أن يتابعهم في ما ذكروا في هذا الباب، ولا يحصل منهم على رأي ثابت أو مصيب وللتدليل على ما قلنا نضيف إلى ما أوردناه إلى هنا بعض ما أورده النووي في شرح مسلم باختصاره قال: اختلف العلماء في هذه الأنواع الثلاثة أيها أفضل فقال الشافعي ومالك وكثيرون: أفضلها الأفراد ثم التمتع ثم القرآن وقال أحمد وآخرون أفضلها التمتع وقال أبو حنيفة وآخرون: أفضلها القرآن، وهذا المذهب قولان آخران للشافعي<sup>٢</sup> والصحيح

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٢١/٥.

(٢) ان اختلاف أقوال الشافعي يدل على تحيره في الحكم الشرعي!

تفضيل الأفراد ثم التمتع ثم القرآن، وأما حجة النبي (ص) فأتختلفوا فيها هل كان مفرداً أم متمتعاً أم قارئاً وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة وكل طائفة رجحت نوعاً وأدعت أن حجة النبي (ص) كانت كذلك.

إلى قوله: ومن دلائل ترجيح الأفراد أن الخلفاء الراشدين (رض) بعد النبي (ص) أفردوا الحج<sup>١</sup> وواظبوا على إفراده، كذلك فعل أبو بكر وعمر وعثمان (رض) وأختلف فعل علي (رض)<sup>٢</sup>، ولولم يكن الأفراد أفضل وعلوموا أن النسبي (ص) حج مفرداً لم يواظبوا عليه مع أنهم الأئمة الأعلام وقادة الإسلام ويقتدي بهم في عصرهم وبعدهم وكيف يليق بهم المواظبة على خلاف فعل رسول الله (ص) وأما الخلاف عن علي (رض) وغيره فإنها فعلوه لبيان الجواز<sup>٣</sup>. وقد ثبت في الصحيح ما يوضح ذلك، ومنها — أي من دلائل ترجيح الأفراد — أن الأفراد لا يجب فيه دم بالإجماع وذلك لكمالهم ويجب الدم في التمتع والقرآن وهو دم جبران لفوات الميقات وغيره فكان ما لا يحتاج إلى جبر أفضل.

ومنها أن الأئمة أجمعت على جواز الأفراد من غير كراهة لم يكرهه عمر وعثمان وغيرهما التمتع والقرآن فكان الأفراد أفضل والله أعلم. فإن قيل: كيف وقع الاختلاف بين الصحابة (رض) في صفة حجته (ص) وهي حجة واحدة، وكل واحد منهم يخبر عن مشاهدة في قضية واحدة؟

قال القاضي عياض: قد أكثر الناس الكلام على هذه الأحاديث فن مجيد منصف، ومن مقتصر متكلف، ومن مطيل مكثر ومن مقتصر مختصر قال: وأوسعهم في

(١) الواقع الحق أن العلماء استندوا إلى فعل الخلفاء المذكور وأولوا ما خالفه من نص الكتاب وفعل الرسول وقوله — السنة — تبريراً منهم لفعل الخلفاء كما أشرنا إليه.  
(٢) إن كان قصده من اختلاف فعل الإمام علي، اختلاف فعله مع أفعال الخلفاء في هذا المقام كما يظهر ذلك من قوله في ما يأتي فهو صحيح. وإن كان قصده أن الإمام أختلفت أفعاله بعضه مع بعض فهو كذب وأفتراء على الإمام.

(٣) قد صرح الإمام أنه خالفهم لإحياء سنة الرسول التي منعوا أقامتها راجع قبله على عهد عثمان.  
(٤) وقد خالف أبناء الأئمة هؤلاء، رسول الله حيث غضب في حجة الوداع على من تردد في فسح الأفراد إلى التمتع وخالفهم أئمة أهل البيت تبعوا لرسول الله وخالفهم أتباع مدرسة أهل البيت وغير هؤلاء ممن رضي بسنة الرسول إذا فالامة لم تجمع على ذلك.

(٥) إنما نشأ هذا الاختلاف بعد مخالفة الخلفاء لسنة الرسول حيث روى بعضهم أحاديث خلافاً للواقع تبريراً لعمل الخلفاء.

ذلك نفساً أبوجعفر الطحاوي الحنفي فإنه تكلم في ذلك في زيادة على ألف ورقة، وتكلم معه في ذلك أبوجعفر الطبري، ثم أبو عبد الله بن أبي صفرة، ثم المهلب، والقاضي أبو عبد الله المرابط، والقاضي أبو الحسن بن القصار البغدادي، والحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيرهم<sup>١</sup>.

قال القاضي عياض: وأولى ما يقال في هذا على ما فحصناه من كلامهم واخترناه من أختياراتهم مما هو أجمع للروايات وأشبه بمساق الأحاديث أن النبي (ص) أباح للناس فعل هذه الأنواع الثلاثة ليدل على جواز جميعها، ولو أمر بواحد لكان غيره يظن أنه لا يجزي فأضيف الجميع إليه وأخبر كل واحد بما أمر به وأباحه له ونسبه إلى النبي (ص) إما لأمره به وإما لتأويله عليه...<sup>٢</sup>

وقال النووي في مكان آخر من شرحه: «قال المازري: اختلف في المتعة التي نهى عنها عمر في الحج، فقيل: هي فسخ الحج إلى العمرة بوقيل: هي العمرة في أشهر الحج ثم الحج من عامه، وعلى هذا إنما نهى عنها ترغيباً<sup>٣</sup> في الأفراد الذي هو أفضل لا أنه يعتقد بطلانها أو تحريمها.

وقال القاضي عياض: ظاهر حديث جابر وعمران وأبي موسى إن المتعة التي اختلفوا فيها إنما هي فسخ الحج إلى العمرة، قال: ولهذا كان عمر (رض) يضرب الناس عليها ولا يضربهم على مجرد التمتع في أشهر الحج وإنما ضربهم على ما اعتقده هو وسائر الصحابة أن فسخ الحج إلى العمرة كان مخصوصاً في تلك السنة للحكمة التي قدمنا ذكرها. قال ابن عبد البر: لا خلاف بين العلماء في أن التمتع المراد بقول الله تعالى

(١) وتبعهم في الكتابة ابن قيم الجوزية في زاد المعاد وفي الموضوع جقه، وكتب فيه أيضاً ابن حزم وكتبنا فيه هذا البحث. كتبت في هذا الموضوع طوال القرون آلاف الأوراق ولو اكتفى المسلمون بصريح الكتاب والسنة لكفتهم وريقة صغيرة.

(٢) لا، والذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق إن الرسول لم يأمر في حجة الوداع إلا بجمع التمتع ومنع من غيره، ولم يظن أحد في عصره ولا من بعده أن الرسول أمر بغير حج التمتع وإن كل هذه الأقوال قبلت في سبيل تبرير فعل الخليفة مع علم القائلين ببطلان أقوالهم.

إلى هنا أوردنا في المتن ملخصاً من باب «بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز لأفراد الحج والتمتع...» من شرح النووي ج ١٣٤/٨ - ١٣٧.

(٣) إن الخليفة عمر (رض) نهى عن حج التمتع وعاقب على فعله وأمر بالأفراد في الحج والعمرة كما صرح بذلك الروايات التي أوردناها في ما سبق، وإنما قال العلماء هذه الأقوال تقاساً لما يعذرون به الخليفة.



﴿ فمن تمتع إلى الحجّ فما استيسر من الهدي ﴾ هو الاعتمار في أشهر الحجّ قبل الحجّ، قال: ومن التمتع أيضاً القرآن لأنّه تمتع بسقوط سفره للنسك الآخر من بلده، قال: ومن التمتع أيضاً فسح الحجّ إلى العمرة. هذا كلام القاضي.

قلت: والمختار إنّ عمر وعثمان وغيرهما إنّما نهوا عن المتعة التي هي الاعتمار في أشهر الحجّ ثمّ الحجّ من عامه، ومرادهم نهى أولوية للترغيب في الأفراد لكونه أفضل... ».

انتهى ما نقلناه من شرح النووي بتلخيص.

قال المؤلف: كلّ هؤلاء العلماء وكثيرون غيرهم متن كتبوا آلاف الأوراق في هذا الباب، قد قرأوا في كتاب الله «فمن تمتع بالعمرة إلى الحجّ»، واطلعوا على تلك الروايات الكثيرة المتواترة الصحيحة عن رسول الله بتشديده الأمر بمتعة الحجّ، وقرأوا كذلك نهى عمر عنها ومعاقبته عليها وتعليقه بأنّ الأفراد أتمّ للعمرة وللحجّ وأنّ فيه ربيع أهل مكّة، ومع كلّ ذلك نقرأ كلّ تلك الأقوال المتناقضة من أنّ الرسول أباح لجماعة بحجّ التمتع، ولا آخرين بالأفراد، ولغيرهم بالقرآن، ومن أجل اختلاف أقوال الرسول في حجة الوداع اختلفت أقوال العلماء في هذا الصدد، وأنّ عمر نهى عن فسح الحجّ ولم ينه عن حجّ التمتع، وإنّ نهى عمر وعثمان وغيرهما عن حجّ التمتع نهى أولوية للترغيب في الأفراد لكونه أفضل.

أرأيت كيف يصبح الحكم المخالف للكتاب والسنّة أفضل؟! وأرأيت كيف يكون الترغيب إلى شيء بالعقوبة والضرب والخلق!!!؟

ومع كلّ هذا ليس لنا أن نشتظ في القول على العلماء كما فعله ابن حزم، بل ينبغي أن نعذرهم فإنّهم في ما فعلوا طلبوا الخير وأرادوا تبرير فعل الخلفاء، وفي هذا السبيل وضعوا الأحاديث عن لسان رسول الله ولسان الأئمة من أهل بيته والكبراء من صحابته، وفي سبيل تبرير فعل الخلفاء أيضاً سقوا فعل الخلفاء آجتهداً وقالوا: إنّ الخلفاء تأولوا الخير، والحق أنّ العلماء أيضاً تأولوا الخير في ما فعلوا وقالوا.

\* \* \*

في ماسبق من البحوث يتضح لنا كيف نشأ الاختلاف بين الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله (ص) وكيف آتت الاختلاف بين المسلمين عبر العصور، وفي ما يأتي بيان ذلك .

### منشأ الخلاف والاختلاف وكيف يمكن رفعها

لما كان المسلمون الأوائل قد سمعوا من فم رسول الله (ص) أحاديث أمرهم فيها بعمرة التمتع - الجمع بين الحج والعمرة - فقد تداولوا تلك الأحاديث ورووها كما سمعوها، ولما كان رسول الله (ص) قد علم أولئك المسلمين كيفية أداء سنته في عمرة التمتع فقد نقلوا سنتها كذلك، ومن ثم تداول المسلمون الأوائل ومن جاء بعدهم أحاديث الرسول وسنته في عمرة التمتع، وكان ذلك متداولاً بين المسلمين إلى عصر الصحابي الخليفة عمر بن الخطاب ومنعه المسلمين عن أداء سنته في عمرة التمتع، وتبعه على ذلك الخليفة الصحابي عثمان بن عفان، وحاكم مكة الصحابي عبد الله بن الزبير، والصحابي الخليفة معاوية بن أبي سفيان. بعد ذلك قام بعض أتباع مدرسة الخلفاء بوضع أحاديث رويها عن رسول الله (ص) بأنه نهى عن عمرة التمتع أي: الجمع بين الحج والعمرة، ووضعوا تلك الأحاديث تأييداً لسياسة بعض الخلفاء الراشدين واحتساباً للخير، وتداول المسلمون كذلك هذه الأحاديث وانتشرت بينهم إلى جنب روايتهم المجموعة الأولى من الأحاديث، ولما أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بتدوين حديث الرسول (ص) دونت تلك المجموعتان من الحديث المروي عن رسول الله (ص) والمنسوب إليه في كتب صحاح الحديث بمدرسة الخلفاء وسننهم ومسانيدهم، ومن هنا نشأ الاختلاف بين الأحاديث، وانتشر الخلاف بين المسلمين، ولا يمكن رفع الاختلاف بين الأحاديث المروية عن رسول الله (ص) والمنسوبة إليه دون طرح كل حديث يخالف سنة الرسول (ص) وإن دخلت في كتب صحاح الحديث، ولا يمكن كذلك رفع الخلاف من بين المسلمين وتوحيد كلمتهم دون رجوع المسلمين إلى سنة الرسول وترك ما يخالفها وإن كانت من سنن الخلفاء الراشدين.

### حديث أتباع سنة الخلفاء الراشدين

وما ذكرنا يحصل لنا العلم واليقين بأن الحديث المشهور أن رسول الله (ص)

قال:

«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»<sup>١</sup>

لا يمكن أن يكون صحيحاً وإن دخل في كتب الصحاح والمسانيد بمدرسة الخلفاء لأننا وجدنا في سنن الخلفاء الراشدين ما يخالف سنة الرسول (ص) والرسول (ص) لا يأمر بالعمل بما يخالف سنته، ولما في الحديث من علل أخرى نذكرها فيما يأتي

### علل الحديث

بالإضافة إلى ما ذكرنا نجد في هذا الحديث المروي عن رسول الله (ص) العلل الآتية:  
أ — وجدنا في باب مصطلحات بحث الإمامة والخلافة من الجزء الأول من هذا الكتاب أن لفظ الخليفة لم يستعمل في القرآن والحديث النبوي الشريف ومحاورات المسلمين وأحاديثهم في العصر الإسلامي الأول حتى عصر الخليفة الثاني بمعنى حاكم المسلمين العام كما يفهم منه في القرون الإسلامية الأخيرة، وإنما استعمل لفظ الخليفة في القرآن والحديث النبوي ومحاورات المسلمين حتى عصر الخليفة عمر بمعناه اللغوي وأريد به الخليفة للشخص الذي يذكر في الكلام بعد لفظ الخليفة ويضاف إليه لفظ الخليفة.

وبناء على هذا إذا وجدنا لفظ الخليفة بمعنى الحاكم الإسلامي العام في حديث منسوب إلى رسول الله (ص) أو أي واحد من أهل ذلك العصر أيقنا بعدم صحة ذلك الحديث.

وكذلك أيضاً بما أن وصف الخلفاء الأربعة الأوائل بالراشدين كان بعد استيلاء بعض الخلفاء الجبابرة من أمويين وعباسيين على الحكم، وعند ذاك وصف أتباع مدرسة الخلفاء الأربعة الأوائل بالراشدين. ومن ثم نعلم أن كل حديث ورد فيه وصف الأربعة بالراشدين وضع بعد عصر الخلفاء الأوائل.

ب — إن هذا الحديث يصرح بأن رسول الله (ص) جعل سنة الخلفاء الراشدين

(١) مسند أحمد ٤/ ١٢٦ و ١٢٧.

سنن الدارمي، المقدمة، باب آتياع السنة (١/ ٤٤ — ٤٥).

سنن ابن ماجه، المقدمة، باب سنة آتياع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ١٥ — ١٦).

سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة (ح، ٤٦٠٧).

سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (١٠/ ١٤٤ — ١٤٥).

إن كتب الحديث الأربعة المذكورة بعد مسند أحمد من كتب صحاح الحديث الستة بمدرسة الخلفاء

مصدراً للتشريع الإسلامي في عداد كتاب الله وسنة رسوله، وحاشا رسول الله من ذلك .  
ج - لو كان رسول الله (ص) قد أمر باتباع سنة الخلفاء الأربعة الراشدين إذا كان قد أمر بالمتناقضين، لأن فيهم الإمام علياً، وقد خالف سنة الخليفين عمر وعثمان في عمرة التمتع، وأتى بها وحث عليها، وعلى هذا كان رسول الله (ص) قد أمر بالعمل بشيء ونهى عن العمل به، وحاشا رسول الله (ص) من ذلك .  
وبسبب كل ما ذكرنا نرى أن هذا الحديث يأتي في مقدمة الأحاديث التي وضعت تأييداً لسياسة الخلفاء الراشدين .

\* \* \*

وبما أن الخلفاء الأوائل إلى زمان معاوية وعبد الله بن الزبير كانوا من أصحاب رسول الله (ص) وهم الذين اختلفوا في آجتهاداتهم وسننهم أشد الاختلاف، فإنه لا يصح مقالته أتباع مدرسة الخلفاء في حق الصحابة أنه لا يتطرق الشك إلى أحدهم ويصح أخذ أحكام الإسلام من جميعهم، كما مربيته في بحث عدالة الصحابة من الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومن دراسة قصة عمرة التمتع بين عثمان والإمام علي اتضح لنا أن أئمة أهل البيت كانوا يأمرؤن باتباع سنة الرسول (ص) ويجاهدون في سبيل ذلك ويأمرؤن أتباع مدرستهم بذلك، ومما جرى بين ابن عباس وابن الزبير في هذا الشأن وجدنا مثلاً من النزاع والمخاصمة بين مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء وأن نزاعهم كان بسبب التزام مدرسة أهل البيت باتباع سنة الرسول (ص) في مقابل عمل مدرسة الخلفاء باجتهادهم في مقابل سنة الرسول (ص) .

\* \* \*

مما سبق من البحوث أدركنا كيف تكونت مدرستان في الإسلام مدرسة محافظة تعض على سنة الرسول بالنواجذ وترى أنه ليس لأحد أن يجتهد في مقابل سنة الرسول (ص) وتجاهد في سبيل ذلك وهي مدرسة أهل البيت، ومدرسة أخرى مجتهدة ترى أن للخلفاء وذوي السلطة من الصحابة أن يجتهدوا في مقابل سنة الرسول (ص) وتعض على سننهم بالنواجذ وهي مدرسة الخلفاء .

وبما أن كل تلك المعارك قد جرت بين المدرستين حول سنة الرسول (ص) فلا بد لنا في سبيل تمحيص سنة الرسول (ص) ومعرفة سبل الوصول إلى الصحيح من سنة

الرسول (ص) - سيرة وحديثاً - غير المشوبة باجتهادات المجتهدين ، أن نعقد فصول هذا الكتاب وغيره مما أصدرنا من كتب وبحوث زهاء أربعين سنة. والله على ما أقول شاهد ووكيل .

إذا فليعذرنا العاتبون اللاثمون .

### خلاصة البحث:

في مبحثنا عن موارد اجتihad الخليفة عمر بمبحثنا قصة عمرة التمتع فوجدنا العمرة في العصر الجاهلي محترمة عند قريش في أشهر الحج ويرونها من أفجر الفجور ويقولون: إذا آنسَلخ صفر حلت العمرة لمن آعتمر. ووجدنا الرسول قد خالفهم فيها وآعتمر أربع عمر كلهن في أشهر الحج، أما عمرة التمتع فقد وجدنا الكتاب قد نص عليها في قوله تعالى: «فمن تمتع بالعمرة إلى الحج...» وسنها الرسول في حجة الوداع فلأنه (ص) مكث تسع سنين بعد الهجرة لم يحج وأجمع الخروج إلى الحج في ذي القعدة سنة عشر من مهاجره وقد أسلمت جزيرة العرب ومن شاء الله من أهل اليمن فأذن بالحج فقدم المدينة بشر كثير يريدون أن يأتوا برسول الله ويعملوا بعمله، وسار من المدينة ومعه أزواجه وأهل بيته وعامة المهاجرين والأنصار ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس وكان معه جموع لا يحصىهم إلا خالفهم ورازقهم، ووافاهم في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مدي البصر<sup>١</sup>. قال جابر<sup>٢</sup>: «ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به».

ولما انتهى إلى وادي العقيق قال لعمر بن الخطاب: أتاني آت من ربي - وفي رواية أتاني جبرئيل (ع) - وقال: قل «عمرة في حجة، فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» وفي عسفان، قال له سراقة: إقض لنا قضاء قوم كآتوا ولدوا اليوم، فقال

(١) ما أوردناهنا من أم حرج الرسول نقلناه من إمتاع المقرئ ص ٥١٠ - ٥١١.

(٢) سيرة ابن سيد الناس ٢/٢٧٣.

(٣) زاد المعاد ٢/٢١٣ فصل في حجه بعد هجرته قال ابن كثير في تاريخه ٥/١٠٩ - ١١٠ سميت حجة

البلاغ لأنه «ع» بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، وسميت حجة الإسلام لأنه لم يحج من المدينة غيرها.

(٤) راجع قبله ص ١٩٦.

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَدْخَلَ عَلَيْكُمْ فِي حَبْجِكُمْ هَذَا عِمْرَةً، فَإِذَا قَدِمْتُمْ فَن تَطَوَّفُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَقَدْ حَلَّ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ. وَفِي سُرْفٍ بَلَّغَ ذَلِكَ عَامَةً أَصْحَابَهُ فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَأَحَبُّ أَنْ يَجْعَلَهَا عِمْرَةً فَلْيَفْعَلْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَالْأَخْذُ بِهَا وَالتَّارِكُ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَرَّرَ التَّبْلِيغَ بِهَا فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ وَقَالَ «مَنْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهَا عِمْرَةً فَلْيَجْعَلَهَا».

قال المؤلف: يظهر ممَّا سبق أَنَّ النَّبِيَّ تَدَرَّجَ فِي تَبْلِيغِهِمْ حَكْمَ عِمْرَةِ التَّمَتُّعِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِي الْعَقِيقِ عَمْرَ خَاصَّةً بِنَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَجْمَعَ هُوَ بِنَفْسِهِ (ص) بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعِمْرَةِ، وَفِي عَسْفَانَ بَلَّغَ سِرَاقَةَ أَنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ فِي حَبْجِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ عِمْرَةٌ وَأَنَّ مَنْ تَطَوَّفَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَقَدْ حَلَّ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ، وَفِي سُرْفٍ بَلَّغَ عَامَةً أَصْحَابَهُ بِالْحَكْمِ فَالْأَخْذُ بِهَا وَالتَّارِكُ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيُظْهِرُ أَنَّ التَّارِكَ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ كَانُوا مِنْ مَهَاجِرَةِ قَرِيشَ الَّذِينَ كَانُوا يَرُونَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَفْجَرِ الْفُجُورِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَدَرَّجَ الرَّسُولُ فِي تَبْلِيغِهِمْ حَكْمَ التَّمَتُّعِ بِالْعِمْرَةِ.

حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ<sup>١</sup> وَحَانَ وَقْتُ الْأَدَاءِ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ - وَهُوَ فِي آخِرِ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ - مَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَهْلًا بِالْحَجِّ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يَجْعَلَهَا عِمْرَةً وَقَالَ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لِمَا سَقَتِ الْهَدْيُ وَلَكِنِّي لَبَدْتُ رَأْسِي وَسَقَتِ هَدْيِي وَلَا يَحِلُّ مَتْنِي حَرَامٌ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ سِرَاقَةٌ وَقَالَ: اقْضِ لَنَا قِضَاءَ قَوْمٍ كَانُوا وَلَدُوا الْيَوْمَ؛ أَعْمَرْنَا لِعَامِنَا هَذَا أُمَّ لِلْأَبْدِ؟ فَقَالَ «لَا: بَلْ لِلْأَبْدِ» مَرَّتَيْنِ وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ: «دَخَلْتُ الْعِمْرَةَ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» مَرَّتَيْنِ.

هَاهُنَا قَامَتْ قِيَامَةٌ مَنْ كَانَ يَرَى الْعِمْرَةَ مُحَرَّمَةً فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنْ أَصْحَابِهِ وَتَعَاظَمَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَضَاقَتْ بِهِ صُدُورُهُمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْحَلِّ؟ قَالَ: «الْحَلُّ كُلُّهُ» «هَذِهِ عِمْرَةٌ اسْتَمْتَعْنَا بِهَا فَن لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ الْهَدْيُ فَلْيَحِلَّ الْحَلُّ كُلُّهُ فَإِنَّ الْعِمْرَةَ قَدْ دَخَلَتْ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وَقَالَ: «أَقِيمُوا حَلَالًا حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ فَأَهْلُوا بِالْحَجِّ وَاجْعَلُوا الَّتِي قَدِمْتُمْ مَتْعَةً» قَالُوا: كَيْفَ نَجْعَلُهَا مَتْعَةً وَقَدْ سَتَيْنَا الْحَجَّ؟ قَالَ «أَفْعَلُوا مَا أَمَرَكُم بِهِ فَلَنِي لَوْلَا أَنِّي سَقَتِ الْهَدْيُ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتَكُمْ بِهِ» وَقَالَ «أَحْلُوا وَأَصِيبُوا النِّسَاءَ» لَفَفَشْتُ فِي ذَلِكَ الْقَالَةَ وَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ

لَمَّا لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرا أن نَحَلَ إلى نساينا فأتى إلى عرفة تقطر مذاكيرنا، هكذا ردوا عليه القول فغضب فانطلق حتى دخل على عائشة غضبان فرأت الغضب في وجهه فقالت: من أغضبك أغضبه الله — وفي رواية قالت — أدخله الله النار قال: «ما لي لا أغضب وأنا أمر أمراً فلا أتبع».

ثم قام خطيباً فقال «بلغني أن أقواماً يقولون كذا وكذا والله لأننا أبر وأتقى الله منهم — وفي رواية قال — قد علمتم أنني أتقاكم الله وأصدقكم وأبركم ولولا هديي لحللت» قالوا: يا رسول الله أيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منياً؟ قال «نعم» فأحلوا ومسوا الطيب ووطئوا النساء وفعلوا ما يفعل الحلال فلما كان يوم التروية أهلوا بالحج.

هكذا أطاعوا الله ورسوله بكل صعوبة وأعتَمروا في أشهر الحج عدا أم المؤمنين عائشة التي حرمت منها لأنها حاضت فأمرها النبي أن تحج بفلما طهرت وأتمت الحج أمر أخاها عبد الرحمن فأعمرها من التمتع كي لا ترجع بحج مفرد، وتوفي الرسول واستخلف أبو بكر فأفرد الحج، واستخلف عمر فأفرد، ورأى بعرفة رجلاً مرجلاً شعره فاستفهمه فقال قدمت متمتعاً وإننا أحرمت اليوم فقال عند ذاك لا تتمتعوا في هذه الأيام فإني لورخصت في المتعة لهم لعروا بهن تحت الأراك ثم راحوا بهن حجاجاً.

وقال: إفصلوا بين حجكم وعمرتكم إجعلوا الحج في أشهر الحج وأجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتم لحجكم وعمرتكم. واستشهد على صحة فتواه لما سأله أبو موسى ما هذا الذي أحدثت بشأن النسك وقال: إن نأخذ بكتاب الله فإن الله قال «فأتَمُوا الحج والعمرة لله» وإن نأخذ بسنة نبيتنا (ع) فإنه لم يحل حتى نحر الهدي، ذكر عمر في هذه الأحاديث وغيرها أن تمامها في الفصل بينهما وجعل العمرة في غير أشهر الحج، وقال: إن النبي لم يحل حتى نحر الهدي، ولم يجرؤ أبو موسى ولا غيره أن يقول له: إن الرسول صرح غير مرة بأنه لم يحل لأنه ساق الهدي ولا يحل حتى ينحروا وأن التمتع بالعمرة في كتاب الله عدا ما كان من أمر الإمام علي فإنه قال له: «من تمتع فقد أخذ بكتاب الله وسنة نبيه» ولعل عمر اضطر بعد هذا الاعتراض إلى أن يجابهم بالواقع ويقول في خطبته: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنها وأعاقب عليهما... ويقول: والله إني لأنها كم عن المتعة وإنها لني كتاب الله ولقد فعلتها مع رسول الله.

لعلّ الخليفة صرح بهذه الأقوال لينع سائر الصحابة من متابعة الإمام والرواية عن رسول الله بما يضعف موقفه، ونرى أنّه قد كشف عن سبب نهيه في قوله: كرهت أن يظلّوا معرّسين بهمّن تحت الأراك ثمّ يروحون في الحجّ تقطر رؤوسهم، وفي قوله: إن أهل البيت — يعني أهل مكة — ليس لهم ضرع ولا زرع وإنّما ربيعهم في من يطرأ عليهم<sup>١</sup>.

إذاً فالخليفة القرشي يعيد على عهده نفس الأقوال التي جابهوا الرسول بهالما امتنعوا عن عمرة التمتع في حجة الوداع.

وحقّ القول في هذه الواقعة أنّ الخليفة تأوّل وطلب الخير لذوي أرومته من قريش سكان مكة حين نهى عن عمرة التمتع، وأراد تمام الحجّ والعمرة حين أمر بفصل الحجّ عن العمرة وإتيان العمرة في غير أشهر الحجّ وإن خالف في ذلك كتاب الله وستة نبيّه، وأسّست بسنّته المسلمون على عهده وأفردوا الحجّ باتباعه في ذلك الخليفة القرشي عثمان فإنّه قال على عهده أتمّ للحجّ والعمرة أن لا يكونا معاً في أشهر الحجّ فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا البيت زورتين كان أفضل، فعارضه الإمام وقال: أعمدت إلى ستة سنّها رسول الله تنهى عنها وقد كانت لذي الحاجة ولناي الدار ثمّ أهل بحجة وعمرة فأنكر عثمان في هذه المرّة أن يكون قد نهى عنها وقال: إنّما كان رأياً أشرت به.

وفي أخرى قال له الإمام: إنك تنهى عن التمتع؟ قال: بلى! قال: ألم تسمع رسول الله تمتّع قال: بلى، فلبى عليّ وأصحابه بالعمرة.

وفي أخرى قال: لقد علمت إنّنا تمتعنا مع رسول الله فقال: أجل ولكنا كنّا خائفين.

وفي أخرى قال له: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك، قال: لا أستطيع أن أدعك منّي. فلما رأى عليّ ذلك أهلّ بهما جميعاً.

وفي أخرى لما رأى الإمام عثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، أهلّ بهما: لبيك بعمرة وحجة معاً فقال عثمان: اتفعلها وأنا أنهي عنها؟ فقال عليّ: لم أكن لأدع ستة رسول الله لقول أحد من الناس.

وتشدّد الخليفة على من لم يكن في منزلة الإمام وأمر بمن لبيّ منهم بالعمرة في أشهر الحجّ أن يضرب ويحلق!

(١) وبالتعليل الذي ذكرناه يرتفع ما يظهر من تناقض في ما روي عنه من التعليل.



وعلى عهد معاوية، قال سعد لمعاوية: إنَّ عمرة التمتع حسنة جميلة. فقال معاوية: إنَّ عمر كان ينهى عنها.  
وقال قائد جلاوزة معاوية: لا يفعل ذلك إلا من جهل أمر الله، وأستشهد بنهي عمر عنها.

ووضع معاوية رواية عن لسان النبي (ص) أنه نهي أن يقرن بين الحج والعمرة وأستشهد الصحابة فأذكروا عليه فأصرَّ عليها.

ويبدو أنَّ الإرهاب كان شديداً على عهد معاوية فإنَّ الصحابي عمران بن حصين كتم أنفاسه حتَّى إذا كان في مرض موته أُسرَّ إلى من ائتمنه بعد أن أخذ عليه العهد أن يكتم عليه إن عاش، وأخبره بأنَّ الرسول جمع بين الحج والعمرة ثم لم ينه عنها ولم ينزل كتاب ينسخها حتَّى إذا توفي (ص) قال فيها رجل برأيه ما شاء أن يقول.

\* \* \*

يوضح مجموع ما أوردناه عن هذا العهد أنَّه امتاز على ما سبقه من العهد بأمرين:

أولهما: بأنَّهم آتخذوا ستة عمر ديناً يدينون به وأنَّهم أعلنوا ذلك فإنَّ جلاوز معاوية الضحَّاك يقول «لا يفعل ذلك إلا من جهل أمر الله» واستشهد هو ومعاوية بنهي عمر عنها في مقابل استشهاد سعد بفعل رسول الله إياها.

ثانيهما: بوضع الحديث عن لسان رسول الله في ما يؤثد ستة عمر. وبعد عهد معاوية استمرَّ أتباع مدرسة الخلفاء على الأمرين مثل ما فعله أبنا الزبير بكَّة فإنَّهما نيا عن عمرة التمتع واستشهدا بنهي أبي بكر وعمر عنها في مقابل ابن عباس من أتباع مدرسة الأئمة الذي كان يأمر بها، ولما قالوا له: حتَّى متى تفضِّل الناس وتأمُر بالعمرة في أشهر الحجِّ وقد نهى عنها أبو بكر وعمر؟ قال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي، ويقولون: نهى أبو بكر وعمر، وتجري بين الطرفين خصومة شديدة وسباب، ويضع عروة حديثاً يكذب فيه على رسول الله ومن صحبه ويقول: إنَّهم أفردوا الحجَّ أبداً في حجة الوداع وغيرها، ويستشهد بأمره وخالته، غير أنَّها تقولان: إعتمنا في حجة الوداع، ويضع أتباع مدرسة الخلفاء بعد هذا العهد — أيضاً — أحاديث على رسول الله وعلى علي بن أبي طالب أنَّهما أفردا الحجَّ وأمرأ بإفراده وعلى أبي ذر أنه قال: إنَّ عمرة التمتع كانت لنا أصحاب رسول الله خاصَّة، إلى غير ذلك من الحديث الموضوع بإتقان عجيب

في صنعة الوضع والافتراء، فإنهم مثلاً يروون عن أبي ذر وهو في الربذة، وعن الإمام علي وهو ينصح ابنه محمداً، وعن واحد من أصحاب النبي بأنه أخبر عمر بنهي النبي عنها وهو في مرض موته ولكن مع كل هذا الجهد تعلقت قلوب الناس بعمره التمتع كما قيل ذلك لابن عباس ولم يكن سببه عدم أتباعهم لسنة عمر، بل كان سببه عدم تمكنهم من إطاعته فيها، فإنه لم يكن بمقدور المسلمين أن يشدوا الرحال من أقاصي البلاد الإسلامية مرتين، مرة للعمرة في غير أشهر الحج، وأخرى للحج في أشهر الحج مثل الخراساني الذي استفتى الحسن البصري في مكة وقال: إنني رجل بعيد الشقة... والآخر الذي سأله مجاهدًا وقال: هذا أول ما حججت فلا تشاي عني نفسي، فأني ذلك ترى أتم، أن أمكث كما أنا أو أجعلها عمرة؟<sup>١</sup>

لم يكن مسكن أمثال هؤلاء في الحجاز ليستطيعوا المجيء من بيوتهم إلى مكة مرتين كما كان يأمر به عمر وعثمان وأتباعهم. وماذا يصنع الذي قد يتاح له المجيء إلى الحج مرة واحدة في حياته؟ وكيف يعمل مثل هذا بسنة عمر؟ وقديماً قيل: إذا أردت ألا تطاع فأطلب ما لا يستطيع. من أجل هذا أضطر المسلمون إلى أن يتركوا من سنة عمر ما لم يتمكنوا من فعله وهو أفراد الحج من العمرة، وأخذ بعضهم منها ما أمكنه فعله وهو عدم الإحلال بين العمرة والحج، وبعضهم ترك سنة عمر بالمرّة مثل أتباع مدرسة أحمد إمام الحنابلة.

على أن المسلمين في كل تلك القرون لم يألوا جهداً في تبرير فعل الخلفاء، من روايتهم الحديث عن النبي وآله وأصحابه في تأييد رأي الخلفاء، إلى تأييد فعلهم بما استطاع قوله، مثل قولهم: إن الخلفاء ضربوا وحلقوا للترغيب لأنهم رأوا الأفراد أفضل! إلى تسمية فعل الخلفاء بالاجتهاد وأن المسألة آجتهدية وأن الخليفة آجتهد في هذه المسألة! إذاً فقد قال الله، وقال رسوله، وآجتهد عمر وآتخذ من آجتهد حكماً من أحكام الشرع الإسلامي!!!!

## مثال وعبرة

لقد عمل بعمره التمتع - بعد مشاكسة وممانعة - ما ينوف على سبعين ألفاً إلى مائة ألف أو أكثر ممن كانوا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع، أي إن هذه السنة النبوية رواها عن رسول الله (ص) هذا العدد الكثير رواية من شاهدها بالعيان وعمل بالأركان، ومع ذلك استطاع الخليفة الصحابي عمر بن الخطاب أن ينهي المسلمين عنها ويعاقب عليها.

وكان من تأييد المسلمين - صحابة و تابعين - له فيها في رواية روايات عن رسول (ص) أنه نهى عنها إلى غير ذلك مما شاهدناه، في هذه القصة، مثالاً لغيرها من موارد آجتهدهم في مقابل نصوص الكتاب والسنة، وطاعة المسلمين لهم فيها صحابة و تابعين إلى غيرهم، و عبرة لنا نعرف منها أنه ليس بغريب منهم مخالفتهم الرسول (ص) في ما نصَّ بحق الإمام عليّ (ع) في الحكم يوم الغدير في تلك السفرة وفي أحاديث أخرى نظيره، فإن الداعي للعمل بآجتهدهم في قضية الإمرة والحكم أقوى من دواعيهم إلى تغيير سنة عمرة التمتع، فأعتبروا بها يا أولي الألباب !!!

## «ب» متعة النساء

تواتر عن الخليفة عمر قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنها وأعاقب عليها، متعة الحج ومتعة النساء<sup>١</sup> وسبق البحث في متعة الحج وكيفية اجتهاده في النهي عنها، وفي مايلي نبحت متعة النساء وسبب تحريمه إياها واجتهاده فيها، بدءاً بإيراد تعريفها من مصادر مدرسة الخلفاء ثم من فقه مدرسة أهل البيت ثم نبحثها في الكتاب والسنة بحوله تعالى.

### نكاح المتعة في مصادر مدرسة الخلفاء:

في تفسير القرطبي: لم يختلف العلماء من السلف والخلف في أن المتعة نكاح إلى أجل لا ميراث فيه، والفرقة تقع عند انقضاء الأجل من غير طلاق. وقال ابن عطية: وكانت المتعة أن يتزوج الرجل المرأة بشاهدين وإذن الولي إلى أجل مستى، وعلى أن لا ميراث بينهما، ويعطيا ما اتفقا عليه، فإذا انقضت المدة فليس عليها سبيل وتستبرئ رحمها، لأن الولد لاحق فيه بلا شك، فإن لم تحمل حلت لغيره<sup>٢</sup>. وفي صحيح البخاري عن رسول الله (ص). «أبنا رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبّا أن يتزايدا أو يتتاركا»<sup>٣</sup>.

(١) أوردنا في أول بحث متعة الحج بعض مصادر هذا الخبر ونضيف إليها هنا مايلي:  
تفسير القرطبي ٣٨٨/٢، وتفسير الفخر الرازي ١٦٧/٢ و ٢٠١/٣ و ٢٠٢، وكنز العمال ٢٩٣/٨ و ٢٩٤، والبيان والتبيين للجاحظ ٢٢٣/٢. (٢) تفسير القرطبي ١٣٢/٥.  
(٣) صحيح البخاري ١٦٤/٣ باب نهي رسول الله عن نكاح المتعة أخيراً.

وفي المصنف لعبدالرزاق عن جابر قال: إذا آنقضى الأجل فبدا لها أن يتعاودا فليمهرها مهر آخر، فسئل كم تعتد؟ قال: حيضة واحدة، كنّ يعتدونها للمستمتع منهن<sup>١</sup>.

وفي تفسير القرطبي عن ابن عباس قال: عدتها حيضة، وقال: لا يتوارثان<sup>٢</sup>. وفي تفسير الطبري، عن السدي ﴿فما أستمتم به منهن إلى أجل مستمى فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم في ما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾ النساء/ ٢٤ فهذه المتعة، الرجل ينكح المرأة بشرط إلى أجل مستمى ويشهد شاهدين وينكح بإذن وليها وإذا آنقضت المدة فليس له عليها سبيل وهي منه بريئة وعليها أن تستبرئ ما في رحمها وليس بينهما ميراث، ليس يرث واحد منهما صاحبه<sup>٣</sup>.

وفي تفسير الكشاف للزمخشري: وقيل: نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حتى فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت، كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بشوب أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها، سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بها يعطيها...<sup>٤</sup>.



هكذا ورد تعريف متعة النساء أو نكاح المتعة في مصادر مدرسة الخلفاء، وورد تعريفها في فقه مدرسة أهل البيت (ع) كما يأتي:

### نكاح المتعة في فقه مدرسة أهل البيت (ع):

نكاح المتعة أو متعة النساء: أن تزوج المرأة نفسها أو يزوجها وكيلها أو وليها إن كانت صغيرة لرجل تحل له، ولا يكون هناك مانع شرعاً من نسب أو سبب أو رضاع أو عدة أو إحصان، بمهر معلوم إلى أجل مستمى. وتبين عنه بأنقضاء الأجل أو أن يهب الرجل ما بقي من المدة وتعتد المرأة بعد المباشرة مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس بقرآين إذا كانت متمن تحيض، وإلا فبخمسة وأربعين يوماً. وإن لم يمسه فهي كالملقة قبل الدخول لا عدة عليها.

(١) المصنف لعبدالرزاق ٤٩٩/٧ باب المتعة.

(٢) تفسير القرطبي ١٣٢/٥، والنيسابوري ١٧/٥.

(٣) تفسير الطبري ٩/٥.

(٤) تفسير الكشاف ٥١٩/١.

وشأن المولود من الزواج المؤقت شأن المولود من الزواج الدائم في جميع أحكامه<sup>١</sup>.

### نكاح المتعة في كتاب الله:

- قال الله سبحانه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء/ ٢٤.
- ١ — روى عبد الرزاق في مصنفه عن عطاء: إن ابن عباس كان يقرأ: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ — إِلَى أَجَلٍ — فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ»<sup>٢</sup>.
- ٢ — في تفسير الطبري عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال: هذا على قراءة أبي قال: وفيه فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ — إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى<sup>٣</sup>.
- ٣ — في تفسير الطبري عن أبي نضرة بطريقين، قال: سألت ابن عباس عن متعة النساء، قال: أما تقرأ سورة النساء قال: قلت: بلى. قال: فَمَا تَقْرَأُ فِيهَا «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى؟» قلت: لو قرأتها كذلك ما سألتك قال: فإنها كذلك.
- ٤ — عن أبي نضرة قال: قرأت هذه الآية على ابن عباس «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» قال ابن عباس «إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى» قال: قلت: ما أقرؤها كذلك. قال: والله لأنزلها الله كذلك. ثلاث مرّات.
- ٥ — عن عمير وأبي إسحاق أن ابن عباس قرأ: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى».
- ٦ — عن مجاهد: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» قال: يعني نكاح المتعة.
- ٧ — عن عمرو بن مرة، أنه سمع سعيد بن جبيرة يقرأ: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى».
- ٨ — عن قتادة قال: في قراءة أبي بن كعب: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى».

(١) راجع أحكام نكاح المتعة في الفقه الإمامي مثل: شرح اللعة الدمشقية وشرائع الإسلام وغيرهما.

(٢) المصنف ٤٩٧/٧ و ٤٩٨ باب المتعة، تأليف عبد الرزاق بن همام الصنعائي مولى حميد، (١٢٩) — (٥٢١١ ط). ١٣٩٠ — ١٣٩٢ هـ من منشورات المجمع العلمي ببيروت — أخرج حديثه أصحاب الصحاح الستة راجع ترجمته في الجمع بين رجال الصحيحين وتقريب التهذيب. وراجع بداية المجتهد لابن رشد ٦٣/٢.

(٣) في تفسير الآية بتفسير الطبري ١/٥.

- ٩ — عن شعبة عن الحكم قال سألت عن هذه الآية أمنسوخة هي؟ قال: لا. أخرنا الأحاديث (٢ — ٩) من تفسير الطبري وأوجزنا بعضها.
- ١٠ — وفي أحكام القرآن للجصاص أيضاً وردت رواية أبي نضرة وأبي ثابت عن ابن عباس وحديث قراءة أبي بن كعب<sup>١</sup>.
- ١١ — روى البيهقي في سننه الكبرى عن محمد بن كعب أن ابن عباس قال: كانت المتعة في أول الإسلام وكانوا يقرؤون هذه الآية «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»<sup>٢</sup>.
- ١٢ — وفي شرح النووي على صحيح مسلم: وفي قراءة ابن مسعود فاستمتعتم به منهن إلى أجل...<sup>٣</sup>
- ١٣ — وفي تفسير الزمخشري: وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام... وقال: سميت متعة لاستمتاعه بها. وقال: وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ، وكان يقرأ «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»<sup>٤</sup>.
- ١٤ — قال القرطبي: وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، وقرأ ابن عباس وأبي وابن جبير «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن»<sup>٥</sup>.
- ١٥ — وفي تفسير ابن كثير: وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة» وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة.
- ١٦ — وفي تفسير السيوطي حديث أبي ثابت وأبي نضرة ورواية قتادة وسعيد ابن جبير عن قراءة أبي وحديث مجاهد والسدي، وعطاء عن ابن عباس، وحديث الحكم أن الآية غير منسوخة، وعن عطاء عن ابن عباس أنه قال: وهي التي في سورة النساء. فاستمتعتم به منهن إلى كذا وكذا من الأجل على كذا وكذا قال: وليس بينهما

(١) أحكام القرآن ١٤٧/٢.

(٢) سنن البيهقي ٢٠٥/٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٩/٩.

(٤) الكشاف للزمخشري ٥١٩/١.

(٥) تفسير القرطبي ١٣٠/٥.

(٦) تفسير ابن كثير ٤٧٤/١.

وراثه فإن بداهما أن يتراضيا بعد الأجل فتعمر وإن تفرقا فتعمر...<sup>١</sup>  
قال المؤلف: كل هؤلاء المفسرين وغيرهم<sup>٢</sup> أوردوا ما ذكرناه في تفسير الآية ونرى أن ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وغيرهم ممن نقل عنهم أنهم كانوا يقرؤون «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مستى» كانوا يقرؤون إلى أجل مستى على سبيل التفسير ويشهد على ذلك ما ورد في الرواية الأخيرة عن ابن عباس أنه قال: «فما استمتعتم به منهن إلى كذا وكذا من الأجل على كذا وكذا»  
وإن أبيتا مثلاً قصد أنه سمع هذا التفسير من رسول الله أي أن رسول الله لما قال «إلى أجل مستى» فسر الآية بهذه الجملة.

### نكاح المتعة في السنة:

في باب نكاح المتعة من صحيح مسلم والبخاري، ومصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ومسند أحمد وسنن البيهقي وغيرها عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا نغزو مع رسول الله (ص) ليس لنا نساء. فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» المائدة — ٣٨٧.

في صحيح البخاري ومسلم ومصنف عبد الرزاق واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالا: خرج علينا منادي رسول الله (ص) فقال: إن رسول الله قد أذن لكم أن تستمتعوا، يعني متعة النساء<sup>٤</sup>.

(١) الدر المنثور للسيوطي ١٤٠/٢ — ١٤١، وما ورد عن عطاء في المصنف لعبد الرزاق ٤٩٧/٧، وراجع بداية المجتهد لابن رشد ٦٣/٢.

(٢) مثل القاضي أبي بكر الاندلسي (ت ٥٥٤٢) في أحكام القرآن ١٦٢/١ والبيهقي الشافعي (ت ٥١٠ أو ٥١٦) في تفسيره بهامش الخازن ٤٢٣/١ والالوسي (ت ١٢٧٠) في ٥/٥ من تفسيره.

(٣) صحيح مسلم كتاب النكاح ح ١٤٠٤ ص ١٠٢٢ بأسانيد متعددة، وفي صحيح البخاري ٨٥/٣ بتفسير سورة المائدة، باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا ما أحل الله لكم﴾، وفي كتاب النكاح منه ١٥٩/٣ باب ما يكره من التبتل، باختلاف يسير في اللفظ، وفي مصنف عبد الرزاق ٥٠٦/٧ مع إضافة إلى آخر الحديث، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٤/٤، وفي مسند أحمد ٤٢٠/١، وقال بهامشه «وكان ابن مسعود يأخذ بهذا ويرى أن نكاح المتعة حلال»، وفي ٤٣٢ منه باختصار، وفي سنن البيهقي ٢٠٠/٧ و ٢٠١ و ٢٠١ و علق على الحديث، وفي تفسير ابن كثير ٨٧/٢.

(٤) صحيح مسلم ص ١٠٢٢ ح ١٤٠٥، وفي البخاري ١٦٤/٣ باب نبى رسول الله عن نكاح المتعة



في صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن البيهقي عن سيرة الجهنبي قال: أذن لنا رسول الله (ص) بالمتعة. فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر. كأنها بكرة عطاء فعرضنا عليها أنفسنا. فقالت: ماتعني؟ فقلت: رداً. وقال صاحبي رداً. وكان رداء صاحبي أجود من رداً. وكنت أشب منه. فإذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها. وإذا نظرت إلي أعجبتها. ثم قالت: أنت ورداؤك يكفيني. فكثت معها ثلاثاً. ثم إن رسول الله (ص) قال «من كان عنده شيء من هذه النساء التي يشمت، فليخل سبيلها»<sup>١</sup>.

في مسند الطيالسي عن مسلم القرشي قال: دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء فقالت: فعلناها على عهد النبي (ص)<sup>٢</sup>.  
في مسند أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا نتمتع على عهد رسول الله (ص) بالثوب<sup>٣</sup>.

وفي مصنف عبد الرزاق: لقد كان أحدنا يستمتع بلاء القدح سوياً<sup>٤</sup>.  
وفي صحيح مسلم ومسنند أحمد وغيرهما واللفظ للأول قال عطاء: قدم جابر بن عبد الله معتمراً. فجنّاه في منزله. فسأله القوم عن أشياء. ثم ذكروا المتعة فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر<sup>٥</sup>.  
وفي لفظ أحمد بعده: «حتى إذا كان في آخر خلافة عمر».  
وفي بداية المجتهد: ونصفاً من خلافة عمر ثم نهى عنها عمر الناس<sup>٦</sup>.

→  
آخرأ ولفظه: كنا في جيش فأثانا رسول الله... وكذلك لفظ أحمد في مسنده ج ٤/٥١ وفي ٤٧ منه باختصار، وفي المصنف لمبد الرزاق ٤٩٨/٧ باختلاف يسير.  
(١) صحيح مسلم مكتاب النكاح ج ١٤٠٨ ص ١٠٢٤، وسنن البيهقي ٢٠٢/٧ و٢٠٣، ومسنند أحمد ٤٠٥/٣ وبعده قال: ففارقتها. والبكرة الفتية من الإبل أي الشابة القوية، والعطاء الطويلة العنق، في اعتدال وحسن قوام.

(٢) الطيالسي ج ١٦٣٧.  
(٣) مسند أحمد ج ٣/٢٢، وفي مجمع الزوائد ٢٦٤/٤ رواه أحمد والبيهقي.  
(٤) المصنف لمبد الرزاق ٤٥٨/٧.  
(٥) صحيح مسلم مكتاب النكاح ج ١٤٠٥ ص ١٠٢٣، وبشرح النووي ١٨٣/٩، ومسنند أحمد ٣٨٠/٣ ورجال أحمد رجال الصحيح وأبو داود في باب الصدقات: تمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر ثم نهى عنها عمر، وراجع عمدة القاري للمعني ٣١٠/٨.  
(٦) بداية المجتهد لابن رشد ٦٣/٢.

### سبب نهي عمر عن المتعة

في صحيح مسلم، والمصنف لعبد الرزاق، ومسنده أحمد، وسنن البيهقي وغيرها واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمع بالقبضة من التمر والدقيق، الأيام، على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر، حتى نهي عنه عمر، في شأن عمرو بن حريث<sup>١</sup>.

وفي لفظ المصنف لعبد الرزاق عن عطاء عن جابر: استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر حتى إذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بامرأة — سناها جابر فنسيتها — فحملت المرأة فبلغ ذلك عمر فدعاها فسأها، فقالت: نعم. قال: من أشهد؟ قال عطاء: لا أدري قالت: أمتي، أم وليها، قال: فهلا غيرهما، قال: خشي أن يكون دغلاً...<sup>٢</sup>

وفي رواية أخرى قال جابر: قدم عمرو بن حريث من الكوفة فاستمتع بمولاة فأتي بها عمرو وهي حبلى فسأها فقالت: استمتع بي عمرو بن حريث، فسأله فأخبره بذلك أمراً ظاهراً، قال: فهلا غيرها، فذلك حين نهي عنها<sup>٣</sup>.

وفي أخرى عن محمد بن الأسود بن خلف: إن عمرو بن حوشب استمتع بجارية بكر من بني عامر بن لؤي: فحملت، فذكر ذلك لعمر فسأها، فقالت: استمتع منها عمرو بن حوشب، فسأله فاعترف، فقال عمر: من أشهدت؟ — قال — لا أدري أقال: أمها أو أختها أو أخاها وأمها، فقام عمر على المنبر، فقال: ما بال رجال يعملون بالمتعة ولا يشهدون عدولاً ولم يبينها إلا حددته، قال: أخبرني هذا القول عن عمر من كان تحت منبره، سمعه حين يقوله، قال: فتلقياه الناس منه<sup>٤</sup>.

وفي كنز العمال: عن أم عبد الله ابنة أبي خيثمة أن رجلاً قدم من الشام فنزل عليها فقال: إن العزبة قد اشتدت علي فابغيني امرأة أتمتع معها قالت: فدللته على

(١) صحيح مسلم، باب نكاح المتعة، ١٤٥٥ ص ١٠٢٣، وبشرح النووي ١٨٣/٩. والمصنف لعبد الرزاق ٥٠٠/٧، وفي لفظه «أيام عهد النبي»، وسنن البيهقي ٢٣٧/٧ باب ما يجوز أن يكون مهرًا، ومسنده أحمد ٣٠٤/٣، وفي لفظه حتى نهانا عمر أخيراً... وأورده موجزاً صاحب تهذيب التهذيب بترجمة موسى بن مسلم ٣٧١/١٠، وفتح الباري ٧٦/١١، وزاد المعاد لابن القيم ٢٠٥/١، وراجع كنز العمال ٢٩٣/٨.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٤٩٦/٧ — ٤٩٧ باب المتعة.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ٥٠٠/٧، وفتح الباري ٧٦/١١ وفي لفظه: فسأله فاعترف قال: فذلك حين.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ٥٠٠/٧ — ٥٠١ وأرى عمرو بن حوشب تحريفاً والصواب عمرو بن حريث. وكذلك سقط من الكلام بعد لا يشهدون: عدولاً.

امرأة فشارطها وأشهدوا على ذلك عدولاً فكث معها ما شاء الله أن يمكث ثم إنه خرج، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب؛ فأرسل إليّ فسألني أحق ما حدثت؟ قلت: نعم، قال: فلماذا قدم فأذنيني به، فلما قدم أخبرته فأرسل إليه، فقال: ما حلك على الذي فعلته؟ قال: فعلته مع رسول الله (ص) ثم لم ينهنا عنه حتى قبضه الله، ثم مع أبي بكر فلم ينهنا حتى قبضه الله، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نبياً، فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لو كنت تقدمت في نهي لرجعتك، بينوا<sup>١</sup> حتى يعرف النكاح من السفاح<sup>٢</sup>.

وفي مصنف عبد الرزاق: عن عروة: إن ربيعة بن أمية بن خلف تزوج مولدة من مولدات المدينة بشهادة امرأتين إحداهما خولة بنت حكيم، وكانت امرأة سالحة، فلم يفجأهم إلا الوليدة قد حملت، فذكرت ذلك خولة لعمر بن الخطاب، فقام يجر صنفه ردائه<sup>٣</sup> من الغضب حتى صعد المنبر، فقال: إنه بلغني أن ربيعة بن أمية تزوج مولدة من مولدات المدينة بشهادة امرأتين، وإنّي لو كنت تقدمت في هذا لرجعت<sup>٤</sup>.

وفي موطأ مالك، وسنن البيهقي، واللفظ للأول: إن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب. فقالت: إن ربيعة بن أمية استمتع بأمرأة فحملت منه، فخرج عمر يجر ردائه، فقال: هذه المتعة. ولو كنت تقدمت فيها لرجعت<sup>٥</sup>.

وفي الإصابة: إن سلمة بن أمية استمتع من سلمى مولاة حكيم بن أمية بن الأوقص الأسلمي فولدت له فجدد ولدها فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة<sup>٦</sup>. وفي المصنف لعبد الرزاق، عن ابن عباس قال: لم يرع أمير المؤمنين إلا أم أراكة قد خرجت حبلى، فسأها عمر عن حملها، فقالت: استمتع بي سلمة بن أمية بن خلف...<sup>٧</sup>

(١) لعل الصواب «بتوا».

(٢) كنز العمال ٢٩٤/٨ ط. دائرة المعارف حيدرآباد دكن سنة ١٣١٢. و ط الثانية ٩٥/٢٢.

(٣) صنفه ردائه، صنفه الإزاز بكسر الهمزة: طرفه — نهاية اللغة.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ٥٠٣/٧، وراجع مسند الشافعي ص ١٣٢، وترجمة ربيعة بن أمية من الإصابة

٥١٤/١.

(٥) موطأ مالك ص ٥٤٢ ح ٤٢ باب نكاح المتعة، وسنن البيهقي ٢٠٦/٧ وفي لفظه: لرجته، وراجع كتاب الأم للشافعي ٢١٩/٧، وتفسير السيوطي ١٤١/٢.

(٦) ترجمة سلمى غير منسوبة من الإصابة ج ٤/٣٢٤ وترجمة سلمة من الإصابة ج ٦١/٢.

(٧) المصنف لعبد الرزاق ٤٩٩/٧.

وفي المصنف لابن أبي شعبة عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: قال عمر: لو أتيت برجل تمتع بامرأة لرجته إن كان أحسن فإن لم يكن أحسن ضربته<sup>١</sup>.

\* \* \*

في الروايات السابقة وجدنا الصحابة يقولون: إن آية «فما استمتعتم به منهن» وردت في نكاح المتعة، وأن رسول الله أمر به، وأنهم كانوا يستمتعون بالمرأة بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله وأبي بكر ونصف من خلافة عمر حتى نهي عنها في شأن عمرو بن حريث، ووجدنا نكاح المتعة متفشياً على عهد عمر قبل أن ينهى عنه، ولعله تدرج في تحريمه بدءاً بالتشديد في أمر شهود نكاح المتعة وطلب أن يشهده عدول المؤمنين كما يظهر ذلك من بعض الروايات السابقة، ثم نهي عنه بتاتاً حتى قال لو تقدمت في نهي لرجمت، وبعد هذا أصبح نكاح المتعة محرماً في المجتمع الإسلامي، وبقي الخليفة مصرّاً على رأيه إلى آخر عهده لم يؤثر فيه نصيح الناصحين. فقد روى الطبري في سيرة عمر عن عمران بن سودة أنه استأذن ودخل دار الخليفة ثم قال: نصيحة: فقال: مرحباً بالناصح غدوّاً وعشياً.

قال: عابت أمتك منك أربعاً.

قال: فوضع رأس درّته في ذقنه ووضع أسفلها على فخذه، ثم قال: هات:

قال: ذكروا أنك حرّمت العمرة في أشهر الحج ولم يفعل ذلك رسول الله ولا أبو بكر (رض) وهي حلال.

قال: هي حلال، لو أنهم اعتصموا في أشهر الحج رأوها مجزية من حجهم فكانت قاذبة فوب عامها فقرع حجهم وهو بهاء من بهاء الله وقد أصبت.

قال: ذكروا أنك حرّمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة وفارق عن ثلاث.

قال: إن رسول الله (ص) أحلّها في زمان ضرورة ثم رجع الناس إلى سعة ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها، فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق وقد أصبت...<sup>٢</sup>

\* \* \*

(١) المصنف لابن أبي شعبة ٢٩٣/٤.

(٢) الطبري ج ٣٢/٥ في باب شيء من سيره مما لم يمض ذكرها من حوادث سنة ٢٣ والقاذبة: البيضة

إنّ ما اعتذر به الخليفة في تحريمه متعة الحج (بأنهم لو اعتمروا في أشهر الحج لرأوها مجزية عن حجّهم) لا يصدق على نبيه عن الجمع بين الحج والعمرة وإنّما الصحيح ما اعتذر به في حديث آخر له من أنّ أهل مكة لا ضرع لهم ولا زرع وإنّا ربيعهم في من يفد إلى هذا البيت، إذن فليأتوا إلى هذا البيت مرتين، مرّة للحجّ المفرد، وأخرى للعمرة المفردة ليربح منهم قريش أرومة المهاجرين.

وأما اعتذاره في تحريم نكاح المتعة من أنّ عهد رسول الله كان زمان ضرورة خلافاً لما كان عليه عهده، فإنّ جلّ الروايات التي صرّحت بوقوعها في عصر رسول الله وبإذن منه ذكرت أنّها كانت في الغزوات وحال السفر، ولا فرق في ذلك بين عهد رسول الله وعهد عمر إلى زماننا الحاضر وإلى أبد الدهر.

فإنّ الإنسان لم يزل منذ أن وجد على ظهر هذا الكوكب — الأرض — ولا يزال بحاجة إلى السفر والاغتراب عن أهله أسابيع وشهوراً، بل وسنين طويلة أحياناً، فإذا سافر الرجل ماذا يصنع بغريزة الجنس في نفسه؟ هل يستطيع أن يتركها عند أهله حتى إذا عاد إليهم عادت غريزته إليه فتصرف فيها مع زوجته؟ أم أنّها معه لا تفارقه في السفر والحضر؟ وإذا كانت غريزته غير مفارقة إياه فهل يستطيع أن يتنكر لها في السفر ويستعصم؟ وإذا كان الشاذّ النادر في البشري يستطيع أن يستعصم فهل الجميع يستطيعون ذلك أم أنّ الغالب منهم تقهره غريزته؟ وهذا الصنف الكثير من البشر إذا طغت عليه غريزته في المجتمع الذي يمنعه من التصرف في غريزته ويطلب منه أن يخالف فطرته وما تقتضيه طبيعته ماذا يفعل عند ذاك؟ وهل له سبيل غير أن يخون ذلك المجتمع؟

والإسلام الذي وضع حلاً مناسباً لكلّ مشكلة من مشاكل الإنسان هل ترك هذه المشكلة بلا حلّ؟ لا. بل شرّع لحلّ هذه المشكلة: الزواج الموقّت، ولولا نهي عمر عنها لما زنى الآشقي (أو: شقي) كما قاله الإمام علي، أمّا المجتمعات البشرية فقد وضعت لها حلاً بتحليل الزنا في كلّ مكان.

ولا يقتصر الأمر في ماذكرنا على من يسافر من وطنه، فإنّ للبشر كثير من الحالات في وطنه تمنعه من الزواج الدائم أحياناً سواء في ذلك الرجل والمرأة، فهاذا يصنع

→ التي تنفلق عن فرخها والفرخ قوب، ضرب هذا مثلاً لخلو مكة من المعتمرين في باقي السنة بموقع حجّهم أي تخلّت أيام الحج من الناس. نهاية اللغة، مادة قوب.

إنسان لم يتمكن من الزواج الدائم سنين كثيرة من عمره في وطنه إن لم يلتجئ إلى الزواج المؤقت ؟ ماذا يصنع هذا الإنسان والقرآن يقول له « ولا تواعدوهن سرّاً » ويقول لها : « غير متخذات أخدان » ؟!

أما ما ذكره الخليفة في مقام العلاج من تبديل نكاح المتعة بالنكاح الدائم على أن يفارق عن ثلاث بالطلاق، فالأمر ينحصر فيه بين أمرين لا ثالث لهما، إما أن يقع ذلك بعلم من الزوجين وتراض بينهما فهو الزواج المؤقت أو نكاح المتعة بعينه، وإما أن يقع بتبسيب نية من الزوج مع إخفائه عن الزوجة فهو غدر بالمرأة وأستهانة بها بعد أن اتَّفقا على النكاح الدائم وأخفى المرء في نفسه نية الفراق بعد ثلاث، وكيف يبقى اعتماد للمرأة وذوها على عقد الزواج الدائم مع هذا ؟!

وأخيراً فإنّه يرى بكلّ وضوح من هذه المحاورة ومن كل ما روي عن الخليفة من محاورات في هذا الباب أنّ كلّ تلك الروايات التي رويت عن رسول الله في تحريمه المتعتين ونهيه عنها والتي حفلت بتدوينها أئمة كتب الحديث والتفسير وضعت بعد عصر عمر فلان واحداً من الصحابة على عهد عمر لو كانت عنده رواية عن رسول الله تؤيد سياسة الخليفة في المتعتين والتي كان يجهر بها ويتهدد على مخالفتها بقوله (وأعاقب عليها) لو كان واحداً من الصحابة على عهده عنده من رسول الله شيء يؤيد هذه السياسة لما احتاج إلى كتمانها عن الخليفة ولنشرها، ولو كان الخليفة في كلّ تلك المدة قد أطلع على شيء يؤيد سياسته لاستشهد به ولما احتاج إلى كلّ هذا العنف بالمسلمين. هكذا انتهى عهد الخليفة عمر. بعد أن كبت المعارضين لسياسة حكمه وكنم أنفاسهم ومنعهم حتى من نقل حديث الرسول - كما أشرنا إلى ذلك في فصل (في حديث الرسول) - واستمرّ الأمر على ذلك إلى ستّ سنوات من خلافة عثمان، وانتشر الأمر متدرجاً بعد ذلك فنشأ جيل جديد لا يعرف من الإسلام إلّا ما سمحت سياسة الخلافة، بنشره وبيانه كما سنعرفه في ما يأتي:

### نكاح المتعة من بعد عمر

في النصف الثاني من خلافة عثمان آنقسمت قوى الخلافة على نفسها، وكانت أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وابن العاص ومن تبعهم في جانب، ومروان وأبناء بني العاص وسائر بني أمية ومن تبعهم في الجانب الآخر فأنتج الصدام بينهما فسحة للمسلمين استعادوا فيها بعض الحرية، وانتشر بعض الحديث

الممنوع نشره، وعارض المسلمون الخلفاء في ما نهوا عنه، فسمع الجيل الناشئ من الجيل المخضرم ما لم يكن يسمع ورأى بعض ما لم يكن يراه ومُرّت علينا مخالفة الإمام عليّ الخليفة عثمان في متعة الحج. ونقرأ في ما يلي بعض المخالفات في متعة النساء:

في المصنف لعبد الرزاق: ابن جريج عن عطاء قال: لأوّل من سمعت منه المتعة صفوان بن يعلى، قال: أخبرني أنّ معاوية استمتع بامرأة بالطائف فأنكرت ذلك عليه، فدخلنا على ابن عباس، فذكر له بعضنا، فقال له: نعم فلم يقرّ في نفسه، حتّى قدم جابر بن عبد الله، فجنّاه في منزله، فسأله القوم عن أشياء، ثمّ ذكروا له المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله (ص)، وأبي بكر، وعمر حتّى إذا كان في آخر خلافة عمر، استمتع عمرو بن حريث...<sup>١</sup> وفيه أنّ معاوية بن أبي سفيان استمتع مقدمه الطائف على ثقيف بمولاة ابن الحضرميّ يقال لها: معانة، قال جابر: ثمّ أدركت معانة خلافة معاوية حيّة، فكان معاوية يرسل إليها بجائزة كلّ عام حتّى ماتت<sup>٢</sup>.

وفيه عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال: كانت بمكة امرأة عراقية تنسك جميلة، لها ابن يقال له: أبو أميّة، وكان سعيد بن جبير يكثر الدخول عليها، قال: قلت: يا أبا عبد الله! ما أكثر ما تدخل على هذه المرأة! قال: إنّنا قد نكحناها ذلك النكاح - المتعة - قال: وأخبرني أنّ سعيداً قال له: هي أحلّ من شرب الماء - المتعة -<sup>٣</sup>.

\* \* \*

ومنذ هذا العصر انتشر القول بحليّة متعة النساء والإفتاء بها في المصنف لعبد الرزاق: أنّ عليّاً قال بالكوفة لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب - أوقال: رأي ابن الخطاب - لأمرت بالمتعة ثمّ مازنى إلا شقي<sup>٤</sup>. وفي تفسير الطبري والنيشابوري والفخر الرازي وأبي حيان والسيوطي واللفظ للأوّل: لولا أنّ عمر نهى عن المتعة مازنى إلا شقي<sup>٥</sup>.

(١) المصنف لعبد الرزاق ٤٩٦/٧ - ٤٩٧ باب المتعة. (٢) المصنف لعبد الرزاق ٤٩٩/٧ باب المتعة.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ٤٩٦/٧ باب المتعة.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ٥٠٠/٧. اللفظ في كتب التفسير والحديث (إلا شقي) وفي مادة شقى من نهاية اللغة (إلا شقى) أي إلا قليل من الناس من قولهم: غابت الشمس إلا شقى أي: إلا قليلاً من ضوءها عند غروبها).

(٥) تفسير الطبري ٩/٥ والنيشابوري ١٦/٥، والفخر الرازي في تفسير الآية بتفسيره الكبير ٣/٢٠٠، وتفسير أبي حيان ٣/٢١٨، والدر المنثور للسيوطي ٤٠/٢.

وفي تفسير القرطبي. قال ابن عباس: ما كانت المتعة إلا رحمة من الله تعالى، رحم بها عباده، ولولا نهي عمر عنها ما زنى إلا شقي<sup>١</sup>.  
وفي المصنف لعبد الرزاق، وأحكام القرآن للجصاص، وبداية المجتهد لابن رشد، والدر المنثور للسيوطي، ومادة «شقي» من نهاية اللغة لابن الأثير ولسان العرب وتاج العروس وغيرها واللفظ للجصاص:  
عن عطاء سمعت ابن عباس يقول: رحم الله عمر ما كانت المتعة إلا رحمة من الله تعالى رحم الله بها أمة محمد (ص) ولولا نهي لما احتاج إلى الزنا إلا شفا<sup>٢</sup>.  
في لفظ المصنف: «إلا رخصة من الله» بدل «رحمة» وفي آخر الحديث.  
«الآشقي»، قال عطاء: كأني والله اسمع قوله: «إلا شقي».  
وفي لفظ بداية المجتهد «ولولا نهي عمر عنها ما أضطر إلى الزنا إلا شفى».

من بقي على القول بتحليل المتعة بعد تحريم عمر إياها:

قال ابن حزم في المحلى: وقد ثبت على تحليلها بعد رسول الله جماعة من السلف (رض) منهم من الصحابة أساء بنت أبي بكر، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود وابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان وعمر بن حريث وأبوسعيد الخدري وسلمة ومعبد ابنا أمية بن خلف، ورواه جابر عن جميع الصحابة مدة رسول الله ومدة أبي بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر.  
قال: وعن عمر بن الخطاب إنه إنما أنكرها إذا لم يشهد عليها عدلان فقط وأباحها بشهادة عدلين.  
قال: ومن التابعين طاووس، وعطاء، وسعيد بن جبيرة، وسائر فقهاء مكة أعزها الله...<sup>٣</sup>

وروى القرطبي في تفسيره أنه: لم يرتخص في نكاح المتعة إلا عمران بن الحصين

(١) تفسير القرطبي ١٣٠/٥.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١٤٧/٢، وتفسير السيوطي للآية ج ١٤٩/٢، وبداية المجتهد ٦٣/٢، ونهاية اللغة لابن الأثير ٢٢٩/٢، ولسان العرب ٦٦/١٤، وتاج العروس ٢٠٠/١٠، وراجع: الفايق للزنجشيري ٣٣١/١، وراجع تفسير الطبري والعلبي والرازي وأبي حيان واليسابوري وكثر العمال.

(٣) المحلى لابن حزم ٥١٩/٩ — ٥٢٠ المسألة ١٨٥٤، ويذكر رأي ابن مسعود النووي في شرح مسلم



وبعض الصحابة وطائفة من أهل البيت.

وقال: قال أبو عمر: أصحاب ابن عباس من أهل مكة واليمن كلهم يرون المتعة حلالاً على مذهب ابن عباس<sup>١</sup>،

وفي المغني لابن قدامة: وحكي عن ابن عباس أنها جائزة وعليه أكثر أصحابه عطاء وطاؤوس وبه قال ابن جريج وحكي ذلك عن أبي سعيد الخدري وجابر وإليه ذهب الشيعة لأنه قد ثبت أن النبي أذن فيها<sup>٢</sup>.

من تابع عمر في تحريم المتعة:

منهم عبدالله بن الزبير فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن أبي ذئب قال:

سمعت ابن الزبير يخطب وهو يقول: إن الذنب يكتني أباجعة، ألا وإن المتعة هي الزنا<sup>٣</sup>.

ومنهم ابن صفوان كما يأتي حديثه.

ومنهم عبدالله بن عمر في أحد قوله كما يأتي شرحه.

وقد جرت بين من تابع الخليفة عمر في ذلك وبين من خالفه مناقشات نورد بعضها في مايلي:

#### الخلاف بين المحللين والمحرمين

وقعت في تحليل المتعة مشادة بين ابن عباس وجماعة، منهم: عبدالله بن الزبير كما روى مسلم في صحيحه والبيهقي في سننه واللفظ للأول: عن عروة بن الزبير قال: إن عبدالله بن الزبير قام بمكة فقال: إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة. يعرض بالزجل فناداه فقال: إنك لجلف جاف. فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين (يريد رسول الله). فقال له ابن الزبير: فجرب بنفسك فوالله لنن فعلتها لأرجنك بأحجارك.

قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله، أنه بينا هو جالس

(١) القرطبي ١٣٣/٥.

(٢) المغني لابن قدامة ٥٧١/٧.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٣/٤ في نكاح المتعة وحرمتها.

عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها، فقال له أبو عمرة الأنصاري، مهلا، قال: ماهي؟ والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين<sup>١</sup>.

\* \* \*

يبدو أن هذه المحاورة وقعت على عهد ابن الزبير و زمن حكمه بمكة، وكان الاجتماع يومذاك يقع في البيت الحرام، وأغلب الظن أن هذه المحاورة وقعت أثناء خطبة الجمعة وفي ملا حاشد من المسلمين، لأننا نرى أن ابن عباس كان يربأ بنفسه أن يحضر خطبة ابن الزبير في غير صلاة الجمعة التي كانوا يلزمون حضورها، وأيضاً يبدو بكل وضوح أن ابن الزبير لم يكن لديه يومذاك ولا كان لدى عصبته عصبه الحكم والخلافة أي مستند من قول الرسول أو فعله أو تقريره في نهيمهم عن المتعة، ولا لقبال حجة ابن عباس من «أنها فعلت على عهد إمام المتقين» بها.

وعلى عكس الحاكمين الذين كانوا يستندون إلى هذا العصر في تحريمهم المتعنين إلى منطق القوة فحسب نجد المحللين لها أبداً يقابلونهم بسنة الرسول حين تناح لهم الفرصة أن يتحدثوا ويدلوا بمجتهم.

ففي صحيح مسلم، ومسندي أحمد، والطيالسي، وسنن البيهقي، وغيرهم، واللفظ للأول عن أبي نصر، قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأثاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعنين. فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله (ص) ثم نهانا عنهما عمر فلم نعدلهما<sup>٢</sup>.

وفي رواية: قلت لجابر أن ابن الزبير ينهى عن المتعة وابن عباس يأمر بها، قال جابر على يدي دار الحديث، تمتعنا على عهد رسول الله (ص) فلما كان عمر بن الخطاب وقال: إن الله عز وجل كان يحل لنبيه ما شاء، وأن القرآن قد نزل منازلهم فأفصلوا

(١) صحيح مسلم، باب نكاح المتعة ص ١٠٢٦ ح ٢٧، وسنن البيهقي ٢٠٥/٧، ومحاجة أبي عمرة الأنصاري وردت في مصنف عبد الرزاق ٥٠٢/٧.

وعن سعيد بن جبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب وهو يعرض بابن عباس يعتب عليه قوله في المتعة فقال ابن عباس: يسأل أمه أن كان صادقاً، فسأها فقالت: صدق ابن عباس قد كان ذلك، فقال ابن عباس لو شئت سميت رجلاً من قريش ولدوا فيها، يعني المتعة. الطحاوي في باب نكاح المتعة من شرح معاني الآثار.

(٢) صحيح مسلم، باب نكاح المتعة ح ١٤٠٥ ص ١٠٢٣، ومسنند أحمد ٥٢/١ باختلاف في اللفظ، و ج ٣٢٥/٣ و ٣٥٦، وفي ٣٦٣ منه باختصار، وسنن البيهقي ٢٠٦/٧، وراجع كتاب مناسك الحج من شرح معاني الآثار ص ٤٠١، وكنز العمال ٢٩٣/٨ و ٢٩٤.

حجّكم عن عمرتكم وابتثوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل تزوّج إلى أجل إلّا رجته<sup>١</sup>.

وفي لفظ البيهقي: تمتعنا مع رسول الله (ص) وأبي بكر (رض) فلما ولي عمر خطب الناس فقال: إنّ رسول الله (ص) هذا الرسول وأنّ القرآن، هذا القرآن وأنّها كانتا متعتان على عهد رسول الله (ص) وأنا أنهي عنها وأعاقب عليها إحداها متعة النساء ولا أقدر على رجل تزوّج امرأة إلى أجل إلّا غيّبته بالحجارة، والأخرى متعة الحج، افصلوا حجكم عن عمرتكم فإنّه أتمّ لحجكم وأنتم لعمرتكم<sup>٢</sup>.

بين ابن عباس وآخرين

في مصنّف عبد الرزاق: وقال [ابن] صفوان هذا ابن عباس يفتي بالزنا فقال ابن عباس: إنّي لا أفتي بالزنا، أفنسي [ابن] صفوان أم أراكة؟ فوالله إنّ ابنها لمن ذلك، أفزنا هو واستمتع بها رجل من بني جهم<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى: عن طاووس قال: قال ابن صفوان: يفتي ابن عباس بالزنا، قال: فعبد ابن عباس رجلا كانوا من أهل المتعة، قال: فلا أذكر متنّ عدد غير معبد ابن أمية<sup>٤</sup>.

معبد هو معبد بن سلمة بن أمية.

وفي رواية أخرى: عن ابن عباس لم يرع عمر أمير المؤمنين إلّا أم أراكة خرجت حبلى فسأها عمر عن حملها، فقالت: استمتع بي سلمة بن أمية بن خلف، فلما أنكر [ابن] صفوان على ابن عباس ما يقول في ذلك، قال: فسل عمك<sup>٥</sup>.

(١) صحيح مسلم، باب في المتعة بالحج ص ٨٨٥ ح ١٤٥، ومسنّد الطيالسي ح ١٧٩٢ ص ٢٤٧ واللفظ له، واحكام القرآن للجصاص ١٧٨/٢، وتفسير السيوطي ٢١٦/١، وراجع الكنز ٢٩٤/٨، وتفسير الرازي ٢٦/٣.

(٢) سنن البيهقي ٢٠٦/٧.

(٣) المصنّف لعبد الرزاق ٤٩٨/٧ باب المتعة، ورجل من جهم هو سلمة بن أمية، وفي لفظه صفوان تحريف والصواب ابن صفوان كما ورد في الرواية الثانية فإن صفوان كان قد توفي بمكة وسوى عليه التراب فوردتها نعي عثمان. وابن صفوان أراه عبد الله الأكبر الذي قتل مع ابن الزبير، راجع جهمرة أنساب ابن حزم ص ١٥٩ — ١٦٠ وإنما قلنا: هو ابن صفوان وليس بصفوان لأنّ مناقشات ابن عباس في شأن المتعتين كانت على عهد ابن الزبير وكان يومذاك قد توفي صفوان.

(٥) المصنّف لعبد الرزاق ٤٩٩/٧.

(٤) المصنّف لعبد الرزاق ٤٩٩/٧.

في جمهرة أنساب ابن حزم: قَوْلُهُ أُمِّيَّةُ بن خلف الجمحي: عليّ وصفوان وربيعة ومسعود وسلمة. فولد سلمة بن أمية، معبد بن سلمة، أمه أم أراكة نكحها سلمة نكاح متعة في عهد عمر أو في عهد أبي بكر فولد له منها معبد قَوْلُهُ صفوان بن أمية: عبد الله الأكبر...<sup>١</sup>

ونرى أَنَّ المحاورة جرت بين ابن عباس وابن صفوان عبد الله. هذا فقال له سل عمك سلمة. وقال له: أفنسي أم أراكة فوالله إنَّ ابنها — يعني معبدًا — من ذلك، أفزنا هو ؟ ولما عدد رجالاً ولدوا من المتعة عد منهم معبدًا هذا.

بين عبد الله بن عمر وابن عباس

اختلف ما روي عن عبد الله بن عمر في هذا الباب: فنه ما رواه أحمد في مسنده قال: عن عبد الرحمن بن نعيم الأعرجي قال: سألت رجلًا ابن عمر، وأنا عنده، عن المتعة متعة النساء، فغضب وقال: والله ما كتنا على عهد رسول الله زنايين ولا مسافحين...<sup>٢</sup> وفي مصنف عبد الرزاق، قيل لابن عمر: إنَّ ابن عباس يرتخص في متعة النساء، فقال: ما أظنَّ ابن عباس يقول هذا، قالوا بلى! والله إنَّه ليقوله، قال: أما والله ما كان ليقول هذا في زمن عمر، وإن كان عمر لينكلكم عن مثل هذا، وما أعلمه إلَّا السفاح<sup>٣</sup>

وفي مصنف ابن أبي شيبة والدر المنثور واللفظ للأول: عن عبد الله بن عمر (رض) أنه سئل عن متعة النساء فقال: حرام. فقيل له: ابن عباس يفتي بها. فقال: هلاًّ ترمزم بها في زمان عمر. الزممة: صوت خفي لا يكاد يفهم<sup>٤</sup>. وفي سنن البيهقي بعد حرام: أما إنَّ عمر بن الخطاب (رض) لو أخذ فيها أحدًا لرجمه بالحجارة<sup>٥</sup>.

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٥٩/٢ - ١٦٠. وفي ط أخرى: ص ١٥٠.

(٢) مسند أحمد ٩٥/٢، الحديث ٥٦٩٤، و ١٠٤/٢ الحديث ٥٨٠٨ واخترت لفظ الأخير وأورده في جميع الزوائد ٣٣٢/٧ - ٣٣٣، وأيضاً في جميع الزوائد ٢٦٥/٤ وعن ابن عمر أنه سئل عن المتعة فقال: حرام، فقيل إن ابن عباس لا يرى بها بأساً فقال: والله لقد علم ابن عباس أنَّ رسول الله نهى عنها يوم خيبر وما كتنا مسافحين. قال: رواه الطبراني وفيه منصور بن دينار وهو ضعيف. قال المؤلف: يبدو أنه حرف حديث ابن عمر.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ٥٠٢/٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٣/٤، وتفسير السيوطي ١٤٠/٢.

(٥) سنن البيهقي ٢٠٦/٧.

نشاط أتباع مدرسة الخلفاء في شأن المتعة أخيراً  
وجدنا اعتماد المحرمين للمتعة من الخلفاء على القوة إلى عهد ابن الزبير وبعد  
ذلك تغير نشاط أتباع مدرسة الخلفاء وأعتدوا على الوضع والتحريف. وفي مايلي بعض  
الأمثلة على ذلك:

أ- في سنن البيهقي: إن ابن عباس كان يفتي بالمتعة ويغصص ذلك عليه أهل  
العلم فأبى ابن عباس أن ينتكل عن ذلك حتى طفق بعض الشعراء يقول:  
يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس هل لك في ناعمٍ خودٍ مبتلةٍ  
تكون مشواك حتى مصدر الناس  
قال: فازداد أهل العلم بها قدراً، ولها بغضاً حين قيل فيها الأشعار<sup>١</sup>.  
وفي مصنف عبد الرزاق عن الزهري قال: إزدادت العلماء لها استقباحاً حين  
قال الشاعر: يا صاح هل لك في فتياً ابن عباس<sup>٢</sup>.  
في هذه الرواية: إن ابن عباس أبى أن ينتكل عنها مهما غمص عليه الناس  
وأنشدوا فيه الشعر.

ب- حرقوا الرواية الآنفه ورووا عن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن  
عباس أتدري ما صنعت وبما أفيت؟ سارت بفتياك الركبان، وقالت فيه الشعراء،  
قال: وما قالوا: قلت: قالوا:  
أقول للشيخ لما طال مجلسه يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس  
يا صاح هل لك في بيضاء بهكنة تكون مشواك حتى مصدر الناس  
فقال: إنا لله وإنا اليه راجعون! والله ما بهذا أفيت ولا هذا أردت ولا أحلت  
منها إلا ما أحل الله من الميتة والدم ولحم الخنزير<sup>٣</sup>.  
وفي المغني لابن قدامة، فقام خطيباً وقال: إن المتعة كالميتة والدم ولحم الخنزير  
فأما إذن رسول الله فقد ثبت نسخه<sup>٤</sup>.

(١) سنن البيهقي ٢٠٥/٧.

(٢) المصنف لمبد الرزاق ٥٠٣/٧.

(٣) سنن البيهقي ٢٠٥/٧.

(٤) المغني لابن قدامة ٥٧٣/٧.

### علّة الحديث:

هكذا تسابقوا في نقل هذه الرواية عن سعيد بن جبيرة<sup>١</sup>، ونسوا أن سعيد بن جبيرة هو الذي تمتع بمكة<sup>٢</sup>، ونسوا أن أصحاب ابن عباس من أهل مكة واليمن كلهم كانوا يرون المتعة حلالاً على مذهب ابن عباس<sup>٣</sup> ولو كان ابن عباس قد رجع عن فتواه لما استمر أصحابه عطاء وطاووس وغيرهما على ذلك<sup>٤</sup>، وقد أبان الهيثمي في مجمع الزوائد عن علّة هذا الحديث حيث قال: وفيه - أي في سند الحديث - الحجاج بن أرطاة مدلس<sup>٥</sup>، وفي ترجمه الحجاج راوي هذا الحديث بتهذيب التهذيب: كان يرسل عن يحيى بن أبي كثير ومكحول ولم يسمع منها وإنما يعيب الناس منه التدليس، ليس يكاد له حديث إلا فيه زيادة، وقال ابن المبارك: كان الحجاج يدلس فكان يحدّثنا بالحديث عن عمرو بن شعيب ممّا يحدّثه العزمي. متروك.

وقال يعقوب بن أبي شيبة: واهي الحديث، في حديثه اضطراب كثير<sup>٦</sup>.

ج - روى الترمذي والبيهقي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن ابن عباس أنه قال: إنما كانت المتعة في أول الإسلام، فكان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه حتى إذا نزلت الآية إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، قال ابن عباس فكل فرج سوى هذين فهو حرام<sup>٧</sup>.

### علّة الحديث:

في سند الحديث موسى بن عبيدة وفي ترجمته من تهذيب التهذيب قال أحمد: منكر الحديث، لا تحل الرواية عندي عنه، حدّث بأحاديث منكورة<sup>٨</sup>.

(١) مثل البيهقي في سننه ٢٠٥/٧.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٤٩٦/٧.

(٣) القرطبي ١٣٣/٥.

(٤) المغني لابن قدامة ٥٧١/٧.

(٥) مجمع الزوائد ٢٦٥/٤.

(٦) تهذيب التهذيب ١٩٦/٢ - ١٩٨.

(٧) الترمذي ٥٠/٥ باب نكاح المتعة بسنن البيهقي ٢٠٥/٧ - ٢٠٦.

(٨) تهذيب التهذيب ٣٥٦/١٠ - ٣٦٠.

وفي متن الحديث: كانت المتعة في أول الإسلام... حتى نزلت: إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم. فكل فرج سوى هذين حرام. لست أدري إذا كان هذا قوله فما به يخاصم ابن الزبير بعد نزول هذه الآية بنصف قرن؟ ثم أليس نكاح المتعة زواجاً مؤقتاً ومن مصاديق الزواج؟ وأيضاً إن صحّت هذه الرواية وكان ابن عباس قد ترك فتواه بعد نزول هذه الآية وفي عصر النبي، إذاً متى قال له الإمام عليّ إنك أمرؤ تائه حين رآه يلبّين في المتعة؟ كما تفيد الرواية التي سنوردها في باب الأحاديث الصحاح.

د - روى عن جابر أنّه قال: خرجنا ومعنا النساء التي استمتعنا بهنّ فقال رسول الله (ص): «هنّ حرام إلى يوم القيامة» فودّعنا عند ذلك، فسمّيت عند ذلك ثنية الوداع، وما كانت قبل ذلك إلا ثنية الركاب<sup>١</sup>.

#### علة الحديث:

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه صدقة بن عبد الله: في سند الحديث: صدقة، وقد قال أحمد بن حنبل فيه «ليس يسوي شيئاً، أحاديثه منكيرا» وقال مسلم: «منكر الحديث»<sup>٢</sup>.

وفي متن الحديث: يروي عن جابر أن رسول الله قال «هنّ حرام إلى يوم القيامة» وقد تواترت الروايات الصحاح عن جابر أنّه قال: (تمتعنا على عهد النبي وأبي بكر وعمر حتى نهانا عمر في شأن عمرو بن حريث)، وقال نظير هذا القول.

هـ - روى البيهقي في سننه، والهيثمي في مجمع الزوائد، واللفظ للأول، عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة تبوك فزلنا بثنية الوداع فرأى نساء يبكين، فقال: «ما هذا؟» قيل: نساء تمتع بهنّ أزواجهنّ، ثمّ فارقوهنّ، فقال رسول الله: حرّم أو هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث. وفي مجمع الزوائد: فرأى رسول الله مصابيح ورأى نساء يبكين<sup>٣</sup>.

(١) مجمع الزوائد ٤/٢٦٤، يفتح الباري ١١/٣٤.

(٢) نقلنا قول أحمد ومسلم عن ترجمة صدقة من تهذيب التهذيب ٤/١٦٤.

(٣) سنن البيهقي ٧/٢٠٧، ومجمع الزوائد ٤/٢٦٤، يفتح الباري ١١/٧٣.

### علة الحديث:

في سند الحديث: مؤمل بن إسماعيل، وهو أبو عبد الرحمن العدوي، مولا هم نزيل مكة، مات سنة خمس أوست ومائتين، في ترجمته بتهذيب التهذيب، قال البخاري: «منكر الحديث».

وقال غيره: دفن كتبه فكان يحدث من حفظه فكثير خطاؤه .  
وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه فإنه يروي المناكير عن ثقات شيوخه . وهذا أشد ! فلو كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكنا نجعل له عذرا<sup>١</sup> .  
وفي متن الحديث: إنهم نزلوا ثنية الوداع، وثنية الوداع - كما في معجم البلدان - ثنية مشرقة على المدينة يطأها من يريد مكة، وقال: والصحيح إنه اسم جاهلي، قديم، سمي لتوديع المسافرين<sup>٢</sup> .

ويؤيد ذلك أن رسول الله لما ورد المدينة في الهجرة لقيته نساء الأنصار يقلن:  
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع<sup>٣</sup>  
وعلى هذا فثنية الوداع محل توديع المسافرين منذ العصر الجاهلي وسمي بهذا الاسم قبل الإسلام وليس بعده .

أضف إليه : أنه ما سبب خروج نساء المتعة لتوديع أزواجهن دون نساء النكاح الدائم ؟ وما سبب بكائهن وليس الأزواج ذاهبين إلى غير رجعة ؟

و - روى البيهقي عن علي بن أبي طالب (رض) قال: نهى رسول الله (ص) عن المتعة، قال: وإنما كانت لمن لم يجد، فلما أنزل النكاح والطلاق والعدة والميراث بين الزوج والمرأة، نسخت<sup>٤</sup>.

### علة الحديث:

في سند الحديث موسى بن أيوب، ذكره العقيلي في الضعفاء، وقال عنه يحيى ابن معين والساجي: منكر الحديث<sup>٥</sup>.

(١) تهذيب التهذيب ٣٨٠/١٠ - ٣٨١ .

(٢) مادة ثنية الوداع من معجم البلدان .

(٣) عادة «ثنية الوداع من الروض المطار للحميري» .

(٤) سنن البيهقي ٢/٢٠٧ .

(٥) بترجمة موسى بن أيوب من تهذيب التهذيب ٣٣٦/١ .



٢٧٣

وفي متن الحديث ينسب إلى علي أنه قال: نهى رسول الله عن المتعة في حين أنه القائل لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة ثم ما زنى إلا شقي.

ز— روى البيهقي عن عبد الله بن مسعود قال: المتعة منسوخة نسخها الطلاق والصدقات والعدة والميراث.

#### علة الحديث:

في سند رواية منه الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن أصحاب عبد الله، والحجاج بن أرطاة سبق تعريفه أنه مدلس متروك يزيد في الحديث، ولا ندري من أي واحد من أصحاب عبد الله روى الحكم؟!

وسند الأخرى «قال بعض أصحابنا عن الحكم بن عتيبة عن عبد الله بن مسعود» ولم ندر من هو بعض الأصحاب هذا، وكيف روى الحكم بن عتيبة المتوفى سنة ثلاث عشرة بعد المائة أو بعدها وله نيف وستون عن عبد الله بن مسعود المتوفى سنة اثنتين وثلاثين<sup>١</sup>.

ويناقض متن الحديث ما ثبت عن عبد الله بن مسعود أنه ثبت على تحليل المتعة بعد رسول الله وكان يقرأ الآية «فما استمتعتم به منهن إلى أجل»<sup>٢</sup>.

وفي متن الأحاديث هـ، و، ز: إن النكاح والطلاق والعدة والميراث حرمت أو هدمت أو نسخت المتعة، ومعنى هذا أن نكاح المتعة كان قد شرع قبل تشريع النكاح الدائم وما يتعلق به، وأنه كان الزواج بالمتعة إلى أن شرع النكاح الدائم، ونسخت المتعة به، ويلزم من هذا القول أن تكون جميع أنكحة الرسول والصحاب في البدء بالمتعة إلى وقت نزول حكم النكاح الدائم ١١

ح— في مجمع الزوائد عن زيد بن خالد الجهني، قال: كنت أنا وصاحب لي نماس امرأة في الأجل وتماكسنا، فأتانا آت فأخبرنا أن رسول الله (ص) حرم نكاح المتعة وحرم أكل كل ذي ناب من السباع والحرمانسية<sup>٣</sup>.

(١) راجع ترجمة الحكم وابن مسعود في تقريب التهذيب ج ١/١٩٢ و ٤٥٩.

(٢) راجع فصل من بقي على القول بتحليل المتعة بعد تحريم عمر.

(٣) بمجمع الزوائد ٤/٢٦٦.

### علة الحديث:

في سند الحديث: قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف<sup>١</sup> انتهى. وسبق قولنا في ضعفه.

في متن الحديث: يبدو أنّ مخترع هذه الرواية قد جمع بين رواية سيرة الجهني في فتح مكة وما روى عن يوم خيبر، وأضاف إليها حكم تحريم أكل لحم كلّ ذي ناب، وركّب عليهن سنداً واحداً ورواهنّ في سياق واحد .

ط - في مجمع الزوائد عن الحارث بن غزوة، قال: سمعت النبيّ (ص) يوم فتح مكة يقول: «متعة النساء حرام» ثلاث مرّات.

### علة الحديث:

قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة<sup>٢</sup>. هذا ما قاله الهيثمي، وقال غيره من العلماء في ترجمته: يروي أحاديث منكورة. لا يحتجون بحديثه. تركوه. لا تحلّ الرواية عنه. لا يكتب حديثه...<sup>٣</sup>

ي - في مجمع الزوائد عن كعب بن مالك، قال: نهى رسول الله (ص) عن متعة النساء.

قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه يحيى بن أنيسة<sup>٤</sup>. وقال العلماء في ترجمته: كان ضعيفاً. أصحاب الحديث لا يكتبون حديثه. إنّه كذاب. متروك الحديث...<sup>٥</sup>

ك - روى البيهقي في سننه الكبرى عن عبدالله بن عمر قال: صعد عمر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله (ص) عنها؟ ألا لا أوّتي بأحد نكحها إلّا رجته<sup>٦</sup>.

(١) مجمع الزوائد ٢٦٦/٤.

(٢) الحديث وتعريف الراوي بمجمع الزوائد ٢٦٦/٤.

(٣) بترجمة إسحاق من تهذيب التهذيب ٢٤٠/١.

(٤) الحديث واسم الراوي بمجمع الزوائد ٢٦٦/٤.

(٥) بترجمة يحيى من تهذيب التهذيب ١٨٣/١١ - ١٨٤.

(٦) سنن البيهقي ٢٠٦/٧.

### علة الحديث:

في سند الحديث: منصور بن دينار قال فيه يحيى بن معين: ضعيف الحديث، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال البخاري: في حديثه نظره وذكره العقيلي في الضعفاء<sup>١</sup>.

\* \* \*

إلى هنا تعرضنا لذكر الأحاديث التي في سندها ضعف حسب تعريف علماء الرجال، وفي مايلي نتعرض لذكر الأحاديث التي تسالموا على صحتها لوجودها في الكتب الموسومة بالصحة، أو ما لم يطلعوا في صحة إسنادها:

**الحديث الأول:** في صحيح مسلم، وسنن النسائي، والبيهقي، ومصنف عبد الرزاق واللفظ للمصنف، عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي، عن أبيهما أنه سمع أباه علي بن أبي طالب يقول لابن عباس: إنك أمرؤ تائه، إن رسول الله نهى عنها يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية<sup>٢</sup>.

وردت هذه الرواية بهذا السند مع اختلاف يسير في صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وابن ماجة، والترمذي، والدارمي، والموطأ، ومصنف ابن أبي شيبة، ومسند أحمد والطيالسي وغيرها<sup>٣</sup>.

**الحديث الثاني:** روى عن أبي ذر أنه قال: إننا أحللت لنا أصحاب رسول الله (ص) متعة النساء ثلاثة أيام، ثم نهى عنها رسول الله (ص)<sup>٤</sup>. وأنه قال: كانت المتعة لحوقنا ولحربنا<sup>٥</sup>.

(١) ترجمة منصور بن دينار في الجرح والتعديل للرازي (٤/ ١٧١ ق) وميزان الاعتدال ١٨٤/٦، ولسان الميزان ٩٥/٤.

(٢) صحيح مسلم، باب نكاح المتعة من كتاب النكاح ص ١٠٢٨، ح ٣١، ٣٢ وسنن النسائي باب تحريم المتعة، وسنن البيهقي ٢٠١/٧، ومصنف عبد الرزاق ٥٠١/٧، ومجمع الزوائد ٢٦٥/٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٣/٣٦، ٣/١٦٤ باب، نهى رسول الله عن نكاح المتعة أخيراً وباب، لحوم الحمر الإنسية ٣/٢٠٨، و ٤/١٥٣ باب الحيلة في النكاح. وسنن أبي داود ٩٠/٢ باب تحريم المتعة وفيه قال ابن المثنى: «يوم حنين»، وسنن ابن ماجة ص ٦٣ ح ١٩٦١، وسنن الترمذي ٤٨/٥ - ٤٩ والموطأ ص ٥٤٢ ح ٤١ من باب نكاح المتعة، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٩٢/٤، وسنن الدارمي ١٤٠/٢ باب النهي عن متعة النساء، ومسند الطيالسي ح ١١١، ومسند أحمد ٧٩/١ و ١٣٠ و ١٤٢ والأبواب المذكورة في فتح الباري. و ٥/٢٠٧ سنن البيهقي ٢٠٧/٧.

الحديث الثالث: في صحيح مسلم، وسنن الدارمي، وابن ماجه، وإبي داود وغيرهم، واللفظ لمسلم، عن سبرة الجهني: أنه غزا مع رسول الله (ص) فتح مكة قال: فأقننا بها خمس عشرة (ثلاثين بين ليلة ويوم) فأذن لنا رسول الله في متعة النساء فخرجت أنا ورجل من قومي (ولي عليه فضل في الجمال، وهو قريب من الدمامة) مع كل واحد منا برد، فبردي خلق. وأما برد ابن عمي فبرد جديد. غض. حتى إذا كنا بأسفل مكة، أو بأعلاها. فتلقتنا فتاة مثل البكرة المطنطنة. فقلنا: هل لك أن يستمتع منك أحدنا؟ قالت: وما تبذلان؟ فنشر كل واحد منا برده. فجعلت تنظر إلى الرجلين. ويراها صاحبي تنظر إلى عطفها، فقال: إن برد هذا خلق وبردي جديد غض فتقول: برد هذا لا بأس به - ثلاث مرار أو مرتين - ثم استمتعت منها فلم أخرج حتى حرمتها رسول الله (ص)¹.

وفي رواية: قال رسول الله (ص): «يا أيها الناس! إني كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة»².

وفي رواية: قال: رأيت رسول الله قائماً بين الركن والباب وهو يقول...³

وفي رواية: أمرنا رسول الله بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ثم لم نخرج حتى نهانا عنها⁴.

وفي رواية: قد كنت استمتعت في عهد رسول الله امرأة من بني عامر ببردين أحمرين، ثم نهانا رسول الله عن ذلك⁵.

وفي رواية: إن رسول الله نهى يوم الفتح عن متعة النساء⁶.

وفي رواية: أن رسول الله نهى عن المتعة وقال: إنها حرام من يومكم هذا إلى

(١) صحيح مسلم، باب نكاح المتعة من كتاب النكاح ص ١٠٢٤، ومجمع الزوائد ٤/ ٢٦٤، و سنن البيهقي ٧/ ٢٠٢، والعطنطنة كالعطاء: الطويلة العنق في اعتدال وحسن قوام.

(٢) صحيح مسلم، كتاب نكاح المتعة ص ١٠٢٥، وسنن الدارمي ٢/ ١٤٠، وسنن أبين ماجه ص ٦٣١ ح ١٩٦٢ مع اختلاف في لفظ الحديث في طبقات أبين سعد ٤/ ٣٤٨ نزل آخر عمره ذا المروة، وتوفي في خلافة معاوية.

(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح باب المتعة ص ١٠٢٥، ومصنف أبين أبي شيبة ٤/ ٢٩٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب النكاح باب المتعة ص ١٠٢٥، وسنن البيهقي ٧/ ٢٠٢ و ٢٠٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب النكاح باب المتعة ص ١٠٢٧، وسنن البيهقي ٧/ ٢٠٥، وقريب منه في صحيح مسلم ص ١٠٢٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب النكاح باب المتعة ص ١٠٢٨، ومصنف أبين أبي شيبة ٤/ ٢٩٢.

يوم القيامة...<sup>١</sup>

وفي سنن أبي داود والبيهقي وغيرهما - واللفظ للأول - عن ربيع بن سبرة. قال:   
إشهد على أبي إنا حدث أن رسول الله نهى عنها في حجة الوداع<sup>٢</sup>.   
الحديث الرابع: في صحيح مسلم، ومصنف ابن أبي شيبة، ومسنند أحمد، وغيرها   
واللفظ للأول عن سلمة بن الأكوع، قال: رخص رسول الله عام أوطاس في المتعة ثلاثاً   
ثم نهى عنها<sup>٣</sup>. (أوطاس واد بالطائف).

### علل هذه الأحاديث:

١- في حديث الإمام علي والذي حفلت به أتمهات كتب الحديث من صحاح   
ومسانيد وسنن ومصنفات وقد أخرجناه من أربعة عشر مصدراً منها، فيه نص على أن   
رسول الله حرم في غزوة خيبر شيئين: أ - نكاح المتعة. ب - أكل لحوم الحمر الأهلية أو   
الإنسية، وقد انحصر سند تحريم نكاح المتعة في خيبر بهذا الحديث، بينما ورد تحريم رسول   
الله لحوم الحمر الأهلية بخبر في روايات أخرى متعددة وليس في أحدها أي ذكر أو   
إشارة إلى تحريم المتعة فيها، ونبحث في ما يلي كلا التحريمين:   
أ - تحريم المتعة في خيبر:

إن تحريم رسول الله متعة النساء في غزوة خيبر غير موافق للواقع التاريخي يومذاك   
كما صرح به جماعة من العلماء مثل ابن القيم في فصل بحث زمن تحريم المتعة من كتابه   
زاد المعاد، قال: وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات، ولا استأذنوا في   
ذلك رسول الله، ولا نقله أحد قط في هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكر ألبتة لا فعلاً   
ولا تحريماً<sup>٤</sup>.

وقال: فلإن خيبر لم يكن فيها مسلمات، وإنها كن يهوديات، وإباحة نساء أهل

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح باب المتعة ص ٢٠٢٧ وأكثر تفصيلاً منه في المصنف لعبد الرزاق   
٥٠٦/٧، وسنن البيهقي ٢٠٣/٧.

(٢) سنن أبي داود ٢٢٧/٢ باب في نكاح المتعة وسنن البيهقي ٢٠٤/٧ و٢٠٥، وطبقات ابن سعد

٣٤٨/٤.

(٣) صحيح مسلم. كتاب النكاح باب المتعة ص ١٠٢٣ ح ١٤٠٥، ومصنف ابن أبي شيبة   
٢٩٢/٤، ومسنند أحمد ٥٥/٤، وسنن البيهقي ١٠٤/٧، وفتح الباري ٧٣/١١.

(٤) زاد المعاد ج ١٥٨/٢ فصل في بحث زمن تحريم المتعة.

الكتاب لم يكن ثبت بعد، إنما أبحن بعد ذلك في سورة المائدة بقوله: «اليوم أحلّ لكم... والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم... الآية ٥. وهذا كان في آخر الأمر بعد حجة الوداع أو فيها، فلم تكن إباحة نساء أهل الكتاب ثابتة زمن خيبر...»<sup>١</sup>

وقال ابن حجر في شرح الحديث في باب غزوة خيبر: وليس يوم خيبر ظرفاً للمتعة النساء لأنه لم يقع في غزوة خيبر تمتع بالنساء<sup>٢</sup>. ونقل في شرح الحديث من «باب نهى رسول الله عن نكاح المتعة آخر» عن السهيلي أنه قال: ويتصل بهذا الحديث تنبيه على إشكال لأن فيه النهي عن نكاح المتعة يوم خيبر، وهذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير ورواة الأثر<sup>٣</sup>. ونقل ابن حجر— أيضاً — قول ابن القيم الآنف الذكر<sup>٤</sup>. هذا ما ذكروا عن تحريم متعة النساء يوم خيبر.

ب — تحريم لحوم الحمر الأهلية بخيبر:

روى ابن حجر عن ابن عباس أنه استدلل على إباحة الحمر الأهلية بقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾<sup>٥</sup>. قال المؤلف: لعل نهى رسول الله عن أكل لحوم الحمر الأهلية كان خاصاً بالحمر الأهلية التي كانت في خيبر ولأحد الأسباب المذكورة في الروايات التالية: في صحيح البخاري عن أبي أوفى، قال: أصابتنا مجاعة يوم خيبر فإِنَّ القُدُورَ لتغلي، قال: وبعضها فضجت فجاء منادي النبي (ص): لا تأكلوا من لحوم الحمر شيئاً وأهريقوها. قال ابن أبي أوفى، فتحدثنا أنه إنما نهى عنها لأنها لم تحمّس. وقال بعضهم نهى عنها البتة لأنها كانت تأكل العذرة<sup>٦</sup>. ولعل السبب ما رواه أبو داود في كتاب الخراج من سننه باب تعشير أهل الذمة

(١) زاد المعاد ٢/٢٠٤ في فصل في إباحة متعة النساء ثم تحريمها.

(٢) فتح الباري ٩/٢٢.

(٣) فتح الباري ١١/٧٢ باب نهى رسول الله عن نكاح المتعة آخر.

(٤) فتح الباري ١١/٧٤.

(٥) فتح الباري ١٢/٧٠ باب لحوم الخيل.

(٦) البخاري، باب لحوم الخيل، شرح فتح الباري ٩/٢٢.

عن العرياض بن سارية السلمي<sup>١</sup> قال: نزلنا خيبر ومعه من معه من أصحابه، وكان صاحب خيبر رجلاً مardاً منكراً، فأقبل إلى النبي (ص) فقال: يا محمد! ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا؟ فغضب - يعني النبي - وقال: «يا ابن عوف! إركب فرسك، ثم ناد: الا إن الجثّة لا تحلّ للمؤمن، وأن أجمعوا للصلاة» قال: فاجتمعوا، ثم صلى بهم النبي (ص) ثم قام، فقال: «يحبس أحدكم متكئاً على أريكته قد يظنّ الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني وعظمت وأمرت ونهيت عن أشياء إنهم لمثل القرآن أو أكثر وإن الله لم يحلّ لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا باذنهم ولا ضرب نساءهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم<sup>٢</sup>.

على ما روى ابن أبي أوفى تحدث أصحاب رسول الله عن سبب نهي رسول الله عن أكل لحوم الحمر الأهلية يومذاك فقال بعضهم ممن حضر الواقعة: إن النهي كان بسبب أنهم لم يدفعوا خمسها ويؤيد ذلك ما ورد في الغلول من أحاديث أو أنها كانت نهياً كما ذكر ذلك في الحديث الآتي:

في سنن أبي داود عن رجل من الأنصار، قال: خرجنا مع رسول الله (ص) في سفر فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد، وأصابوا غناً فآتتهوها فإن قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله (ص) يمشي على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه، ثم جعل يرمق اللحم بالتراب. ثم قال «إنّ النّهي ليست بأحلّ من الميتة»<sup>٣</sup>.

وقال آخرون: إن النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية كان بسبب أنها كانت تأكل العذرة. وعلى أي فلان النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية كان خاصاً بالحمر الأهلية التي كانت معهم في تلك الغزوة.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى تحريم نكاح المتعة في خيبر فإن عرياض بن سارية حدث أنّ اليهودي المارد المنكر شكاً إلى رسول الله وقال: ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا؟ فجمعهم رسول الله وقال لهم: «إنّه لم يحلّ لكم أن تدخلوا

(١) أبو جريح عرياض بن سارية السلمي روى عن طريقه عن رسول الله (ص) ٣١ حديثاً أخرجه أصحاب الصحاح غير البخاري ومسلم (٧٥هـ) أو في فتنة ابن الزبير أسد الغابة ٣/٣٩٩، وجوامع السيرة ص ٢٨١، وتقريب التهذيب ١٧/٢.

(٢) سنن أبي داود ٦٤/٢.

(٣) سنن أبي داود ٦٦/٣ باب في النهي عن النهي.

بيوت أهل الكتاب إلا بإذنهم، ولا ضرب نساءهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم..»

وعلى هذا فإن نهي رسول الله (ص) عن ضرب نساء أهل الكتاب الذين دفعوا الجزية خاصة، ولم يكن نهياً عن مطلق نكاح المتعة.

يبدو أن الأمر كان هكذا في غزوة خيبر، غير أن أحدهم ابتكر رواية رواها عن حفيدي الإمام عليّ ابني محمد عن أبيهم محمد عن أبيه الإمام علي أنه قال لابن عباس حين رخص في المتعة: «إنك امرؤ تائه»، وأخبره بأن الرسول نهى يوم خيبر عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية؛ ونسي هذا المبتكر أن الإمام علياً هو الذي كان يقول: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زلت إلا شقي<sup>١</sup>.

والبديع في الأمر أنهم رووا هنا عن أبي محمد عن محمد عن الإمام علي رواية تحريم متعة النساء، وأنهم ركبوا نفس السند على روايتهم أمر الإمام بإفراء الحج عن العمرة ولعل مبتكر الروايتين واحد.

٢- وكذلك الأمر بالنسبة إلى ما رووا عن أبي ذر فإنهم رووا عنه أنه قال: كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد خاصة، وقال: كانت لنا رخصة. ورووا عنه في متعة النساء أنه قال: إنما حلت لنا أصحاب رسول الله (ص) متعة النساء ثلاثة أيام ثم نهى عنها رسول الله (ص).

وأنه قال: إن كانت المتعة لخوفنا ولحربنا.

ومن الغريب في روايتي أبي ذر هنا وهناك أن في طريق كليهما إبراهيم التيمي وعبد الرحمن بن الأسود، وشأن روايتي أبي ذر في السند شأن روايتي الإمام.

٣ و٤- أما رواية سبرة الجهني فالصحيح فيها ما أورده في أول الباب عن مسلم وأحمد والبيهقي: أن رسول الله أذن لهم بالمتعة وأنه تمتع من امرأة من بني عامر بردائه وكان معها ثلاثاً ثم أن رسول الله قال: «من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع بها فليخلّ سبيلها». أي أن الرسول أمرهم بفراق النسوة اللاتي تمتعن بهن استعداداً للرحيل من مكة. ثم جاء «المعتذرون» للخليفة عمر فحرفوا لفظ هذه الرواية من «ليخلّ سبيلها» إلى «أنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة» وما شابهها من ألفاظ تدلّ على تأبيد الحرمة، منذ يوم فتح مكة، ولما كانت هذه الرواية تناقض روايات أخرى



نصت على أن التحريم كان قبل فتح مكة وفي يوم فتح خيبر مثلاً، وروايات نصت على أن التجويز والتحريم كانا بعد فتح مكة، وبما أنهم التزموا صحة جميع تلك الروايات المتناقضات، اضطروا إلى أن يخترعوا جواباً لهذا التناقض فنسبوا إلى التشريع الإسلامي ما هو براء منه، ونسبوا تكرار النسخ في هذه الواقعة كما يأتي بيانه.

### نسخ حكم المتعة مرتين أو أكثر

عنون مسلم في صحيحه هذا الباب بـ «باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ وأستقر حكمه إلى يوم القيامة»<sup>١</sup>. وقال ابن كثير في تفسيره: وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين<sup>٢</sup>. وقال ابن العربي كما يأتي تفصيل قوله: تداوله النسخ مرتين ثم حرم. وأشار إلى ذلك الزمخشري في الكشف<sup>٣</sup>.

وقال آخرون: إن النسخ وقع أكثر من مرتين<sup>٤</sup>.

والحق معهم فإنه إن جاز لنا أن نقول بتكرار النسخ في حكم واحد دفعاً لتناقض الأحاديث فلا بد لنا أن نقول بتكرار النسخ على عدد الأحاديث المتناقضة. وعلى هذا فقد صح ما نقله القرطبي بعد إيراد قول ابن العربي حيث قال: وقال غيره ممن جمع الأحاديث فيها: أنها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات، فروى ابن عمر: أنها كانت صدر الإسلام، وروى سلمة بن الأكوع أنها كانت عام أوطاس، ومن روايات على تحريمها يوم خيبر، ومن رواية الربيع بن سبرة إباحتها يوم الفتح، وهذه الطرق كلها في صحيح مسلم، وفي غيره عن عليّ نهيه عنها في غزوة تبوك، وفي سنن أبي داود عن الربيع بن سبرة النهي في حجة الوداع، وذهب أبو داود إلى أن هذا أصح ما روي في ذلك. وقال عمرو عن الحسن: ما حلت قبلها ولا بعدها، وروى هنا عن سبرة أيضاً. فهذه سبعة مواطن أحلت فيها المتعة ثم حُرمت...<sup>٥</sup>

\* \* \*

هكذا دفعهم التزامهم صحة كل ما ورد في الكتب الموسومة بالصحة إلى القول

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح، ص ١٠٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/١٧٤ بتفسير «فما استمتع...» (٣) الكشف ١/٥١٩.

(٤) حسب إحصاء ابن رشد في بداية المجتهد ٢/٦٣ بلفظ خمس مرات.

(٥) تفسير القرطبي ٥/١٣٠ - ١٣١.

بنسخ حكم المتعة في الشرع مرّات متعدّدة. ولنعم ما قاله ابن القيم في هذا الصدد حيث قال: وهذا النسخ، لاعهد بمثله في الشريعة ألّبتة، ولا يقع مثله فيها<sup>١</sup>.  
ومن السخف قول ابن العربي في هذا المقام حيث قال: أمّا هذا الباب فقد ثبت على غاية البيان ونهاية الإتيان في الناسخ والمنسوخ من الأحكام وهو من غريب الشريعة فإنّه تداوله النسخ مرّتين...<sup>٢</sup>.

\* \* \*

وبالإضافة إلى ما ذكرنا لست أدري كيف تصحّ واحدة من تلك الروايات مع ما تواتر نقله عن الخليفة عمر<sup>٣</sup> أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهي عنهما متعة النساء ومتعة الحج وفي لفظ: وأحرمهما.  
كيف تصحّ واحدة من تلك الروايات وقد صحّ عن جابر أنّه قال: استمتعتنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر، وفي رواية: حتى إذا كان في آخر خلافة عمر، وفي رواية: كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيّام على عهد رسول الله وأبي بكر حتى نهى عنه في شأن عمرو بن حريث<sup>٤</sup>.

كيف تصحّ واحدة من تلك الأحاديث ولم يسمع بها الخليفة عمر ولا أحد من الصحابة ولا التابعين حتى عصر ابن الزبير، ولا كان عند أحد من المسلمين علم بإحدى تلك الروايات في كلّ تلك العصور وإلاّ لأسعفوا بها الخليفة عمر فاستشهد بها، وأسعفوا بها عصبة الخلافة حتى عهد ابن الزبير فاستشهدوا بها، في حين أنّ المعارضين أمثال ابن عباس وجابر وابن مسعود وغيرهم كانوا يجبهونهم بسنة الرسول، ويستشهد بعضهم الآخر على ذلك فيسألون أساء أم ابن الزبير ويقول عليّ وابن عباس لولا نهى عمر لما زنى إلّا شقي، وفي كلّ تلك الموارد لم يقل أحد بأن الرسول (ص) نهى عن متعة النساء.

أجل، إنّ تلك الأحاديث وضعت احتساباً للخير، وتأييداً لموقف ثاني خلفاء المسلمين، ودفعاً للقالة عنه، كما وضعت أحاديث الأمر بإفراء الحج والنهي عن العمرة احتساباً للخير ودفعاً للقالة عنه، وهذا مثل ما وضعوا في فضائل سور القرآن احتساباً

(١) زاد المعاد ٢/٢٠٤.

(٢) شرح الترمذي ٤٨/٥ — ٥١.

(٣) سبق ذكر مصادره في أول بحث متعة الحج ومتعة النساء وراجع زاد المعاد ٢/٢٠٥.

(٤) مر ذكر مصادره في سبب تحريم عمر متعة النساء من هذا البحث.

للخير كما في تقريب النواوي؛

والواضعون أقسام أعظمهم ضرراً قوم ينسبون إلى الزهد وضعوه حسبة في زعمهم، فقبلت موضوعاتهم ثقة بهم.

وفي شرحه: ومن أمثلة ما وضع حسبة ما رواه الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة!

قال الزركشي بعد إيراد هذا الخبر: ثم قد جرت عادة المفسرين متن ذكر الفضائل أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزغشري فإنه يذكرها في أواخرها<sup>٢</sup>.

ونوح بن أبي مريم هو أبو عصمة القرشي - مولاهم - المروزي كان قاضي مرو، يعرف بنوح الجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى والحديث عن حجاج بن أرطاة وطبقته، والمغازي عن ابن إسحاق، والتفسير عن الكلبي ومقاتل، وكان عالماً بأمور الدنيا، فستى الجامع، وكان شديداً على الجهمية والردة عليهم. قال الحاكم: أبو عصمة مقدم في علومه. لقد كان جامعاً رزق كل شيء إلا الصدق...، وأخرج حديثه الترمذي في سننه وابن ماجة في التفسير<sup>٣</sup>.

وفي تدريب الراوي وميزان الاعتدال، ولسانه، واللفظ للأول، عن ابن مهدي قال: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس.

وفي تدريب الراوي: وكان غلاماً جليلاً يتزهد ويهجر شهوات الدنيا وغلقت أسواق بغداد لموته ومع ذلك كان يضع الحديث. وفيه أيضاً: تنبيهات:

(١) تقريب التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، للحافظ محي الدين النواوي ٦٣١ - ٦٧٦ هـ، وشرحه السيوطي (ت ٩١١ هـ) وسماه تدريب الراوي في شرح النواوي ط. الثانية سنة ١٣٩٢

منشورات المكتبة العلمية بالمدينة ٢٨١/١ - ٢٨٣.

(٢) تدريب الراوي ٢٨٢/١، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٤٣٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٤٨٠/١٠ - ٤٨٦.

الأول: من الباطل أيضاً في فضائل القرآن سورة سورة حديث ابن عباس وضعه ميسرة كما تقدم، وحديث أبي أمامة الباهلي أورده الديلمي من طريق سلام بن سليم المدني.

وفي لسان الميزان: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً وكان يقول: إني أحتسب في ذلك<sup>١</sup>.

وفي تقريب النواوي: ومن الموضوع؛ الحديث المروي عن أبي بن كعب في فضل القرآن سورة، سورة... .

وفي شرحه ذكر تفصيلاً إن الراوي بحث عن أصل الرواية فأحاله شيخ إلى شيخ، من المدائن إلى واسط فالبصرة فعبادان، وهناك سأل الشيخ الأخير عمن حدثه الحديث، فقال: لم يحدثني أحد ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن!

ثم قال السيوطي: لم أقف على تسمية هذا الشيخ إلا أن ابن الجوزي أورده في الموضوعات عن طريق بزيع بن حسان بسنده إلى أبي، وقال: الآفة فيه من بزيع، ثم أورده من طريق محمد بن عبد الواحد وقال: الآفة فيه من محمد، فكأن أحدهما وضعه والآخر سرقه أو كلاهما سرقه من ذلك الشيخ الواضع، وقد أخطأ من ذكره من المفسرين في تفسيره كالثعلبي والواحي والزنجشري والبيضاوي<sup>٢</sup>.

وفي تدريب الراوي: وكان أبو داود النخعي أطول الناس قياماً بليل وأكثرهم صياماً بنهار وكان يضع.

قال ابن حبان: وكان أبو بشر أحمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في الستة وأذنبهم عنها وأقمهم لمن خالفها، وكان يضع الحديث.

وقال ابن عدي: كان وهب بن حفص من الصالحين مكث عشرين سنة لا يكلم أحداً، وكان يكذب كذباً فاحشاً<sup>٣</sup>.

\* \* \*

هؤلاء المعروفون بالصالح والعبادة وترك الدنيا، وضعوا الأحاديث في فضائل

(١) كلها أوردها عن ميسرة فن تدريب الراوي ٢٨٣/١ و ٢٨٩، ومن ترجمته بميزان الاعتدال ولسان

الميزان ١٣٨/٦ - ١٤٠.

(٢) تدريب الراوي ٢٨٣/١.

(٣) تدريب الراوي ٢٨٨/١ - ٢٨٩.

سور القرآن وفضائل بلاد الثغور، وافتروا ببعض ما وضعوا، ومع ذلك أنتشرت في كتب التفسير وغيرها، ونرى أيضاً أن الأحاديث التي وضعت تأييداً للخليفة عمر في نهيه عن المتعتين من هذا القبيل وخاصة ما روي في نهى الرسول عن متعة النساء نراها وضعت بعد عهد ابن الزبير وقبل عصر التدوين أي في أخريات القرن الأول وأوائل القرن الثاني وتسابق في تبرير فعل الخليفة الثاني، الصلحاء:

فوضع أحدهم حديثاً في أن الرسول نهى عن متعة النساء في غزوة خيبر وروى آخر أنه أباحها وحرّمها في عمرة القضية، وروى ثالث أن ذلك كان في فتح مكة، ورابع رواها في أوطاس، وخامس في تبوك، وسادس في حجة الوداع! وهكذا، كل واحد أراد أن يقول أن الإباحة والتحريم وقعا معاً في مكان وزمان خاص وعلى عهد رسول الله (ص) ولهذا حرّمها الخليفة. وهكذا تناقضت الأحاديث، فبحث العلماء عن مخرج لهذا التناقض فلم يروا عذراً إلا في ما فيه انتقاص للشرع الإسلامي فتقولوه وتمسكوا به وإن كان فيه افتراء على الشرع، فقالوا: إن هذا الحكم أبيح مرتين، ونسخ مرتين وقالوا أبيح ونسخ أكثر من ذلك إلى سبع مرّات، لم يكثرثوا لتوهين الإسلام مادام في ذلك المحافظة على القول بصحة الأحاديث التي ألزموا بصحتها، وقد انتفع علماء مدرسة الخلفاء بتلكم الأحاديث في تأييد تحريم نكاح المتعة، مثل ما وقع ليحيى بن أكثم<sup>٢</sup> والمأمون في أوائل القرن الثالث الهجري كما رواه ابن خلكان عن محمد بن منصور.

قال: كنا مع المأمون في طريق الشام. فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال يحيى ابن أكثم لي ولأبي العينية: بكرة غداً إليه، فإن رأيتا للقول وجهاً فقولاً، وإلا فآسكتنا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مفتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وعلى عهد أبي بكر (رض) وأنا أنهى عنها! ومن أنت يا جُعَل

(١) هكذا سلسلها ابن حجر في فتح الباري ٧٣/١١.

(٢) أبو محمد يحيى بن أكثم المروزي من ولد أكثم بن صفي التميمي الأسدي، ولاء المتوكل على قضاء القضاة وتدير أهل مملكته، كان يرمى بعمل قوم لوط.

وقال فيه الشاعر:

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط  
وقال غيره:

قاضي يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من بأس  
مات بالبلدة عند رجوعه من الحج إلى العراق سنة ١٤٢ هـ. وفيات الأعيان ١٩٧/٥ — ٢١٣.

حتى تنهى عما فعله رسول الله (ص) وأبو بكر (رض)؟ فأوماً أبو العبناء إلى محمد بن منصور وقال: رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن! فأمسكنا، فجاء يحيى بن أكرم فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: مالي أراك متغيراً؟ فقال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله عز وجل، وخديث رسول الله (ص)، قال الله تعالى: «قد أفلح المؤمنون، إلى قوله: والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا، قال: فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين.

وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب (رض) قال: أمرني رسول الله (ص) أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها، فالتفت إلينا المأمون فقال: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة منهم مالك (رض)، فقال: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة، فنادوا بها.

قال أبو إسحاق إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي القاضي الفقيه المالكي البصري، وقد ذكر يحيى بن أكرم، فعظم أمره وقال: كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله، وذكر هذا اليوم<sup>١</sup>.

كان علماء مدرسة الخلفاء يحتجون بالأحاديث التي مرّت علينا إذا ما نظروا، وإذا ما ثبت قول عمر «متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وأنا أنهى عنها وأعاقب عليها» قالوا آجتهد الخليفة، إذ آفقد قال الله وقال رسوله وآجتهد الخليفة<sup>٢</sup>!!!

#### خلاصة البحث:

تواتر عن الخليفة عمر قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنها وأعاقب عليها. وسبق البحث في متعة الحجّ أمّا متعة النساء فتعريفها في مدرسة الخلفاء

(١) وفيات الأعيان، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط. مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩م، ١٩٩/٥ - ٢٠٠.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٣/٣٦٣ في جواب الطعن الثامن.

أن يتزوج الرجل المرأة بشاهدين وإذن الولي إلى أجل مستى، ويعطيا ما اتفقا عليه فإذا انقضت المدة فليس عليها سبيل، وتستبرئ رحمها لأن الولد لاحق فيه بلا شك، فإن لم تحمل حلت لغيره، وعلتها حيضة واحدة ولا يتوارثان، وإذا انقضى الأجل فبدا لها أن يتعاودا فليمهرها مهرًا آخر.

وتعريفها في مدرسة أهل البيت: أن تزوج المرأة نفسها أو يزوجه وكيلها أو - وليها إن كانت صغيرة - لرجل تحل له ولا يكون هناك مانع شرعاً من نسب أو سبب أو رضاع أو علة أو إحصان، بمهر معلوم إلى أجل مستى، وتبين عنه بأنقضاء الأجل أو أن يهب الرجل ما بقي من المدة، وتعتد المرأة بعد المباشرة مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس بقرآن إذا كانت ممن تحيض وإلا فبخنسة وأربعين يوماً، وإن لم يمسه ففيها كالمطلقة قبل الدخول لا علة عليها، وشأن المولود في الزواج الموقت شأن المولود من الزواج الدائم.

### نكاح المتعة في كتاب الله:

قال الله سبحانه: «فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة...» النساء / ٢٤.

كانت في مصحف ابن عباس «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مستى» وقرأها كذلك أبي بن كعب وابن عباس وسعيد بن جبيرة والسدي، ورواها قتادة ومجاهد.

### نكاح المتعة في السنة:

عن عبد الله بن مسعود، قال: رخص رسول الله (ص) أن نكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا...» المائدة / ٨٧.

وعن جابر وسلمة بن الأكوع قالوا: خرج علينا منادي رسول الله، فقال: إن رسول الله قد أذن لكم أن تستمتعوا، يعني متعة النساء.

وعن سبرة الجهني قال: أذن لنا رسول الله بالمتعة، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر فمرضنا عليها أنفسنا فقالت ما تعطي فقلت ردائي... قالت أنت وردائك

يكفيني، فكثت معها ثلاثاً ثم إن رسول الله قال: من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع بها فليخلّ سبيلها.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: كنا نتمتع على عهد رسول الله (ص) بالثوب. وعن أساء بنت أبي بكر، قالت: فعلناها على عهد النبي (ص). وعن جابر، قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام، على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر، حتى إذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بامرأة فحملت المرأة فبلغ ذلك عمر فنهى عنها. وفي رواية: استمتع عمرو بن حوشب بجارية بكر من بني عامر بن لؤي فحملت فقال عمر: ما بال رجال يعملون بالمتعة ولا يشهدون عدولاً؟ ما تمتع رجل ولم يبيتها إلاّ حدته، فتلقاه الناس منه.

وفي رواية: تزوج ربيعة بن أمية بن خلف مولدة بشهادة امرأتين فحملت فصعد عمر المنبر وقال لو كنت تقدمت في هذا لرجمت. وفي رواية: إن سلمة بن أمية استمتع من مولدة حكيم بن أمية فولدت فجحد الولد فنهى عمر عن المتعة وقال: لو أتيت برجل تمتع بامرأة لرجته إن كان أحصن، فإن لم يكن أحصن ضربته.

وبعد نهي عمر أصبح نكاح المتعة محرماً في المجتمع الإسلامي، وبقي الخليفة عمر مصرّاً على تحرّمه، روى عمران بن سودة أنّه قال للخليفة: نصيحة، فقال: مرحباً بالناصح. هات:

فقال عابت أمتك منك أنك حرّمت العمرة في أشهر الحج ولم يفعل ذلك رسول الله ولا أبو بكر وهي حلال. فقال: إنهم لو اعتمروا في أشهر الحج لرأوها مجزية وبقيت مكّة خالية منهم، وقد أصبت.

قال: ذكروا إنك حرّمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث.

قال: إن رسول الله أحلّها في زمان ضرورة ثم رجع الناس إلى سعة، والآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق.

قال المؤلف: هل يسوغ تحرّم ما أحلّ الله من متعة الحج بسبب أن ذلك يؤدي



إلى فراغ مكة من المعتمرين بقية السنة؟ !

وفي متعة النساء، هل كان السفر خاصاً بعصر الرسول حيث تمتعوا في السفر بإذن الرسول؟ وما ذا يفعل المسافر الذي يطول سفره شهوراً وسنين في سائر العصور؟ وكذلك الإنسان الذي لا يستطيع الزواج الدائم في وطنه، هل يتنكر لغيرته، أم يخون المجتمع سراً أو يسمح المجتمع له بالزنا علناً كما هو الحال في المجتمعات المعاصرة؟ أما ما ذكره الخليفة: أن ينكح بقبضة ويفارق عن ثلاث بطلاق، فإذا كان ذلك باتفاق ونية مسبقه من الزوجين فهو نكاح المتعة بعينه، وإذا يخفى الزوج نية الفراق في نفسه فهو غدر وخيانة للمرأة ولا يقرهما الإسلام.

وهذه المحاورة من الخليفة وسائر أحاديثه في شأن المتعة وكذلك أحاديث الصحابة عن رسول الله وأخبارهم عن تمتعهم زمن النبي وأبي بكر وخلافة عمر، كل ذلك يثبت إن الروايات التي رويت عن رسول الله في تحريم المتعة قد وضعت بعد عصر عمر وإلا لاستشهد بها هو ولما قال الصحابة أن التحريم صدر في آخر خلافته ومن ثم قال عليّ وابن عباس لولا نهي عمر ما زنى إلا شقي.

وقد بقي على تحليلها بعد رسول الله من الصحابة عليّ وابن مسعود، وابن عباس وأسماء وأبوسعيد الخدري وجابر وسلمة ومعدبنا أمية ومعاوية بن أبي سفيان وعمران بن الحصين.

ومن التابعين: طاووس وعطاء، وسعيد بن جبيرة وسائر فقهاء مكة وأهل اليمن كلهم.

أما من تابع عمر في تحريمها فقد اعتمد قسم منهم على الروايات الموضوعة على رسول الله وقال آخرون: إن الخليفة اجتهد في ذلك، واتخذوا اجتهد الخليفة ديناً.

\* \* \*

أوردنا في ماسبق أمثلة من استناد الخلفاء إلى آرائهم في ما أفتوه في الأحكام الإسلامية ودانوا بها ووجدنا أتباعهم يستمّنون ذلك منهم بالاجتهاد، ومن تتبع سيرتهم وفقههم وجد ذلك طابعهم المميز لمدرستهم عن مدرسة أئمة أهل البيت فإن أئمة أهل البيت خالفوهم في ذلك، كما سنراه في البحوث الآتية، إن شاء الله تعالى.

وندرس في ما يأتي ما استنبطوه من عمل الصحابة، وكيف أصبح الاجتهاد بعد ذلك من مصادر الشريعة الإسلامية.

كيف وجد التناقض في ما روي عن رسول الله (ص) ؟

وأخيراً نقول: إننا وجدنا تناقضاً في ما روي عن رسول الله (ص) في عمرة التمتع. فبينما نجد في روايات أنّ رسول الله أفرد الحجّ ونهى عن الجمع بين العمرة والحجّ معاً، نجد في روايات أخرى رويت عنه (ص)، أنّه أمر بالتمتع بالعمرة إلى الحجّ في حجة الوداع، وفعل ذلك جميع من حضر حجة الوداع، فكيف وقع هذا التناقض في حديث الرسول؟

والجواب: إنّ الأحاديث التي رويت عن رسول الله أنّه أمر بإفراد الحجّ ونهى عن عمرة التمتع إنّها وضعت تأييداً لموقف الخلفاء وأمرهم بإفراد الحجّ ونهيهم عن عمرة التمتع.

وبناءً على هذا فكلّما رأينا حديثين متناقضين تعيّن علينا أن نترك منهما ما وجدناه موافقاً لرأي السلطة الحاكمة<sup>١</sup>.

(١) راجع بحث : « اتجاه السلطة زهاء ثلاثة عشر قرناً » في آخر الجزء الأول من هذا الكتاب، ط ٢

## - ٧ -

### الاجتهاد في القرن الثاني فما بعد وآستنباط الأحكام من عمل الصحابة

**الاجتهاد: حقيقته، تطوره، أدلة صحة العمل به**

حقيقة الاجتهاد — كما أشرنا إليها في ماسبق — هي العمل بالرأي، ومنشؤه عمل الصحابة والخلفاء بأرائهم واقتداء أتباعهم بهم في ذلك. وفي ما يلي بيانه:

قال الدواليبي<sup>١</sup>: كانت ترد على الصحابة أفضية لا يرون فيها نصاً من كتاب أو سنة، وإذ ذاك كانوا يلجأون إلى الاجتهاد، وكانوا يعبرون عنه بالرأي أيضاً، كما كان يفعل أبوبكر (رض) ... وكذلك كان عمر يفعل ...

ثم آستشهد بما روي أنّ عمر كتب به إلى شريح وإلى أبي موسى، وقال: ولم يكن الصحابة في اجتهادهم يعتمدون على قواعد مقررة، أو موازين معروفة، وإنما كان معتمدتهم ما لمسوا من روح التشريع ... ثم قال:

وهذه المعرفة لم تتوفر لمن جاء بعدهم بنفس السهولة ... ولذلك لم يلبث الاجتهاد بعدهم أن تطور تطوراً محسوساً ... ومتأثراً إلى حدّ كبير بمحيط المجتهد، وكان ذلك مدعاة إلى اشتداد النزاع العلمي في مادة الأحكام كلّما أشتد البعد بين المجتهدين وعصر التنزيل، وهذا ما حمل رجال الاجتهاد على وضع قواعدهم في الاجتهاد، وسمّوه بعلم أصول الفقه، وأصبح الاجتهاد في دوره الثاني هذا متميّزاً عن دوره الأول بما وضع له من قواعد وقوانين جعلت أصوله معلومة بعد أن كان الذوق السليم لأسرار

(١) في كتاب: المدخل إلى علم أصول الفقه، تأليف محمد معروف الدواليبي، أستاذ علم أصول الفقه والقانون الروماني في كلية الحقوق، دكتور في الحقوق من جامعة باريس، حامل شهادة الدراسات العليا في التحقيق الرومانية، مجاز في العلوم الإسلامية من الكلية الشرعية بحلب. ط. دار العلم للملايين / بيروت

الشريعة وحده هو الميزان والمعيار<sup>١</sup>.

وقال في باب مصادر الحكم المعترف بها في القرآن :  
 إنَّ أوَّل مصدر للحكم والحقوق يعترف به القرآن هو آياته .  
 وثانياً: هو السنة، فقد قال «وما آتاكم الرسول فخذوه...»  
 وثالثاً: يعتبر القرآن من مصادر الحكم والحقوق ما اعترفت به السنة مثل  
 الإجماع والاجتهاد<sup>٢</sup>.

هكذا جعل للتشريع أربعة مصادر أو أربعة أصول:

أ — الكتاب.

ج — السنة.

د — الإجماع.

ه — الاجتهاد.

وقال الدواليبي: يتبيّن ممّا ذكرنا أنّ الأصل الرابع يسمّى بالاجتهاد،  
 وبالرأي، وبالعقل<sup>٣</sup>.

نكتفي بهذا المقدار من البيان هنا لنعود إليه بعد عرض أدلتهم على صحة العمل  
 بالاجتهاد.

**أهم أدلتهم على صحة الاجتهاد:**

أ — حديث معاذ:

في سنن الدارمي وغيره: إنّ النبي (ص) لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «كيف  
 تقضي؟» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة  
 رسول الله (ص) قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله (ص)؟» قال: اجتهد رأيي ولا  
 آلو، قال: فضرب صدري وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله (ص)»<sup>٤</sup>.

ب — حديث عمرو بن العاص:

في صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسنند أحمد وغيره، واللفظ للأول:  
 إنّ رسول الله قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا

(٢) المدخل ٣٠.

(١) المدخل ص ١٤ — ١٧ أوردنا قوله باختصار.

(٤) مقدمة الدارمي ٦٠/١، ومسنند أحمد ٢٣٠/٥ و ٢٧٦.

(٣) المدخل ٥٣.

حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»<sup>١</sup>.

ج - كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري:

ورد فيه: الفهم، الفهم في ما يتلجلج في صدرك مما ليس في الكتاب والستة ثم قس الأمور بعضها ببعض...<sup>٢</sup>

هذا أهم أدلتهم في إثبات صحة الاجتهاد، وما عداها لا حاجة إلى إيرادها ومناقشتها لتضعف أسنادها ووضوح عدم دلالتها على مرادهم، أما الحديثان وكتاب عمر، فقد ناقش ابن حزم حديث معاذ وقال:

وأما خبر معاذ فإنه لا يحل الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنه لم يروقط إلا من طريق الحارث بن عمرو وهو مجهول، لا يدري أحد من هو، وقال البخاري في تاريخه الأوسط: «ولا يعرف الحارث إلا بهذا - الحديث - ولا يصح». ثم إن الحارث روى عن رجال من أهل حمص لا يدري من هم! ثم لم يعرف قط في عصر الصحابة ولا ذكره أحد منهم. ثم لم يعرفه أحد قط في عصر التابعين، حتى أخذه أبو يعون وحده عمن لا يدري من هو، فلما وجد أصحاب الرأي عند شعبة طاروا به كل مطار، وأشاعوه في الدنيا وهو باطل لا أصل له<sup>٣</sup>.

وقال: وبرهان وضع هذا الخبر وبطلانه هو أن من الباطل الممتنع أن يقول رسول الله (ص) فإن لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله وهو يسمع قول ربه تعالى «وأتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم» وقوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم» وقوله تعالى «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه» مع الثابت عنه (ع) من تحريم القول بالرأي في الدين...

ثم لوصح لكان معنى قوله «أجتهد رأيي» أستنفذ جهدي حتى أرى الحق في القرآن والستة ولا أزال اطلب ذلك أبداً.

وأيضاً، لو صح لكان لا يخلو من احد وجهين: إما أن يكون لمعاذ وحده فيلزمهم

(١) صحيح البخاري ١٧٨/٤ باب أجر الحاكم من كتاب الأحكام، ومسلم بكتاب الأفضية، باب بيان أمر الحاكم ص ١٢٤٢ ح: ١٥، وأبن ماجة باب الحاكم يجتهد فيصيب ح ٢٣١٤ من كتاب الأحكام، ومسنند أحمد. ١٨٧/٢ و ١٩٨/٤ و ٢٠٤ و ٢٠٥ منه: «إذا أصبت فلك عشر حسنات».

(٢) الكتاب المنسوب إلى عمر وشرحه في الأحكام لابن حزم ١٠٣/٥، وراجع أعلام الموقعين ١/ ٨٥-٨٦.

(٣) الأحكام لابن حزم ٧٧٣/٥ - ٧٧٥ ط. مطبعة العاصمة بالقاهرة.

أن لا يتبعوا رأي أحد إلا رأي معاذ، وهم لا يقولون بهذا.  
أو يكون لمعاذ وغيره، فإن كان ذلك فكل من اجتهد رأيه فقد فعل ما أمر به، فهم كلهم محقون ليس أحد منهم أولى بالصواب من آخره، فصار الحق على هذا في المتضادات، وهذا خلاف قولهم، وخلاف المعقول، بل هذا المحال الظاهر، وليس لأحد أن ينصر قوله بحجة لأن مخالفه أيضاً قد اجتهد رأيه، وليس في الحديث الذي احتجوا به أكثر من اجتهد الرأي ولا مزيد، فلا يجوز لهم أن يزيدوا فيه ترجيحاً لم يذكر في الحديث، وأيضاً فليس أحد أولى من غيره، ومن المحال البين أن يكون ما ظنه الجهال في حديث معاذ لو صح من أن يكون (ع) يبيح لمعاذ أن يحلل برأيه ويحرم برأيه ويوجب الفرائض برأيه ويسقطها برأيه وهذا ما لا يظنه مسلم، وليس في الشريعة شيء غير ما ذكرنا ألبنته<sup>١</sup>. انتهى.

وقال ابن حزم عن حديث عمرو بن العاص: وأما حديث عمرو بن العاص فاعظم حجة عليهم لأن فيه أن الحاكم المجتهد يخطئ ويصيب، فإن كان ذلك كذلك فحرام الحكم في الدين بالخطأ، وما أحل الله تعالى قط إمضاء الخطأ فبطل تعلقهم<sup>٢</sup>.  
وقال عن كتاب عمر بعد إيراده بسندين: وهذا لا يصح، لأن السند الأول فيه عبد الملك بن الوليد بن معدان، وهو كوفي متروك الحديث ساقط بلا خلاف، وأبوه مجهول.

وأما السند الثاني: فن بين الكرجي إلى سفيان مجهول وهو أيضاً منقطع فبطل القول به جملة<sup>٣</sup>.

مناقشتنا في صحة ما قالوا حول الاجتهاد:

أولاً - مدلول الاجتهاد.

وثانياً - مفاهيم الأدلة الثلاثة.

أما الاجتهاد فقد سبق إيراد دليلنا على أن:

مدلول الاجتهاد في القرن الأول، كان معناه اللغوي، وهو بذل الجهد في أي أمر

(٢) الاحكام لابن حزم ٧٧١/٥.

(١) الاحكام ٧٧٥/٥.

(٣) الاحكام ١٠٠٣/٥، وراجع اعلام الموقعين ٨٥/١ - ٨٦، وقال عن السند ان جعفرأ احد رواة

السند لم يستنده.

كان، والحديثان المرويان عن معاذ وابن العاص إن صحَّ سندهما أيضاً استعمل فيها «اجتهد» في معناه اللغوي المذكور.

ثم إن مورد الحديثين خارج عن محل النزاع، فإنَّ موردَهما باب القضاء، ومحلَّ النزاع جواز تشريع الأحكام من قبل المجتهدين، وكذلك الحال في الكتاب المنسوب إلى عمر، وكذلك الأمر في غيرها مما استدلوا به فإنَّها رغم ضعف أسنادها إلى حدِّ الاطمئنان بأنَّها موضوعة فإنَّ موارد جميعها شؤون القضاء وليس التشريع.

وفي مورد القضاء أيضاً لا تدلُّ الأحاديث المذكورة على جواز تشريع القضاة لمورد حاجتهم، ففي حديث معاذ مثلاً الذي ظنوا أن فيه دلالة على دعواهم قد وهموا فيه فإنَّ مغزى الحديث أن الأحكام الإسلامية وردت في الكتاب والسنَّة على ضربين منها ما ورد في أحدهما أو كليهما منصوصاً على القضية الجزئية، ومنها ما ورد بيانه ضمن قاعدة كلية وعلى الحاكم أن يبذل جهده ليتعرَّف على الحكم الكلي الذي ينطبق على مورد حاجته، وهذا هو الاجتهاد اللغوي الذي هو بمعنى بذل الجهد في البحث عن الحكم المطلوب.

غير أنَّ كيفية استشهاد علماء مدرسة الخلافة بهذا الحديث تدلُّ على أنَّهم يقولون إنَّ التشريع الإسلامي الذي بلغه الرسول كان ناقصاً في بعض جوانبه ممَّا احتاج معه الحكام والقضاة والمفتون أن يشرعوا بأرائهم أحكاماً لقضايا أهمل حكمها في الإسلام، ويأتي مزيد بيان له بعد عرض كيفية استخراج القواعد من عمل الصحابة في مايلي:

### إستخراج القواعد من عمل الصحابة

قال الدواليبي في تعريف الاجتهاد: إنه رأي غير مجمع عليه، وقال: فإذا أجمع عليه فهو الإجماع ولذلك فالاجتهاد بعد الإجماع في المنزلة<sup>١</sup>.

وقسم أنواع الاجتهاد إلى ثلاثة:

أولاً: البيان والتفسير لنصوص الكتاب والسنَّة<sup>٢</sup>.

ثانياً: القياس على الأشباه ممَّا في الكتاب والسنَّة.

ثالثاً: الرأي الذي لا يعتمد على نصٍّ خاصٍّ، ولأنَّها على روح الشريعة المثبوتة في جميع نصوصها معلنة: «إنَّ غاية الشرع إنما هي المصلحة، وحيثما وجدت المصلحة فثمَّ

شرع الله» وإن «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» .  
وقال: ولعل من أبرز المسائل الاجتهادية، والوقائع التي حدثت في عهد الصحابة بعد وفاة النبي، هي قضية قسمة الأراضي التي فتحها المقاتلون عنوة في العراق وفي الشام وفي مصر.  
فلقد جاء النص القرآني يقول بصراحة لا غموض فيها إن خمس الغنائم يرجع لبيت المال ويصرف في الجهات التي عينتها الآية الكريمة، «وأعلموا إنما غنمتم من شيء فإن الله خمسُه ولِلرَّسول ولِذي القربى...»  
أما الاخماس الأربعة الباقية فتقسم بين الغنائم عملاً بفهم الآية المذكورة وبفعله عليه الصلاة والسلام حين قَسَمَ خيبر بين الغزاة.  
وعملًا بالقرآن والسنة جاء الغانمون إلى عمر بن الخطاب وطلبوا إليه أن يخرج الخمس لله ولن ذكر في الآية، وأن يقسم الباقي بين الغانمين.  
فقال عمر: فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بلوجها قد اقتسمت، وورثت عن الآباء وحيزت؟ ما هذا برأي.  
فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأي؟ ما الأرض والبلوج إلا مما أفاء الله عليهم.

فقال عمر: ما هو إلا ما تقول، ولست أرى ذلك...  
فأكثروا على عمر، وقالوا تقف ما أفاء الله علينا بأسيا فنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا،...

فكان عمر لا يزيد على أن يقول هذا رأيي.  
فقالوا جميعاً الرأي رأيك<sup>١</sup>.  
وقال ابن حزم: الرأي ما تحتلته النفس صواباً دون برهان.  
وقال: القياس: أن يحكم بشيء بحكم لم يأت به نص لشبهه بشيء آخر ورد فيه ذلك الحكم<sup>٢</sup>.  
وعرف الاستحسان في المدخل بقوله: الاستحسان: الأخذ في مسألة بحكم

(١) المدخل الى علم أصول الفقه ص ٩١ - ٩٥ باب أنواع الاجتهاد.  
(٢) الأحكام بأصول الأحكام لابن حزم ط. مطبعة العاصمة بالقاهرة ونشر زكريا علي يوسف راجع ٤٠/١ - ٤١ منه.



يخالف الحكم المعروف في القياس أما لرجحان علة في دليل الاستحسان وإما لضرورة  
توجب مصلحة وتدفع حرجاً<sup>١</sup>.

وروى عن الحنفية قولها عن الاستحسان أنه: العدول بالمسألة عن حكم  
نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضي هذا العدول.

وعن المالكية أنهم قالوا عن الاستحسان أنه: إن لا يقيّد الفقيه المجتهد عند  
بحث الجزئيات بتطبيق ما يؤدي إليه اضطراب القياس من جلب مضرة أو مشقة، أو منع  
مصلحة<sup>٢</sup>.

وقال في تعريف الاستصلاح: الاستصلاح في حقيقته نوع من الحكم بالرأي  
المبني على المصلحة<sup>٣</sup>.

وقال في الفرق بين الأصول الثلاثة: إن مسائل القياس والاستحسان تتطلب  
دوماً المقارنة بمسائل أخرى.

ففي القياس توجب الحاق مسائل القياس بحكم المسائل الأخرى المقيس عليها  
وتوحيد الحكم فيها بسبب الاتحاد في العلة.

وفي الاستحسان توجب العدول بمسائل الاستحسان عن حكم المسائل الأخرى  
في النظائر والأشياء والمغايرة في الحكم فيها بسبب عدم الاتحاد في بعض الوجوه مما هو  
أقوى من بعض مظاهر الاتحاد.

أما مسائل الاستصلاح فهي لا تستلزم المقارنة بمسائل أخرى على نحو ما مر في  
القياس والاستحسان للحكم فيها بل يعتمد في الحكم في مسائل الاستصلاح على  
المصلحة فقط<sup>٤</sup>.

وقال في باب النصوص وتغيير الأحكام بتغير الزمان في الشرع الإسلامي: أما  
التغيير لحكم لم ينسخ نصه من قبل الشارع فقد أجازته للمجتهدين من قضاة ومفتين،  
تبعاً لتغير المصالح في الأزمان أيضاً؛ وأمتازت بذلك على غيرها من الشرائع، وأعطت  
فيه درساً بليغاً عن مقدار ما تعطيه من حرية للعقول في الاجتهاد، ومن مرونة لتحكيم

(١) المدخل ص ٢٩٣.

(٢) المدخل ص ٢٩٦.

(٣) المدخل ص ٣٠١ في الباب الثامن.

(٤) المدخل ص ٣٠٤ - ٣٠٥ الباب الثامن.

المصالح في الأحكام. وهكذا أصبح العمل بهذا المبدأ الجليل قاعدة مقررة في التشريع الإسلامي، تعلن بأنه «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان»<sup>١</sup>.

واستشهد بقول ابن القيم في أعلام الموقعين: هذا فصل عظيم النفع جداً...<sup>٢</sup>. وقد أورد ابن القيم في هذا الباب عدة أمثلة منها قوله: المثال السابع: إنَّ المطلق في زمن النبي (ص) وأبي بكر وصدرأ من خلافة عمر كان إذا جمع الطلقات الثلاث بضم واحد جعلت واحدة كما ثبت في الصحيح...<sup>٣</sup>.

ثم أورد الأحاديث الصحاح في ذلك ومنها خبر تطليق رُكَّانة بن عبد يزيد زوجته حيث طلقها ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها، فسأله رسول الله (ص): كيف طلقها؟ قال: طلقها ثلاثاً. قال: في مجلس واحد؟ قال: نعم. قال: فإنما تلك واحدة فأرجعها إن شئت، فراجعها.

وقال: والمقصود أنَّ عمر بن الخطاب (رض) لم يخف عليه أنَّ هذا هو السنة وأنه توسعة من الله لعباده، إذ جعل الطلاق مرة بعد مرة وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف إيقاع مراته كلها جملة واحدة كاللعان فإنه لو قال: «أشهد الله بالله أربع شهادات أنه لمن الصادقين» كان مرة واحدة ولو حلف في القسم وقال: أقسم بالله خمسين يميناً أنَّ هذا قاتله» كان ذلك يميناً واحداً..

وهكذا أورد الأمثلة عليه ثم قال: فهذا كتاب الله، وهذه سنة رسول الله (ص) وهذه لغة العرب، وهذا عرف التخاطب وهذا خليفة رسول الله (ص) والصحابة كلهم معه في عصره وثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب... وهم يزيدون على الألف قطعاً...

والمقصود أنَّ هذا القول قد دلَّ عليه الكتاب والسنة والقياس والإجماع القديم ولم يأت بعده إجماع يبطله ولكن رأى أمير المؤمنين عمر (رض)... أنَّ هذا مصلحة لهم في زمانه<sup>٣</sup>.

وفي تعريف الإجماع يقسمه الدواليبي إلى قسمين:  
أ - إتفاق العالمين من الأمة في الموضوع المبحوث فيه، وليس اتفاق الأمة

(١) المدخل ص ٣١٧.

(٢) المدخل ص ٣١٩.

(٣) أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٣/٣٠ - ٣٦ فصل حكم جمع الطلقات الثلاث بلفظ واحد.

بكاملها.

ب — الاتِّفاق الكائن في مكان ما من الأمكنة التي تحدث فيها الحادثة، أو تعرض فيها، كالمدينة المنورة، وليس هو الاتِّفاق الكائن في جميع الأمكنة والأمصا.

وقال: فلما مضى الصحابة، وجاء من بعدهم من العلماء أخذ هؤلاء بالإجماع أيضاً كأصل من أصول الشريعة.

غير أنَّ هؤلاء لم يجدوا أنفسهم أمام أصل واضح في حدوده...<sup>١</sup>.

\* \* \*

جميع ما استعرضناه آنفاً لا يعدو كونه عملاً بالرأي، سواء في القضايا التي ستموا رأيهم فيها «تأويلاً» أو «اجتهاداً» أو موارد التسميات الأخرى.

فالقياس حقيقته: أن يحكم المجتهد في مسألة بحكم ورد في مسألة أخرى لما يرى بين المسألتين من مشابهة.

والاستحسان: ترك الحكم المشابه للمسألة، لما يرى المجتهد المصلحة في خلافه.

والاستصلاح: العمل في قضية ما بما يراه المجتهد صالحاً دون عمل مقارنة.

والإجماع: اتفاق آراء العلماء أو أهل بلد في حكم قضية ما. هكذا تنتهي كل

قواعد الاجتهاد بمدرسة الخلفاء إلى الرأي، أضف إليه أنهم كانوا يقدمون رأيهم على النص الشرعي، مثل خبر حبس عمر الأراضي المفتوحة عنوة دون تقسيم أربعة أخماسها على الغزاة خلافاً لنص الكتاب وعمل الرسول، ومثل جعل القول بالتطليق ثلاثاً مرة واحدة ثلاث مرات خلافاً للكتاب والسنّة، ثم التباهي بالعمل بالرأي خلافاً للكتاب والسنّة، ومن ثم كان إمام مدرسة الرأي في المجتهدين يصرح أحياناً بتقديم رأيه على الحديث النبوي الشريف وأنّ رأيه أولى بالعمل من قول الرسول كما يأتي في الأمثلة الآتية :

### إمام الحنفية والعمل بالرأي

روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن يوسف بن أسباط، قال: قال

أبو حنيفة: لو أدركني رسول الله وأدركته لأخذ بكثير من قولي، وهل الدين إلا الرأي

الحسن<sup>١</sup>.

وروي عن علي بن عاصم، قال: حَدَّثَنَا أبا حنيفة عن النبي، فقال: لا آخذ به، فقال: فقلت: عن النبي؟ فقال: لا آخذ به.  
وعن أبي إسحاق الفزاري<sup>٢</sup>. كنت آتي أبا حنيفة أسأله عن الشيء من أمر الغزو، فسألته عن مسألة فأجاب فيها، فقلت له: إنه يروى فيه عن النبي كذا وكذا قال: دعنا عن هذا.

وقال: كان أبو حنيفة يجيئه الشيء عن النبي (ص) فيخالفه إلى غيره.  
وقال: حَدَّثْتُ أبا حنيفة حديثاً في ردِّ السيف، فقال: حديث خرافة.  
وروي عن حماد بن سلمة، قال: أبو حنيفة استقبل الآثار واستدبرها برأيه.  
أو استقبل الآثار والسنن فردّها برأيه<sup>٣</sup>.

وعن وكيع قال: وجدنا أبا حنيفة خالف مائتي حديث<sup>٤</sup>.  
وعن صالح الفراء قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: ردّ أبو حنيفة على رسول الله (ص) أربع مائة حديث أو أكثر. قلت له: يا أبا محمد أتعرفها؟ قال: نعم، قلت أخبرني بشيء منها، فقال: قال رسول الله (ص) «للفرس سهمان وللرجل سهم» قال أبو حنيفة: أنا لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن.  
وأشعر رسول الله (ص) وأصحابه البدن وقال أبو حنيفة: الإشعار مثله.  
وقال (ص): «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» وقال أبو حنيفة إذا وجب البيع فلا خيار.

وكان النبي يقرع بين نسائه إذا أراد أن يخرج في سفر وأقرع أصحابه، وقال أبو حنيفة: القرعة قار<sup>٥</sup>.

(١) ما نورده في مايل عن الخطيب البغدادي فن ترجمة أبي حنيفة في ج ١٣ من تاريخ بغداد وهذا الحديث بتمامه في ص ٣٩٠، وفي ص ٣٨٧ منه دوّن وهل الدين إلا الرأي الحسن، و ترجمة أبي حنيفة من كتاب المجروحين ج ٣/٦٥ تأليف ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)  
(٢) أحاديث أبي إسحاق في تاريخ بغداد ٢٨٧/١٣ وتركنا ذكر حديث واحد منه لأن أبا حنيفة كان قد أقذع فيه .

(٣) خبر حماد في ص ٣٩٠ — ٣٩١ منه. قوله: خرافة في كتاب المجروحين ٧٠/٣.  
(٤) حديث وكيع في ص ٣٩٠ منه. حديث «البيعان بالخيار» في كتاب المجروحين ٧٠/٣.  
(٥) حديث يوسف بن أسباط في ص ٣٩٠ منه.

٣٠١

وعن حماد قال<sup>١</sup>: كنت جالساً في المسجد الحرام عند أبي حنيفة، فجاءه رجل، فقال: يا أبا حنيفة محرم لم يجد نعليه فلبس خفاً، قال: عليه دم، قال: قلت: سبحان الله! حدثنا أيوب أن النبي قال في المحرم: إذا لم يجد نعليه فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين

وعن بشر بن مفضل، قال: قلت لأبي حنيفة: نافع، عن ابن عمر، أن النبي (ص) قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» قال: هذا رجز، وقلت: قتادة عن أنس: إن يهودياً رضع رأس جارية بين حجرين فرضخ النبي رأسه بين حجرين، فقال: هذان<sup>٢</sup>.

وعن عبد الصمد، عن أبيه، قال: ذكر لأبي حنيفة قول النبي: افطر الحاجم والمحجوم، قال: هذا سجع<sup>٣</sup>.

وعن عبد الوارث، قال: كنت بمكة وبها أبو حنيفة فأتيته وعنده نفر فسأله رجل عن مسألة فأجاب فيها، فقال الرجل: فإرواية عن عمر بن الخطاب، قال: ذلك قول شيطان، قال: فسبحت، فقال لي رجل: أتعجب؟ فقد جاء رجل قبل هذا فسأله عن مسألة فأجاب، فقال ما رواية رويت عن رسول الله (ص) افطر الحاجم والمحجوم، فقال: هذا سجع، فقلت في نفسي: هذا مجلس لا أعود فيه أبداً<sup>٤</sup>.

وعن يحيى بن آدم، قال: ذكر لأبي حنيفة حديث النبي (ص) «الوضوء نصف الإيمان» قال: لتتوضأ مرتين لتستكمل الإيمان.

قال يحيى: الإيمان هنا: الصلاة، قال الله «وما كان ليضيع إيمانكم» يعني صلاتكم، وقال النبي «لا صلاة إلا بطهور» فالطهور نصف الإيمان أي نصف الصلاة إذ كانت الصلاة لا تتم إلا به.

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أجراً على الله من أبي حنيفة، كان يضرب الأمثال لحديث رسول الله فيرده: بلغه إني أروي «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» فجعل يقول: رأيت إن كان في سفينة؟ رأيت إن كان في سجن؟! رأيت إن كان في

١- حديث حماد في ص ٣٩٢ منه.

٢- حديث بشر في ص ٣٨٨ منه، ورواية حماد وأيوب بتفصيل أوفى في المرحومين للبستي ٦٧/٣.

وحدث بشر في ص: ٧٠ منه.

٣- حديث عبد الصمد في ص ٣٨٨ منه.

٤- في ص ٣٨٨ منه.

\* \* \*

في ما نقلوه عن إمام أهل الرأي المجتهد أبي حنيفة وأوردناه آنفاً راجعنا أولاً بشأن أحاديثه كتب الحديث الموثقة فوجدنا تلك الأحاديث فيها مروية عن رسول الله، ثم راجعنا فتاوى أبي حنيفة فوجدناه قد أفتى بخلاف تلك الأحاديث. أ - في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود، والترمذي، وموطأ مالك، ومسنند أحمد:

إن رسول الله جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهماً<sup>٢</sup>.

ومخالفة أبي حنيفة لهذا الحكم في بداية المجتهد لابن رشد<sup>٣</sup>.

ب - في صحيح البخاري ومسلم وسنن ابن ماجه والدارمي والترمذي ومسنند أحمد: إن رسول الله أشعر الهدي في السنام الأيمن<sup>٤</sup>.

وفي المحلى: قال أبو حنيفة: «أكره الإشعار وهو مثله».

قال ابن حزم: هذه طامة من طوائف العالم أن يكون مثله شيء فعله النبي أفبر لكل عقل يتعقب حكم رسول الله<sup>٥</sup>.

ج - البيعان بالخيار ما لم يفترقا<sup>٦</sup>.

وفي بداية المجتهد: قال الشافعي وأبو حنيفة: أجل الخيار ثلاثة أيام<sup>٧</sup>.

(١) في ٣٨٨ - ٣٨٩ منه.

(٢) في كتاب الجهاد من صحيح البخاري باب سهام الفرس ٩٩/٢، والمغازي باب غزوة خيبر ٣٦/٣، ومسلم كتاب الجهاد، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين ح ٥٧، وأبو داود، كتاب الجهاد باب ١٤٣ و ١٤٧، والترمذي السير باب ٦ و ٨ والموطأ، كتاب الجهاد ٢١ ومسنند أحمد ٢/٢ و ٦٢ و ٨٠ و ١٣٨/٤ و ٣) بداية المجتهد ٤١١/٢. (٤) كتاب الحج من البخاري باب ٥١ ومسلم ح ٢٠٥ والترمذي ٦٤ وموطأ مالك من سنن ابن ماجه باب اشعار البدن ٩٦ والدارمي باب ٦٨ ومسنند أحمد ٢١٦/١ و ٢٥٤ و ٢٨٠ و ٣٣٩ و ٣٣٤ و ٣٤٧ و ٣٧٢.

(٥) المحلى لابن حزم ١١١/٧.

(٦) كتاب البيوع من البخاري باب ١٩ و ٢٢ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٦ و ٤٧ ومسلم ح ٤٣ و ٤٦ و ٤٧ وسنن أبي داود باب ٥١ والترمذي ٣٦ والنسائي ٤ و ٧ والدارمي باب ١٥ والموطأ ٧٩ وابن ماجه كتاب التجارات ١٧، ومسنند أحمد ٢/٤ و ٩ و ٥٢ و ٥٤ و ٧٣ و ١٣٥ و ٣١١ و ٣٠٢/٣ و ٤٢٥ و ٤٣٤ و ١٢/٥ و ١٧ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣.

(٧) بداية المجتهد ٢٢٦/٢ كتاب بيع الخيار.

### ٣٠٣

وفي المحلى أورد الروايات المروية عن رسول الله في هذا الحكم ثم قال: شذ عن هذا كنه أبوحنيفة ومالك ومن قلدهما وقالوا: «البيع يتم بالكلام وإن لم يتفرقا بأبدانها، ولا خير أحدهما الآخر» وخالفوا السنن الثابتة...<sup>١</sup>.

د - في صحيح البخاري ومسلم، والدارمي وابن ماجه وغيرها: المحرم إن لم يجد النعلين فليلبس الخفين<sup>٢</sup>. وذكر ابن حزم تفصيل الحكم ومخالفة أبي حنيفة إياه في المحلى<sup>٣</sup>.

هـ - في صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود وابن ماجه، وغيرها: إن رسول الله رضى رأس يهودي كان رضى رأس جارية بين حجرين<sup>٤</sup>. وفي بداية المجتهد لابن رشد: قال أبوحنيفة وأصحابه في القود: يأتي وجه قتله لم يقتل إلا بالسيف<sup>٥</sup>.

وتفصيل الأحاديث في المحلى لابن حزم<sup>٦</sup>.

و - في صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي والدارمي وغيرها: أفطر الحاجم والمحجوم<sup>٧</sup>.

وفي بداية المجتهد: قال أبوحنيفة وأصحابه: إننا غير مكروهة ولا مفطرة<sup>٨</sup>.

(١) أورد ابن حزم الروايات في المحلى ٣٥١/٨ - ٣٥٢ المسألة ١٤١٧.

(٢) راجع كتاب الحج من صحيح البخاري باب ٢١، وصحيح مسلم ح ١ - ٥، والترمذي ١٩، والنسائي ٥٢ و ٥٣ و ٥٥ و ٥٧ - ٥٩ و ٦١ و ٦٣، والموطأ ٨ و ٩، وكتاب المناسك من ابن ماجه ١٩ و ٢٠، والدارمي ٩، ومسند أحمد ١/٢١٥ و ٢٢٥ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٨٥ و ٣٣٧ و ٣/٢ و ٤ و ٨ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٤ و ٤١ و ٤٧ و ٥٠ و ٥٤ و ٦٦ و ٧٣ و ٧٤ و ٨١ و ١١١ و ١١٩ و ٣/٣٢٣ و ٣٩٥.

(٣) راجع تفصيله في المحلى ٨١/٧.

(٤) وجدته بلفظ «رض» في البخاري كتاب الخصومات ١ والوصايا ٥ والديات ٤ و ١٢، وصحيح مسلم كتاب القسامة ١٧، وكتاب الديات من سنن أبي داود ١، وابن ماجه ٢٤، والدارمي باب ٤، ومسند أحمد ٣/١٩٣ و ٢٦٢ و ٢٩٩.

(٥) بداية المجتهد ٤٣٧/٢.

(٦) المحلى لابن حزم ٣٦٠/١٠ فما بعد.

(٧) في كتاب الصوم من البخاري باب ٣٢، وسنن أبي داود باب ٢٨، والترمذي باب ٥٩، والدارمي باب ٢٦، وكتاب الصيام في سنن ابن ماجه ١٨، ومسند أحمد ٢/٣٦٤ و ٣/٤٦٥ و ٤٧٤ و ٤٨٠ و ١٢٣/٤ و ١٢٤ و ١٢٥ و ٢١٠/٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ١٢/٦ و ١٥٧ و ٢٥٨.

(٨) بداية المجتهد ٣٠٠/١، وراجع المحلى لابن حزم ٢٠٤/٦ - ٢٠٥ المسألة ٧٥٣.

ز- في سنن الترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وغيرها: الوضوء نصف الإيمان<sup>١</sup>.

ح - في صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والدارمي وغيرها: إن النبي إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه<sup>٢</sup>.

\* \* \*

إن الأحاديث الصحيحة الأنفة إلى مئات من أحاديث صحيحة أخرى زويت عن رسول الله (ص) ودونت في أمتهات كتب الحديث، وخالفها الإمام أبو حنيفة وغيره من المجتهدين بأرائهم، ولعل عددها يتعدى المائتين والأربعمئة، كما أحصيت في تاريخ بغداد للخطيب، ومن يراجع كتب الخلاف - أمثال المحلى لابن حزم - يجد نصوصها ومخالفاتهم ليأها بتفصيل واف!

والأنكى من ذلك أنهم بوضعهم قواعد الأصول لديهم كالمقياس والاستحسان والمصالح المرسل، فتحوا باباً للتشريع في مقابل الكتاب والسنة ومعها، رجعوا إلى تلك القواعد أحياناً لاستنباط الحكم الإسلامي، وأخرى إلى الكتاب والسنة، وأحياناً قدموا قواعد الأصول عليها كما مزت أمثلتها آنفاً، وهكذا تطورت الأحكام الإسلامية بمدرسة الخلفاء بعد رسول الله، وهكذا نسبت جميعها إلى الشرع الإسلامي، ومن ثم اعتقد خصوم الإسلام - مضافاً إلى بعض أهله -<sup>٣</sup> أن الإسلام كان ناقصاً على عهد الرسول وإنها تكامل وتطور بعده، مثل المستشرق اليهودي كولدزهر في كتابه تطور العقيدة والشرعية في الإسلام.

وأدى التسادي في الاعتماد على الرأي إلى أن يشرع بعض المجتهدين بمدرسة الخلفاء - باسم الحيل الشرعية - أحكاماً لا يوجد نظيرها في أي قانون على وجه الأرض

(١) سنن الترمذي كتاب الدعاء باب ٨٥، والنسائي الزكاة باب ١، وابن ماجة الطهارة ٥، والدارمي الوضوء - باب ٢، ومسند أحمد ٣٦٥/٥.

اعتمدنا في مصادر الأحاديث الواردة في هذا المقام على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب ٦٤ والمبة ١٥ والشهادات ١٥ و٣٠، والمغازي ٣٤ وتفسير سورة ٦/٣٤، وصحيح مسلم كتاب التوبة ح ٥٦، وسنن أبي داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء، والدارمي كتاب النكاح ٢٦، ومسند أحمد ١١٧/٦ و١٩٥ و١٥٧ و٢٦٩، هذا ما روي عن أم المؤمنين عائشة بينما يجنح عن ذلك فلم نجد رسول الله يخرج نساءه لغير الحج والعمرة.

(٣) راجع فصول المدخل إلى أصول الفقه للدواليبي مثلاً.



ويندى لها جبين المرء خجلاً<sup>١</sup>.

والأنكى من ذلك أن يوضع في مدح هؤلاء المجتهدين الحديث ويسند إلى رسول الله (ص) مثل ما رواه الخطيب عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال: يكون في أمتي رجل أسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة، هو سراج أمتي، هو سراج أمتي، هو سراج أمتي<sup>٢</sup>.

ولست أدري هل أقول: إن الملك الظاهر بيبرس البندقداري أحد ملوك المماليك بمصر أحسن إلى الإسلام حين أغلق باب هذا الاجتهاد في سنة ٦٦٥ هـ أم أساء<sup>٣</sup> ؟ ! ومهما يكن الأمر فإن الاجتهاد أي العمل بالرأي فتحت بابه السلطة الحاكمة بمدرسة الخلفاء على عهد الخلفاء الراشدين وكذلك أغلق بابه على يد السلطة الحاكمة فيها وبقي كذلك حتى اليوم !

\* \* \*

كان ذلك شأن مدرسة الخلفاء في أمر الاجتهاد. أما أتباع مدرسة أهل البيت فإنهم تبعوا أئمتهم في التسمية وسَمُوا هذا العلم بالفقه والمتخصص به بالفقيه.

قال الكشي في معرفة الرجال: تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبدالله (ع). أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبدالله (ع) وانقادوا لهم بالفقه، وقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد العجلي، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي.

قالوا: وأفقه الستة زرارة،...<sup>٤</sup>.

وقال: تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبدالله (ع). أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون، وأقروا لهم بالفقه من دون هؤلاء الستة الذين عددناهم وكتبناهم ستة نفر: جميل بن دراج، وعبدالله بن مسكان، وعبدالله بن بكير، وحماد بن عيسى، وحماد بن عثمان، وأبان بن عثمان، قال:

(١) راجع المحل لابن حزم ج ٢٥١/١١ - ٢٥٧ المسألة ٢٢١٣ المستأجرة للزنا.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ٣٣٥/١٣.

(٣) خطط المقرئ ١٦١/٤.

(٤) رجال الكشي ص ٢٣٨ في تسمية الفقهاء رقم ٤٣١.

٣٠٦

وزعم أبو إسحاق الفقيه - يعني ثعلبة بن ميمون - إن أفقه هؤلاء، جميل بن دراج وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله<sup>١</sup>.

وقال: تسمية الفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم، وأبي الحسن الرضا: أجمع الأصحاب على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم فأقرؤا لهم بالفقه والعلم وهم ستة آخر...<sup>٢</sup>.

وألّف الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ) أول موسوعة فقهية بمدرسة أهل البيت تعتمد الحديث وسمّاه «فقيه من لا يحضره الفقيه» وألّف تلميذه الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) أصول الفقه، وكان معروفاً لدى الجميع أنّ فقهاء مدرسة أهل البيت لا يستقون الفقه بالاجتهاد؛ فقد قال الشيخ الطوسي في أول كتاب المبسوط: «أمّا بعد فإني لا أزال أسمع معاصر مخالفينا... يقولون... إنّ من ينفي القياس والاجتهاد لا طريق له إلى كثرة المسائل...»، ثمّ تسرّب مصطلح الاجتهاد والمجتهد إلى كتب أصول الفقه بمدرسة أهل البيت وإلى الإجازات التي يمنحها الشيوخ إلى تلامذتهم في رواية الحديث. وذلك أنّ الإجازات كانت تمنح في بادئ الأمر من الأستاذ المانح لتلميذه برواية الحديث عن المعصومين<sup>٣</sup>.

ثمّ تطورت وكانت تمنح برواية كتب الحديث التي قرأها التلميذ على الشيخ أو سمعها منه<sup>٤</sup>.

ثمّ شملت الإجازات الإجازة برواية الكتب التي قرأها التلميذ على شيخه حديثاً كان أو غير حديث ممّوب ذلك أصبحت تلك الإجازات شهادات علمية تمنح للخريجين<sup>٥</sup>.

ووجدنا في القرن الثامن بعض تلك الإجازات تصف العلماء بالمجتهدين، مثل ما وصف ابن العلامة الحلبي أباه في إجازته للشيخ محسن بن مظاهر المؤرخة (٧٤١ هـ)

(١) رجال الكشي ص ٣٧٥ رقم ٧٠٥.

(٢) رجال الكشي ص ٥٥٦ رقم ١٠٥٠، وخاتمة الوسائل ط. أمير بهادر ٣/٥٢٨، والأصول الأميلة للفيض ٥٦ - ٥٧.

(٣-٦) راجع: باب اتصال سلاسل أسناد المشايخ في مدرسة أهل البيت (ج) بهم، في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

فقد جاء فيها «والدي شيخ الإسلام إمام المجتهدين»<sup>١</sup>.

وما ورد في وصف ابن العلامة بإجازة الشيخ علي النيلي لابن فهد والمؤرخة (٥٧٩١ هـ): «شيخنا المولى الإمام العلامة خاتم المجتهدين»<sup>٢</sup>.  
وأخيراً كان يصرح في بعض تلك الإحازات أحياناً شهادة ببلوغ الخريج درجة الاجتهاد، كما كتب المجلسي محمد باقر بن تاريخ (١٠٨٥ هـ) إجازة رواية مؤلفاته لسبطه الخواتون آبادي، وصرح فيها ببلوغ درجة الاجتهاد<sup>٣</sup>.  
وفي العصور الأخيرة أخذ فقهاء مدرسة أهل البيت يصدرُونَ أحياناً شهادة خاصة لتلاميذهم ببلوغ درجة الاجتهاد.

هكذا تسرب مصطلح الاجتهاد والمجتهدين إلى عُرف أتباع مدرسة أهل البيت ولم يكن في حقيقته أكثر من اشتراك بين المدرستين في الاسم، ومع ذلك فإن الاشتراك في الاسم هذا أوهم بعض الأخباريين من أتباع مدرسة أهل البيت فشذوا في آراء لا مجال لذكرها. وإذا كان بين المدرستين اشتراك في الاسم فإنهم يختلفون في المحتوى.  
لأن فقهاء مدرسة أهل البيت لا يعتمدون آياً من الأصول الفقهية التي ابتدعها أتباع مدرسة الخلفاء والمبينة على أساس رأي المجتهدين بمدرستهم وإنما يعتمدون الكتاب والسنة في استنباط الأحكام، كما يتضح ذلك مما يأتي في الباب التالي إن شاء الله تعالى.

(١) البحار ج ١٠٧ / ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) البحار ج ١٠٧ / ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٣) البحار ج ١٠٥ / ٢٩.



## الفصل الرابع

### القرآن والسنة هما مصدرا التشريع لدى مدرسة أهل البيت

- أئمة أهل البيت (ع) لا يعتمدون الرأي في بيان الأحكام
- أحاديث أئمة أهل البيت مسنده إلى الله ورسوله
- أمر النبي (ص) علياً (ع) بأن يكتب لشركائه الأئمة
- كيف تداول الأئمة كتب العلم الذي توارثوه من
- جدّهم الرسول (ص) ورجوعهم إليها لدى الحاجة



إذا أردنا ان نبحث عن مصدر الأحكام في مدرسة أئمة أهل البيت بعد القرآن فلا بد لنا من الرجوع إلى مصادر الدراسة في مدرستهم خاصة، كما فعلنا ذلك في استكشاف اتجاه مدرسة الخلفاء في هذا الصدد ورجعنا إلى مصادر الدراسة في مدرستهم خاصة، وهذا ما تقتضيه الأمانة العلمية في البحث، وإذا رجعنا إلى مصادر الدراسة بمدرسة أهل البيت؛ وجدنا أن أئمة أهل البيت لم يعتمدوا في بيان الأحكام الإسلامية الرأي المستقى بالاجتهاد في عرف مدرسة الخلفاء، وإنما آسندوا إلى ما توارثوه عن رسول الله (ص) من حديث في كتب خاصة بهم، كما يتضح ذلك في البحوث الآتية :

### أئمة أهل البيت (ع) لا يعتمدون الرأي في بيان الأحكام

في الكافي: سأل رجل أبا عبد الله - الإمام جعفر الصادق - عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل: رأيته إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه، ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله، لسننا من (أرأيت) في شيء<sup>١</sup>.

### أحاديث أئمة أهل البيت مسندة إلى الله ورسوله

في بصائر الدرجات: مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله لسننا نقول برأينا

(١) الكافي ١/٥٨ من أصول الكافي تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت: ٣٢٨ هـ أو ٢٩ هـ) ط. طهران سنة ١٣٧٥ هـ، والوافي ١/٥٩ تأليف محمد بن مرتضى المشهور بجلا عمن الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ) ط. سنة ١٣٢٤ هـ.

من شيء<sup>١</sup>.

قال المجلسي: لما كان مراده — أي السائل — أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظن والاجتهاد؛ فقد نهاه (ع) عن هذا الظن، وبين له أنهم لا يقولون شيئاً إلا بالجزم واليقين وبما وصل إليهم من سيد المرسلين (ص)<sup>٢</sup>.

وفي بصائر الدرجات، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر (ع) أنه قال: لو أننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكنا حدثنا ببينة من ربنا بيننا لنبيته فينتها لنا<sup>٣</sup>.

وفيه أيضاً عن الفضيل عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال: بينة من ربنا بينها لنبيته (ص) فينتها نبيته لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس<sup>٤</sup>.

وفيه عن سماعة عن أبي الحسن (ع) قال قلت له: كل شيء تقول به في كتاب الله وستة «نبيه» أو تقولون فيه برأيكم؟ قال: بل كل شيء نقوله في كتاب الله وستة نبيه<sup>٥</sup>.

### توارث أئمة أهل البيت (ع) علومهم

في بصائر الدرجات عن داود بن أبي يزيد الأحول عن أبي عبد الله — الإمام الصادق — قال: سمعته يقول: أنا لو كنا نفقي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنا آثار من رسول الله أصل علم نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم<sup>٦</sup>.

(١) بصائر الدرجات ص ٣٠١ تأليف محمد بن الحسن الصفار (ت: ٢٩٠ هـ) ط ١٢٨٥ هـ.

(٢) بشرح الحديث من مرآة العقول للمجلسي محمد باقر (ت: ١١١١ هـ).

(٣) بصائر الدرجات ص ٢٩٩ ح ٢.

(٤) بصائر الدرجات ص ٣٠١ ح ٩.

وأبو القاسم الفضيل بن يسار مولى بني نهد من أصحاب الإمامين الباقر والصادق، كوفي انتقل إلى البصرة — قاموس الرجال ٣/٧.

(٥) بصائر الدرجات ص ٣٠١ ح ١، وفي نسختنا «نقول به في كتاب الله وستة» ولكنه بين الخطأ ويعرف الصواب من جواب الإمام «وستة نبيه» وأبو محمد سماعة بن مهران، بيع القزح حرمي، كوفي روى عن الإمام الصادق، بوله كتاب، قاموس الرجال ٣/٥.

(٦) بصائر الدرجات ص ٢٩٩.

وداود بن فرقد أبو يزيد الأسدي مولى أبي سمان الكوفي، روى عن الإمامين الصادق والكاظم (ع) قاموس الرجال ٤/٥٦.



٣١٣

وفيه عن جابر بثلاثة أسانيد قال أبو جعفر - الإمام الباقر (ع) -: يا جابر والله لو كنّا نحدّث الناس أو حدّثناهم برأينا لكنّا من الهالكين، ولو كنّا نحدّثهم بآثار عندنا من رسول الله (ص) يتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفصّتهم<sup>١</sup>.  
وفيه عن محمد بن شريح بثلاثة أسانيد: قال: قال أبو عبد الله (ع): لولا أنّ الله فرض طاعتنا وولايتنا وأمر بمودتنا ما أوقفناكم على أبوابنا ولا أدخلناكم بيوتنا، إنّما والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا ولا نقول إلّا ما قال ربنا، أصول عندنا نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفصّتهم<sup>٢</sup>.

**إسناد أحاديثهم إلى جدّهم الرسول (ص)**  
في الأحاديث السابقة صرح الأئمة من أهل البيت بأنّهم لا يرجعون إلى رأيهم في ما يقولون بل يحدّثون عن رسول الله (ص) وفي ما يلي أسناد أحاديثهم إلى جدّهم الرسول:  
عن سعاة بن مهران عن أبي عبد الله - الإمام الصادق (ع) - قال: إنّ الله علم رسوله الحلال والحرام والتأويل، وعلم رسول الله علمه كلّه علياً<sup>٣</sup>.  
وروى مثله عن حمران بن أعين بأربعة أسانيد، وعن كلّ من أبي بصير وأبي الأعزّ وحمّاد بن عثمان أيضاً مثله<sup>٤</sup>.

(١) بصائر الدرجات ص ٢٩٩ ح ١، وص ٣٠٠ ح ٤ و ٦، وجابر الجعفي ابن يزيد بن الحرث روى عن الإمامين الباقر والصادق (ت: ١٢٨ هـ).

(٢) بصائر الدرجات ٣٠٠ - ٣٠١ ح ٥ و ٧ و ١٠.

ومحمد بن شريح. أبو عبد الله الحضرمي. روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ٢١٣/٨.

(٣) بصائر الدرجات ص ٢٩٠ «باب في أمير المؤمنين (ع) إنّ النبي علمه العلم»، والنوائل ط سنة ١٣٢٣ - ١٣٢٤ هـ ج ٣/٣٩١ ح ١٩، ومستدرک الوسائل ط. سنة ١٣٢١ هـ ج ٣/١٩٢ ح ٢٨ عن تفسير العياشي.

(٤) بصائر الدرجات ص ٢٩٠ - ٢٩٢ حديث مهران رقم ٦ و ٧ و ١١، وحديث أبي بصير رقم ٨ وحديث أبي الأعزّ رقم ١٠ وحديث حماد رقم ١٢.

وفي حديث حمران رقم ٦ أنّ الرسول ناجاه في الطائف وأبو حمزة أو أبو الحسن حمران بن أعين الشيباني مولاهم تابعي ثقة، روى عن الإمامين الباقر والصادق. قاموس الرجال ٤١٣/٤.

وأبو بصير اثنان: أ - يحيى بن أبي القاسم مولى بني أسد المكشوف المكنى بأبي حمزة، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق، ويقال له: أبو بصير (مطلقاً بلا قيد). ب - أبو يحيى ليث بن البخترى المرادي ويقال له أبو بصير

وعن يعقوب بن شعيب بسندين عن أبي عبد الله (ع) قال: إن الله تعالى علم رسول الله القرآن وعلمه شيئاً سوى ذلك فما علم الله رسوله فقد علم رسوله علياً<sup>١</sup>.  
وعن محمد الحلبي عن أبي عبد الله قال: كان علي يعلم كل ما يعلم رسول الله ولم يعلم الله رسوله شيئاً إلا وقد علمه رسول الله أمير المؤمنين<sup>٢</sup>.

وعن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين (ع) قال كنت إذا سألت رسول الله (ص) أجبني وإن فنيت مسائل أبداً فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلا أقرانيها وأملأها عليّ وكتبها بيدي وعلمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها وكيف نزلت وأين نزلت وفيمن أنزلت إلى يوم القيامة دعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً فما نسيت آية من كتاب الله ولا على من أنزلت إلا أملاه عليّ<sup>٣</sup>.

يؤيد الحديث الماضي الأحاديث الثلاثة: بطبقات ابن سعد من مصادر مدرسة الخلفاء:

أ — عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، قال: قيل لعلي: مالك أكثر أصحاب رسول الله (ص) حديثاً؟ فقال: إني كنت إذا سأله أنبأني، وإذا سكّ ابتدأني.

ب — عن سليمان الأحسي عن أبيه، قال: قال علي: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت في ما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً.

ج — عن أبي الطفيل، قال: قال علي: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية

→ الأصغر روى عن الإمامين الصادقين — راجع المكنين بأبي بصير لصاحب قاموس الرجال. وحماد بن عثمان الفزاري روى عن الأئمة الصادق والكاظم والرضا قاموس الرجال ٣/٣٩٧.

(١) بصائر الدرجات ص ٢٩٠ — ٢٩١ ح ٣ و ٩. وأبو محمد يعقوب بن شعيب بن ميثم مولى بني أسد روى عن الإمامين الباقر والصادق قاموس الرجال ٩/٣٦٣.

(٢) بصائر الدرجات ص ٢٩٢ ح ١٣. ومحمد الحلبي أبو جعفر بن علي بن أبي شعيبه روى عن الإمام الصادق وتوفي في عصره. قاموس الرجال ٨/٢٧٦.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٩٨ ح ٣. وسليم بن قيس أبو صادق الهلالي العامري من أصحاب أمير المؤمنين وأدرك الأئمة حتى السجادة له كتاب. قاموس الرجال ٤/٤٤٥.

إلا وقد عرفت بلبيل نزلت أم بنهار في سهل نزلت أم في جبل<sup>١</sup>.  
وفي بصائر الدرجات: عن زيد بن علي قال قال أمير المؤمنين (ع): ما دخل  
راسي نوم ولا عهد إلي رسول الله (ص) حتى علمت من رسول الله (ص) ما نزل به  
جبرئيل في ذلك اليوم من حلال أو حرام أو ستة أوامر أو نهي فيما نزل فيه وفيمن نزل  
فخرجنا فلقيتنا المعتزلة، فذكرنا ذلك لهم فقالوا إن هذا الأمر عظيم كيف يكون هذا وقد  
كان أحدهما يغيب عن صاحبه فكيف يعلم هذا؟ قال فرجعنا إلى زيد فأخبرناه بردهم  
علينا فقال: يتحفظ على رسول الله (ص) عدد الأيام التي غاب بها فإذا آلتقيا قال له  
رسول الله (ص) يا علي نزل علي في يوم كذا، كذا وكذا وفي يوم كذا، كذا حتى  
يعدهما عليه إلى آخر اليوم الذي وافى فيه، فأخبرناهم بذلك<sup>٢</sup>.

تؤيد رواية زيد الماضية ثلاث روايات في سنن النسائي وابن ماجه ومسنده أحمد  
من مصادر الدراسات بمدرسة الخلفاء واللفظ للنسائي:

أ - عن عبد الله بن نجي قال، قال علي: كانت لي منزلة من رسول الله (ص)  
لم تكن لأحد من الخلائق، فكنت آتية كل سحر، فأقول: السلام عليك يا نبي الله،  
فإن تنحنح آنصرفت إلى أهلي وإلا دخلت عليه.

ب - قال علي: كان لي من رسول الله (ص) ساعة آتية فإذا أتيتته فيها  
استأذنت، إن وجدته يصلي تنحنح وإن وجدته فارغاً أذن لي.

ج - قال علي: كان لي على رسول الله مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار،  
فكنت إذا دخلت بالليل تنحنح لي<sup>٣</sup>.

\* \* \*

استعرضنا آنفا بعض ما ورد عن أخذ الإمام علي من رسول الله وفي مايلي

(١) طبقات ابن سعد بترجمة الامام علي ١٠١/٢/٢ ط. اروپا والحديث الاول اورده احمد بن حنبل في كتابه: (فضائل علي بن أبي طالب) المخطوط.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٩٧ ح ٤. وزيد بن علي بن الحسين خرج على عهد هشام يدعو للرضا من آل محمد وقتل في الكوفة لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٠ هـ. قاموس الرجال ٢٥٩/٤.

(٣) الروايات الثلاث في سنن النسائي ١٧٨/١ باب التنحنح في الصلاة وفي لفظه في الحديث الثاني «تنحنح دخلت» و«دخلت» زائدة.

الرواية الثالثة في سنن ابن ماجه ح ٣٧٠٨ من باب الاستئذان بكتاب الأدب.

أحاديث تبين كيفية أخذ أئمة أهل البيت من أبيهم الإمام علي (ع) وإن ذلك كان بأمر من رسول الله (ص).

### أمر النبي (ص) علياً (ع) بأن يكتب لشركائه الأئمة (ع)

في أمالي الشيخ الطوسي وبصائر الدرجات وينابيع المودة واللفظ للأول عن أحمد بن محمد بن علي الباقر عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص) لعلي: «أكتب ما أملي عليك» قال: يا نبي الله! أتخاف عليّ النسيان؟ قال: «لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن أكتب لشركائك» قال: قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟ قال: «الأئمة من ولدك بهم تسقى أمتي الغيث، وبهم يستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم تنزل الرحمة من السماء» وأومئ إلى الحسن وقال: «هذا أولهم» وأومئ إلى الحسين (ع) وقال: «الأئمة من ولده»<sup>١</sup>.

وإلى هذا أشار الإمام علي في حديثه بمسكن كما رواه أبوأراكة قال: كتبا مع علي (ع) بمسكن فحدثنا أن علياً ورث من رسول الله السيف، وبعض يقول: البغلة، وبعض يقول: ورث صحيفة في حائل السيف إذ خرج علي (ع) ونحن في حديثه، فقال: أيم الله لوأنشط ويؤذن لي لحذتكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفاً وأيم الله عندي لصحف كثيرة قطائع رسول الله وأهل بيته وإن فيها لصحيفة يقال لها العبيطة، وماورد على العرب أشدّ منها، وإن فيها لستين قبيلة مبهجة ماها في دين الله من نصيب<sup>٢</sup>.

\* \* \*

→

والرواية الأولى بمسند أحمد ٨٥/١ ح ٦٤٧ والثانية في ج ١٠٧/١ منه رقم الحديث ٨٤٥ ولفظه كنت آتي رسول الله (ص) كل غداة فإذا تنحنح دخلت فإذا سكت لم أدخل.

والشالطة في ج ٨٠/١ منه رقم الحديث ٦٠٨، وحذف البخاري صدر الحديث وأورد آخره بترجمة نحوي من تاريخه ١٢١/٢/٤.

١) الأمالي للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) ط. مطبعة النعمان، النجف سنة ١٣٨٤ هـ ج ٥٦/٢.

وبصائر الدرجات ص ١٦٧ عن أبي الطفيل عن أبي جعفر وينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي (ت: ١٢٩٤ هـ) ص ٢٠.

ورجعنا إلى النسخة المطبوعة بدار الخلافة العثمانية سنة ١٣٠٢ هـ.  
٢) بصائر الدرجات ص ١٤٩ وقريب منه في ص ١٥٩ ح ١٥ وأبوأراكة كان من سكان الكوفة على

ثم توارث الأئمة من ولد الإمام عليّ تلك الصحف كابراً عن كابر كما صرّحت بذلك الروايات التالية:

في بصائر الدرجات عن جابر بن يزيد، قال: قال أبو جعفر الباقر: إن عندي لصحيفة فيها تسعة عشر صحيفة قد حباها رسول الله<sup>١</sup>.

وعن الفضيل بن يسار، قال: قال أبو جعفر (ع): يافضيل! عندنا كتاب عليّ سبعون ذراعاً ما على الأرض شيء يحتاج إليه ألا وهو فيه حتى أرش الخدش<sup>٢</sup> ثم خطه بيده على إبهامه<sup>٣</sup>.

وعن حران بن أعين عن أبي جعفر (ع) قال: أشار إلى بيت كبير وقال: يا حران إن في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخط عليّ وإملاء رسول الله، ولو ولينا الناس لحكمتنا بما أنزل الله لم نعد ما في هذه الصحيفة<sup>٤</sup>.

وعن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر: إن عندنا صحيفة من كتب علي طولها سبعون ذراعاً فنحن نتبع ما فيها لا نعدوها. وسألته عن ميراث العلم ما بلغ! أجوامع هو من العلم أم فيه تفسير كل شيء من هذه الأمور التي تتكلم فيه الناس مثل الطلاق والفرائض؟ فقال: إن عليّاً كتب العلم كله القضاء والفرائض فلو ظهر أمرنا لم يكن شيء إلا فيه، نضيبها<sup>٥</sup>.

وفي رواية أخرى: فلو ظهر أمرنا فلم يكن شيء إلا وفيه ستة نضيبها<sup>٦</sup>.

وفيه عن محمد بن مسلم عن أحد همازي الإمام الباقر أو الإمام الصادق (ع). قال:



عهد الإمام حتى عصر زياد بن أبيه كما يعلم ذلك من ترجمته بقاموس الرجال ج ١٠/٧.

ومسكن موضع على نهر دجيل في العراق، وقصد الإمام من (قطائع رسول الله وأهل بيته) مختصاتهم،

ومبهرجة: باطلة وردية.

(١) بصائر الدرجات ص ١٤٤.

(٢) دية الجراحات.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٤٧ أرى في الحديث تقدماً وتأخيراً والصواب «ثم خطّ بإبهامه على يده».

(٤) بصائر الدرجات ص ١٤٣.

(٥) بصائر الدرجات ص ١٤٣. أبو جعفر الأوقص محمد بن مسلم بن رباح الطحان التقني مولاهم روى عن الباقر (ع)، له كتاب: «الأربعمانسة مسألة في أبواب الحلال والحرام» (ت: ١٥٠ هـ)، قاموس الرجال

٣٧٨/٨.

(٦) بصائر الدرجات ص ١٦٤.

إن عندنا صحيفة من كتاب علي أو مصحف علي (ع) طولها سبعون ذراعاً فنحن نتبع ما فيها فلا نعدوها<sup>١</sup>.

وعن عبدالله بن ميمون عن جعفر عن أبيه قال: في كتاب عليّ (ع) كل شيء يحتاج إليه حتى الخدش والأرش والهرش<sup>٢</sup>.

الهرش بسكون الراء الاشتداد وبكسرهما سوء الخلق.

وفيه عن مروان قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: عندنا كتاب علي (ع) سبعون ذراعاً<sup>٣</sup>.

وفي رواية قال: ما ترك علي شيئاً إلا كتبه حتى أرش الخدش<sup>٤</sup>.

وعن أبي عبدالله قال: والله إنَّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش أملاه رسول الله (ص) وكتبه عليّ بيده<sup>٥</sup>.

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله، قال: سمعته يقول: إنَّ عندنا جلدًا سبعون ذراعاً أملى رسول الله وخطه عليّ بيده وإنَّ فيه جميع ما يحتاجون إليه حتى أرش الخدش<sup>٦</sup>.

وعن منصور بن حازم قال سمعت أبا عبدالله يقول: عندنا صحيفة فيها ما يحتاج إليه حتى إنَّ فيها أرش الخدش<sup>٧</sup>.

وعن عثمان بن زياد قال: دخلت على أبي عبدالله (ع) فقال لي: إجلس فجلست فضرب يده بإصبعه على ظهر كتي فسحها عليه ثم قال: عندنا أرش هذا فما

(١) بصائر الدرجات ص ١٤٦.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٦٤ و ١٤٨.

وعبدالله بن سنان بن طريف مولى بني هاشم كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد كوفي ثقة روى عن الإمام الصادق وقيل عن الإمام الكاظم له عدة كتب قاموس الرجال ٤٧٥/٥.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٤٧.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٤٨.

(٥) بصائر الدرجات ص ١٤٥.

(٦) بصائر الدرجات ص ١٤٧ وفي ص ١٤٣ أخصر لفظاً وعبدالله بن ميمون القداح مولى غزوم مكي

روى عن الإمام الصادق، عنه ابن النديم من فقهاء الشيعة قاموس الرجال ١٥٨/٦.

(٧) بصائر الدرجات ص ١٥٤ وفي ١٤٦ زيادة في آخر الحديث ومنصور بن حازم الكوفي أسدي أو مولى

بجيلة روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ١٢٧/٩.

دونه<sup>١</sup>.

و عن منصور بن حازم وعبدالله بن أبي يعفور قال، قال أبو عبدالله: إن عندي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها ما يحتاج إليه حتى أن فيها أرش الخلدش<sup>٢</sup>.

و عن عبد الرحمن بن أبي عبدالله عن أبي عبدالله (ع) قال: سمعته يقول: إن في البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً ما خلق الله من حلال ولا حرام إلا وفيها حتى أرش الخلدش<sup>٣</sup>.

و عن محمد بن عبد الملك قال: كُتِبَ عند أبي عبدالله (ع) نحواً من ستين رجلاً، قال فسمعته يقول: عندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعاً ما خلق الله من حلال أو حرام إلا وهو فيها حتى أن فيها أرش الخلدش<sup>٤</sup>.

و عن سليمان بن خالد: قال: سمعت أبا عبدالله يقول: إن عندنا لصحيفة سبعين ذراعاً إماماً رسول الله (ص) وخط علي (ع) بيده ما من حلال ولا حرام إلا وهو فيها حتى أرش الخلدش<sup>٥</sup>.

و عن حماد قال: سمعت أبا عبدالله يقول: ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدار وإن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة وإن عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعاً، ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا فيها، فما كان من الطريق فن الطريق وما كان من الدور فن الدور حتى أرش الخلدش والجلدة ونصف الجلدة<sup>٦</sup>.

و عن عبدالله بن أيوب عن أبيه قال: سمعت أبا عبدالله يقول: ما ترك علي

(١) بصائر الدرجات ص ١٥٩ وفي ص ١٤٨ مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٤.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٤٥.

عبد الرحمن بن أبي عبدالله ميمون بصري من أهل الكوفة ممن روى عن الصادق. قاموس الرجال ٢٧٥/٥.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٤٤. ومحمد بن عبد الملك لعله أحد اثنين: أنصاري كوفي نزل بغداد — أو أبو جعفر الواسطي الدقيقي. قاموس الرجال ٢٥٧/٨.

(٥) بصائر الدرجات ص ١٤٤. وأبو الربيع سليمان بن خالد الكوفي الهلالي مولا هم ممن روى عن الإمام الباقر والصادق وتوفي في حياة الصادق. قاموس الرجال ٤٦٣/٤.

(٦) بصائر الدرجات ص ١٤٨. وفي أصول الكافي ٥٩/١، والوافي ٦١/١ وليس فيها من «وإن حلال» إلى ولا حراماً إلا فيها.

٣٢٠

شيئته وهم يحتاجون إلى أحد في الحلال والحرام حتى إننا وجدنا في كتابه أرش الخدش قال: ثم قال: أما إنك إن رأيت كتابه لعلمت أنه من كتب الأولين<sup>١</sup>.

وعن محمد بن حكيم عن أبي الحسن (ع) قال: إننا هلك من كان قبلكم بالقياس، وإن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه حتى أكمله جميع دينه في حلاله وحرامه فجاءكم بما تحتاجون إليه في حياته وتستغيثون به وبأهل بيته بعد موته وإنها صحيفة عند أهل بيته حتى إن فيها أرش الخدش ثم قال: إن أبا حنيفة مثنى يقول: قال علي (ع) وقلت أنا<sup>٢</sup>.

وفي بصائر الدرجات والكافي واللفظ للأول: عن بكر بن كريب الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ما لهم ولكم وما يريدون وما يعيبنكم؟ يقولون: الرافضة، نعم والله رفضتم الكذب واتبعتم الحق، أما والله إن عندنا ما لا نحتاج إلى أحد والناس يحتاجون إلينا، إن عندنا الكتاب بأملاء رسول الله (ص) وخطه علي بيده صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها كل حلال وحرام<sup>٣</sup>.

### اسم كتاب علي (ع) في الأحكام

وقد سُمي الأئمة من أهل البيت اسم كتاب علي الذي أملى عليه رسول الله فيه الأحكام: الجامعة، كما ورد في الروايات التالية:

في الكافي وبصائر الدرجات واللفظ للأول، عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي عبد الله فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله (ع) سترًا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك. قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله علم علياً (ع) باباً يفتح منه ألف باب - إلى قوله - قال: يا أبا محمد! إن عندنا الجامعة، وما يدرهم ما الجامعة، قال: قلت جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون

(١) بصائر الدرجات ١٦٦، وعبد الله بن أيوب روى عن الإمام الصادق، قاموس الرجال ٣٩١/٥.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١٥٠، وفي ص ١٤٦ مع زيادة يسيرة، ومحمد بن حكيم ممن روى عن الإمام الكاظم (ع) قاموس الرجال ١٥١/٨.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٤٩ ح ١٤، وص ١٥٤ ح ٧، وفي ص ١٤٢ ح ١ باختلاف في اللفظ، واصل الكافي ج ٢٤١/١ ح ٦٠، والوافي ١٣٥/٢. وبكر بن كريب الصيرفي كوفي روى عن الإمامين الصادقين. قاموس الرجال ٢٢٥/٢.



ذراعاً بذراع رسول الله وأملاه من فلق فيه وخط عليّ بيمينه فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرض في الخدش وضرب بيده إليّ، فقال: تأذن لي يا أبا محمد! قال: قلت: جعلت فداك إنّنا أنالك فأصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرض هذه كأنه مغضب — قال: قلت: هذا والله العلم... الحديث<sup>١</sup>.

وعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنّ عندنا لصحيفة يقال لها الجامعة ما من حلال وما من حرام إلّا وهو فيها حتى أرض الخدش<sup>٢</sup>.

وفي رواية: إنّ عندنا لصحيفة سبعين ذراعاً إملاء رسول الله وخط عليّ بيده ما من حلال ولا حرام إلّا وهو فيها حتى أرض الخدش<sup>٣</sup>.

وعن علي بن رثاب عن أبي عبد الله إنه سئل عن الجامعة، فقال تلك صحيفة سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه وليس قفسيّة إلّا وهي فيها حتى أرض الخدش<sup>٤</sup>.

وفي بصائر الدرجات أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله — الإمام الصادق — قال: سمعته يقول وذكر ابن شبرمة في فتياه فقال: أين هو من الجامعة؟ أملى رسول الله (ص) وخطه عليّ بيده فيها جميع الحلال والحرام حتى أرض الخدش فيها؟

وفي الكافي وبصائر الدرجات، عن أبي شيبه قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة، إملاء رسول الله وخط عليّ (ع) بيده إنّ الجامعة لم تدع لأحد كلاماً، فيها علم الحلال والحرام، إنّ أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا إلّا بعداء، إنّ دين الله لا يصاب بالقياس<sup>٥</sup>.

هكذا كان أئمة أهل البيت يتبرأون من القول بالرأي، ويستندون في أقوالهم إلى

(١) أصول الكافي ج ٢٣٩/١ ح ١، وبصائر الدرجات ص ١٥١ — ١٥٢، والوافي ١٣٥/٢ والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٢ — ١٤٣.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٤٣.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٤٢ وفي ١٤٩ إلى: لي عرض الأديم، على بن رباب الطحان الكوفي روى عن الإمام الصادق، قاموس الرجال ٤٨٩/٦.

(٥) بصائر الدرجات ص ١٤٦ و ١٤٥ و ١٤٨.

(٦) أصول الكافي ٥٧/١ ح ١٤ وبصائر الدرجات ص ١٤٦ و ١٤٩ — ١٥١ والوافي ٥٨/١. أبو شيبه

الأسدي روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ٩٩/١٠.

ما روه عن رسول الله عن جبريل عن الباري عز اسمه.  
أما ابن شبرمة هذا فهو عبد الله بن شبرمة الضبي الشاعر الكوفي. كان قاضياً  
لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة (ت: ١٤٤ هـ) <sup>١</sup>.

### كتاب الجفر ومصحف فاطمة

يظهر من بعض الأحاديث أنه كان لدى الأئمة كتابان من أبيهم الإمام عليّ  
اسم أحدهما الجامعة فيه أحكام الحلال والحرام، وآخر يسمونه بالجفر فيه أنباء الحوادث  
الكائنة.

وكتاب ثالث من أمهم فاطمة بنت رسول الله (ص) يستونه مصحف فاطمة،  
فيه أنباء من الحوادث الكائنة. والكتب الثلاثة كانت بخط الإمام عليّ وفي مايلي بيان  
عنها من أحاديث وردت عن أئمة أهل البيت.

في بصائر الدرجات: عن أبي مريم قال قال لي أبو جعفر (ع): عندنا الجامعة وهي  
سبعون ذراعاً فيها كل شيء حتى أرش الخدش إلاء رسول الله (ص) وخط عليّ (ع)  
وعندنا الجفر وهو أديم عكاظي قد كتب فيه حتى ملئت أكارعه، فيه ما كان وما هو  
كائن إلى يوم القيمة <sup>٢</sup>.

وفي بصائر الدرجات: بأكثر من سند عن الإمام الصادق قال: قال أبو  
عبد الله (ع) 'الأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عما خلف رسول الله (ص) إلى عليّ (ع)  
وعما خلف عليّ إلى الحسن: لقد خلف رسول الله (ص) عندنا ما فيها كل ما يحتاج  
إليه حتى أرش الخدش والظفر وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن... الحديث <sup>٣</sup>.

وفيه عن أبان بن عثمان عن علي بن الحسين عن أبي عبد الله - الصادق -  
قال: إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس،  
فقال: صدق والله عبد الله بن الحسن ما عنده من العلم إلا ما عند الناس، ولكن  
عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر، أي دري عبد الله بن الحسن

(١) الكنى والألقاب ١/٣١٣.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٦٠. والكراع من كل شيء طرفه.

أبو مريم مولى الإمام الصادق ويروى عنه، قاموس الرجال ١٠/١٨٥.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٥٦ وأوردت موضع الحاجة من الحديث.

٣٢٣

ما الجفر؟ مسك معز أم مسك شاة؟<sup>١</sup> وعندنا مصحف فاطمة. أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله وخطّ علي، كيف يصنع عبد الله إذا جاء الناس من كلّ أفق يسألونه؟<sup>٢</sup>

وفيه أيضاً عن أبان بن عثمان عن علي بن أبي حمزة نظيره وفي آخره: أما ترضون أن تكونوا يوم القيامة آخذين بحجزتنا ونحن آخذون بحجزه نبيّنا ونبيّنا آخذ بحجزه ربّه؟<sup>٣</sup>

### سلاح رسول الله وكتبه

في بصائر الدرجات، عن علي بن سعيد أنّ أبا عبد الله الصادق قال في حديثه: «إنّ عندنا سلاح رسول الله وسيفه ودرعه، وعندنا والله مصحف فاطمة ما فيه آية من كتاب الله وإنّه لإملاء رسول الله وخطّه علي بيده، وعندنا والله الجفر وما يدرون ما هو أمسك شاة أو مسك بعير؟ ثمّ أقبل إلينا وقال: إلبشروا أما ترضون أنكم تحيئون يوم القيامة آخذين بحجزه علي (ع) وعلي آخذ بحجزه رسول الله (ص)»<sup>٤</sup>.

وفيه، عن محمد بن عبد الملك قال: كتنا عند أبي عبد الله (ع) نحواً من ستين رجلاً وهو وسطنا، فجاء عبد الخالق بن عبد ربّه فقال له: كنت مع إبراهيم بن محمد جالساً فذكروا أنّك تقول: إنّ عندنا كتاب علي (ع) فقال: لا والله ما ترك علي كتاباً وإن كان ترك علي كتاباً ما هو إلّا آهاب ولوددت أنّه عند غلامي هذا فما أبالي عليه قال: فجلس أبو عبد الله (ع) ثمّ أقبل علينا فقال: ما هو والله كما يقولون إنّهما جفران مكتوب فيهما، لا والله إنّهما لإهابان عليها أصوافهما وإشعارهما مدحوسين كتبنا في أحدهما وفي

(١) بصائر الدرجات ص ١٥٧ — ١٥٨. وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أمّه فاطمة بنت الحسين سجنه وبنى أبيه المنصور بالمدينة عام ١٤٢ هـ وحلهم عام ١٤٤ هـ إلى مدينة الهاشمية وقتلهم في الحبس بضروب من القتل، منهم من دفنه حياً وطرح على عبد الله بيتاً.

ولد محمد الملقب بصاحب النفس الزكية وخرج هذا على أبي جعفر وقتل بالمدينة سنة ١٤٥ هـ.

وولد إبراهيم الذي خرج في البصرة بعد أخيه محمد وقتل في السنة نفسها. حوادث سنة ١٤٢ — ١٤٥ من تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٦١ و ٥١ وأخذ بحجزته اعتصم به والتجأ إليه مستجيراً.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٥٣.

وعلي بن سعيد البصري روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ٢/٧.

الآخر سلاح رسول الله (ص) وعندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعاً ما خلق الله من حلال وحرام إلا وهو فيها حتى إن فيها أرش الخدش - قام بظفره على ذراعه فخط به - وعندنا مصحف أما والله ما هو بالقرآن<sup>١</sup>.

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله قال: ذكر له وقية ولد الحسن وذكرنا الجعفر فقال: والله إن عندنا الجلدي معز وضأن أملاها رسول الله وخطه علي وإن عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً أملاها رسول الله وخطها علي بيده وإن فيها لجميع ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش<sup>٢</sup>.

وفي رواية أبي القاسم الكوفي، قال: ذكر ولد - الإمام - الحسن الجعفر فقالوا ما هذا بشيء فذكر بشر ذلك لأبي عبدالله (ع) فقال: نعم هما إهابان إهاب معز وإهاب ضأن مملوءان علماً... الحديث<sup>٣</sup>.

وفي حديث عبدالله بن سنان: خط علي وإملاء رسول الله (ص) من فلق فيه<sup>٤</sup>.

وعن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبدالله (ع): إن في الجفر الذي يذكرونه لما يسوؤهم لأنهم لا يقولون الحق والحق فيه، فليخرجوا قضايا علي وفرايضه إن كانوا صادقين، وسلوهم عن الخالات والعمات، وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله... الحديث<sup>٥</sup>.

وعن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله إنه قال في بني عمه: لو أنكم سألوكم وأجبتموهم كان أحب إلي أن تقولوا لهم: إنا لسنا كما يبلغكم ولكننا قوم نطلب هذا العلم، عند من هو؟ ومن صاحبه؟ فإن يكن عندكم فليأتنا تتبعكم إلى من يدعوننا إليه، وإن يكن عند غيركم فإنا نطلبه حتى نعلم من صاحبه، وقال: إن الكتب كانت عند علي ابن أبي طالب (ع) فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة، فلما قتل كانت عند الحسن، فلما هلك الحسن كانت عند الحسين، ثم كانت عند أبي... الحديث<sup>٦</sup>.

(١) بصائر الدرجات ص ١٥١.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٥ و ١٥٩.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٥٥.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٥٥. (٥) بصائر الدرجات ص ١٥٧ وفي ١٥٨ منه بإيجاز.

(٦) بصائر الدرجات ص ١٦٧ وفي ١٥٨ بإيجاز. معلى بن خنيس المدني مولى الإمام الصادق ويروي عنه.

قاموس الرجال ٥٦/٩.

٣٢٥

وفيه عن علي بن سعد أو سعيد قال كنت قاعداً عند أبي عبد الله (ع) وعنده أناس من أصحابنا فقال له معلّى بن خنيس: جعلت فداك، ماذا لقيت من الحسن بن الحسن ثم قال له الطيّار: جعلت فداك بينا أمشي في بعض السكك إذ لقيت عمّاد بن عبد الله بن الحسن على حمار له حوله بعض الزيدية.

ثم ذكر ما دار بينهما فقال الإمام في جوابه في الجفر: فإنّما هو جلد ثور مدبوغ كالجراب فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام، إلهاء رسول الله وخطفه علي (ع) بيده، وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن وإنّ عندي خاتم رسول الله (ص) ودرعه وسيفه ولواؤه، وعندي الجفر على رغم أنف من رغم<sup>١</sup>.

وعن عنبسة بن مصعب قال كتبا عند أبي عبد الله... وفي آخر الحديث قول الإمام عن الجفرين: ينطق أحدهما بصاحبه، وفيه سلاح رسول الله والكتب ومصحف فاطمة أما والله ما أزعّم أنّه قرآن<sup>٢</sup>.

ويظهر من بعض الأحاديث أنّ في مصحف فاطمة - بالإضافة إلى ما ورد في ما سبق - أحاديث من ملك كان يحدثها بعد وفاة الرسول ليسليها كما في رواية حماد بن زيد في الكافي عن الإمام الصادق: إنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه (ص) دخل على فاطمة (ع) من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ، فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمّها ويحدثها - إلى قوله - فأعلمته بذلك أي أعلمت الإمام عليّاً فجعل يكتب كلّما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً قال: ثم قال: أما إنّ فيه شيء من الخلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون<sup>٣</sup>.

وعن أبي عبيدة قال: سألت أبا عبد الله بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علماً قال له: فالجامعة؟ قال تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه وليس من قضية إلّا وهي فيها حتّى أرش الخدش.

(١) بصائر الدرجات ص ١٥٦ و ١٦٠.

(٢) بصائر الدرجات ١٥٤ وكان في بقية الحديث خروج عن موضوع البحث وبجاجة إلى شرح وبيان لايسع المقام إيرادها، ونوصي الباحثين بمطالعة لاهيته، وفي ص ١٦١ منه مختصراً. عنبسة بن مصعب العجلي الكوفي روى عن الإمام الباقر والصادق. قاموس الرجال ٢٤٢/٧.

(٣) أصول الكافي ١/٢٤٠ ح ٢ وحماد بن زيد بن عقيل الحارثي الكوفي روى عن الإمام الصادق (ع). قاموس الرجال ٣/٣٩٤.

قال فمصحف فاطمة (ع)؟ قال: فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون. إن فاطمة مكثت بعد رسول الله (ص) خمسة وسبعين يوماً — إلى قوله —.

فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها، ومكانه ويخبرها ما يكون بعدها في ذريتها. وكان علي يكتب ذلك... الحديث<sup>١</sup>.

\* \* \*

تواترت الأخبار بأن أئمة أهل البيت ورثوا كتاب الإمام علي (الجامعة) في الأحكام، والجفر، ومصحف فاطمة، وفيها أنباء الحوادث الكائنة، ويظهر من بعض الأحاديث السابقة والآية أن هذه الكتب كانت في وعاء من جلد ثور يستمونه بالجفر الأبيض، وما ورثوه من سلاح رسول الله (ص) كان في وعاء من جلد ثور يستمونه بالجفر الأحمر:

### وعاءان فيها موارث الإمامة

في الكافي وبصائر الدرجات: عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: عندي الجفر الأبيض، قال: قلت فأتي شيء فيه؟ قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، ومصحف إبراهيم (ع)، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما أزعج أن فيه قرآنًا، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش، وعندي الجفر الأحمر، قال: قلت: وأتي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح... الحديث<sup>٢</sup>.

ويقصد الإمام من «وفيه ما يحتاج الناس إلينا...» إن في الجفر كتاب علي، وفي كتاب علي ما يحتاج الناس إليه.

وعن أبي حمزة عن أبي عبد الله قال: مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله وإنما هوشية أتي عليها بعد موت أبيها (ص)<sup>٣</sup>.

(١) أصول الكافي ١/٢٤١ ح ٥، وبصائر الدرجات ص ١٥٣، والوافي ٢/١٣٥، والفالح:

الجميل العظيم ذو السنامين.

(٢) أصول الكافي ١/٢٤٠ ح ٣، وبصائر الدرجات ١٥٠-١٥١، والإرشاد للمفيد ص ٢٥٧ مع اختلاف في اللفظ. الحسين بن أبي العلاء أبو علي الخفاف الأعور يروي عن الإمام الصادق عليه السلام. قاموس الرجال ٣/٢٦٢.

(٣) بصائر الدرجات ١٥٩.

وفي رواية: عندي مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن<sup>١</sup>  
ولأنما يؤكد الإمام في حديث بعد حديث أنه ليس في مصحف فاطمة قرآن لئلا  
يلتبس على الناس لفظ المصحف كما ألتبس على بعضهم في عصرنا.  
وفي بصائر الدرجات: عن علي بن سعيد قال: كنت قاعداً عند أبي عبد الله  
— الإمام الصادق — (ع) وعنده أناس من أصحابنا فقال له معلّى بن خنيس: جعلت  
فذاك! ما لقيت من الحسن بن الحسن ثم قال له الطّيار: جعلت فذاك! بينا أمشي في بعض  
السكك إذ لقيت محمد بن عبد الله بن الحسن على حمار حوله أناس من الزيدية — إلى  
أن قال أبو عبد الله —.

وأما قوله في الجفر فإنما هو جلد ثور مدبوغ كالجراب فيه كتب وعلم ما يحتاج  
إليه الناس إلى يوم القيامة من حلال وحرام وإملاء رسول الله وخطة عليّ (ع) بيده  
وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن وإنّ عندي خاتم رسول الله ودرعه وسيفه  
ولواؤه وعندي الجفر على رغم أنف من رغم<sup>٢</sup>.  
روي هذا الحديث بسندين أوردا أتمها<sup>٣</sup>.

\* \* \*

ما أوردناه في هذا الباب من شرح مصادر العلوم بمدرسة أهل البيت لم يكن من  
باب حصر مصادر علوم أئمة أهل البيت بها، بل مصداقاً لقاعدة: «إثبات الشيء لا ينفي ما  
عده» وقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر أنّه قال: مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض  
وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسّر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في  
القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا ولا نبني بعد نبينا<sup>٤</sup>.

### شرح الحديث:

ملخص ما ذكره المجلسي (ره) بمرآة العقول: «مبلغ علمنا» أي غايته وكماله  
أو محلّ بلوغه ومنشؤه. «ماض» ما تعلق بالأمر الماضي. «غابر» ما تعلق بالأمر

(١) بصائر ١٥٤. وأبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفية دينار له كتاب. روى عن الأئمة علي بن الحسين  
والباقر والصادق. قاموس الرجال ٢/٢٧٠ و ١٠/٥٣.

(٢) بصائر الدرجات ١٥٦.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٦٠ و ١٦١ وفيها الرواية الموجزة.

(٤) أصول الكافي ١/٢٦٤ باب جهات علوم الأئمة وشرحه بمرآة العقول ٣/١٣٦.

الآتية والغابر: الباقي والماضي، من الأضداد. «فأما الماضي ففسر» أي فسرنا لنا رسول الله (ص)، «وأما الغابر» أي العلوم المتعلقة بالأمور الآتية المحتومة؛ «فزبور» أي مكتوب لنا في الجامعة ومصحف فاطمة وغيرهما والشرائع والأحكام داخل فيها أو في أحدهما «وأما الحادث» وهو ما يتجدد من الله حتمه من الأمور أو العلوم والمعارف الربانية أو تفصيل المجملات، «فقدف في القلوب»: بالإلهام من الله تعالى بلا توسط ملك.

«أو نقر في الأسماع» بتحديث الملك إيتاهم، وكونه من أفضل علومهم لاختصاصه بهم ولحصوله بلا واسطة بشر أو لعدم اختصاص العلمين الأولين بهم إذ قد أطلع على بعضهما بعض خواص الصحابة مثل سلمان وأبي ذر بأخبار النبي (ص) وقد رأى بعض أصحابهم (ص) مواضع من تلك الكتب، ولما كان هذا القول منه (ع) يومهم لدعاء النبوة فإن الأخبار عند الناس مخصوص بالأنبياء فقد نفى (ع) ذلك الوهم بقوله: «ولا نبي بعد نبينا» وذلك لأن الفرق بين النبي والمحدث إنما هو برؤية الملك عند إلقاء الحكم للنبي وعدمها بالأسماع من الملك للمحدث. انتهى.

وفي الكافي عن الإمام محمد الباقر (ع) قال: إن أوصياء محمد عليه وعليهم السلام محدثون.

وعن أبي الحسن موسى، قال: الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون.

وعن محمد بن مسلم، قال: ذكر المحدث عند أبي عبد الله (ع) فقال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص فقلت: له: جعلت فداك، كيف يعلم أنه كلام الملك؟ قال: إنه يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك<sup>١</sup>.

نجد في كتب الحديث بمدرسة الخلفاء أحاديث تثبت نظير هذه الصفات لبعض الخلفاء مثل ما روت أم المؤمنين عائشة في حق الخليفة عمر، قالت: قال رسول الله (ص): «قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم».

وروى أبو هريرة أيضا نظير هذا الحديث في حق الخليفة عمر<sup>٢</sup>. ومهما ورد في

(١) الأحاديث الثلاثة: في أصول الكافي ٢٧٠/١ — ٢٧١ باب: إن الأئمة (ع) محدثون مفهمون.

(٢) رواية عائشة في صحيح مسلم، باب فضائل الصحابة ح ٢، ومسند أحمد ٥٥/٦، ورواية أبي هريرة

في صحيح البخاري ١٧٣/٢، ومسند الطيالسي ح ٢٣٤٨.



مصادر مدرسة الخلفاء فإنه لم يرد فيها أن أحدهم ورث عن رسول الله كتاباً مثل ماورد ذلك في حق أئمة أهل البيت بكلّ وضوح وتفصيل. وفي مايلي كيفية تداول أئمة أهل البيت كتب العلم التي ورثوها عن رسول الله (ص).

### كيف تداول الأئمة كتب العلم؟

#### الأئمة علي والحسنان والسجاد والباقر

في بصائر الدرجات: عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله - الإمام الصادق (ع) - قال: إنّ الكتب كانت عند علي (ع) فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة فلما مضى علي كانت عند الحسن، فلما مضى الحسن كانت عند الحسين، فلما مضى الحسين كانت عند علي بن الحسين، ثم كانت عند أبي - الإمام الباقر -<sup>١</sup>. وفي بصائر الدرجات ثلاث روايات أخرى اثنتان منها عن أم سلمة قالت: إنّ رسول الله استودعها كتاباً فسلمته الإمام عليّاً بعد رسول الله وثالثة عن ابن عباس أيضاً بالمعنى نفسه<sup>٢</sup>.

الكافي عن سليم بن قيس، قال: شهدت وصية أمير المؤمنين حين أوصى إلى ابنه الحسن (ع) وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ثم دفع إليهم الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن: يا بني؟ أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله ودفع إلي كتبه وسلاحه وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين ثم أقبل على ابنه الحسين فقال له: وأمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك هذا ثم أخذ بيد علي بن الحسين ثم قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي وأقرأه من رسول الله (ص) ومتي السلام<sup>٣</sup>.

قال المؤلف: ما سلمه الإمام هنا إلى ابنه الحسن كتاب واحد وهو غير الكتب التي أودعها عند أم المؤمنين أم سلمة بالمدينة عند هجرته من المدينة، والتي تسلمها الإمام الحسن منها عند عودته إلى المدينة.

(١) بصائر الدرجات ص ١٦٢.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٦٣ ح ٤، وص ١٦٦ ح ١٦، وص ١٦٨ ح ٢٣.

(٣) الكافي والوافي ٧٩/٢.

٣٣٠

### الإمام علي بن الحسين (ع) خاصة

وفي غيبة الشيخ الطوسي، ومناقب ابن شهر آشوب، والبحار: عن الفضيل قال: قال لي أبو جعفر - الإمام الباقر (ع) -: لما توجه الحسين (ع) إلى العراق، دفع إلى أم سلمة زوج النبي (ص) الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فأدعي إليه ما دفعت إليك، فلما قتل الحسين (ع) أتى علي بن الحسين أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاهها الحسين (ع)¹.

وفي الكافي وإعلام الوري، ومناقب ابن شهر آشوب، والبحار واللفظ للأول، عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله - الإمام الصادق (ع) - قال: إن الحسين (ع) لما سار إلى العراق استودع أم سلمة (رض) الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين (ع) دفعها إليه².

وكان ذلك غير الوصية التي كتبها في كربلاء ودفعها مع بقية موارث الإمامة إلى ابنته فاطمة فدفعتها إلى علي بن الحسين وكان يومذاك مريضاً لا يرون أنه يبقى بعده³.

### الإمام محمد الباقر خاصة

في الكافي وأعلام الوري وبصائر الدرجات والبحار واللفظ للأول: عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: ألفت علي بن الحسين إلى ولده وهو في الموت وهم مجتمعون عنده، ثم ألفت إلى محمد بن علي ابنه، فقال: يا محمد! هذا الصندوق، فأذهب به إلى بيتك، ثم قال - أي علي بن الحسين - أما إنه ليس فيه دينار ولا درهم ولكنه كان مملوءاً علماً⁴.

(١) غيبة الشيخ الطوسي طبريز سنة ١٣٢٣ هـ، ومناقب ابن شهر آشوب ١٧٢/٤، والبحار ١٨/٤٦، ح ٣ وقد اخذنا اللفظ من الأخير.

(٢) أصول الكافي ٣٠٤/١، وأعلام الوري ص ١٥٢، والبحار ١٦/٤٦، ومناقب ابن شهر آشوب ١٧٢/٤. أبو بكر الحضرمي عبد الله بن محمد روى عن الإمام الصادق (ع) قاموس الرجال ١٥/١٦.

(٣) أصول الكافي ٣٠٣/١ حديث ٣، وأعلام الوري ص ١٥٢، والبحار ١٨/٤٦ ح ٥، وفي بصائر الدرجات ص ١٤٨ و ١٤٩ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٨.

(٤) أصول الكافي ٣٠٥/١ ح ٢، وأعلام الوري ص ٢٦٠، وبصائر الدرجات باب ١ ص ٤٤، والبحار ٢٢٩/٤٦ ح ١، والوافي ٨٣/٢.

وعيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وقد يقال له: الهاشمي، روى عن الصادق قاموس الرجال ٧ ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

وفي بصائر الدرجات والبحار: عن عيسى بن عبدالله بن عمر، عن جعفر بن محمد — الإمام الصادق (ع) — قال: لما حضر علي بن الحسين الموت قبل ذلك أخرج السفط أو الصندوق عنده فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة [رجال] فلما توفي جاء أخوته يدعون في الصندوق، فقالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق، فقال: والله ما لكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلي، وكان في الصندوق سلاح رسول الله وكتبه<sup>١</sup>.

### الإمام جعفر الصادق

في بصائر الدرجات عن زرارة عن أبي عبدالله قال: ما مضى أبو جعفر حتى صارت الكتب إلي<sup>٢</sup>.

وفيه — أيضاً — عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله يقول: ما مات أبو جعفر حتى قبض — أي أبو عبدالله — مصحف فاطمة<sup>٣</sup>.

وفيه — أيضاً — عن عنبسة العابد قال: كنا عند الحسين ابن عم جعفر بن محمد وجاءه محمد بن عمران فسأله كتاب أرض فقال: حتى أخذ ذلك من أبي عبدالله (ع). قال: قلت له: وما شأن ذلك عند أبي عبدالله (ع)؟ قال: إنها وقعت عند الحسن ثم عند الحسين ثم عند علي بن الحسين ثم عند أبي جعفر (ع) ثم عند جعفر فكتبناه من عنده<sup>٤</sup>.

في الكافي وبصائر الدرجات: عن حمران عن أبي جعفر (ع) قال: سألت عتمة يتحدث الناس أنه دفعت إلى أم سلمة صحيفة مخطومة فقال: إن رسول الله (ص) لما قبض ورث علي (ع) علمه وسلاحه وما هناك، ثم صار إلى الحسن (ع)، ثم صار إلى الحسين (ع)، فلما خشينا أن نغشى آستودعها أم سلمة ثم قبضها بعد ذلك علي بن الحسين (ع) قال: فقلت: نعم ثم صار إلى أبيك ثم انتهى إليك وصار بعد ذلك إليك؟

(١) أصول الكافي ٣٠٥/١، ح ١، والوافي ٨٢/٢، وبصائر الدرجات ج ٤ باب ٤ ص ١٦٥، وأعلام الوري ص ٢٦٠، والبحار ٢٢٩/٤٦.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٥٨، وراجع ص ١٨٦ و ١٨٠ و ١٨١. زرارة أبو الحسن واسمه عبدربه ابن أعين مولى بني شيبان، وكوفي روى عن الإمام الصادق (ت: ١٥٠ هـ). قاموس الرجال ١٥٤/٤.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٥٨.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٦٥ و ١٦٦ منه مع حذف وإسقاط. وعنبسة بن مجاهد العابد مولى بني أسد كان قاضياً روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ٢٤٢/٧.

قال: نعم<sup>١</sup>.

عن عمر بن أبان: قال: سألت أبا عبد الله (ع) عما يتحدث الناس أنه دفع إلى أم سلمة صحيفة محتومة فقال: إن رسول الله (ص) لما قبض ورث علي (ع) علمه وسلاحه وما هناك ثم صار إلى الحسن ثم صار إلى الحسين (ع) قال: قلت: ثم صار إلى علي بن الحسين، ثم صار إلى ابنه، ثم انتهى إليك، فقال: نعم<sup>٢</sup>.

### الإمام موسى بن جعفر (ع)

في غيبة النعماني والبحار عن حماد الصائغ قال: سمعت المفضل بن عمر يسأل أبا عبد الله — الإمام الصادق — إلى قول حماد: ثم طلع أبو الحسن موسى — الإمام الكاظم — فقال له أبو عبد الله (ع): يسرك أن تنظر إلى صاحب كتاب علي، فقال المفضل: وأي شيء أعظم من ذلك؟ فقال: هو هذا صاحب كتاب علي... الحديث<sup>٣</sup>.

### الإمام علي بن موسى الرضا (ع)

عن علي بن يقطين قال قال لي أبو الحسن: يا علي هذا أفعه ولدي وقد نخلته كتبي وأشار بيده إلى ابنه علي.

وفي رواية: سمعته يقول: إن ابني عليا سيد ولدي وقد نخلته كتبي<sup>٤</sup>.

في الكافي وإرشاد الشيخ المفيد، وغيبة الشيخ الطوسي والبحار: عن نعم القابوسي، عن أبي الحسن موسى — الإمام الكاظم (ع) — قال: ابني علي أكبر ولدي وأبرهم عندي وأحبهم إلي، هو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلا نبي أو وصي.

(١) الكافي كتاب الحجة ج ٣/٤٨، والوافي ١٣٣/٢، وبصائر الدرجات ١٧٧ و ١٨٦ و ١٨٨.

(٢) الكافي ٤٨/٣، وبصائر الدرجات ص ١٨٤ و ١٧٧، والوافي ١٣٣/٢.

(٣) غيبة النعماني ص ١٧٧، والبحار ٢٢/٤٨ ح ٣٤. والمفضل بن عمر الجعفي الكوفي روى عن الإمام الصادق والكاظم. قاموس الرجال ٩٣/٩.

(٤) لرواية علي بن يقطين ثلاثة أسانيد في بصائر الدرجات ص ١٦٤ ح ٧ و ٨ و ٩، وفي الإرشاد ص ٢٨٥ نخلته كتبي بدل كتبي، وفي الوافي ٨٦/٢. وعلي بن يقطين، مولد بني أسد، وله كتب (ت: ١٨٢ هـ) روى عن الصادق. قاموس الرجال ٨٣/٧.

(٥) أصول الكافي ٣١١/١ — ٣١٢ ح ٢، وإرشاد الشيخ المفيد ص ٢٨٥ — ٢٨٦، وغيبة الشيخ الطوسي

٣٣٣

وفي رجال الكشي والبحار عن نصر بن قابوس قال: إنه كان في دار الإمام الكاظم فأراه ابنه الإمام الرضا وهو ينظر في الجفرة، فقال: هذا ابني علي، والذي ينظر فيه الجفرة<sup>١</sup>.

هكذا توارثوا الكتب كابراً عن كابر، وكانوا يرجعون إليها جيلاً بعد جيل يستخرجون منها العلوم والأحكام كما يتضح ذلك من الأحاديث الآتية:

### رجوع أئمة أهل البيت (ع) إلى الكتب التي توارثوها

أما الجعفر ومصحف فاطمة فقد وجدنا الإمام الصادق يرجع إليهما للاستعلام عن تملك أبناء الحسن السبط الأكبر كما في الكافي وبصائر الدرجات عن فضيل بن سكرة قال: دخلت على أبي عبد الله - الإمام الصادق - (ع) فقال: يا فضيل! أتدري في أي شيء كنت أنظر قبيل؟ قلت: لا، قال: كنت أنظر في كتاب فاطمة (ع) ليس من ملك بملك الأرض إلا وهو مكتوب فيه بأسمه وأسم أبيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً<sup>٢</sup>.

وعن الوليد بن صبيح قال: قال لي أبو عبد الله: يا وليد إنني نظرت في مصحف فاطمة فلم أجد لبني فلان إلا كغبار النحل<sup>٣</sup>.

وعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنَّ عندي لصحيفة فيها اسم الملوكة ما لولد الحسن فيها شيء<sup>٤</sup>.

وعن عمر بن أذينة<sup>٥</sup> عن جماعة سمعوا أبا عبد الله (ع) يقول - وقد سئل عن

ص ٢٨، والوافي ٨٣/٢.

ونعيم القابوسي، لعله نعيم بن القابوس أخو نصر بن قابوس الآتي ذكره، وهو من ثقات الرواة عن الإمام الكاظم. قاموس الرجال: ٢٢٥/٩.

(١) رجال الكشي ص ٣٨٢، والبحار ٢٧/٤٩ ح ٤٦.

نصر بن قابوس اللخمي الكوفي، روى عن الأئمة الصادق والكاظم والرضا. قاموس الرجال ١٩٥/٩.

(٢) أصول الكافي ٢٤٢/٨ ح ٨، وبصائر الدرجات ص ١٦٩ ح ٣، والوافي ١٣٦/٢.

وفضيل بن سكرة أبو محمد الأسدي، روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ٣٣٧/٧.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٧٠ و ص ١٦١ ح ٣٢ نظيره.

والوليد بن صبيح الكوفي الأسدي مولاهم، روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ٢٥٤/٩.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٦٩ ح ٥.

(٥) بصائر الدرجات ص ١٣٩ ح ٢. وقريب منه في الكافي والوافي كما يأتي.

محمّد: إنّ عندي لكتابين فيهما اسم كلّ نبي وكلّ ملك يملك، واللّه ما محمّد بن عبد الله في أحدهما.

يقصد الإمام من «الكتابين»: الجفر ومصحف فاطمة، ومن «اسم كلّ نبي»: اسم كلّ نبي قبل جدّه خاتم الأنبياء، كما يظهر ذلك من الحديث الآتي: في بصائر الدرجات عن معلّى بن خنيس، قال: قال أبو عبد الله: ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلّا في كتاب عندي، لا والله ما محمّد بن عبد الله بن الحسن فيه اسم<sup>١</sup>. ونظيره عن العيص بن القاسم<sup>٢</sup>.

وعن معلّى بن خنيس قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) إذ أقبل محمّد بن عبد الله بن الحسن فسلم ثم ذهب، ورقّ له أبو عبد الله ودمعت عينه، فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع، قال: رقت له لأنّه ينسب في أمر ليس له، لم أجده في كتاب علي من خلفاء هذه الأئمة ولا ملوكها<sup>٣</sup>.

وعن عنبسة بن بجاد العابد، قال: كان جعفر بن محمّد إذا رأى محمّد بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه ثم يقول: بنفسه هو، إنّ الناس ليقولون فيه أنّه المهدي، وإنّه لمقتول، ليس هذا في كتاب أبيه علي من خلفاء هذه الأئمة<sup>٤</sup>. يقصد الإمام من كتاب علي: الجفر الذي ورثه من علي.

وفي الكافي عن فضيل بن يسار وبريد بن معاوية وزرارة: إنّ عبد الملك بن أعين قال لأبي عبد الله: إنّ الزيدية قد أطافوا بمحمّد بن عبد الله فهل له سلطان؟ فقال: والله إنّ عندي لكتابين فيهما تسمية كلّ نبي وكلّ ملك يملك الأرض. لا والله ما محمّد بن عبد الله في واحد منها<sup>٥</sup>.

→

و عمر بن أذينة اسمه محمد بن عمر غلب عليه اسم أبيه، فهو محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن أذينة من عبد القيس، روى عن الإمامين الصادق والكاظم. قاموس الرجال ١٧٩/٧.

(١) بصائر الدرجات ص ١٦٩ ح ٤.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٦٩ ح ٦. أبو القاسم عيص بن القاسم البجلي ابن أخت سليمان بن خالد روى عن الإمامين الصادق والكاظم. قاموس الرجال ٢٧٤/٧، والكافي والوافي ٥٧/١، وبصائر الدرجات.

(٣) الكافي ص ١٦٨ - ١٦٩ ح ١.

(٤) مقاتل الطالبين ص ٢٠٨، وإرشاد المفيد ص ٢٦٠.

(٥) أصول الكافي ٢٤٢/١ ح ٨، والوافي ١٣٦/٢. برید بن معاوية أبو القاسم البجلي يروى عن الإمامين الباقر والصادق (ت: ١٥٠ هـ). قاموس الرجال ١٦٤/٢.

٣٣٥

اتخذ الإمام الصادق موقفه من حركة بني عمومته أبناء الحسن استناداً إلى ما دُون في الجفر الأبيض ومصحف فاطمة ، وكان ينبئ أحياناً بني عمومته نتيجة أمرهم كما وجدها في ماورث من كتب غير أن أبناء عمومته لم يكونوا ليقبلوا نصحه وقوله، مثل ما رواه أبو الفرج في مقاتل الطالبين، قال: إن جماعة بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، وأبوجعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبدالله بن الحسن بن الحسن — السبط — وآبناء محمد وإبراهيم، ومحمد بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان<sup>١</sup>.

فقال صالح بن علي: قد علمتم أنكم الذين تمتد الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبدالله بن الحسن، وأثنى عليه، ثم قال: قد علمتم إن ابني هذا هو المهدي فهلتموا فلنبايعه.

وقال أبوجعفر — المنصور —: لأني شيء تخدعون أنفسكم، والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أطول أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتي — يريد محمد بن عبدالله —.

قالوا: قد — والله — صدقت إن هذا هو الذي نعلم فبايعوا جميعاً محمداً، ومسحوا على يده. وأرسل إلى جعفر بن محمد — الصادق —<sup>٢</sup>.

وجاء جعفر بن محمد فأوسع له عبدالله بن الحسن إلى جنبه، فتكلم بهل كلامه فقال جعفر لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد أن كنت ترى إن أبناك هذا هو المهدي فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر

(١) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الملقب بالإمام. كان صاحب دعوة بني العباس وسجنه مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين بمران/مقتله سنة ١٣٢ هـ تاريخ ابن الأثير ١٥/١٥٨، ومروج الذهب للمسعودي ٣/٢٤٤. وأخوه أبوجعفر المنصور بيع بعد موت أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ وتوفي سنة ١٥٨ هـ في طريقه إلى مكة ودفن بمكة. مروج الذهب للمسعودي.

ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان المعروف بالديباج. قتله أبوجعفر المنصور عام ١٤٢ هـ بمران وبعث برأسه إلى خراسان.

(٢) وفي رواية قال لهم عبدالله بن الحسن: لا تريد جعفرًا لئلا يفسد عليكم أمركم.

بالمعروف وينهى عن المنكر، فإننا والله لاندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك.  
فغضب عبدالله، وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، والله ما أطلعك الله على  
غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال: والله ما ذاك يحملي، ولكن هذا وإخوته وأبنائهم دونكم، وضرب  
بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبدالله بن الحسن، وقال: إنها  
والله ما هي إليك ولا إلى آبنيك، ولكتها لهم، وإن آبنيك لمقتولان.

ثم نهض، وتوكلًا على يد عبد العزيز بن عمران الزهري، فقال: رأيت صاحب  
الرداء الأصفر — يعني أبا جعفر — قال: فإننا والله نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل  
محمدًا؟

قال: نعم. قال: فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة! قال: ثم والله ما  
خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلها.

قال: فلمّا قال جعفر ذلك، إنفض القوم فأفترقوا ولم يجتمعوا بعدها. وتبعه  
عبد الصمد، وأبو جعفر، فقالا: يا أبا عبدالله! أتقول هذا؟ قال: أقوله والله، واعلمه<sup>١</sup>.

وفي لفظ رواية أخرى: قال الصادق لعبد الله بن الحسن: إن هذا الأمر ليس  
إليك ولا إلى ولدك، وإنما هو لهذا — يعني السفاح — ثم لهذا — يعني المنصور — ثم لولده  
من بعده، لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء.

فقال عبدالله: والله يا جعفر ما أطلعك الله على غيبه...

فقال — الصادق —: لا والله ما حسدت ابنك، وإن هذا — يعني أبا جعفر —  
يقتله على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه بعده بالطفوف، وقوائم فرسه بالماء...  
الحديث<sup>٢</sup>.

وروى الطبري وأبو الفرج عن أم حسين بنت عبدالله بن محمد بن علي بن  
الحسين — السبط — قالت: قلت لعمي جعفر بن محمد: إنني فديتك! أما أمر محمد بن  
عبدالله؟ قال: فتنة يقتل فيها محمد عند بيت رومي. ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق  
وحوافر فرسه بالماء<sup>٣</sup>.

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٠٦—٢٠٨، وإرشاد المفيد ص ٢٥٩—٢٦٠.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٥٣—٢٥٦.

(٣) الطبري ٢٣٠/٩ وط. أوروبا ٢٥٤/٣، ومقاتل الطالبين ص ٢٤٨.



٣٣٧

وروي أن عيسى قائد المنصور لما دخل المدينة قال جعفر بن محمد: أهو هو؟ قيل: من تعنى يا أبا عبد الله؟ قال المتلعب بدمائنا، أما والله لا يخلأ منها شيء، يعني محمداً وإبراهيم<sup>١</sup>.

وقال: خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي وكان عمه جعفر ينهيه، يقول له: هو والله مقتول<sup>٢</sup>.

### إشهار إنباء الإمام الصادق (ع) عن نهاية أمر بني الحسن

إشهر عن الإمام الصادق إنبأه عن نهاية أمر بني الحسن، وعرف ذلك القريبون منه والبعيدون عنه، ولذلك قال الفضيل بن يسار أحد أصحاب الإمام الصادق لمن أخبره بخروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن: «ليس أمرهما بشيء»! قال الراوي: فصنعت ذلك مراراً كل ذلك يرده علي مثل هذا الرد، قال: قلت: رحمك الله قد أتيتك غير مرة أخبرك فتقول: ليس أمرهما بشيء، أفبرأيك تقول هذا؟ قال فقال: لا والله ولكن سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إن خرجا قتلا<sup>٣</sup>.

ولهذا لما أخبر المنصور بهزيمة قائده في حرب محمد قال: كلاً، فاين لعب صبياننا بها على المنابر ومشاورة النساء<sup>٤</sup>.

ولما خرج إبراهيم بالبصرة وهزم جيش المنصور حتى دخل أوائلهم الكوفة أمر أبو جعفر المنصور بأعداد الإبل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها<sup>٥</sup>. وجعل يقول: يا ربيع! ويلك فكيف ولم ينلها أبناءنا فأين إمارة الصبيان<sup>٦</sup> يشير أبو جعفر المنصور في المقامين إلى قول الإمام الصادق «يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء».

### نهاية أمر الأخوين

روى الطبري وأبو الفرج وقال: قتل محمد عند أحجار الزيت بالمدينة<sup>٧</sup>.

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٧٢. (٢) الطبري ٢٣٠/٩ وقد أوردته بإيجاز.

(٣) ترجمة الفضيل بن يسار من اختيار معرفة الرجال للكشي ط. جامعة مشهد ص ٢١٤.

(٤) الطبري ٢٢٨/٩، ومقاتل الطالبين ص ٢٧٤.

(٥) الطبري ٢٥٩/٩، ومقاتل الطالبين ص ٣٤٦.

(٦) مقاتل الطالبين ص ٣٤٧، وتاريخ ابن الأثير ٢٣٠/٥.

(٧) الطبري ٢٢٧/٩، ومقاتل الطالبين ص ٢٧٢.

وفي الأغاني: وجاء إبراهيم سهم وهو راكب على فرسه في مسناة يتعقب المنزمن من جيش المنصور فقتل<sup>١</sup>.  
وهكذا كانت نهاية أمر الأخوين كما أنبأ بها الإمام الصادق (ع) قبل ذلك بمدة.



إلى هنا استعرضنا بعض الأحاديث التي ذكرت رجوع الإمام الصادق إلى الجفر ومصحف فاطمة في استعلام تملك أبناء الحسن وفي مايلي حديث عن علي بن الحسين السجاد في شأن حكم ابن عبد العزيز رواه عبد الله بن عطاء التميمي قال: كنت مع علي بن الحسين في المسجد - أي مسجد الرسول (ص) - فمرّ عمر بن عبد العزيز عليه شراكما فضة يوكان من أحسن الناس وهو شاب ففطنظر إليه علي بن الحسين، فقال: يا عبد الله بن عطاء أترى هذا المترف، إته لن يموت حتى يلي الناس، قلت: هذا الفاسق، قال: نعم، لا يلبث فيهم إلا يسيرا... الحديث<sup>٢</sup>.

إستشهاد الإمام الرضا (ع) بالجفر

في أحوال الإمام الرضا (ع) من كتاب كشف الغمة للأربلي (ت: ٦٩٣ هـ)<sup>٣</sup>: قال الفقير إلى الله تعالى عبد الله علي بن عيسى أثناه الله: وفي سنة سبعين وسبعمائة وصل من مشهده الشريف (ع) أحد قوامه، ومعه العهد الذي كتبه المأمون بخط يده وبين سطوره، وفي ظهره بخط الإمام (ع) ما هو مسطور، فقبلت مواقع أقلامه، وسرحت طرفي في رياض كلامه، وعددت الوقوف عليه من من الله وإنعامه، ونقلته حرفاً فحرفاً.

وما هو بخط المأمون:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده لعلي بن موسى ابن جعفر ولي عهده، أمّا بعد فإن الله عز وجل أصطفى الإسلام ديناً، وأصطفى له من

(١) مقاتل الطالبين ص ٣٤٧.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٧٠ باب نادى أوردنا من الحديث موضع الحاجة وفي بقية الحديث عبرة.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة ط. مطبعة النجف سنة ١٣٨٥ هـ تأليف أبي الحسن علي بن عيسى بن

أبي الفتح الأربلي.

عباده رسلاً دالين عليه، وهادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، ويصدق تاليم ماضيهم حتى آتته نبوة الله إلى محمد (ص) على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، وأقتراب من الساعة، فختم الله به النبيين، وجعله شاهداً لهم ومهيئاً عليهم، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزل من حكيم حميد. بما أحلّ وحرم، ووعد وأوعد، وحذر وأذنب وأمر به ونهى عنه، لتكون له الحجة البالغة على خلقه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وأن الله لسميع عليم، فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلبة، حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده.

فلما أنقضت النبوة، وختم الله بمحمد (ص) الوحي والرسالة، جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة، وإتمامها وعزّها والقيام بحقّ الله فيها بالطاعة التي بها تُقام فرائض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه، ويجاهد بها عدوه، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حقّ الله وعدله، وأمن السبيل وحقن الدماء وصلاحيات ذات البين وجمع الألفة، وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم واختلاف ملتهم وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفرق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة، فحقّ على من استخلفه الله في أرضه، وأتتمنه على خلقه، أن يجهد الله نفسه، ويؤثر ما فيه رضا الله وطاعته، ويعتمد لما الله موافقه عليه ومساائله عنه، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمله الله وقلّده، فإنّ الله عز وجلّ يقول لنبيه داود (ع):

«يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» وقال الله عز وجلّ: «فوربك لنسأ لنتهم أجمعين عما كانوا يعملون» وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: لوضاعت سخلة بشاطئ الفرات لتخوّفت أن يسألني الله عنها، وأيم الله إن المسؤول عن خاصّة نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه وبين الله ليتعرض على أمر كبير وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة، وبالله الثقة وإليه المفزع والرغبة في التوفيق والعصمة، والتسديد والهداية، إلى ما فيه ثبوت الحجة والفوز من الله بالرضوان والرحمة.

وأنظر الأمة لنفسه وأنصحهم لله في دينه وعباده من خلائقه في أرضه؛ من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه (ص) في مدة أيامه وبعدها، وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليّه عهده ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علماً لهم ومفرعاً في جمع ألفتهم ولمّ شعثهم؛ وحقن دمائهم والأمن بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم واختلافهم، ورفع نزغ الشيطان وكيدهم عنهم، فإن الله عزّ وجلّ جعل العهد بعد الخلافة من تمام أمر الإسلام وكماله، وعزّه وصلاح أهله، وألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت فيه العافية، ونقضه الله بذلك مكر أهل الشقاق والعداوة، والسعي في الفرقة والترتبص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقها وثقل محملها وشدة مؤنتها، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها، فأنصب بدنه وأسهر عينه وأطال فكره فيما فيه عزّ الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة، ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش علماً بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقي الله مناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعد أفضل من يقدر عليه في ورعه ودينه وعلمه، وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه، مناجياً لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسأله الهامة ما فيه رضا وطاعته في آناء ليله ونهاره، معملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبدالله بن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، مقتصراً لمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمّن خفي عليه أمره جهده وطاقته.

حتّى استقصى أمورهم معرفة، وأبتلى أخبارهم مشاهدة، وآستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسألة فكانت خيرته بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في البيتين جميعاً عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب لما رأى من فضله البارِع، وعلمه الناصع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص وتخلّيه من الدنيا، وتسلمه من الناس، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً ومكتهلاً، فعقد له بالعهد والخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله في ذلك؛ إذ علم الله أنّه فعله إثارة له وللدّين، ونظراً للإسلام والمسلمين، وطلباً للسلامة وثبات الحق، والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين.

٣٤١

ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته، وخاصته وقواده وخدمه، فبايعوا مسرعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم، ومتمن هو أشبك منه رحماً، وأقرب قرابة وسمّاه الرضا إذ كان رضا عند أمير المؤمنين، فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده، وعامة المسلمين لأمر المؤمنين، والرضا من بعده. كتب بقلمه الشريف بعد قوله: «والرضا من بعده» بل آل من بعده علي بن موسى على اسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده ببيعة مبسوطة اليها أيديكم، منشحة لها صدوركم، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها، شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من قضاء حقه في رعايتكم، وحرصه على رشدكم وصلاحكم، راجين عايدة ذلك في جمع ألفتكم، وحقن دمائكم، ولمّ شعثكم، وسدّ ثغوركم وقوة دينكم، ورغم عدوّكم واستقامة أموركم، وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين فإنه الأمن إن سارعت إليه وحمدتم الله عليه، عرفتم الحظّ فيه إن شاء الله. وكتب بيده يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

صورة ما كان على ظهر العهد

بخلف الإمام علي بن موسى الرضا عليها السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفعّال لما يشاء، لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وصلاته على نبيه محمّد خاتم النبيين وآله الطيّبين الطاهرين. أقول وأنا علي بن موسى الرضا بن جعفر: إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قطعت وأمن نفوساً فزعت بل أحيّاها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، مبتغياً رضا رب العالمين، لا يريد جزاء من غيره، وسيجزي الله الشاكرين، ولا يضيع أجر المحسنين، وأتّه جعل إلّٰيّ عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، من حلّ عقدة أمر الله بشدها، وفصم عروة أحبّ الله إثاقها، فقد أباح حرّيه، وأحلّ محرّمه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام، منتكاً حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف، فصبر عنه على الفلتات، ولم يعترض بعدها على العثرات، خوفاً من شتات الدين واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهليّة، ورصد فرصة تنتهز، وبايعة

تبتدر، وقد جعلت الله على نفسي إن أسترعاني أمر المسلمين وقلدي، خلافته، العمل فيهم عاقمة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة؛ بطاعته وطاعة رسول الله (ص)، وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيع فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدود الله، وأباحته فرائضه، وأن أتحير الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك علم نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه، فبأنه عز وجل يقول: «وأوفوا بالعهد إن العها كان مسؤولاً»، وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للغير مستحقاً، وللنكال متعرضاً، وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحوال بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين.

والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن الحكم إلا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين، لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين وأثرت رضاه، والله يعصمني وإياه، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً. وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وثمامة بن أشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومئتين.

#### الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين ببركة هذا العهد والميثاق، وكتب بخطه في التاريخ المبين فيه. عبد الله بن طاهر بن الحسين أثبت شهادته فيه بتاريخه. شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهره وبطنه، وكتب بيده في تاريخه. بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك.

#### الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه هذه القراءة هذه الصحيفة التي هي صحيفة الميثاق نرجو أن يجوز بها الصراط ظهرها وبطنها بحرم سيدنا رسول الله (ص) بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد، بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين، ولتبطل الشبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين، وما كان الله ليدز المؤمنين على ما أنتم عليه، وكتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه.

٣٤٣

إنتهى ما أورده الأربلي في كشف الغمة<sup>١</sup> وقد أورده بلفظه مفصلاً خلافاً لما تعودته من تلخيص نطائره، لما في نصّ الكتابين وشهادات الشهود عليها من دلالة على صدق محتواهما مما يفقده الملخص منها.

وأورد ابن الطقطقي (ت: ٧٠٩ هـ) ملخص الكتابين في كتابه: (الفخري) في الآداب السلطانية وقال: كان المأمون قد فكّر في حالة الخلافة بعده، وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته — كذا زعم — فذكر أنه اعتبر أحوال أعيان البيتين: البيت العباسي والبيت العلوي، فلم يرفيها أصلح ولا أفضل، ولا أروع ولا أدين، من علي بن موسى الرضا (ع) فعهد إليه، وكتب بذلك خطه، وألزم الرضا (ع) بذلك فامتنع ثم أجاب، ووضع خطه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه: إني قد أجبت أمثالاً للأمر، وإن كان الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك وشهد عليها بذلك الشهود<sup>٢</sup>.

وأورد الكتابين بتامهما المجلسي (ت: ١١١١ هـ) في البحار نقلاً عن كشف الغمة<sup>٣</sup>.

ومن مدرسة الخلفاء:

قال الميرسيد علي بن محمد بن علي الحنفي الاسترابادي (ت: ٨١٦ هـ) في شرحه على مواقف القاضي عضد الأيحي (ت: ٧٥٦ هـ) عن الجفر والجامعة: هما كتابان للإمام علي رضي الله عنه قد ذكر فيها على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى أنقراض العالم وكانت الأئمة من أولاده يعرفونها ويحكمون بها، وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى (رض) إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا

(١) كشف الغمة ١٢٤/٣ - ١٢٣.

(٢) الفخري ص ١٧٨ ط. محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، تأليف ابن الطقطقي بكسر الطاء الأولى وفتح الثانية<sup>١</sup>، جعفر محمد بن تاج الدين أبي الحسن علي الطباطبائي نقيب العلويين في العراق. وكان قد ألف الكتاب سنة ٧٠١ هـ بالموصل وأهداه إلى والي الموصل فخر الدين عيسى — راجع ما كتبه هوار عنه بدائرة المعارف الإسلامية ٢١٧/١ - ٢١٨، والقسمي في الكنى والألقاب ٣٣١/١، وراجع مآثر الإنافة في معالم الخلافة، للقلقشندي (ت: ٨٢١ هـ) تحقيق عبدالستار فرج أحمد سنة ١٩٦٤ م ٣٢٥/٢ - ٣٣٠، وصح الأعمش، له ط. دار الكتب.

(٣) البحار طبعة الكهاني (٤٢/١٢) وطبعة المكتبة الإسلامية بطهران (١٤٨/٤٩ - ١٥٣).

ما لم يعرفه آباؤك فقبلت منك عهدك، إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم...<sup>١</sup>  
وقال طاش كبري زاده المولى أحمد بن مصطفى (ت: ٩٦٢ هـ) في كتابه مفتاح  
السعادة ومصباح السيادة:

... إن الخليفة لما عهد بالخلافة من بعده إلى علي بن موسى الرضا وكتب  
إليه كتاب عهد؛ كتب هو في آخر ذلك الكتاب: نعم إلا أن الجفر والجامعة يدلان على  
أن هذا الأمر لا يتم وكان كما قال؛ لأنّ المأمون استشعر من أجل ذلك فتنة من طرف  
بني هاشم فسمّى علي بن موسى الرضا في عنب على ما هو المسمطور في كتب التواريخ.<sup>٢</sup>  
ومتى ذكر الجفر والجامعة من مدرسة الخلفاء:

الشيخ كمال الدين أبوسالم ابن طلحة محمد بن طلحة النصيبيني الشافعي  
(ت: ٦٥٢ هـ) قال في كتابه: (الجفر الجامع والنور اللامع) والكتاب حسب نقل كشف  
الظنون: مجلد صغير أوله: الحمد لله الذي أطلع من آجته الخ ذكر فيه أنّ الأئمة من  
أولاد جعفر يعرفون الجفر...<sup>٣</sup>

وأيضاً نقل عنه في باب علم الجفر والجامعة قوله في هذا الكتاب: (الجفر  
والجامعة كتابان جليلان أحدهما ذكره الإمام علي بن أبي طالب (رض) وهو يخطب  
بالكوفة على المنبر والآخر أسرّه رسول الله (ص) وأمره بتدوينه فكتبه علي (رض) حروفاً  
متفرقة على طريقة سفر آدم في جفر (يعني في رق) قد صبح من جلد البعير، فاشتهر بين  
الناس به لأتقنه وجد فيه ماجرى للأولين والآخرين.<sup>٤</sup>

وقال ابن خلدون في مقدمته: ووقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من  
ذلك، مستندهم فيه - والله أعلم - الكشف بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثله  
لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذريهم وأعقابهم، وقد قال (ص): إنّ فيكم محدّثين؛  
فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة.<sup>٥</sup>

(١) المقصد الثاني من النوع الثاني من الفصل الثاني من المرصد الثالث من الموقف الثالث - راجع  
ص ٢٧٦ من ط. بولاق سنة ١٢٦٦ هـ.

(٢) ٤٢٠/٢ - ٤٢١ من مفتاح السعادة ط. الأولى سنة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ بميدراآباد الدكن بموتقل  
عنه في كشف الظنون ٥٩١/٢.

(٣) كشف الظنون ٥٩٢/٢.

(٤) كشف الظنون ٥٩١/٢.

(٥) المقدمة لابن خلدون ٥٩٥/١ - ٥٩٦ الفصل ٥٣ في ابتداء الدول والأمم وفيه الكلام عن الملاحم  
والكشف عن مسمى الجفر.



٣٤٥

وقال بعده ما ملّخصه: إنّ هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ماسيق لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير ... إلى قوله: وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق ... إلى قوله:

ولو صحّ السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وقد صحّ عنه أنّه كان يحذّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم، فتصحّ، كما يقول.

وقد حذّر يحيى ابن عمّه زيد من مصرعه وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف.

وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فاظنّك بهم علماً وديناً وآثراً من النبوة، وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروسه الطيبة، وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب إلى أحد<sup>١</sup>.

وأشار إليه أبو العلاء المعري (ت: ٤٤٩ هـ) في قوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر  
ومرأة المنجم وهي صغرى أرته كلّ عامرة وقفر<sup>٢</sup>

\* \* \*

رأينا في الأحاديث السابقة رجوع الأئمة إلى كتاب علي الجفر ومصحف فاطمة في استعلام الأنباء الكائنة، ووجدنا الجفر مشهوراً في كتب مدرسة الخلفاء، ومنهم من نقل رجوع الأئمة إليهما. وفي مايلي أمثلة من رجوع أئمة أهل البيت إلى كتاب علي المستمى بالجامعة لبيان أحكام الشرع الإسلامي:

رجوع الأئمة (ع) إلى كتاب عليّ الجامعة

إنّ أول من وجدنا يروى عن كتاب عليّ مباشرة؛ لإمام علي بن الحسين، كما

(١) المقدمة ٦٠٠/١ - ٦٠١ ط. دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٥٦.

(٢) أبو العلاء المعري أحمد بن عبدالله بن سليمان توفي بمصر النعمان. ترجمته في الكنى والألقاب ١٦١/٣

- ١٦٢، والبيان بترجمة عبدالمؤمن بن علي القيسي. رقم ٣٨١ من وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٠٥/٢.

في الكافي ومن لا يحضره الفقيه والتهذيب ومعاني الأخبار والوسائل واللفظ للأول:  
عن أبان أن علي بن الحسين سئل عن رجل أوصى بشيء من ماله، فقال:  
الشيء في كتاب علي (ع) واحد من ستة<sup>١</sup>.

وروي من بعده الإمام الباقر عنه: في الخصال وعقاب الأعمال والوسائل  
عن أبي جعفر - الإمام الباقر - قال: في كتاب علي ثلاث خصال، لا يموت صاحبهن  
أبداً حتى يرى وباهن<sup>٢</sup>، والبغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها<sup>٣</sup>.  
وهكذا يروي الإمام الباقر عن كتاب علي: في حكم أخذ مال الولد والأب  
ووطي جارية الولد<sup>٤</sup>، وتدليس عيب المرأة عند زواجها<sup>٥</sup>، واليمين الكاذبة<sup>٦</sup>، وفي بيان  
حكم المحرم إذا صاد، يقول: في كتاب أمير المؤمنين<sup>٧</sup>.

ويقول: وجدنا في كتاب علي في بيان وجوب حسن الظن بالله وحسن الخلق<sup>٨</sup>  
وحكم قطع لسان الأخرس<sup>٩</sup>، وحكم من أحيا أرضاً ثم تركها<sup>١٠</sup>، وأثر منع الزكاة<sup>١١</sup>،

(١) فروع الكافي ٤٠/٧ ح ١ باب من أوصى بشيء من ماله. ومن لا يحضره الفقيه ١٥١/٤. ومعاني  
الأخبار ٢١٧ وكلاهما للشيخ الصدوق. والتهذيب للشيخ الطوسي ٢١١/٩ ح ٨٣٥، والوسائل ١٣/٤٥٠ ح ١  
من باب حكم من أوصى بشيء.

أبان بن تغلب بن رباح أبوسعيد البكري، مولى بني جرير، روى عن الأئمة السجاد والباقر والصادق.  
وقال لقوم كانوا يعيبونه في روايته عن الإمام الصادق: كيف تلوموني في روايتي عن رجل ما سألت عن شيء،  
الآقال: قال رسول الله (ت: ١٤١ هـ). قاموس الرجال ٧٣/١.

(٢) الخصال ص ١٢٤ وعقاب الأعمال ص ٢٦١ وكلاهما للشيخ الصدوق والوسائل ج ١٦  
ص ١١٩.

(٣) أخذ مال الأب والابن في فروع الكافي ١٣٥/٤ - ١٣٦، والاستبصار ٤٨/٣، والوسائل  
١٢/١٩٤ - ١٩٥، و ١٤/٥٤٤.

(٤) حكم تدليس عيب المرأة التهذيب ٤٣٢/٧، والوسائل ٥٩٧/١٤.

(٥) أثر اليمين الكاذبة في فروع الكافي ٤٣٦/٧، وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٢٧٠ - ٢٧١،  
والخصال له ص ١٢٤، والوسائل ١٢٢/١٦.

(٦) حكم صيد المحرم في فروع الكافي ٣٩٠/٤ ح ٩،  
(٧) حسن الظن بالله في أصول الكافي ٧١/٢ - ٧٢، والوسائل ١٨١/١١ ح ٢٠٣٥٣.

(٨) حكم قطع لسان الأخرس في فروع الكافي ٣١٨/٧، ومن لا يحضره الفقيه ١١١/٤، والتهذيب  
٢٧٠/١٠.

(٩) حكم إحياء أرض الموات في فروع الكافي ٢٧٩/٥، والتهذيب ١٥٣/٧، والوسائل ٣٢٩/١٧،  
ح ٣٢٢٣.

(١٠) أثر منع الزكاة في فروع الكافي ٥٠٥/٣ ح ١٧، والوسائل ١٣/٦ - ١٤.

## ودية الأسنان<sup>١</sup>.

ودخل عليه يعقوب بن ميثم التمار مولى علي بن الحسين، فقال له: إني وجدت في كتاب أبي أن علياً قال لأبي: يا ميثم! أحب حبيب آل محمد... إلى قوله فإني سمعت رسول الله وهو يقول... الحديث.

فقال أبو جعفر هكذا هو عندنا في كتاب علي<sup>٢</sup>.

وروى الإمام الصادق عن أبيه إنه قال: قرأت في كتاب علي أن رسول الله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب... الحديث<sup>٣</sup>.

وروى الإمام أبو عبد الله الصادق عن كتاب علي في بيان ثبوت الشهر برؤية الهلال<sup>٤</sup>، وبيان وقت الفضيلة للظهر<sup>٥</sup>، وفي بيان حكم أداء صلاة الجمعة مع مخالفهم<sup>٦</sup>، وحكم سؤر الهر<sup>٧</sup>، وحكم المحرم إذا مات<sup>٨</sup>، وعن لبسه الطيلسان المززر حديثين<sup>٩</sup>، وفي كفارة إصابة القطاة حديثين<sup>١٠</sup>، وفي كفارة بيض القطاة ثلاثة أحاديث<sup>١١</sup>، وفي زيادة شوط الطواف حديثاً<sup>١٢</sup>، والعمرة المفردة<sup>١٣</sup>، وعن عدد الكبائر

(١) دية الأسنان. الكافي ٣٢٩/٧، ومن لا يحضره الفقيه ١٠٤/٤، والتلخيص ٢٥٤/١٠، والاستبصار ٢٨٨/٤، والوسائل ٢٦٢/١٩، ح ٣٥٧١٥.

(٢) رواية ابن ميثم في مجالس الشيخ الطوسي ط. النجف ص ٢٥٨، والوسائل ٤٤٤/١١، ح ٢١٢٩٩.  
(٣) رواية كتابته العهد بين المهاجرين والأنصار في أصول الكافي ٦٦٦/٢، وفي فروع ٣٣٦/١، و ٣٩٠/٤ في كتاب الجهاد، والوسائل ٤٨٧/٨، ح ١٥٨٤٢ و ٥٠/١١.

(٤) في الاستبصار ٦٤/٣، والوسائل ١٨٤/٧، ح ١٣٣٥٢.

(٥) وقت فضيلة الظهر في الاستبصار ٢٥١/١، والتلخيص ٢٣/٢، والوسائل ١٠٥/٣، ح ٤٧٥٢ و ١٠٧ و ١٤٧٦٤. ح ١٤٧٦٤.

(٦) أداء صلاة الجمعة مع المخالفين، التلخيص ٢٨/٣، والوسائل ٤٤/٥، ح ١٩٥٥٠.

(٧) سؤر الهر في فروع الكافي ٩/١، ح ٤، والتلخيص ٢٢٧/١، والوسائل ١٦٤/١، الحديث ٥٨٠.

(٨) حكم المحرم إذا مات في ثلاثة أحاديث كما في فروع الكافي ٣٦٨/٤، الحديث ٣، والوسائل ٦٩٦/٢ و ٦٩٧ و ٢٧٥٩ و ٢٧٦١ و ٢٧٦٦.

(٩) في حكم لبس المحرم الطيلسان في فروع الكافي ٣٠٤/٤، ح ٧ و ٨، ومن لا يحضره الفقيه ١١٧/٢، وعلل الشرائع ٩٤/٢، والوسائل ١١٦/٩، الحديث ١٦٨٢٢ و ١٦٨٢٣.

(١٠) كفارة إصابة المحرم القطاة، فروع الكافي ٣٩٠/٤، والتلخيص ٤٤/٥، ح ١١٩١ و ١١٩٠.

(١١) فروع الكافي ٣٩٠/٤، والاستبصار ٢٠٢/٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤، والتلخيص ٣٥٥/٥ و ٣٥٧، والوسائل

٢١٦/٩ و ٢١٧ و ٢١٨، الحديث ١٧٢٢٣ و ١٧٢٢٥ و ١٧٢٢٩.

(١٢) في حكم زيادة شوط من الطواف. الاستبصار ٢٤٨/٢، والسرائر ص ٤٤٦، والوسائل ٤٣٨/٩ و

٤٣٩ ح ١٧٩٦٧ و ١٧٩٧٤، وفي بعض الروايات ليس فيها في كتاب علي.

(١٣) حكم العمرة في فروع الكافي ٥٣٤/٤، ح ٢، والوسائل ٢٤٤/١٠ ح ١٩٢٧٥.

حديثين<sup>١</sup>، وعن أكل مال اليتيم حديثاً واحداً<sup>٢</sup>، وفي حكم إرث الإخوة من الأم مع الجدّ حديثان<sup>٣</sup>، وفي الحكم بالبينة واليمين حديثين<sup>٤</sup>، وفي مثل الدنيا حديثاً واحداً<sup>٥</sup>، وفي كيفية الجلد في الحدود حسب السنّ<sup>٦</sup> وفي حدّ اللواط مع الايقاب<sup>٧</sup>، وفي ثبوت الحد على شارب الخمر والنبذ<sup>٨</sup>، وفي حدّ شارب الخمر والمسكر<sup>٩</sup>، وفي دية كلب الصيد<sup>١٠</sup>، وفي حدّ قطع فرج المرأة<sup>١١</sup>، وفي حد إدراك الزكاة في الذبيحة حديثين<sup>١٢</sup>، وفي نصب ميراث غير ذوي الفرائض<sup>١٣</sup>، وفي كراهية لحوم الخمر الأهلية<sup>١٤</sup>، وفي ما حرم أكله من أنواع السمك ستة أحاديث<sup>١٥</sup>، وفي حكم ميراث الأعمام والأخوال إذا اجتمعوا<sup>١٦</sup>، وفي حكم

(١) عدد الكبائر في أصول الكافي ٢٧٨/٢ - ٢٧٩، والوسائل ٢٥٤/١١، ح ٢٠٦٣١ والخصال ٢٧٣/١ وعلل الشرائع ١٦٠/٢.

(٢) أكل مال اليتيم، في عقاب الأعمال ص ٢٧٨ ح ٢، والوسائل ١٨٢/١٢، ح ٢٢٤٤١.

(٣) إرث الإخوة مع الجد في من لا يحضره الفقيه ٢٠٦/٤، والتهذيب ٣٠٨/٩، والاستبصار ١٦٠/٤، والوسائل ج ١٧ ص ٤٩٥ و٤٩٧ الحديث ٣٢٧٤٦ و٣٢٧٤٨.

(٤) في الحكم بالبينة في فروع الكافي ٤١٤/٧، والتهذيب ٢٢٨/٦، والوسائل ج ١٨ ص ١٦٨ رقم الحديث ٣٣٦٣٤ و٣٣٦٣٥.

(٥) مثل الدنيا في: أصول الكافي ١٣٦/٢ ح ٢٢، والوسائل ٣١٦/١١ ح ٢٠٨٤٥.

(٦) الجلد حسب السن، في: فروع الكافي ١٨٦/٧، والتهذيب ١٤٦/١٠، ومن لا يحضره الفقيه ٥٣/٤، والوسائل ٣٠٧/١٨ ح ٣٤٠٦٧، وراجع المحاسن ص ٢٧٣.

(٧) حد اللواط، في: فروع الكافي ٢٠٠/٧، والتهذيب ٥٥/١٠، والاستبصار ٢٢١/٤ والوسائل ٤٢١/١٨ ح ٣٤٤٣٦.

(٨) حد شرب الخمر والنبذ، في: فروع الكافي ٧٢١٤/٧ والتهذيب ٩٠/١٠، والوسائل ٤٦٨/١٨ ح ٣٤٥٨٦.

(٩) حد شرب المسكر، في: فروع الكافي ٢١٤/٧، والتهذيب ٩٠/١٠، والوسائل ٤٧٢/١٨ ح ٣٥٤٨٩.

(١٠) دية كلب الصيد الخصال ١١١/٢، والوسائل ١٦٨/١٩ ح ٣٥٤٨٩.

(١١) حد قطع فرج المرأة، في: الكافي ٣١٢/٧، من لا يحضره الفقيه ١١٢/٤، والتهذيب ٢٥١/١٠، والوسائل ٢٥٩/١٩ ح ٣٥٧٠.

(١٢) حد إدراك زكاة الذبيحة، في: الكافي ٣١٢/٧، والتهذيب ٥٧/٩، والوسائل ٣٢٠/١٦ ح ٢٩٨٩٣ و٢٩٨٩٤.

(١٣) نصب ميراث غير ذوي الفرائض، في: الكافي ٧٧/٧، والتهذيب ٢٦٩/٩، والوسائل ٤١٨/١٧ ح ٣٢٤٨٤.

(١٤) كراهة لحوم الدواب الأهلية، في: الكافي ٢٤٦/٦، والتهذيب ٤٠/٩، والاستبصار ٧٤/٤، والوسائل ٣٢١/١٦ ح ٣٠١٢٤.

(١٥) محرمات بعض أنواع السمك، في: الكافي ٢٢٠/٦، والتهذيب ٢/٩ ح ٤ و٥ و٦، والاستبصار ٩/٤ والوسائل ٣٣٤/١٦ و٣٣٥، والبحار ٢٥٤/١٠.

(١٦) حكم اجتماع الأعمام والأخوال في الإرث، في: والتهذيب ٣٢٤/٩ ح ٣٢٥، والوسائل

٣٤٩

الطلاق في العدة بغير رجوع<sup>١</sup>، وفي ميراث الغرقى والمهدوم عليهم، ولفظه: «كذلك وجدناه في كتاب علي<sup>٢</sup>، في حكم من قتل شخصاً مقطوع اليد، ولفظ: «هكذا وجدناه في كتاب علي<sup>٣</sup>».

وآخر ما نوره في هذا الباب عن الإمام الصادق (ع) قوله: إن في كتاب علي الذي أملاه رسول الله (ص) أن الله لا يعذب على كثرة الصلاة والصيام ولكن يزيده خيراً<sup>٤</sup>.

\* \* \*

إلى هنا استعرضنا شيئاً من الأحاديث التي رواها الأئمة من كتاب الإمام علي وأسندوها إليه؛ غير متوخين الاستقصاء في ذلك، وإننا أوردناها كامثلة لما نحن بصدد وفي مايلي نورد أحاديث أصحاب الأئمة الذين شاهدوا كتاب الإمام علي، وفيها أحاديث من قرأ الكتاب ووصفه.

من رأى كتاب علي (ع) من أصحاب الأئمة (ع):

١- عن أبي بصير قال: أخرج إليّ أبو جعفر صحيفة فيها الحلال والحرام والفرائض، قلت: ما هذه؟ قال: هذه إملاء رسول الله (ص) وخطة علي بيده، قال: فقلت: فاتبلي؟ قال: فابليها؟ قلت: وما تدرس؟ قال: وما يدرسها؟ قال: هي الجامعة (أو من الجامعة)<sup>٥</sup>.

٢- روي عن محمد بن مسلم بسندين قال: أقراني أبو جعفر - الإمام الباقر (ع) - شيئاً من كتاب علي (ع) فإذا فيه: «أنها كم عن الجري والزمر والمارماهي والطافي والطحال».

قال: قلت: يا ابن رسول الله يرحمك الله إننا نؤتي بالسّمك ليس له قشر، فقال: كل ما له قشر من السّمك وما ليس له قشر فلا تأكله.

→ ١٧/٥٠٥ ح ٣٢٧٧٦.

(١) الطلاق في العدة الاستبصار ٢٨٣/٣ والتهذيب ٨١/٨ - ٨٢ الوسائل ٣٧٥/١٥ ح ٢٨٢٢٠.

(٢) ميراث الغرقى، الكافي ١٣٦/٧ ومن لا يحضره الفقيه ٢٢٥/٤ الوسائل ٥٨٩/١٧ ح ٣٣٠٣٨.

(٣) قتل مقطوع اليد، الكافي ٣١٦/٧ التهذيب ٢٧٧/١٠ الوسائل ٨٢/٩ ح ٣٥٢٥٤.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٦٥.

(٥) ن ص ١٤٤.

٣٥٠

وقد سبقت الإشارة إلى ستة أحاديث بأسانيد متعددة عن الإمام الصادق روى في كلها عن كتاب علي نفس الحكم أوردنا مصادرها تحت عنوان: في ما حرم أكله من أنواع السمك<sup>١</sup>.

٣ - وفيه عن أبي بصير عن أبي جعفر، قال - أبو بصير - : كنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فيها أبو جعفر (ع) فإذا فيها: المرأة تموت وتترك زوجها ليس لها وارث غيره فله المال كله<sup>٢</sup>.

٤ - وعن عبد الملك بن أعين قال: أراني أبو جعفر (ع) بعض كتب علي... الحديث<sup>٣</sup>.

٥ - ومنهم عبد الملك في بصائر الدرجات عن عبد الملك، قال: دعا أبو جعفر (ع) بكتاب علي (ع) فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطوياً فإذا فيه... الحديث<sup>٤</sup>.

٦ - في الكافي والتهذيب عن محمد بن مسلم قال: نظرت إلى صحيفة ينظر فيها أبو جعفر (ع) فقرأت فيها مكتوباً: ابن أخ وجد، المال بينهما سواء، فقلت لأبي جعفر (ع): إن من عندنا لا يقضون بهذا القضاء، ولا يجعلون لابن الأخ مع الجدة شيئاً فقال أبو جعفر (ع): أما إني إمام رسول الله (ص) وخط علي من فيه بيده.  
٧ - وفي رواية قال محمد بن مسلم: نشر أبو عبد الله صحيفة الفرائض فأول ما تلقاني فيها ابن أخ وجد... الحديث<sup>٥</sup>.

يبدو أن محمد بن مسلم أخذ بعد هذا السؤال والجواب من الصحيفة شيئاً غير يسير من الفرائض، مثل ما رواه عنه في الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، قال محمد ابن مسلم:

٨ - أقرأني أبو جعفر (ع) صحيفة كتاب الفرائض التي هي إمام رسول

(١) ما حرم أكله من السمك في فروع الكافي ٢١٩/٦ و ٢٢٠، والتهذيب ٢/٩، والوسائل ٣٣٢/١٦ و ٤٠٠ ح ٣٠١٥٧.  
(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٥.

(٣) بصائر الدرجات ص ١٦٢. عبد الملك بن أعين أبو الضريس الشيباني يروي عن الإمامين الباقر والصادق، يوتوني في عصره، قاموس الرجال ١٨١/٦.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٦٥ ح ١٤، والوسائل ٥٢٢/١٧ ح ٣٢٨٣٦.

(٥) الكافي ١١٣/٧، والتهذيب ٣٠٨/٩، والوسائل ٨٧/١٧ ص ٤٨٦ ح ٣٢٧٠٢، والرواية الثانية في الكافي ١١٢/٧، والوسائل ٤٧٥/١٧ ح ٣٢٦٩٨.

الله (ص) وخط علي بيده، فوجدت فيها: رجل ترك ابنته وأمه، للابنة النصف... الحديث بطوله<sup>١</sup>.

٩ - وفي التهذيب عن محمد بن مسلم قال: أقرأني أبو جعفر (ع) صحيفة كتاب الفرائض التي هي إملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع) بيده فإذا فيها أن السهام لا تعول<sup>٢</sup>.

واستغرب - أيضاً - زرارة مما رأى من اختلاف الفرائض في كتاب علي ومالدي فقهاء مدرسة الخلفاء كما روى عمر بن أذينة عنه:

١٠ - عمر بن أذينة، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (ع) عن الجدة فقال: ما أجد أحداً قال فيه إلا برأيه إلا أمير المؤمنين (ع) قلت: أصلحك الله فما قال فيه أمير المؤمنين (ع)؟ قال: إذا كان غداً فالقني حتى أقرئك في كتاب، قلت: أصلحك الله حدثني فإن حديثك أحب إلي من أن تقرئني في كتاب، فقال لي الثانية: اسمع ما أقول لك إذا كان غداً فالقني حتى أقرئك في كتاب، فأتيته من الغد بعد الظهر وكانت ساعتني التي كنت أخلوبه فيها بين الظهر والعصر وكنت أكره أن أسأله إلا خالياً خشية أن يفتني من أجل من يحضره بالتقية فلما دخلت عليه أقبل على ابنه جعفر (ع) فقال له: أقرئ زرارة صحيفة الفرائض ثم قام لينام فبقيت أنا وجعفر (ع) في البيت فقام فأخرج إلي صحيفة مثل فخذ البعير فقال: لست أقرئكها حتى تجعل لي عليك الله أن لا تحدث بما تقرأ فيها أحداً أبداً حتى آذن لك ولم يقل: حتى يأذن لك أبي، فقلت: أصلحك الله ولم تضيق علي ولم يأمر بك أبوك بذلك! فقال لي: ما أنت بناظر فيها إلا على ما قلت لك، فقلت: فذاك لك، وكنت رجلاً عالماً بالفرائض والوصايا، بصيراً بها، حاسباً لها، ألثت الزمان أطلب شيئاً يلقي علي من الفرائض والوصايا لا أعلمه فلا أقدر عليه فلما ألقى إلي طرف الصحيفة إذا كتاب غليظ يعرف أنه من كتب الأولين فنظرت فيها فإذا فيها خلاف ما بأيدي الناس من الصلة والأمر بالمعروف الذي ليس فيه اختلاف وإذا عامته كذلك، فقرأته حتى أتيت على آخره بخبث نفس وقلة تحفظ وسقام رأي وقلت وأنا أقرأه: باطل حتى أتيت على آخره ثم أدرجتها ودفعتها إليه،

(١) في الكافي، باب ميراث الولد مع الأبوين ٩٣/٧، ومن لا يحضره الفقيه ١٩٢/٤، والتهذيب ٢٧٠/٩، والوسائل ٤٦٣/١٧ ح ٣٢٧٠٢.

(٢) في التهذيب ٢٤٧/٩ ح ٢، والوسائل ٤٢٣/١٧ ح ٣٢٥٠٣.

فلما أصبحت لقيت أبا جعفر (ع) فقال لي: أقرأت صحيفة الفرائض؟ فقلت: نعم، فقال: كيف رأيت ما قرأت؟ قال: قلت: باطل، ليس بشيء، هو خلاف ما الناس عليه قال: فإن الذي رأيت والله يا زرارة هو الحق الذي رأيت، إملأ رسول الله (ص) وخط علي (ع) بيده، فأتاني الشيطان فوسوس في صدري فقال: وما يدريه أنه إملأ رسول الله (ص) وخط علي (ع) بيده؟ فقال لي قبل أن أنطق: يا زرارة لا تشككن، ود الشيطان والله إنك شككت، وكيف لا أدري أنه إملأ رسول الله (ص) وخط علي (ع) بيده وقد حدثني أبي عن جدي أن أمير المؤمنين (ع) حدثه ذلك؟ قال: قلت: لا، كيف جعلني الله فداك وندمت على ما فاتني من الكتاب ولو كنت قرأته وأنا أعرفه لرجوت أن لا يفوتني منه حرف<sup>١</sup>... الحديث.

يظهر من هذه الأخبار أن المجتمع الإسلامي بعامة كان قد تعارف على تقسيم الإرث حسب ما يقضي فقهاء مدرسة الخلفاء، وأجتهد الأئمة في نشر الفرائض كما شرحها كتاب علي عن رسول الله. وكان ممن استغرب ما ورد فيه زرارة ومحمد بن مسلم ثم تابا ورجعا إلى رواية ما قرآه في صحيفة الفرائض، فإن زرارة هذا يروي ويقول: ١١ - أمر أبو جعفر أبا عبد الله فاقرا في صحيفة الفرائض فرأيت... الحديث<sup>٢</sup>، ويقول عن سهمين في حديثين:

١٢ - أراني أبو عبد الله صحيفة الفرائض<sup>٣</sup>.

ويقول:

١٣ - وجدت في صحيفة الفرائض<sup>٤</sup>.

١٤ - ومن أراه الإمام أبو عبد الله صحيفة الفرائض أبا بصير، كما في الكافي والتهذيب عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عن شيء من الفرائض، فقال لي: ألا أخرج لك كتاب علي (ع)؟ فقلت: كتاب علي لم يدرس، فقال: يا أبا محمد! إن كتاب علي لم يدرس - وفي نسخة لا يدرس - فأخرجه فإذا كتاب جليل وإذافيه: رجل مات

(١) الكافي ٩٤/٧ - ٩٥، والتهذيب ٢٧١/٩.

(٢) فروع الكافي ٨١/٧ ح ٤، والوسائل ٤٢٢/١٧ ح ٣٢٤٩٦.

(٣) التهذيب ٢٧٣/٩ ح ٩، والوسائل ٤٢٨/١٧ ح ٣٢٥١٩، والتهذيب ٣٠٦/٩ ح ١٦، والاستبصار

١٥٨/٤، والوسائل ٤٩٣/١٧.

(٤) التهذيب ٢٧٢/٩، الكافي ٩٤/٧، والوسائل ٤٦٣/١٨ ح ٣٢٦٣٥.



وترك عمه وخاله، قال: للعمّ الثلثان وللخال الثلث<sup>١</sup>.  
في هذا الحديث استغرب أبو بصير بقاء الكتاب قرابة قرن أو أكثر مع ما نجد اليوم من بقاء الكتب قروناً طويلة. وفي غيره نجده غير مستغرب لذلك مثل ما ورد في الكافي:

١٥ - عن أبي بصير قال: قرأ علي أبو عبد الله كتاب فرائض علي (ع) فكان أكثرهن من خمسة أو من أربعة وأكثره من ستة أسهم.

قال المجلسي في مرآة العقول: إذا اجتمعت البنت مع أحد الأبوين تقسم الفريضة عند الشيعة من أربعة أسهم<sup>٢</sup>.

١٦ - وفي الكافي والتهذيب عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) فدعا بالجامعة فنظر فيها فإذا: امرأة ماتت وترك زوجها لا وارث لها غيره: المال له كله<sup>٣</sup>.

١٧ - وعن معتب قال: أخرج إلينا أبو عبد الله صحيفة عتيقة من صحف علي (ع) فإذا فيها ما نقول إذا جلسنا نتشهد<sup>٤</sup>.

١٨ - عن ابن بكير قال: سألت زارة أبا عبد الله عن الصلاة في الثعالب والفنك والسنجاب وغيره من الوب، فأخرج كتاباً زعم أنه إملاء رسول الله (ص) فإذا فيها أن الصلاة في وبر كل شيء حرام أكله فالصلاة في وبره وشعره وجلده وبوله وروثه وكل شيء منه فاسد، لا تقبل تلك الصلاة حتى يصلي في غيره ممّا أحلّ الله أكله، ثم قال: يا زارة هذا عن رسول الله فاحفظ ذلك... الحديث<sup>٥</sup>.

(١) في الكافي ١١٩/٧ باب ميراث ذوي الأرحام والتهذيب ٣٢٤/٩ وفيه: «لا يندرس» بدل لا يدرس، والوسائل ج ٥٠٤/١٧ ح ٣٢٧٧١.

(٢) الكافي ٨١/٧، والوسائل ٤٢٢/١٧ ح ٣٢٤٩٨، وما نقلناه عن المجلسي في شرح حديث زارة بمرآة العقول.

(٣) الكافي ١٢٥/٧، والتهذيب ٩٤/٩ ح ١٣، والاستبصار ١٤٩/٤، والوسائل ٥١٢/١٧ ح ٣٢٧٩٥ تشابه حديثاً أبي بصير ذو الرقمين ١ و٣ عن أبي جعفر وحديثه ذو الرقمين ١٤ و١٦ عن أبي عبد الله، ويرجح عندنا أن يكون الأولان أيضاً كالأخيرين مرويين عن الإمام الصادق ورويه الرواة أو الكتاب لدى النسخ. ومن الجائز أنها قد وردا عن الإمامين معاً وقد تشابه حديثا الإمام الأب والإمام الابن.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٤٥ ح ٢٢. معتب - مولى الإمام الصادق - ضربه المنصور ألف سوط حتى مات. قاموس الرجال ٤٨/٩.

(٥) الصلاة في مالا يحل لحمه في الكافي (٣٩٧/٣) والتهذيب (٢٠٩/٢) والاستبصار ٣٨٣/١

كان الأئمة من أهل البيت يرجعون إلى الجفر ومصحف فاطمة لاستعلام الأنباء الكائنة أحياناً، وأخرى إلى كتاب الجامعة في بيان الأحكام الإسلامية وآدابها، يروون عن الجامعة خاصة تارة مع ذكره السند وأخرى دون ذكره السند، كما نرى ذلك في المثالين الآتين:

#### أ - حكم ميراث ابن الأخ مع الجدة

قال محمد بن مسلم في روايته السابقة: نشر أبو عبد الله صحيفة الفرائض، فأول ما تلقاني فيها ابن أخ وجد، المال بينهما نصفان، قلت: جعلت فداك، إن القضاة عندنا لا يقضون لابن الأخ مع الجدة بشيء، فقال: إن هذا الكتاب خط علي وإملاء رسول الله (ص).

ونجد في الباب نفسه من الكافي روايتين أخريين بهذا المعنى دوماً إشارة إلى كتاب علي.

أولاهما: رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله (ع) قال: سألت عن ابن أخ وجد، فقال: المال بينهما نصفان.

والثانية: رواية أبي بصير، قال: سمعت رجلاً يسأل أبا جعفر أو أبا عبد الله وأنا عنده: عن ابن أخ وجد، قال: يجعل المال بينهما نصفين.

ورواية ثالثة بنفس المغزى عن القاسم بن سليمان عن أبي عبد الله، قال: إن علياً كان يورث ابن الأخ مع الجدة ميراث أبيه<sup>١</sup>.

#### ب - قولهم في بطلان العول

العول في الاصطلاح الفقهي: زيادة سهام الورثة على الحصص المفروضة ويحصل ذلك بوجود أحد الزوجين مع الورثة، كمن مات وخلف ابنتين وأبوين وزوجة فللابنتين الثلثان، وللأبوين السدسان، وللزوجة الثمن<sup>٢</sup>. ولما كانت السهام من ستة فقد زاد على

→ والوسائل (٣/٢٥٠، ح - ٥٣٤٢). ابن بكير أبو علي عبد الله بن بكير بن أعين الشيباني، مولا هم، فطحي ثقة؛ روى عن الإمام الصادق (ع). قاموس الرجال (٥/٣٩٩).

(١) الروايات الأربع في الكافي ١١٢/٧ - ١١٣، وأرقلمها على التوالي ٤٥١ و ٢٥٦، وفي التهذيب ٣٠٩/٩،

والوسائل ١٧/٤٨٥ - ٤٨٦ والقاسم بن سليمان بغدادى روى عن الإمام الصادق - قاموس الرجال ٧/٣٦٠.

(٢) راجع مادة «العول» في نهاية اللغة.

٣٥٥

السهم الثمن بحسب الفرض، فمن أعال الفرائض أدخل النقص على سهامهم جميعاً حسب ما هو مقرر في فقه مدرسة الخلفاء. وأما في مدرسة أهل البيت فإن النقص يدخل على كل فريضة لم يهبطها الله إلى فريضة أخرى. وعلى هذا فإن الزوج الذي له النصف وإذا زال عنه هبط سهمه إلى فريضة دونها وهي الربع لا يزيله عنه شيء، والزوجة التي لها الربع فإذا زالت عنه صارت إلى الثمن لا يزيلها عنه شيء، واحد الوالدين اللذين لها الثلث فإذا زالا عنه صارا إلى السدس لا يزيلها عنه شيء، ولا يدخل النقص على هؤلاء بعد ذلك وإنما يدخل النقص على البنت والأخت فإن للواحدة منها النصف وللأكثر الثلثان فإذا أزالتهن الفرائض عن ذلك لم يكن لهنّ إلا ما بقي وعلى هذا، فإن للابوين في المثال المذكور السدسين وللزوجة الثمن وللبننتين ما بقي من التركة<sup>١</sup>.

وفي مايلي روايات أئمة أهل البيت في العول:

- ١ - روى محمد بن مسلم بن الفضيل بن يسار وبريد العجلي وزرارة بن أعين، عن أبي جعفر - الإمام الباقر - أنه قال: السهام لا تعول ولا يكون أكثر من ستة<sup>٢</sup>.
- ٢ - عن أبي مريم الأنصاري عن أبي جعفر، قال: إن الذي يعلم رمل عالج ليعلم أن الفرائض لا تعول على أكثر من ستة<sup>٣</sup>.
- رمل عالج: ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض.
- ٣ - عن بكير بن أبي عبد الله (ع) قال: أصل الفرائض من ستة أسهم لا تزيد على ذلك ولا تعول عليها ثم المال بعد ذلك لأهل السهام الذين ذكروا في الكتاب<sup>٤</sup>.
- ٤ - عن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله، قال: سهام الموارث من ستة أسهم لا تزيد عليها... الحديث<sup>٥</sup>.
- ٥ - عن علي بن سعيد، قال: قلت لزرارة: إن بكير بن أعين حدثني عن

(١) شرح اللعة الدمشقية ج ٨/٨٦ - ٩١.

(٢) الكافي ٨٠/٧ ح ١، والوسائل ٤٢١/١٧ ح ٣٢٤٩٤.

(٣) الكافي ٧٩/٧ ح ١، والوسائل ٤٢٢/١٧ ح ٣٢٤٩٩.

(٤) الكافي ٨١/٧ ح ٧، والوسائل ٤٢٢/١٧ ح ٣٢٥٠٠. بكير بن أعين أبو الجهم الشيباني ولاء، روى

عن الإمامين الباقر والصادق وتوفي في عصر الصادق. قاموس الرجال ٢/٢٣٣.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٨٩/٤ ح ٥ مرسلاً، والوسائل ٤٢٤/١٧ ح ٣٢٥٠٥.

وابن ابي عمير، أبو أحمد محمد بن زياد مولى الأزدي، روى عن الإمامين الرضا والجواد صنف أربعاً وتسعين كتاباً (ت: ٢١٧ هـ). ١٧/٢٢٣ ح ٣٢٥٠٩.

أبي جعفر ، إنَّ السهام لاتعول ولا تكون أكثر من ستة ، فقال : هذا ما ليس فيه اختلاف بين أصحابنا عن أبي جعفر وأبي عبد الله<sup>١</sup> .  
هكذا ذكر الإمامان حكم الله في هذا الأمر دون أن يسنداه بيننا نجدهما يسندانه في روايات أخرى مثل الروايات التالية :

٦- عن أبي بصير، قال : قلت لأبي جعفر (ع) ربّما أعيل السهام حتى تكون على المائة أو أقلّ أو أكثر ، فقال : ليس تجوز ستة ، ثمّ قال : إنّ أمير المؤمنين كان يقول : إنّ الذي أحصى رمل عالج ليعلم أنّ السهام لا تعول على ستة ، لو يبصرون وجوهها ، لم تجز ستة<sup>٢</sup> .

٧- عن أبي بصير عن أبي عبد الله - الصادق (ع) - قال : قرأ عليّ فرائض علي (ع) فكان أكثرهنّ من خمسة أسهم وأربعة أسهم ، وأكثره من ستة أسهم<sup>٣</sup> .  
٨- عن محمد بن مسلم ، قال : أقراني أبو جعفر (ع) صحيفة كتاب الفرائض التي هي إملاء رسول الله وخطّ علي بيده فإذا فيها : إنّ السهام لاتعول<sup>٤</sup> .  
في المثال الثاني ذكر الإمامان في عدّة روايات أنّ السهام لاتعول ولا تزيد على ستة ، وفي رواية منها : إنّ الذي أحصى رمل عالج ليعلم أنّ السهام لاتعول .  
في هذه الروايات ذكروا الحكم دونها ذكر سند له ، وفي الحديث السادس أسنده الإمام إلى أمير المؤمنين ، وفي السابع قرأ الإمام على الراوي فرائض علي ، وفي الثامن أقرأ الراوي صحيفة كتاب الفرائض التي هي إملاء رسول الله وخطّ علي ، والحكم في جميعها واحد .

وكذلك الشأن في كتاب الإمام الرضا (ع) إلى المأمون حيث قال فيه : والفرائض على ما أنزل الله في كتابه ولا عول فيها<sup>٥</sup> .  
وكذلك الأمر في غير هذين المثالين مما ذكر الأئمة في حديث لهم حكماً شرعياً

(١) الكافي ٨/٧ ح ٢ ، والتهذيب ٩/٢٤٨ ح ٤ ، والوسائل ١٧/٤٢١ ح ٣٢٤٩٥ .

٢ - كافي ٧/٧٩ ح ٢ ، ومن لا يحضره الفقيه ٤/١٨٧ ح ١ ، والتهذيب ٩/٢٤٧ ح ٣ ، والوسائل ١٧/٤٢٣ - ٣٢٥٠٩ .

٣ - كافي ٨/٧٩ ح ٦ ، والوسائل ١٧/٤٢٢ ح ٣٢٤٩٨ .

٤ - 'التهذيب ٩/٢٤٧ ح ٣ ، والوسائل ١٧/٤٢٣ ح ٣٢٥٠٣ .

٥ - عيون أخبار الرضا ٢/١٢٥ ، وتحف العقول للحسن بن علي بن شعبة الحراني «من أعلام القرن الرابع الهجري» ط . مكتبة بصيرتي بقم ص ٣١٤ وفي لفظه اختلاف يسير والوسائل ١٧/٤٢٤ ح ٣٢٥٠٨ .

فإنهم يرجعون في جميعها إلى ما قاله جدهم الرسول (ص). الذي « ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ».

ومن هنا كان لأحاديث أئمة أهل البيت سند واحد، وحديثهم حديث واحد وقولهم قول واحد.

ولهذا قال الإمام الصادق (ع) كما رواه ابن سنان: ليس عليكم جناح في ما سمعتم متي أن ترووه عن أبي وليس عليكم جناح في ما سمعتم عن أبي أن ترووه عني ليس عليكم في هذا جناح<sup>١</sup>.

وقال في جواب أبي بصير لما قال: الحديث أسمعته منك أرويه عن أبيك، أو أسمعته من أبيك أرويه عنك؟ قال: سواء، إلا إنك ترويه عن أبي أحب إلي<sup>٢</sup>.

وقال للجميل: ما سمعت متي فأرويه عن أبي<sup>٣</sup>.

ولهذا قال الحفص بن البختري لما قال: نسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك، فقال: ما سمعته متي فأرويه عن أبي وما سمعته متي فأرويه عن رسول الله (ص)<sup>٤</sup>.

ولهذا قال كما رواه هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص)، وحديث رسول الله قول الله عز وجل<sup>٥</sup>.

ولهذا قال أبو جعفر - الإمام الباقر (ع) - لجابر، لما قال له: إذا حدثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدثني أبي عن جدي رسول الله، عن جبرئيل، عن الله عز وجل، وكلما أحدثك بهذا الاسناد... الحديث<sup>٦</sup>.

(١) الوسائل ط. القديمة ج ٣/ ٣٨٠ رقم الحديث ٨٥.

(٢) الكافي ٥١/١.

(٣) الكافي ٥١/١، وجميل في أصحاب الصادق أكثر من واحد.

(٤) الوسائل ج ٣/ ٣٨٠ رقم الحديث ٨٦. وحفص بن البختري، بغداد كوفي الأصل يروى عن

الإمام الصادق، له كتاب. قاموس الرجال ٣/ ٣٥٥.

(٥) الكافي ٥٣/١، وإرشاد المفيد ص ٢٥٧. وهشام بن سالم أبو محمد الجواليقي الجعفي ولاه، كوفي يروى

عن الإمام الصادق، له كتاب. قاموس الرجال ٩/ ٣٥٧.

(٦) أمالي الشيخ المفيد ص ٢٦.

ولهذا جرى الحديث التالي بين سورة بن كليب وزيد بن علي بن الحسين كما رواه الكشي عن سورة، قال: قال لي زيد بن علي: يا سورة! كيف علمتم أن صاحبكم — أي الإمام الصادق — على ما تذكرونه، قال: فقلت له: على الخير سقطت، قال: فقال: هات! فقلت له: كنتا نأتي أخاك محمد بن علي (ع) نسأله فيقول: قال رسول الله (ص) وقال الله عز وجل في كتابه، حتى مضى أخوك فأتيناكم آل محمد وأنت في من أتيناه، فتخبرونا ببعض ولا تخبرونا بكل الذي نسألكم عنه حتى أتينا ابن أخيك جعفر، فقال لنا كما قال أبوه: قال رسول الله (ص) وقال تعالى، فتبسم، وقال: أما والله إن قلت هذا فإن كتب علي عنده<sup>١</sup>.

ولهذا قال ابن شبرمة: ما ذكرت حديثاً سمعته عن جعفر بن محمد إلا كاد أن يتصدع قلبه، قال:

حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله، وقال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده ولا جده على رسول الله قال: قال رسول الله «من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك ومن أفق الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك»<sup>٢</sup>.

ولما كان الأئمة يعتمدون قول الله ورسوله في بيان الأحكام وعلماء مدرسة الخلفاء يعتمدون الرأي والقياس فيه، فقد تحتم وقوع الخلاف بين المدرستين في بيان الأحكام كما نرى مثاله في الحديث الآتي:

روى عذافر الصيرفي، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (ع) فجعل يسأله، وكان أبو جعفر له مكرماً فاختلفا في شيء فقال أبو جعفر (ع): يا بني! قم فأخرج كتاباً مدرجاً عظيماً ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة فقال أبو جعفر (ع): هذا خط علي وإملاء رسول الله (ص) وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئت يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل<sup>٣</sup>.

(١) اختيار معرفة رجال الكشي ص ٣٧٦ في ترجمة سورة بن كليب.

(٢) الكافي ٤٣/١.

(٣) رجال النجاشي ٢٧٩.

وعذافر بن عيسى الخزاعي الصيرفي، روى عن الإمام الصادق. قاموس الرجال ٢٩٥/٦.

ما كان الأئمة من أهل البيت يتمكنون دائماً من اظهار ما عندهم من احكام الاسلام عن رسول الله خلافا لما عند مدرسة الخلفاء.

فقد قال أبو عبد الله - الصادق - : كان أبي يفتي - وكان يتقي ونحن نخاف - في صيد البزاة والصقور وأما الآن فأنا لا نخاف ولا محلّ صيدها الا ان تدرك ذكاته، فانه في كتاب علي (ع) ان الله عز وجل، يقول: «وما علمتم من الجوارح مكلّين» في الكلاب<sup>١</sup>.

### شكوى الإمام علي (ع) من تغيير السنة النبوية

كان ما ذكره الإمام الصادق من عدم خوفهم الآن وبيانهم الحكم كما هو في كتاب أمير المؤمنين في اخريات العصر الأموي وأوائل العهد العباسي أمّا قبل ذلك فلم يتمكن الأئمة من أهل البيت من التظاهر بخلاف ما عليه مدرسة الخلفاء عدا أيام حكم الإمام علي بن أبي طالب في بيان بعض الأحكام ولذلك ظهر في أيامه الخلاف بين المدرستين في ذلك البعض الذي بين فيه الإمام وشيعته من الصحابة الحكم الصحيح والتفسير الحق للقرآن كما ورد في الكافي والاحتجاج والوسائل ومستدركه وموجزه في نهج البلاغة واللفظ للأول: عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت: لأمر المؤمنين (ع): إنني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله (ص) غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله (ص) أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل؛ أفترى الناس يكذبون على رسول الله (ص) متعمدين، ويفسرون القرآن بأرائهم؟ قال: فأقبل عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامةً وخاصةً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله (ص) على عهده

والحكم بن عتبة الكوفي الكندي ولاء روى عن الإمامين الباقر والصادق. توفي سنة ١١٣ - أو ١٢ أو ١٥. قاموس الرجال ٣/٣٧٥.

وأبو محمد مات وله نيف وستون أخرجه حديثه أصحاب الصحاح. التهذيب ١/١٩٢.

وسلمة بن كهيل أبو يحيى الحضرمي الكوفي، أدرك الإمامين الباقر والصادق. قاموس الرجال ٤/٣٣٩.

وأبو المقدام ثابت بن هرمز الحداد الفارسي العجلي ولاء، أدرك الإمامين الباقر والصادق وهو وسلمة من البترية الذين دعوا إلى ولاية علي وخلطوها بولاية أبي بكر وعمر، ويثبتون إمامتهما ويغضون عثمان وطلحة والزبير وعائشة، ويرون الخروج مع بطون ولد علي بن أبي طالب، يذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويثبتون لكل من خرج من ولد علي بن أبي طالب عند خروجه الإمامة. قاموس الرجال ٢/٢٨٧ - ٢٨٩ (١) الكافي ٦/٢٠٧، والتهذيب ٩/٣٣، والوسائل ١٦/٢٠٧، وفي ٢٢٠ منه باختصار.

حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة<sup>١</sup> فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجلٌ منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام<sup>٢</sup> لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله (ص) متعمداً؛ فلو علم الناس أنه منافق كذاب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (ص) ورآه وسمع منه، وأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: «وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم» ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى التار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً فهو في يده، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله (ص) فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله (ص) شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله (ص)، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله (ص)، لم ينس<sup>٣</sup>، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي (ص) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ [وخاص وعام] ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل القرآن

(١) بكسر الكاف وتخفيف الذال مصدر كذب يكذب أي كثرت عليّ كذبة الكذابين. ويصح أيضاً جعل الكذاب بمعنى المكذوب والتاء للتأنيث أي الاحاديث المفتراة أو بفتح الكاف وتشديد الذال بمعنى الواحد الكثير الكذب والتاء لزيادة المبالغة والمعنى: كثرت عليّ أكاذيب الكذابة أو التاء للتأنيث والمعنى كثرت الجماعة الكذابة ولعل الأخير أظهر وهذا الخبر على تقدير صدقه وكذبه يدل على وقوع الكذب عليه «ص» وقونه: فليتبوأ بل صيغه الامر ومعناه الخبر. (قاله المجلسي في مرآة العقول).

(٢) أي: متكلف له ومتدلس به غير متصف به في نفس الامر. «مرآة العقول».

(٣) في بعض النسخ [لم ينس].



وقال الله عز وجل في كتابه: «... ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا»<sup>١</sup> فيشتبه على من لم يعرف ولم يدرك ما عني الله به ورسوله (ص) وليس كل أصحاب رسول الله (ص) كان يسأله عن الشيء فيفهمه وكان منهم من يسأله ولا يفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيب الأعرابي والطاري<sup>٢</sup> فيسأل رسول الله (ص) حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على رسول الله (ص) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله (ص) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فغربت ما كان في بيتي يأتيني رسول الله (ص) أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نساءه. فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت إذا سألت أجنبي وإذا سكث عنه وفيت مسألتي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامتها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فانسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون. ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا أعلمني وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفني شيء لم أكتبه افتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست اتخوف عليك النسيان والجهل<sup>٣</sup>.

\* \* \*

يعرف من هذا الحديث ونظائره من الإمام علي مع أصحابه ومن أحاديث

(١) الخضر/٧.

(٢) «الطاري» الغريب الذي أتاه عن قريب من غير أنس به وبكلامه. (على ما فسره المجلسي ره) ثم قال: وإنما كانوا يحبون قدومها أما لاستفهامهم وعدم استعظامهم أو لأنه صلى الله عليه وآله كان يتكلم على وفق عقولهم فيوضحه حتى يفهم غيرهم. مرآة العقول.

(٣) الكافي ٦٢/١ - ٦٣، والوسائل ط القديمة ٣٩٤/٣ حديث: ١، ومستدرکه ٣٩٣/١، واحتجاج الطبرسي ص ١٣٤، وتحف العقول ١٣١ - ١٣٢ وبعضه في نهج البلاغة الخطبة ٢٠٥. والوافي ٦٣/١. (مرآة العقول ٢١٥/١).

الأئمة من ولده مع معاصريهم وخاصة الامامين الباقر والصادق أن ما كان لدى الأئمة من تفسير القرآن وأحاديث كانت تخالف ما كان منها لدى أصحاب مدرسة الخلفاء ومرة ذلك وسببه أن الخلفاء (الراشدين) الثلاثة لما كانوا قد منعوا الصحابة من نشر الحديث عن رسول الله وروجوا للقصص أمثال تميم الداري رهاب النصارى، وكعب أحبار اليهود<sup>١</sup> فنشر هؤلاء الاسرائيليات وأخذ منهم بعض الصحابة<sup>٢</sup> فانشرت لدى المسلمين زيف كثير وفي مقابل هؤلاء جاهد الإمام علي وشيعته من الصحابة أمثال سلمان وأبي ذر وعمار والمقداد في نشر أحاديث الرسول وسيرته فظهر الخلاف بين المدرستين في هذا الأمر، وتحتل بسببه بعضهم ما تحتل من التشريد والتعذيب<sup>٣</sup> وبالإضافة إلى هذا كان الخلفاء قبله قد غيروا وبذلوا من سنة الرسول ما يخالف سياستهم مما سماه اتباعهم من بعد باجتهاد الخلفاء أمثال ما شرحناه من موارد اجتهاد الخلفاء في ما سبق، فلما جاء الإمام إلى الحكم بعدهم حاول أن يعيد الأمة الإسلامية إلى سنة الرسول، ويغير سنن الخلفاء الراشدين الثلاثة فلم ينجح، كما شرح ذلك لخاصته في حديثه الآتي:

وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجالٌ رجالاً، ألا إن الحق لو خلاص لم يكن اختلاف ولو أن الباطل خلاص لم يخف على ذي حجب، لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث<sup>٤</sup> فيمزجان فيجعلان<sup>٥</sup> معاً فهناك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى<sup>٦</sup>، إني سمعت رسول الله (ص) يقول: كيف أنتم إذا ألبستم فتنة يربو فيها الصغير<sup>٧</sup> ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة وقد أتى الناس منكراً ثم تشتدّ البلية وتسبى الذرية وتودقهم الفتنة كما

(١) نقصد براهب النصارى وكعب أحبار اليهود ما كانا عليه قبل أن يظهر الإسلام.

(٢) لقد شرحنا ذلك في كتابنا: « من تاريخ الحديث » وأشرنا إليه في باب ( أحاديث الرسول ).

(٣) أشرنا إلى ذلك في ما سبق.

(٤) الضغث - بالكسر - قبضة من حشيش مخالطة الرطب باليابس.

(٥) جللت الشيء؛ إذا غطيته. وفي النسخ [ فيجتمعان ] وفي بعضها [ فيجلبان ].

(٦) إلى هنا أوردها الرضي في نهج البلاغة ورقم الخطبة في طبعة ٩٩ و أخرى ٥٠.

(٧) أي يكبر وهو كناية عن امتدادها.

تدق النار الحطوب، وكما تدق الرحا بثفالها<sup>(١)</sup> ويتفقهون لغير الله بويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة. ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته فقال: قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله (ص) متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلها إلى مواضعها وإلى ماكانت عليه في عهد رسول الله (ص) لتفرق عني جندي حتى أبقي وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل<sup>(٢)</sup> وسنة رسول الله (ص)، رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم (ع) لمفردته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله (ص)، ورددت فذك إلى ورثة فاطمة (ع)<sup>(٣)</sup> ورددت صاع رسول الله (ص) كما كان<sup>(٤)</sup>، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله (ص) لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد<sup>(٥)</sup> ورددت قضايا من الجور قضي بها<sup>(٦)</sup>، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حق فرددتهن<sup>(٧)</sup> إلى أزواجهن<sup>(٨)</sup> واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب<sup>(٩)</sup>، ورددت ما قسم من أرض خيبر، وموت

(١) بالمشلة والفاء في النهاية: في حديث علي عليه السلام: «وتدقم الفتن دق الرحا بثفالها» الثفال بالكسر: حلدة تبسط تحت رحا اليد ليقع عليها الدقيق، ويسمى الحجر الأسفل، ثفالاً بها والمعنى أنها تدقهم دق الرحا للحب إذا كانت مثقلة ولا تنفل إلا عند الطحن.

(٢) آخر عمر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت، طقات ابن سعد ٢/٣ ط. بيروت، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٧، و باب موافقات عمر في فتح الباري ٢٣٦/٩ وقيل إن عمر أرجعه إلى مكانه في العصر الجاهلي. (٣) قصة فذك سبق شرحها.

(٤) الصاع في النهاية هو مكيال يسع أربعة أمداد، المد عند الشافعي وفقهاء الحجاز رطل وثلاث الرطل بالعراقي وعند أبي حنيفة المد رطلان وبه أخذ فقهاء العراق. فيكون الصاع خمسة أوطال وثلاثاً أو ثمانية أوطال، وعند الشيعة على ما في كتاب الخلاف في حديث زبارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الرسول (ص) يتوضأ بمد ويتنسل بصاع، والمد رطل ونصف والصاع ستة أوطال يعني رطل المدينة إم. وهو تسعة بالعراقي.

(٥) وسع الخليفة عمر مسجد الرسول كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٧ وأدخل فيه بعض الدور. (٦) ذلك كقضاء عمر بالعدل والتعصيب في الارث وكقضائه بقطع السارق من معصم الكف ومفصل ساق الرجل خلافاً لما أمر به النبي (ص) من ترك الكف والعقب، وإنفاذه في الطلاق الثلاث المرسلة إلى غير ذلك من قضاياء وقضايا الآخرين. (الوافي) وسمى بعضها أوليات عمر.

(٧) كمن طلقت بغير شهود وعلى غير طهر كما أبدعوه ونفذوه وغير ذلك (الوافي).

(٨) لأن عمر رفع عنهم الجزية فهم ليسوا بأهل ذمة فيحل سبي ذراهم كما روي عن الرضا (ع) أنه قال: إن بني تغلب من نصارى العرب انفوا واستنكفوا من قبول الجزية وسالوا عمر أن يعفيهم عن الجزية ويؤدوا الزكاة مضاعفة فخشي أن يلحقوا بالروم فصالحهم على أن صرف ذلك عن رؤوسهم وضاعف عليهم الصدقة

دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله (ص) يعطي بالسوية ولم أجعلها دولة بين الأغنياء وألقيت المساحة<sup>٣</sup>، وسويت بين المناكح<sup>٤</sup> وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل<sup>٥</sup> وفرضه، ووردت مسجد رسول الله (ص) إلى ما كان عليه<sup>٦</sup>، وسددت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سد منه، وحُرِّمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ<sup>٧</sup> وأمرت بإحلال المتعتين<sup>٨</sup> وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس

فرضوا بذلك. وقال يحيى السنة «الغوي» روى أن عمر بن الخطاب رام نصارى العرب على الجزية فقالوا: نحن عرب لا نؤذي ما يؤذي العجم ولكن خذ ما كما يأخذ بعضكم من بعض يعنون الصدقة فقال عمر: هذا فرض الله على المسلمين قالوا: فزد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية فراضهم على أن ضعف عليهم الصدقة. مرآة العقول. (١) أشار بذلك إلى ما ابتدعه عمر في عهده من وضع الخراج على أبواب الزراعة والصناعات والجزائر لأهل العلم وأصحاب الولايات والرئاسات والجند وجعل ذلك عليهم بمنزلة الزكاة المفروضة ودون دواوين واتبت فيها أسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء وأثبت لكل رجل من الأصناف الأربعة ما يعطى من الخراج الذي وضعه على الأصناف الثلاثة بفضل في إعطاء بعضهم على بعض ووضع الدواوين على يد شخص سماه صاحب الديوان، وأثبت له أجرة من ذلك الخراج ولم يكن شيء من ذلك على عهد رسول الله (ص) ولا على عهد أبي بكر. الوافي. (٢) أي لا أجعله لقوم دون قوم حتى يتداولوه بينهم ويحرموا الفقراء.

(٣) إشارة إلى ما عده الخاصة والعامة من بدع عمر أنه قال: ينبغي مكان هذا العشر ونصف العشر دراهم نأخذها من أرباب الأملاك، فبعث إلى البلدان من مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذ من العراق وما ينهبها ما كان أحده منهم ملوك العرب على كل جريب درهم واحدًا وقفيزًا من أصناف الحبوب، وأخذ من مصر ونواحيها دينارًا وإردبًا عن مساحة جريب كما كان يأخذ منهم ملوك الإسكندرية. وقد روى يحيى السنة وغيره من علمائهم عن النبي (ص) أنه قال: «منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها» والإردب لأهل مصر أربعة وستون مثاق وفسره أكثرهم بأنه قد محاذ ذلك شريعة الإسلام وكان أول بلد مسحه عمر بلد الكوفة. وتفصيل الكلام في ذكر هذه البدع موكول إلى الكتب المبسطة التي دونها أصحابنا لذلك كالشافي للسيد المرتضى. مرآة العقول.

(٤) بأن يزوج الشريف والوضيع كما فعله رسول الله (ص): زوج بنت عمته مقدادًا. أو إشارة إلى ما ابتدعه عمر من منعه غير قریش أن يتزوج في قریش ومنعه العجم من التزويج في العرب. الوافي.

(٥) إشارة إلى منع عمر أهل البيت خمسهم كما مر بيانه.

(٦) يعني أخرجت منه ما زادوه فيه. «وسددت ما فتح فيه من الأبواب» إشارة إلى ما نزل به جبرئيل (ع) من الله سبحانه من أمره النبي (ص) بسد الأبواب من مسجده إلى باب علي وكانهم قد عكسوا الأمر بعد رسول الله (ص). الوافي.

(٧) إشارة إلى ما ابتدعه عمر من إباحة المسح على الخفين في الوضوء ثلاثاً للمسافر ويوماً وليلة للمقيم وقد روت عائشة عن النبي (ص) أنه قال لعمر: «أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره». «وحددت على النبيذ» وذلك أنهم استحلوه. راجع من لا يحضره الفقيه ج ١ الباب ١٠: ح ٩٦ (٨) يعني متعة النساء ومتعة الحج، قال عمر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وأنا أحرمها

تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل بعد رسول الله (ص) في مسجده ممن كان رسول الله (ص) أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله (ص) ممن كان رسول الله (ص) أدخله، وأوجلت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على الستة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها. ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وستة نبيه (ص)، إذا تفرقوا عني. والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن آجتماعهم في النوافل بدعة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرت سنة عمرينانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً

→

وأعاقب عليها: متعة النساء ومتعة الحج». مزيانته.

(١) وذلك ان النبي (ص) كان يكبر على الجنائز خمساً، لكن الخليفة الثاني راقه أن يكون التكبير في الصلاة عليها أربعا فجمع الناس على الأربع، نص على ذلك جماعة من أعلام الأمة كالسيوطي (نقلًا عن العسكري) حيث ذكر أوليات عمر من كتابه (تاريخ الخلفاء) بوان الشحنة حيث ذكر وفاة عمر سنة ٢٣ من كتاب (روضة المناظر) المطبوع في هامش تاريخ ابن الأثير.

(٢) وذلك أنهم يتخافتون بها أو يسقطونها في الصلاة. ولعلمهم أخذوها من الخليفة معاوية راجع نفسه. سورة الحمد بتفسير الزمخشري. (٣) لعل المراد به نفسه (ع) وبإخراجه سد بابيه وبإدخاله فحه. الوافي.

(٤) وذلك أنهم خالفوا القرآن في كثير من الأحكام وأبطلوا عدة من أحكام الطلاق بآرائهم.

(٥) أي أخذتها من أجناسها التسعة وهي الدنانير والدرهم والحنطة والشعير والبر والزيب والإبل والغنم والبقرافانم أو جيوها في غير ذلك مثل زكاة الخيل. تاريخ الخلفاء ص ١٣٧.

(٦) ذلك أنهم خالفوا في كثير منها كإبداعهم في الوضوء مسح الأذنين وغسل الرجلين والمسح على العمامة والحفين وانتقاضه بلامسة النساء ومس الذكر وأكل ما مسته النار وغير ذلك مما لا ينقضه، وكإبداعهم الوضوء مع غسل الجنابة وإسقاط الغسل في التقاء الختانين من غير انزال، وإسقاطهم من الأذان «حي على خير العمل» وزيادتهم فيه «الصلاة خير من النوم» وتقديمهم التسليم على التشهد الأول في الصلاة مع أن الغرض من وضعه التحليل منها وإبداعهم وضع اليمين على الشمال فيها وحلهم الناس على الجماعة في النافلة وعلى صلاة الضحى وغير ذلك، راجع في إثبات كل ذلك كتاب الشافي للسيد المرتضى — رحمه الله.

(٧) نجران — بالفتح ثم السكون وآخره نون — وهوفي عدة مواضع: منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة وبها كان خبر الأخدود، وإليها تنسب كعبة نجران، وكانت بيعة بها أساقفة مقيمون منهم السيد والعاقب اللذان جاءا إلى النبي عليه السلام في أصحابها ودعاهم إلى المباهلة وبقوا بها حتى أجلاهم عمر ونجران أيضاً موضع على يومين من الكوفة — إلى آخر ما قاله الحموي في مراصد الاطلاع ٣ / ١٣٥٩ وفي كيفية إجلاء عمر ليأهم وسببه. راجع فتح البلدان للبلاذري ص ٧٧ إلى ص ٧٩.

ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري<sup>١</sup>. ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة...<sup>٢</sup>

إلى آخر شكوى الإمام في هذه الخطبة التي يصريح فيها بأنه لم ينجح في إرجاع الأمة الإسلامية إلى ستة نبيها وتخرج في سبيل ذلك الغصص حتى تمتى الموت وقال: ما يحبس أشقاكم أن يجيء فيقتلني. اللهم إني قد سئمتهم وسئمتوني فأرحهم مني، وأرحني منهم<sup>٣</sup>.

وقال: متى يبعث أشقاها ؟ !

قال ذلك، لأن رسول الله كان قد قال له: يا علي «أتدري من أشقى الأولين والآخرين ؟» قال قلت: الله ورسوله أعلم قال: «من يخضب هذه من هذه — يعني لحيته من هامته»<sup>٤</sup>.

ولما أراح ابن ملجم الإمام علياً وتغلب على الحكم معاوية، أعاد إلى الأمة جميع سنن الخلفاء التي ناهضها الإمام علي، وأضاف إلى ذلك إعادته الأعراف القبلية الجاهلية، وزاد في الطين بلة بما فعل من وضعه جماعة من الصحابة والتابعين ليرووا عن رسول الله (ص) أحاديث في تأييد سياسته كما أشرنا إليه في ماسبق، وكان يحذوه إلى ذلك - بالإضافة إلى ما كان يروم من تثبيت الحكم في عقبه - عداؤه لبني هاشم. كما يتضح ذلك مما رواه الزبير بن بكار في «الموفقيات»، عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: دخلت مع أبي علي معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيت مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت ستاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرجامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه؟ فقال: هيات هيات!

(١) راجع فصل في أوليات عمر من تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٦.

(٢) روضة الكافي ٥٨ - ٦٣.

(٣) البحار ١٩٦/٤٢.

(٤) البحار ١٩٥/٤٢.

أي ذكر أرجو بقاءه؟ ملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل، فاعدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبوبكر. ثم ملك أخوعدي، فاجتهد وشتر عشر سنين، فاعدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر.

وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله) فأبي عمل يبق؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك؟ لا والله إلا دفناً دفناً<sup>١</sup>.

وبسبب كل ذلك انتشر «حديث كثير موضوع وبهتان منتشر»<sup>٢</sup> والآنكى من ذلك رؤية المسلمين لمقام الخلافة فقد كانوا يرونه مصداقاً لأولي الأمر في قوله تعالى «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وأغرموا بحب الخلفاء إلى حد أنهم ستوا كل مخالفة منهم لأحكام القرآن وستة الرسول اجتهداً، وعلى امتداد الأيتام تعاطم عندهم مقام الخلافة حتى أصبح حكمهم في نظرهم خلافة الله في الأرض بعد أن كان خلافة الرسول فقد كتب مروان بن محمد - وكان والياً على أرمينية - إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق لما استخلف «يبارك له خلافة الله له على عباد»<sup>٣</sup> وهذا الوليد هو الذي سعى أخوه سليمان في قتله وقال: «أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً ولقد أردتني على نفسي» وأراد الوليد أن يشرب الخمر فوق ظهر الكعبة، ولما قيل في مجلس المهدي أنه كان زنديقاً قال المهدي: «خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق»<sup>٤</sup>.

وروى أبوداود في سننه عن سليمان الأعمش، قال: جمعت مع الحجاج فخطب... قال فيها: ... فاسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفية عبد الملك بن مروان<sup>٥</sup>.

وروى أبوداود والمسعودي وابن عبد ربه واللفظ للأول. عن الربيع بن خالد الضبتي قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله<sup>٦</sup>.

(١) الموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٧٥ و ٥٧٦، وشرح نهج البلاغة ١٧٦/٢.

(٢) راجع المجلد الأول، فصل: في نشر حديث الرسول ص ٢٧ - ٤٣.

(٣) تاريخ ابن كثير ٤/١٠.

(٤) تاريخ ابن كثير ٧/١٠ - ٨.

(٥) سنن أبي داود ج ٤/٢١٠ ح ٤٦٤٥، في: باب في الخلفاء.

(٦) سنن أبي داود ج ٤/٢٠٩ ح ٤٦٤٢، والمسعودي ج ٣/١٤٧ في: ذكر طرف من أخبار الحجاج، والعقد

وكتب إلى عبد الملك يعظم فيه أمر الخلافة ويزعم أن السموات والأرض ما قامتا إلا بهاء، وأن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وذلك أن الله خلق آدم بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، ثم أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلاً إليه، فأعجب عبد الملك بذلك، وقال: لوددت أن بعض الخوارج عندي فأخاصمه بهذا الكتاب... الحديث<sup>١</sup>.

وفي مرة واحدة أنزل من قدر الخليفة وجعله مساوياً للرسول فقد قال في خطبة كما في سنن أبي داود والعقد الفريد: أن مثل عثمان عند الله كمثلي عيسى بن مريم، ثم قرأ هذه الآية «إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إني ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة»<sup>٢</sup>.

وفي العقد الفريد: بعد «من الذين كفروا» أنه أشار بيده إلى أهل الشام<sup>٣</sup> أي أنهم الذين أتبعوا الخليفة فجعلهم الله فوق الذين كفروا وهم أهل العراق، وأمر الوليد ابن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري، فحفر بئراً بمكة فجاءت عذبة الماء طيبة، وكان يستقي منها الناس، فقال خالد في خطبته على منبر مكة: أيها الناس أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله اليهم؟ واللّه لم تعموا فضل الخليفة ألا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحاً أجاجاً واستسقاء الخليفة فسقاه عذباً فراثاً يعني بالملح زمزم وبالماء الفرات بئراً حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم، قال الراوي: ثم غارت البئر فذهبت فلا يدرى أين هي اليوم<sup>٤</sup>.

\* \* \*

بلغت عصبه الخلافة<sup>٥</sup> إلى هذا الحد من الإسفاف في توجيهها الأمة على تقديس مقام الخلافة وخاصة مقام الخليفتين الأولين: أبي بكر وعمر (رض)، وبلغت في ذلك باخريات عهد عمر (رض) مستوى من التربية الفكرية للأمة كان مقبولاً معها

(١) العقد الفريد ٥١/٥.

(٢) سورة آل عمران آية ٥٥.

(٣) سنن أبي داود ٢٠٩/٤، والعقد الفريد ٥١/٥.

(٤) في ذكر حوادث سنة تسع وثمانين من الطبري ٦٧/٥، وابن الأثير ٢٠٥/٤، وابن كثير ٧٦/٩.

(٥) قصدنا من لفظ المصيبة معناه اللغوي وهو العصابة: أي الجماعة من الرجال وذلك ما قصد

الرسول (ع) في غزوة بدر عند ما دعا ربه وقال في حق أصحابه: اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد.



لدى عامة المسلمين ولدى أصحاب رسول الله (ص) خاصة أن يتخذ من سيرتها في عداد سنة الرسول دستوراً للمجتمع الإسلامي، وتعد الخلافة لعثمان على أن يعمل بستة خاتم الأنبياء وسيرة الخليفين<sup>١</sup>. وقد مر بنا في ما سبق أنها كانا يعملان برأيها في الأحكام فقد أسقطا سهم آل البيت خاصة وبني هاشم عامة من عامة موارد الخمس مع وجود النص عليه في الكتاب والسنّة، وأسقط أبو بكر القود والحدّ عن خالد بن الوليد خلافاً للنصّ الشرعي ووفقاً لرأيه، وحرّم عمر متعتي الحجّ والنساء وفقاً لاجتهاده وأوجد النظام الطبقي في تقسيم بيت المال، إلى غير ذلك ممّا بدّ لاهيه أحكام الإسلام وفق ما رأيا من مصلحة خاصة أو عامة، وتابعتها على ذلك الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض)، ولما جاء دور الإمام علي شكا من تغييرهم أحكام الإسلام، ولم يستطع أن يعيدها إلى ما كانت عليه على عهد النبي (ص)، ثمّ جاء بعدهم الخليفة معاوية، فزاد في الطين بلة في ما فعل وغيره وبدل.

وغمّ بعد ذلك أمر الأحكام الإسلامية وأكتبس على المسلمين بحيث لم يعد ممكناً إعادة الأحكام التي بدّ لها الخلفاء إلى المجتمع الإسلامي مع رؤية المسلمين التقديسية للخلفاء الذين بدّلوا تلك الأحكام. فإذا صنع أئمة أهل البيت في مقابل ذلك؟ وكيف استطاعوا أن يعيدوا أحكام الإسلام ثانية إلى المجتمع؟ هذا ما يأتي بيانه في باب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يعيدون أحكام الإسلام إلى المجتمع وفيه تنمة هذا البحث.

(١) عبدالله بن سبأ ج ١، باب الشورى وبيعة عثمان.



## الفصل الخامس

### خلاصة بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية

- أمثلة من اجتهاد الخلفاء في مقابل نصوص الكتاب والسنة
- رواية الأحاديث تبريراً لفعل الخلفاء
- السبيل إلى توحيد كلمة المسلمين



القرآن والسنة والفقه والاجتهاد من مصطلحات الإسلام والمسلمين .  
القرآن هو كلام الله الذي أنزله على خاتم الانبياء باللغة العربية ويقابله في اللغة العربية الشعر والنثر، فكل كلام عربي أما أن يكون قرآنًا وإما أن يكون نثرًا أو شعراً .

ويقال لجميع القرآن: قرآن، وللسورة قرآن، وللآية قرآن، وأحياناً لبعض الآية قرآن، كما يقال للديوان شعر وللقصيدة البيت والشطر شعر.  
وهو مصطلح إسلامي لوروده في كلام الله وحديث الرسول. وقد عدَّ العلماء من أسماء القرآن بعض ألفاظ وردت وصفاً لكلام في القرآن وقد استعملها الله من قبيل الوصف والتعريف للقرآن مثل: الكتاب والذكر.  
وسمى الخليفة أبوبكر القرآن بالمصحف، ولما لم يرد هذا اللفظ في القرآن والحديث النبوي الشريف فقد سميناه بالمصطلح الإسلامي .

وكان رسول الله (ص) يعلم كل ما نزل عليه من القرآن نحوماً، من حضره من المسلمين، وقد أمرهم في المدينة بكتابة القرآن وحفظه، فتسابقوا إلى حفظ القرآن وكتابته على ما حضرهم من جلد وخشب وعظم وغيرها، ولما توفي الرسول (ص) بادر الإمام علي إلى جمعه في كتاب وكانت عند بعض الصحابة - مثل ابن مسعود أيضاً - نسخ خاصة بهم. وأمر الخليفة أبوبكر بعض الصحابة فدونوه في نسخة وأودعها عند أم المؤمنين حفصة، وأمر الخليفة عثمان بكتابة نسخ عليها ووزعها على المسلمين في أقطار البلاد الإسلامية فاستنسخ منها المسلمون آلاف النسخ ثم مئات الألوف وملايينها وبقيت بأيديهم حتى اليوم، شأنه شأن ألفية ابن مالك التي لم تتغير منذ كتبها ناظمها إلى

اليوم، لأن الحوزات لم تنقطع عن تدريسها في كل الأزمنة ولم يسمع بأن لدى أحد من المسلمين في عصر من العصور نسخة من القرآن تختلف في كلمة واحدة عما في أيدينا. أما ماورد في بعض الأحاديث بكتب مدرسة الخلفاء أو مدرسة أهل البيت فإن تلك الروايات لم يأخذ بها أحد من المسلمين في عصر من العصور بل بقيت في محلها من كتب الحديث.

وأما مصحف فاطمة (ع) فإن الأئمة من أهل البيت قالوا عنه: إن فيه أسماء من يحكم هذه الأئمة من حكام وليس فيه شيء من القرآن، وشأن هذه التسمية شأن تسمية كتاب سيبويه في النحوب «الكتاب»، فانه لم يقصد منه أنه القرآن. أما السنة فهي في اللغة: الطريقة، وفي عرف المسلمين: سيرة الرسول وحديثه وتقريره، وقد ورد في حديث الرسول الحث على الأخذ بسنته، فهي إذاً من المصطلحات الإسلامية وإن كانت دلالتها على الحديث والتقرير ضمنية. وينحصر طريق وصول السنة حديثاً وسيرة وتقريراً بما روي عن رسول الله (ص).

والفقه في اللغة: الفهم، وفي القرآن والحديث ورد بمعنى علم الدين الإسلامي، وفي اصطلاح علماء المسلمين خص بعلم الأحكام وبما أنه استعمل في القرآن والحديث بمعنى عامة علم الدين، فاستعماله في خصوص علم الأحكام لا يخرج عن كونه مصطلحاً إسلامياً.

والاجتهاد في عرف علماء مدرسة الخلفاء: استنباط الأحكام عن طريق الكتاب والسنة والقياس.

وفي عرف علماء مدرسة أهل البيت: مساوق للفقه. وتتفق المدرستان في الأخذ بكل ما ورد في كتاب الله وكل ما ثبت لديهم من سنة الرسول.

وتختلفان في من يأخذون عنه سنة الرسول، فإن أتباع مدرسة الخلفاء تأخذ الأحكام من كل من سَمَّوه صحابياً، ولا يأخذ أتباع مدرسة أهل البيت السنة ممن عاды الإمام علياً (ع) مثل عمران بن حطان الخارجي سواء أكان المعادي للإمام علي صحابياً أم تابعياً أم ممن جاء بعدهم لأن رسول الله (ص) قال للإمام علي: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» وقال الله سبحانه: «ومن أهل المدينة مردوا

على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم».

واختلفت المدرستان أيضاً بعد وفاة رسول الله، في نشر حديث الرسول (ص) وكتابه. فبينما منع الخلفاء الأولون إذاعة حديث الرسول (ص) وحرّموا كتابته وبقي تحريم الكتابة جارياً إلى عصر عمر بن عبدالعزيز؛ جدّت مدرسة أهل البيت في إذاعة حديث الرسول (ص) وكتابه جيلاً بعد جيل.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا اختلفت المدرستان ايضاً في العمل بالرأي والاجتهاد في الأحكام الإسلامية فبينما منعت مدرسة أهل البيت العمل بالرأي والاجتهاد في الأحكام، عملت مدرسة الخلفاء في الأحكام الإسلامية بالرأي والاجتهاد كما سنذكر خلاصة بعض أمثلتها فيما يأتي.

## أمثلة من اجتهاد الخلفاء في مقابل نصوص الكتاب والسنة

أ - قال الله عز وجل ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الحشر / ٧ ، ﴿ وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحي يوحى ﴾ النجم / ٣ ، ٤ ، ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ النحل / ٤٤ .

وحدث رسول الله (ص) على نشر حديثه ، وأمر بكتابة حديثه وأكد عليه ، ثم اجتهد الخلفاء ومنعوا من نشر حديث الرسول (ص) ونهوا عن كتابته وأصبح اجتهداهم حكماً إسلامياً ، ثم روي الحديث عن رسول الله (ص) أنه نهى عن كتابة حديثه تأييداً لموقف الخلفاء وبقي الأمر كذلك ، وامتنع المسلمون عن كتابة الحديث النبوي زهاء تسعين سنة حتى إذا أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بكتابة الحديث النبوي الشريف ، كتب المسلمون من أتباع مدرسة الخلفاء حديث الرسول (ص) وألفوا المسانيد والصحاح والمصنفات الكثيرة الوفيرة في ذلك .

ب - قال الله عز وجل : ﴿ فإن لله خمس وللرسول ولذي القربى ﴾ الأنفال / ٤١ . وسن رسول الله (ص) ذلك وعمل به في عصره ، واجتهد الخلفاء فأسقطوا سهم رسول الله (ص) وسهم ذي القربى وجعلوهما في الكراع والسلاح ، وأصبح اجتهداهم حكماً إسلامياً .

ج - قال الله عز وجل : ﴿ فن تمتع بالعمرة الى الحج ﴾ .

وسن رسول الله (ص) عمرة التمتع وعمل بها المسلمون في حجة الوداع ، ثم اجتهد الخلفاء ونهوا عن عمرة التمتع وأمروا بإفراد الحج ، وأصبح اجتهداهم حكماً إسلامياً ، ثم روي الحديث عن رسول الله (ص) بأنه أمر بإفراد الحج وأنه نهى عن عمرة



التمتع تأييداً لموقف الخلفاء، وحجّ المسلمون بلا عمرة وبقي ذلك معمولاً به عند بعضهم حتى اليوم.

د - قال الله عزّ وجلّ: «فما استمتعتم به منهنّ فاتوهنّ أجورهنّ». وسنّ رسول الله (ص) متعة النساء وعمل بها المسلمون على عهده، ثم اجتهد الخلفاء وحرموا متعة النساء، وأصبح اجتهداهم حكماً إسلامياً، ورووا الحديث عن رسول الله (ص) أنه نهى عن متعة النساء وآمنع أتباع مدرسة الخلفاء عن متعة النساء حتى اليوم.

هـ - قال الله عزّ وجلّ: «جعل الله الكعبة البيت الحرام» وجعل مكة وحواليها حرماً آمناً.

وسنّ رسوله ذلك وحدّد حدود حرم الله، ثم اجتهد الخلفاء، فاستباحوا حرمة الكعبة ورموها بالمنجنيق.

و - قال الله عزّ وجلّ: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى». وقال رسول الله (ص) الكثير في الوصية بأهل بيته، ثم اجتهد الخلفاء، فقتلوا سبط الرسول (ص) وأهل بيته وسبوا نساءه.

إلى الكثير مما قال الله ورسوله (ص) واجتهد الخلفاء وسنّوا خلافه، وأصبح اجتهداهم في بعضها حكماً إسلامياً أتبعه المسلمون من أتباع مدرسة الخلفاء، وما أوردنا من ذلك كان على سبيل المثال وليس الحصر فإن لهم اجتهدات أخرى أيضاً مثلها مما ستأها المؤرّخون بالأوليات، فقد قال السيوطي - مثلاً - في ذكر أوليات عمر من تاريخه: هو أول من سنّ قيام شهر رمضان، أي سنّ الجماعة في نافلة شهر رمضان ويستمي صلاة التراويح (أو أول من حرّم المتعة، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، وأول من أعال الفرائض).

وقال في أوليات عثمان: هو أول من أقطع القطائع - مثل فدك أقطعها لروان - وأول من حمى الحمى - مثل الربذة حماها لنفسه - .

(١) راجع صحيح البخاري باب فضل من قام رمضان من كتاب الصيام، ومسلم باب الترغيب في قيام رمضان، وطبقات ابن سعد ط. ليدن ٣/١، ٢٠٢/١، وتاريخ يعقوبي ١٤٠/٢، وتاريخ الطبري ٣٢/٥ وابن الأثير ٢٣/٣.

(٢) راجع مسند أحمد ٣٧٠/٤، و٤٠٦/٥، وتاريخ ابن الأثير ٢٣/٣.

(٣) راجع تفصيل قول ابن عباس في مستدرک الحاكم ٣٣٩/٤.

وقال في أوليات معاوية: هو أول من خطب الناس قاعداً، وأول من أحدث الأذان في العيد، وأول من نقص التكبير وأول من اتخذ مقصورة في المسجد، وأول من عهد بالخلافة لابنه، وأول من عهدا في صحته.

واجتهد الخليفة عمر أيضاً في حكم الطلاق، فجعل التلفظ بالثلاثة في مجلس واحد ثلاث قطيعات، خلافاً لما كانت عليه سنة الرسول<sup>١</sup> وتبديله حتى على خير العمل بـ « الصلاة خير من النوم » في الصبح<sup>٢</sup>

ونهي عن البكاء على الموق، وضربه الباكين مع منع الرسول إياه عن ذلك، وبكاء الرسول على الميت<sup>٣</sup>، ومطلبه من المسلمين أن يبكو على حمزة<sup>٤</sup>.

ونهي عن التطوع بركعتين بعد العصر مع أن رسول الله (ص) لم يتركها قط<sup>٥</sup>. ومثل إتمام عثمان صلاة الرباعية في السفر مع أن الفرض فيها القصر<sup>٦</sup>.

ومثل أمر معاوية بلعن الإمام عليّ على جميع منابر المسلمين في جميع مساجدهم في خطبة الجمعة والعيدين. وقد استمروا على هذه السيرة منذ سنة أربعين للهجرة إلى أن رفعها عمر بن عبد العزيز.

ومثل أفعال الخليفة يزيد!!!

(١) راجع صحيح مسلم باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق، ومسنّد أحمد ٣١٤/١، وسنن أبي داود في كتاب الطلاق، باب نسخ المراجعة بعد الثلاث نطليقات، وسنن البيهقي ٣٣٦/٧، ومسند مالك الحاكم ١٩٦/٢، وسنن النسائي كتاب الجنائز باب عدد التكبيرات على الجنائز.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، وموطأ مالك، باب الأذان والتثويب، وراجع أواخر مبحث الإمامة من شرح التجريد.

(٣) راجع صحيح البخاري، أبواب الجنائز، باب البكاء عند المريض، و باب يعذب الميت ببكاء أهله عليه، و باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، و باب قول النبي (ص) إذا بك الحزونون. وصحيح مسلم في باب البكاء على الميت من كتاب الجنائز، و باب رحمته من الصبيان والعيال من كتاب الفضائل، وتاريخ الطبري و ابن الأثير في ذكر موت أبي بكر في حوادث سنة ١٣ هـ. و النسائي في كتاب الجنائز، و مسند أحمد ٣٣٥/١، و ٣٣٣/٢، و شرح الهج لابن أبي الحديد ١١١/١

(٤) مسند أحمد ٤٠/٢، وترجمة حمزة من الاسنياعاب.

(٥) صحيح مسلم، باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليها بعد العصر، وموطأ مالك في موارد النبي عن الصلاة بعد الصبح والعصر، وراجع شرحه للزرقاني.

(٦) راجع صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وصحيح البخاري في باب ماحاء في التنصير من أبواب التقصير، ومسند أحمد ٩٤/٤. وتاريخ الطبري وابن الأثير في ذكر مانعهم على عثمان

هكذا أظهرت اجتهادات الخلفاء وكبراء مدرستهم في مقابل أحكام الكتاب والسنة وكثر تبديلهم الأحكام الإسلامية وسموها بالتأويل تارة، وبالأوليات أخرى، ولكن المشهور تسميتها بالاجتهاد. وزاد في الطين بلة ما روي من أحاديث تؤيد الخلفاء في أعمالهم وأقوالهم كما يلي بيانه:

### رواية الاحاديث تبريراً لفعل الخلفاء

ضربنا في ما سبق أمثلة من اجتهادات الخلفاء في مقابل نصوص الكتاب والسنة وتشريعهم أحكاماً جديدة في الإسلام. والأعجب من ذلك تبجح بعض المحدثين والرواة في مدرسة الخلفاء برواية أحاديث عن لسان رسول الله (ص) أنه كان قد أمر بتلك الاجتهادات هذا مضافاً إلى ما فعله معاوية في مجال وضع الحديث تأييداً لسياسة الخلفاء. كما أوضحنا كل ذلك في محله من هذا الكتاب وغيره<sup>١</sup>.

ومن أمثلة ما رواه عن رسول الله في تأييد الخلفاء الروايات التالية:

رووا عن رسول الله (ص) أنه نهى عن الخروج على الخلفاء، وفرض على المسلمين طاعتهم على كل حال، مثل ما رواه مسلم وابن كثير وغيرهما عن عبد الله بن عمر، واللفظ لابن كثير، قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع أبن عمر بنيه وأهله، ثم تشهد، ثم قال: أما بعد فإننا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وقد سمعت رسول الله يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون الفيصل بيني وبينه<sup>٢</sup>.

وروى مسلم عن حذيفة أنه قال: قال رسول الله (ص): «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع

(١) ذكرنا قسماً منها في باب «مع معاوية» من كتاب أحاديث عائشة وقسماً منها في محاضراتنا.

(٢) رواه ابن كثير في تاريخه ٧/٣٣٢ ورواه مسلم وغيره كما نقلناه عنهم قبل هذا في باب بحث الإمامة لدى المدرستين. ليست طاعة يزيد وبيعتة مصداقين لقول الرسول، وإنما مصداقه البيعة الصحيحة وطاعة الإمام بالحق مثل طاعة الرسول وبيعتة.

وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»<sup>١</sup>.

وروى الأحاديث الأربعة الآتية مسلم في صحيحه:

١ - عن زيد بن وهب، عن عبد الله. قال: قال رسول الله (ص): «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدركنا ذلك؟ قال: «تؤدون الذي عليكم وتسالون الذي لكم».

٢ - عن وائل الحضرمي أن سلمة بن يزيد سأل رسول الله فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراؤنا يسألون حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا - إلى - : إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

٣ - عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فاته مات ميتة جاهلية... وعن ابن عباس مثله.

٤ - وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشارركم أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» قال قلنا: يا رسول الله أفلا ننبأهم عند ذلك؟ قال «لا». ما أقاموا فيكم الصلاة. لا ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يدا من طاعة»<sup>٢</sup>.

(١) ذكرنا مصدره في بحث الإمامة بأول الكتاب، وأرى الحديث موضوعاً آخترع وأختلق بعد وفاة حذيفة وأسد إليه بعد سنة ٣٦ هـ حيث كان قد التحق بربه وليس مجال البحث حول ذلك هاهنا.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمامة ح ٤٥ و ٤٩ و ٥٣ - ٥٤ و ٦٦.

رأينا في ماسبق اجتهادات للصحابة والتابعين والخلفاء منهم خاصة في أحكام إسلامية عملوا فيها برأيهم واجتهادهم في مقابل نصوص من كتاب الله وسنة رسوله، لما اعتقدوا فيها مصلحة لسياسة الحكم أو غير ذلك، ورأينا أن أتباع مدرسة الخلفاء اتخذوا تلك الاجتهادات مصدراً للتشريع في مقابل نصوص من كتاب الله وسنة رسوله، ومن ثم اتخذ بعض الفقهاء بمدرسة الخلفاء العمل بالرأي كالقياس والاستحسان من موارد الاجتهاد، وأصبح الاجتهاد بمدرسة الخلفاء في عداد الكتاب والسنة من مصادر التشريع الإسلامي إلى يومنا الحاضر، وهذا من موارد الخلاف بين أتباع مدرسة أهل البيت الذين لم يعملوا بالرأي والاجتهاد واقتصروا في العمل بالأحكام بما جاء في كتاب الله وسنة الرسول. فقد كان الأئمة من أهل البيت يعملون بما أخذوا من كتاب الله وتوارثوه من سنة الرسول المكتوبة لديهم، وعلموا الفقهاء بمدرستهم ما توارثوه من سنة الرسول، وهوا عن العمل بالرأي والقياس والاستحسان والمستقى بالاجتهاد. كما سيأتي مزيد بيانه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

وهذا (أي: إما العمل بكتاب الله وسنة رسوله وترك اجتهادات الخلفاء في بعض الأحكام، وإما العمل باجتهادات الخلفاء فيها وترك حكم الكتاب والسنة) متا أدى إلى الاختلاف بين المسلمين، فإن الخليفة عمر — مثلاً — لما اجتهد ونهى عن عمرة التمتع في مقابل كتاب الله وسنة رسوله اللذين أمرهما باختلاف المسلمون من بعده، فمنهم من عمل بكتاب الله وسنة رسوله وأتى بعمرة التمتع في الحج مثل الحنابلة

والسلفية في عصرنا الحاضر ومنهم من أتبع اجتهاد الخليفة عمر في ذلك وترك العمل بالكتاب والسنة. فما السبيل إلى رفع الاختلاف وتوحيد كلمة المسلمين؟

### السبيل الى توحيد كلمة المسلمين

بناءً على ما سبق ذكره أن السبيل إلى توحيد كلمة المسلمين ينحصر في أمرين :  
**أولاً:** الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما في الأحكام الإسلامية :  
 ترك اجتهاد المجتهدين من صحابة وتابعين و مجتهدين جاؤوا من بعدهم ، كما فعل المسلمون في كتابة حديث رسول الله بعدما نسخ التحريم الخليفة عُمر بن عبد العزيز فقد تسابقوا إلى تدوين حديث رسول الله إلى عصرنا الحاضر بعد أن كان محرماً عليهم .  
**ثانياً:** بما أن الذين رووا الحديث وكذلك، الذين دوّنوه في الموسوعات الحديثة ليسوا بمعصومين ، وأينا الأحاديث المتناقضة مروية عن رسول الله في كتب الحديث فلا ينبغي لنا أن نجعل إنساناً من علماء الحديث كرسول الله معصوماً عن الخطأ والزلل والنسيان ، ولا نجعل كتاباً من كتب الحديث نظير كتاب الله معصوماً عن السهو والنسيان والزلل ، فإن كتاب الله هو وحده الذي لا يأتيه الباطل ، وإن القرآن الكريم هو وحده الصحيح من أوله إلى آخره والمصون عن الزيادة والنقصان وبناءً على ذلك يجب أن نجري البحث العلمي النزيه لمعرفة سند الحديث و متنه : أي حديث كان وفي أي كتاب كان .  
 هذا هو السبيل إلى توحيد كلمة المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## المستدرك

استدراك على الهامش رقم ٨ من الصفحة ٣٦٣ :

في مادة (عبد) من لسان العرب  
وفي حديث عمر في الفداء : كَانَ عَبْدٌ عَبْدٌ؛ كان من  
مذهب عمر (رض)، فيمن سُبِيَ من العرب في الجاهلية وأدركه  
الإسلام، وهو عند من سباه، أن يُرَدَّ حُرّاً إلى نسبه وتكون  
قيمته عليه يؤدّيها إلى من سباه، فَجَعَلَ مكان كل رأس منهم  
رأساً من الرقيق.

في أنساب الأشراف (ج ١٩٨/٢) ط. بيروت سنة ١٣٩٤

قال:

فإنَّ عمر بن الخطَّاب قال من منبر رسول الله (ص)  
لا منعن ذوات الأحساب من أن يتزوجهنَّ غير الأكفاء،  
وفي موطأ مالك، كتاب الفرائض، باب ميراث أهل الملل

٦٠/٢ عن سعيد بن المسيب قال:

أبى عمر بن الخطاب أن يُورثَ أحداً من الأعاجم إلاّ أحداً  
وُلِدَ في العَرَبِ .

وفي سيرة عمر من تاريخ ابن الأثير ط. اروپا (٤٥/٣):  
وهو أول من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع  
تكبيرات.

وفي الاصابة (ق ١ - ج ١٣٣/٦)، ط. دار الكتب العلمية  
لبنان:

المقداد بن عمرو الكندي كان عمرو حليف امرأة فولدت  
له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر  
الكندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة فحالف الأسود  
بن عبد يغوث الزهري ..... فتبنى المقداد فصار يقال له  
المقداد بن الاسود وغلبيت عليه واشتهر بذلك فلما نزلت  
(ادعواهم لأبائهم) قيل له المقداد بن عمرو ..... هاجر الهجرتين  
وشهد بدرأ والمشاهد بعدها وكان فارساً يوم بدر ..... كان  
المقداد وعبد الرحمن بن عوف جالسين فقال له مالك لا تتزوج،  
قال زوجني ابنتك فغضب عبد الرحمن وأغلظ له فشكا ذلك  
للنبي (ص) فقال أنا أزوجك فزوجه بنت عمه ضباعة بنت  
الزبير بن عبدالمطلب ..... عن النبي (ص): ان الله عز وجل  
أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي والمقداد وأبوذر  
وسلمان أخرجه الترمذي وابن ماجه ..... مات سنة ثلاث  
وثلاثين في خلافة عثمان.



## الفهرس

حتى تنهى عما فعله رسول الله (ص) وأبو بكر (رض)؟ فأوماً أبو العنساء إلى محمد بن منصور وقال: رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فأمسكنا، فجاء يحيى بن أكرم فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: مالي أراك متغيراً؟ فقال: هو غمّ يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله (ص)، قال الله تعالى: «قد أفلح المؤمنون، إلى قوله: والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك ميم؟ قال: لا، قال: فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين.

وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب (رض) قال: أمرني رسول الله (ص) أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها، فالتفت إلينا المأمون فقال: أحفظ هذا من حديث الزهري؟ فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة منهم مالك (رض)، فقال: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة، فنادوا بها.

قال أبو إسحاق إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي القاضي الفقيه المالكي البصري، وقد ذكر يحيى بن أكرم، فعظم أمره وقال: كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله، وذكر هذا اليوم<sup>١</sup>.

كان علماء مدرسة الخلفاء يحتجون بالأحاديث التي مرّت علينا إذا ما نواظروا، وإذا ما ثبت قول عمر «متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وأنا أنهي عنها وأعاقب عليها» قالوا آجتهد الخليفة، إذ أ فقد قال الله وقال رسوله وآجتهد الخليفة<sup>٢</sup>!!!

### خلاصة البحث:

تواتر عن الخليفة عمر قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنها وأعاقب عليها. وسبق البحث في متعة الحج أما متعة النساء فتعريفها في مدرسة الخلفاء

(١) وفيات الأعيان، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط. مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩ م، ١٩٩/٥ — ٢٠٠.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٣/٣٦٣ في جواب الطعن الثامن.

## الفهرست

٧	البحث الثالث: مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين
٩	تمهيد
١١	المدخل: خمسة مصطلحات إسلامية
١٣	١ - القرآن
١٣	أسماء أخرى للقرآن
١٦	٢ و ٣ - السنة و البدعة
١٧	السنة من مصادر الشريعة الإسلامية
٢٠	٤ - الفقه
٢٤	٥ - الاجتهاد
٢٤	أولاً - الاجتهاد في اللغة
٢٥	ثانياً - الاجتهاد في اصطلاح المسلمين
٢٩	الفصل الأول: موقف المدرستين من القرآن الكريم
٣٤	ضجة مفتعلة حول مصحف فاطمة
٣٧	الفصل الثاني: موقف المدرستين من سنة الرسول (ص)
٤٠	١ - موقف المدرستين ممن روى عن رسول الله (ص)
٤٣	٢ - موقف المدرستين من نشر حديث الرسول (ص) في القرن الأول
٤٦	٣ - منع كتابة سنة الرسول (ص) في القرن الأول الهجري

- ٤٦ ..... على عهد الخليفين أبي بكر وعمر
- ٤٨ ..... على عهد عثمان
- ٤٩ ..... على عهد معاوية
- ٥١ ..... فتح الروافد الإسرائيلية
- ٥٦ ..... على عهد عمر بن عبد العزيز
- ٦٠ ..... كيف وجد الحديثان المتناقضان
- ٦٧ ..... الفصل الثالث: موقف المدرستين من الفقه والاجتهاد
- ٦٩ ..... ١- تطور مدلول الاجتهاد بمدرسة الخلفاء
- ٧٢ ..... ٢- تسمية الاجتهاد
- ٧٢ ..... التأويل لغة وشرعاً
- ٧٤ ..... ٣- مجتهدو مدرسة الخلفاء في القرن الأول و موارد اجتهادهم
- ٧٤ ..... أ- خاتم الأنبياء وسيد الرسل (ص)
- ٧٤ ..... ب- الخليفة الأول أبو بكر
- ٧٥ ..... ج- الصحابي المجتهد خالد بن الوليد
- ٧٥ ..... د- الخليفة الثاني عمر بن الخطاب
- ٧٦ ..... هـ- الخليفة الثالث عثمان بن عفان
- ٧٨ ..... و- المجتهد أم المؤمنين عائشة
- ٧٨ ..... ز- الفقيه المجتهد معاوية بن أبي سفيان
- ٧٨ ..... ح- وزيره عمرو بن العاص
- ٨٠ ..... ط- المجتهد أبو الغادية قاتل عمّار
- ٨٠ ..... ي- مجتهدون بالجملة
- ٨٢ ..... ك- المجتهد المتأول عبدالرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي (ع)
- ٨٣ ..... ل- الخليفة الإمام يزيد بن معاوية
- ٨٤ ..... ٤- شرح موارد آجتهاد المذكورين
- ٨٤ ..... أ- رسول الله (ص)
- ٨٦ ..... ب- إاجتهاد أبي بكر
- ٩٣ ..... ج- شرح الأمور التي ذكروها في باب اجتهاد الخليفة عمر

- ٥- إجتهد الخليفين أبي بكر وعمر في الخمس ..... ٩٦
- ١ و ٢ - الزكاة والصدقة ..... ٩٦
- ٣- الفبيء ..... ٩٩
- ٤- الصفي ..... ١٠٠
- ٥- الأنفال ..... ١٠٢
- ٦- الغنيمه والمغنم ..... ١٠٤
- ٧- الخمس ..... ١١٣
- أولاً- في العصر الجاهلي ..... ١١٣
- ثانياً- في العصر الإسلامي ..... ١١٤
- أ- الخمس في كتاب الله ..... ١١٤
- ب- الخمس في السنة ..... ١١٥
- تفسير ألفاظ الأحاديث ..... ١١٧
- خلاصة الروايات السابقة ..... ١١٨
- الخمس في كتب الرسول (ص) وعهده ..... ١١٩
- مواضع الخمس في الكتاب والسنة ..... ١٢٧
- في القرآن الكريم ..... ١٢٧
- مواضع الخمس في السنة ولدى المسلمين ..... ١٢٩
- مواضع الخمس لدى مدرسة أهل البيت ..... ١٣٢
- رواية واحدة تبين مواضع الخمس في عصر الرسول (ص) ..... ١٣٣
- تحريم الصدقة على الرسول وذوي قرياه ..... ١٣٥
- تركة الرسول وشكوى فاطمة من تصرفهم فيها وفي سهمها من  
الخمس ..... ١٣٩
- بيان ما تملكه الرسول (ص) ومنشؤه ..... ١٤١
- خبر فتح وادي القرى ..... ١٤٦
- خبر تركة الرسول (ص) وخبر شكوى فاطمة (ع) ..... ١٤٧
- أ- رواية عمر ..... ١٤٧
- ب- رواية أم المؤمنين عائشة ..... ١٤٨

- أ - مطالبته إياهم بمنحة الرسول ..... ١٥٠
- ب - مخاصمتها إياهم في إرث الرسول ..... ١٥٠
- ج - مخاصمتها إياهم في سهم ذي القربى ..... ١٥٢
- الخلاصة ..... ١٥٧
- تصرف الخلفاء في الخمس وفي تركة الرسول وفي فذك منحه  
لايته ..... ١٥٩
- أ - على عهد أبي بكر وعمر ..... ١٥٩
- ب - على عهد الخليفة عثمان ..... ١٦١
- سيرة الإمام علي (ع) في الخمس وفي تركة الرسول (ص) ..... ١٦٧
- الخمس وتركة الرسول (ص) في عصر خلفاء بني أمية ..... ١٦٨
- على عهد خلفاء بني أمية بعد معاوية ..... ١٧٠
- على عهد عمر بن عبدالعزيز ..... ١٧١
- أمر فذك ..... ١٧٢
- بعد عمر بن عبدالعزيز ..... ١٧٢
- خلاصة البحث ..... ١٧٦
- الصدقة بعد الرسول (ص) ..... ١٨٦
- على عهد عمر ..... ١٨٩
- على عهد عثمان ..... ١٨٩
- على عهد الإمام علي (ع) ..... ١٩٠
- على عهد معاوية ..... ١٩٠
- على عهد عمر بن عبدالعزيز ..... ١٩٠
- بعد ابن عبدالعزيز ..... ١٩٠
- آراء العلماء في مصرف الخمس ..... ١٩٠
- ٦ - إجهاد الخليفة عمر في المتعتين ..... ١٩٥
- أ - متعة الحج ..... ١٩٧
- سنة الرسول (ص) في العمرة ..... ١٩٩
- متعة الحج في الكتاب ..... ٢٠٠

- ٢٠١ ..... متعة الحج في السنة
- ٢٠٥ ..... كيف تلقى الصحابة حكم التمتع بالعمرة
- ٢٠٨ ..... عائشة فاتتها العمرة قبل الحج فأمرها النبي أن تعتمر بعده
- ٢١٠ ..... على عهد أبي بكر
- ٢١١ ..... على عهد الخليفة عمر
- ٢١٦ ..... على عهد عثمان
- ٢٢٠ ..... على عهد الإمام علي (ع)
- ٢٢ ..... على عهد معاوية
- ٢٢٤ ..... على عهد عبد الله بن الزبير
- ٢٢٥ ..... محاجة ابن عباس وآبن الزبير حول عمرة التمتع
- ٢٢٦ ..... محاجة عروة بن الزبير وآبن عباس
- ٢٢٧ ..... عروة ينهى عن عمرة التمتع
- ٢٢٨ ..... بحث لغوي حول الحديث
- ٢٢٩ ..... موقف ابن عمر
- ٢٣٢ ..... الأحاديث التي وضعت في سبيل تبرير موقف الخلفاء
- ٢٣٤ ..... علل الأحاديث
- ٢٤٢ ..... منشأ الخلاف والاختلاف وكيف يمكن رفعهما
- ٢٤٢ ..... حديث آتباع سنة الخلفاء الراشدين
- ٢٤٣ ..... علل الحديث
- ٢٤٥ ..... خلاصة البحث
- ٢٥١ ..... مثال وعبرة
- ٢٥٢ ..... ب - متعة النساء
- ٢٥٢ ..... نكاح المتعة في مصادر مدرسة الخلفاء
- ٢٥٣ ..... نكاح المتعة في الفقه الإمامي
- ٢٥٤ ..... نكاح المتعة في كتاب الله
- ٢٥٦ ..... نكاح المتعة في السنة
- ٢٥٨ ..... سبب نهى عمر عن المتعة

- ٢٦٢ ..... نكاح المتعة من بعد عمر
- ٢٦٤ ..... من بقي على القول بتحليل المتعة بعد تحريم عمر أيّاها
- ٢٦٥ ..... من تابع عمر في تحريم المتعة
- ٢٦٥ ..... الخلاف بين المحلّلين و المحرّمين
- ٢٦٧ ..... بين ابن عباس وآخريّن
- ٢٦٨ ..... بين عبد الله بن عمر و ابن عباس
- ٢٦٩ ..... نشاط أتباع مدرسة الخلفاء في شأن المتعة أخيراً
- ٢٨١ ..... نسخ حكم المتعة مرّتين أو أكثر
- ٢٨٦ ..... خلاصة البحث
- ٢٨٧ ..... نكاح المتعة في كتاب الله
- ٢٨٧ ..... نكاح المتعة في السنّة
- ٢٩٠ ..... كيف وجد التناقض في ما روي عن رسول الله (ص) ؟
- ٢٩١ ..... ٧ - الاجتهاد في القرن الثاني فما بعد
- ٢٩١ ..... الاجتهاد: حقيقته، تطوّره، أدلّة صحّة العمل به
- ٢٩٢ ..... أهمّ أدلّتهم على صحّة الاجتهاد
- ٢٩٢ ..... أ - حديث معاذ
- ٢٩٢ ..... ب - حديث عمرو بن العاص
- ٢٩٣ ..... ج - كتاب عمر إلى أبي موسى الاشعري
- ٢٩٤ ..... مناقشتنا في صحّة ما قالوا حول الاجتهاد
- ٢٩٥ ..... استخراج القواعد من عمل الصّحابة
- ٢٩٩ ..... إمام الحنفيّة و العمل بالرّأي
- ٣٠٩ ..... الفصل الرابع : القرآن و السنة هما مصدرا التشريع لدى مدرسة أهل البيت
- ٣١١ ..... أئمة أهل البيت (ع) لايعتمدون الرّأي في بيان الاحكام
- ٣١١ ..... أحاديث أئمة أهل البيت (ع) مسندة إلى الله ورسوله
- ٣١٢ ..... توارث أئمة أهل البيت (ع) علومهم
- ٣١٣ ..... أسناد أحاديثهم إلى جدّهم الرسول (ص)



- ٣١٦ ..... أمر النبي (ص) علياً (ع) بأن يكتب لشركائه الأئمة (ع)
- ٣٢٠ ..... اسم كتاب علي (ع) في الأحكام
- ٣٢٢ ..... كتاب الجفر ومصحف فاطمة (ع)
- ٣٢٣ ..... سلاح رسول الله (ص) وكتبه
- ٣٢٦ ..... وعاءان فيهما مواريث الامامة
- ٣٢٩ ..... كيف تداول الأئمة (ع) كتب العلم
- ٣٢٩ ..... الأئمة علي والحسنان والسجاد والباقر (ع)
- ٣٣٠ ..... الإمام علي بن الحسين (ع) خاصة
- ٣٣٠ ..... الإمام محمد الباقر (ع) خاصة
- ٣٣١ ..... الإمام جعفر الصادق (ع)
- ٣٣٢ ..... الإمام موسى بن جعفر (ع)
- ٣٣٢ ..... الإمام علي بن موسى الرضا (ع)
- ٣٣٣ ..... رجوع أئمة أهل البيت (ع) إلى الكتب التي توارثوها
- ٣٣٧ ..... إشتهار إنباء الإمام الصادق (ع) عن نهاية أمر بن الحسن
- ٣٣٧ ..... نهاية أمر الأخوين
- ٣٣٨ ..... استشهاد الإمام الرضا (ع) بالجفر
- ٣٤١ ..... صورة ماكان على ظهر العهد بخط الإمام علي بن موسى (ع)
- ٣٤٢ ..... الشهود على الجانب الأيمن
- ٣٤٢ ..... الشهود على الجانب الأيسر
- ٣٤٥ ..... رجوع الأئمة (ع) إلى كتاب علي الجامعة
- ٣٤٩ ..... من رأى كتاب علي (ع) من أصحاب الأئمة (ع)
- ٣٥٤ ..... أ - حكم ميراث ابن الأخ مع الجدة
- ٣٥٤ ..... ب - المثال الثاني قولهم في بطلان العول
- ٣٥٩ ..... شكوى الإمام علي (ع) من تغيير السنة النبوية
- ٣٧١ ..... الفصل الخامس: خلاصة بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية
- ٣٧٦ ..... أمثلة من اجتهادات الخلفاء في مقابل نصوص الكتاب والسنة

٣٧٩	روايات الأحاديث تبريراً لفعل الخلفاء
٣٨٢	السبيل إلى توحيد كلمة المسلمين
٣٨٥	الفهرس

الجمهورية العربية السورية  
وزارة الثقافة  
مكتبة الأسد

# معالم المذنبين

المجلد الثالث

بحوث المذنبين في الصحابة والإمامين

تأليف

السيد مرتضى العسكري

عميد كلية أصول الدين - بغداد سابقاً



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَبَابِ .

الزمر / ١٧ - ١٨



## البحث الرابع

# قيام الإمام الحسين (ع) ضمة الانحراف عن سنة رسول الله (ص) بسبب الاجتهاد والعمل بالرأي

- المدخل : حال المسلمين قبل قيام الإمام الحسين (ع) .
- الفصل الأول : استشهاد الإمام الحسين (ع) أيقظ الأمة من سباتها العميق .
- الفصل الثاني : ثورات أهل الحرمين وغيرهم بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) .





المدخل

حال المسلمين قبل قيام الامام الحسين (ع)



ذكرنا في ما سبق كيف أجتهد الخلفاء بعد رسول الله في أحكام الإسلام حكماً بعد حكم بما رأوا فيه مصلحة عامة أو مصلحة خاصة مما حفلت بذكره كتب الخلاف وأوردنا بعضها في ما سبق، وإلى جانب ذلك وجه المسلمون توجيهاً خاصاً إلى تقديس مقام الخليفين أبي بكر وعمر خاصة بحيث أصبح مستساغاً لدى عامتهم أن يشترط في البيعة بعد الخليفة عمر : العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين، وبذلك أقر المسلمون أن تكون سيرة الشيخين في عداد كتاب الله وسنة نبيه، مصدراً للتشريع في المجتمع الإسلامي، واستمر الأمر كذلك حتى إذا جاء إلى الحكم الإمام علي (ع) بقوة الجماهير بعد عثمان، لم يستطع أيضاً أن يعيد إلى المجتمع الأحكام الإسلامية التي أجتهد فيها الخلفاء، وتعالى صيحات : وا سنة عمراه، من جيشه عندما نهام عن إقامة صلاة النافلة جماعة في شهر رمضان، ولم يرضوا بسنة الرسول بديلاً عن سنة عمر في هذا الحكم، ذلك لأن الجماهير المسلمة عندما بايعته لم تكن تدرك أنه مخالف في اتجاهه في الحكم سيرة الشيخين، وهذا ما كان يحاول معاوية جاهداً أن ينبّه الجماهير الإسلامية إليه ليثوروا عليه .

والإمام إن لم يستطع أن يعيد إلى المجتمع الأحكام الإسلامية التي جاء بها الرسول بديلاً عن أجهادات الخلفاء، فقد أستطاع هو وثُلَّة من صحبه أن ينشروا بين المسلمين من حديث الرسول ما كان محظوراً نشره قبل ذلك. فأنتجت هذه النهضة من الإمام عليّ وجماعته في نشر الحديث المحظور عن الرسول، تياراً فكرياً مخالفاً لما ألفه المسلمون زهاء خمس وعشرين سنة مدة حكومة الخلفاء الثلاثة قبله، وهذا ما أشار إليه سليم بن قيس حين قال لأمير المؤمنين:

«إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وحديث عن نبيّ الله (ص) أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله متعمدين ويفسرون القرآن برأيهم... ؟».

كان ما سمعه سليم من سلمان وأبي ذر والمقداد وليس غيرهم قبل هذا، بتكتم، واثمان على سرّ، ثمّ سمعه بعد ذلك من أمير المؤمنين وصحبه جهاراً وفي غير سرّ من قبل مناشدة أمير المؤمنين الركبان في رحبة مسجد الكوفة: من سمع النبيّ يقول في غدير خم: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه) فليشهد. فقام اثنا عشر بديراً وشهدوا بذلك، وما كشفه عن واقع الأمر في خطبته الشقشقية حين قال:

«أما والله لقد تقمّصها فلان - ابن أبي قحافة - وإنه ليعلم أن محليّ منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتشي بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهياً حتى مضى الأول لسبيله

فأدلى إلى فلان بعده .

شتان ما يومي على كورها      ويوم حيان أخي جابر  
فيا عجا بينا هو يستقيها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشد ما  
تشطرا ضرعيها ، فصيرها في حوزة خشنا يغلظ كلامها ، ويخشن مسها ،  
ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ؛ إن أشق لها  
خرم ، وإن أسلس لها تقحم ، فمني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس  
وتلون واعتراض ؛ فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ؛ حتى إذا مضى  
لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم ، فيا لله وللشورى متى أعترض  
الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر !! لكنني أسففت  
إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ؛ فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ،  
مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام  
معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكت  
قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، فما راعني إلا والناس كعرف  
الضبع إلي يتثالون علي من كل جانب ؛ حتى لقد وطئ الحسنان ، وشق  
عطفاي ، مجتمعين حولي كربضة الغنم . فلما نهضت بالأمر نكتت طائفة ،  
ومرقت أخرى ، وقسط آخرون . . . الخطبة .

ومثل قوله : قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله (ص)  
متعمدين لخلافه ، ناقضين لعهد مغيرين لستته ، ولو حملت الناس على  
تركها ، وحوّلها إلى مواضعها ، وإلى ما كانت عليه في عهد رسول  
الله (ص) ، لتفرق عني جندي حتى أبقي وحدي ، أو قليل من شيعتي الذين  
عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله (ص)

## انقسام الأمة إلى قسمين

تلکم التظاهرة الضخمة في الأقوال أدت إلى أنقسام الأمة إلى قسمين ،  
وذلك أن الناس مدى الدهر ينقسمون إلى قسمين :

١ - همج رعاع ، أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح . كما وصفهم  
الإمام علي (ع)<sup>١</sup>

٢ - وقسم آخر يتحركون ، واعين لتحركهم . هادفين . وينظر في تقويم  
أفعال الناس في المجتمع وتعليلها إلى ألواعين لأهدافين . والواعون الهادفون في  
المجتمع يومذاك انقسموا على أثر تلك التظاهرة إلى قسمين :

أ - محب لأهل البيت ، موال لهم ، مقرر بفضلهم .

ب - مستنكر للاستهانة بمقام الشيخين ، مستهزئ بأقوال الإمام ، يزداد  
حقدهم له يوماً بعد يوم ، وكان جل هؤلاء الحاقدين على الإمام مسن ثار قبل  
ذلك على عثمان حتى قتلوه . وهؤلاء هم الخوارج الذين رفعوا شعار : « لا حكم  
إلا لله » وأشرب في قلوبهم حب الشيخين ، والسخط على عائشة ، وطلحة  
والزبير ، وعثمان ، وعلي . وخرج هؤلاء على الإمام فقاتلهم في النهروان  
ولم يقض عليهم ، فأردوه قتيلاً في محرابه ، وأستولى على الحكم معاوية  
بعده ، فبذل جهده في عشرين سنة - مدة حكمه - في توجيه الأمة توجيهاً تساوياً  
فيه هواه ، وتسير طائفة راغبة إلى ما يشتهي .

وكان معاوية - بالإضافة إلى ذلك - يغيظه أنشتار ذكر بني هاشم أعداء  
أسرته التقليديين عامة ، وخاصة ذكر الرسول وابن عمه الإمام علي ، وذلك

(١) ترجمة الإمام علي بتاريخ دمشق لابن عساکر ، ط. الأولى سنة ١٩٣٥ هـ مطبعة العالمية  
٢٨٥/٢ الأحاديث ٥٠١ - ٥٢٨ خاصة رقم ٥٢١ - ٥٢٢ .

لانتشار ذكرهما بين المسلمين انتشاراً هائلاً<sup>١</sup> في مقابل خمبول ذكر بني أبيه أمثال عتبة، وشيبة، وأبي سفيان، والحكم بن أبي العاص أولاً، وثانياً لما يناقض انتشار ذكر الرسول وابن عمه ما يتوخاه من تركيز الخلافه لنفسه، وتوريثه لعقبه، إذ بانتشار ذكرهما تتجه أنظار المسلمين إلى شبليهما الحسن والحسين، لهذا كله جدّ معاوية في إطفاء نورهم عامّة، وذكر الرسول وابن عمّه خاصّة فقدّر لهذا ودبّر ما يلي:

أ - رفع ذكر الخليفين أبي بكر وعمر، وألحق بهما أخيراً ابن عمّه عثمان ثالث الخلفاء<sup>٢</sup>.

ب - عمل سراً على تحطيم شخصية الرسول في نفوس المسلمين، وجهاً لتحطيم شخصية ابن عمّه.

وللوصول إلى هذين الهدفين، دفع قوماً من الصحابة والتابعين ليضعوا أحاديث في ما يرفع ذكر الخلفاء، ويضع من كرامة الرسول وابن عمّه، وصرف حوله وطوله في إنجاح هذا التدبير، وكنتم أنفاس من خالفه في ذلك من أولياء علي وأهل بيته وقتلهم شرّ قتلة، صلباً على جذوع النخل، وتمثيلاً بهم، ودفنهم أحياء.

فنجح في ما دبّر نجاحاً منقطع النظير حين أنتشرت بين الأمة على أثر ذلك أحاديث تروى عن رسول الله (ص) أنّه قال في مناجاته لربه: إنّي بشر أغضب كما يغضب البشر فأيسها مؤمن لعنته أو سببته، فاجعلها له صلاة وزكاة

(١) اما انتشار ذكر الرسول فواضح، وأما اسم علي فمن مواقفه في بدر وأحد والمندق وغيره، ومن أحاديث الرسول في شأنه في تلك المواقف وفي تبوك والغدير، وعمل الرسول في المبالغة، وعند نزول آية التطهير، وآيات صدر سورة براءة. من كلّ ذلك ونظائره انتشر له ذكر جميل، وسعى معاوية لاختفاء معالنه.

(٢) راجع قبله الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب، باب «على عهد معاوية».

وقربة تقرب بهإ إليك يوم القيامة . وفي رواية « طهوراً : أجراً »<sup>١</sup> .  
 وأنه قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » أو قال : « وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنها أنا بشر » ، وإنه قال ذلك عندما نهاهم عن تأبير النخل وفسد تمرهم<sup>٢</sup> ، أو أنه رفع زوجته عائشة لتنظر إلى رقص الحبشة بمسجده<sup>٣</sup> ، أو أنه أقيم مجلس الغناء في داره<sup>٤</sup> .

هذه الأحاديث إلى عشرات غيرها ، نراها قد وضعت بإمعان في عصر معاوية<sup>٥</sup> وامتد أثرها على مدرسة الخلفاء إلى يومنا الحاضر ، وأنها هي التي جعلت طائفة من المسلمين لا ترى لرسول الله القدرة على آتيان المعجزات ، ولا الشفاعة ، ولا حرمة لقبره ، ولا ميزة له بعد موته .  
 أما الإمام عليّ (ع) فقد نجح معاوية في تحطيم شخصيته في المجتمع

(١) صحيح مسلم باب « من لعنه النبي (ص) أو سبه... كان له زكاة وأجرأ ورحمة » من كتاب البر ، ح ٨٨ - ٩٧ ، وسنن أبي داود ، كتاب السنة ، الباب ١٢ وسنن الدارمي ، الرقاق ٥٢ ، ومسند أحمد ٣١٧/٢ و ٣٩٠ و ٤٤٩ و ٤٤٨ و ٤٩٣ و ٤٩٦ و ٣٣/٣ و ٣٩١ و ٤٠٠ و ٤٣٧/٥ و ٤٣٩ و ٤٥٠/٦ .  
 (٢) صحيح مسلم ، باب « وجوب امتثال ما قاله شرعاً ، دون ما ذكره (ص) من معاش الدنيا على سبيل الرأي » من كتاب الفضائل ح ١٣٩ - ١٤١ ، وابن ماجه ، باب تلقيح النخل ، ومسند أحمد ١٦٢/١ و ١٥٢/٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب أصحاب الحراب في المسجد ، وكتاب العيدين ، باب ٢٥ ، وكتاب الجهاد ، باب ٧٩ . وكتاب النكاح ، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير رية ، وباب حسن المعاشرة مع الأهل ، وكتاب المناقب ، باب قصة الحبش .

وصحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه ، وكتاب المساجد ١٨ ، والنسائي ٣٤ و ٣٥ ، ومسند أحمد ٣٦٨/٢ و ٥٦/٦ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ١٦٦ و ١٨٦ .

(٤) صحيح البخاري « كتاب فضائل النبي » باب مقدم أصحاب النبي المدينة ، وكتاب العيدين : باب سنة العيدين لاهل الإسلام ، وباب إذا فاتته العيد يصلي ركعتين ، وباب الحراب والدرق ، وكتاب مناقب الانصار / ٤٦ ، وصحيح مسلم ، باب اللعب الذي لا معصية فيه ، وكتاب العيدين / ١٦ ، وسنن ابن ماجه ، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب النكاح ، باب الغناء والدف ، ص ٦١٢ ، رقم الحديث ١٨٩٨ ، ومسند أحمد ١٣٤/٦ .

(٥) راجع فصل « معاوية » من كتاب « أحاديث أم المؤمنين عائشة » للمؤلف .



الإسلامي يومذاك إلى حدّ أن المسلمين واصلوا لعنه فوق جميع منابرهم في شرق الأرض وغربها، خاصّة في خطبة الجمعة كفريضة من فرائض صلاة الجمعة زهاء ألف شهر مدّة حكم آل أمّية، وإلى جانب ذلك نجح معاوية في رفع مقام الخلافة في نفوس المسلمين<sup>١</sup>.

واستمرّت الأمة بعده في سيرها الفكري على هذا الإتجاه إلى حدّ أنّه أمكن الولاة أن يقولوا على منابر المسلمين أليفة أحدكم أكرم عنده أم رسوله ؟ أي أنّ الخليفة الذي يعتبرونه خليفة الله في الأرض أكرم على الله من رسوله خاتم النبيين !!

### نتيجة مساعي الخليفة معاوية

وكانت نتيجة تلك المساعي أنّ المسلمين وغير المسلمين منذ عهد معاوية وإلى اليوم عرفوا رسول الله وابن عمّه والخلفاء الثلاثة وشخصيات إسلاميّة أخرى من خلال ما وضع من حديث على عهد معاوية وكما أراد معاوية، وكان ما أراده خلاف الواقع الذي كانوا عليه، وبالإضافة إلى ذلك كان لمعاوية اجتهادات في تغيير الأحكام الإسلاميّة بدّل منها ما بدّل باجتهاده، سمّي بعضها بأولّيات معاوية<sup>٢</sup>.

إستطاع معاوية بكلّ تلك الجهود أن يبدّل الإسلام ويعرّفه كما يشتهي، حتى لم يبق من الإسلام في آخر عهده إلّا اسمه، ومن القرآن إلّا رسمه، وإنّما حافظ معاوية ومن جاء بعده على اسم الإسلام لأنّهم كانوا يحكمون باسم الإسلام.

كذلك كانت حالة المسلمين عندما توفي معاوية في سنة ستين واستولى

(١) سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

(٢) ذكر بعضها اليعقوبي في تاريخه، والسيوطي في تاريخ الخلفاء في ذكر سيرة معاوية .

على الحكم ابنه يزيد، فما كان أمام سبط الرسول ووريثه إلا واحدة من اثنتين:  
إما البيعة، وإما القتال. وبيعة الحسين (ع) ليزيد تعني إقراره على أفعاله  
وتصديقه لأقواله. فأبى الحسين (ع) أن يبايع يزيد واستشهد في سبيل ذلك.

## الإمام الحسين (ع) امتنع من بيعة يزيد

فكيف كان يزيد في أفعاله وأقواله ؟ ولماذا أبى الإمام أن يبايعه ؟ وهل كان يعرف مصيره حين أبى ؟ وماذا كان أثر استشهادہ على الإسلام والمسلمين ؟  
في ما يلي نحاول تفهّم كل ذلك من كتب الحديث والسيرة ان شاء الله تعالى .

### أولاً : يزيد في أفعاله وأقواله

في تاريخ ابن كثير : كان يزيد صاحب شراب ، فأحب معاوية أن يعظه في رفق ، فقال : يا بنيّ ما أقدرك على أن تصل حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك ويشمت بك عدوك ويسيء بك صديقك ، ثمّ قال : يا بنيّ إنني منشدك أبياتاً فتأدّب بها واحفظها فأنشده :

انصب نهراً في طلاب العلا	واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى إذا الليل أتى بالدجى	واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فباشر الليل بما تشتهي	فإنما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحسبه ناسكاً	قد باشر الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أستاره	فبات في أمن وعيش خصيب

و لَذَّةُ الْأَحْمَقِ مَكْشُوفَةٌ يَسْعَى بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ مَرِيبٍ<sup>١</sup>  
وقال : وكان فيه أيضاً أقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات، في بعض  
الأوقات، واقامتها في غالب الأوقات<sup>٢</sup>.

\* \* \*

لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ مِنَ النَّاسِ، طَلَبَ مِنْ زِيَادٍ أَنْ يَأْخُذَ بَيْعَةَ  
الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَصْرَةِ، فَكَانَ جَوَابُ زِيَادٍ لَهُ : مَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا دَعَوْهُمْ إِلَى بَيْعَةِ  
يَزِيدَ، وَهُوَ يَلْعَبُ بِالْكَسَلِ وَالْقُرُودِ، وَيَلْبَسُ الْمَصْبَغَاتِ، وَيَدْمَنُ الشَّرَابَ،  
وَيَمْشِي عَلَى الدَّفُوفِ وَبَحْضَرَتِهِمُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ  
ابْنَ الزَّيْبِرِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ ؟ وَلَكِنْ تَأْمُرُهُ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ هَؤُلَاءِ حَوْلًا أَوْ حَوْلِينَ  
فَعَسَانَا أَنْ نَمُوتَ عَلَى النَّاسِ<sup>٣</sup>.

فَاغْزَى مَعَاوِيَةُ يَزِيدَ الصَّائِفَةَ مَعَ الْجَيْشِ الْغَازِيِ الرُّومَ « فَتَثَاقَلَ وَاعْتَلَّ  
وَأَمْسَكَ عَنْهُ أَبُوهُ »<sup>٤</sup> فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ حَمًى وَجَدَرِي فِي بِلَادِ الرُّومِ وَيَزِيدُ حِينَئِذٍ  
كَانَ مُصْطَبِحًا بِدِيرِ مَرَّانَ مَعَ زَوْجَتِهِ أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، فَلَمَّا بَلَغَهُ  
خَبَرُهُمْ قَالَ :

إِذَا ارْتَفَقْتُ عَلَى الْإِنْهَاطِ مُصْطَبِحًا      بِدِيرِ مَرَّانَ عِنْدِي أُمُّ كَلْثُومٍ  
فَمَا أَبَالِي بِمَا لَاقَتْ جُنُودَهُمْ      بِـ (الْغَذَقْدُونَةِ) مِنْ حَمًى وَمِنْ مَوِّمٍ<sup>٥</sup>  
وَبَعْدَهُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ :

فَبَلَغَ مَعَاوِيَةَ ذَلِكَ فَقَالَ : لَا جَرَمَ لِيَلْحَقَنَّ بِهِمْ وَيَصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ وَإِلَّا خَلَعْتَهُ  
فَتَهِيًّا لِلرَّحِيلِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

تَجَنَّبْنِي لَا تَزَالُ تَعْدُ ذَنْبًا      لِنَقْطَعُ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حَبَالِي

(١) تاريخ ابن كثير ٢٢٨/٨ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٢٣٠/٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢٢٠/٢ .

(٤) هذا نص ابن الأثير في تاريخه ١٨١/٣ في ذكر حوادث سنة ٤٩ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢٢٩/٢، والاغانى ط. ساسي ٣٣/١٦، وأنساب الأشراف ٣/٢/٤ .

فيوشك أن يريحك من بلائي نزولي في المهالك وارتحالي<sup>١</sup>  
 و أرسل معاوية يزيد إلى الحجّ وقيل بل أخذه معه فجلس يزيد بالمدينة على  
 شراب فاستأذن عليه عبد الله بن العباس والحسين بن علي فأمر بشرابه فرفع، وقيل  
 له: إنّ ابن عباس إن وجد ريح شرابك عرفه، فحجبه واذن للحسين، فلما دخل  
 وجد رائحة الشراب مع الطيب، فقال: ما هذا يا ابن معاوية؟ فقال: يا أبا عبد الله  
 هذا طيب يصنع لنا بالشام، ثمّ دعا بقدر فشربه ثمّ دعا بقدر آخر فقال: اسق أبا  
 عبد الله يا غلام. فقال الحسين: عليك شرابك أيها المرء...  
 فقال يزيد:

ألا يا صاح للعجب	دعوتك ثم لم تجب
إلى القينات والّلذا	ت والصهباء والطرب
وباطية مكلّلة	عليها سادة العرب
و فيهنّ التي تبلت	فؤادك ثمّ لم تتب

فوثب الحسين عليه وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت<sup>٢</sup>.  
 وحجّ معاوية وحاول أن يأخذ البيعة من أهل مكّة والمدينة فأبى  
 عبد الله بن عمر وقال: نبايع من يلعب بالقروود والكلاب ويشرب الخمر  
 ويظهر الفسوق، ما حجّتنا عند الله؟

وقال ابن الزبير: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد أفسد علينا  
 ديننا<sup>٣</sup>. وفي رواية: إنّ الحسين قال له: كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو  
 تخبر علماً كان احتويته لعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه،  
 فعذ لي يزيد في ما أخذ من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمّام

(١) ترجمة دير مران والغزقدونة: من معجم البلدان.

(٢) الأغاني ٦١/١٤، وتاريخ ابن الأثير ٥٠/٤ في ذكره سيرة يزيد. وقد أوردت الخبر بإيجاز.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢٢٨/٢.

السُّبْقُ لأتربهِنَّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً،  
ودع عنك ما تحاول<sup>١</sup> انتهى .

قال المؤلف : لست أدري أكان هذا الحوار من سبط النبي مع معاوية  
وحوار ابن الزبير وابن عمر معه في مجلس واحد أم في مجلسين، ومهما يكن  
من أمره فإنَّ معاوية لم يستطع أن يأخذ البيعة من هؤلاء، واستطاع أن يأخذ  
البيعة من أهل الحرمين ويموّه عليهم أمر العبادلة في بيعة ابنه، وارتحل  
عنهم .

\* \* \*

وجدنا يزيد في سفره إلى الحجّ والغزو يتظاهر باللامبالاة بالمقدسات  
الإسلامية وعدم الاكتراث بنكبة الجيش الإسلامي الغازي، خلافاً لرغبة أبيه  
معاوية ووصية دعيّه زياد بأن يتظاهر بالتخلّق بالاخلاق الإسلامية حولاً أو  
حولين عساهم أن يموّهوا على الناس أمره، ولم يكتف بذلك حتى نظم في  
سكره واعلام أمره ما سارت به الركبان .

وأكثر يزيد من نظم الشعر في الخمر والغناء مثل قوله :

معشر الندمان قوموا	واسمعوا صوت الأغاني
وأشربوا كأس مدام	وأتركوا ذكر المشاني <sup>٢</sup>
شغلتنني نغمة العيدان	عن صوت الاذان
وتعوّضت من الحور	عجوزاً في الدنان

وقوله :

ولو لم يمسّ الأرض فاضل بردها      لما كان عندي مسحة للتيّم  
وأظهر ذات صدره في قصيدته التي يقول فيها :

(١) للامامة والسياسة لابن قتيبة ١٧٠/١ .

(٢) في الاصل: «المعاني» تحريف ويقصد بالمتاني: السبع المتاني أي اتركوا قراءة الحمد في الصلاة.

عليّة هاتي واعلني وترنمي  
 حديث أبي سفيان قدماً سماً بها  
 ألا هات سقيني على ذاك قهوة  
 إذا ما نظرنا في أمور قديمة  
 وإن متّ يا أمّ الاحيمر فانكحي  
 فإنّ الذي حدّثت عن يوم بعثنا  
 ولا بدّ لي من أن أزور محمداً  
 إلى غير ذلك ممّا نقلت من ديوانه . انتهى نقلاً عن تذكرة خواصّ  
 الأئمة<sup>١</sup>.

يخاطب يزيد في هذه القصيدة حبيته ويقول لها : ترنمي وأعلني قصّة  
 أبي سفيان لما جاء إلى أحد وفعل ما فعل ، حتى أقام البواكي على حمزة  
 وغيره من شهداء أحد ، أعلني ذلك ولا تذكره في نجوى ، وأسقيني على  
 ذلك خمرأ تخيّرهما الساقى من كروم الشام ، فإنّا إذا نظرنا في أمور قديمة من  
 أعراف قريش وآل أميّة في الجاهلية وجدنا حلالاً شربها متوالياً وأما ما قيل لنا  
 عن البعث فهو من قبيل أساطير (طسم) تشغل قلبنا ، فلا بعث ولا نشور ،  
 فإذا متّ فانكحي بعدي إذ لا تلاقي بعد الموت ، ثمّ يستهزئ بالرسول ،  
 ويقول : ولا بدّ أن ألقاه بخمرة باردة تروي عظامي ، كان يزيد يستهين بمشاعر  
 المسلمين وينادم النصارى .

وروى صاحب الأغاني وقال : كان يزيد بن معاوية أوّل من سنّ  
 الملاحى في الإسلام من الخلفاء ، وآوى المغنّين ، وأظهر الفتك ، وشرب

(١) تذكرة خواص الأئمة - ص ١٦٤ تأليف أبي المظفر يوسف بن قزواغلي أي السبط وكان سبط  
 جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي ، من مؤلفاته التاريخ المسمى بمرآة الزمان ( ت : ٦٥٤ ) راجع ترجمة  
 جده في وفيات الأعيان لابن خلكان .

الخمر ، وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه ، والأخطل - الشاعر النصراني - وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه . . .<sup>١</sup> .  
كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب ، والاستهتار بالغناء ،  
والصيد واتخاذ القيان والغلمان ، والتفكك بما يضحك منه المترفون من القروء  
والمعافرة بالكلاب والديكة<sup>٢</sup> .

وكان من الطبيعي أن تتأثر بيزيد حاشيته ، ويتظاهر الخلعاء والمجونون  
بأمرهم كما ذكره المسعودي في مروجه قال : وغلب على أصحاب يزيد وعماله  
ما كان يفعله من الفسوق ، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت  
الملاهي ، وأظهر الناس شرب الشراب .

وكان له قرد يكتنّى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ، ويطرح له  
متكاً ، وكان قرداً خبيثاً ، وكان يحمله على أتان وحشيّة قد ريضت وذلت  
لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة ، فجاء في بعض الايام سابقاً ،  
فتناول القصبه ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من الحرير  
الأحمر والأصفر مشتمر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات الألوان بشقائق ،  
وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملّمع بأنواع من الألوان ، فقال في  
ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم .

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان  
ألا من رأى القرد الذي سبقت به جياذ أمير المؤمنين أتان<sup>٣</sup>  
وروى البلاذري عن قصّة هذا القرد وقال : كان ليزيد بن معاوية قرد  
يجعله بين يديه ويكتنّيه أبا قيس ، ويقول : هذا شيخ من بني اسرائيل أصاب

(١) الأغاني ٦٨/١٦ .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ القسم الأول ص ١ . المعافرة كالمهارة .

(٣) مروج الذهب ٦٧/٣ - ٦٨ .



خطيئة فمسخ و كان يسقيه النبد و يضحك ممّا يصنع ، و كان يحمله على أتان وحشيّة و يرسلها مع الخيل فيسبقها ، فحمله يوماً و جعل يقول تمسك . . . البيتين<sup>١</sup> .

و اشتهر يزيد بمنادمة القروء حتى قال فيه رجل من التنوخ :  
 يزيد صديق القرد ملّ جوارنا      فحنّ إلى أرض القروء يزيد  
 فتبّأ لمن أمسى علينا خليفة      صحابته الادنون منه قروء<sup>٢</sup>

و قال ابن كثير : اشتهر يزيد بالمعازف و شرب الخمر ، و الغناء و الصيد ، و اتّخاذ القيان و الكلاب ، و النطاح بين الكباش و الدباب و القروء ، و ما من يوم إلّا و يصبح فيه مخموراً . و كان يشدّ القرد على فرس مسرّجة بحبال و يسوق به ، و يلبس القرد قلانس الذهب و كذلك الغلمان ، و كان يسابق بين الخيل و كان إذا مات القرد حزن عليه و قيل إن سبب موته أنّه حمل قردة و جعل ينقزها فعضّته . . .<sup>٣</sup>

و روى البلاذري عن شيخ من أهل الشام : أنّ سبب وفاة يزيد أنّه حمل قردة على الأتان و هو سكران ثمّ ركض خلفها فسقط فاندقّت عنقه أو انقطع في جوفه شيء<sup>٤</sup> .

و روى عن ابن عيّاش أنّه قال : خرج يزيد يتصيد بحواريين و هو سكران فركب و بين يديه أتان وحشيّة قد حمل عليها قرداً و جعل يركض الأتان و يقول :

أبا خلف احتل لنفسك حيلة      فليس عليها إن هلكت ضيان

(١) أنساب الأشراف ١/١/٤ - ٢ وفي لفظ البيتين اختلاف يسير مع رواية المسعودي.

(٢) أنساب الأشراف ٢/١/٤ .

(٣) ابن كثير ٤٣٦/٨ .

### فسقط و اندقت عنقه<sup>١</sup>

ولا منافاة بين هذه الروايات فمن الجائز أنه أركب قرده على أتان وركب هو أيضاً وركض خلفه وجعل ينقرها فعضته وسقط واندقت عنقه وانقطع في جوفه شيء وهكذا استشهد الخليفة قتيل القرد.



كان هذا شيئاً من سيرة يزيد، وكان أبناء الأمة آنذاك قد تبدل احساسهم وأخلدوا إلى سبات عميق، وما غير حالهم تلك عدا استشهاد الإمام الحسين (ع) كما نشرحه في الباب التالي.

(١) أنساب الأشراف ٢/١/٤ ويبدو ان هذا القرد الذي كناه أبا خلف غير القرد الذي كناه أبا قيس.

## الفصل الأول

إستشهاد الإمام الحسين  
أيقظ الأمة من سباتها العميق



ينبغي لنا في سبيل دراسة آثار استشهاد الإمام الحسين (ع) على  
الإسلام وأهله أن ندرس جميع جوانبه بدءاً بدراسة ما ورد من  
أنباء باستشهاده قبل وقوعه عن الأنبياء السابقين وخاتم الأنبياء  
والإمام علي مآمهد السبيل لقيامه كما يأتي بيانه .

## أنباء باستشهاد الحسين (ع) قبل وقوعه

### ١ - خبر رأس الجالوت :

روى الطبري والبلاذري، والطبراني، وابن سعد، واللفظ للأول، عن رأس الجالوت عن أبيه قال: ما مررت بكربلا، إلّا وأنا أركضُ دابّتي حتّى أخلف المكان، قال: قلت: لم؟ قال: كنّا نتحدّث أنّ ولد نبيّ مقتول في ذلك المكان وكنت أخاف أن أكون أنا، فلمّا قتل الحسين قلنا: هذا الذي كنّا نتحدّث، وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض

### ٢ - خبر كعب:

روى الذهبيّ والهيثميّ والعسقلانيّ وابن كثير عن عمّار الدهنيّ قال: مرّ عليّ (ع) على كعب فقال: يقتل من ولد هذا رجل في عصابة لا يجف عرق خيولهم حتّى يردوا على محمّد (ص)، فمرّ حسن (ع) فقالوا: هذا؟ قال: لا، فمرّ حسين (ع) فقالوا: هذا؟ قال: نعم<sup>٢</sup>.

(١) تاريخ الطبري ط. أوروبا ٢/٢٨٧ و ترجمة الإمام الحسين بمعجم الطبراني الكبير تأليف أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠ هـ)، ج - ٦١. ص ١٢٨ وقد طبع ضمن مجموعة باسم « الحسين والسنة » اختيار وتنظيم السيد عبدالعزيز الطباطبائي بمطبعة مهر، قم. وفي المجموعة بالإضافة إليه فضائل الحسين من كتاب فضائل امام الحنابلة أحمد بن حنبل، وفي تاريخ ابن عساکر ح ٦٤١ وفي لفظه « فلما قتل حسين كنت أسير على هيتي »، وسير النبلاء ٣/١٩٥ بإيجاز.

(٢) معجم الطبراني الكبير ح ٨٥، وطبقات ابن سعد بترجمة الإمام الحسين ح ٢٧٧، وتاريخ ابن

وأخرج ابن قولويه (ت: ٣٦٧ هـ) أربع روايات في باب علم الأنبياء بمقتل الحسين من كتابه كامل الزيارة، وفي باب علم الملائكة حديثاً واحداً، وفي باب لعن الله ولعن الأنبياء لقاتليه روايتين إحداهما ما رواها عن كعب أن إبراهيم وموسى وعيسى أنبأوا بقتله ولعنوا قاتله<sup>١</sup>.

٣ - حديث أسماء بنت عميس :

عن علي بن الحسين (ع) قال: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: قَبِلْتُ جَدَّتَكَ فاطمة بالحسن والحسين . . .

فلما ولد الحسين فجاءني النبي (ص) فقال: يا أسماء هاتي ابني فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، قالت أسماء: فقلت فذاك أبي وأمي ممّ بكاؤك؟ قال: على ابني هذا. قلت: انه ولد الساعة، قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية لا أناهم الله شفاعتي، ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا، فإنها قريبة عهد بولادته. الحديث<sup>٢</sup>.



عساكر ٦٣٩ و ٦٤٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ١١/٣، وسير النبلاء له ١٩٥/٣، وجمع الزوائد ١٣٩٩/٩، وفي مقتل الخوارزمي أخبار من كعب بقتل الحسين ١٦٥/١، وتهذيب التهذيب ٣٤٧/٢، والروض النضر، شرح مجموع الفقه الكبير تأليف الحسين بن أحمد بن الحسين السياغي الحيمي الصنعائي (ت: ١٢٢١ هـ) وفي لفظ بعضهم مع بعض اختلاف. نقلنا هذا الخبر عن كعب مع عدم اعتمادنا عليه، لتواتر الأخبار عن رسول الله أنه أنبأ بقتل الحسين فلعل كعباً سمع من سمع من النبي (ص)، ومن الجائز أنه قرأ شيئاً من ذلك في كتب أهل الكتاب.

١) كامل الزيارة لابن قولويه ط. المرتضوية - النجف سنة ١٣٥٦ ص ٦٤ - ٦٧، الابواب ١٩ و ٢٠ و ٢١ من الكتاب.

٢) مقتل الحسين للخوارزمي ٨٧/١ - ٨٨، وذخائر العقبى ١١٩ واللفظ للأول. لا تستقيم هذه الرواية مع الواقع التاريخي فإن أسماء كانت بالحبيشة ورجعت مع زوجها جعفر بعيد فتح خير، وقد ولد الحسنان (ع) قبل ذلك. ولعل الصحيح سلمى بنت عميس زوجة حمزة سيد الشهداء. ترجمتها باسد الغابة ٤٧٩/٥.

#### ٤ - حديث أم الفضل :

في مستدرك الصحيحين وتاريخ ابن عساكر ومقتل الخواري ومي وغيرها  
واللفظ للأول، عن أم الفضل بنت الحارث .

أنها دخلت على رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله أني رأيتُ  
حلماً منكراً الليلة، قال: وما هو؟ قالت: أنه شديد. قال: وما هو؟ قالت:  
رأيتُ كأن قطعة من جسدي قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول  
الله (ص): رأيتُ خيراً، تلد فاطمة - إن شاء الله - غلاماً فيكون في حجرك،  
فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري - كما قال رسول الله (ص) - فدخلت  
يوماً إلى رسول الله (ص) فوضعت في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا  
رسول الله (ص) تهريقان من الدموع. قالت: فقلت: يا نبي الله! بأبي  
أنت وأمي مالك؟ قال: أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أنّ  
أمّي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟ قال: نعم، وأتاني بترية من تربته  
حمراء.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه<sup>١</sup>.

#### ٥ - في مقتل الخواري:

لما أتى على الحسين من ولادته سنة كاملة هبط على رسول الله (ص)

(١) مستدرك الصحيحين ١٧٦/٣، واختصار في ص ١٧٩ منه، وتاريخ ابن عساكر، ح ٦٣١،  
وقريب منه في ح - ٦٣٠، وفي مجمع الزوائد ١٧٩/٩ ومقتل الخواري ١٥٩/١ وفي ١٦٢ بلفظ آخر،  
وتاريخ ابن كثير ٢٣٠/٦ وأشار إليه في ١٩٩/٨، وأمالى الشجري ص ١٨٨. وراجع الفصول المهمة  
لابن الصباغ المالكي ص ١٤٥، والروض النضير ٨٩/١، والصواعق ١١٥ وفي ط ١٩٠، وراجع كنز  
العالم ط القديمة ٢٢٣/٦، والخصائص الكبرى ١٢٥/٢. وفي كتب أنباء مدرسة أهل البيت ورد في كثير  
الاحزان ص ٨ واللهوف لابن طائوس ٦ - ٧.



اثنا عشر ملكاً محمراً وجوههم قد نشروا أجنتهم وهم يقولون : يا محمد ! سينزل بولئك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل ، وسيعطى مثل أجر هابيل ، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل ، قال : ولم يبق في السماء ملك إلا ونزل على النبي (ص) يعزيه بالحسين ويخبره بثواب ما يُعطى ، ويعرض عليه تربته ، والنبي يقول : اللهم اخذل من خذله ، واقتل من قتله ، ولا تمتعه بما طلبه .

ولما أتت على الحسين من مولده ستان كاملتان خرج النبي في سفر فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه ، فسئل عن ذلك فقال : هذا جبريل يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها : كربلاء ، يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة ، فقيل : من يقتله يا رسول الله ؟ فقال : رجل يقال له يزيد ، لا بارك الله في نفسه ، وكأني أنظر إلى منصرفه ومدفنه بها ، وقد أهدي رأسه ، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه ( يعني ليس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة ) .

قال : ثم رجع النبي من سفره ذلك مغموماً فصعد المنبر فخطب وعظ والحسين بين يديه مع الحسن ، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسين ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني محمد عبدك ونبك ، وهذان أطائب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي ومن أخلفهما بعدي ، اللهم وقد أخبرني جبريل بأن ولدي هذا مقتول مخذول ، اللهم فبارك لي في قتله ، واجعله من سادات الشهداء إنك على كل شيء قدير ، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله .

قال : فضجّ الناس في المسجد بالبكاء ، فقال النبي : أتبكون ولا تنصرونه ؟ ! اللهم فكن له أنت ولياً وناصرأ .

(١) مقتل الخوارزمي ١٦٣/١ - ١٦٤ وقد أوردنا ما ذكره باختصار .

## ٦ - رواية زينب بنت جحش في بيتها :

في تاريخ ابن عساكر ومجمع الزوائد و تاريخ ابن كثير وغيرها و اللفظ للأول عن زينب، قالت : بينا رسول الله (ص) في بيتي وحسين عندي حين درج، فغفلت عنه، فدخل على رسول الله (ص) فقال : دعيه - إلى قولها - ثم قام فصلّى فلما قام احتضنه إليه فإذا ركع أو جلس وضعه ثم جلس فبكى، ثم مدّ يده فقلت حين قضى الصلاة: يا رسول الله ! إنّي رأيتك اليوم صنعت شيئاً ما رأيتك تصنعه ؟ قال : إنّ جبريل أتاني فأخبرني أنّ هذا تقتله أمتي، فقلت : فأرني تربته، فأتاني بترية حمراء<sup>١</sup>.

## ٧ - حديث انس بن مالك :

في مسند أحمد، والمعجم الكبير للطبراني، و تاريخ ابن عساكر وغيرها، واللفظ للأول، عن انس بن مالك، قال : استأذن ملك القطر ربه أن يزور النبي (ص) فاذن له وكان في يوم ام سلمة، فقال النبي (ص) : يا أم سلمة احفظي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد. قال : فبينما هي على الباب إذ جاء الحسين بن علي (ع) فاقتحم ففتح الباب فدخل فجعل النبي (ص) يلتزمه ويقبله، فقال الملك : أتجبه ؟ قال : نعم. قال : ان أمتك ستقتله، ان شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه ؟ قال : نعم. قال : فقبض قبضة من المكان الذي قتل فيه فأراه فجاء بسهولة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها. قال ثابت : فكنا نقول إنّها كربلاء<sup>٢</sup>.

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٦٢٩ ومجمع الزوائد ٩/١٨٨، وكنز العمال ١٣/١١٢، وأشار إليه ابن كثير بتاريخه ٨/١٩٩، وورد في كتب أتباع مدرسة أهل البيت بامالي الشيخ الطوسي ١/٣٢٣، ومثير الاحزان ص ٧-٨، وورد قسم منه في ص ٩-١٠ وفي آخره تنمة مهمة، وكذلك في اللهوف ص ٧-٩.  
(٢) مسند أحمد ٣/٢٤٦ و ٢٦٥، وتاريخ ابن عساكر ج ٦١٥ و ٦١٧، وتهذيبه ٤/٣٢٥ واللفظ

## ٨ - حديث أبي امامة :

في تاريخ ابن عساکر ، و الذهبي و مجمع الزوائد ، وغيرها ، واللفظ للأول ، عن أبي امامة . قال : قال رسول الله (ص) لنسائه : « لا تبكوا هذا الصبي » يعني حسيناً . قال : وكان يوم أم سلمة فنزل جبرئيل فدخل على رسول الله (ص) الداخل وقال لأم سلمة : « لا تدعي أحداً أن يدخل عليّ » فجاء الحسين فلما نظر إلى النبي (ص) في البيت أراد أن يدخل فأخذته أم سلمة فاحتضنته وجعلت تناغيه وتسكته فلما اشتد في البكاء خلّت عنه ، فدخل حتّى جلس في حجر النبي (ص) فقال جبريل للنبي (ص) إنّ أمتك ستقتل ابنك هذا ، فقال النبي (ص) « يقتلونه وهم مؤمنون بي ؟ » قال : نعم يقتلونه . فتناول جبريل تربة فقال : مكان كذا وكذا ، فخرج رسول الله (ص) وقد احتضن حسيناً كاسف البال ، مهموماً . فظنّت أم سلمة أنّه غضب من دخول الصبي عليه فقالت : يا نبي الله ! جعلت لك الفداء إنّك قلت لنا : لا تبكوا هذا الصبي ، وأمرتني أن لا أدع أحداً يدخل عليك ، فجاء فخلّيت عنه . فلم يردّ عليها ، فخرج إلى أصحابه وهم جلوس فقال « إنّ أمتي يقتلون »



له ، و ترجمة الحسين من المعجم الكبير للطبراني ح ٤٧ ، ومقتل الخوارزمي ١٦٠/١ - ١٦٢ ، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٠/٣ ، وسير النبلاء ١٩٤/٣ ، وذخائر العقبى ص ١٤٦ - ١٤٧ ، وجمع الزوائد ١٨٧/٩ ، وفي ص ١٩٠ منه بسند آخر وقال : اسناده حسن ، وفي باب الاخبار بمقتل الحسين من تاريخ ابن كثير ٢٢٩/٦ في لفظه « وكنا نسمع يقتل بكر بلاء » ، وفي ١٩٩/٨ ، وكنز العمال ٢٦٦/١٦ ، والصواعق ص ١١٥ ، وراجع الدلائل للحافظ أبي نعيم ٢٠٢/٣ ، والروض النضير ١٩٢/١ ، والمواهب اللدنية للقسطلاني ١٩٥/٢ ، والخصائص للسيوطي ٢٥/٢ ، وموارد الظمآن بزوائد صحيح ابن حبان لابي بكر الهيثمي ص ٥٥٤ . وفي كتب أتباع مدرسة أهل البيت بأمانى الشيخ الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) . ط - النعمان بالنجف سنة ١٣٨٤ هـ ٢٢١/١ وفي لفظه : « ان عظيماً من عظماء الملائكة ... » .

هذا « وفي القوم أبوبكر وعمر ، وفي آخر الحديث : فأراهم تربته<sup>١</sup> .

٩ - روايات أم سلمة :

أ - عن عبدالله بن وهب بن زمعة :

في مستدرك الصحيحين ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ ابن عساكر ، وغيرها ، واللفظ للأول ، قال : أخبرني أم سلمة : رضي الله عنها : أنّ رسول الله (ص) اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر<sup>٢</sup> ، ثم اضطجع فرقد ، ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ، ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها<sup>٣</sup> ، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟ قال : أخبرني جبريل ( عليه الصلاة والسلام ) ان هذا يقتل بأرض العراق - للحسين - فقلت لجبريل : أرني تربة الأرض التي يُقتل بها . فهذه تربتها .

فقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه<sup>٤</sup> .

ب - عن صالح بن أربد :

روى الطبراني ، وابن أبي شيبة ، والخوارزمي ، وغيرهم ، واللفظ للأول ، عن صالح بن أربد ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله (ص) : اجلسي بالباب ، ولا يلجنّ عليّ أحد ، فقمتم بالباب إذ جاء

(١) تاريخ ابن عساكر ح ٦١٨ ، وتهذيبه ٣٢٥/٤ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٠/٣ ، وسير النبلاء له ١٠/٣ ، وجمع الزوائد ١٨٩/٩ ، وتاريخ ابن كثير ١٩٩/٨ ، وأمالى الشجري ص ١٨٦ ، وفي الروض النضير ٩٣/١ - ٩٤ اسناده حسن ، وأبو امامة هذا صدّئ بن عجلان .

(٢) كذا في لفظه الحاكم والبيهقي وفي غيرهما من الاصول : خائر ، وفي النهاية : أصبح رسول الله وهو خائر النفس ، أي ثقل النفس غير طيب ولا نشيط هـ .

(٣) في الحديث الآتي «يقبلها» .

(٤) مستدرك الصحيحين ٣٩٨/٤ ، والمعجم الكبير للطبراني ح ٥٥ ، وتاريخ ابن عساكر ح ٦١٩ - ٦٢١ ، وترجمة الحسين بطبقات ابن سعد بترجمة الحسين ح ٢٦٧ ، والذهبي في تاريخ الاسلام ١١/٣ ، وسير النبلاء ١٩٤/٣ - ١٩٥ ، والخوارزمي في المقتل ١٥٨/١ - ١٥٩ باختصار ، والمحب الطبري في ذخائر العقبى ص ١٤٨ - ١٤٩ ، وتاريخ ابن كثير ٢٣٠/٦ ، وكنز العمال للمتقي ٢٦٦/١٦ .

الحسين رضي الله عنه فذهبت أتناوله فسبقني الغلام فدخل على حذء. فقلت: يا نبي الله جعلني الله فداك أمرتني أن لا يلج عليك أحد. وإن ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني، فلما طال ذلك تطلعت من الباب فوجدتك تقلب بكفيك شيئاً ودموعك تسيل والصبي على بطنك؟

قال: نعم، أأناي جبريل (ع) فأخبرني أن أمتي يقتلونه، وأناي بالترب التي يقتل عليها فهي التي أقلب بكفي<sup>١</sup>.

ج - عن المطلب بن عبد الله بن حنطب:

في معجم الطبراني، و ذخائر العقبى. و مجمع الزوائد، وغيرها، واللفظ للأول، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله (ص) جالسا ذات يوم في بيتي فقال: لا يدخل علي أحد فانتظرت فدخل الحسين رضي الله عنه، فسمعت نشيج رسول الله (ص) يبكي، فأطلعت فإذا حسين في حجره والنبي (ص) يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل فقال: إن جبريل (ع) كان معنا في البيت فقال: تحبه؟ قلت: أما من الدنيا فنعم، قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء. فتناول جبريل (ع) من تربتها فأراها النبي (ص). فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال: صدق الله ورسوله، أرض كرب وبلا<sup>٢</sup>.

د - عن شقيق بن سلمة:

في معجم الطبراني، وتاريخ ابن عساكر، و مجمع الزوائد، وغيرها،

(١) ترجمة الحسين في المعجم الكبير للطبراني ج ٥٤ ص ١٢٤، وطبقات ابن سعد ج ٢٦٨، ومقتل الحواري في ١٥٨/١، وكنز العمال ٢٢٦/١٦، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ج ١٢ بلفظ آخر.  
(٢) معجم الطبراني ج ٥٣، ص ١٢٥، و مجمع الزوائد ١٨٨/٩ - ١٨٩، وكنز العمال ٢٦٥/١٦، وفي ذخائر العقبى ص ١٤٧ بإيجاز، وراجع نظم الدرر ص ٢١٥ للحافظ جمال الدين الزرندي.

واللفظ للأول، عن أبي وايل شقيق بن سلمة، عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي (ص) في بيتي، فنزل جبريل (ع) فقال: يا محمد! إن أمتك تقتل أبنك هذا من بعدك، فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله (ص) وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله (ص): وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله (ص) وقال: ويح كرب وبلاء. قالت:

وقال رسول الله (ص): يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فأعلمي أن أبنك قد قتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تتحولين فيه دماً ليوم عظيم.  
هـ - عن سعيد بن أبي هند:

في تاريخ ابن عساكر، وذخائر العقبى، وتذكرة خواص الأمة، وغيرها، واللفظ للأول، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها:

كان النبي (ص) نائماً في بيتي فجاء حسين رضي الله عنه يدرج، فقعدت على الباب فأمسكته مخافة أن يدخل فيوقظه، ثم غفلت في شيء فدب فدخل فقعد على بطنه قالت: فسمعت نحيب رسول الله (ص) فجئت فقلت: يا رسول الله! والله ما علمت به فقال: إنما جاءني جبريل (ع) - وهو على بطني قاعد - فقال لي: أتجبه؟ فقلت: نعم، قال: إن أمتك ستقتله، ألا أريك التربة التي يقتل بها؟ قال: فقلت: بلى، قال: فضرب بجناحه فأتى

(١) معجم الطبراني ح ٥١، ص ١٢٤، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٢٢، وتهذيبه ٣٢٨/٤، وبايجاز في ذخائر العقبى ص ١٤٧، ومجمع الزوائد ١٨٩/٩، وراجع طرح التثريب للمافظ العراقي ٤٢/١، والمواهب اللدنية ١٩٥/٢، والخصائص الكبرى للسيوطي ١٥٢/٢، والصراط السوي، للشيخاني المدني ٩٣، وجوهرة الكلام ص ١٢٠، والروض النضير ٩٢/١ - ٩٣.

بهذه التربة، قالت: وإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول: يا ليت شعري من يقتلك بعدي؟<sup>١</sup>.

و- عن شهر بن حوشب:

في فضائل ابن حنبل، وتاريخ ابن عساكر، وذخائر العقبى، وغيرها، واللفظ للأول، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي (ص) والحسين معي فبكي فتركته، فدنا من النبي (ص) فقال جبريل: أتجبه يا محمد؟ فقال: نعم، قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها: كربلاء<sup>٢</sup>.

ز- عن داود:

في تاريخ ابن عساكر، وغيره، واللفظ له، عن داود، قال: قالت أم سلمة: دخل الحسين على رسول الله ففرغ، فقالت أم سلمة: ما لك يا رسول الله؟ قال: إن جبريل أخبرني أن ابني هذا يقتل، وأنه اشتد غضب الله على من يقتله<sup>٣</sup>.

ح- في معجم الطبراني، وتاريخ ابن عساكر، وغيرهما، واللفظ للأول، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله (ص) يقتل الحسين بن علي (رض) على رأس ستين من مهاجري<sup>٤</sup>.

(١) تاريخ ابن عساكر ح ٦٢٦، وذخائر العقبى ص ١٤٧، وراجع الفصول المهمة ص ١٥٤، وتذكرة خواص الأمة ١٤٢ نقلاً عن الإمام الحسين (ع) وأمالى الشجري ص ١٦٣ و ١٦٦ و ١٨١.  
(٢) فضائل الحسن والحسين عن كتاب الفضائل تأليف أحمد بن حنبل ح ٤٤، ص ٢٣ من المجموعة وطبقات ابن سعد ح ٢٧٢، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٢٤، والعقد الفريد في الخلفاء وتواريخهم، وقد أسنده إلى أم سلمة، وذخائر العقبى ص ١٤٧.  
(٣) تاريخ ابن عساكر ح ٦٢٣، وتهذيبه ٣٢٥/٤، وكنز العمال ١١٢/٢٣، والروض النضير ٩٣/١.

(٤) ترجمة الحسين ح ٤١ ص ١٢١ من المجموعة وتاريخ ابن عساكر ح ٦٣٤، وتهذيبه ٣٢٥/٤ وجمع الزوائد ١٨٩/٩، ومقتل الخواري ١٦١/١، وأمالى الشجري ص ١٨٤.

ط - في معجم الطبراني عن أم سلمة، قالت :  
قال رسول الله يقتل الحسين حين يعلوه القتيير .  
قال الطبراني : القتيير : الشيب<sup>١</sup>.

#### ١٠ - روايات عائشة :

أ - عن أبي سلمة بن عبد الرحمن في تاريخ ابن عساکر ، ومقتل الخوارزمي ، ومجمع الزوائد ، وغيرها ، واللفظ للثاني ، عن عائشة ، قالت :  
إن رسول الله (ص) أجلس حسيناً على فخذه فجاء جبريل إليه ، فقال : هذا أبنيك ؟ قال : نعم ، قال : أما إن أمتك ستقتله بعدك ، فدمعت عينا رسول الله ، فقال جبريل : إن شئت أريتك الأرض التي يقتل فيها . قال : «نعم» فأراه جبريل تراباً من تراب آلطف .  
وفي لفظ آخر : فأشار له جبريل إلى الطف بالعراق فأخذ تربة حمراء ، فأراه إياها فقال : هذه من تربة مصر<sup>٢</sup> .  
ب - عن عروة بن الزبير :

في مجمع الطبراني وغيره واللفظ للطبراني ، عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : دخل الحسين بن علي رضي الله عنه على رسول الله (ص) وهو يوحى إليه فنزا على رسول الله (ص) وهو منكب ، ولعب على ظهره ، فقال جبريل لرسول الله (ص) : أتجبه يا محمد ؟ قال : يا جبريل ومالي لا أحب ابني ؟ قال : فإن أمتك ستقتله من بعدك ، فمد جبريل (ع)

(١) ترجمة الحسين من معجم الطبراني ح ٤٢ ص ١٢١ من المجموعة ، وأمال الشجري ص ١٨٤ .  
(٢) طبقات ابن سعد ح ٢٦٩ ، وتاريخ ابن عساکر بترجمة الحسين ح ٦٢٧ ، ومقتل الخوارزمي ١٥٩/١ واللفظ له... ومجمع الزوائد ١٨٧/٩ - ١٨٨ ، وكنز العمال ١٠٨/١٣ ، وفي ط. القديمة ٢٢٣/٦ ، والصواعق المحرقة لابن حجر ، ص ١١٥ ، وفي ط: ١٩ ، وراجع خصائص السيوطي ١٢٥/٢ و ١٢٦ ، وجوهرة الكلام للقره غولي ص ١١٧ ، وفي أمالي الشيخ الطوسي من كتب أتباع مدرسة أهل البيت ٣٢٥/١ ، وفي أمال الشجري ص ١٧٧ بتفصيل.



يده فأتاه بترية بيضاء فقال : في هذه الأرض يقتل أبئك هذا يا محمد وأسمها  
الطف ، فلما ذهب جبريل (ع) من عند رسول الله (ص) والتربة في يده يبكي  
فقال : يا عائشة ان جبريل (ع) أخبرني أنّ الحسين أبني مقتول في أرض  
الطف ، وأنّ أمتي ستفتن بعدي ، ثم خرج إلى أصحابه ، فيهم عليّ ، وأبو  
بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر ، رضي الله عنهم ، وهو يبكي فقالوا :  
ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرني جبريل أنّ أبني الحسين يقتل بعدي  
بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة ، وأخبرني أنّ فيها مضجعه<sup>١</sup>.

### ج - عن المقبري :

في طبقات ابن سعد وتاريخ ابن عساكر واللفظ للثاني ، عن عثمان بن  
مقسم عن المقبري عن عائشة قالت : بينا رسول الله (ص) راقد إذ جاء الحسين  
يحبو إليه فنحّيته عنه ثم قمت لبعض أمري ، فدنا منه فاستيقظ يبكي ،  
فقلت : ما يبكيك ؟ قال : إنّ جبريل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين ،  
فاشتدّ غضب الله على من يسفك دمه ، وبسط يده فإذا فيها قبضة من بطحاء  
فقال : يا عائشة والذي نفسي بيده<sup>٢</sup> ! أنّه ليحزنني ، فمن هذا من أمتي يقتل  
حسيناً بعدي<sup>٣</sup> ؟

### د - عن عبد الله بن سعيد :

في طبقات ابن سعد ومعجم الطبراني وغيرهما واللفظ للأخير ، عن  
عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة : أنّ الحسين بن علي دخل على رسول  
الله (ص) فقال النبي (ص) : يا عائشة ! ألا أعجبك ! لقد دخل عليّ ملك

(١) بترجمة الحسين (ع) من معجم الطبراني ح ٤٨ و ص ١٢٣ من المجموعة ، وجمع الزوائد  
١٨٧/٩ ، وراجع أعلام النبوة للهاوردي ص ٨٣ ، وأمالى الشجري ص ١٦٦ .  
(٢) في نسخة تاريخ ابن عساكر : الكلمة غير واضحة .  
(٣) ترجمة الحسين من طبقات ابن سعد ح ٢٧٠ ، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٢٨ .

آنفاً ما دخل عليّ قط فقال: إنّ آبنّي هذا مقتول، وقال: إنّ شئت أريتك تربة يقتل فيها، فتناول الملك بيده فأراني تربة حمراء<sup>١</sup>.

هـ - عن أم سلمة أو عائشة:

كما في مسند أحمد وفضائله، وطبقات ابن سعد وتاريخ الإسلام، وسير النبلاء للذهبي، ومجمع الزوائد، واللفظ للأول، عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أو أم سلمة - شكّ عبد الله - أنّ النبيّ قال لأحدهما: لقد دخل عليّ البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها، فقال لي: إنّ أبنك هذا حسيناً مقتولاً، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حدراء<sup>٢</sup>.

١١ - رواية معاذ بن جبل:

في معجم الطبراني، ومقتل الخواري، وكنز العمال، واللفظ للأول، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ معاذ بن جبل أخبره قال: خرج علينا رسول الله (ص) متغيّر اللون فقال: أنا محمّد أوتيت فواتح الكلم وخواتمه، فأطيعوني ما دمت بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عزّ وجلّ أحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم بالروح والراحة، كتاب من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رسل جاء رسل، تناسخت النبوة فصارت ملكاً رحم الله من أخذها بخقها.

(١) تاريخ ابن عسّكر ح ٦٢٧، ومعجم الطبراني ح ٤٩ ص ١٢٤ من المجموعة، وكنز العمال ١١٣/١٣، وتاريخ ابن كثير ١٩٩/٨. ولدى أتباع مدرسة أهل البيت بمثير الحزان ص ٨، وعبد الله بن سعيد أبو هند الفزاري ولأه، المدني (ت: ١٤٧ هـ) من رجال الصحاح السّنة.

(٢) مسند أحمد ٢٩٤/٦ و ترجمة الحسين من فضائل أحمد ح ١٠، وتاريخ ابن عسّكر ح ٦٢٥. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ١١/٣، أسناده صحيح. وفي سير النبلاء ١٩٥/٣، ومجمع الزوائد ١٨٢/٩، وكنز العمال ١١١/١٣، والصواعق المحرقة ١١٥ وفي طبعة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة: ص ١٩٠. وراجع طرح التثريب ٤١/١ للعراقي، والروض النضير ٩٤/١، وأمالى الشجري ص ١٨٤.

وخرج منها كما دخلها .

أمسك يا معاذ وأحص، قال : فلما بلغت خمسة . قال : يزيد لا بارك الله في يزيد، ثم ذرفت عيناه (ص)، ثم قال : نعي إليّ حسين، أثبتت بترته، وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه<sup>١</sup> إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم والبسهم شيعاً، ثم قال : واهل الفراخ آل محمد (ص) من خليفة مستخلف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف . الحديث<sup>٢</sup> .

١٢ - رواية سعيد بن جمهان :

في تاريخ ابن عساكر، والذهبي، وابن كثير، واللفظ للأول، عن سعيد بن جمهان : أنّ النبي (ص) أتاه جبريل بتراب من تراب القرية التي يقتل بها الحسين، فقال : اسمها كربلاء، فقال رسول الله (ص) : كرب وبلاء<sup>٣</sup> .

١٣ - روايات ابن عباس :

أ - أبو الضحى :

في مقتل الخوارزمي، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال : ما كنا نشك أهل البيت وهم متوافرون أنّ الحسين بن علي يقتل بالطف<sup>٤</sup> .

ب - سعيد بن جبير :

في تاريخ ابن عساكر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال :

(١) في مجمع الزوائد ١٨٩/٩ - ١٩٠ «لا يمنعه» وهو خطأ .

(٢) معجم الطبراني ح ٩٥ ص ١٤٠، ومقتل الخوارزمي ١٦٠ - ١٦١، وكنز العمال ١١٣/١٣،

وأما الشجري ص ١٦٩، ومجمع الزوائد ١٨٩/٩ - ١٩٠ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ح ٦٣٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ١١/٣، وتاريخ ابن كثير ٢٠٠/٨ .

(٤) مقتل الخوارزمي ١٦٠/١ .

أوحى الله تعالى: يا محمد، إني قد قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بآبن آبتك سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً<sup>١</sup>.  
وسنذكر بقية رواياته في باب سبب استشهاد الحسين (ع) ان شاء الله تعالى.

وروى ابن قولويه في باب قول رسول الله (ص): « إنَّ الحسين (ع) تقتله أُمته من بعده » في كامل الزيارة سبع روايات عن رسول الله (ص)<sup>٢</sup>.

#### ١٤ - روايات الإمام علي (ع):

أ - عن أبي حبرة:

في ترجمة الإمام الحسين (ع) بمعجم الطبراني عن أبي حبرة، قال: صحبت علياً (رض) حتى أتى الكوفة فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: كيف أنتم إذا نزل بذرية نبيكم بين ظهرا نبيكم؟ قالوا: إذن نبلى الله فيهم بلاءاً حسناً، فقال: والذي نفسي بيده لينزلن بين ظهرا نبيكم ولتخرجن إليهم فلتقتلنهم. ثم أقبل يقول:

هم أوردوهم بالغرور وعردوا أجيبوا نجاة لا نجاة ولا عذراً<sup>٣</sup>

ب - عن هانئ بن هانئ:

في معجم الطبراني، وتاريخ ابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي، وغيرها، واللفظ لابن عساكر عن هانئ بن هانئ عن علي، قال: ليقتلن الحسين قتلاً وإني لأعرف تربة الأرض التي يقتل بها، يقتل بقرية (بترية)

(١) تاريخ ابن عساكر ح ٦٨٤، وتهذيبه ٣٤٢/٤، وإمالي الشجري ص ١٦٠.

(٢) كامل الزيارة، ص ٦٨ - ٧١، الباب ٢٢.

(٣) معجم الطبراني ح ٥٧ ص ١٢٨، وفي مجمع الزوائد ١٩١/٩ « أجيبوا دعاء »، وأنساب.

الإشراف للبلاذري ص ٣٨ عن مجاهد بإيجاز.

قريبة من النهرين<sup>١</sup>.

ج - في مقتل الخوارزمي :

أن أمير المؤمنين علياً (ع) لما سار إلى صفين نزل بكربلاء وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاءً شديداً، ثم قال: مالي ولآل أبي سفيان؟ ثم التفت إلى الحسين. وقال: صبراً يا بُنيّ فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده<sup>٢</sup>.

د - عن الحسن بن كثير، في صفين :

عن الحسن بن كثير، عن أبيه: أن علياً أتى كربلاء فوقف بها، فقليل: يا أمير المؤمنين هذه كربلاء؟ قال: ذات كرب وبلاء، ثم أوماً بيده إلى المكان فقال: ها هنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأوماً إلى موضع آخر فقال: ها هنا مهراق دمائهم<sup>٣</sup>.

هـ - عن الأصمغ بن نباتة :

وفي ذخائر العقبى وغيره، عن الأصمغ بن نباتة قال: أتينا مع عليّ فمررنا بموضع قبر الحسين، فقال علي (ع): ها هنا مناخ ركابهم، وها هنا موضع رحالهم، ها هنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض<sup>٤</sup>.

و - عن غرفة الأزدي :

(١) معجم الطبراني ج ٥٧ ص ١٢٨، وفي لفظه: « ليقتلن الحسين قتلاً، وإني لأعرف التربة التي يقتل فيها قريبا من النهرين »، وتاريخ الإسلام للذهبي ١١/٣، وسير النبلاء له ١٩٥/٣، ومجمع الزوائد ١٩٠/٩، وكنز العمال ٢٧٩/١٦، ومن كتب حديث أهل البيت بكامل الزيارة ص ٧٢.

(٢) مقتل الخوارزمي ١٦٢/٩.

(٣) صفين، لنصر بن مزاحم ص ١٤٢، وشرح نهج البلاغة ٢٧٨/١.

(٤) ذخائر العقبى ص ٩٧، وراجع دلائل النبوة لآبي نعيم ٢١١/٣، وفي تذكرة خواص الامة ص

١٤٢ « هذا مصرع الرجل ثم ازداد بكاءه ».

في أسد الغابة، عن غرفة الأزدي قال: دخلني شك من شأن علي خرجت معه على شاطئ الفرات فعدل عن الطريق ووقف، ووقفنا حوله، فقال بيده: هذا موضع رواحلهم ومناخ ركايبهم ومهراق دمائهم، بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلا الله، فلما قُتِل الحسين خرجتُ حتى أتيت المكان الذي قُتِلوا فيه فإذا هو كما قال ما أخطأ شيئاً. قال: قاستغفرتُ الله ممّا كان منّي من الشك، وعلمتُ أنّ عليّاً رضي الله عنه لم يقدم إلّا بها عهد إليه فيه<sup>١</sup>.

ز - عن أبي جحيفة:

في صفين لنصر بن مزاحم عن أبي جحيفة قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب، فسأله وأنا أسمع، فقال: حديث حدّثنيه عن علي بن أبي طالب، قال: نعم، بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ فأتيته بكربلاء، فوجدته يشير بيده ويقول: «هاهنا، هاهنا» فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: «ثقل لآل محمّد ينزل هاهنا فويل لهم منكم، وويل لكم منهم» فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال: «ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم: يدخلكم الله بقتلهم النار».

وقد روي هذا الكلام على وجه آخر: أنه (ع) قال: «فويل لكم منهم وويل لكم عليهم» قال الرجل: أما وويل لنا منهم فقد عرفت وويل لنا عليهم ما هو؟ قال ترونهم يقتلون ولا تستطيعون نصرهم<sup>٢</sup>.

ح - عون بن أبي جحيفة:

(١) أسد الغابة ١٦٩/٤ قال في ترجمة غرفة الأزدي: «يقال له صحبة وهو معدود في الكوفيين، روى عنه أبو صادق قال: وكان من أصحاب النبي (ص) ومن أصحاب الصفة، وهو الذي دعا له النبي (ص) ان يبارك في صفته» ثم أورد الخبر الذي أوردناه في المتن، ثم قال بعد انتهائه «أخرجه ابن الدباغ مستدركاً على أبي عمر». وأشار إليه ابن حجر في ترجمته بالاصابة.  
(٢) صفين لنصر بن مزاحم ص ١٤٢.

في تاريخ ابن عساكر ، عن عون بن أبي جحيفة ، قال : أنا لجلوس عند دار أبي عبد الله الجدي ، فأتانا ملك بن صحرار الهمداني ، فقال : دلوني على منزل فلان ، قال : قلنا له : ألا ترسل إليه فيجيء ؟ إذ جاء فقال : أتذكر إذ بعثنا أبو مخنف إلى أمير المؤمنين وهو بشاطئ الفرات ، فقال : ليحلن هاهنا ركب من آل رسول الله (ص) يمرّ بهذا المكان فيقتلونهم ، فويل لكم منهم وويل لهم منكم<sup>١</sup>.

ط - في تاريخ ابن كثير :

روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه ، عن علي بن أبي طالب : أنه مرّ بكربلاء عند أشجار الحنظل وهو ذاهب إلى صفين ، فسأل عن اسمها فقيل : كربلاء . فقال : كرب وبلاء ، فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم قال : يقتل هاهنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة ، يدخلون الجنة بغير حساب - وأشار إلى مكان هناك - فعلموه بشيء ، فقتل فيه الحسين<sup>٢</sup>.

ي - عن نجى الحضرمي :

في مسند أحمد ، ومعجم الطبراني ، وتاريخ ابن عساكر ، وغيرها ، واللفظ للأول ، عن عبد الله بن نجى عن أبيه : أنه سار مع علي رضي الله عنه ، فلما جاءوا نينوى وهو منطلق إلى صفين ، فنادى علي : إصبر أبا عبد الله ، إصبر أبا عبد الله ! بشط الفرات ، قلت : وماذا ؟ قال : دخلت على رسول الله (ص) ذات يوم وعيناه تفيضان . قلت : يا نبي الله أغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : بل قام من عندي جبريل قبل ، فحدثني : أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال فقال : هل لك إلى أن أشمك من تربته ؟

(١) تاريخ ابن عساكر ح ٦٣٥ و تهذيبه ٣٢٥/٤ .

(٢) تاريخ ابن كثير ١٩٩/٨ - ٢٠٠ ، وجمع الزوائد ١٩١/٩ .

قال: قلت: نعم، فمَدَّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتاً<sup>١</sup>.

وفي رواية: « وكان صاحب مطهرته، فلما حاذوا نينوى وهو منطلق إلى صفين نادى علي: صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله بشط الفرات، قلت: ومن ذا أبو عبد الله؟...، هل لك أن أشمك من تربته؟... »<sup>٢</sup>.

ك - عن عامر الشعبي:

في طبقات ابن سعد، وتاريخ ابن عساكر، والذهبي وتذكرة خواص الأمة، عن عامر الشعبي: أن علياً قال وهو بشط الفرات: صبراً أبا عبد الله، ثم قال: دخلت على رسول الله (ص) وعيناه تفيضان، فقلت: أحدث حدث؟ قال: « أخبرني جبريل أن حسيناً يُقتل بشاطئ الفرات ثم قال: أتحب أن أريك من تربته؟ قلت: نعم، فقبض قبضة من تربتها فوضعها في كفي فما ملكت عيني أن فاضتاً<sup>٣</sup>.

ل - عن كدير الضبي:

في تاريخ ابن عساكر عن كدير الضبي قال: بينا أنا مع علي بكربلاء، بين أشجار الحرمل - إذ - أخذ بعرة ففرکہا، ثم شَمَّها، ثم قال: ليعشَن الله

(١) في مستند أحمد ٨٥/١، وقال بهامشه: اسناده صحيح، ومعجم الطبراني ح ٤٥ ص ١٢١، وتاريخ ابن عساكر ج ٦١١ - ٦١٢، وتهذيبه ٣٢٥/٤، ومجمع الزوائد ١٨٧/٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٠/٣، والنبلاء ١٩٣/٣، وتهذيب التهذيب ٣٤٧/٢، وتاريخ ابن كثير ١٩٩/٨، وتذكرة خواص الأمة بلفظ آخر في ص ١٤٢، ومقتل الخواري ١٧٠/٨، والصواعق لابن حجر ص ١١٥، وفي ذخائر العقبى ص ١٤٨ من « دخلت... » إلى آخر الحديث، وراجع الخصائص الكبرى للسيوطي ١٢٦/٢، ولدى أتباع مدرسة أهل البيت بمثير الأحران ص ٩، وأمالى الشجري ص ١٥٠.

(٢) كما في أحاديث تاريخ ابن كثير، والروض النضير ٩٢/١.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١٧٣، وتاريخ ابن عساكر ح ٦١٤ ص ٣٩٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٠/٣، والنبلاء ١٩٤/٣، وأشار إليه ابن كثير في ١٩٩/٨ من تاريخه، وتذكرة خواص الأمة ص ١٤٢.



من هذا الموضع قوماً يدخلون الجنة بغير حساب<sup>١</sup>.

م - عن هرثمة :

في معجم الطبراني عن هرثمة ، كنت مع علي (رض) بنهر كربلاء فمرّ بشجرة تحتها بعر غزلان فأخذ منه قبضة فشَمّها ، ثم قال : يحشر من هذا الظاهر سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب<sup>٢</sup>.

قد روى عن هرثمة حضوره مع الإمام عليّ بكربلاء وما تبع ذلك غير واحد وكلّ راوٍ يؤيد ما قاله الآخر كما نذكره في ما يأتي :

١ - رواية نشيط مولى هرثمة :

في مقتل الخوارزمي بسنده إلى نشيط أبي فاطمة قال : جاء مولاي هرثمة من صفين فأتيناه فسلمنا عليه فمرّت شاة وبعرت فقال : لقد ذكرتني هذه الشاة حديثاً : أقبلنا مع عليّ ونحن راجعون من صفين فنزلنا كربلاء ، فصلّى بنا الفجر بين شجرات ثم أخذ بعرات من بعر الغزال ففتها في يده ، ثم شَمّها فالتفت إلينا وقال : يقتل في هذا المكان قوم يدخلون الجنة بغير حساب<sup>٣</sup>.

٢ - رواية أبي عبد الله الضبي :

في طبقات ابن سعد ، وتاريخ ابن عساكر ، بسنده عن أبي عبد الله الضبي قال : دخلنا على هرثمة الضبي<sup>٤</sup> حين أقبل من صفين ، وهو مع عليّ ، وهو جالس على دكان له ، وله امرأة يقال لها جرداء وهي أشدّ حبا لعليّ وأشدّ لقوله تصديقاً ، فجاءت شاة له فبعرت ، فقال لها : لقد ذكرني بعر هذه الشاة

(١) تاريخ ابن عساكر ح ٦٣٨ ، وتهذيبه ٣٢٦/٤ .

(٢) معجم الطبراني ح ٥٩ ص ١٢٨ .

(٣) مقتل الخوارزمي ١٦٥/١ - ١٦٦ وفي لفظ أبو هرثمة.

(٤) في الاصل « أبي هرثمة » تحريف. وان اعلام هذا الحديث وغير هذا الحديث الذين ذكروا في هذا البحث بحاجة إلى تحقيق لم يتسن لنا القيام به.

حديثاً لعلّي، قالوا وما علم بهذا » قال: أقبلنا مرجعنا من صفين فنزلنا كربلاء، فصلّى بنا عليّ صلاة الفجر بين شجيرات ودوحات حرمل، ثم أخذ كفّاً من بحر الغزلان فشمّه، ثم قال: « اوه، اوه، اوه، يقتل بهذا الغائط قوم يدخلون الجنة بغير حساب » قال: قالت جرداء: وما تنكر من هذا؟ هو أعلم بما قال منك، نادت بذلك وهي في جوف البيت<sup>١</sup>.

٣- عن هرثمة بن سليم:

عن أبي عبيدة، عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع عليّ بن أبي طالب غزوة صفين، فلما نزلنا بكربلاء صلّى بنا صلاة، فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته - وهي جرداء بنت سمير - وكانت شيعة لعلّي فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسين؟ لِمَا نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمّها وقال: واهاً لك يا تربة، ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمه بالغيب؟ فقالت: دعنا منك أيّها الرجل، فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلّا حقّاً. فلما بعث عبيد الله ابن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن عليّ وأصحابه، قال: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه عرفت المنزل الذي نزل بنا علي فيه والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين، فسلمت عليه، وحديثه بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: معنا أنت أو علينا؟ فقلت إي ابن رسول الله لا معك ولا عليك. تركت أهلي وولدي

(١) في طبقات ابن سعد ح ٢٧٦، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٣٦، وفي مقتل الخوارزمي ١٦٥/١ عن نشيط أبي فاطمة قال: جاء مولاي أبو هرثمة من صفين، فأتيناه فسلمنا عليه فمرت شاة فبهرت... وليس في لفظه « وما علم بهذا ».

وعياي أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين: فولّ هرباً حتى لا ترى لنا مقتلاً، فوالذي نفس محمد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيشنا إلا أدخله الله النار. قال: فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي عليّ مقتلهم<sup>١</sup>.

٤ - عن جرداء بنت سمير:

عن زوجها هرثمة بن سلمى، قال: خرجنا مع عليّ في بعض غزواته، فسار حتى انتهى إلى كربلاء، فنزل إلى شجرة فصلّى إليها فأخذ تربة من الأرض فشتمها، ثم قال: واهاً لك تربة ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. قال: ففقلنا من غزوتنا وقتل عليّ ونسيت الحديث، قال: وكنت في الجيش الذين ساروا إلى الحسين فلمّا انتهيت إليه نظرت إلى الشجرة، فذكرت الحديث، فتقدّمت على فرس لي فقلت: أبشرك ابن بنت رسول الله (ص)، وحديثه الحديث، قال: معنا أو علينا؟ قلت لا معك ولا عليك، تركت عيالا وتركته - كذا وكذا<sup>٢</sup> قال: أمّا لا فولّ في الأرض، فوالذي نفس حسين بيده، لا يشهد قتلنا اليوم رجل إلا دخل جهنّم. فانطلقت هارباً مولياً في الأرض حتى خفي عليّ مقتله<sup>٣</sup>.

ن - عن شيبان بن مخرم:

في معجم الطبراني، وتاريخ ابن عساكر، ومجمع الزوائد، وغيرها، واللفظ لابن عساكر، عن ميمون عن شيبان بن مخرم - وكان عثمانياً يبغض علياً - قال:

(١) صفين، لابن مزاحم، ص ١٤٠ - ١٤١، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٣٦ و ٦٣٨ باختصار. وأمالى الشجري ص ١٨٤.

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣٢٨/٤.

(٣) تاريخ ابن عساكر ح ٦٧٧، وأمالى الشجري ص ١٨٤، وفي لفظ «عن جرد ابنة سمير»، والأمالى للصدوق (ره) ط. الإسلامية طهران سنة ١٣٩٦ هـ ص ١٣٦.

رجعنا مع علي إلى صفين فانتبهينا إلى موضع ، قال : فقال : ما سمي هذا  
الموضع ؟ قال : قلنا : كربلاء قال : كرب وبلاء . قال : ثمّ قعد على دابّته ،  
وقال : يقتل هاهنا قوم أفضل شهداء على ظهر الأرض لا يكون شهداء رسول  
الله (ص). قال : قلت بعض كذباته وربّ الكعبة . قال : فقلت لغلّامي ،  
وثمة حمار ميّت : جئني برجل هذا الحمار فأوتدته في المقعد الذي كان فيه  
قاعداً ، فلمّا قتل الحسين قلت لأصحابنا : انطلقوا ننظر ، فانتبهينا إلى المكان  
فإذا جسد الحسين على رجل الحمار وإذا أصحابه ربضة حوله<sup>١</sup> .  
وأخرج ابن قولويه في باب قول أمير المؤمنين في قتل الحسين من كامل  
الزيارة أربعة أحاديث<sup>٢</sup> .

#### ١٥ - رواية أنس بن الحارث واستشهاده :

في تاريخ البخاري ، وابن عساكر ، والاستيعاب ، وغيرها ؛ أنّ أنس  
ابن الحارث بن نبيه قتل مع الحسين ، قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :  
« أنّ ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء ، فمن شهد ذلك  
فلينصره » ، فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل بها مع الحسين .  
وفي مثير الأحزان : خرج أنس بن الحارث الكاهلي وهو يقول :

قد علمت كاهلنا وذودان      والخندفيون وقيس عيلان  
بأنّ قومي آفة للأقران      يا قوم كونوا كأسود خفّان

(١) ترجمة الحسين من طبقات ابن سعد ح ٢٧٥ ، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٧٥ ، وتهذيب ابن عساكر  
٣٣٧/٤ - ٣٣٨ ، وقريب منه لفظ الحديث ٦٧٦ في التاريخ وأسقطه في التهذيب ، والطبراني ح ٦٠ ص  
١٢٨ ، والمقتل للخوارزمي ١٦١/١ ، وكنز العمال ٢٦٥/١٦ ، ومجمع الزوائد ١٩٠/٩ - ١٩١ . وفي الاصل  
«رجع» تحريف ، وربضة : الجثة الجائنة ، ومن الناس الجباعة ، والجائم : الذي لزم الأرض . لسان العرب  
وغيره .

(٢) كامل الزيارة ، باب ٢٣ ص ٧١ - ٧٢ .

وَأَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِضَرْبِ الْآنِ      آلُ عَلِيٍّ شِيعَةُ الرَّحْمَنِ  
وَأَلْ حَرْبِ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ<sup>١</sup>

١٦ - رجل من بني أسد:

روى كل من ابن سعد، وابن عساكر، عن العريان بن هيثم بن  
الأسود النخعي الكوفي الأعور، قال: كان أبي يتبدى<sup>٢</sup> فينزل قريباً من  
الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لانبذو<sup>٣</sup> إلا وجدنا رجلاً من بني  
أسد هناك، فقال له أبي: أتني أراك ملازماً هذا المكان؟ قال: بلغني أنّ  
حسيناً يقتل هاهنا، فأنا أخرج لعلّي أصادفه، فاقتل معه، فلما قتل الحسين،  
قال أبي: انطلقوا ننظر، هل الاسدي في من قتل؟ وأتينا المعركة فطوفنا فإذا  
الاسدي مقتول<sup>٤</sup>.

\* \* \*

أوردنا في ما سبق من الأحاديث التي فيها إنباء باستشهاد الإمام الحسين  
قبل وقوعه، ما رواها الفريقان أو ما تفرد بروايتها أتباع مدرسة الخلفاء، وتركنا  
إيراد ما تفرد بروايتها أتباع مدرسة أهل البيت<sup>٥</sup> وتخبرنا في ما رواها الفريقان  
لفظ روايات مدرسة الخلفاء، وينبغي أن نبحت بعد هذا عن سبب استشهاد

(١) ترجمة أنس بن الحارث في الجرح والتعديل للرازي ٢٨٧/١، وفي تاريخ البخاري الكبير ٣٠/١  
رقم الترجمة ١٥٨٣، وابن عساكر ح ٦٨٠، وتهذيبه ٣٣٨/٤، والاستيعاب، وأسد الغابة ١٢٣/١،  
والإصابة ومقتل الخوارزمي ١٥٩/١ - ١٦٠، وتاريخ ابن كثير ١٩٩/٨، والروض النضير ٩٣/١،  
ومثير الأحزان ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) يتبدى: أي يقيم في البادية وفي الأصل «يتبدى» تحريف.

(٣) نبذو: أي نخرج إلى البادية.

(٤) بترجمة الحسين من كل من طبقات ابن سعد ح ٢٨٠، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٦٦.

(٥) مثل ما روى الصدوق في أماليه ط. النجف، ص ١١٢، وط. دار الكتب الإسلامية طهران سنة  
١٣٥٥ ش. هـ ص ١٢٦ - ١٢٧ عن ميثم رواية مفصلة، وما ورد في أمالي الشيخ الطوسي (ره)  
٣٢٣/١ - ٣٢٤، ومثير الأحزان ص ٩ - ١٣.

الإمام الحسين ونرجع في هذا البحث في ما يلي إلى كتب الفريقين المشهورة دونها  
تخير رواية فريق على آخر .

## سبب استشهاد الإمام الحسين (ع)

- ينبغي أن نبحث في هذا المقام في أمرين :
- أ - قاتل الإمام الحسين لماذا أقدم على قتله ؟
- ب - الإمام الحسين لماذا اختار القتل ؟

لقد روى الطبري وغيره واللفظ للطبري<sup>١</sup> في بيان ذلك وقال : بويح ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه في رجب سنة ستين وأمير المدينة الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ، ولم يكن ليزيد همّة - حين ولي - إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الاجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وأنه ولي عهده بعده والفراغ من أمرهم ، فكتب إلى الوليد يخبره بموت معاوية ، وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة : أما بعد . فخذ حسينا وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام .

فأشار عليه مروان أن يبعث إليهم في تلك الساعة ويدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة ، فان فعلوا قبل منهم وكف عنهم ، وإن أبوا قديمهم

(١) الطبري، باب خلافة يزيد بن معاوية ١٨٨/٦ .

فضرب أعناقهم فإنهم ان علموا بموت معاوية وثب كل منهم في جانب و أظهر الخلاف والمنابذة، ودعا إلى نفسه، عدا ابن عمر فأنه لا يرى القتال إلا أن يدفع الأمر إليه عفواً.

فأرسل الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان إلى الحسين و ابن الزبير يدعوهما فوجدهما في المسجد فدعاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس. فقالا: انصرف، الآن نأتيه. فقال حسين لابن الزبير: أرى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره. فقام الحسين وجمع إليه مواليه وأهل بيته وسار إلى باب الوليد وقال لهم: إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتموا عليّ، وإلا فلا تبرحوا حتّى أخرج إليكم، فدخل على الوليد ومروان جالس عنده فأقرأه الوليد الكتاب و دعاه إلى البيعة، فاسترجع الحسين وقال: إن مثلي لا يعطي بيعته سراً ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل. قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً. فقال له الوليد، وكان يحب العافية: انصرف على اسم الله، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها حتّى تكثر القتل بينكم وبينه؛ احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يا ابن الزرقاء! أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت<sup>٢</sup>.

(١) قال ابن الاثير في تاريخه الكامل ١٦٠/٤ ط. اوربا وكان يقال له - أي لمروان - ولولده: بنو الزرقاء. يقول ذلك من يريد ذمهم و عيبهم وهي الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت من ذوات الرايات التي يُستدل بها على بيوث البغاة فلهذا كانوا يذمون بها، وقال البلاذري: اسمها مارية ابنة موهب وكان قينا. أنساب الأشراف ١٢٦/٥.

(٢) الطبري ١٩٠/٦.



وفي تاريخ ابن أعثم، ومقتل الخوارزمي ومثير الأحزان<sup>١</sup>، واللّهوف، واللفظ للاخير<sup>٢</sup>، كتب يزيد إلى الوليد يأمره بأخذ البيعة على أهلها عامة وخاصة على الحسين (ع) ويقول له: إن أبى عليك فاضرب عنقه، ثم أوردوا الخبر نظير ما ذكره الطبري إلى قولهم، فغضب الحسين وقال: ويلى عليك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي؟ كذبت ولؤمت، نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ويزيد فاسق شارب الخمر وقتل النفس ومثلي لا يبايع مثله.

قال الطبري: فقال له الوليد - وكان يحب العافية -: انصرف على اسم الله. وفي الرواية الأولى: فلما أصبح الحسين لقيه مروان فقال أطعني ترشد، قال: قل، قال: بايع أمير المؤمنين يزيد فهو خير لك في الدارين. فقال الحسين: «إنا لله وإنا إليه راجعون»<sup>٣</sup> وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد<sup>٤</sup>.

أما ابن الزبير فأنهم الحوا عليه وتعلل ولم يحضر دار الوليد، وبعث الوليد إلى عبدالله بن عمر فقال: بايع ليزيد. فقال: إذا بايع الناس بايعت، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان فتقدم إلى الوليد فبايعه<sup>٥</sup>.

وفي رواية: أن الحسين خرج من منزله بعد ذلك وأتى قبر جدّه فقال: السلام عليك يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك وسبطك والثقل الذي خلفته في أمّتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد

(١) مثير الأحزان، لابن نهار؛ نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء (ت: ٦٤٥ هـ). ط. المطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٦٩ هـ ص ١٤ - ١٥.

(٢) اللّهوف في قتل الطفوف ط. مكتبة الأندلس بيروت ص ٩ - ١٠ تأليف علي بن موسى ابن جعفر بن طاووس الحسيني (ت: ٦١٤ هـ)، وفتوح ابن أعثم ١٠/٥، ومقتل الخوارزمي ١٨٠/١ - ١٨٥.

(٣) لم أجد الاسترجاع في اللّهوف.

(٤) مثير الأحزان ص ١٤ - ١٥، اللّهوف ص ٩ - ١٠، وفتوح ابن أعثم ومقتل الخوارزمي.

(٥) الطبري ١٩٠/٦ - ١٩١.

خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني ، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك صلى الله عليك .

ثم صفت قدميه فلم يزل راکعاً ساجداً<sup>١</sup> إلى الفجر .

وفي رواية أخرى : فصلّى ركعات فلما فرغ من صلاته جعل يقول : اللهم هذا قبر نبيك محمد (ص) وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللهم إني أحبّ المعروف وأُنكر المنكر وإني أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ألا اخترت من أمري ما هو لك رضى ولرسولك رضى وللمؤمنين رضى ، ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه فجاء وضمّ الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه وقال « حبيبي يا حسين كأنني أراك عن قريب مرملاً بدمائك ، مذبوحاً بأرض كربلاء ، بين عصابة من أمتي ، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى ، وظمآن لا تروى ، وهم في ذلك يرجون شفاعتي ، ما لهم لا أناهم الله شفاعتي . ما لهم لا أناهم الله شفاعتي يوم القيامة ، وما لهم عند الله من خلاق ، حبيبي يا حسين ! إن أباك وأمك وأخاك قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون ، وإن لك في الجنة لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة<sup>٢</sup> . الحديث . وذهب إلى قبر أمه وأخيه ودّعهما<sup>٣</sup> .

وروى عمر بن علي الاطرف وقال :

لما امتنع أخى الحسين (ع) عن البيعة ليزيد بالمدينة دخلت عليه فوجدته خالياً ، فقلت له : جعلت فداك يا أبا عبد الله : حدّثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه (ع) . ثم سبقتني الدمعة ، وعلا شهيقى ، فضمّني

(١) مقتل الخوارزمي ١٨٦/١ .

(٢) فتوح ابن أعثم ٢٩/٥ ، ومقتل الخوارزمي ١٨٧/١ .

(٣) اللهوف ، ص ١١ .

إليه، وقال: أحذّثك أنّي مقتول؟ فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله. فقال: سألتك بحق أبيك، بقتلي خبرك أبي؟ فقلت نعم، فلولا تأوّلت وبايعت. فقال: حدّثني أبي: أنّ رسول الله (ص) أخبره بقتله وقتلي وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، فتظنّ أنك علمت ما لم أعلمه؟ ١٩ وأنّي لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريّتها من أمّته ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريّتها<sup>١</sup>.

\* \* \*

كان حكام ذلك العصر وأشياعهم قد اعتادوا على تسمية تغيير أحكام الله بالتأويل - كما شرحناه في بحث الاجتهاد - حتّى أصبح المتبادر إلى الذهن من لفظ التأويل هو التغيير، وأصبح ذلك شائعاً وسائغاً، ومن ثمّ كان معاصرو الإمام الحسين (ع) الذين بلغهم نبأ آستشهاد الحسين في العراق عن رسول الله يلحّون على الإمام الحسين أن يؤوّل قضاء الله هذا، أي يغيّره بعدم ذهابه إلى العراق، وبعضهم كان يضيف إلى ذلك طلبه من الإمام أن يؤوله بالبيعة، أي يغيّره بالبيعة، وهذا ما عناه عمر بن علي بقوله: ( فلولا تأوّلت وبايعت ) أي فلولا أوّلت قضاء الله بقتلك ببيعتك، وكذلك كان قصد محمّد بن الحنفية في ما حاور أخاه الحسين وان لم يصّرّح به.

كما روى الطبري والمفيد وغيرهما واللفظ للمفيد: أنّ محمّد بن الحنفية قال للحسين (ع) لئما عزم على الخروج من المدينة: يا أخي أنت أحبّ الناس إليّ وأعزهم عليّ ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق، إلّا لك وأنت أحقّ بها. تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك إلى الناس فأدعهم إلى نفسك فان بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وان اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك إنّني أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الامصار فيختلف الناس بينهم فمنهم طائفة معك

(١) اللهورف، ص ١١.

وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة غرضاً، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً. فقال له الحسين (ع): فإين أذهب يا أخي؟ قال: إنزل مكة فإن أطمأنت بك الدار بها فسيبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس إليه؛ فأنك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً<sup>١</sup>. وفي فتوح ابن أعثم ومقتل الخواريزمي بعده: فقال له الحسين: يا أخي: والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية أبداً، وقد قال (ص): اللهم لا تبارك في يزيد. فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى معه الحسين ساعة ثم قال: جزاك الله يا أخي عني خيراً لقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موقفاً مسدداً، وإنني قد عزمت على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو اخوتي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخف علي شيئاً من أمورهم. ثم دعا بدواة وبياض وكتب<sup>٢</sup> هذه الوصية لأخيه محمد.

(١) إرشاد الشيخ المفيد ص ١٨٣.

(٢) الفتوح لابن أعثم ٣٢/٥ - ٣٣.

## وصية الحسين (ع)<sup>١</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم - هداما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ثم طوى الحسين الكتاب، وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد، ثم ودّعه وخرج في جوف الليل<sup>٢</sup>.

(١) اخترنا لفظ محمد بن أبي طالب الموسوي حسب رواية المجلسي في البحار ٣٢٩/٤٤.  
(٢) فتوح ابن أعثم ٣٤/٥، ومقتل الخواري ١٨٨/١ وبعد سيرة جدي وأبي، أضافت يد التحريف «وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم» وإن الراشدين اصطلاح تأخر استعماله عن عصر الخلافة الاموية ولم يرد في نص ثبت وجوده قبل ذلك، ويقصد بالراشدين الذين أتوا إلى الحكم بعد رسول الله متواليا من ضمنهم الإمام علي، فلا يصح أن يعطف الراشدين على اسم الإمام، كل هذا يدلنا على أن الجملة أدخلت في لفظ الإمام الحسين.

## مسير الإمام الحسين (ع) إلى مكة المكرمة

وروى الطبري والمفيد: أنَّ الوليد أرسل إلى ابن الزبير بعد خروج الحسين فطاوله حتى خرج في جوف الليل إلى مكة وتنكب الطريق، فلما أصبحوا سرَّح في طلبه الرجال فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين (ع) فلما أمسوا، أرسل إلى الحسين فقال لهم: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه فسار من ليته إلى مكة وهو يتلو ﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين﴾ و أبى أن يتنكب الطريق الأعظم مثل ابن الزبير<sup>١</sup>.

وفي تاريخ الطبري وغيره، أنَّ عبد الله بن عمر التقى بالحسين وابن الزبير في الطريق فقال لهما: اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين<sup>٢</sup>. ولقي الحسين - أيضاً - عبد الله بن مطيع، فقال له: جعلت فداك اين تريد؟ قال: أما الآن فمكة وأما بعد فاني استخير الله. قال: خار الله لك وجعلنا فداءك، فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدة مشؤومة؛ بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه. الزم الحرم فأنك سيّد العرب لا تعدل بك أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كل

(١) تاريخ الطبري ١٩٠/٦، وارشاد المفيد ص ١٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٩١/٦.

جانب . لا تفارق الحرم فذاك عمي وخالي فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك .  
وسار الحسين حتى دخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان وهو  
يقراً : ﴿ ولما توجه تلقاء مدين ، قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ ،  
ودخل ابن الزبير مكة ولزم الكعبة ، يصلي عندها عامة النهار ، ويطوف  
ويأتي حسينا في من يأتيه ، ويشير عليه بالرأي ، وهو أثقل خلق الله على ابن  
الزبير ، قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه أبداً مادام الحسين بالبلد ، وأنه  
أعظم في أعينهم وأنفسهم منه ، وأطوع في الناس منه<sup>١</sup> .

فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتيه المعتمرون وأهل الآفاق<sup>٢</sup> .

وفي هذه السنة عزل يزيد الوليد وولى على الحرمين عمرو بن سعيد<sup>٣</sup> ،  
وبلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن الزبير وابن عمر عن  
البيعة ؛ فاجتمعوا وكتبوا إليه كتاباً واحداً . . . أما بعد : فالحمد لله الذي قصم  
عدوك الجبار العنيد الذي أنتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وتآمر عليها بغير  
رضى منها . . . فبعداً له كما بعدت ثمود . أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله  
أن يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير - الوالي - في قصر الامارة لسنا  
نجتمع معه في جمعة ولا عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت أخرجناه حتى  
نلحقه بالشام . . . وبعثوا بالكتاب مع رجلين فأغذا السير حتى قدما على  
الإمام الحسين لعشر مضين من شهر رمضان . ثم مكثوا يومين وسرحوا إليه  
ثلاثة رجال معهم نحو من ثلاث وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين  
والاربعة ، ثم لبشوا يومين آخرين وأرسلوا رسولين وكتبوا معها . . . إلى  
الحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين ، أما بعد فحي هلا فإن الناس  
ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك ، فالعجل العجل والسلام عليك .  
وكتب إليه رؤوس من رؤساء الكوفة كتاباً ورد فيه : فأقدم على جندك

(١) تاريخ الطبري ١٩٦/٦ - ١٩٧ .

(٢) الطبري ١٩٦/٦ .

(٣) الطبري ١٩١/٦ .

مجتدة والسلام عليك<sup>١</sup>.  
وفي رواية الطبري: كتب إليه أهل الكوفة « أنه معك مائة ألف »<sup>٢</sup>.

(١) الطبري ١٩٧/٦، وراجع أنساب الأشراف ص ١٥٧ - ١٥٨.  
(٢) الطبري ٢٢١/٦، ومثير الأحزان ص ١٦.



## ارسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة

وهكذا تلاقت الرسل وتكاثرت الكتب لديه فكتب الإمام في جوابهم:

إلى الملا من المؤمنين والمسلمين. أما بعد... قد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنه ليس علينا امام فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلهم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله. والسلام<sup>١</sup>.

وأرسل إليهم مسلم بن عقيل<sup>٢</sup>، فأقبل حتّى دخل الكوفة، فاجتمع إليه الشيعة واستمعوا إلى كتاب الحسين وهم يبكون، وبايعه ثمانية عشر ألفاً<sup>٣</sup>. فكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين:

(١) الطبري ١٩٨/٦، و الاخبار الطوال للدينوري ٢٣٨.

(٢) الطبري ١٩٨/٦.

(٣) الطبري ٢١١/٦، ومثير الأحران ص ٢١، و اللهوف ص ١٠.

أما بعد فإنَّ الرائد لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجّل الاقبال حين يأتيك كتابي ، فإنَّ الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام<sup>١</sup> .

وفي رواية بايع مسلم بن عقيل خمسة وعشرون ألفاً .  
وفي رواية أخرى أربعون ألفاً<sup>٢</sup> .

قال المؤلف : ولعلَّ أهل الكوفة استمروا على البيعة لمسلم بعد ارساله الكتاب إلى الامام الحسين حتى بلغوا خمسة وعشرين أو أربعين ألفاً .  
قال الطبري : اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة وتذكروا أمر الحسين ، والتحق بعضهم به وسار معه حتى استشهد ، وكتب إليهم الحسين يستنصرهم<sup>٣</sup> .

قال : وعزل يزيد نعمان بن بشير عن ولاية الكوفة وولّى عبيد الله بن زياد عليها بالاضافة إلى ولايته على البصرة ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل حتى يقتله فقدم الكوفة وتبع الشيعة ، فثار عليه مسلم بن عقيل ، وخذله من بايعه من أهل الكوفة وبقي وحيداً يحارب جنود ابن زياد ، فضرب بسيف قطع شفته العليا ونصلت ثناياه وأخذوا يرمونه بالحجارة من فوق البيوت ، ويلهبون النار في أطنان القصب ثم يقلبونها عليه . فتقدّم إليه محمّد بن الأشعث وقال : لك الامان لا تقتل نفسك ، وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال وانبهر وأسند ظهره إلى جنب الدار . فدنا منه ابن الأشعث فقال : لك الإمان قال : آمن أنا ؟ قال : نعم . وقال القوم : أنت آمن . فقال : أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم فاجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه من عنقه فقال : هذا

(١) الطبري ٢١١/٦ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ح ٦٤٩ .

(٣) الطبري ١٩٨/٦ - ٢٠٠ .

(٤) الطبري ١٩٩/٦ - ٢١٥ .

أول الغدر ! أين أمانكم ؟ ثم أقبل على ابن الأشعث وقال له : إنني أراك والله ستعجز عن أمانني فهل عندك خير ؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لساني يبلغ حسينا فأنني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليرم مقبلا أو هو خارج غدا هو وأهل بيته ، وإن ما ترى من جزعي لذلك فيقول : ان ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن يمسي حتى يقتل ، ارجع بأهل بيتك ولا يغرك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، ان أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لمكذوب رأي . فقال الأشعث : والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد اني قد أمتك .

و ادخل مسلم على ابن زياد على تلك الحالة ، وجرت بينهما محاورة فقال له ابن زياد : لعمرى لتقتلن .

قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أوص إلى بعض قومي . فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد . فقال : يا عمر ! ان بني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب لي عليك نجاح حاجتي وهو سر ، فأبى أن يمكنه من ذكرها . فقال له عبيد الله : لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك ، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد فقال له : ان علي بالكوفة دينا استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني ، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوارها ، وابعث إلى حسين من يرده فأنني قد كتبت إليه أعلمه ان الناس معه ولا أراه إلا مقبلا . فأخبر ابن سعد ابن زياد بما قال مسلم فقال ابن زياد : انه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن ، وأمر بمسلم أن يصعد به فوق القصر ويضرب عنقه . فقال لابن الأشعث : أما والله لولا أنك أمتني ما استسلمت . قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك . فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا . واشرف به وضربت عنقه وأتبع جسده رأسه .

وأمر ابن زياد بهانئ بن عروة فاخرج إلى السوق فضربت عنقه،  
وأرسل ابن زياد برأسيهما مع كتاب إلى يزيد، فكتب إليه يزيد: أما بعد فإنك  
لم تعد ان كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع  
الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيتني فيك...  
الكتاب<sup>١</sup>.

(١) الطبري ١٩٩/٦ - ٢١٥، وارشاد المفيد ١٩٩ - ٢٠٠.

## عزم الإمام الحسين (ع) على المسير إلى العراق

هكذا استشهد مسلم بن عقيل، أمّا الإمام الحسين فقد استعدّ بعد تسلمه كتاب سفيره مسلم - الأنف الذكر - للتوجّه إلى العراق، ولما علم ابن الزبير بقصده قال له: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، ثم خشي أن يتّهمه فقال: أما أنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا ما خولف عليك ان شاء الله. ولما خرج من عند الإمام الحسين قال الإمام: إنّ هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء وإنّ الناس لم يعدلوه بي؛ فودّ أنّي خرجت منها لتخلو له<sup>١</sup>.

وفي يوم التروية التقيا بين الحجر والباب فقال له ابن الزبير: ان شئت أقمت فوليت هذا الأمر آزرناك وساعدناك ونصحناك وبايعناك. فقال له الحسين: إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها؛ فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش. فقال له ابن الزبير: فاقم ان شئت وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى، فقال: وما أريد هذا. ثمّ أنّها أخفيا كلامهما<sup>٢</sup>.

(١) الطبري ٢١٦/٦.

(٢) الطبري ٣١٧/٦، وراجع أنساب الأشراف ص ١٦٤.

وفي رواية: فسار ابن الزبير الحسين فالتفت إلينا الحسين، فقال: يقول ابن الزبير: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال: واللّه لأن أقتل خارجاً منها أحبّ إليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتذت اليهود في السبت<sup>١</sup>.

وفي تاريخ ابن عساكر وابن كثير: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ من أن تستحلّ بي - يعني مكة<sup>٢</sup> - .

ثم طاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة، وقصّ من شعره، وأحلّ من احرامه وجعلها عمرة<sup>٣</sup>.

الحسين مع ابن عباس:

وفي تاريخ الطبري وغيره: لما عزم على الخروج أتاها ابن عباس وقال له في ما قال: أقم في هذا البلد فإنك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فأكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج؛ فسر إلى اليمن فإنّ بها حصونا وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبثّ دعائك، فاني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ. فقال له الحسين: يا ابن عمّ: إنّي والله أعلم أنك ناصح مشفق، وقد أزمعت وأجمعت المسير، فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فاني خائف أن تقتل كما قتل عثمان، ونساؤه ولده ينظرون إليه.

(١) الطبري ٢١٧/٦، وابن الاثير ١٦/٤، وقوله « ليعتدن علي... » في طبقات ابن سعد ح ٢٧٨، وتاريخ ابن عساكر ح ٦٦٤، وابن كثير ١٦٦٠٨.

(٢) تاريخ ابن عساكر ح ٦٤٨، وابن كثير ١٦٦/٨.

(٣) ارشاد المفيد ص ٢٠١، وتاريخ ابن كثير ١٦٦/٨.

وفي الاخبار الطوال بعده: قال الحسين: يا آبن عمّ ما أرى الخروج إلّا بالأهل والولد<sup>١</sup>.

وفي رواية: فقال الحسين: لأنّ اقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ من أن أقتل بمكة وتستحلّ بي، فبكى ابن عباس<sup>٢</sup>. وفي رواية فقال: فذلك الذي سلا بنفسه عنه<sup>٣</sup>.

كتابه إلى بني هاشم:

في كامل الزيارة قال: كتب الحسين بن عليّ من مكة إلى محمّد بن علي:

بسم الله الرحمن الرحيم . . . من الحسين بن عليّ إلى محمّد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد: فإنّ من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح والسلام<sup>٤</sup>.

قال ابن عساكر: وبعث حسين إلى المدينة فقدم عليه من خفّ معه من بني عبد المطلب . . . وتبعهم محمّد بن الحنفية بمكة . . .<sup>٥</sup>.

الإمام الحسين مع أخيه محمد بن الحنفية:

في اللهوف: سار محمّد بن الحنفية إلى الحسين (ع) في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي: إنّ أهل الكوفة من عرفت

(١) الطبري ٢١٦/٦ - ٢١٧، وابن الاثير ١٦/٤، والاعخبار الطوال ص ٢٤٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر بترجمة الإمام الحسين، الحديث ٦٤٢ - ٦٤٤، وابن كثير ١٦٥/٨، وذخائر العقبى ص ١٥١، ومقتل الخوارج ص ٢١٩/١.

(٣) معجم الطبراني ح ٩٣، وجمع الزوائد ١٩٢/٩.

(٤) كامل الزيارة ص ٧٥ باب ٧٥، وفي اللهوف عن الكليني: ان هذا الكتاب كتبه إليهم لما فصل من مكة ولقظه من الحسين بن علي إلى بني هاشم أما بعد، فانه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح، اللهوف ص ٢٥، ومثير الاحزان ص ٢٧.

(٥) بترجمة الإمام الحسين في تاريخ ابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٤٣/٢.

غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى ، فان رأيت أن تقيم فأنك أعز من في الحرم وأمنعه ، فقال : يا أخي : خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم ، فأكون الذي تُستباح به حرمة هذا البيت<sup>١</sup>.

خروج الإمام الحسين من مكة وممانعة رسل الوالي اياه :

خرج الإمام الحسين من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة<sup>٢</sup>، فاعترضه رسل الوالي من قبل يزيد عمرو بن سعيد ، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط ، وامتنع الحسين وأصحابه منهم امتناعاً قوياً ، ومضى ، فنادوه : يا حسين : ألا تتقي الله ! تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الامة . فتأول حسين قول الله عز وجل : ﴿ لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾<sup>٣</sup>.

مع عبدالله بن جعفر وكتاب الوالي :

فكتب إليه عبدالله بن جعفر مع ابنه عون ومحمد : أمّا بعد ، فإنني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي فأني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك وأستشصال أهل بيتك ، وان هلكت اليوم طفق نور الأرض ، فإنك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير ، فإنني في أثر الكتاب والسلام .

و طلب من عمرو بن سعيد أن يكتب له أماناً ويمنيّه البر والصلة ويبعث به إليه ، فكتب : أمّا بعد ، فإنني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك ، وان يهديك لما يرشدك ، بلغني أنك توجهت إلى العراق ، وإنني أعيذك بالله

(١) اللهوف ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) الطبري ٦/٢١١ .

(٣) الطبري ٦/٢١٧ - ٢١٨ ، وابن الاثير ٤/١٧ ، وابن كثير ٨/١٦٦ ، وأنساب الأشراف ص



من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر، ويحيى بن سعيد - أخا الوالي - فأقبل إليّ معها، فإنّ لك عندي الامان، والصلة والبرّ وحسن الجوار . . فذهبا بالكتاب ولحقا الإمام الحسين، واقرأه يحيى الكتاب فجهدا به. وكان ممّا اعتذر به أن قال: إني رأيت رؤيا فيها رسول الله (ص)، وأمرت فيها بأمر أنا ماض له عليّ كان أو لي، فقالا: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت بها أحداً وما أنا محدث بها حتّى ألقى ربّي<sup>١</sup>.

وكتب الإمام الحسين (ع) في جواب عمرو بن سعيد: أمّا بعد فأنّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّ وجلّ وقال أنّي من المسلمين، وقد دعوت إلى الامان والبرّ والصلة، فخير الامان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فان كنت نويت بالكتاب صلتى وبرّي، فجزيت خيراً<sup>٢</sup>.

كتاب عمرة بنت عبد الرحمن:

وفي تاريخ ابن عساكر: كتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظّم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمّره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنّه إنّما يساق إلى مصرعه، وتقول: اشهد لحادثتي عائشة أنّها سمعت رسول الله (ص) يقول: يقتل حسين بأرض بابل، فلما قرأ كتابها، قال: فلا بدّ لي إذاً من مصري، ومضى<sup>٣</sup>.

(١) الطبري ٢١٩/٦ - ٢٢٠. وابن الأثير ١٧/٤، وابن كثير ١٦٧/٨، وفي ١٦٣ منه بإيجاز، وإرشاد المفيد ص ٢٠٢. وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٤٣/٢.

(٢) في الطبري وابن الأثير، وابن كثير تنمة للخبر السابق.

(٣) تاريخ ابن عساكر بعد الحديث ٦٥٣. وعمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية المدنية أكثرت عن عائشة، ثقة، من الثالثة، ماتت قبل المائة. تقريب التهذيب ٦٠٧/٢.

مع ابن عمر :

وفيه أيضاً: ان عبد الله بن عمر كان بهال له فبلغه ان الحسين بن علي قد توجه إلى العراق، فلاحقه على مسيرة ثلاث ليال، و نهاه عن المسير إلى العراق فأبى الحسين، فاعتنقه ابن عمر، وقال: استودعك الله من قتيل<sup>١</sup>. وفي فتوح ابن أعثم، و مقتل الخوارزمي، و مثير الاحزان، و غيرها، و اللفظ للأخير: ان ابن عمر لَمَّا بلغه توجه الحسين إلى العراق لحقه و أشار عليه بالطاعة و الانقياد، فقال له الحسين: يا عبد الله ! أما علمت أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغّي من بغايا بني اسرائيل - إلى قوله - فلم يعجل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، ثم قال: اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي<sup>٢</sup>.

(١) تاريخ ابن عساکر ح ٦٤٥ و ٦٤٦، و تهذيبه ٣٢٩/٤، وقد أوردنا موجزاً من الحديث. و أنساب الأنصار ح ٢١ ص ١٦٣.  
(٢) الفتوح لابن أعثم ٤٢/٥ - ٤٣، و المقتل ١٩٢/١ - ١٩٣، و مثير الاحزان ٢٩، و اللهوف ص ١٣، و يبدو أن ابن عمر حاور الحسين في هذا الأمر مرتين: أولاً عند توجهه إلى مكة، و الثانية بعد خروجه منها متوجهاً إلى العراق.

## توجّه الإمام الحسين (ع) إلى العراق

### خطبة الإمام (ع):

وفي مثير الاحزان بعد المحاورة السابقة: ثمّ قام خطيباً فقال: الحمد لله وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيري مصري أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأحوية سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله<sup>١</sup>.

### لفت نظر:

لم نتوخّ في إيراد هذه المحاورات تسجيلها حسب تسلسلها الزمني أو المكاني كي نبحت عنها ثمّ نرتّب تدوينها حسبها يؤدي إليه البحث لأننا

(١) مثير الاحزان ص ٢٩، وفي اللهوف ص ٢٣ انه خطب بها في مكة لما عزم على الخروج وفي لفظه « أجربة سغباً ».

استهدفنا في هذا البحث اعطاء صورة عن رؤية الإمام الحسين(ع) ورؤية معاصريه لواقعة استشهاد، لنتمكن من معرفة حكمة استشهاد وآثارها، وكان يكفيننا في هذا المقام إيراد المحاورات والحوادث حسبما أدى إليه ظننا، وهكذا فعلنا.

أوامر الخليفة يزيد :

ولما بلغ يزيد نبأ مسير الإمام كتب إلى ابن زياد: أنه قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وأبتليت به أنت من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعتبد العبيد<sup>١</sup>.

لعلّ يزيد يشير في كتابه إلى أنّ زيادا والد عبيدالله بن زياد، ولد من أبوين عبيدين وهما عبيد وسميّة، وبعد أن ألحقه معاوية بأبيه أبي سفيان، أصبح أموياً<sup>٢</sup> ومن الأحرار في حساب العرف القبلي الجاهلي، وأنّ يزيد يهدّد ابن زياد أنّه ان لم يقم بواجبه في القضاء على الحسين فأنّه سينفيه من نسب آل أبي سفيان فيعود عبداً.

وفي رواية: أنّ عمرو بن سعيد أيضاً كتب إلى ابن زياد نظير هذا الكتاب<sup>٣</sup>.

مع الفرزدق :

(١) تاريخ ابن عساكر ح ٦٥٧، وفي ح ٦٥٦ أمر بمحاربته، وفي تهذيبه ٣٣٢/٤، ومعجم الطبراني ح ٨٠، وأنساب الأشراف للبلاذري بترجمة الحسين ح ١٨٠ ص ١٦٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٤٤/٢. وتاريخ ابن كثير ١٦٥/٨.

(٢) راجع كتاب «عبدالله بن سبأ» ج ١ فصل استلحاق زياد.

(٣) تاريخ ابن عساكر ح ٦٥٣، وتهذيبه ٣٢٦/٤، وتاريخ ابن كثير ١٦٥/٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٤٣/٢.

سار الإمام الحسين (ع) حتى انتهى إلى الصفاح<sup>١</sup> فلقبه الفرزدق بن غالب الشاعر فقال للإمام: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج. فقال: لو لم أعجل لأخذت. ثم سأل الفرزدق عن نبا الناس خلفه فقال له الفرزدق: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء. فقال له الحسين: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على اداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريره، ثم حرك الحسين راحلته فقال: السلام عليك<sup>٢</sup>. ولما بلغ الحاجر أرسل إلى أهل الكوفة بكتاب يخبرهم فيه انه خرج من مكة يوم التروية متجها إليهم<sup>٣</sup>.

مع عبد الله بن مطيع<sup>٤</sup>:

وفي بعض المياه التقى بعبدالله بن مطيع العدوي فقال ابن مطيع: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك؟ فأخبره الحسين بخبره فقال ابن مطيع: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة رسول الله (ص)، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما

١ الصفاح بين حنين وأنصاب الحرم يسرة الداخل إلى مكة.

٢ الطبري ٢١٨/٦، وابن الاثير ١٦/٤، وارشاد المفيد ص ٢٠١، وابن كثير ١٦٧/٨، وأنساب الأشراف ص ١٦٥ - ١٦٦.

٣ الطبري ٢٢٣/٦ - ٢٢٤، والأخبار الطوال للدينوري ص ٢٤٥، وكان الحاجر ببطن الرمة، ويجمع فيه أهل الكوفة والبصرة بطريق مكة - مادة الحاجر وبطن الرمة بمعجم البلدان، وراجع أنساب الأشراف ص ١٦٦.

٤ عبدالله بن مطيع بن الأسود العدوي المدني، له رؤية، وكان رأس قريش يوم الحرة، وأمره ابن الزبير على الكوفة ثم قتل معه سنة ثلاث وسبعين. أخرج حديثه البخاري ومسلم. تقريب التهذيب ٤٥٢/١.

في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله  
أنها لحرمة الإسلام تُنتهك، وحرمة قریش وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت  
الكوفة ولا تعرّض لبني أمية، فأبى إلا أن يمضي<sup>١</sup>.  
وفي رواية، فقال الحسين: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ثم ودّعه  
ومضى<sup>٢</sup>.

من رأى ان الحسين (ع) لا يجوز فيه السلاح:  
خلفاً لمن سبق ذكر رأيه كان عبدالله بن عمرو بن العاص من عصابة  
الخلافة من الصحابة يأمر الناس باتباع الإمام الحسين (ع)، قال الفرزدق بعد  
ذكره لقاءه للإمام الحسين (ع):  
ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم وهيته حسنة فأتيته فإذا هو  
لعبدالله بن عمرو بن العاص، فسألني فأخبرته بلقاء الحسين بن علي، فقال  
لي: ويلك فهلاً اتبعته؛ فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه.  
قال: فهممت والله ان الحق به وقع في قلبي مقالته، ثم ذكرت  
الأنبياء وقتلهم فصدّني ذلك عن اللحاق بهم... الحديث<sup>٣</sup>.

مع زهير بن القين:

سار الإمام الحسين حتى نزل زرود فالتقى فيها بزهير بن القين - وكان  
عشمانياً - قال الراوي الذي كان مع زهير: أقبلنا من مكة نساير الحسين فلم  
يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير

(١) الطبري ٢٢٤/٦، وإرشاد المفيد ص ٢٠٣، وأنساب الأشراف ص ١٥٥.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ٢٤٦.

(٣) الطبري ٢١٨/٦ - ٢١٩.

(٤) في أنساب الأشراف ط، الأولى، ١٣٩٧ ص ١٦٨ و ص ١٦٧ وتاريخ ابن الأثير ١٢/٤ انه  
كان عشمانياً، وزرود في وسط رمال عالج كان منزلاً للحاج العراقي.

وإذا نزل تقدّم، حتى نزلنا منزلاً لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغذى إذ أقبل رسول الحسين فسلم، وقال: يا زهير بن القين! إنّ أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كلّ انسان ما في يده حتّى كأننا على رؤوسنا الطير.

فقلت له زوجته: أبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه؟ سبحان الله! لو أتيتّه فسمعت من كلامه! فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه ومتاعه فحمل إلى الحسين، ثمّ قال لامرأته: أنت طالق. الحقّي بأهلك، فأنّي لا أحبّ أن يصيبك من سببي إلّا خير، ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنّه آخر العهد.

[وفي رواية: من أحبّ منكم الشهادة فليقم ومن كرهها فليتقدّم].<sup>١</sup> أنّي سأحدّثكم حديثاً، غزونا بلنجر؛ ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغنم؟ فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمّد - وفي رواية: سيد شباب أهل محمّد<sup>٢</sup> - فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم، فإنا فاستودعكم الله<sup>٣</sup>. فقالت له زوجته: خار الله لك، وأسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جدّ الحسين (ع).

(١) الأخبار الطوال ص ٢٤٦ - ٢٤٧، وأنساب الأشراف ص ١٦٨.

(٢) ابن الأثير ١٧/٤.

(٣) نقلنا الرواية من الطبري ٢٢٤/٦ - ٢٢٥. وسلمان المذكور في الخبر هو ابن ربيعة الباهلي أرسله الخليفة عثمان لغزو ارا من آذربايجان ففتح كورها صلحا وحربا وقتل خلف نهر بلنجر. فتوح البلدان ص ٢٤٠ - ٢٤١، وراجع ترجمته في أسد الغابة ٢/٢٢٥.

## وصول خبر قتل مسلم و هانئ

لما وصل الإمام إلى الثعلبية<sup>١</sup> أخبره أسديان عن صاحبهم أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل و هانئ بن عروة و آهما يُجران في الأسواق بأرجلهما.

فقال الإمام : أنا لله و أنا إليه راجعون ، رحمة الله عليهما ، ورد ذلك مراراً ، فقالا : ننشدك الله في نفسك و أهل بيتك ألا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن تكون عليك ، فوثب عند ذلك بنو عقيل ، وقالوا : لا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا أو نذوق ما ذاق أخونا . فنظر الحسين إلى الأسديين وقال : لا خير في العيش بعد هؤلاء .

قالا : فعلمنا أنه عزم له رأيه على المسير ، فقلنا : خار الله لك ، فقال : رحمكما الله<sup>٢</sup> .

رسولا ابن الاشعث و ابن سعد إلى الحسين (ع) :  
في تاريخ الإسلام للذهبي : أرسل ابن سعد رجلا على ناقة إلى الحسين

(١) الثعلبية من منازل طريق الحاج من العراق، مثير الأحران ص ٣٣، و اللهوف ص ٢٧.

(٢) تاريخ الطبري ٢٢٥/٦، و ابن الاثير ١٧/٤، و الدينوري ص ٢٤٧ باختصار، و ابن كثير



يخبره بقتل مسلم بن عقيل .

وفي الأخبار الطوال : لما وافى زبالة وافاه بها رسول محمد بن الأشعث ، وعمر بن سعد بما كان سألهم مسلم أن يكتب به إليه من أمره وخذلان أهل الكوفة أيّاه بعد أن بايعوه ، وقد كان مسلم سأل محمد بن الأشعث ذلك . فلما قرأ الكتاب استيقن بصحة الخبر<sup>١</sup> .

وروى الطبري : ان محمد بن الأشعث أرسل إياس بن العثل الطائي ، وقال له : الق حسينا فأبلغه هذا الكتاب وكتب فيه الذي أمره مسلم بن عقيل فاستقبله بزبالة واخبره الخبر وبلغه الرسالة ، فقال حسين : كلّ ما حمّ نازل ، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا<sup>٢</sup> .

(١) الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٤٨ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/٢٧٠ و ٣٤٤ ، وزبالة منزل مشهور كان به حصن وجامع لبني أسد .  
(٢) الطبري ٦/٢١١ .

## الإمام يخبر الناس بقتل مسلم و يحلهم من بيعته

قال الطبري وغيره : كان الحسين لا يمرّ بأهل ماء إلاّ اتبعوه حتى انتهى إلى زباله وفيها جاءه خبر قتل ابن زياد، عبد الله بن يقطر - وكان قد سرحه إلى أهل الكوفة - فأخرج الحسين (ع) للناس كتاباً فقرأه عليهم :  
 بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد ، فأنّه قد أتانا خبر فظيع ؛ قتل مسلم ابن عقيّل وهانئ بن عروة ، وعبد الله بن يقطر ، وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام ، فتفرّق الناس عنه يمينا وشمالا حتّى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة وأنّا فعل ذلك لأنّه ظنّ أنّما اتبعه الأعراب لأنّهم ظنّوا أنّه يأتي بلداً استقامت له طاعة أهله فكره أن يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون على ما يقدمون وقد علم أنّهم إذا بيّن لهم لم يصحبه الا من يريد مواساته .

رجل من بني عكرمة :

قال الراوي : فلما كان من السحر أمر فتياه فاستقوا الماء وأكثروا ، ثم سارحتى نزل ببطن العقبة<sup>١</sup> ، وفي هذا المكان لقيه رجل من بني عكرمة فسأله :

(١) الطبري ٢٢٦/٦ ، وأنساب الأشراف ص ١٦٨ ، وابن كثير ١٦٨/٨ - ١٦٩ وقد تغيّرت لفظ الطبري في هذا الخبر وما قبله إلاّ ما ذكرت مصدره والعقبة أيضاً من منازل الطريق.

أين تريد ؟ فحدّثه الحسين فقال له : أني أنشدك الله لما انصرفت ، فوالله لا تقدم إلّا على الأسنة وحدّ السيوف ، فان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطّأوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأيا ، فاما على هذه الحال التي تذكرها فاني لا أرى لك ان تفعل . فقال له : يا عبدالله ، أنّه ليس يُخفى عليّ ، الرأي ما رأيت ، ولكن الله لا يُغلب على أمره<sup>١</sup> .

وفي الأخبار الطوال : و اخبره بتوطيد ابن زياد الخيل ما بين القادسية إلى العذيب رسداً له - وفي لفظه - فلا تتكلن على الذين كتبوا لك ؛ فان أولئك أول الناس مبادرة إلى حربك . . الحديث<sup>٢</sup> .

وفي رواية سمّ قال : والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي ، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ فرق الامم<sup>٣</sup> .

نذير آخر :

وفي تاريخ ابن عساكر و ابن كثير قال الراوي : رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه لحسين . قال : فأتيتهم فإذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديّه ولحيته ، قلت : بأبي وأمي يا ابن رسول الله ! ما أنزلك هذه البلاد والفلّة التي ليس بها أحد ! فقال : هذه كتب أهل الكوفة إليّ ، ولا أراهم إلّا قاتليّ ، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلّا انتهكوها ، فيسلط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرم

(١) الطبري ٢٢٦/٦ ، و ابن الأثير ١٧/٣ - ١٨ ، و ابن كثير ١٦٨/٨ - ١٧١ .

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٤٨ .

(٣) ارشاد المفيد ص ٢٠٦ ، وقد روى كلام الحسين هذا أيضاً غيره ولم يذكروا أين خطب، مثل الطبري في ٢٢٣/٦ ، و ابن الأثير ١٦/٣ ، و ابن كثير ١٦٩/٨ وفي لفظها « حتّى يكونوا أذلّ من فرام الامة » أو فرمة الامة . قال ابن الأثير بعده « و الفرام خرقة تجعلها المرأة في قبلها إذا حاضت » وطبقات ابن سعد ح ٢٦٨ .

الأمة - يعني مقنعتها<sup>١</sup> .

ويبدو من مقارنة الروايات بعضها ببعض أنّ الامام كان قد أخبر بأنهم سيقتلونهم ويذلّهم الله ويسلط عليهم، في محاورته مع ثلاثة أشخاص وفي ثلاثة أماكن .

وكذلك كان يكرّر التصريح بأمثال هذه الأقوال . قال عليّ بن الحسين : خرجنا مع الحسين (ع) فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا ذكر يحيى بن زكريّا ومقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريّا أهدي إلى بغّي من بغايا بني اسرائيل<sup>٢</sup> .

(١) تاريخ ابن عساكر ح ٦٦٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٤٥/٢ وفي هامشه ( فرّم الأمة أي خرقة حيضها )، وتاريخ ابن كثير ١٦٩/٨ .

(٢) ارشاد المفيد ص ٢٣٦، و اعلام الوری ص ٢١٨ .

## لقاء الإمام الحسين (ع) الحرّ

سار الحسين حتى نزل شراف<sup>١</sup>، فلما كان في السحر أمر فتياه فاستقوا من الماء فاكثر<sup>٢</sup>.

و سار الحسين من شراف، فلما انتصف النهار كبر رجل من أصحابه فقال له: بما كبرت؟ قال: رأيت النخل. فقال رجلان من بني أسد: ما بهذه الأرض نخلة قط. فقال الحسين فما هو؟ فقالا: لا نراه إلا هوادي الخيل. فقال وأنا أيضاً أراه ذلك وقال لهما: أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقالا: بلى هذا ذو حسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فان سبقت القوم إليه فهو كما تريد. فقال إليه فما كان بأسرع من ان طلعت الخيل وعدلوا إليهم فسبقهم الحسين إلى الجبل فنزل. وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي ثم اليربوعي فوقفوا مقابل الحسين

(١) بين شراف والواقعة ميلان كان بها ثلاثة آبار كبار.

(٢) خبر لقاء الحسين مع الحرّ إلى آخره من تاريخ الطبري ٢٢٧/٦، وابن الاثير ٩/٤ - ٢١، وابن كثير ١٧٢/٨ - ١٧٤، وقد بدأ هذا الفصل بقوله: وهذه صفة مقتله (رض) مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن، لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب والبهتان، ثم جاء بسياق الطبري الذي سنلتزمه ان شاء الله، والاخبار الطوال للدينوري ص ٢٤٨ - ٢٥٣، وأنساب الأشراف ص ١٦٩ - ١٧٦، وارشاد المفيد ٢٠٥ - ٢١٠، وإعلام الوري ٢٢٩ - ٢٣١، وقد تحيرت اللفظ من الطبري وأوبجته.

وأصحابه في نحر الظهيرة، فقال الحسين لأصحابه وفتيانه: اسقوا القوم و  
اروؤهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفا فسقوا القوم من الماء حتى ارووهم،  
واقبلوا يملأون القصاع والأتوار والطساس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس،  
فاذا عبّ فيه ثلاثا أو أربعا أو خمسا عزلوها عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل  
كلها، قال عليّ بن الطعان المحاربي: كنت آخر من جاء من أصحاب الحرّ  
فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: انخ الراوية، والراوية  
عندي السقاء، ثمّ قال: يا ابن أخي انخ الجمل فانخته، فقال: إشرّب  
فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين أخت السقاء أي  
اعطفه قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل، قال: فقام الحسين فحنته فشربت  
وسقيت فرسي.

قال المؤلف: الا يجد الباحث في أمر الإمام بارواء الف فارس وفرسه  
في هذا اليوم تعليلا لما أمر به فتيانه في سحر هذا اليوم أن يستقوا وانهم استقوا  
وأكثروا؟ الا يجوز أن يكون الإمام الحسين قد سمع من جده الرسول في هذا  
الشأن خاصّة أبناء تلقاها الرسول عن علام الغيوب؟

قال الطبري وغيره: وكان مجيء الحرّ من القادسية، أرسله الحصين بن  
نمير في هذه الألف، وذلك ان عبيد الله بن زياد لما بلغه اقبال الحسين بعث  
الحصين التميمي وكان على شرطه فأمره أن ينزل القادسية ويضع المسالحي ما  
بين القطقطانة إلى خفّان فارسل الحصين الحرّ ليستقبل الحسين. فلم يزل  
موافقا الحسين حتى حضرت صلاة الظهر فأمر الحسين مؤذنه بالأذان فأذن،  
فخرج الحسين إليهم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيها الناس ! انها  
معدرة إلى الله عزّ وجل وإليكم إنّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ  
رسلكم ان أقدم علينا فانه ليس لنا امام لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فان  
كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما اطمئنّ إليه من عهدكم

ومواثيقكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، انصرف عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم. قال: فسكتوا عنه وقالوا للمؤذن أقم فأقام الصلاة فقال الحسين (ع) للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك قال فصلّى بهم الحسين. ثمّ إنه دخل واجتمع إليه أصحابه وانصرف الحر إلى مكانه الذي كان به فدخل خيمة قد ضربت له فاجتمع إليه جماعة من أصحابه وعاد أصحابه إلى صفهم الذي كانوا فيه فأعادوه، ثمّ أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلّها فلمّا كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيأوا للرحيل ثمّ إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر وأقام فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم ثمّ سلّم وانصرف إلى القوم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أما بعد أيّها الناس: فانكم ان تتّقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقّنا وكان رأيكم غير ما أئتنى كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم. فقال له الحرّ بن يزيد: إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر؟ فقال الحسين: يا عقبة بن سميان! أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ. فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرها بين أيديهم.

فقال الحرّ: فانا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألاّ نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد. فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك. ثمّ قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبوا وانتظروا حتى

(١) كان عقبة بن سميان مولى الرباب بنت أمّ الرّيس الكلية أمّ سكينه بنت الحسين، أنساب الأشراف بترجمة الحسين ص ٢٠٥.

ركبت نساؤهم فقال لأصحابه : انصرفوا بنا ، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين للحرّ : ثكلتك أمك ، ما تريد ؟ قال أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالكل ان أقوله كائنا من كان ، ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه ، فقال له الحسين : فما تريد ؟ قال الحرّ : أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيدالله بن زياد . قال له الحسين : اذن والله لا اتبعك فقال له الحرّ : اذن والله لا أدعك . فترادّا القول ثلاث مرّات ، ولما كثر الكلام بينهما قال له الحرّ : إنني لم أؤمر بقتالك وانما أمرت ان لا أفارقك حتى اقدمك الكوفة ؛ فإذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردّك إلى المدينة تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية ان أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيدالله بن زياد ان شئت ، فلعلّ الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك . قال فخذ ههنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسيّة وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً . ثم ان الحسين سار في أصحابه والحرّ يسايره .

وخطب الحسين أصحابه وأصحاب الحرّ بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! ان رسول الله (ص) قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ؛ كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله ، وأنا أحقّ من غير ، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتمكم انكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فان تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم فأنا الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله (ص) نفسي



مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم فلكم في أسوء، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتربكُم فحفظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيَّعتم، ومن نكث فأنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وخطب بدي حسم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنتكرت وأدبر معروفها واستمرت جداء فلم يبق منها إلا صباية كصباية الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الويل. لا ترون أن الحق لا يعمل به وإن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً فأني لا أرى الموت إلا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً.

فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: تكلّمون أم أنكلّم؟ قالوا لا بل تكلّم فحمد الله فأنثى عليه، ثم قال: قد سمعنا - هداك الله يا ابن رسول الله - مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلصين إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لأنثنا الخروج معك على الإقامة فيها. فدعا له الحسين ثم قال له خيراً، وأقبل الحرّ يسايره وهو يقول له: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك فأني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى، فقال له الحسين: اقبالوت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني؟ ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله (ص) فقال له: أين تذهب فانك مقتول! فقال:

سأضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً  
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشبوراً يغش ويرغماً  
فلما سمع ذلك منه الحرّ تنحى عنه، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب المهجانات وكان بها هجائن

النعمان ترعى هنالك فإذا هم بأربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة على رواحلهم  
يجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم الطرمّاح بن عدي  
على فرسه وهو يقول:

يا ناقتي لا تدعري من زجري      وشمّري قبل طلوع الفجر  
بخير ركبان وخير سفر      حتّى تحلي بكريم النجر  
الماجد الحرّ رحيب الصدر      أتى به الله لخير أمر  
ثمّت ابقاه بقاء الدهر

قال فلما انتهوا إلى الحسين انشدوه هذه الأبيات فقال: أما والله أنّي  
لارجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا؛ قتلنا أم ظفرنا.

وأقبل إليهم الحرّ بن يزيد فقال: إنّ هؤلاء نفر الذين من أهل الكوفة  
ليسوا بمن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادهم. فقال له الحسين: لأمعنهم مما  
أمنع منه نفسي انما هؤلاء أنصاري وأعواني وقد كنت اعطيتني أن لا تعرض  
لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد. فقال: أجل لكن لم يأتوا معك.  
قال: هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي فان تمت على ما كان بيني  
وبينك وإلا ناجزتك، فكفّ عنهم الحرّ، ثمّ قال لهم الحسين: أخبروني خبر  
الناس وراءكم؟

فقال له مجّع بن عبد الله العائذي، وهو أحد نفر الأربعة الذين  
جاءوه: أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم، يُستمال  
ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألب واحد عليك، وأمّا سائر الناس  
بعد فان أفئدتهم تهوي إليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك. قال: أخبروني  
فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مُسهر الصيداوي،  
فقالوا: نعم أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن  
يلعنك ويلعن أباك؛ فصلّى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى

نصرتك، وأخبرهم بقدموك، فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر، فترقرقت عين الحسين (ع) ولم يملك دمه ثم قال: (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)، اللهم اجعل لنا الجنة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذكور ثوابك.

ثم دنا الطرماح بن عدي من الحسين فقال له: والله أنني لا نظرفها أرى معك أحداً، ولولم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عين في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم فقليل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين، فأنشدك الله إن قدرت على أن لا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت، فان أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك و يستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجأ، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله ان دخل علينا ذلّ قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طي فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طي رجالاً وركباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف. فقال له: جزاك الله وقومك خيراً، أنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندرى على ما تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة. ومضى الحسين حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به فاذا هو بفسطاط مضروب، فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقليل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، قال: ادعوه لي. وبعث إليه فلما اتاه الرسول، قال: هذا الحسين بن علي يدعوك، فقال عبيد الله بن الحر: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين

وأنا بها، واللّه ما أريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين نعليه فانتعل، ثمّ قام فجاءه حتى دخل عليه، فسلم وجلس، ثمّ دعاه إلى الخروج معه، فأعاد إليه ابن الحرّ تلك المقالة، فقال: «فلأ تنصرنا فاتّق اللّه أن تكون ممن يقاتلنا، فواللّه لا يسمع واعتينا أحد ثمّ لا ينصرنا إلّا هلك، قال: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء اللّه، ثمّ قام الحسين من عنده حتى دخل رحله. قال المؤلف: لعل الباحث يجد بادئ ذي بدء تناقضاً بين موقف الإمام ثمّ تجمع عليه في منزل زبالة يفرّقهم من حوله، وموقف الإمام هنا مع ابن الحرّ وقبله مع ابن القين، وكذلك مع غيرهما، حيث كان يدعوهم فرادى وجماعات إلى نصرته، ولكنه إذا تدبّر خطب الإمام وكلامه في كل مكان ومع أيّ إنسان كان، أدرك أن الإمام كان يبحث عن أنصار ينضمّون تحت لوائه ويأيعونه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستنكار بيعة ائمة الضلالة أمثال يزيد على الحكم، أنصاراً واعين لاهداف قيامه، يقاومون الاغراء بالدنيا، يصارعون الحكم الغاشم حتى يقتلوا في سبيل ذلك ! استقاء مرة أخرى:

روى الطبري وغيره واللفظ للطبري<sup>١</sup>، عن عقبة بن سميان، قال: «لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ثمّ أمرنا بالرحيل ففعلنا. قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة ثمّ انتبه وهو يقول: أنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. «: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً.

قال: فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين على فرس له، فقال: يا أبت جُعِلت فداك ممّ حمدت الله واسترجعت ؟ قال: يا بنيّ، إنّي خفقت برأسي

(١) المصادر لا تزال هي التي ذكرناها في أول فصل « لقاء الإمام الحسين (ع) الحر ».

خففة فعن لي فارس على فرس، فقال: القوم يسرون والمنايا تسري إليهم،  
فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا قال له: يا أبت، لا أراك الله سوءاً! ألسنا على  
الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد. قال: يا أبت: إذاً لا نبالي، نموت  
محققين، فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده.

## نزول ركب آل الرسول (ص) أرض كربلاء

قال أبو مخنف: فلما أصبح نزل فصل الغداة ثم عجل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم فيأتيه الحر بن يزيد فيردّهم فيردّهم، فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه، فارتفعوا فلم يزلوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى المكان الذي نزل به الحسين.

قال: فإذا راكب على نجيب له وعليه السلاح، متنكب قوساً، مقبل من الكوفة فوقوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم سلّم على الحر بن يزيد وأصحابه ولم يسلم على الحسين (ع) وأصحابه، فدفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه: أمّا بعد فجمع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك أمري والسلام.

قال: فلما قرأ الكتاب، قال لهم الحر: هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجمع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وهذا رسوله، وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره، فنظر إلى رسول عبيد الله، يزيد بن زياد بن المهاصر أبر الشعثاء الكندي ثم البهدي فعن له

فقال: امالك بن النسير البدي؟ قال: نعم، وكان احد كندة، فقال له يزيد بن زياد: ثكلتك امك! ماذا جئت فيه؟ قال: وما جئت فيه، أطعت امامي ووفيت ببيعتي، فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربك وأطعت امامك في هلاك نفسك، كسبت العار والنار، قال الله عز وجل: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾ فهو امامك.

قال: وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية فقالوا دعنا ننزل في هذه القرية - يعنون نينوى - أو هذه القرية - يعنون الغاضرية - أو هذه الأخرى - يعنون شفية - فقال: لا والله ما استطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إلي عينا. فقال له زهير بن القين: يا ابن رسول الله! ان قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به، فقال له الحسين: ما كنت لأبدأهم بالقتال. وفي الاخبار الطوال بعده:

فقال له زهير: فيها هنا قرية بالقرب منا على شط الفرات، وهي في عاقول<sup>١</sup> حصينة، الفرات يحدق بها إلا من وجه واحد.

قال الحسين: وما اسم تلك القرية؟

قال: العقر.

قال الحسين: نعوذ بالله من العقر<sup>٢</sup>.

فقال الحسين للحر: سر بنا قليلاً، ثم ننزل.

فנסار معه حتى أتوا كربلاء، فوقف الحر وأصحابه أمام الحسين

ومنعوهم من المسير، وقال: انزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب.

(١) عاقول الوادي ما اعوج منه، والأرض العاقول التي لا يمتد إلىها.

(٢) مكان قرب كربلاء من نواحي الكوفة.

قال الحسين: وما اسم هذا المكان؟

قالوا له: كربلاء.

قال: ذات كرب و بلاء، ولقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين، وأنا معه، فوقف، فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال: «ها هنا محط ركابهم، وها هنا مهراق دمائهم»، فسئل عن ذلك، فقال: «ثقل لآل بيت محمّد، ينزلون هاهنا»<sup>١</sup>. وقبض قبضة منها فشمّها وقال هذه واللّه هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول اللّه أنّي أقتل فيها، أخبرني أمّ سلمة، قالت: كان جبرئيل عند رسول اللّه (ص) وأنت معي فبكيت. فقال رسول اللّه دعي ابني، فتركته فأخذك ووضعك في حجره. فقال جبرئيل: أتجبه؟ قال: نعم، قال: فإنّ أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك تربة أرضه التي يقتل فيها، قال: نعم. فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلاء فأراه أيّاه<sup>٢</sup>.

وفي رواية: لمّا أحيط بالحسين بن علي، قال: ما اسم هذه الأرض؟ قيل: كربلاء. فقال: صدق النبيّ (ص) أنّها أرض كرب و بلاء<sup>٣</sup>.

قال المؤرّخون: ثمّ أمر بأثقاله فحطّت بذلك المكان يوم الاربعاء غرة محرم سنة ٦١ هـ، أو يوم الخميس الثاني من المحرم<sup>٤</sup>.

ولمّا نزل كربلاء كتب إلى ابن الحنفية وجماعة من بني هاشم: أمّا

١ و ٢) روى هذه المحاورة الدينوري في الاخبار الطوال ص ٢٥٢ - ٢٥٣، وراجع تاريخ الخميس ٢٩٧/٢، وجمع الزوائد ١٩٢/٩.

٣) أوردها بلفظ سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الامة ١٤٢.

٤) ترجمة الحسين بمعجم الطبراني ح ٤٦، وكنز العمال ٢٦ - ٢٦٦، وجمع الزوائد ١٩٢/٩ ذيل الرواية التي أوردها أنفا بلفظ سبط ابن الجوزي.

٥) الدينوري في الاخبار الطوال ص ٢٥٣.

٦) الطبري ٢٣٢/٦، وابن كثير ١٧٤/٨، وأنساب الأشراف للبلاذري ص ١٧٦، وارشاد المفيد



بعد: فكأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل<sup>١</sup>.

(١) كامل الزيارة لابن قولويه ص ٧٥ باب ٢٣. وقد استفاد بعد الإمام الحسين الحسن البصري منه وكتب به إلى عمر بن عبدالعزيز كما يبدو، وراجع الأغاني ط. ساسي ١٠٥/٨.

## قدوم عمر بن سعد على الحسين (ع)

قال الطبري وغيره واللفظ للطبري<sup>١</sup>: فلما كان من الغد؛ قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف، قال: وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين (ع) ان عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دسْتَبِي وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلّبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الرّي وأمره بالخروج، فخرج معسكراً بالناس بحمّام أعين، فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال: سر إلى الحسين فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عملك، فقال له عمر بن سعد: إن رأيت رحمك الله أن تعفيني فافعل، فقال له عبيد الله: نعم، على ان تردّ لنا عهدنا. فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد: امهلني اليوم حتى أنظر، فانصرف عمر يستشير نصحاءه، فلم يكن يستشير

(١) رجعنا إلى رواية المصادر التي ذكرناها في أول فصل « لقاء الإمام الحسين (ع) الحر » وما كان من غيرها، صرحنا به في الهامش، وهي تاريخ الطبري ٢٣٢/٦ - ٢٧٠، وابن الأثير ١٩ - ٣٨، وابن كثير ١٧٢/٨ - ١٩٨، والدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٥٣ - ٢٦١، وهو يوجز الأخبار، وأنساب الأشراف للبلاذري ص ١٧٦ - ٢٢٧، وسياقه غير سياق الطبري، وارشاد المفيد ٢١٠ - ٢٣٦، وإعلام الوري ٢٣١ - ٢٥٠. وما تفرد به أحدهم صرحنا به وكذلك ما نقلناه عن غير هؤلاء.

أحداً إلا نهاء وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن اخته، فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم برك، وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك؛ خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين، فقال له عمر بن سعد: فأنّي أفعل ان شاء الله.

وروى عن عبد الله بن يسار الجهني قال: دخلت على عمر بن سعد وقد أمر بالمسير إلى الحسين فقال لي: إنّ الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين، فأبيت ذلك عليه. فقلت له: أصاب الله بك، أرشدك الله، أجل فلا تفعل، ولا تسر إليه، قال: فخرجت من عنده فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين، قال: فأتيته فإذا هو جالس، فلما رأيته أعرض بوجهه، فعرفت أنّه قد عزم على المسير إليه، فخرجت من عنده.

وروى الطبري وقال: فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد، فقال: أصلحك الله أنّك وليتني هذا العمل وكتبت لي العهد وسمع به الناس، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل، وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه، فسمّي له اناسا فقال له ابن زياد: لا تعلمني بأشراف أهل الكوفة، ولست أستاذمك فيمن أريد أن أبعث، ان سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا، فلما رآه قد لجّ، قال: فلنأتي سائر، قال: فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى.

ابن سعد يسأل الحسين عن الذي جاء به

قال: فبعث عمر بن سعد إلى الحسين (ع) عزرة بن قيس الأحمسي، فقال: ائنه فسله ما الذي جاء به؟ وماذا يريد؟ وكان عزرة ممّن كتب إلى الحسين، فاستحيا منه ان يأتيه، قال: فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه

فكلّهم أبى وكرهه، قال: وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي، وكان فارساً شجاعاً ليس يردّ وجهه شيء، فقال: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لأفتكنّ به، فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن يفتك به، ولكن ائته فسله ما الذي جاء به؟ فأقبل إليه فلما رآه أبو ثامة الصائديّ قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله قد جاءك شرّ أهل الأرض وأجرأه على دم وأفتكه، فقام إليه، فقال: ضع سيفك: قال: لا والله ولا كرامة، أنّا أنا رسول فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم، فقال له: فأنّي أخذ بقائم سيفك، ثم تكلم بحاجتك، قال: لا والله لا تمسه! فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه، فأنك فاجر! قال: فاستبّا ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظليّ فقال له: ويحك يا قرّة! التى حسينا، فسله ما جاء به؟ وماذا يريد؟ قال فأتاه قرّة ابن قيس، فلما رآه الحسين مقبلاً، قال: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر: نعم هذا رجل من حنظلة تميميّ وهو ابن اختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد! قال: فجاء حتى سلّم على الحسين، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، فقال له الحسين: كتب إليّ أهل مصركم هذا ان اقدم فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم. قال: ثم قال له حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرّة بن قيس! أنى ترجع إلى القوم الظالمين! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك الله بالكرامة وآيانا معك! فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي، قال: فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فقال له عمر بن سعد: إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

المكاتبة بين ابن سعد و ابن زياد:

قال: كتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: بسم الله الرحمن

الرحيم، أما بعد، فإنني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي فسألته عما أقامه وماذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إليّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم فسألوني القدام ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم.

فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال:

الآن إذ علقت مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص  
وكتب إلى عمر بن سعد: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت، فأعرض على الحسين أن يبيع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام.  
قال فلما أتى عمر بن سعد الكتاب، قال: قد حسبت أن لا يقبل ابن زياد العافية.

ابن زياد يأمر بالنفير العام:

وروى البلاذري في أنساب الأشراف وقال: لما سرح ابن زياد عمر بن سعد، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر أن لا يتخلف أحد منهم، وصعد المنبر فقرض معاوية وذكر إحسانه وإداره الأعطيات وعنايته بأهل الثغور، وذكر اجتماع الألفة به وعلى يده، وقال: إن يزيد ابنه، المتقيل له، السالك لمتابعه، المحتذي لمثاله، وقد زادكم مئة مئة في أعطيتكم، فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا أخرج فعسكر معي، فأيا رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن العسكر برئت منه الذمة.

ثم خرج ابن زياد فعسكر، وبعث إلى الحصين بن تميم وكان بالقادسية في أربعة آلاف، فقدم النخيلة في جميع من معه.

(١) أي المشبه له المتخلق بأخلاقه وسجيته.

ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ، ومحمد بن الأشعث بن قيس القعقاع بن سويد بن عبدالرحمن المنقري ، وأسما بن خارجة الفزاري وقال : طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة ، وخوفوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية ، وحثوهم على العسكرة [ كذا ] فخرجوا فعزروا وداروا بالكوفة . ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب ، فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ، ويحذّرهم الفتنة والفرقة ويخذّل عن الحسين !!!  
وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة الآلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين .  
ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف .  
وتمارض شعث بن ربيعة ، فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في ألف ففعل .  
وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلّا في ثلاث مئة وأربع مئة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه .  
ووجه أيضاً يزيد بن الحرث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل .  
ثم ان ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، وأمر القعقاع بن سويد بن عبدالرحمن بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة ؛ فأتى به ابن زياد فقتله ، فلم يبق بالكوفة محتلم إلّا خرج إلى العسكر بالنخيلة .  
ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المئة غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة يمدّ بهم عمر بن سعد .  
ذكر ابن نما في مثير الاحزان : ان عددهم بلغ لست خلون من المحرم عشرين الفاً<sup>١</sup> .

(١) مثير الاحزان ص ٣٦ - ٣٧ ، واللهوف ص ٣٣ .

وروى البلاذري في أنساب الأشراف وقال : ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة<sup>١</sup> لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة أن يلحق الحسين مغيثاً له ، ورتب المسالحي حولها<sup>٢</sup> ، وجعل على حرس الكوفة زحر بن قيس الجعفي . ورتب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرة مقدحة<sup>٣</sup> ، فكان خبر ما قبله يأتيه في كل وقت<sup>٤</sup> .

(١) المناظر : جمع المنظرة؛ القوم يصعدون إلى أعلى الاماكن ينظرون ويراقبون، ما ارتفع من الأرض أو البناء.

(٢) المسالحي: جمع المسلحة؛ المرقب أو قوم ذوو سلاح يحرسون ويراقبون.

(٣) مقدحة من قوهم: « قدح النرس »؛ ضممه. أي صيره هزلاً خفيف اللحم كي يكون عند الجري سريعاً يسبق أقرانه إلى الهدف.

(٤) الروايتان الأولى والثانية في أنساب الأشراف ح ٣٣ بترجمة الحسين.

## منع الماء عن عترة الرسول (ص)

روى الطبري عن حميد بن مسلم الأزدي قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يدوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاث قال: ونازله عبد الله بن أبي حصين الأزدي وعداده في بجيلة فقال: يا حسين! ألا تنظر إلى الماء كأنه كبِد السماء! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال حسين: اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً قال حميد بن مسلم والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى يبغر ثم يقيء ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته يعني نفسه.

معركة على الماء:

قال: ولما اشتد على الحسين وأصحابه العطش دعا أخاه العباس بن علي بن أبي طالب فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم امامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ فجئ ما جاء



بك. قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلاّتمونا عنه، قال: فاشرب  
هنيئاً، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من  
أصحابه، فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء إنّما وضعنا بهذا المكان  
لنمنعهم الماء، فلمّا دنا منه أصحابه قال لرجاله: املاؤا قريكم فشّد الرجاله  
فملاؤا قريهم وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم  
العبّاس بن عليّ ونافع بن هلال فكفّوهم، ثم انصرفوا إلى رحالهم فقالوا:  
امضوا وقفّوا دونهم فعطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه وأطردوا  
قليلاً، ثم أنّ رجلاً من صداة طعن من أصحاب عمرو بن الحجاج، طعنه  
نافع بن هلال فظنّ انها ليست بشيء ثم أنّها انتفضت بعد ذلك، فمات منها  
وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها عليه.

#### اعذار الإمام قبل القتال:

وروى عن هانئ بن ثابت الحضرميّ وكان قد شهد قتل الحسين، قال:  
بعث الحسين (ع) إلى عمر بن سعد عمرو بن قرضة بن كعب الأنصاريّ ان  
القني الليل بين عسكري وعسكري قال: فخرج عمر بن سعد في نحو من  
عشرين فارساً وأقبل حسين في مثل ذلك فلمّا التقوا أمر الحسين أصحابه أن  
يتنحّوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك، قال: فانكشفنا عنها  
بحيث لا نسمع أصواتها، ولا كلامها، فتكلّمنا فأطالا حتى ذهب من الليل  
هزيع، ثم انصرف كلّ واحد منهما إلى عسكريه بأصحابه، وتحدّث الناس فيما  
بينهما ظنّاً يظنّونه ان حسيناً قال لعمر بن سعد اخرج معي إلى يزيد بن معاوية  
وندع العسكريين قال عمر إذن تهدم داري. قال: أنا أبنيها لك. قال إذن  
تؤخذ ضياعي. قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فتكره  
ذلك عمر، قال: فتحدّث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا  
من ذلك شيئاً ولا علموه.

وروى عن عقبة بن سميان قال صحبت حسيناً فخرجت معه من  
المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم افارقه حتى قتل وليس من

مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها، ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس.

وروى عن أبي مخنف عن رجاله: أنهما كانا التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً حسين وعمر بن سعد قال: فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد فإن الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيره أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضى ولأمة صلاح، قال: فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأمره مشفق على قومه، نعم قد قبلت. قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك! والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة والعز، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة، فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك، هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك، والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيحدثان عامة الليل، فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأي رأيك.

#### ابن زياد يمنع الإمام من الرجوع

قال: ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له: أخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سليماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه.

قال: ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد فإنني لم

أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً، انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم، وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً ولكن عليّ قول لو قد قتلتك فعلت هذا به ! ان أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فلأنا قد أمرناه بأمرنا والسلام.

أمان ابن زياد للعباس و اخوته :

قال: لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب، قام هو وعبدالله بن أبي المحل، وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند عليّ بن أبي طالب (ع) فولدت له العباس وعبدالله وجعفر وعثمان، فقال عبدالله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير ان بني اختنا مع الحسين، فان رأيت أن تكتب لهم أماناً، فعلت، قال: نعم، ونعمة عين، فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً فبعث به عبدالله بن أبي المحل مع مولى له يقال له: كزمان، فلما قدم عليهم دعاهم فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال له الفتية: أقرئ خالنا السلام، وقل له: ان لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من امان آبن سمية. قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيدالله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه، فقرأه، قال له عمر: مالك ! ويلك لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به عليّ، والله اني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفساً أبيّة لبين جنبه، فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع ؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوّه ؟ وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر. قال: لا ! ولا كرامة لك، وأنا أتولى ذلك، قال: فدونك وكن أنت على الرجال.

قال: وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال أين بنو اختنا؟

فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو عليّ فقالوا له : مالك وما تريد ؟ قال :  
أنتم يا بني اختي آمنون ، قال له الفتية : لعنك الله ولعن أمانك ، لئن كنت  
خالنا اتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ! ؟

## ليلة العاشر من محرّم

قال: ثم أنّ عمر بن سعد نهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرّم، ونادى: يا خيل الله اركبي وابشري.

فركب في الناس، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت اخته زينب الصبيحة فدنّت من أخيها فقالت: يا أخي! أما تسمع الأصوات قد اقتربت قال: فرفع الحسين رأسه، فقال: أنّي رأيت رسول الله (ص) في المنام فقال لي أنّك تروح إلينا، قال: فلطمت أخته وجهها، وقالت: يا ويلتا! فقال: ليس لك الويل يا أختي اسكني؛ رحمك الرحمان، وقال العباس بن عليّ: يا أخي أذاك القوم، قال: فنهض، ثم قال: يا عباس! اركب بنفسي أنت يا أخي حتّى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عمّا جاء بهم، فأتاهم العباس، فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه، أو ننازلكم. قال: فلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، قال: فوقفوا، ثمّ قالوا: الله فأعلمه ذلك، ثمّ القنا بما يقول، قال: فانصرف العباس راجعاً يركض

إلى الحسين يخبر بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين بكلم القوم، ان شئت، وان شئت كلمتهم، فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلمهم، فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله لبش القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه (ص) وعترته، وأهل بيته (ع) وعُباد أهل هذا المصر المجتهدين بالاسحار والذاكرين الله كثيراً، فقال له عزرة بن قيس: أنك لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: يا عزرة! إن الله قد زكّاها وهداها، فاتق الله يا عزرة! فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية، قال: يا زهير! ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً! قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم؟ أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسلاً قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله (ص) ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم؛ فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيّعتم من حق الله، وحق رسوله (ص).

#### طلب الحسين (ع) المهلة:

قال وأتى العباس بن عليّ حسينا بما عرض عليه عمر بن سعد، فقال له: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عن العشيّة لعننا نصليّ لرئنا وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

قال: وأقبل العباس بن عليّ يركض حتى انتهى إليهم، فقال: يا هؤلاء ان أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشيّة، حتى ينظر في هذا الأمر فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطق، فإذا أصبحنا التقينا ان شاء

اللّٰهَ ، فإِذَا رَضِينَاهُ ، فَأَتَيْنَا بِالْأَمْرِ الَّذِي تَسْأَلُونَهُ وَتُسَوِّمُونَهُ ، أَوْ كَرِهْنَا فَرَدَدْنَاهُ ، وَانْمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَنْهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةُ ، حَتَّى يَأْمُرَ بِأَمْرِهِ وَيُوصِي أَهْلَهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ بِذَلِكَ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ : مَا تَرَى يَا شَمْرُ ! قَالَ : مَا تَرَى أَنْتَ ، أَنْتَ الْأَمِيرُ وَالرَّأْيُ رَأْيُكَ ! قَالَ قَدْ أَرَدْتُ أَنْ لَا أَكُونَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : مَاذَا تَرُونَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنُ سَلْمَةَ الزُّبَيْدِيِّ . سَبَّحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانُوا مِنَ الدَّيْلَمِ ثُمَّ سَأَلُوكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، لَكَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَجِيَهُمْ إِلَيْهَا ، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ : أَجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوكَ فَلَعُمْرِي لِيَصْبَحَنَّكَ بِالْقِتَالِ غَدَوَةٌ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ أَنْ يَفْعَلُوا مَا أَخْرَجْتَهُمُ الْعَشِيَّةَ .

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ : أَتَانَا رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فَقَامَ مِثْلَ حَيْثُ يَسْمَعُ الصَّوْتُ فَقَالَ : أَنَا قَدْ أَجَلْنَاكُمْ إِلَى غَدٍ ، فَإِنْ آسَاسْتُمْ سَرَّحْنَا بِكُمْ إِلَى أَمِيرِنَا عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَسْنَا تَارِكِيكُمْ .

#### خطبة الحسين (ع) في أصحابه ليلة العاشر :

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : جَمَعَ الْحُسَيْنُ أَصْحَابَهُ بَعْدَمَا رَجَعَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، وَذَلِكَ عِنْدَ قَرَبِ الْمَسَاءِ ، قَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ : فَدَنَوْتُ مِنْهُ لِأَسْمَعَ وَأَنَا مَرِيضٌ فَسَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : أَتُنِي عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرِّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنَّبُوَّةِ وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاءَ وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً ، وَلَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْلَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي ، وَلَا أَهْلَ بَيْتِ أَبَرٍّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعاً خَيْراً ، أَلَا وَإِنِّي أَظُنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ ، فَاَنْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حَلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مَنِّي ذِمَامٌ . هَذَا اللَّيْلُ قَدْ

غشيتكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإن القوم أنّها يطلبوني، ولو قد أصابوني لها عن طلب غيري .

جواب أهل بيته وأصحابه :

فقال له اخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر : لِمَ نفعل ؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن عليّ، ثم أنّهم تكلموا بهذا ونحوه، فقال الحسين (ع) : يا بني عقيل ! حسبكم من القتل بمسلم، إذهبوا قد أذنت لكم، قالوا : فما يقول الناس ؟ يقولون : إنّنا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندرى ما صنعوا ! لا والله لا نفعل ! ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا، وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك .

وقال : فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي، فقال : أنحن نخليّ عنك ولما نعوذ إلى الله في اداء حقك ؟ أمّا والله ! حتّى اكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا افارقك، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقدفتمهم بالحجارة دونك، حتّى أموت معك .

قال : وقال سعد بن عبد الله الحنفيّ : والله لا نخليك حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله (ص) فيك، والله لو علمت أنّي أقتل، ثم أحيّا، ثم أحرّق حيّا، ثم أذّر، يفعل ذلك بي سبعين مرّة، ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك ؟ وأنّا هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً، قال : وقال زهير بن القين : والله لوددت أنّي قتلت ثم نشرت، ثم قتلت، حتّى أقتل كذا ألف قتلة، وأنّ الله يدفع بذلك



القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك، قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فقالوا: واللّه لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نفيك بنحورنا، وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنّا وفينا وقضينا ما علينا.

سند آخر لهذه الرواية:

وروى الطبري هذه الرواية بإيجاز عن الضحّاك بن عبد الله المشرقيّ قال: قدمت ومالك بن النضر الأرحبيّ على الحسين فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه فردّ علينا فرحّب بنا وسألنا عما جئنا له فقلنا: جئنا لنسلم عليك وندعو الله لك بالعافية، ونحدث بك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وإنّا نحدثك انهم قد جمعوا على حربك فرّ رأيك. فقال الحسين (ع): حسبي الله ونعم الوكيل. قال: فتذمّنا وسلمنا عليه ودعونا الله له قال: فما يمنعكما من نصرتي؟ فقال مالك بن النضر: عليّ دين ولي عيال، فقلت له: إنّ عليّ ديناً وإنّ لي لعيالاً ولكنك ان جعلتني في حلّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً.

قال: قال: فأنت في حلّ فأقمت معه.

ثمّ نقل الضحّاك الخبر السابق بإيجازاً.

الحسين ينعى نفسه ويوصي اخته بالصبر:

روى الطبري عن عليّ بن الحسين بن عليّ، قال: إنّني جالس في تلك العشيّة التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرّضني إذ اعتزل أبي بأصحابه في خياء له وعنده حويّ مولى أبي ذرّ الغفاريّ<sup>٢</sup> وهو يعالج

(١) الطبري ٣٢١/٢ - ٣٢٢ ط. أوربا.

(٢) ورد في مقتل الخوارزمي وغيره في خبر مقتله بلفظ «جون».

سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يادهر افت لك، من خليل      كم لك بالاشراق و الأصيل  
من صاحب أو طالب قتيل      والدهر لا يقنع بالبديل  
وإنما الأمر إلى الجليل      وكل حي سالك السبيل

قال فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي فرددت دمعي ولزمت السكوت، فعلمت أن البلاء قد نزل، فأما عمّي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها ان وثبت تجرّ ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: وائكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ! اليوم ماتت فاطمة أمّي ! وعلي أبي ! وحسن أخي ! يا خليفة الماضي وثمان الباقي، فنظر إليها الحسين (ع)، فقال: يا أخية ! لا يذهب حلمك الشيطان، قالت: بأبي أنت وأمّي، يا أبا عبد الله استقتلت ! نفسي فداك ! فردّ غصّته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام. قالت: يا ويلتا ! أفتغصب نفسك اغتصاباً ! فذلك أقرح لقلبي ! وأشدّ على نفسي ! ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقّته ! وخرّت مغشياً عليها ! فقام إليها الحسين، فصبّ على وجهها الماء ! وقال لها: يا أخية ! اتقي الله ! وتعزي بعزاء الله ! واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كلّ شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، و أمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله اسوة، قال: فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية ! إنّي أقسم عليك فأبري قسمي. لا تشقي عليّ جيئاً ! ولا تخمشي عليّ وجهاً ! ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلك ! قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها

في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت، إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

### إحيائهم الليل بالعبادة :

وروى عن الضحّاك بن عبد الله المشرقّي قال: فلما أمسى حسين وأصحابه، قاموا الليل كلّهم يصلّون، ويستغفرون، ويدعون ويتضرّعون، قال: فتمرّ بنا خيلهم، تحرسنا، وإنّ حسينا ليقرا: ﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّهم نملي لهم خيراً لأنفسهم إنّهم نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾، ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴿فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا، فقال: نحن وربّ الكعبة الطيّبون ! ميّزنا منكم ! قال فعرفته فقلت لبرير بن حضير: تدري من هذا؟ قال: لا، قلت: هذا أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر، وكان مضحاكاً بطالاً، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربّما حبسه في جناية، فقال له برير بن حضير: يا فاسق ! أنت يجعلك الله في الطيّبين؟ فقال له: من أنت؟ قال: انا برير بن حضير، قال: إنّنا لله عزّ عليّ ! هلك والله ! هلك والله يا برير، قال: يا أبا حرب هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام؟ فوالله إنّنا لنحن الطيّبون، ولكنكم لأنتم الخبيثون، قال: وأنا على ذلك من الشّاهدين. قلت: ويحك ! أفلا ينفعلك معرفتك؟ قال: جعلت فداك فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل، قال: هاهو ذا معي، قال: قَبِّحَ الله رأيك على كلّ حال. أنت سفيه ! قال: ثم انصرف عنا وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وكان على الخيل.

## يوم عاشوراء

قال: فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم الجمعة - وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء - خرج فيمن معه من الناس، قال: وعبّا الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير ابن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العباس بن عليّ أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم.

قال: وكان الحسين (ع) أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية فحفروه في ساعة من الليل، فجعلوه كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وقالوا: إذا غدوا علينا فقاتلونا القينا فيه النار كيلا نؤتى من ورائنا، وقاتلونا من وجه واحد، ففعلوا، وكان لهم نافعاً.

قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزديّ، وعلى ربع مدحج وأسد عبدالرحمان بن أبي سبرة الحنفي، وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ربع تميم وهمدان الحرّ بن يزيد الرياحيّ، فشهد هؤلاء كلّهم مقتل الحسين إلا الحرّ بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقتل معه، وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن بن شرحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية وهو الضباب بن كلاب، وعلى الخيل

عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجال شبت بن ربعي اليربوعي، وأعطى الراية ذويداً مولاه.

استبشارهم بالشهادة:

وروى عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري، قال: كنت مع مولاي فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين، أمر الحسين بفسطاط فضرب، ثم أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة أو صحيفة.

قال: ثم دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة، قال: ومولاي عبدالرحمان بن عبد ربه، وبرير بن حضير الحمداني على باب الفسطاط، تحتك مناكبهما، فازدحما أيهما يطلي على أثره، فجعل برير يهازل عبدالرحمان فقال له عبدالرحمن: دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل، فقال له برير: والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله أنني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم.

قال: فلما فرغ الحسين دخلنا فاطلينا.

قال: ثم ان الحسين ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه<sup>١</sup>. قال: فاقتتل أصحابه بين يديه قتالاً شديداً، فلما رأيت القوم قد صرعوا افلتت وتركتهم.

دعاء الحسين (ع) يوم عاشوراء:

وروى الطبري، وقال: لما صبحت الخيل الحسين رفع الحسين يديه، فقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمّن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل

(١) في تذكرة خواص الامة أنه نشره على رأسه وخطبهم (كما يأتي ان شاء الله).

حسنة، ومنتهى كلّ رغبة<sup>١</sup>

وروى عن الضحّاك المشرقيّ قال: لَمَّا أَقْبَلُوا نَحُونَا فَنَظَرُوا إِلَى النَّارِ تَضَطَّرَمَ فِي الْحَطَبِ وَالْقَصَبِ الَّذِي كُنَّا أَهْبَنَا فِيهِ النَّارُ مِنْ وَرَائِنَا لَثَلًا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلٌ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ كَامِلٍ الْأَدَاةَ فَلَمْ يَكَلِّمْنَا حَتَّى مَرَّ عَلَى أَيْبَاتِنَا فَنَظَرَ إِلَى أَيْبَاتِنَا فَإِذَا هُوَ لَا يَرَى إِلَّا حَطْبًا تَلْتَهَبُ النَّارُ فِيهِ، فَرَجَعَ رَاجِعًا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا حُسَيْنُ! اسْتَعْجَلْتَ النَّارَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ!<sup>٢</sup>

فقال الحسين: من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن! فقالوا: نعم أصلحك الله هو هو، فقال: يا ابن راعية المعزى! أنت أولى بها صلياً. فقال له مسلم بن عوسجة: يا ابن رسول الله! جعلت فداك. ألا أرميه بسهم، فإنه قد أمكنني وليس يسقط سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين. فقال له الحسين: لا ترمه فإنني أكره أن أبدأهم، وكان مع الحسين فرس له يدعى لاحقاً حمل عليه ابنه عليّ بن الحسين.

#### خطبة الحسين الأولى:

قال: فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ الْقَوْمُ دَعَا بِرَاحِلَتِهِ، فَرَكَبَهَا، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ دَعَاءً يُسْمِعُ جَلَّ النَّاسِ: أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا قَوْلِي، وَلَا تَعْجَلُونِي حَتَّى أَعْظِمَ بِمَا الْحَقُّ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى اعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عَذْرِي وَصَدَقْتُمْ قَوْلِي وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي الْعَذْرَ وَلَمْ تَعْطُوا النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةً، ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ، إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ.<sup>٣</sup>

(١) ورواه بالاضافة إلى الطبري ومن ذكرنا: ابن عساكر ح ٦٦٧، وتذهيبه ٣٣٣/٤ وفي لفظه «منتهى كل غاية».

(٢) رواها ابن نفا في مثير الاحزان في اليوم السادس من المحرم وراجع الطبري ط. اوربا ٢٢٩/٢

- ٢٣٠.

قال: فلما سمع اخواته كلامه هذا، صحن و بكين و بكت بناته، فارتفعت أصواتهنّ، فأرسل إليهنّ أخاه العباس بن عليّ، وعليّ ابنه، وقال لهما أسكتاهنّ فلعمري ليكثرنّ بكأوهنّ. فلما سكتنّ، حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على محمّد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه فذكر من ذلك ما الله أعلم، وما لا يحصى ذكره، قال:

فوالله ما سمعت متكلمًا قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال: أمّا بعد فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم (ص) وابن وصيه وابن عمّه؟ وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟ أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: ان رسول الله (ص) قال لي ولأخي « هذان سيّدا شباب أهل الجنّة »؟ فإن صدّقتُموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً مذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرب به من اختلقه! وان كذّبتُموني فإنّ فيكم من ان سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدريّ، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لي ولأخي، أمّا في هذا حاجر لكم عن سفك دمي؟ فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف، ان كان يدري ما تقول، فقال له حبيب بن مظاهر: والله أنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا اشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك، ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شكّ من هذا القول أفتشكّون أثراً ما أنّي ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري منكم ولا من غيركم. أنا ابن بنت نبيكم خاصّة، اخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو

مال لكم استهلكته ؟! أو بقصاص من جراحة ؟

قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال: فنأدى: يا شبت بن ربعي ! ويا حجار بن أبجر ! ويا قيس بن الأشعث ! ويا يزيد بن الحارث ! ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، و اخضرّ الجناب وطمت الجمام، وأنّها تقدم على جند لك مجنّدة، فأقبل ؟ ! قالوا له: لم نفعل . فقال: سبحان الله ! بلى والله لقد فعلتم !

ثم قال: أيّها الناس ! إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض، قال: فقال له قيس بن الأشعث: أولاً تنزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلّا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه، فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ! لا والله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل، ولا أقرّ اقرار العبيد. أنّي عدت برّتي وربكم أن ترجمون. أعوذ برّتي وربكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. قال: ثمّ أنّه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه.

خطبة زهير بن القين:

وروى عن كثير بن عبد الله الشعبي، قال: لمّا زحفنا قبل الحسين، خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح فقال: يا أهل الكوفة ! نذار لكم من عذاب الله نذار ! إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن اخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إنّ الله قد ابتلانا وآياكم بذريعة نبيّه محمّد (ص)، لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّنا ندعوكم إلى نصرهم، وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فانكم لا تدركون منهما إلّا بسوء عمر



سلطانها كله ! ليسملان أعينكم ! ويقطعان أيديكم وأرجلكم ! ويمثلان بكم ! ويرفعانكم على جذوع النخل ! ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حجر ابن عدي وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه .

قال : فسبّوه واثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا : والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ! أو نبعث به بأصحابه إلى الأمير عبيد الله مسلماً ! فقال لهم : عباد الله ! أنّ ولد فاطمة رضوان الله عليها أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية ، فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم ، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاوية فلعمري أنّ يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين .

قال : فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم ! وقال : اسكت أسكت الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك . فقال له زهير : يا ابن البوّال على عقبه ! ما إيّاك اخاطب ، إنّما أنت بهيمة ، والله ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين ، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم ! فقال له شمر : إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة ، قال : أفبالموت تخوّفني ؟ فوالله للموت معه أحب إليّ من الخلد معكم ، قال : ثمّ أقبل على الناس رافعاً صوته ، فقال : عباد الله ! لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعة محمّد (ص) قوماً هرقوا دماء ذريّته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم . قال : فناداه رجل فقال له : إنّ أبا عبد الله يقول لك أقبل ! فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصّح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصّحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصّح والابلاغ .

توبة الحرّ :

وروى عن عديّ بن حرملة قال : أنّ الحرّ بن يزيد لمّا زحف عمر بن

سعد قال له : أصلحك الله ! مقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إي والله قتالا  
 أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي ! قال : أفما لكم في واحدة من  
 الخصال التي عرض عليكم رضى ؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان  
 الأمر إلي لفعلت ! ولكن أميرك قد أبى ذلك ، قال : فأقبل حتى وقف من  
 الناس موقفاً ، ومعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس ، فقال : يا قرّة ! هل  
 سقيت فرسك اليوم ؟ قال : لا ، قال : أفما تريد أن تسقيه ؟ قال : فظننت  
 والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال ، وكره أن أراه حين يصنع ذلك  
 فيخاف أن أرفعه عليه ، فقلت له : لم أسقه ، وأنا منطلق فساقيه . قال :  
 فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه ، قال : فوالله لو أنه أطلعني على الذي  
 يريد لخرجت معه إلى الحسين . قال : فأخذ يدنو من حسين ، قليلاً قليلاً ، فقال  
 له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس : ما تريد يا ابن يزيد ؟ أتريد أن  
 تحمل ؟ فسكت وأخذه مثل العرواء ؛ فقال له : يا ابن يزيد ! والله إن أمرك  
 لمريب ! والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل شيء أراه الآن ! ولوقيل لي من  
 أشجع أهل الكوفة رجلاً ؟ ما عدوتك ! فما هذا الذي أرى منك ؟ قال : أنني  
 والله أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعتُ  
 وحرّقتُ ، ثمّ ضرب فرسه فلحق بحسين (ع) فقال له : جعلني الله فداك  
 يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في  
 الطريق ، وجعجت بك في هذا المكان ، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت  
 ان القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذا المنزلة .  
 فقلت في نفسي : لا ابالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنني خرجت  
 من طاعتهم ، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض  
 عليهم ، ووالله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك ، وإني قد  
 جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي ، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين

يديك، أفترى ذلك لي توبة، قال: نعم يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحر بن يزيد! قال أنت الحر، كما سمّتك أمك، أنت الحرّ ان شاء الله في الدنيا والآخرة، إنزل! قال: أنا لك فارساً، خير مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري، قال الحسين: فاصنع يرحمك الله مابدا لك.

### موعظة الحرّ لأهل الكوفة:

فاستقدم أمام أصحابه ثم قال: أيّها القوم! ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافاكم الله من حربه وقتاله؟ قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه، فكلمه بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلم به أصحابه، قال عمر: قد حرصت، لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت، فقال: يا أهل الكوفة! لأنكم الهبل والعبر إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم انكم قاتلوا أنفسكم دونه ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتكم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كلّ جانب، فمنعتموه التوجّه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع ضرراً، وحلأتموه ونساءه وأصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وهاهم قد صرعهم العطش، بشما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ، ان لم تتوبوا وتزعموا عما أنتم عليه من يومكم. هذا، في ساعتكم هذه، فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين.

### خطبة الحسين الثانية:

قال سبط ابن الجوزي: ثم ان الحسين عليه السلام ركب فرسه، وأخذ

مصحفاً ونشره على رأسه، ووقف بازاء القوم وقال: يا قوم! أن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله (ص).<sup>١</sup>

وقال الخوارزمي: لِمَا عَبَّأَ ابن سعد أصحابه، فأحاطوا بالحسين من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، خرج الحسين من أصحابه فأتاهم فاستنصتهم، فابوا أن ينصتوا فقال لهم: ويلكم! ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي! وإننا أدعوكم إلى سبيل الرشاد! فتلاوم أصحاب عمر بن سعد، وقالوا: أنصتوا له، فقال:

تَبَّأَ لَكُمْ آيَتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّا! أحيان استصخرتمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتهم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألماً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاً لكم الولايات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الامة! وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرّفي الكلم، وعصبة الأثم ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم! أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟! أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه اصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجى للناظر وأكلة للغاصب!

ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين، بين السلة، والذلة وهيئات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وانوف حمية، ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثمّ

(١) تذكرة الخواص ص ٢٥٢.

أنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي<sup>١</sup>.

فان نهزم فهزّامون قدماً وإن نهزم فغير مهزّمين  
وما إن طَبْنَا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا  
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا  
إذا ما الموت رفع عن أناس بكلّكله أناخ بآخرينا  
أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريثاً يُركب الفرس، حتّى تدور بكم دور  
الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عهدٌ إليّ أبي عن جدّي رسول الله  
« فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا الي  
ولا تنظرون، إني توكلت على الله ربّي وربكم ما من دابة إلّا هو آخذ  
بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم »<sup>٢</sup>.

ثمّ رفع يديه نحو السماء وقال: اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث  
عليهم سنين كسني يوسف، و سلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة،  
فانهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير<sup>٣</sup>.  
والله لا يدع أحداً منهم إلّا انتقم لي منه، قتلة بقتلة وضربة بضربة،  
وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي<sup>٤</sup>.

استجابة دعاء الحسين على ابن حوزة

وروى الطبري، قال: إنّ رجلاً من بني تميم يقال له: عبدالله بن

(١) قال ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٢٠٥، في ترجمة فروة بن مسيك: وفد على النبي (ص) سنة  
تسع مع مذحج واستعمله النبي على مراد ومذحج وزبيد، وفي الاستيعاب سكن الكوفة أيام عمر.

(٢) تاريخ ابن عسّاح ج ٦٧٠، وتهذيبه ج ٢ ص ٣٣٤، والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٧ وقد ذكرنا  
البيتين الأول والثاني ولم ينسباها إلى أحد.

(٣) اللهوف ص ٥٦ ط. صيدا، والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٧.

(٤) راجع: مقتل العوالم ص ٨٤.

حوزة، جاء حتّى وقف أمام الحسين فقال: يا حسين ! يا حسين ! فقال حسين: ما تشاء ؟ قال: أبشر بالنار ! قال: كلاً ! إنّي أقدم على ربّ رحيم، وشفيع مطاع، من هذا ؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة. قال: ربّ حزه إلى النار، قال: فاضطرب به فرسه في جدول، فوقع فيه، وتعلّقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض ونفر الفرس فأخذه يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر، وكلّ شجرة، حتّى مات.

وفي رواية ان عبد الله بن حوزة حين وقع عن<sup>١</sup> فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى فطارت وعدا به فرسه يضرب رأسه كلّ حجر وأصل شجرة حتى مات.

وروى عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل قال: كنت في أوائل الخيل تّمن سار إلى الحسين فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد، قال: فلمّا انتهينا إلى حسين تقدّم رجل من القوم يقال له ابن حوزة فقال: أفيكم حسين ؟ قال: فسكت حسين، فقالها ثانية فأسكت حتّى إذا كانت الثالثة، قال: قولوا له نعم، هذا حسين فما حاجتك ؟ قال: يا حسين ! أبشر بالنار، قال كذبت بل أقدم على ربّ غفور، وشفيع مطاع، فمن أنت ؟ قال: ابن حوزة، قال: فرفع الحسين يديه حتّى رأينا بياض ابطنه من فوق الثياب ثم قال: اللّهم حزه إلى النار، قال: فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس، وبينه وبينه نهر، قال: فعلمت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها، قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلّقًا بالركاب، قال: فرجع مسروق، وترك الخيل من ورائه، قال: فسألته، فقال: لقد رأيت من

(١) في الأصل: وقع فرسه، وهو خطأ.

أهل هذا البيت شيئاً لا اقاتلهم أبداً، قال: ونشب القتال<sup>١</sup>

(١) في أمالي الشجري ص ١٦٠، وفي تاريخ ابن عساكر ح ٧١٦ بإيجاز، والطبري ط. أوربا ٣٣٨/٢.

## زحف جيش الخلافة على معسكر الحسين (ع)

وروى الطبري عن حميد بن مسلم، قال: وزحف عمر بن سعد نحوهم ثم نادى يا ذويد<sup>١</sup> ! ادن رايتك، قال: فادناها ثم وضع سهمها في كبد قوسه ثم رمى فقال: اشهدوا أنني أول من رمى.

وفي رواية المقرئزي: اشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى.

قال الطبري والمفيد: ثم ارتمى الناس وتبارزوا، فبرز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله بن زياد فقالا: من يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم قال: فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن حضير فقال لهما حسين اجلسا، فقام عبد الله ابن عمير الكلبي من بني عليم وكان قد خرج مع امرأته أم وهب لهما رأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين فسأل عنهم فقليل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله (ص) فقال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصا، وأنني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه أيّاي في جهاد المشركين، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد، فقالت: أصبت، أصاب الله بك أرشد

(١) ورد في نسخة « ذويد » وفي أخرى « دويد ».



امورك افعل وأخرجني معك، قال: فخرج بها ليلاً، حتى أتى حسيناً فأقام معه، فلما برز يسار وسالم قام عبدالله بن عمير الكلبي فقال: أبا عبدالله! رحمك الله! ائذن لي فلا أخرج إليهما فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً شديداً الساعدين بعيد ما بين المنكبين، فقال حسين: أني لأحسبه للأقران قتالا أخرج أن شئت، قال: فخرج إليهما فقالا له: من أنت؟ فأنسب لهما، فقالا: لا نعرفك، ليخرج إليهما زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حضير ويسار مستتل<sup>١</sup> أمام سالم فقال له الكلبي: يا ابن الزانية! وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، ويخرج إليك أحد من الناس، ألا وهو خير منك؟ ثم شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم فصاح به: قد رهقك العبد، قال: فلم يأبه له حتى غشيه فبدره الضربة فاتّقاء الكلبي بيده اليسرى فأطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه الكلبي، فضربه حتى قتله، وأقبل الكلبي مرتجراً وهو يقول وقد قتلها جميعاً:

ان تنكروني فانا ابن كلب      حسبي ببتي في عُلَيْمٍ حسبي  
إنني امرؤ ذو مرة وعصب      ولست بالخوار عند النكب  
أنني زعيم لك أم وهب      بالطنم فيهم مقدماً والضرب  
ضرب غلام مؤمن بالرّب

فأخذت أم وهب امرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فذاك أبي وأمّي قاتل دون الطيّين ذرية محمّد، فأقبل إليها يردّها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: إنني لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها حسين فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، أرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهنّ، فإنه ليس على النساء قتال، فانصرفت اليهنّ.

(١) مستتل: أي متقدم أمام الصف.

زحف الميمنة واستمداد قائد الفرسان :

قال وحمل عمرو بن الحجاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة، فلما ان دنا من حسين، جثوا له على الركب، وشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح فذهبت الخيل لترجع، فرشقهم أصحاب الحسين بالنبل، فصرعوا منهم رجالا، وجرحوا منهم آخرين.

قال: وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفت، فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب بعث إلى عمر بن سعد، عبدالرحمان بن حصن، فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة؟ ابعث إليهم الرجال والرماة، فقال لشبث بن ربعي: الا تقدم اليهم، فقال: سبحان الله أتعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامة، تبعثه في الرماة لم تجد من تندب لهذا ويجزي عنك غيري؟ قال: وما زالوا يرون من شبت الكراهة لقتاله، قال: وقال أبو زهير العبيسي: فانا سمعته في امارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً! ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية، وابن سمية الزانية! ضلال يا لك من ضلال. قال: ودعا عمر بن سعد الحصين بن تميم فبعث معه المُجَفِّفة وخمس مائة من الرماية فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه، رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا ان عقروا خيولهم، وصاروا رجالة كلهم.

قال: وكان أيوب بن مشرح الخيواني يقول: انا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه حشاته سهماً فما لبث ان أرعد الفرس واضطرب وكبا، فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول:

ان تعقروا بي، فأنا ابن الحر أشجع من ذي لبد هزبر

قال: فما رأيت أحداً قط يفري فريه، قال: فقال له أشياخ من الحمي: أنت قتلت، قال: لا والله ما أنا قتلت، ولكن قتله غيري وما أحب أني قتلت، فقال له أبو الوداك: ولم؟ قال: انه كان زعموا من الصالحين فوالله لئن كان ذلك اثماً لأن القى الله بآثم الجراحة والموقف أحب إلي من ألقاه بآثم قتل أحد منهم، فقال له أبو الوداك: ما أراك إلا ستلقى الله بآثم قتلهم أجمعين، أرايت لو أنك رميت ذا فعقرت ذا، ورميت آخر ووقفت موقفاً وكررت عليهم وحرّضت أصحابك وكثرت أصحابك، وحمل عليك فكرهت أن تفر، وفعل آخر من أصحابك كفعلك وآخر وآخر، كان هذا وأصحابه يقتلون. أنتم شركاء كلكم في دمائهم! فقال له: يا أبا الوداك! أنك لتقنطننا من رحمة الله؛ ان كنت وليّ حسابنا يوم القيامة فلا غفر الله لك ان غفرت لنا. قال هو ما أقول لك.

زحف الميسرة ومقتل الكلبي وزوجته:

قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن في الميسرة على أهل الميسرة فثبوا له، فطاعنوه وأصحابه، وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب، فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين، وقاتل قتالاً شديداً فحمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي، وبكير بن حبيّ التيمي من تيم الله بن ثعلبة، فقتلاه وكان القتيل الثاني من أصحاب الحسين.

قال: وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه

تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة. فقال شمر بن ذي الجوشن لغلّام يسمّى رستم: اضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها فشدّخه فماتت مكانها.

### زحف الميمنة ومقتل مسلم بن عوسجة:

قال: ثمّ إنّ عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأسديّ أوّل أصحاب الحسين، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق، فقال رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً، ودنا منه حبيب بن مظاهر، فقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحق بك من ساعتی هذه لأحببت أن توصيني بكلّ ما أهمك حتى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين، قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله، وأهوى بيده إلى الحسين، أن تموت دونه! قال: أفعل وربّ الكعبة، قال: فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم وصاحت جارية له فقالت: يا ابن عوسجته! يا سيّده! فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي.

فقال شبت لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أمّهاتكم، أنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتدلّلون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذي أسلمت له لربّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق آذربيجان قتل ستّة من المشركين قبل تمام خيول المسلمين! أفئقتل منكم مثله وتفرحون!؟

قال: وكان الذي قتل مسلم بن عوسجة مسلم بن عبد الله الضبابيّ

و عبد الرحمان بن أبي خشكاره البجليّ .

يزيد بن زياد يرمي بين يدي الحسين (ع):

قال الطبري : و كان أبو الشعثاء يزيد بن زياد بن المهاصر من بني بهدلة خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين ، فلمّا ردّوا الشروط على الحسين مال إليه وقاتل معه ، جثا على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى ببائة سهم ما سقط منها إلّا خمسة أسهم ، و كان راميا فكان كلّما رمى قال انا ابن بهدلة فرسان العرجلة ؛ ويقول حسين : اللهم سدّد رميته و اجعل ثوابه الجنة . فلمّا رمى بها قام فقال : ما سقط منها إلّا خمسة أسهم ولقد تبينّ لي أنّي قتلت خمسة نفر و كان في أوّل من قتل و كان رجزه يومئذ :

أنا يزيد و أبي مهاصرُ      أشجع من ليث بغيل خادرُ  
يا ربّ إنّني للحسين ناصرُ      ولابن سعد تارك و هاجرُ

أربعة استشهدوا في مكان واحد :

قال الطبري : وبرز عمر بن خالد و جابر بن الحارث السلماني ، و سعد مولى عمر بن خالد ، و مجتمّع بن عبد الله العائذي فشدّوا مقدمين بأسيا فهم على الناس و قاتلوا فلمّا وغلوا ؛ عطف عليهم الناس ، فأخذوا يحوزونهم ، و قطعوهم من أصحابهم غير بعيد ، فحمل عليهم العبّاس بن عليّ فاستنقذهم ، فجاءوا قد جرحوا فلمّا دنا منهم عدوّهم ، شدّوا بأسيا فهم فقاتلوا في أوّل الأمر حتى قتلوا في مكان واحد .

مقتل برير :

وروى الطبري عن عفيف بن زهير بن أبي الأخنس و كان قد شهد مقتل الحسين ، قال : خرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة ، وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس ، فقال : يا برير بن حضير ! كيف ترى الله صنع

بك ؟ قال : صنع الله والله بي خيراً ، وصنع الله بك شراً . قال : كذبت ! وقبل اليوم ما كنت كذاباً ! هل تذكر وانا اماشيك في بني لوزان ، وأنت تقول : إن عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً وإن معاوية بن أبي سفيان ضالاً ، مضلّ ، وإنّ امام الهدى والحقّ عليّ بن أبي طالب ؟ فقال له برير : أشهد أنّ هذا رأيي وقولي ، فقال له يزيد بن معقل : فأنّي أشهد أنّك من الضالّين ! فقال له برير بن حضير : هل لك فلا باهلك ولندع الله أن يلعن الكاذب وان يقتل المبطل ، ثم اخرج ، فلا بارزك ؟

قال : فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب ، وان يقتل المحقّ المبطل ، ثم برز كلّ واحد منهما لصاحبه ، فاختلفا ضربتين فضرب يزيد ابن معقل برير بن حضير ضربة خفيفة لم تضّرّه شيئاً ، وضربه برير بن حضير ضربة قدّدت المغفر وبلغت الدماغ ، فخرّ كأنّها هوى من حالق ، وإن سيف ابن حضير لثابت في رأسه فكأنّي انظر إليه ينضنضه من رأسه ، وحمل عليه رضيّ ابن مُنقذ العبديّ ، فاعتنق بريرا فاعتركا ساعة ، ثمّ أنّ بريراً قعد على صدره فقال رضيّ : أين أهل المصاع والدفاع ؟

قال فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزديّ ليحمل عليه ، فقلت : إنّ هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد ! فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره ، فلمّا وجد مسّ الرمح ، برك عليه ، فعصّ بوجهه ، وقطع طرف أنفه فطعنه كعب بن جابر حتّى القاه عنه ، وقد غيّب السنان في ظهره ، ثمّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتّى قتله .

قال عفيف : كأنّي أنظر إلى العبديّ الصريح ، قام ينفض التراب عن قبائه ، ويقول : أنعمت عليّ يا أخا الأزديّ نعمة لن أنساها أبداً .

قال : فقلت أنت رأيت هذا ؟ قال : نعم رأي عيني وسمّع أذني ، فلمّا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته ، أو اخته النّوار بنت جابر : أعنت على ابن

فاطمة ! وقتلت سيّد القراء ! لقد أتيت عظيماً من الأمر ، والله لا اكلمك من رأسي كلمة أبداً . وقال كعب بن جابر :

سلي تخبري عني وأنت ذميمة	غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم يُخلْ	عليّ غداة الروع مأنا صانع
معي يزني لم تخنه كعوبه	وأبيض مخشوب الغرارين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم	بديني وأني بابت حرب لقانع
ولم تر عيني مثلهم في زمانهم	ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشدّ قراعاً بالسيوف لدى الوغى	ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للطعن والضرب حسراً	وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
فأبلغ عبيد الله أما لقيته	بأنّي مطيع للخليفة سامع
قتلتُ برياً ثمّ حملت نعمة	أبا منقذ لما دعا من يماصع

وروى عن عبدالرحمان بن جندب قال : سمعته في امارة مصعب بن الزبير وهو يقول : يا ربّ إنا قد وفينا فلا تجعلنا يا ربّ كمن قد غدر ! فقال له أبي : صدق ولقد وفي وكرم وكسبت لنفسك شراً ، قال : كلاً أني لم أكسب لنفسي شراً ولكني كسبت لها خيراً ، قال : وزعموا ان رضيّ بن منقذ العبدّي ردّ بعد على كعب بن جابر جواب قوله فقال :

لو شاء ربّي ما شهدت قتالهم	ولا جعل النعماء عندي ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبّة	يعيّرهُ الأبناء بعد المعاشر
فيا ليت أني كنت من قبل قتله	ويوم حسين كنت في رمس قاهر

عمرو بن قرظة الأنصاري :

قال : وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري يقاتل دون حسين ، وهو يقول :

قد علمت كتيبة الأنصار	أنّي سأحمي حوزة الذمار
ضرب غلام غير نكش شاري	دون حسين مهجتي وداري

فقتل عمرو بن قرظة بن كعب وكان مع الحسين وكان عليّ أخوه مع  
عمر بن سعد فنأدى عليّ بن قرظة يا حسين ! يا كذاب ابن الكذاب !  
أضللت أخي و غررته حتى قتلته ! قال : أنّ الله لم يضلّ أخاك ولكنه هدى  
أخاك وأضلك ! قال : قتلني الله ان لم أقتلك ! أو أموت دونك ! فحمل عليه  
فاعترضه نافع بن هلال المراديّ فطعنه فصرعه ، فحمله أصحابه ، فاستنقذوه  
فدُويّ بعد فبراً .

مبارزة يزيد بن سفيان و الحر :

وروى عن أبي زهير العبسيّ ان الحرّ بن يزيد لمّا لحق بحسين قال  
يزيد بن سفيان من بني شقرة وهم بنو الحارث بن تميم : أما والله لو أنّي  
رأيت الحرّ بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان ، قال : فبينما الناس يتجاولون  
ويقتتلون والحرّ بن يزيد يحمل على القوم مقدما ويتمثل قول عنتره :  
مازلت أرميهم بشجرة نحره      ولبانه حتى تسربل بالدم  
وإن فرسه لمضروب على اذنيه وحاجبه وإن دمائه لتسيل ، فقال  
الحصين بن تميم - وكان على شرطة عبيدالله - ليزيد بن سفيان : هذا الحرّ بن  
يزيد الذي كنت تتمنى قال : نعم ، فخرج إليه فقال له : هل لك يا حرّ بن يزيد  
في المبارزة ؟ قال : نعم ، قد شئت ، فبرز له قال : فأنا سمعت الحصين بن  
تميم يقول : والله لبرز له فكأنما كانت نفسه في يده فما لبثه الحرّ حين خرج إليه  
ان قتله .

قال : وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشدّ قتال خلقه الله وأخذوا  
لا يقدرّون على أن يأتوهم إلّا من وجه واحد لاجتماع أبينتهم وتقارب بعضها  
من بعض . قال فلمّا رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوّضونها عن إيمانهم  
وعن شئائهم ليحيطوا بهم قال فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين  
يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب فيقتلونه ويرمونه من



قريب ويعقرونه .

### إحراق الخيام :

قال : فأمر بها (أي الخيام) عمر بن سعد عند ذلك فقال احرقوها بالنار ، ولا تدخلوا بيتا ولا تقوضوه ، فجاءوا بالنار فأخذوا يحرقون ، فقال حسين : دعوهم فليحرقوها ، فانهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزا إليكم منها ، وكان ذلك كذلك ، وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد .

قال : وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى : عليّ بالنار حتى احرق هذا البيت على أهله ، قال : فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ، قال : وصاح به الحسين يا ابن ذي الجوشن ! أنت تدعوبالنار لتحرق بيتي على أهلي ! حرقك الله بالنار .

وروى عن حميد بن مسلم قال : قلت لشمر بن ذي الجوشن : سبّحان الله ! انّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين تعذب به عذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء ، والله انّ في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك . قال : فقال : من أنت ؟ قال : قلت : لا اخبرك من أنا ، قال : وخشيت والله ان لو عرفني أن يضرنني عند السلطان ! قال : فجاءه رجل كان أطوع له مني ، شبث بن ربعي ، فقال : ما رأيت مقالا أسوأ من قولك ، ولا موقفاً أقبح من موقفك ! أمرعباً للنساء صرت ! قال : فأشهد انه استحيا فذهب لينصرف ، وحمل عليه زهير بن القين في رجال من أصحابه عشرة فشدّ على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها ، فصرعوا أبا عزة الضبابي ، فقتلوه فكان من أصحاب شمر ، وتعطف الناس عليهم فكثروهم فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل ، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم ، واولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم .

## صلاة الخوف :

قال: فلمّا رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائديّ قال للحسين: يا أبا عبد الله! نفسي لك الفداء، أنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتّى أقتل دونك ان شاء الله، وأحبُّ أن القى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها. قال: فرفع الحسين رأسه، ثم قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين! نعم، هذا أوّل وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصليّ. فقال لهم الحصين بن تميم: أنّها لا تقبل! فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل! زعمت الصلاة من آل رسول الله (ص) لا تُقبَل، وتقبل منك يا حمار! قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ ووقع عنه، وحمله أصحابه، واستنقذوه.

## مقتل حبيب بن مظاهر :

وحمل حبيب وهو يقول :

أقسم لو كنّا لكم أعداداً أو شطركم وليتم أكتاداً<sup>(١)</sup>  
يا شرّ قوم حسبا وآدا

وجعل يقول يومئذ :

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعر  
أنتم أعدّ عدّة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر  
ونحن أعلى حجة وأظهر حقّا وأتقى منكم وأعذر  
وقاتل قتالاً شديداً فحمل عليه رجل من بني تميم فطعنه فوقع، فذهب

(١) أكتاداً: أي جماعات .

ليقوم فضربه الحسين بن تميم على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه فقال له الحصين : أني لشريكك في قتله ، فقال الآخر : والله ما قتله غيري ، فقال الحصين : أعطني أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شركت في قتله ثم خذه أنت بعد فأمض به إلى عبيدالله بن زياد ، فلا حاجة لي في ما تعطاه على قتلك أيّاه ، قال : فأبى عليه فاصلح قومه فيها بينهما على هذا ، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر فجال به في العسكر قد علقه في عنق فرسه ثم دفعه إليه بعد ذلك ، فلما رجعوا إلى الكوفة ، أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه ، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر ، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب وهو يومئذ قد راهق ، فاقبل مع الفارس لا يفارقه ، كلما دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به فقال : مالك يا بني تتبعني ؟ قال : لا شيء ، قال : بلى يا بني أخبرني ، قال له : ان هذا الرأس الذي معك رأس أبي أفتعطينيه حتى أدفنه . قال يا بني لا يرضى الأمير أن يدفن ، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً ، قال له الغلام : لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب ، أما والله لقد قتلت خيراً منك وبكى ، فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همة إلا أتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه ، فلما كان زمان مصعب بن الزبير ، وغزا مصعب باجميرا ؛ دخل عسكر مصعب ، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه ، فاقبل في طلبه والتماس غرته ، فدخل عليه وهو قاتل نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد .

ولما قتل حبيب بن مظاهر ، هذ ذلك حسينا ، وقال : عند الله أحسب

نفسي وحياة أصحابي ، قال فأخذ الحر يرتجز ويقول :

آليت لا أقتل حتى أقتلا      ولن أصاب اليوم إلا مقبلا  
أضربهم بالسيف ضرباً مقصلاً      لا ناكلاً عنهم ولا مهلاً  
وأخذ يقول أيضاً :

أضرب في أعراضهم بالسيف عن خير من حلّ منى والخيف  
فقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً فكان إذا شدّ أحدهما فان  
استلحم شدّ الآخر حتى يخلصه ، ففعلا ذلك ساعة ، ثم أنّ رجالة شدّت على  
الحرّ بن يزيد فقتل ، وقتل أبو ثامة الصائدي ابن عمّ له كان عدوا له ، ثم صلّوا  
الظهر ، صلى بهم الحسين صلاة الخوف .

سعيد الحنفي :

ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ قتالهم ووُصل إلى الحسين فاستقدم الحنفي  
أمامه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه ، فما زال يرمى  
حتى سقط . وذكر الخوارزمي أنّه كان يرتجز ويقول :

أقدم حسين اليوم تلقى أحمداً وشيخك الخير عليا ذا الندى  
وحسنا كالبدر وافي الأسعدا وعمك القرم الهجان الاصيда  
وحمزة ليث الإله الأسدا في جنة الفردوس تعلو صعدا

زهير بن القين :

وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً وأخذ يقول :  
أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين  
قال : وأخذ يضرب على منكب حسين ويقول :  
أقدم هديت هاديا مهدياً فالיום تلقى جدك النبيّا  
وحسناً والمرضى عليا وذا الجناحين الفتى الكميا  
وأسد الله الشهيد الحيّا  
فشدّ عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه .

(١) مقتل الخوارزمي ٢٠/٢ .

نافع بن هلال الجملي:

قال: و كان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبلة،  
فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول: أنا الجملي، أنا على دين عليّ.

وقال الخوارزمي: و كان يرمي ويقول:

أرمي بها معلمة أفواقها      والنفس لا ينفعها اشفاقها  
مسمومة يجري بها أخفاقها      لئلا أرضها رشاقها  
ويقول:

أنا على دين علي      ابن هلال الجملي  
أضربكم بمنصلي      تحت عجاج القسطل<sup>١</sup>  
فلم يزل يرميهم حتى فنيت سهامه، ثم ضرب إلى قائم سيفه فاستله،  
وحمل وهو يقول:

أنا الغلام اليمني الجملي      ديني على دين حسين وعلي  
إن أقتل اليوم فهذا أملي      وذاك رأيي وألاقي عملي  
فقتل ثلاثة عشر رجلاً...<sup>٢</sup>.

قال الطبري:

خرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث فقال: أنا على دين عثمان،  
فقال له: أنت على دين شيطان! ثم حمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن  
الحجاج بالناس: يا حمقى! أتدرون من تقاتلون؟ فرسان مصر، قوما  
مستمين. لا يبرزن لهم منكم أحد! فانهم قليل، وقل ما يبقون، والله لو

١) مقتل الخوارزمي ١٤/٢ - ١٥.

٢) مقتل الخوارزمي ٢٠/٢ - ٢١.

لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم . فقال عمر بن سعد : صدقت ، الرأي ما رأيت . وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم .

قال : ودنا عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين يقول : يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام ، فقال له الحسين : يا عمرو بن الحجاج ! أعليّ تحرض الناس ؟ نحن مرقنا ، وأنتم ثبتتم عليه ؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم ، آتينا مرق من الدين ! ومن هو أولى بصلي النار !

وقال الطبري : فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح . قال : فضرِب حتى كسرت عضده وأخذ أسيراً . قال : فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أتى به عمر بن سعد ، فقال له عمر بن سعد : ويحك يا نافع ! ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ قال : أن ربي يعلم ما أردت ، قال : والدماء تسيل على لحيته وهو يقول : والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت وما ألوم نفسي على الجهد ، ولوبقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني ، فقال له شمر : اقتله أصلحك الله ، قال : أنت جئت به فإن شئت فاقتله ، قال : فانتضى شمر سيفه ، فقال له نافع : أما والله ان لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل مناينا على يدي شرار خلقه ، فقتله . قال : ثم أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول :

خلّوا عداة الله خلّوا عن شمر يضربهم بسيفه ولا يفرّ  
وهو لكم صاب وسمّ ومقرّ

قال فلماً رأى أصحاب الحسين انهم قد كثروا وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم ؛ تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه .

### الغفاريان :

فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزة الغفاريان فقالا : يا أبا عبد الله !  
عليك السلام حازنا العدو إليك فأحبينا أن نقتل بين يديك ، نمنعك وندفع  
عنك ، قال : مرحبا بكما ، ادنوا مني ، فدنوا منه فجعلنا يقاتلان قريباً منه ،  
أحدهما يقول :

قد علمت حقاً بنو غفار      و خندف بعد بني نزار  
لنضربنّ معشر الفجّار      بكلّ غضب صارم بّار  
يا قوم ذودوا عن بني الاحرار      بالمشرفي والقنا الخطّار

### الجابريان و حنظلة :

قال : و جاء الفتيان الجابريان سيف بن الحارث بن سريع ، ومالك بن  
عبد بن سريع ، وهما ابنا عمّ وأخوان لأمّ فأتيا حسينا فدنوا منه وهما يبكيان ،  
فقال : أي أبني أخي ما يبكيكما ؟ ! فوالله أنّي لأرجو أن تكونا عن ساعة  
قريري عين ، قالوا : جعلنا الله فداك ، لا والله ما على أنفسنا نبكي ، ولكنّا  
نبكي عليك ، نراك قد أحيط بك ، ولا نقدر على أن نمنعك ، فقال : جزاكم  
الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما آيائي بأنفسكما أحسن جزاء  
المتقين .

قال : و جاء حنظلة بن أسعد الشبامي فقام بين يدي الحسين فأخذ  
ينادي : يا قوم ! أنّي أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد  
و ثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ، ويا قوم ! أنّي أخاف  
عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم ، ومن يضل  
الله فما له من هاد ، يا قوم لا تقتلوا حسينا فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من

افترى، فقال له حسين: يا ابن أسعد! رحمك الله أنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا اخوانك الصالحين، قال: صدقت جُعلت فداك، أنت أفقه منّي وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق باخواننا؟ فقال: رح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى، فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك في جنته، فقال: آمين آمين، فاستقدم فقاتل حتى قتل.

ثمّ استقدم الفتيان الجاهليّان يلتفتان إلى الحسين ويقولان: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال: عليكما السلام ورحمة الله، فقاتلا حتى قتلا.

#### عابس بن أبي شبيب وشوذب:

قال وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاعر، فقال: يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع؟! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله (ص) حتى أقتل، قال: ذلك الظنّ بك أملا، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه وحتى احتسبك أنا، فأنه لو كان معي الساعة أحد أولى به منّي بك لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتى احتسبه فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما قدرنا عليه، فأنه لا عمل بعد اليوم، وأنّها هو الحساب قال: فتقدّم فسلم على الحسين ثمّ مضى فقاتل حتى قُتل، ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أنّي على هديك



وهدي أبيك، ثم مشى بالسيف مصلّتا نحوهم وبه ضربة على جبينه.  
وروى عن ربيع بن تميم الهمدانيّ وقد شهد ذلك اليوم قال: لَمَّا رَأَيْتَهُ  
مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس فقلت: أيها الناس!  
هذا الأسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجنّ إليه أحد منكم. فأخذ  
ينادي: ألا رجل لرجل! فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة. قال: فَرُمِيَ  
بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شدّ على  
الناس فواللّهِ لرأيتَهُ يكرّد أكثر من مائتين من الناس، ثم أنّهم تعطفوا عليه من  
كلّ جانب فُقُتِل، قال: رأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا يقول: أنا  
قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد، فقال: لا تختصموا، هذا  
لم يقتله سنان واحد ففرّق بينهم.

#### فرار الضحّاك المشرقي:

وروى عن عبد الله المشرقي، قال: لَمَّا رَأَيْتُ أصحاب الحسين قد  
أصيبوا وقد خلّص إليه وإلى أهل بيته ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي  
المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي، قلت له: يا ابن رسول الله! قد  
علمت ما كان بيني وبينك، قلت لك: أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً فإذا لم أر  
مقاتلاً فانا في حلّ من الانصراف، فقلت لي: نعم قال: فقال: صدقت وكيف  
لك بالنجاء؟ ان قدرت على ذلك فأنت في حلّ. قال: فأقبلت إلى فرسي وقد  
كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطا  
لأصحابنا بين البيوت وأقبلت اقاتل معهم راجلاً فقتلت يومئذ بين يدي  
الحسين رجلين وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين يومئذ مراراً: لا تشلّ،  
لا يقطع الله يدك، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّك (ص) فلمّا أذن لي  
استخرجت الفرس من الفسطاط ثمّ استويت على متنها، ثمّ ضربتها حتّى إذا  
قامت على السنابك رميت بها عرض القوم فأفرجوا لي واتبعني منهم خمسة

عشر رجلاً حتى انتهت إلى شفيّة، قرية قريبة من شاطئ الفرات، فلما  
 الحقوني عطفت عليهم فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مشر  
 الخيواني، وقيس بن عبد الله الصائدي وقالوا: هذا الضحّاك بن عبد الله  
 المشرقي، هذا ابن عمّنا ننشدكم الله لما كففتم عنه. فقال ثلاثة نفر من بني  
 تميم كانوا معهم: بلى والله لنجيبنّ اخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبّوا من الكفّ  
 عن صاحبهم، قال: فلما تابع التميميون أصحابي كفّ الآخرون قال:  
 فنجاني الله.

قال الطبري: وكان آخر من بقي مع الحسين من أصحابه سويد بن  
 عمرو بن أبي المطاع الخثعمي.

قال المؤلف: إلى هنا أوردنا أخبار تاريخ الطبري في مقتل أصحاب  
 الحسين دون أن نلتزم بسياقه في ترتيب ذكر الحوادث لما يظهر منه عدم الاكتراث  
 بذكر الحوادث كما وقعت، ولم يكن ترتيبنا أيضاً بنتيجة البحث العلمي في غير  
 أخبار الطبري وإنما لاحظنا القرائن الدالة في أخباره على الترتيب الذي أوردناه  
 وصرّحنا بمصادر الأخبار التي أضفناها إلى أخباره، وبما أن الطبري لم  
 يستوعب في تاريخه جميع أخبار أصحاب الحسين وكان في بعضها مزيد  
 ايضاح لما نحن بصده من إدراك سبب استشهاد الحسين؛ فإننا نورد يسيراً منها  
 في ما يلي.

## شهداء آخرون

عمرو بن خالد :

قال الخوارزمي : وبرز عمرو بن خالد الأزدي وهو يقول :  
اليوم يانفس إلى الرحمن      تمضين بالروح و بالريحان  
اليوم تجزين على الاحسان      قد كان منك غابر الازمان  
ما خط باللوح لدى الديان      فالسيوم زال ذاك بالغفران  
لا تجزعي فكل حيّ فان      والصبر أحظى لك بالامان  
فقاتل حتى قتل .

سعد بن حنظلة :

ثم خرج من بعده سعد بن حنظلة التميمي وهو يقول :  
صبرا على الأسياف والاسنة      صبرا عليها لدخول الجنة  
وحور عين ناعمات هنة      لمن يريد الفوز لا بالظنة  
يا نفس للمراحة فاطرحنه      وفي طلاب الخير فارغبنه  
ثم حمل فقاتل قتالا شديداً فقتل<sup>١</sup> .

عبدالرحمن بن عبدالله اليزني :

قال : ثمّ خرج عبدالرحمن بن عبدالله اليزني وهو يقول :  
أنا ابن عبدالله من آل يزن      ديني على دين حسين و حسن  
اضربكم ضرب فتى من اليمن      أرجو بذاك الفوز عند المؤمن  
ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل .

قرة بن أبي قرة :

ثمّ قرة خرج بن أبي قرة الغفاري وهو يقول :  
قد علمت حقا بنو غفار      و خندف بعد بني نزار  
بأنني الليث الهزبر الضاري      لأضربنّ معشر الفجّار  
بحدّ غضب ذكر بتار      يشعّ لي في ظلمة الغبار  
دون الهداة السادة الأبرار      رهط النبي أحمد المختار  
ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل .

عمر بن مطاع :

وبرز عمر بن مطاع الجعفي وهو يقول :  
أنا ابن جعفي وأبي مطاع      وفي يميني مرهف قطّاع  
واسمر سنانة لمّاع      يرى له من ضوئه شعاع  
قد طاب لي في يومي القراع      دون حسين وله الدفاع  
ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل .

(١) مقتل الخوارزمي ١٧/٢ - ١٨ .

جون مولى أبي ذر :

في مثير الاحزان واللهوف : ثم تقدّم جون مولى أبي ذر وكان عبداً أسود فقال له : أنت في اذن منّي فإنّما تبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقنا، فقال : يا ابن رسول الله ! أنا في الرخاء الحسّ قصاعكم وفي الشدة أخذلكم ؟ والله أنّ ريحي لمتنّ، وحسبي للثيم ولوني لأسود؛ فتنفّس عليّ بالجنّة فيطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي ، لا والله لا افارقكم حتّى يختلط هذا الدم الاسود مع دمائكم، ثمّ قاتل حتّى قتل<sup>١</sup>.

وفي مقتل الخوارزمي : فجعل يقول وهو يحمل عليهم :

كيف يرى الفجار ضرب الأسود      بالمشرفيّ القاطع المهند  
احمي الخيار من بني محمّد      أذبّ عنهم باللسان واليد  
أرجو بذاك الفوز عند المورد      من الاله الواحد الموحّد<sup>٢</sup>  
فقتل خمسة وعشرين وقُتل، فوقف عليه الحسين وقال : اللهم بيّض وجهه وطيب ريحه، واحشره مع محمّد (ص)، وعرف بينه وبين آل محمّد<sup>٣</sup>.

أنيس بن معقل :

وفي مقتل الخوارزمي : ثمّ خرج من بعده أنيس بن معقل الاصبحي، فجعل يقول :

أنا أنيس وأنا ابن معقل      وفي يميني نصل سيف فيصل

١) مثير الاحزان ٤٧، و اللهوف ٤٦ .

٢) مقتل الخوارزمي ١٩/٢ .

٣) راجع: مقتل العوالم ص ٨٨ .

أعلو به الهامات بين القسطل  
عن الحسين الفاضل المفضل  
حتى أزيل خطبه فينجلي  
ابن رسول الله خير مرسل

الحجاج بن مسروق:

قال: وبرز الحجاج بن مسروق وهو مؤذن الحسين (ع) فجعل يقول:  
أقدم حسين هاديا مهديا      اليوم نلقى جدك النبيا  
ثم أباك ذا العلا عليا      والحسن الخير الرضا الوليا  
وذا الجناحين الفتى الكميا      وأسد الله الشهيد الحيا  
ثم حمل فقاتل حتى قتل.

جنادة بن الحرث:

قال: وبرز جنادة بن الحرث الانصاري وهو يقول:  
أنا جنادة أنا ابن الحرث      لست بخوار ولا بناكث  
عن بيعتي حتى يقوم وارثي      من فوق شلو في الصعيد ماكث  
فحمل ولم يزل يقاتل حتى قتل.

عمرو بن جنادة:

ثم خرج من بعده عمرو بن جنادة وهو ينشد ويقول:  
اضق الخناق من ابن هند وارمه      في عقره بفوارس الانصار  
ومهاجرين مخضبين رماحهم      تحت العجاجة من دم الكفار  
خضبت على عهد النبي محمد      فاليوم تخضب من دم الفجار  
واليوم تخضب من دماء معاشر      رفضوا القرآن لنصرة الاشرار  
طلبوا بثأرهم ببدر وانثنوا      بالمرهفات وبالقنا الخسار  
والله ربي لا أزال مضاربا      للفاسقين بمرهف بتار  
هذا علي اليوم حق واجب      في كل يوم تعانق وحوار

ثم حمل فقاتل حتى قتل .

غلام يتيم :

ثم خرج من بعده شاب قتل أبوه في المعركة ، وكانت أمه عنده ، فقالت :  
يا بني اخرج فقاتل بين يدي ابن رسول الله حتى تقتل ، فقال : أفعل ،  
فخرج ، فقال الحسين : هذا شاب قتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه ، فقال  
الشاب : أمي أمرتني يا ابن رسول الله . فخرج وهو يقول :

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير  
علي وفاطمة والداه فهل تعلمون له من نظير  
ثم قاتل فقتل وحز رأسه ورمي به إلى عسكر الحسين ، فأخذت أمه  
رأسه وقالت له : أحسنت يا بني ! يا قرّة عيني ! وسرور قلبي ! ثم رمت  
برأس ابنها رجلاً فقتلته واخذت عمود خيمة وحملت على القوم وهي تقول :  
أنا عجوز في النساء ضعيفه بالية خالية نحيفه  
أضربكم بضربة عنيفه دون بني فاطمة الشريفه  
فضربت رجلين فقتلتها فأمر الحسين (ع) بصرفها ودعا لها<sup>١</sup> .

قال الخوارزمي : وكان يأتي الحسين الرجل بعد الرجل ، فيقول :  
السلام عليك يا ابن رسول الله . فيجيبه الحسين : وعليك السلام ونحن  
خلفك ، ويقرأ : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ، ثم  
يحمل فيقتل ! هكذا استمر القتال حتى قتلوا عن آخرهم<sup>٢</sup> .

(١) مقتل الخوارزمي ١٩/٢ - ٢٢ .

(٢) مقتل الخوارزمي ٢٥/٢ .

## مقتل عترة الرسول

وقال: لَمَّا لم يبق مع الحسين إلّا أهل بيته. اجتمعوا وودّع بعضهم بعضاً وعزموا على الحرب<sup>١</sup>.

أول شهيد من عترة رسول الله:

قال الطبري: وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ عليّ الأكبر بن الحسين بن علي، وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي<sup>٢</sup>، وكانت أمّ أمة ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب<sup>٣</sup> ومن هذا اعطي له الأمان يومذاك، وقالوا له كما ذكره المصعب الزبيري: «أنّ لك قرابة بأمر المؤمنين - يعني يزيد ابن معاوية - ونريد أن يرعى هذا الرحم، فان شئت آمنّاك».

فقال عليّ: «لقرابة رسول الله (ص) أحق أن ترعى» وحمل وهو يقول...<sup>٤</sup>.

قال الخوارزمي: فلَمَّا رآه الحسين رفع شيعته نحو السماء، وقال: اللهم

(١) مقتل الخوارزمي ٢٦/٢.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٨٠، وتاريخ الطبري، ط. أوربا ٣٥٦/٢ - ٣٥٧.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٨٠، ونسب قريش لمصعب ص ٥٧، والاصابة ١٧٨/٤ ترجمة أبي مرة.

(٤) نسب قريش ص ٥٧.



اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلُقاً ومنطقاً برسولك محمد (ص) وكنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللهم فامنهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا يقاتلوننا.

ثم صاح بعمر بن سعد: مالك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك وسلط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله. ثم رفع صوته وقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وحمل علي بن الحسين وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن عليّ نحن وبيت الله أولى بالني  
والله لا يحكم فينا ابن الدعيّ أطعنكم بالرمح حتى ينثني  
أضربكم بالسيف حتى يلتوي ضرب غلام هاشميّ علويّ  
فلم يزل يقاتل حتى ضجّ أهل الكوفة، ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته  
جراحات كثيرة، فقال: يا أبة! العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهدني،  
فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوى بها على الاعداء؟ فبكى الحسين وقال:  
يا بنيّ عزّ على محمد، وعلى عليّ، وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك  
وتستغيث بهم فلا يغيثونك. ودفع إليه خاتمه، وقال له: خذ هذا الخاتم في  
فيك وارجع إلى قتال عدوك، فأنّي لارجو أن لا تمسي حتى يسقيك جدك  
بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً، فرجع علي بن الحسين إلى القتال  
وحمل وهو يقول:

الحرب قد بانّت لها حقائق وظهرت من بعدها مصادق

والله ربّ العرش لا تفارق جموعكم أو تغمد البوارق<sup>١</sup>

قال الطبري: ففعل ذلك مرارا فبصر به مرّة بن منقذ بن النعمان العبديّ ثمّ الليثيّ فقال: عليّ آثام العرب ان مرّ بي يفعل مثل ما كان يفعل ان لم أئكله أباه، فمرّ يشدّ على الناس بسيفه فاعترضه مرّة بن منقذ فطعنه فصرع واحتوشه<sup>٢</sup> الناس فقطعوه بأسيافهم.

وقال الخوارزمي: ضربه منقذ بن مرّة العبدي على مفرق رأسه ضربة صرعه فيها، وضربه الناس بأسيافهم، فاعتنق الفرس فحمله الفرس إلى عسكر عدوّه، فقطعوه بأسيافهم ارباً ارباً، فلما بلغت روحه التراقي نادى بأعلى صوته: يا أبتاه! هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظلمأ بعدها أبدا وهو يقول لك: العجل فإنّ لك كأساً مذخورة، فصاح الحسين...<sup>٣</sup>.

و روى الطبري: عن حميد بن مسلم الأزدي قال: سماع أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوما قتلوك يا بني، ما أجراهم على الرحمان وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفاء. قال: وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي: يا أخيّاه ويا أبن أخاه! قال: فسألت عنها فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله، فجاءت حتّى أكبت عليه، فجاءها الحسين، فأخذ بيدها فردّها إلى الفسقاط، وأقبل الحسين إلى آبنه، وأقبل فتياه إليه فقال: إحملوا أخاكم. فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه بين يدي الفسقاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

(١) مقتل الخوارزمي ٣٠/٢ - ٣١.

(٢) في الطبري: وأحتولّه.

(٣) مقتل الخوارزمي ٣١/٢.

مقتل آل أبي طالب:

عبدالله بن مسلم بن عقيل:

ثم برز من بعده عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب<sup>١</sup>، وأمه رقية الكبرى بنت الإمام علي (ع)<sup>٢</sup> وهو يقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي<sup>٣</sup>

قال الطبري: ثم إن عمرو بن صبيح الصدائي رمى عبدالله بن مسلم ابن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته يتقيه فأصاب السهم كفه ونفذ إلى جبهته فسمرها به<sup>٤</sup>. فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه، ثم أنتحى له بسهم آخر ففلق قلبه، قال: فأعتورهم الناس من كل جانب.

جعفر بن عقيل:

قال الخوارزمي وأبن شهر آشوب: برز جعفر بن عقيل بن أبي طالب

وهو يقول:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي من معشر في هاشم من غالب

ونحن حقاً سادة الذوائب هذا حسين أطيب الأطايب

فقاتل حتى قتل، قتله بشر بن سوط الحمداني<sup>٥</sup>.

(١) ذكره الطبري بعد مقتل علي الأكبر ط. أوربا، ٣٥٧/٢.

(٢) نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٤٥، ومقاتل الطالبين ٩٤.

(٣) مناقب أبن شهر آشوب ٢٢٠/٢، ومقتل الخوارزمي ٢٦/٢.

(٤) هذه الزيادة في سياق الارشاد ص ٢٢٣.

(٥) نقلنا في مقتل أبي عقيل و أبي جعفر بعدهما الأراجيز من مقتل الخوارزمي ومناقب أبن شهر آشوب وكان الطبري قد أسقط أراجيزهم من خبر مقتلهم على عادته في حذف الأراجيز في أغلبها

وقال الطبري: ورمى عبدالله بن عزرة الخثعمي جعفر بن عقيل بن أبي طالب فقتله.

عبد الرحمن بن عقيل:

وبرز بعده أخوه عبد الرحمن بن عقيل وهو يرتجز:

أبي عقيل فآعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني  
كهول صديق سادة الأقران هذا حسين شامخ البنيان  
وسيد الشباب في الجنان  
فقاتل حتى قتل قتله عثمان بن خالد الجهني.

وقال الطبري: وشد عثمان بن خالد الجهني وبشر بن سوط الهمداني ثم القابضي على عبد الرحمن بن عقيل فقتلاه.

محمد بن عبدالله بن جعفر:

قال الخوارزمي و ابن شهر آشوب: ثم برز محمد بن عبدالله بن جعفر وهو ينشد:

أشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان  
قد بدلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان  
وأظهروا الكفر مع الطغيان  
فقاتل قتالا شديداً حتى قتل. قتله عامل بن نهشل التميمي.

عون بن عبدالله بن جعفر:

ثم برز أخوه عون فحمل وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صديق في الجنان أزهر



يروى من أخبار الحروب.

يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في محشر  
فقاتل حتى قُتل. قتله عبدالله بن قطبة الطائي<sup>١</sup>.

نحلا السبط الأكبر :

ثم برز عبدالله بن الحسن بن علي وهو يقول:

إن تنكروني فأنا فرع الحسن سبط النبي المصطفى المؤمن  
هذا حسين كالأسير المرتهن بين أناسٍ لاسقوا صوب المزن  
فقاتل حتى قُتل. قتله هاني بن شبيب الحضرمي<sup>٢</sup>.

ثم برز أخوه القاسم بن الحسن وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم فلما نظر  
إليه الحسين اعتنقه وجعل يبكيان، ثم استأذن الغلام للحرب فأبى عمه  
الحسين أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه ويسأله الاذن حتى  
أذن له، فخرج ودموعه تسيل على خديه<sup>٣</sup> عليه ثوب وازار ونعلان فقط وكأنه  
فلقة قمر وأنشأ يقول:

إنني أنا القاسم من نسل علي نحن وبیت الله أولى بالنبي  
من شمر ذي الجوشن أو ابن الدعي<sup>٤</sup>

وروى الطبري عن حميد بن مسلم، قال: خرج إلينا غلام كان وجهه  
شقة قمر في يده السيف، عليه قميص وإزار، ونعلان قد انقطع شسع  
أحدهما ما أنسى أنها اليسرى، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢/٢٢٠، ومقتل الخواري ٢/٢٧، ويتفق سياق رواية الطبري معها  
فيها عدا حذفه الرجزين.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢/٢٢٠، وفي مقتل الخواري ٢/٢٧ نسب البيت إلى القاسم أو  
عبدالله، وفي إعلام الوري ص ٢١٣: وكان عبدالله بن الحسن قد زوجه الحسين ابنته سكينه فقتل قبل  
أن يفي بها.

(٣) مقتل الخواري ٢/٢٧.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٢/٢٢١.

لاشدن عليه، فقلت له: سبحان الله وما تريد إلى ذلك، يكفيك قتله هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوهم<sup>١</sup> قال: فقال: والله لاشدن عليه، فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه، فقال: يا عمّاه! قال: فجلى الحسين كما يجلى الصقر، ثم شدّ شدة ليث أغضب، فضرب عمرا بالسيف، فاتّقه بالساعد فأطنّها من لدن المرفق، فصاح - صيحة سمعها أهل العسكر<sup>٢</sup> - ثم تنحى عنه، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمرا من حسين، فاستقبلت عمرا بصدورها فحركت حوافرها وجالت الخيل بفرسانها عليه، فتوطّأت حتى مات، وانجلت الغبرة فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجليه، وحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك ثم قال: عزّ والله على عمك، أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك. صوت والله كثر واثره وقلّ ناصره. ثم احتمله فكأنني أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الأرض وقد وضع حسين صدره على صدره، قال: فقلت في نفسي: ما يصنع به، فجاء به حتى القاه مع ابنه عليّ بن الحسين وقتلى قد قتلت حوله من أهل بيته، فسألت عن الغلام فقيل: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب.

(١) في الطبري: احتوشوهم.

(٢) الطبري ٣٥٨/٢ - ٣٥٩، وارشاد المفيد ص ٢٢٣.

## مقتل إخوة الحسين<sup>١</sup>

أبو بكر بن علي (ع):

ثم تقدّم إخوة الحسين (ع) عازمين على أن يُقتلوا من دونه، فأول من تقدّم منهم أبو بكر بن علي، واسمه عبدالله، وأمه ليل بنت مسعود بن خالد بن ربيعي بن مسلم بن جندل بن نهشل بن دارم التميمية، فبرز أبو بكر وهو يقول:

من هاشم الصديق الكريم المفضل	شيخ عليّ ذو الفخار الاطول
ندود عنه بالحسام الفيصل	هذا الحسين ابن النبي المرسل
يا ربّ فامنحني الثواب المجزل	تفديته نفسي من أخ مبجل
فحمل زحر بن قيس النخعي فقتله.	

عمر بن علي (ع):

ثم خرج من بعد أبي بكر بن علي، أخوه عمر بن علي، فحمل وهو يقول:

أضربكم ولا أرى فيكم زحر      ذاك الشقيّ بالنبي قد كفر

(١) إلى آخر هذا الفصل أوردناه بلفظ الخوارزمي ٢٨/٢ - ٢٩ .

يا زحريا زحرتدان من عمر      لعلّك اليوم تبوء بسقر  
 شرّ مكان في حريق و سعر      فأنّك الجاحد يا شرّ البشر  
 ثمّ قصد قاتل أخيه فقتله، وجعل يضرب بسيفه ضربا منكرا ويقول في حملاته:

خلّوا عداة الله خلّوا عن عمر      خلّوا عن الليث العبوس المكفهر  
 يضربكم بسيفه ولا يفر      وليس يغدو كالجبان المنجحر  
 ولم يزل يقاتل حتّى قتل.

عثمان بن علي (ع):

ثمّ خرج من بعده عثمان بن علي وأمه أمّ البنين بنت حزام بن خالد، من بني كلاب وهو يقول:

إنّي أنا عثمان ذو المفاخر      شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر  
 صنو النبيّ ذو الرشاد السائر      ما بين كلّ غائب و حاضر  
 ثمّ قاتل حتّى قتل.

جعفر بن علي (ع):

ثمّ خرج أخوه جعفر بن علي وأمه أمّ البنين أيضاً فحمل وهو يقول:  
 إنّي أنا جعفر ذو المعالي      نجل عليّ الخير ذو النوال  
 أحمي حسينا بالقنا العسال      وبالحسام الواضح الصقال  
 ثمّ قاتل حتّى قتل.

عبدالله بن علي (ع):

ثمّ خرج من بعده أخوه عبدالله بن علي، وأمه أمّ البنين أيضاً، فحمل وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والافضال      ذاك عليّ الخير في الفعال



سيف رسول الله ذو النكال وكاشف الخطوب والإهوال  
فحمل وقاتل حتى قُتل<sup>١</sup>.

وروى الطبري عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين يومئذ وهو يقول: اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم فان متعتهم إلى حين ففرّقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عنهم الولاية أبدا. فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا، قال: وضارب الرجال حتى انكشفوا عنه، قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة، دعا بسر وويل محققة يلمع فيها البصر يمانّي محقق وفرزه ونكته لكي لا يسلبه فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته ثبانا. قال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن ألبسه قال: فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه أيّاه فتركه مجرداً.

قال أبو محنف: فحدثني عمرو بن شعيب عن محمد بن عبد الرحمن أنّ يدي بحر بن كعب كانتا في الشتاء ينضحان الماء وفي الصيف يبسان كأنهما عود.

مقتل العباس بن أمير المؤمنين (ع):

في مقاتل الطالبين: كان رجلا وسيما جميلاً يركب الفرس المطهم . ورجلاه تخطآن في الأرض، وكان يقال له: قمر بني هاشم، وكان لواء الحسين معه يوم قتل، وهو أكبر ولد أم البنين، وهو آخر من قتل من إخوته لأمه وأبيه<sup>٢</sup>

وفي مقتل الخوارزمي: ثم خرج العباس وهو السقاء فحمل وهو يقول:

(١) أورد الطبري ومن تبعه خبر مقتل إخوة الحسين (ع) بإيجاز، وفي مناقب ابن شهر آشوب أورد ارجاز إخوة العباس لأمه. وما أوردناه هنا نقلناه من مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٨ - ٢٩ و بلفظه .  
(٢) مقاتل الطالبين ص ٨٤ .

أقسمت بالله الأعزّ الأعظم      وبالحجون صادقاً وزمزم  
وبالحطيم والفنا المحرّم      ليخضبنّ اليوم جسمي بدمي  
دون الحسين ذي الفخار الاقدم      إمام أهل الفضل والتكرم<sup>١</sup>  
وفي الارشاد ومثير الاحزان واللهوف<sup>٢</sup> : واشتدّ العطش بالحسين (ع)  
فركب المسناة يريد الفرات وبين يديه العباس أخوه فأعترضه خيل ابن سعد.  
وفي مناقب آبن شهر آشوب : مضى يطلب الماء فحملوا عليه وحمل  
عليهم وهو يقول :

لا أرهب الموت إذا الموت رقى      حتى أوارى في المصاليث لقا  
نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا      إني أنا العباس أغدو بالسقا  
ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى

ففرّقهم فكمن له زيد بن الورقاء الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم  
ابن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله وحمل عليه وهو  
يرتجز :

والله ان قطعتم يميني      إني أحامي أبداً عن ديني  
وعن إمام صادق اليقين      نجل النبي الطاهر الأمين  
فقاتل حتى ضعف، فكمن له حكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة  
فضربه على شماله، فقال :

يا نفس لا تخشي من الكفار      وأبشري برحمة الجبار  
مع النبي السيّد المختار      قد قطعوا ببغيهم يساري  
فأصلهم يا ربّ حرّ النار

(١) مقتل الخواري ٢٩/٢ - ٣٠ .

(٢) الارشاد ص ٢٤، وإعلام الوري ص ٢٤٤، ومثير الاحزان ص ٥٣، واللهوف ص ٤٥.

فقتله الملعون بعمود من حديد<sup>١</sup>.  
وفي مقتل الخوارزمي: فقال الحسين: الآن إنكسر ظهري وقلّت  
حيلتي<sup>٢</sup>.

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢/٢٢١ - ٢٢٢.  
(٢) مقتل الخوارزمي ٢/٣٠.

## مقتل أطفال آل الرسول (ص)

قتل الطفل الرضيع :

في مقتل الخوارزمي وغيره : تقدّم الحسين إلى باب الخيمة وقال : ناولوني عليّ الطفل حتّى أودّعه ، فناولوه الصبيّ ، فجعل يقبله ويقول : ويل لهؤلاء القوم إذ كان خصمهم جدّك ، فبينا الصبيّ في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي فذبحه في حجره فتلقّى الحسين دمه حتّى امتلأت كفّه ثمّ رمى به نحو السماء ، وقال : اللهمّ ان حبست عنا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا ، وانتقم من هؤلاء الظالمين ، ثمّ نزل الحسين عن فرسه وحفر للصبيّ بجفن سيفه وزمّله بدمه وصلى عليه<sup>١</sup>.

مقتل طفل آخر للحسين (ع) :

قال الطبري : ورمى عبدالله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله فلذلك يقول الشاعر وهو ابن أبي عقب :  
وعند غنيّ قطرة من دمائنا وفي أسد أخرى تعدّ وتذكر

معركة في طريق الفرات :

روى الطبري عمّن شهد الحسين في عسكره ، أنّ حسينا حين غلب على

(١) مقتل الخوارزمي ٣٢/٢ ، وتاريخ الطبري ط. أوروبا ، ٣٦٠/٢ ، وابن كثير ١٨٨/٨ .

عسكره، ركب المسناة، يريد الفرات، قال: فقال رجل من بني أبان بن دارم: ويلكم حولوا بينه وبين الماء لا تتأّم إليه شيعته، قال: وضرب فرسه وآتبعه الناس حتّى حالوا بينه وبين الفرات فقال الحسين: اللّهم أظمه ! قال: ويتنزّع الابانيّ بسهم فأثبتته في حنك الحسين.

وفي رواية: فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه - وفي رواية في حنكه - قال: فانتزع الحسين السهم ثم بسط كفّيه فامتلائاً دما فرمى به إلى السماء، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثمّ جمع يديه فقال: اللّهم أني أشكو إليك ما يُفعلُ بابن بنت نبيّك، اللّهم أحصهم عدداً واقتلهم بديداً ولا تذّر على الأرض منهم أحداً.

وروى الطبري وقال: فانتزع الحسين السهم ثمّ بسط كفّيه فامتلائاً دماً ثم قال الحسين: اللّهم أني أشكو إليك ما يُفعلُ بابن بنت نبيّك قال: فوالله ان مكث الرجل إلّا يسيراً حتّى صبّ الله عليه الظماً فجعل لا يروى، قال القاسم بن الاصبغ. لقد رأيتني فيمن يروّج عنه، والماء يُبرّد له فيه السكّر وعساس فيها اللبن وقلال فيها الماء وأنه ليقول: ويلكم اسقوني قتلي الظماً فيعطى القلّة أو العسّ كان مروياً أهل البيت فيشر به فاذا نزعه من فيه اضطجع الهنيهة ثمّ يقول: ويلكم اسقوني قتلي الظماً قال: فوالله ما لبث إلّا يسيراً حتّى انقذّ بطنه انقداد بطن البعير.

#### مقتل طفل مذهبور :

روى الطبري عن هانئ بن ثابت الحضرميّ، قال: كنت ممّن شهد قتل الحسين، قال: فوالله أني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلّا على فرس وقد جالت الخيل وتضعصعت؛ إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الابنية عليه أزار وقميص وهو مذعور يتلفت يمينا وشمالاً فكأنني أنظر

إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت، إذ أقبل رجل يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف، قال: الراوي: هانئ بن ثبيت، هو صاحب الغلام، فلما عتب عليه كنى عن نفسه.

مقتل غلام للإمام الحسن (ع):

قال الطبري: ثم ان شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجالة نحو الحسين فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه، ثم أنهم أحاطوا به إحاطة وأقبل إلى الحسين عبد الله بن الحسن<sup>١</sup> من عند النساء وهو غلام لم يراهق فأخذته أخته زينب ابنة علي لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه. فأبى الغلام وجاء يشتد إلى الحسين فقام إلى جنبه، قال: وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله من بني تيم الله ابن ثعلبة بن عكابة إلى الحسين بالسيف فقال الغلام: يا ابن الخبيثة! أتقتل عمي؟ فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده، فأطنها إلى الجلدة فإذا يده معلقة فنادى الغلام يا أمته! فأخذه الحسين فضمّه إلى صدره وقال: يا ابن أخي! إصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين... برسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علي صلى الله عليهم أجمعين!

مقتل الحسين (ع) و سلبه:

روى الطبري وقال: ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس أنصرف عنه، وكره أن يتولى قتله وعظيم اثمه عليه، قال: وإن رجلاً يقال له: مالك بن النسير من بني بداء، أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدمى رأسه فأمثالاً البرنس دماً فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله

(١) في الطبري ط. أوربا، ٣٦٣/٢: « غلام من أهله » والتصحيح من ارشاد المفيد ص ٢٢٥.

مع الظالمين، قال: فألقى ذلك البرنس ثم دعا بقلنسوة فلبسها وأعتَمَ وقد أعيا وبلد، وجاء الكندي حتى أخذ البرنس وكان من خَزَفَ فلما قدم به بعد ذلك على أمّته أمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البديّ؛ أقبل يغسل البرنس من الدّم فقالت له أمّته: أسلب ابن بنت رسول الله (ص) تدخل بيتي؟! أخرجته عني. فذكر أصحابه أنّه لم يزل فقيراً بشراً حتى مات<sup>١</sup>.

رجالة جيش الخلافة تهجم على مخيم ذراري رسول الله (ص):  
قال أبو مخنف في حديثه: ثمّ إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجالة أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله فمشى نحوه، فقال الحسين: ويلكم ان لم يكن لكم دين ولا تخافون يوم المعاد، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طعامكم وجهالكم! فقال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا ابن فاطمة. قال: وأقدم عليه بالرجالة منهم أبو الجنوب واسمه عبدالرحمن الجعفي، والقشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي، وصالح بن وهب اليزني، وسان بن أنس النخعي، وخولي بن يزيد الاصبحي، فجعل شمر بن ذي الجوشن يحرضهم فمرّ بأبي الجنوب وهو شاك في السلاح فقال له: أقدم عليه قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟ وقال له شمر: ألي تقول ذا؟ قال: وأنت لي تقول ذا؟ فاستبأ فقال له أبو الجنوب: وكان شجاعاً: والله لهممت أن أخضخض السنان في عينك قال: فانصرف عنه شمر وقال: والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك<sup>٢</sup>.

(١) الطبري ٤/٤٤٨ ط. دار المعارف بمصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وط. اوربا ٢/٣٥٩

٣٦٠.

(٢) الطبري ٢/٣٦٢ - ٣٦٣ ط. اوربا.

### آخر قتال الحسين (ع):

وروى الطبري عن أبي مخنف عن الحجاج بن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقى أنه عتب على عبد الله بن عمار مشهده قتل الحسين فقال عبد الله بن عمار: أن لي عند بني هاشم ليذا، قلنا له: وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح فأنتهيت إليه فوالله لو شئت لطحنته، ثم انصرفت عنه غير بعيد وقلت: ما أصنع بأن أتولى قتله؛ يقتله غيري، قال: فشدد عليه رجالة مئمن عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى ابدعروا، وعلى من عن شماله حتى ابدعروا، وعليه قميص له من خز وهو معنم، قال: فوالله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشاً ولا أمضى جنانا منه ولا أجراً مقدماً، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله ان كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب.

### صرخة زينب:

قال: فوالله أنه لذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض، وقد دنا عمر بن سعد من حسين فقالت: يا عمر بن سعد! أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ قال: فكأنني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته قال: وصرف بوجهه عنها.



## مقتل سبط النبي (ص)<sup>١</sup>

قال أبو مخنف : حدّثني الصقعب بن الزبير عن حميد بن مسلم قال : كانت عليه جبة من خزّ ، وكان معتمّاً وكان مخضوباً بالوسمة قال : سمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجله قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية ويفترص العورة ، ويشدّ على الخيل وهو يقول : أعلى قتلي تحاثون ! أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم لقتله مني ! وأيم الله أنّي لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله ان لو قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتّى يضاعف لكم العذاب الأليم ، قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء قال : فنادى شمر في الناس : ويحكم ماذا تنظرون بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم قال : فحمل عليه من كلّ جانب فضربت كفه اليسرى ضربة ضربها شريك التميمي ، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو ، قال : وحمل عليه في تلك الحال سنان

بن أنس بن عمرو النخعي قطعنه بالرمح فوق، ثم قال لخولي بن يزيد  
الاصبحي احتز رأسه، فأراد أن يفعل فضعف فأرعد فقال له سنان بن أنس:  
فت الله عضديك وأبان يدك فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفع إلى خولي  
بن يزيد وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف.

قال أبو مخنف عن جعفر بن محمد بن علي قال: وجد بالحسين (ع)  
حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، قال: وجعل سنان  
ابن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب على رأسه حتى  
أخذ رأس الحسين (ع) فدفعه إلى خولي.

جيش الخلافة يسلب ذراري رسول الله (ص):

قال: وسلب الحسين ما كان عليه؛ فأخذ سراويله بحر بن كعب،  
وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خز وكان يسمى بعد قيس  
قطيفة، وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود وأخذ سيفه رجل من  
بني نهشل بن دارم فوق بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل، قال: ومال الناس  
على الورس والحلل والابل وانتهبوها، قال: ومال الناس على نساء الحسين  
وثقله ومتاعه فان كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب  
به منها.

آخر شهيد:

وروى عن زهير بن عبد الرحمن الخثعمي، أن سويد بن عمرو بن أبي  
المطاع كان صرع فأتخن فوق بين القتل مشخنا فسمعهم يقولون: قتل الحسين  
فوجد افاقة فإذا معه سكين وقد أخذ سيده، فقاتلهم بسكينه ساعة ثم أنه قتل،  
قتله عروة بن بطار التغلبي وزيد بن رقاد الجنبي وكان آخر شهيد.  
وعن حميد بن مسلم قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي،

الأصغر<sup>١</sup> وهو منبسط على فراش له وهو مريض وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجّالته يقولون: ألا نقتل هذا؟ قال: فقلت: سبحان الله أنقتل الصبيان؟! إنما هذا صبي. قال: فما زال ذلك دأبي أَدفع عنه كل من جاء حتّى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليه، قال: فوالله ما ردّ أحد شيئاً، قال: فقال علي بن الحسين: جُزيت من رجل خيراً فوالله لقد دفع الله عني بمقاتلتك شراً<sup>٢</sup>.

#### قاتل الحسين يطلب الجائزة:

قال: فقال الناس لسنان بن أنس: قتلت حسين بن علي وابن فاطمة ابنة رسول الله، قتلت أعظم العرب خطراً؛ جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأت أمراءك فاطلب ثوابك منهم، وأنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً. فأقبل على فرسه وكان شجاعاً وكانت به لوثة، فأقبل حتّى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته: أوقر ركابي فضّة وذهباً. أنا قتلت الملك المحجّباً قتلت خير الناس أمّا وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً فقال عمر بن سعد: أشهد إنك لمجنون ما صححت قطّ، أدخلوه عليّ. فلمّا أدخل حذفه بالقضيب، ثم قال: يا مجنون أتتكلم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك.

#### نجاة عقبة بن سمعان وأسر المرقع:

قال: وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان، وكان مولى للرباب بنت

(١) لم يكن بعلي الأصغر، وكان قد ولد له محمد الباقر يومذاك، بل هو علي الأوسط.

(٢) الطبري ٣٦٧/٢ ط. أوربا.

امرئ القيس الكلبيّة، وهي أمّ سكينة بنت الحسين، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك فخلّ سبيله، فلم ينج منهم أحد غيره، إلّا أن المرقع بن ثمامة الأسدي كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه فقاتل، فجاءه نفر من قومه فقالوا له: أنت آمن، أخرج إلينا، فخرج إليه فلمّا قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره سيّره إلى الزارة<sup>١</sup>.

يوطثون الخيل جسد الحسين (ع):

قال: ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى في أصحابه، من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة، منهم اسحاق بن حياة الحضرمي وهو الذي سلب قميص الحسين فبرص بعد، وأحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتّى رضوا ظهره وصدره، فبلغني أنّ أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال ففلق قلبه فهات<sup>٢</sup>.

١ و ٢) الطبري ٣٦٨/٢ ط. اوربا .

## من نعى الإمام في المدينة

أ - أم سلمة :

في سنن الترمذي، وسير النبلاء، والرياض النضرة، وتاريخ ابن كثير، وتاريخ الخميس، وغيرها، واللفظ للأول، عن سلمى، قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله (ص) - تعني في المنام - وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

وقال اليعقوبي: وكان أول صارخة صرخت في المدينة أم سلمة زوج رسول الله، كان دفع إليها قارورة فيها تربة وقال لها: (إن جبريل أعلمني أن أمتي تقتل الحسين) وأعطاني هذه التربة، وقال لي: (إذا صارت دما عبيطاً فاعلمي أن الحسين قد قُتل)، وكانت عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دما صاحت، وأحسيناه! يا ابن رسول الله! وتصارخت النساء في كل ناحية حتى ارتفعت المدينة

(١) سنن الترمذي ١٩٣/١٣ - ١٩٤، ومستدرک الحاكم ١٩/٤، وسير النبلاء ٢١٣/٣، والرياض النضرة ص ١٤٨، وتاريخ ابن الاثير ٣٨/٣، وابن كثير ٢٠١/٨، وتاريخ السيوطي ص ٢٠٨، وتاريخ ابن عساکر ح ٧٢٦، وتهذيبه ٢٤٠/٤.

بالرجّة التي ما سمع بمثلها قط<sup>١</sup>.

ب - ابن عباس :

في مسند أحمد بن حنبل، وفضائله، والمعجم الكبير للطبراني، و المستدرك للحاكم والرياض النضرة، وغيرها و اللفظ للأول: عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس، قال: رأيت رسول الله (ص) في المنام نصف النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم، فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: « هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم » قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل فيه<sup>٢</sup>.

وفي تاريخ ابن عساكر و ابن كثير: عن علي بن زيد بن جدعان قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع، وقال: قتل الحسين والله! فقال له أصحابه: لم يا ابن عباس؟ فقال: رأيت رسول الله (ص) ومعه زجاجة من دم، فقال: « أتعلم ما صنعت أمتي من بعدي؟ قتلوا الحسين! وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله ».

فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوما حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وفي تلك الساعة<sup>٣</sup>.

ج - ناع ثالث:

روى الطبري وغيره واللفظ للطبري، عن عمرو بن عكرمة، قال:

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) مسند أحمد ١/٢٤٢ و ٢٨٢، و فضائل أحمد، الحديث ٢٠ و ٢٢ و ٢٦، والمعجم للطبراني ح ٥٦، و مستدرك الحاكم ٤/٣٩٨، وقال: صحيح على شرط مسلم، و سير النبلاء ٣/٣٢٣، و الرياض النضرة ١٤٨، و مجمع الزوائد ٩/١٩٣ و ١٩٤، و تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٥٢، و تاريخ ابن الأثير ٣/٣٨، و ابن كثير ٦/٢٣١ و ٨/٢٠٠، وقال أسناده قوي، و تاريخ الخميس ٢/٣٠٠، و الاصابة ١/٣٣٤، و تاريخ السيوطي ص ٢٠٨، و أمالي الشجري ص ١٦٠.

(٣) تاريخ ابن كثير ٨/٢٠٠، و تاريخ ابن عساكر الحديث ٧٢٣ - ٧٢٥.

أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة فإذا مولى لنا يحدثنا، قال: سمعت  
البارحة منادياً ينادي وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينا      أبشروا بالعذاب والتنكيل  
كلّ أهل السماء يدعو عليكم      من نبيّ وملئك وقبيل  
قد لعنتم على لسان ابن داود      وموسى وحامل الانجيل  
وهناك روايات أخرى عن أم سلمة وغيرها أنهم سمعوا نوح الجنّ على  
الحسين وهم يقولون:

أيها القاتلون جهلاً حسينا      أبشروا بالعذاب والتنكيل  
كلّ أهل السماء يدعو عليكم      ونبيّ ومرسل وقبيل  
قد لعنتم على لسان ابن داود      وموسى وصاحب الانجيل<sup>١</sup>

(١) تاريخ ابن كثير ٢٠١/٨، وراجع سير النبلاء ٢١٤/٣، وتاريخ السيوطي ص ٢٨٠، وتاريخ  
ابن عساکر، الحديث ٧٣٣ - ٧٣٩.

## ما وقع بعد استشهاد الإمام الحسين (ع)

قتل من أصحاب الحسين (ع) اثنان وسبعون رجلاً، ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعدما قتلوا بيوم، وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم. قال: وما هو إلا أن قتل الحسين فسرح برأسه من يومه ذلك مع خوليّ ابن يزيد وحُميد بن مسلم الازدي إلى عبيد الله بن زياد، فأقبل به خوليّ فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً فأتى منزله فوضعه تحت أجانة في منزله وله امرأتان امرأة من بني أسد والآخرى من الحضرميّين يقال لها: النّوّار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرميّة، قال هشام: فحدثني أبي عن النّوّار بنت مالك قالت: أقبل خوليّ برأس الحسين فوضعه تحت أجانة في الدار ثمّ دخل البيت فأوى إلى فراشه فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال جئت بك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار! قالت: فقلت ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله (ص)؟ لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً، قالت: فقممت من فراشي فخرجت إلى الدار، فدعا الاسديّة فأدخلها إليه، وجلست أنظر، قالت: خوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الأجانة



ورأيت طيرا بيضاً ترفرف حولها قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيدالله بن زياد وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد ثم أمر حميد بن بكير الاحمري فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين واخواته، ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض<sup>١</sup>.

وروى الطبري عن قرّة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطن وجوهن . . . . قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمّده يا محمّده !، صليّ عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمّده ! وبناتك سبايا، وذريّتك مقتلة تسفي عليها الصبا. قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق قال: وقطف رؤوس الباقيين فسرح بائنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس فأقبلوا حتّى قدموا بها على عبيدالله بن زياد<sup>٢</sup>.

(١) الطبري ٣٦٨/٢ - ٣٦٩ ط. اوربا .

(٢) الطبري ٣٧٠/٢ ط. اوربا .

## رؤوس الشهداء يتقاسمها القتلة من جيش الخلافة

وروى الطبري عن أبي مخنف، قال: ولما قُتل الحسين بن علي (ع) جيء برؤوس من قُتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء سائر الجيش بسبعة رؤوس، فذلك سبعون رأساً قال: وقتل الحسين وأمه فاطمة بنت رسول الله (ص) قتله سنان بن انس النخعي ثم الاصبحي، وجاء برأسه خولي بن يزيد، وقتل العباس بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رقاد الجنبي وحكيم بن الطفيل السنبسي، وقتل جعفر بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين أيضاً، وقتل عبدالله بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين أيضاً وقتل عثمان بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين أيضاً رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله، وقتل محمد بن علي بن أبي طالب وأمه أم ولد، قتله رجل من بني أبان بن دارم، وقتل أبو بكر بن علي بن أبي طالب وأمه ليلي ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، وقد شرك

في قتله، وقتل علي بن الحسين بن علي وأمه ليلي ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي وأُمها ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب قتله مرة بن منقذ بن النعمان الغبدي، وقتل عبدالله بن الحسين بن علي وأمه الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من كلب، قتله هاني بن ثبيت الحضرمي، واستصغر علي بن الحسين بن علي فلم يُقتل، وقتل أبو بكر بن الحسن بن أبي طالب وأمه أم ولد قتله عبدالله بن عقبة الغنوي، وقتل عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه أم ولد، قتله حرملة بن كاهل رماه بسهم، وقتل القاسم بن الحسن بن علي، وأمه أم ولد، قتله سعد بن عمرو بن نفيل الازدي، وقتل عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وأمه جمانة ابنة المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح من بني فزارة قتله عبدالله بن قطبة الطائي ثم النهاني، وقتل محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وأمه الخوصاء ابنة خصفة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل، قتله عامر ابن نهشل التيمي، وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم البنين ابنة الشقر بن الهضاب، قتله بشر بن حوط الهمداني، وقتل عبدالرحمان بن عقيل وأمه أم ولد قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهنني، وقتل عبدالله بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم ولد رماه عمرو بن صبيح الصدائي فقتله، وقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم ولد بالكوفة، وقتل عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وأمه رقية ابنة علي بن أبي طالب وأُمها أم ولد قتله عمرو بن صبيح الصدائي، وقيل: قتله أسيد بن مالك الحضرمي، وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل، وأمه أم ولد قتله لقيط بن ياسر الجهنني،

(١) لم يكن صغيراً بل كان مريضاً فلم يقتل وكان له من الاولاد محمد الباقر كما ذكرناه غير مرة.

واستصغر الحسن بن الحسن بن علي، وأمه خولة ابنة منظور بن ريثان بن سيّار  
الفزاري، واستصغر عمرو بن الحسن بن علي فترك فلم يقتل وأمه أم ولد،  
وقتل من الموالي سليمان مولى الحسين بن علي قتله سليمان بن عوف الحضرمي،  
وقتل منجج مولى الحسين بن علي، وقتل عبدالله بن يقطر؛ رضيع الحسين  
ابن علي<sup>١</sup>.

(١) الطبري ٢٦٩/٦ - ٢٧٠ ط. المطبعة الحسينية المصرية .

## جيش الخلافة يسوق حرم الرسول إلى الكوفة

في فتوح ابن أعثم ومقتل الخوارزمي وغيرهما، قالوا: وساق القوم حرم رسول الله (ص) كما تساق الاسارى، حتى إذا بلغوا بهم الكوفة خرج الناس ينظرون إليهم، وجعلوا يبكون ويتوجعون، وعلي بن الحسين مريض، مغلول مكبل بالحديد، قد نهكته العلة، فقال: ألا إن هؤلاء يبكون ويتوجعون من أجلنا، فمن قتلنا إذن؟ (فأشرفت امرأة من الكوفة وقالت: من أي الاسارى أنتن؟ فقلن: نحن أسارى آل محمد (ص) فنزلت وجمعت ملاء وأزرا ومقانع وأعطتهن<sup>١</sup>).

خطبة زينب (ع):

وقال بشير بن حذيم الأسدي: نظرتُ إلى زينب بنت علي يومئذ - ولم أر خفرة قطً انطق منها كأنها تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وتفريغ عنه - وأومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الانفاس، وسكنت الاجراس، فقالت:

« الحمد لله، والصلاة على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطيبين

(١) ما بين القوسين في مثير الاحزان ص ٦٦ ثم رجعنا إلى رواية ابن أعثم .

الاخيار آل الله، وبعد ! يا أهل الكوفة ! ويا أهل المختل، والمخلد، والغدر ! أتبيكون ؟ فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، أنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا. تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ! ألا وهل فيكم إلا الصلف، والطنف، والشنف<sup>١</sup>، وملق الاماء وغمز الاعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كقصعة<sup>٢</sup> على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبيكون وتنتحبون ؟ ! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة وملاذ خيرتكم ومفرع نازلتكم، ومنار حجّتكم ومدره<sup>٣</sup> الستكم ألا ساء ما تزرّون وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبت الايدي، وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة !

أندرون أيّ كبد لرسول الله فريتم ؟ وأيّ دم له سفكتكم ؟ وأيّ جريمة له أبرزتم ؟ وأيّ حريم له أصبتم ؟ وأيّ حرمة له انتهكتكم ؟ لقد جثتم شيئاً إذاً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض منه، وتخزّ الجبال هذا، أن ما جثتم بها لصلعاء، وعنقاء سوءاء فقهاء خرقاء شوهاء، كطلاع الأرض وملاء السماء. أفعجبتكم أن قطرت السماء دماً ؟ ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفّنكم المهل، فأنه عزّ وجلّ لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، كلّاً أن ريكتم لبالمرصاد .

(١) الأول الوقاحة والثاني فساد الأخلاق والثالث الكراهة .

(٢) يهي الجص .

(٣) كمنبر ، المقدم من اللسان .

قال بشير : فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى، كأنهم كانوا سكارى، يبكون ويحزنون، ويتفجعون ويتأسفون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم. قال: ونظرت إلى شيخ من أهل الكوفة كان واقفاً إلى جنبي، قد بكى حتى أخضلت لحيته بدموعه وهو يقول: صدقتِ بأبي وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبانكم خير الشبان، ونساؤكم خير النسوان، ونسلكم خير نسل لا يخزي ولا ييزى<sup>١</sup>.

خطبة فاطمة ابنة الحسين (ع):

وفي مثير الاحزان واللهوف: وخطبت فاطمة الصغرى فقالت: الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ أولاده ذبحوا بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ترات. اللهم إني أعوذ بك أن أفترى عليك الكذب أو أن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوحيه علي بن أبي طالب، المقتول - كما قُتل ولده بالأمس - في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة بألستهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته وبعد وفاته، حتى قبضته اليك محمود النقية طيّب العريكة، معروف المناقب مشهور المذهب، لم تأخذه فيك لومة لائم، زاهداً في الدنيا، مجاهداً في سبيلك، فهديته إلى صراطك المستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلاء! فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاككم بنا؛ فجعل بلاءنا حسناً وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، أكرمنا بكرامته، وفضلنا بمحمد نبيه صلى الله عليه وآله على كثير ممّن خلق تفضيلاً فكذبتمونا ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهياً،

(١) تاريخ ابن أعثم ٢٢١/٥ - ٢٢٦، ومقتل الخوارجي ٤٠/٢ - ٤٢. ولا ييزى: لا يقهر.

كأنّا أولاد ترك أو كابل، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا،  
ونالت أيديكم من أموالنا، فكأنّ العذاب قد حلّ بكم، وأتت نقمات، ألا  
لعنة الله على الظالمين، تبّاً لكم يا أهل الكوفة ! أيّ ترات لرسول الله صلّى  
الله عليه قبلكم وذحول له لديكم بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي  
وبنيه وعترته وافتخر بذلك مفتخركم فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي

بسيوف هندية و رماح

وسبينا نساءهم سبي ترك

ونطحناهم فأي . نطاح

بفيك الكشكث والأثلب، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله في كتابه  
وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فأقع كما أقمى أبوك، وأنا لكل امرئ ما  
اكتسب، أحسدتمونا على ما فضلنا الله تعالى به ؟ ذلك فضل الله يؤتيه من  
يشاء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . فضجّ الموضع بالبكاء والحنين  
وقالوا: حسبك يا ابنة الطيّين فقد أحرقت قلوبنا وأضرمت أجوافنا  
فسكتت.

خطبة أم كلثوم :

وقال : وخطبت أمّ كلثوم بنت علي (ع) وقد غلب عليها البكاء فقالت :  
يا أهل الكوفة، سوءة لكم ! مالكم خلدتم حسيناً وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله  
وسبيتم نساءه ونكبتموه ؟ ! فتبّا لكم وسحقا . ويلكم أتدرون أيّ دواه  
دهتكم ! وأيّ دماء سفكتموها ! وأيّ كريمة أصبتموها ! وأيّ أموال  
انتهبتموها ! قتلتم خير رجالات بعد النبي صلّى الله عليه وآله ! ألا إنّ حزب  
الله هم الفائزون وحزب الشيطان هم الخاسرون ثمّ قالت :



قتلتُم أخي صبراً فويل لأممكم  
سفكتُم دماءَ حرم الله سفكها  
ألا فابشروا بالنار إنكم غدا  
وأنِّي لأبكي في حياتي على أخي  
بدمع غزير مستهلّ مكفكف  
فضجّ الناس بالبكاء والنوح<sup>١</sup>.

ستجزون ناراً حرّها يتوقّد  
وحرّمها القرآن ثمّ محمد  
لفي سقر حقاً يقينا تخلصوا  
على خير من بعد النبي سيولد  
على الخلد مني ذايبا ليس يجمد

(١) مثير الاحزان ٦٦ - ٦٩، واللهوف، وابن شهر آشوب في المناقب .

## آل رسول الله (ص) في دار الامارة

روى الطبري بسنده، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرحتني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعاثيته، فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل، فإذا برأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: أعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذي لا إله غيره، لقد رأيت شفتي رسول الله (ص) على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضح الشيخ يبكي فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله فقلت: ما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول؛ ملك عبد عبداً فاتخذهم تُلداً. أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستبعد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل، قال: فلما دخل برأس حسين وصبيانته وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكرت

وحفّت بها اماؤها، فلما دخلت جلست فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً، كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض امائها: هذه زينب ابنة فاطمة قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب احدوشتكم. فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد (ص) وطهرنا تطهيرا، لا كما تقول أنت، انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده. قال: فغضب ابن زياد واستشاط. قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير انما هي امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها؟ انها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطئ، فقال لها ابن زياد: قد أسفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك! قال: فبكت، ثم قالت: لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فان يشفك هذا، فقد اشتفيت، فقال لها عبيد الله: هذه سجاعة! قد لعمرى كان أبوك شاعراً سجاعاً! قالت: ما للمرأة والسجاعة ان لي عن السجاعة<sup>١</sup> لشغلا ولكني نفثي ما أقول.

وروى عن حميد بن مسلم قال: اني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين، فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت. فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟ قال: قد كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتلته الناس. قال: ان الله

(١) السجع: الكلام المقفى أو موالاة الكلام على روي واحد. وقد يطلق السجع على الكلام المسجع و سجع الخطيب سجعاً نطق بكلام له فواصل فهو سجاع و سجاعة بتشديد الجيم وهذا ما أراده ابن زياد في قوله و أجابته زينب بأن ما يسفلها عن سجع الكلام وما ورد في النسخة ( السجاع و الشجاعة ) تحريف.

قد قتله . قال : فسكت عليّ . فقال له : ما لك لا تتكلّم ؟ قال : الله يتوفّى الأنفس حين موتها وما كان لنفس أن تموت إلّا بأذن الله . قال : أنت والله منهم ( ويحك انظروا هل أدرك والله أنّي لاحسبه رجلا )<sup>١</sup> قال : فكشف عنه مُرِّي بن معاذ الأحمري فقال : نعم قد أدرك . فقال : أُقتله . فقال عليّ بن الحسين من توكلّ بهؤلاء النسوة ؟ وتعلّقت به زينب عمّته فقالت : يا ابن زياد حسبك منّا أما رويت من دماننا ؟ وهل أبقيت منّا أحدا ؟ قال : فاعتنقته فقالت : أسألك بالله ان كنت مؤمنا إنّ قتلته لَمّا قتلتي معه . قال : وناداه عليّ فقال : يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهم رجلا تقيّا يصحبهم بصحبة الاسلام قال : فنظر اليها ساعة ثمّ نظر إلى القوم فقال : عجباً للرحم والله أنّي لاظنّها ودّت لو أنّي قتلته أنّي قتلتها معه . دعوا الغلام . انطلق مع نسائك .

قال حميد بن مسلم : لَمّا دخل عبيدالله القصر ودخل الناس نودي الصلاة جامعة ؛ فاجتمع الناس في المسجد الأعظم فصعد المنبر ابن زياد فقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب الحسين بن عليّ وشيعته ، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتّى وثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي ثمّ أحد بني البتة - وكان من شيعة عليّ كرم الله وجهه وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع عليّ فلمّا كان يوم صَفّين ضرب على رأسه ضربة واخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصليّ فيه إلى الليل ثمّ ينصرف - قال : فلمّا سمع مقالة ابن زياد قال : يا ابن مرجانة ! إنّ

(١) ان علي بن الحسين السجاد كان قد ولد له محمد الباقر (ع) يومذاك، ومع هذا لا يستقيم هذا القول وهذه الجملة زيادة في الرواية لم ترد ضمن رواية الطبرسي في إعلام الوری.

الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولأك وأبوه ! يا أبن مرجانة !  
 أقتلوا أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين ! فقال ابن زياد: عليّ به .  
 قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذه قال: فنادى بشعار الأزدي: يا مبرور ! قال:  
 وعبدالرحمان بن مخنف الأزدي جالس ، فقال: ويح غيرك ! أهلك نفسك  
 وأهلك قومك ، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزدي سبعمائة مقاتل ، قال:  
 فوثب إليه فتية من الأزدي ، فانتزعوه فأتوا به أهله ، فأرسل إليه من أتاه به فقتله ،  
 فأمر بصلبه في السبخة فصلب هناك .

رأس الإمام يدار به في سكك الكوفة:  
 قال أبو مخنف: ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة  
 فجعل يدار به في الكوفة .

## اخبار مدينة الرسول (ص) بقتل سبط الرسول (ع) :

وروى الطبري بسنده عن عوانة بن الحكم قال : لما قتل عبيدالله بن زياد الحسين بن علي ، و جيء برأسه إليه ، دعا عبدالملك بن أبي الحارث السلمي فقال : انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص ، فبشره بقتل الحسين ، وكان عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يومئذ . قال : فذهب ليعتل له فزجره وكان عبيدالله لا يصطلي بناره ، فقال : انطلق حتى تأتي المدينة ولا يسبقك الخبر ، وأعطاه دنائير وقال : لا تعتل وان قامت بك راحلتك فاكثر راحلة قال عبدالملك : فقدمت المدينة فلقيني رجل من قریش فقال : ما الخبر ؟ فقلت : الخبر عند الأمير . فقال : أنا لله وإنا إليه راجعون ، قتل الحسين بن علي ، قال : فدخلت على عمرو بن سعيد فقال : ما وراءك ؟ فقلت : ما سرُّ الأمير ، قتل الحسين بن علي ، فقال : ناد بقتله ، فناديت بقتله ، فلم أسمع والله واعية قطُّ مثل واعية نساء بني هاشم في دورهنَّ على الحسين ! فقال عمرو بن سعيد وضحك :

عجّت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الارنب

والأرنب وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان وهذا البيت لعمرو بن معدي كرب ثم قال عمرو : هذه

واعية بواعية عثمان بن عفّان ، ثمّ صعد المنبر فأعلم الناس قتله .  
 وفي الأغاني : أمر عمرو صاحب شرطته على المدينة بعد خروج الحسين  
 أن يهدم دور بني هاشم ففعل وبلغ منهم كلّ مبلغ<sup>١</sup> .  
 وروى الطبري بسنده وقال : لمّا بلغ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب  
 مقتل ابنه مع الحسين ، دخل عليه بعض مواليه والناس يعزّونه قال :  
 - ولا أظنّ مولاه ذلك إلّا أبا اللّسلاس - ؛ فقال : هذا ما لقينا ودخل علينا من  
 الحسين . قال : فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله ، ثمّ قال : يا ابن اللّخناء !  
 أللّحسين تقول هذا ١٢ واللّهُ لو شهدته لاحببت أن لا أفارقه حتى أُقتل معه ،  
 واللّهُ أنّه لمّا يسخي بنفسي عنهما ، ويهون عليّ المصاب بهما ، أنّهما أصيبا مع  
 أخي وابن عمّي مواسيين له صابرين معه . ثمّ أقبل على جلسائه ، فقال :  
 الحمد لله ! عزّ عليّ بمصرع الحسين . إلّا يكن آست حسينا يدي فقد آساه  
 ولدي قال : ولمّا أتى أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي  
 طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بشويها وهي تقول :

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم      ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم  
 بعترقي وبأهلي بعد مفتقدي      منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم

دفن أجساد آل الرسول وأنصارهم :

وفي اثبات الوصية للمسعودي : أقبل زين العابدين في اليوم الثالث عشر  
 من المحرمّ لدفن أبيه<sup>٢</sup> . وقال المفيد في الارشاد : لمّا رحل ابن سعد خرج قوم  
 من بني أسد كانوا نزولا بالغازية إلى الحسين وأصحابه فصلّوا عليهم ودفنوا  
 الحسين (ع) حيث قبره الآن ، ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر عند رجله

(١) الاغاني ٤/ ١٥٥ .

(٢) اثبات الوصية للمسعودي ص ١٧٣ .

وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله، ممّا يلي رجلي الحسين (ع)، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً، ودفنوا العباس بن علي (ع) في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاصرية حيث قبره الآن<sup>١</sup>.

إخبار الخليفة يزيد بقتل الحسين (ع):

روي الطبري بسنده وقال: لما قتل الحسين وجيء بالاثقال والاسارى حتّى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله، فبينما القوم محتبسون، إذ وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله، قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر أُلقي في السجن، ومعه كتاب مربوط وموسى، وفي الكتاب أوصوا وأعهدوا فإنها ينتظر البريد يوم كذا وكذا، فجاء البريد ولم يسمع التكبير، وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلى<sup>٢</sup>.

إرسال أسارى آل البيت (ع) إلى عاصمة الخلافة الشام:

روي الطبري أيضاً وقال: إنّ عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبياناه فجهزن وأمر بعلي بن الحسين فغلّ بغلّ إلى عنقه، ثمّ سرح بهم مع محفّز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش، ومع شمر بن ذي الجوشن، فانطلقا بهم حتّى قدموا على يزيد، فلم يكن عليّ بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتّى بلغوا.

وفي فتوح ابن أعثم: قال: دعا ابن زياد زحر بن قيس الجعفي، فسلم

(١) إرساد المفيد ص ٢٢٧.

(٢) الطبري ط. أوربا ٣٨٠/٢.



إليه رأس الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، ورؤوس اخوته ورأس علي بن الحسين ورؤوس أهل بيته وشيعته، رضي الله عنهم أجمعين. ودعا علي بن الحسين (أيضاً) فحمله وحمل أخواته وعمّاته وجميع نسائهم إلى يزيد بن معاوية، قال: فسار القوم بحرم رسول الله (ص) من الكوفة إلى بلاد الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل، كما تساق أسارى الترك والديلم<sup>١</sup>.

(١) فتوح أعثم ٢٣٦/٥، وقريب منه نص الطبري ط. اوربا ٣٧٤/٢ - ٣٧٥.

## استقبال الخليفة و عاصمته لآل الرسول (ص)

استقبال خليفة المسلمين رؤوس آل رسول الله (ع) و أنصارهم :  
في تذكرة سبط ابن الجوزي : روى عن الزهري ، قال : لَمَّا جاءت  
الرؤوس كان يزيد في منظره على رؤى جيرون فأنشد لنفسه :  
لَمَّا بدت تلك الحمول وأشرق  
تلك الشموس على رؤى جيرون  
نعب الغراب فقلت صبح أو لا تصبح  
فلقد قضيت من الغريم ديوني<sup>١</sup>

حاجة أم كلثوم إلى شمر :  
في مثير الاحزان واللهوف ، انهم لَمَّا قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من  
شمر وقالت له : - لي إليك حاجة . فقال : ما حاجتك ؟ قالت : - إذا دخلت  
بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة ، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس  
من بين المحامل وينحّونا عنها ، فقد خزيننا من كثرة النظر إلينا ونحن في مثل  
هذه الحال .

(١) تذكرة الخواص ١٤٨/٢ ، و جيرون كان خارج دمشق . راجع مادة جيرون من معجم البلدان .

فأمر في جواب سؤالها أن يجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل  
وسلك بهم بين النظارة حتى أتى بهم باب دمشق<sup>١</sup>.

### هيد بعاصمة الخلافة:

في مقتل الخوارزمي عن سهل بن سعد قال: خرجت إلى بيت المقدس  
حتى توسّطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الانهار كثيرة الأشجار قد علّقوا  
الستور والحجب والدياج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن  
بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لعلّ لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن،  
فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟  
قالوا: يا شيخ! نراك غريباً؟ فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت رسول  
الله (ص) وحملت حديثه، فقالوا: يا سهل! ما أعجبك السماء لا تمطر  
دماً! والأرض لا تخسف بأهلها! قلت: ولم ذاك؟ فقالوا هذا رأس  
الحسين عترة رسول الله (ص) يهدى من أرض العراق إلى الشام وسيأتي  
الآن. قلت: وأعجباً! أيهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟! فمن أي  
باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له: باب الساعات، فسرت نحو الباب،  
فبينما أنا هنالك، إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا أنا بفارس بيده  
رمح منزوع السنان، وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله، وإذا  
بنسوة من ورائه على جمال بغير وطاء.

### حاجة سكيّنة:

قال سهل: فدنوت من احداهنّ فقلت: يا جارية من أنت؟ فقالت:  
سكيّنة بنت الحسين. فقلت لها: ألك حاجة اليّ؟ فأنا سهل بن سعد ممّن

(١) منير الاحزان ص ٧٧، واللهوف ص ٦٧.

رأى جدك وسمع حديثه . قالت : يا سهل قل لصاحب الرأس : أن يتقدم  
بالرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا ! فنحن حرم  
رسول الله ، قال : فدنوت من صاحب الرأس وقلت له : هل لك أن تقضي  
حاجتي وتأخذ مني أربعمئة دينار ١٩ قال : وما هي ؟ قلت : تقدم الرأس أمام  
الحرم ، ففعل ذلك ودفعت له ما وعدته<sup>١</sup> .

(١) مقتل الخوارزمي ٢/٦٠ - ٦١ .

## دخول أسرى آل الرسول (ص) عاصمة الخلافة الإسلامية

روى ابن أعثم وغيره<sup>١</sup> واللفظ لابن أعثم، قال: وأتني بحرم رسول الله (ص) حتى أدخلوا مدينة دمشق من باب يقال له: باب توما، ثم أتني بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبي وإذا شيخ قد أقبل حتى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح الرجال من سطوتكم وأمكن أمير المؤمنين منكم! فقال له علي بن الحسين: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته، قال: فعرفت هذه الآية ﴿قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾<sup>٢</sup> قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي بن الحسين رضي الله عنه: فنحن القربى يا شيخ. قال: فهل قرأت في سورة بني إسرائيل ﴿وأت ذا القربى حقّه﴾<sup>٣</sup> قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي رضي الله عنه: نحن القربى يا شيخ، ولكن هل قرأت هذه الآية: ﴿واعلموا

(١) في تاريخ ابن أعثم ٢٤٢/٥ - ٢٤٣، وأوردها الطبري متفرقة في تفسير الآيات بتفسيره وبعضه بتفسير ابن كثير ١١٢/٤، ومقتل الخواري ٦١/٢، ويختلف سياق اللهوف ص ٦٧، وأمالى الصدوق ص ١١٦ مع هذا السياق. كان باب توما في الشمال الشرقي من مدينة دمشق، راجع الخريطة الملحقة بالمجلدة الثانية من تاريخ دمشق.

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٣) سورة الاسراء الآية ٢٦.

أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴿١﴾ [ قال الشيخ : قد قرأت ذلك، قال علي : ٢ ] فنحن ذو القربى يا شيخ ، ولكن هل قرأت هذه الآية : ﴿ أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ ٣ ؟ قال الشيخ : قد قرأت ذلك، قال علي : فنحن أهل البيت الذين خصصنا بآية التطهير . قال : فبقي الشيخ ساعة ساكتا نادما على ما تكلمه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني تائب إليك عما تكلمته ومن بغض هؤلاء القوم ، اللهم إني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والانس .

#### ادخال آل الرسول مجلس الخلافة :

روى الطبري وقال : جلس يزيد بن معاوية ودعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونساء فأدخلوا عليه والناس ينظرون .

وروى سبط ابن الجوزي وغيره وقالوا : أن الصبيان والصبيات من بنات رسول الله كانوا موثقين في الحبال ٤ .

وروى الطبري وغيره قالوا : لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد ، رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه قال يزيد :

يفلّقن هاما من رجال أعزة

علينا وهم كانوا أعق وأظلم

فقال يحيى بن الحكم أخو مروان :

(١) سورة الأنفال الآية ٤١ .

(٢) هكذا ورد في النسخة .

(٣) الاحزاب ٣٣ .

(٤) تذكرة خواص الامة ص ١٤٩ ، وفي اللهوف ، ومير الأحران ص ٧٩ و اللفظ للتذكرة .

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابة  
من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل  
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى  
وبنت رسول الله ليس لها نسل  
فضرب يزيد في صدر يحيى وقال: اسكت.<sup>١</sup>

بين السجاد (ع) ويزيد:  
وفي مثير الاحزان وغيره، فقال عليّ بن الحسين: أتأذن لي في الكلام؟  
فقال: قل ولا تقل هجرا! فقال عليّ بن الحسين: لقد وقفت موقفا لا ينبغي  
لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنك برسول الله لورآني في غلّ؟ فقال لمن حوله:  
حلّوه.<sup>٢</sup>

وفي تاريخ الطبري وغيره: قال يزيد لعلي بن الحسين: أبوك الذي قطع  
رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت.  
قال عليّ: ما أصابكم من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلّا في  
كتاب من قبل أن نراها.  
فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه، قال: فما درى خالد ما يرّد عليه،  
فقال له يزيد: قل: ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن  
كثير، ثمّ سكت عنه.

حبر من اليهود يستنكر على يزيد:  
في فتوح ابن أعثم، قال: فالتفت حبر من أحبار اليهود وكان حاضراً  
فقال: من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا، صاحب الرأس أبوه.

(١) الطبري، ط. أوروبا ٣٧٧/٢.

(٢) مثير الأحزان ص ٧٨.

قال: ومن هو صاحب الرأس يا أمير المؤمنين؟ قال: الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: فمن أمّه؟ قال: فاطمة بنت محمد (ص).

فقال الخبر: يا سبحان الله هذا ابن (بنت) نبيكم قتلتموه في هذه السرعة؟ بشس ما خلقتموه في ذريته، والله لو خلف فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لكنّا نعبده من دون الله، وأنتم إنشأ فارقكم نبيكم بالامس فوثبتم على ابن نبيكم فقتلتموه. سوء لكم من أمة! قال: فأمر يزيد بكراً<sup>١</sup> في حلقه، فقال الخبر: ان شئتم فاضربوني أو فاقتلوني أو قرّروني، فأنّي أجد في التوراة أنه من قتل ذرية نبي لا يزال مغلوباً أبداً ما بقي، فإذا مات يصلّيه الله نار جهنم<sup>٢</sup>.

شامي يطلب عترة الرسول (ص) جارية له:

روى الطبري عن فاطمة بنت الحسين أنّها قالت: أنّ رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه - أتخذها أمة<sup>٣</sup> - يعنيني وكنت جارية وضيئة فأرعدت وفرقت، وظننت أنّ ذلك جائز لهم وأخذت بشياب عمّتي<sup>٤</sup> زينب، قالت: وكانت عمّتي زينب أكبر منّي وأعقل، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون، فقالت: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله. فغضب يزيد فقال: كذبت والله ان ذلك لي، ولو شئت ان أفعله لفعلت. قالت: كلا والله! ما جعل الله ذلك لك إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا، قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: أيّاي

(١) أي: بضرب في حلقه.

(٢) فتوح ابن أعثم ٢٤٦/٥.

(٣) ما بين الخططين في مقاتل الطالبين ص ١٢٠.

(٤) في الأصل: أختني محرف.



تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديت أنت وأبوك وجدك. قال: كذبت يا عدوة الله قالت: أنت أمير مسلّط تشتم ظلما وتقهّر بسلطانك، قالت: فوالله لكأنّه استحيى فسكت، ثم عاد الشاميّ فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، قال: أغرب وهب الله لك حتفا قاضيا.

رأس سبط رسول الله (ص) بين يدي خليفة المسلمين:

في فتوح ابن أعثم وغيره واللفظ لابن أعثم، قال: وضع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية في طست من ذهب، فدعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين، وهو يقول: لقد كان أبو عبدالله حسن الثغرا.

قال الطبري وغيره واللفظ للطبري: فقال رجل من أصحاب رسول الله (ص) يقال له أبو برزة الاسلمي: أتنتك بقضيبك في ثغر الحسين ؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً، لربّما رأيت رسول الله (ص) يرشفه ! أما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيحك ! ويجيء هذا يوم القيامة ومحمّد شفيعه ! ثمّ قام فولى.

وفي اللهوف عن الإمام زين العابدين (ع)، قال: لَمّا أتني برأس الحسين (ع) إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ويأتي برأس الحسين ويضعه بين يديه ويشرب عليه فحضر ذات يوم في مجلسه رسول ملك الروم وكان من أشرف الروم وعظماهم، فقال يا ملك العرب هذا رأس من ؟ فقال له يزيد مالك ولهذا الرأس ؟ فقال: أنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتّى يشاركك في الفرح والسرور. فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فقال

(١) في فتوح ابن أعثم ٢٤١/٥ « المنطق »، وفي غيره « الثغر » كما أثبتناه.

الرومي : وأمه ؟ فقال : فاطمة بنت رسول الله ، فقال النصراني : أف لك ولدينك ، لي دين أحسن من دينكم . أن أبي من حوافد داود (ع) وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظموني ، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله (ص) وما بينه وبين نبيكم إلا أم واحدة ! فأي دين دينكم . . . ؟ !

خليفة المسلمين يتمثل بأبيات ابن الزبيري :

روى ابن أعثم و الخوارزمي و ابن كثير وغيرهم ، أن خليفة المسلمين يزيد جعل يتمثل بأبيات ابن الزبيري .

- ١ - ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
  - ٢ - لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يابزيد لا تشل
  - ٣ - قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
- قال ابن أعثم :

ثم زاد فيها هذا البيت من نفسه :

- ٤ - لست من عتبة ان لم أنتقم من بني أحمد ماكان فعل
- وفي تذكرة خواص الأمة : « المشهور عن يزيد في جميع الروايات أنه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكت عليه بالخيزران ويقول أبيات ابن الزبيري :

- ليت أشياخي ببدر شهدوا وقعة الخزرج من وقع الاسل
  - قد قتلنا القرن من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
- وقال : قال الشعبي : وزاد عليها يزيد فقال :

- ٥ - « لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

(١) اللهوف، ص ٦٩ .

لست من خندف ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل<sup>١</sup>

قال المؤلف: لَمَّا كانت أبيات ابن الزبيري مشهورة ترويه الرواة قبل تمثّل يزيد ببعضها ثمّ تمثّل بها يزيد وأضاف إليها الأبيات الثاني والرابع والخامس فأخذها الرواة عنه وأحياناً أضافوا إلى ما أنشده يزيد ما كان في ذاكرتهم من أصل الأبيات ومن ثمّ حصل بعض الاختلاف في الفاظ الروايات.

كما أننا نعرف من رواية الإمام زين العابدين الأنفة والتي ورد فيها ( أن يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ويأتي برأس الحسين ويضعه بين يديه ) سبب تعدّد ما روي من قصص عن مجلس يزيد عندما كان رأس الحسين أمامه.

(١) ان أبيات ابن الزبيري وردت في سيرة ابن هشام ٩٧/٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٨٢/٢، وورد في ما تمثّل به يزيد في فتوح ابن أعثم ٢٤١/٥ بعد البيت الثاني.

حين ألفت بقباء بركها واستحرّ القتل في عبد الاشل  
وهذا من أبيات ابن الزبيري، وكذلك ورد في تاريخ ابن كثير ١٩٢/٨. وورد في مقتل الخوارزمي ٥٨/٢ قبل البيت الأول.

يا غراب البين ما شئت فقل انما تندب أمرا قد فعل  
كل ملك و نعيم زائل و بنات الدهر يلعبن بكل  
وجاء فيه أيضاً وفي اللهوف ص ٦٩ بعد البيت الرابع:

لعبت هاتم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وفي نسختنا من مثير الاحزان ص ٨٠ سقط البيت الرابع، وفي تاريخ ابن كثير ٢٠٤/٨، رواها عن تاريخ ابن عساكر عن ربا حاضنة يزيد واكتفى بذكر البيت الأول، واكتفى أبو الفرج في مقاتل الطالبين ص ١٢٠ بذكر البيت الأول والثالث، وذكرنا في المتن لفظ تذكرة خواص الامة ص ١٤٨، وراجع أيضاً طبقات فحول الشعراء ص ٢٠٠، وسمط النجوم العوالي ١٩٩/٣، فقد روى عنها بهامش فتوح ابن أعثم، وراجع أيضاً الأمالي لأبي علي القالي ١٤٢/١.

خطبة حفيذة رسول الله (ص) في مجلس الخلافة :

في مثير الاحزان واللهوف بعده : فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب، فقالت: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى؛ انّ بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والامور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلا مهلا، أنسيت قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ؟

« أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائك وإماءك؟ وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوهنّ، تحدوبهنّ الاعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمعازل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدنيّ والشريف، ليس معهنّ من حماتهنّ حمي ولا من رجاهنّ وليّ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنان، والإخن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يايزيد لا تشلّ  
« منحنيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها

بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستاصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد (ص) ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب، وتتهف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكا مورداهم، ولتودن أنك شلت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت .»

« اللهم خذ لنا بحقنا ، و انتقم ممن ظلمنا، و احلل غضبك بمن سفك دماءنا، و قتل حماتنا . فوالله ما فريت إلا جلدك، و لا حزرت إلا لحمك، و لتردن على رسول الله (ص) بما تحملت من سفك دماء ذريته، و انتهكت من حرمة في عترته و لحمته، حيث يجمع الله شملهم، و يلتم شعهم و يأخذ بحقهم؛ و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون .»

« و حسبك بالله حاكماً، و بمحمد (ص) خصيماً، و بجبريل ظهيراً، و سيعلم من سؤل لك و مكّنك من رقاب المسلمين بشس للظالمين بدلا، و أيكم شرّ مكانا و أضعف جنداً، و لئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك و استعظم تقريعك، و استكثر توبيخك، و لكن العيون عبرى، و الصدور حرّى. ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دماثنا، و الأفواه تتحلّب من لحومنا، و تلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، و تعفرها أمهات الفراعيل، و لئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكا مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك و ما ربك بظلام للعبيد، و إلى الله المشتكى و عليه المعول .»

« فكد كيدك، و اسع سعيك، و ناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، و لا تميت وحيانا، و لا يُرحض عنك عارها، و هل رأيك إلا فند و أيامك إلا عدد، و جمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين .»  
« و الحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة و المغفرة،

ولاخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم  
المزيد، ويحسن علينا الخلافة، أنه رحيم ودود، وهو حسبنا ونعم الوكيل».   
فقال يزيد:

يا صيحة محمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح

استنكار زوجة الخليفة:

وفي تاريخ الطبري ومقتل الخوارزمي: أن زوجة يزيد - وسماها الطبري  
هند ابنة عبد الله بن عامر بن كريز - سمعت بها دار في مجلس يزيد فخرجت  
من خدرها ودخلت المجلس وقالت: يا أمير المؤمنين! رأس الحسين ابن  
فاطمة بنت رسول الله (ص)؟ قال: نعم...<sup>١</sup>  
وفي سير أعلام النبلاء وتاريخ ابن كثير وغيرهما: أن رأس الحسين  
صلب بمدينة دمشق ثلاثة أيام<sup>٢</sup>.

رأس سبط الرسول (ص) يهدى إلى عصبة الخلافة بمدينة الرسول (ص):  
قال البلاذري والذهبي: ثم بعث يزيد رأسه إلى المدينة<sup>٣</sup>.  
فقال عمرو بن سعيد: وددت والله أن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه.  
فقال مروان: بنس والله ما قلت! هاته، ثم أخذ الرأس وقال:  
ياحبذا بردك في اليمين ولونك الأحمر في الخدين<sup>٤</sup>  
وقال فجيء برأس الحسين فنصب فصرخ نساء آل أبي طالب، فقال  
مروان:

(١) تاريخ الطبري ط، اوربا مسلسل ٣٨٢/٢، ومقتل الخوارزمي ٧٤/٢.  
(٢) سير أعلام النبلاء ٢١٦/٣، ومقتل الخوارزمي ٧٥/٢، وتاريخ ابن كثير ٢٠٤/٨، وتاريخ  
ابن عساكر الحديث ٢٩٦، وراجع خطط المقرئ ٢٨٩/٢، والاتحاف بحب الأشراف ص ٢٣.  
(٣) أنساب الأشراف ص ٢١٩.  
(٤) أنساب الأشراف ص ٢١٧، وتاريخ الإسلام ٣٥١/٢.

عجّت نساء بني زبيد عجة كعجيج نسوتنا غداة الارنب  
ثمّ صحن فقال مروان :

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أركان ملك فاستقر<sup>١</sup>  
قال : وقام ابن أبي حبيش وعمرو يخطب، فقال : رحم الله فاطمة،  
فمضى عمرو في خطبته شيئاً، ثمّ قال : واعجبنا لهذا الالشح، وما أنت  
وفاطمة ؟ قال : أمّها خديجة . قال : نعم والله و ابنة محمّد أخذتها يمينا  
وشمالا، وددت والله أنّ أمير المؤمنين كان نحاه عني ولم يرسل به إليّ،  
وددت والله أنّ رأس الحسين كان على عنقه وروحه في جسده<sup>٢</sup>.  
وقال : ثمّ ردّ إلى دمشق<sup>٣</sup>.

#### خطبة السجاد (ع) في مسجد دمشق :

وفي فتوح ابن أعثم ومقتل الخوارزمي : أنّ يزيد أمر الخطيب أن يرقى  
المنبر ويشني على معاوية، ويزيد، وينال من الإمام علي والإمام الحسين،  
فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأكثر الواقعة في عليّ  
والحسين، وأطنب في تقرّظ معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين : ويلك  
أيّها الخاطب ! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؛ فتبوّأ مقعدك من النار .  
ثمّ قال : يا يزيد ائذن لي حتّى أصعد هذه الاعواد، فأتكلم بكلمات فيهنّ لله

(١) أنساب الأشراف ص ٢١٨، وتذكرة خواص الامّة ص ١٥١، وفي أمالي الشجري ص ١٨٥ -  
١٨٦، بإيجاز ودوسر : اسم كتيبة كانت للنعمان بن المنذر ملك الحيرة وكانت أشدّ كتائبه بطناً، حتى نل  
في المثل « أبطش من دوسر » وكتيبة دوسر ودوسرة: مجتمعة.

(٢) أنساب الأشراف ص ٢١٨ .

(٣) أنساب الأشراف ص ٢١٩ .

قال المؤلف: ان البلاذري لم يكتب خطبة عمرو بن سعيد لعرف سبب اعتراض ابن أبي حبيش  
عليه، وقد مرّ بي في ما قرأت أنه خاطب قبر الرسول، وقال: يوم بيوم بدر.

رضاً، وهؤلاء الجالسين أجر وثواب. فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أذن له ليصعد، فعلنا نسمع منه شيئاً فقال لهم: ان صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: أنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً. ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس، أعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة والفصاحة، والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأنّ منّا النبي المختار محمّداً (ص)، ومنّا الصديق، ومنّا الطيار، ومنّا أسد الله وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطي هذه الأمة وسيدي شباب أهل الجنة؛ فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي:

أنا ابن مَكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتمرز وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن من حجّ ولجّى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدره المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتّى قالوا لا إله إلاّ الله، أنا ابن من بايع البيعتين، وصلّى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، يعسوب المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، سمح سخى، بهلول زكيّ، ليث الحجاز وكبش العراق، مكّي مدنيّ، أبطحيّ تهاميّ، خيفيّ عقبيّ، بدريّ، أحديّ، شجريّ مهاجريّ، أبي السبطين، الحسن



والحسين، علي بن أبي طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء .  
أنا ابن بضعة الرسول . . .

قال: ولم يزل يقول أنا أنا حتّى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب،  
وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذّن فقطع عليه الكلام وسكت،  
فلما قال المؤذن: الله أكبر. قال علي بن الحسين: كبرت كبيراً لا يقاس،  
ولا يدرك بالحواس، ولا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا  
الله، قال علي: شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي ومُخي وعظمي،  
فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله التفت علي من أعلا المنبر إلى يزيد وقال:  
يا يزيد! محمّد هذا جدّي أم جدّك؟ فان زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، وان  
قلت أنّه جدّي فلمّ قتل عترته؟ قال وفرغ المؤذن من الاذان والاقامة فتقدّم  
يزيد وصلى الظهر.

#### اقامة المأتم في عاصمة الخلافة:

يبدو أن يزيد أضطّرّ بعد هذا إلى أن يغيّر سلوكه مع ذراري  
الرسول (ص) ويرفّه عنهم بعض الشيء ويسمح لهم باقامة المأتم على  
شهادتهم.

فقد روى ابن أعثم بعد ذكر ما سبق وقال: فلما فرغ من صلاته أمر  
بعلي بن الحسين وأخواته وعمّاته رضوان الله عليهم ففرّغت لهم دار فنزلوها  
وأقاموا أيّاماً يبيكون وينوحون على الحسين رضي الله عنه.

قال: وخرج علي بن الحسين ذات يوم، فجعل يمشي في أسواق دمشق،  
فاستقبله المنهال بن عمرو الصحابي فقال له: كيف أمسيّت يا ابن رسول  
الله؟ قال: أمسينا كبني اسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم ويستحيون

(١) فتوح ابن أعثم ٢٤٧/٥ - ٢٤٩، ومقتل الخواري ٦٩/٢ - ٧١، وقد أوجزنا لفظ الخطبة.

نساءهم، يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً منهم،  
وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا أهل بيت  
محمّد ونحن مغصوبون مظلومون مقهورون مقتّلون مشهورون مطرّدون، فأنّا  
للّه وإنا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال<sup>١</sup>.

(١) فتوح ابن أعمش ٢٤٩/٥ - ٢٥٠.

## ارجاع ذرية الرسول (ص) إلى مدينة جدّهم

لم يكن ما جرى في عاصمة أمية بعد وصول سبائا آل الرسول إليها في صالح حكم آل أمية فرأى يزيد أن يرجعهم إلى مدينة جدّهم مع نعمان بن بشير . كما قال الطبري وغيره واللفظ للطبري .

قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير! جهّزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلا من أهل الشام أمينا صالحا، وابعث معه خيلا وأعوانا فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهنّ ما يصلحهنّ وأخوهنّ معهنّ علي بن الحسين في الدار التي هنّ فيها، قال: فخرجن حتّى دخلن دار يزيد، فلم تبق من آل معاوية امرأة إلّا استقبلتهنّ تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثا.

قال: فدعا ذات يوم عمرو بن الحسن بن عليّ وهو غلام صغير فقال لعمر بن الحسن: أتقاتل هذا الفتى - يعني خالدا ابنه - قال: لا ولكن أعطني سكيناً واعطه سكيناً ثم أقاتله . فقام له يزيد: وأخذه فضمّه إليه ثم قال: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الخية إلّا حية، قال: ولما أرادوا أن يخرجوا أوصى بهم ذلك الرسول . قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرّق هو

وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم.

وصول آل الرسول إلى كربلاء:

في مثير الاحزان واللهوف: أنّ آل الرسول لمّا بلغوا العراق طلبوا من الدليل ان يمرّ بهم على كربلاء، فلمّا وصلوا مصرع الشهداء وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم قدموا لزيارة قبر الحسين، فوافوا في وقت واحد فتلاقوا بالحزن والبكاء، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد وأقاموا على ذلك أيّاما، ثمّ انفصلوا من كربلاء قاصدين مدينة جدهم.

إقامة العزاء خارج المدينة:

روى بشير بن جندب قال: لمّا قربنا من المدينة حطّ علي بن الحسين رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير! رحم الله أباك لقد كان شاعرا فهل تقدر على شيء منه؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله (ص) أني شاعر. فقال (ع): ادخل المدينة وانع أبا عبد الله.

قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يشرب لامقام لكم بها      قتل الحسين فأدمعي مدرار  
الجسم منه بكربلاء مضرج      والرأس منه على القنّة يدار  
قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين (ع) مع عمّاته وأخواته قد حلّوا  
بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه، قال: فلم يبق في  
المدينة مخدرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهنّ وهنّ بين باكية ونائحة  
ولا طمة، فلم يُر يوم أمرّ على أهل المدينة منه، وسألوه: من أنت؟ قال:

فقلت: أنا بشير بن جذلم، وجَّهني علي بن الحسين وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله ونسائه، قال: فتركوني مكاني وبادروني، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطَّيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط، وكان علي بن الحسين داخلا فخرج وبيده خرقة يمسح بها دموعه وخادم معه كرسي فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته، فعزَّاه الناس فأوما إليهم أن اسكتوا فسكنت فورتهم فقال: الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بُعد فارتفع في السموات العلى وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الامور وفجائع الدهور، وجيل الرزء وعظيم المصائب. أيها القوم ان الله وله الحمد ابتلانا بمصيبة جليلة، وثلمة في الاسلام عظيمة، قتل أبو عبدالله وعترته، وسبي نسائه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، أيها الناس فاي رجالات يسرون بعد قتله؟ آية عين تحبس دمعها وتضن عن انهماها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار والسموات والأرض والأشجار والحيتان، والملائكة المقربون وأهل السموات أجمعون. أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أي فؤاد لا يحن إليه؟ أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام فلا يُصمُّ؟

أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين، مذودين شاسعين، كأننا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبي تقدَّم إليهم في قتالنا كما تقدَّم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوه، فانا لله وإنا إليه راجعون.

فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان ودار رميد وعندر إليه فقبل

عذره وشكر له، وترخّم على أبيه<sup>١</sup>.

بعد وصولهم إلى المدينة :

روى الطبري بسنده عن الحارث بن كعب، قال : قالت لي فاطمة بنت عليّ : قلت لاختي زينب : يا أختي لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل لك أن نصله ؟ فقالت : واللّه ما معنا شيء نصله به إلّا حلينا قالت لها : فنعطيه حلينا قالت : فأخذت سواربي ودملجتي ، وأخذت أختي سوارها ودملجها ، فبعثنا بذلك إليه واعتذرنا إليه وقلنا له : هذا جزاؤك بصحبتك أيانا بالحسن من الفعل . قال : لو كان الذي صنعت أنّها هو للدنيا كان في حلّكنّ ما يرضيني ودونه ، ولكن واللّه ما فعلته إلّا لله ولقرابتكم من رسول الله (ص)<sup>٢</sup>.

السّجّاد (ع) يقيم العزاء أربعين سنة :

في اللّهوف : روى عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال : إنّ زين العابدين (ع) بكى على أبيه أربعين سنة ؛ صائماً نهاره ، وقائماً ليله ، فإذا حضر الافطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول : كل يا مولاي ، فيقول : قتل ابن رسول الله (ص) عطشانا فلا يزال يكرّر ذلك ويبكي حتّى يبتّل طعامه من دموعه ، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ .

قال : وحدث مولى له قال : إنّّه برز يوماً إلى الصحراء فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة ، فوقفت وأنا أسمع شهيقه ، وأحصيت عليه ألف مرّة يقول : ( لا إله إلّا الله حقاً حقاً . لا إله إلّا الله تعبداً و رقاً ، لا إله إلّا الله

(١) مير الأحزان ص ٩٠ - ٩١ ، واللّهوف ٧٦ - ٧٧ .

(٢) تاريخ الطبري . ط . اوربا ٣٧٩/٢ .

إيماناً وصدقاً ) ثم رفع رأسه من سجوده وأنّ لحيته ووجهه قد غمرا من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي أما أن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقل؟ فقال: ويحك! أن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً وابن نبي، له اثنا عشر ابناً فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي؟<sup>١</sup>

رأس ابن زياد بين يدي السجاد (ع):

وذكر اليعقوبي وقال: وجّه المختار برأس عبيدالله بن زياد إلى علي بن الحسين في المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب علي بن الحسين، فإذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس، فذلك الذي فيه طعامه، فادخل إليه، فجاء الرسول إلى باب علي بن الحسين، فلما فتحت أبوابه، ودخل الناس للطعام، دخل ونادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي، أنا رسول المختار بن أبي عبيد، معي رأس عبيدالله بن زياد. فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلا صرخت، ودخل الرسول فأخرج الرأس، فلما رآه علي بن الحسين قال: أبعد الله إلى النار.

وروى بعضهم أن علي بن الحسين لم ير ضاحكاً قط منذ قتل أبوه، إلا في ذلك اليوم، وأنه كان له ابل تحمل الفاكهة من الشام، فلما أتى برأس عبيدالله بن زياد أمر بتلك الفاكهة ففرقت بين أهل المدينة، وامتشطت نساء

(١) اللهوف ص ٨٠، وفي منير الأحزان ص ٩٢ بإيجاز.

آل رسول اللّٰه (ص) واختضبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل  
الحسين بن عليّ.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٩.



## حالة مدرسة الخلفاء بعد استشهاد الحسين (ع)

أ - عطاء وحبوة :

قال ابن أعثم: فلما قتل الحسين (رض) استوسق العراقيان جميعا لعبيد الله بن زياد، ووصله يزيد بألف ألف درهم جائزة، فبنى قصره الحمراء والبيضاء في البصرة وأنفق عليهما مالا جزيلا، فكان يشتي في الحمراء ويصيف في البيضاء، وعلا أمره وانتشر ذكره، وبذل الأموال واصطنع الرجال، ومدحته الشعراء<sup>١</sup>.

وقال المسعودي: جلس - يزيد - ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه، فقال:

اسقني شربة تروني مُشاشي      ثم ملّ فأسقٍ مثلها ابن زياد  
صاحب السرّ والامانة عندي      ولتسديد مغنمي وجهادي  
ثم أمر المغنين فغنّوا به<sup>٢</sup>.

قال المؤلف: نرى المقصود من ابن زياد في شعر يزيد أنّها هو عبيد الله وليس بأخيه سلم كما ذكره ابن أعثم وقال: إنّ يزيد قال له: لقد وجبت

(١) فتوح ابن أعثم ٢٥٢/٥ .

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٦٧/٣ .

محبّتكُم يا بني زياد على آل سفيان، ثمّ قال: يا غلام أطعمنا، فقدّمت المائدة  
فطعما جميعا، فلمّا أكلا دعا يزيد بالشراب، فلمّا دارت الكأس التفت يزيد  
إلى ساقبه وجعل يقول:

اسقني شربة تروّي عظامي      ثمّ مل فاسق مثلها ابن زياد  
موضع العدل والامانة عندي      وعلى ثغر مغنم وجهاد  
فإنّ هذا القول من يزيد يناسب عبيدالله و ليس أخاه سلما، و لعلّه أنشد  
البيتين للاخوين في مجلسين للشرب.

ويؤيد ذلك ما قاله سبط ابن الجوزي في التذكرة فإنّه قال: إستدعى ابن  
زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة و تحفّاً عظيمة، و قرب مجلسه و رفع منزلته،  
وأدخله على نسائه و جعله نديمه، و سكر ليلة وقال للمغنّي غن ثمّ قال يزيد  
بديها: اسقني شربة...<sup>٢</sup>

قال المؤلّف: هكذا كان عطاؤه و حباؤه لقائد جنده، أمّا عطاؤه للجنود  
فقد ذكره البلاذري وقال: كتب يزيد إلى ابن زياد: أمّا بعد، فزد أهل الكوفة  
أهل السمع والطاعة في أعطياتهم مائة مائة<sup>٣</sup>.  
عاش قتلة الحسين هكذا في حبور و سرور و استبشار حتّى إذا ظهرت  
آثار أفعالهم ندموا على ما فعلوا.

ب - ندم عصبة الخلافة بعد ظهور نتائج أفعالهم:  
قال ابن كثير وغيره و اللفظ لابن كثير: لمّا قتل ابن زياد الحسين ومن  
معه و بعث برؤوسهم إلى يزيد، سرّ بقتلهم أوّلا، و حسنت بذلك منزلة آبن

(١) الفتوح لابن أعنم ٢٥٤/٥.

(٢) تذكرة خواص الأمة ص ١٦٤.

(٣) أنساب الأشراف ص ٢٢٠.

زياد عنده، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم وقال: بغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة فأبغضني البرّ والفاجر<sup>١</sup>.  
وكذلك يظهر ندم آبن زياد وعمر بن سعد وسائر قتلة آل رسول الله مما ورد في كتب التاريخ، وقد أعرضنا عن نقلها روماً للاختصار. وإنّما ندموا من فعلهم بسبب ما رأوا من آثار سخط المسلمين عليهم أولاً، ثمّ لثورات المسلمين المستمرة عليهم بعد ذلك كما نشرحه في الباب الآتي بحوله تعالى.

(١) ابن كثير ٢/٢٣٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/٣٥١.



## الفصل الثاني

ثورات أهل الحرمين و غيرهم  
بعد استشهاد الإمام الحسين (ع)



## ثورة أهل الحرمين

غايبتنا من إيراد خبر مقتل الإمام الحسين (ع) لم أقصد في ما أوردت من أخبار مقتل الإمام الحسين (ع) استقصاء أخبار مقتله ولا تحقيق حوادثه، ولا بيان زمانها وتحديد مكانها، بل توخيت في ما أوردت فهم آثار مقتله على مدرستي الإمامة والخلافة في الإسلام، وكان يكفيني في هذا الصدد ما أوردته على سبيل التنبيه .

وكان من آثار مقتله على مدرسة الخلافة ثورات المسلمين المستمرة على حكم آل أمية وفي مقدمتها ثورة أهل الحرمين كما نبينها في ما يلي:

قال المسعودي: لما شمل الناس جور يزيد وعماله، وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله (ص) وأنصاره، وما أظهر من شرب الخمر، وسيره سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته<sup>١</sup>، امتنع ابن الزبير من بيعة يزيد، وكان يسميه السكير الخمر، وكتب إلى أهل المدينة ينتقصه، ويذكر فسوقه، ويدعوهم إلى معاضدته على حربه<sup>٢</sup>.

(١) مروج الذهب ٦٨/٣، وتاريخ ابن كثير ٢١٩/٨ .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٢٦٣ .

وقال الطبري وغيره: لما قتل الحسين (ع) قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة، فقال بعد أن حدا الله وأثنى عليه وصلى على محمد (ص):

إنَّ أهل العراق غدر وفجر الآ قليلا وإنَّ أهل الكوفة شرار أهل العراق وإنهم دعوا حسينَ بضروء ويؤثوه عليه فتمَّ قدم عليه دروا اليد فقتلوا له أما أن تضع يدك في ايدينا فنبعث بك الى ابن زياد ابن سمية ملأ فيمضي فيك حكمه وأما أن نخارب، فرأى والله أنه هو واصحابه قليل في كثير وإن كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحدا انه مفتول وبخنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله حسينا وأخرى قاتل حسين، لعمرى لقد كان من خلافهم آياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم ولكنته ما حتم نازل واذا أراد الله أمرا لن يدفع أبعد الحسين نظمتم إلى هؤلاء القوم ونصذق فوهم ونفيل هم عهدا لا، ولا براهم لذلك أهلا، أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه، كثيرا في النهار صيامه، أحق بماهم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبذل في القرآن الغناء ولا البكاء من خشية الله الخداء، ولا بالصيام شرب الحرام. ولا بالمجالس في حلق الذكر الرقص في تطلاب الصيد — يعرض يزيد — فسوف يلقون غيا، فثار اليه أصحابه، فقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد اذ هلك حسين ينازعك هذا الامر، وقد كان يبايع الناس سرا ويظهر أنه عائد بالبيت، فقال لهم: لا تعجلوا وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة وقد كان أشد شيء عليه وعلى أصحابه، وكان مع شدته عليهم يداري ويرفق فلما استقر عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة أعطى الله عهدا ليوثقته في سلسلة فبعث بسلسلة من فضة فتربها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة فأخبر خبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه فقال مروان:



خذها فليست للعزیز بخطّة وفيها مقال لامرئ متضعّف  
ثم مضى من عنده حتّى قدم على ابن الزبير ، فأتى ابن الزبير فأخبره  
بممرّ البريد على مروان وتمثّل مروان بهذا البيت فقال ابن الزبير : لا والله !  
لا أكون أنا ذلك المتضعّف ، وردّ ذلك البريد ردّاً رفيقاً . وعلا أمر ابن الزبير  
بمكة وكتبه أهل المدينة ، وقال الناس : أما إذ هلك الحسين (ع) فليس أحد  
ينازع ابن الزبير<sup>١</sup> .

رسل يزيد مع ابن الزبير :

روى خبر رسل يزيد مع ابن الزبير ابن أعثم والدينوري وغيرهما  
واللفظ لابن أعثم قال : وتحرك عبدالله بن الزبير ودعا الناس إلى نفسه<sup>٢</sup> .  
قال ولما بلغ يزيد بن معاوية ما فيه عبدالله بن الزبير من بيعة الناس  
له واجتماعهم عليه ؛ دعا بعشرة نفر من وجوه أصحابه منهم النعمان بن بشير  
الانصاري ، وعبدالله بن عضاء الاشعري . . .

ثم قال لهم : إنّ عبدالله بن الزبير قد تحرك بالحجاز وأخرج يده من  
طاعتي ودعا الناس إلى سبّي وسبّ أبي ، وقد اجتمعت إليه قوم يعينونه على  
ذلك ، صبروا إليه ، فإذا دخلتم عليه فعظّموا حقّه وحقّ أبيه ، وسلوه أن يلزم  
الطاعة ولا يفارق الجماعة ؛ فإن أجاب فخذوا بيعته ، وإن أبى فخوفوه ما نزل  
بالحسين بن عليّ ، وليس الزبير عندي بأفضل من عليّ بن أبي طالب  
ولا أبنه عبدالله بأفضل من الحسين ، وانظروا أن لا تلبثوا عنده فاني متعلّق  
القلب بورود خبركم عليّ ، فخرج القوم إلى مكة ودخلوا على ابن الزبير وأدوا

(١) الطبري ط. اوربا ٢/٣٩٦ - ٣٩٧ ، وط. مصر ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٦٣ ، وقد أوردتها ملخصة من فتوح ابن أعثم ٥/٢٦٢ - ٢٩٠ .

إليه رسالة يزيد فقال : وما الذي يريد مني يزيد ؟ أنها أنا رجل مجاور هذا البيت عائد من شر يزيد وغير يزيد ، فان تركني فيه والا انتقلت عنه إلى بلد غيره وكنت فيه إلى أن يأتيني الموت ، ثم أمر لهم بمنزل فصاروا إليه يومهم ذلك ولما كان من الغد خرج فصلّى بأصحابه الفجر ، ثم أقبل فجلس في الحجر واجتمع إليه أصحابه ، وأقبل إليه هؤلاء الوفد الذين قدموا عليه من عند يزيد ، وتكلّموا كلاما يرجون به اتباعه ليزيد وطاعته له ، قال : فأقبل إليه النعمان بن بشير فقال : بلغ يزيد عنك أنك تصعد المنبر فتذكره وتذكر أباه معاوية بكلّ قبيح ، وأنت تعلم أنه امام وقد بايعه الناس ، ولا نحبّ لك أن تخرج يدك من الطاعة وتفارق الجماعة ، وبعد فإن الغيبة لا خير فيها ، قال : فقطع عليه الكلام عبدالله بن الزبير ، ثم قال : يا ابن بشير ! إنّ الفاسق لا غيبة له ، وما قلت فيه إلّا ما قد علمه الناس منه ، ولو كان على ما كان عليه الائمة الاخيار سمعنا وأطعنا ولذكرناه بكلّ جميل ، وبعد فأني أنا في هذا البيت بمنزلة حمامة من حمام مكّة ، أفتحلّ لكم أن تؤذوا حمام مكّة ؟ قال : فغضب عبدالله بن عضاء الاشعري ، فقال : نعم والله يا ابن الزبير ، نؤذي حمام مكّة ونقتل حمام مكّة ، وما حرمة حمام مكّة ؟ يا ابن الزبير ! أتصعد المنبر وتتكلم في أمير المؤمنين بكلّ قبيح ثم تشبه نفسك بحمام مكّة ؟ ثم قال : يا غلام ، إئتني بقوسي وسهمي . قال : فأتي بقوسه وسهامه فأخذ سهماً فوضعه في كبد قوسه ثم سدّده نحو حمام مكّة وقال : يا حمامة ! أيشرب أمير المؤمنين ويفجر ؟ قولي نعم . أما والله لو قلت : نعم ، لما أخطأك سهمي هذا ، يا حمامة ! أيلعب أمير المؤمنين بالقروود والفهود ويفسق في الدين ؟ قولي : نعم . أما والله لئن قلت : نعم ، لا أخطأك سهمي هذا ، يا حمامة فتقتلين أم تخلعين الطاعة وتفارقين الجماعة وتقيمين في الحرم عاصية ؟ قولي : نعم . قال : ثم أقبل عبدالله بن عضاء على ابن الزبير فقال له : مالي لا أرى الحمامة

تنطق بشيء وأنت الناطق بجميع ما كَلَّمْتَهَا فيه على المنبر ، أما والله يا ابن الزبير إنني خائف عليك ، وأقسم بالله قسماً صادقاً لتبايعنَّ يزيد طائعا أو كارهها أو لتعرفنني في هذه البطحاء وفي يدي راية الاشعريين<sup>١</sup> .

و ذكر ابن أعثم وقايح بين ابن الزبير وعمرو بن سعيد ، كانت الغلبة فيها لابن الزبير .

و ذكر الطبري أنه عزل عمرو بن سعيد وولى الوليد بن عتبة فأقام الحج سنة ٦١ هـ<sup>٢</sup> .

قال<sup>٣</sup> : وأقام الوليد يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذراً متمنعا ، وأفاض بالناس من عرفة ثم أفاض ابن الزبير بأصحابه ، ثم أن ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد فكتب إلى يزيد أنك بعثت إلينا رجلا أخرق لا يتجه لأمر رشد ، ولا يرعوي لعظة الحكيم ، فلو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت أن يسهل من الامور ما استوعر منها ، وان يجتمع ما تفرق ، فعزل يزيد الوليد وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

وفد أهل المدينة عند يزيد :

قالوا : كان عثمان فتى غراً لم يجرب الامور و لم يحنكه السن فبعث إلى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم : عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة الانصاري ، وعبدالله بن أبي عمرو المخزومي ، والمندر بن الزبير ، ورجالا كثيرا من أشراف أهل المدينة فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم ، فأعطى عبدالله بن حنظلة - وكان شريفا فاضلاً عابداً سيّداً - مائة

(١) وفريب منه لفظ الاصبهاني في الاغانى ٣٣/١ .

(٢) الطبري ٢٧٣/٦ - ٢٧٥ في آخر ذكر حوادث سنة احدى و ستين .

(٣) الطبري ٢/٨ - ٥ في ذكر حوادث سنة أنبن و سنين . ونجيت اللفظ من تاريخ ابن الاثر

٤٠/٤ - ٤٢ .

ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين فاعطى كلّ ولد عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم، فلمّا رجعوا قدموا المدينة وأظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويضرب بالطناير، ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخراب والفتيان! وإنا نشهدكم أنا خلعناه! وقام عبدالله بن حنظلة الغسيل، فقال: جئتم من عند رجل لو لم أجد إلاّ بنّي هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: قد بلغنا أنّه أجداك وأعطاك وأكرمك، قال: قد فعل وما قبلت منه عطاءه إلاّ لاتقوى به، فخلعه الناس وبايعوا عبدالله بن حنظلة على خلع يزيد، وولّوه عليهم.

أمّا المنذر بن الزبير فكان قد أجاز بهائة ألف وكان قوله لمّا قدم المدينة: إنّ يزيد واللّه لقد أجازني بهائة ألف درهم وإنّه لا يمنعني ما صنع إليّ أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه. واللّه أنّه يشرب الخمر، وإنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة. وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشدّ.

١) تاريخ الطبري ٣/٧ - ١٣، وابن الانبر ٤/٤٠ - ٤١، وابن كثير ٢١٦/٨، والعقد الفريد

## ثورة الصحابة و التابعين

ثورة أهل المدينة و بيعتهم لعبدالله بن حنظلة

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : اجتمعوا على عبدالله بن حنظلة وبايعهم على الموت ، قال : يا قوم اتقوا الله فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد و البنات و الاخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة<sup>١</sup> .

وقال اليعقوبي : أتى ابن مينا عامل صوافي معاوية إلى عثمان بن محمد و إلى المدينة من قبل يزيد فاعلمه أنه أراد حمل ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة و التمر ، وأن أهل المدينة منعه من ذلك . فأرسل عثمان إلى جماعة منهم فكلّمهم بكلام غليظ فوثبوا به و بمن كان معه بالمدينة من بني أمية ، وأخرجوهم من المدينة و أتبعوهم يرجمونهم بالحجارة<sup>٢</sup> .

وفي الاغانى : و أقام ابن الزبير على خلع يزيد و ماله على ذلك أكثر الناس ، فدخل عليه عبدالله بن مطيع و عبدالله بن حنظلة و أهل المدينة المسجد ، و أتوا المنبر فخلعوا يزيد ، فقال عبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن

(١) تاريخ الإسلام ٣٥٦/٢ .

(٢) اليعقوبي ٢٥٠/٢ .

المغيرة المخزومي : خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ، ونزعها عن رأسه ، وقال :  
 أني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكن عدوّ الله سيكبر خميّر .  
 وقال آخر : خلعته كما خلعت نعلي . وقال آخر : خلعته كما خلعت ثوبي ،  
 وقال آخر : قد خلعته كما خلعت خفي ، حتّى كشرت العمام والنعال  
 والخفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك . وامتنع منه عبد الله بن  
 عمر ، ومحمّد بن علي بن أبي طالب - (ع) - وجرى بين محمّد خاصّة  
 وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير ، حتّى أرادوا اكراهه على ذلك ، فخرج  
 إلى مكّة وكان هذا أوّل ما هاج الشرّ بينه وبين ابن الزبير ، واجتمع أهل  
 المدينة لخراج بني أمية عنها ، فأخذوا عليهم العهود ألاّ يعينوا عليهم الجيش ،  
 وأن يردّوهم عنهم فان لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم .

السجّاد (ع) يؤوي حريم بني أمية :

قال : فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إنّ هؤلاء  
 القوم قد ركبونا بما ترى ، فضمّ عيالنا ، فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء في  
 شيء ، فقام مروان وهو يقول : قبح الله هذا أمرا وهذا ديننا . ثمّ أتى عليّ بن  
 الحسين (ع) فسأله أن يضمّ أهله وثقله ففعل ، وجّههم وامرأته أمّ أبان بنت  
 عثمان إلى الطائف ومعها ابنه : عبد الله ومحمّد .

وقال الطبري وابن الأثير : وقد كان مروان بن الحكم كلّم ابن عمر لمّا  
 أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في أن يغيب أهله عنده فلم يفعل ،  
 فكلم عليّ بن الحسين وقال : يا أبا الحسن ! إنّ لي رحما ، وحرمي تكون مع  
 حرمك . فقال : افعل . فبعث بحرمه إلى عليّ بن الحسين ، فخرج بحرمه

وحرّم مروان حتّى وضعهم بينبع<sup>١</sup>.

وفي تاريخ ابن الاثير : فبعث بأمّراته - وهي عائشة ابنة عثمان بن عفّان - وحرّمه إلى علي بن الحسين، فخرج عليّ بحرّمه وحرّم مروان إلى ينبع .  
وفي الاغانى : و اخرجوا بني أمّية فأراد مروان أن يصليّ بمن معه فمنعوه وقالوا : لا يصليّ واللّٰه بالناس أبداً ، ولكن إذا أراد أن يصليّ بأهله فليصلّ ، فصلىّ بهم ومضى<sup>٢</sup>.

استغاثة بني أمية بيزيد :

قال الطبري وغيره : فخرج بنو أمّية بجماعتهم حتّى نزلوا دار مروان ، فحاصروهم الناس بها حصاراً ضعيفاً ، فارسل بنو أمّية بكتاب إلى يزيد يستغيثونه . فقال يزيد للرسول : أما يكون بنو أمّية ومواليهم ألف رجل بالمدينة ؟ قال : بلى واللّٰه وأكثر ، قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ؟ قالوا : فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر وأمره أن يسير إليهم فأبى ، وبعث إلى عبيداللّٰه بن زياد يأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة ابن الزبير فأبى وقال : واللّٰه لا جمعتها للفاستق . أقتل ابن بنت رسول اللّٰه (ص) وأغزو البيت . وكانت أمّه مرجانة قد عنّفته حين قتل الحسين وقالت له : ويلك ماذا صنعت وماذا ركبت ؟!<sup>٣</sup>

فبعث إلى مسلم بن عقبة المرّي و كان معاوية قد قال ليزيد : انّ لك من أهل المدينة يوماً ، فان فعلوا فأرهمهم بمسلم بن عقبة فإنّه رجل قد عرفت نصيحته ، فلمّا جاءه مسلم وجده شيخاً ضعيفاً مريضاً<sup>٤</sup>.

(١) الطبري ٧/٧ ، وابن الاثير ٤٥/٤ .

(٢) الاغانى ٣٦/١ .

(٣) في أمالي الشجري ص ١٦٤ .

(٤) الطبري ٥/٧ - ١٣ ، وابن الاثير ٤٤/٤ - ٤٥ ، وابن كثير ٢١٩/٨ ، والاغانى ٣٥/١ - ٣٦ .

قال صاحب الاغانى : قال مسلم ليزيد : ما كنت مرسلًا إلى المدينة  
أحدًا إلَّا قصرَ ، وما صاحبهم غيري ، إنِّي رأيت في منامي شجرة غرقَد تصيح :  
على يدي مسلم ، فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً : أدرك ثارك ، أهل  
المدينة قتلة عثمان .

أوامر الخليفة لقائد جيشه :

قال الطبري : فانتدبه لذلك وقال له : ان حدث بك حدث فاستخلف  
على الجيش الحصين بن نمير السكوني ، وقال له : أدع القوم ثلاثًا فان أجابوك  
وإلَّا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثًا ، فما فيها من مال أو ورقة أو  
سلاح أو طعام فهو للجند فاذا مضت الثلاث فأكفف عن الناس ، وانظر علي  
ابن الحسين فأكفف عنه واستوص به خيرا وادن مجلسه فإنّه لم يدخل في شيء  
مما دخلوا فيه ، وأمر مناديه فنادى أن سيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم  
كملا ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته ، فانتدب لذلك اثنا عشر  
ألف رجل .

وفي لفظ المسعودي في التنبيه والاشراف : وإذا قدمت إلى المدينة فمن  
عاقك عن دخولها أو نصب لك حربا فالسيف السيف ولا تُبقي عليهم وأنتهبها  
عليهم ثلاثا وأجهز على جريحهم واقتل مدبرهم ، وان لم يعرضوا لك ؛  
فامض إلى مكّة ، فقاتل ابن الزبير .

وفي لفظه في مروج الذهب : فسير إليهم يزيد ، مسلم بن عقبة الذي  
سمّى المدينة ننتة وقد سمّاها رسول الله طيبة .

قال هوو الدينوري :

ما أنشده خليفة المسلمين :

لما عرض على يزيد الجيش أنشأ يقول :



أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى      وهبط القوم على وادي القرى  
 عشرون ألفا بين كهل وفتى      أجمع سكران من الخمر ترى  
 أم جمع يقظان نفى عنه الكرى  
 كانت كنية ابن الزبير أبا بكر وأبا خبيب وكان ابن الزبير يسمي يزيد:  
 السكران الخمير .

قال المسعودي : وكتب يزيد إلى ابن الزبير :  
 أدع الهك في السماء فأتني      أدعو عليك رجال عكّ وأشعر  
 كيف النجاة أبا خبيب منهم      فاحتل لنفسك قبل أتي العسكرا  
 قال الطبري وغيره واللفظ لابن الأثير : ولما سمع عبد الملك بن  
 مروان أنّ يزيد قد سيّر الجنود إلى المدينة قال : ليت السماء وقعت على الأرض ،  
 اعظاما لذلك ثم ابتلي بعد ذلك بأن وجه الحجاج فحصر مكة ، ورمى الكعبة ،  
 بالمنجنيق ، وقتل ابن الزبير .

(١) التنبيه والاشراف ص ٢٦٣ ، ومروج الذهب ٦٨/٣ - ٦٩ ، والأخبار الطوال ص ٢٦٥ ،  
 والبيتان الاخيران وردا فيه ، وأوردت الشعر الأول بلفظ الطبري ٦/٨ ، وابن الأثير ، وراجع تاريخ  
 الإسلام للذهبي ٣٥٥/٢ .

### مسير جيش الخلافة إلى الحرمين :

لَمَّا أَقْبَلَ مُسْلِمٌ بِالْجَيْشِ وَبَلَغَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَبَرَهُمْ ، اشْتَدَّ حَصَارُهُمْ لِبَنِي أُمَيَّةٍ بَدَارَ مِرْوَانَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَكْفُ عَنْكُمْ حَتَّى نَسْتَنْزِلَكُمْ وَنَضْرِبَ أَعْنَاقَكُمْ أَوْ تَعْطُونَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنْ لَا تَبْغُونَا غَائِلَةً ، وَلَا تَدْلُوا لَنَا عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا تَظَاهَرُوا عَلَيْنَا عَدُوًّا فَنَكْفَ عَنْكُمْ وَنُخْرِجَكُمْ عَنَّا ، فَعَاهَدُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَارُوا بِأَثْقَالِهِمْ حَتَّى لَقُوا مُسْلِمَ بْنَ عَقْبَةَ بِوَادِي الْقُرَى ، فَدَعَا بَعْمُرُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَقَّانٍ أَوَّلَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ : خَبِرْنِي مَا وَرَاءَكَ ، وَأَشِرْ عَلَيَّ ، فَقَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ . قَدْ أَخَذَ عَلَيْنَا الْعَهْدُ وَالْمَوَاقِيقُ أَنْ لَا نَدْلَّ عَلَى عَوْرَةٍ وَلَا نَظَاهِرَ عَدُوًّا . فَانْتَهَرَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ ابْنُ عَثْمَانَ لَضَرَبْتَ عُنُقَكَ ، وَإِيْمَ اللَّهِ لَا أَقِيلُهَا قَرَشِيًّا بَعْدَكَ ، فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ ، فَقَالَ مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لابْنَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ : أَدْخُلْ قَبْلِي لَعَلَّهُ يَجْتَزِي بِكَ عَنِّي فَدَخَلَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ . فَقَالَ : نَعَمْ أَرَى أَنْ تَسِيرَ بِيَمْنٍ مَعَكَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى ذِي نَخْلَةٍ نَزَلْتَ فَاسْتَظَلَّ النَّاسُ فِي ظِلِّهِ فَأَكَلُوا مِنْ صَقْرِهِ<sup>(١)</sup> ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ مِنَ الْغَدِ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَ الْمَدِينَةَ ذَاتَ الْيَسَارِ ، ثُمَّ دَرْتَ بِهَا حَتَّى

(١) الصقر بكسر القاف: التمر الذي يصلح للدبس .

تأتيهم بها من قبل الحرّة مشرقاً، ثم تستقبل القوم فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرّها ويصيبهم أذاها، ويرون - ما دتم مشرقين - من اثتلاق بيضكم وحرابكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم ما داموا مغربين، ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم، فقال له مسلم: لله أبوك أي امرئ ولد! ثم أن مروان دخل عليه فقال له: ايه: فقال: أليس قد دخل عليك عبد الملك؟ قال: بلى وأي رجل عبد الملك، قلما كلمت من رجال قريش رجلاً شبيهاً به، فقال: إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني. ثم أنه صار في كل مكان يصنع ما أمر به عبد الملك. فجاءهم من قبل المشرق، ثم أمهلهم ثلاثاً، فلما مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة ما تصنعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟ قالوا: بل نحارب، فقال لهم: لا تفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجعل حدّنا وشوكتنا على أهل هذا الملحد الذي قد جمع إليه المراق والفساق من كل أوب - يعني ابن الزبير - فقالوا له: يا أعداء الله لو أردتم أن تجوزوا إليه ما تركناكم، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام وتخيفوا أهله وتستحلّوا حرمة! لا والله لا نفعل! .

قال المسعودي والدينوري واللفظ للأول: احتفر أهل المدينة خندق رسول الله (ص) الذي كان قد حفره يوم الاحزاب، وشكوا المدينة بالحيطان، وقال شاعرهم مخاطباً ليزيد:

ان بالخندق المكلل بالمجد      لضربا يدي عن النشوات  
لست منّا و ليس خالك منّا      يا مضيع الصلاة للشهوات  
فإذا ما قتلنا فتنصّر      واشرب الخمر و اترك الجمعات<sup>٢</sup>

(١) الطبري ٦/٧ - ٨، وابن الاثير ٤٥/٤ - ٤٦ .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٢٦٤، والأخبار الطوال ص ٢٦٥ .

قال الذهبي : فكان ابن حنظلة يبيت تلك الليالي في المسجد ، وما يزيد على أن يشرب يفطر على شربة سويق ويصوم الدهر ، وما رؤي رافعا رأسه إلى السماء أحيانا ، فلما قرب القوم خطب أصحابه وحرّضهم على القتال ، وأمرهم بالصدق في اللقاء وقال : اللهم أنا بك واثقون . فصبح القوم المدينة ، فقاتل أهل المدينة قتالا شديدا ، فسمعوا التكبير خلفهم من المدينة وأقمهم عليهم بنو حارثة وهم على الحرة فانهزم الناس وعبدالله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيه يغطّ نوماً فنبهه ابنه ، فلما رأى ما جرى أمر أكبر بنيه فقاتل حتى قتل ، ثم لم يزل يقدمهم واحدا بعد واحد حتى أتى على آخرهم !

قال : وبقي ابن حنظلة يمشي بها مع عصابة من الناس أصحابه . فقال لمولى له : احم ظهري حتى أصلي الظهر ، فلما صلى ، قال له مولاه : ما بقي أحد فعلام نقيم ؟ ولواؤه قائم ، ما حوله إلا خمسة ، فقال : ويحك إنما خرجنا على أن نموت ، قال : وأهل المدينة كالنعام الشرود ، وأهل الشام يقتلون فيهم . فلما هزم الناس طرح الدرع وقاتلهم حاسرا حتى قتلوه . فوقف عليه مروان وهو ماذ أصعبه السبابة ، فقال : والله لئن نصبته ميتا فطالما نصبته حيا<sup>١</sup> .

جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول (ص) :

قال الطبري وغيره : وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس و يأخذون الاموال<sup>٢</sup> .

قال اليعقوبي : فلم يبق بها كثير أحد إلا قتل ، وأباح حرم رسول الله

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٣٥٦/٢ - ٣٥٧ .

(٢) تاريخ الطبري ١١/٧ ، وابن الاثير ٤٧/٣ ، وابن كثير ٢٢٠/٨ .

حتى ولدت الابدكار لا يعرف من أولدهن<sup>١</sup>.  
 وفي تاريخ ابن كثير : قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن،  
 وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله !  
 وقال : قتل بشر كثير حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها<sup>٢</sup>.  
 وقال : ووقعوا على النساء، حتى قيل : إنه حبلت ألف امرأة في تلك  
 الأيام من غير زوج !!  
 وروى عن هشام بن حسان أنه قال : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة  
 بعد وقعة الحرة من غير زوج !  
 وروى عن الزهري أنه قال : كان القتل سبعمائة من وجوه المهاجرين  
 والانصار ، ووجوه الموالي ، وممن لا أعرف من حرّ أو عبد وغيرهم عشرة  
 آلاف<sup>٣</sup>.

وفي تاريخ السيوطي : وكانت وقعة الحرة بباب طيبة ؛ قتل فيها خلق  
 من الصحابة ومن غيرهم ، ونهبت المدينة واقتضّ فيها ألف بكر<sup>٤</sup> !  
 قال الدينوري والذهبي واللفظ للأول : وذكر أبو هارون العبدى ،  
 قال : رأيت أبا سعيد الخدري ، ولحيته بيضاء ، وقد خفت جانبها وبقي  
 وسطها ، فقلت : « يا أبا سعيد ! ما حال لحيتك ؟ » فقال : « هذا فعل ظلمة  
 أهل الشام يوم الحرة ، دخلوا عليّ بيتي ، فانتبهوا ما فيه حتى أخذوا قدحي  
 الذي كنت أشرب فيه الماء ثم خرجوا ، ودخل عليّ بعدهم عشرة نفر ، وأنا  
 قائم أصلي ، فطلبوا البيت ، فلم يجدوا فيه شيئا ، فأسفوا لذلك ، فأحتملوني

(١) تاريخ يعقوبي ٢٥١/٦ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٢٣٤/٦ .

(٣) تاريخ ابن كثير ٢٢/٨ .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٩ ، وراجع تاريخ الخميس ٣٠٢/٢ .

من مصلاي، وضربوا بي الأرض، وأقبل كل رجل منهم على ما يليه من  
لحيته، فتتفه، فما ترى منها خفيفا فهو موضع التتف، وما تراه عافيا فهو ما  
وقع في التراب، فلم يصلوا إليها، وسأدعها كما ترى حتى أوافي بها ربي<sup>١</sup>.  
هكذا انتهت الأيام الثلاثة على مدينة الرسول (ص).

أخذ البيعة من أهل المدينة على أنهم عبيد للخليفة يزيد:  
قال الطبري وغيره: فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية  
يحكم في دماهم وأموالهم وأهليهم ما شاء<sup>٢</sup>.

وقال المسعودي: و بايع من بقي من أهلها على أنهم قن ليزيد، غير  
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ لأنه لم يدخل فيما دخل فيه أهل  
المدينة، وعلي بن عبد الله بن العباس فان كان في الجيش من أخواله من  
كندة منعه. وقال: ومن أبي أمره على السيف<sup>٣</sup>.

وفي طبقات ابن سعد: إن مسلم بن عقبة لَمَّا قتل الناس وسار إلى  
العقيق سأل عن علي بن الحسين أحاضر ف قيل له: نعم، فقال: مالي ما أراه؟  
فجاءه مع أبي عمه محمد بن الحنفية فلَمَّا رآه رَحَّب به وأوسع له على  
سريره<sup>٤</sup>.

وفي تاريخ الطبري: قال: مرحبا وأهلا، ثم أجلسه معه على السرير  
والطنفسة، ثم قال: ان أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً، وان هؤلاء الخبثاء  
شغلوني عنك وعن وصلتك، ثم قال لعلي: لعل أهلك فزعوا، قال: اي

(١) الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٦٩، والذهبي في تاريخ الإسلام ٣٥٧/٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٣/٧.

(٣) التنبيه والأشراف ٢٦٤، ومروج الذهب ٧١/٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٢١٥/٥، وفيه (مسرف) وهو خطأ.

والله ! فأمر بدابته فاسرجت ثم حمّله فردّه عليها<sup>١</sup>.

قال الدينوري : فلمّا كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة، فدعاهم إلى البيعة، فكان أوّل من أتاه يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود، وجدّته أم سلمة زوج النبي (ص). فقال له مسلم : بايعني . قال : أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه (ص). فقال مسلم : بل بايع على أنّك فيء لأمير المؤمنين، يفعل في أموالكم وذرائعكم ما يشاء . فأبى أن يبايع على ذلك، فأمر به، فضربت عنقه<sup>٢</sup>

وقال الطبري : دعا الناس مسلم بن عقبة بقبا إلى البيعة وطلب الامان لرجلين من قريش ليزيد بن عبد الله بن زمة ومحمّد بن أبي الجهم فأتي بهما بعد الوقعة بيوم فقال : بايعا . فقالا : نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فقال : لا والله لا أقيلكم هذا أبدا، فقدّمهما فضرب أعناقهما، فقال له مروان : سبحان الله أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما، فنخس بالقضيب في خاصرته، ثم قال : وأنت والله لو قلت بمقاتلتها ما رأيت السماء إلا برقة .

قال : وأتي بيزيد بن وهب بن زمة، فقال : بايع . قال : أبايعك على سنة عمر، قال : أقتلوه . قال : أنا أبايع : قال : لا والله لا أقيلك عثرتك، فكلمه مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فأمر بمروان فوجّحت عنقه ثم قال : بايعوا على أنكم حول ليزيد بن معاوية، ثم أمر به فقتل<sup>٣</sup>.

ارسال الرؤوس إلى الخليفة يزيد :

قال ابن عبد ربه : وبعث مسلم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد،

(١) تاريخ الطبري ١١/٧ - ١٢، و ط. اوربا ٤٢١/٢، وفتوح ابن أعثم ٣٠٠/٥.

(٢) تاريخ الطبري ١١/٧ - ١٢ و ط. اوربا ٤١٨/٢ - ٤٢٠.

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٦٥ .

فلما ألقيت بين يديه ، جعل يتمثل بشعر ابن الزبعرى يوم أحد :  
 ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل  
 لاهلّوا واستهلّوا فرحا ثم قالوا : يا يزيد لا تشل  
 فقال له رجل من أصحاب رسول الله (ص) : ارتددت عن الاسلام  
 يا أمير المؤمنين ! قال : بلى ! نستغفر الله ، قال : والله لا أساكنك أرضا أبداً ،  
 وخرج عنه<sup>١</sup>.

وفي رواية ابن كثير ، جاء بعد البيت الأول :  
 حين حلّت بقباء بركها واستحرّ القتل في عبد الاشل  
 قد قتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل  
 ثم قال : وزاد بعض الروافض فيها فقال :  
 لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل  
 قال ابن كثير بعده : فهذا ان قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة  
 اللاعنين وان لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه<sup>٢</sup>.  
 قال المؤلف : قد وهم ابن كثير وظنّ أنّهم قالوا : أضاف يزيد هذا البيت  
 على شعر ابن الزبعرى في هذا المقام فأنكره بينما هم لم ينقلوا ذلك وأنما روى  
 الشعبي وغيره أنّ يزيد أضاف هذا البيت على شعر ابن الزبعرى عندما تمثّل  
 بشعره ورأس الحسين بين يديه ، ولم يكن الشعبي رافضياً ولا شيعياً ، وانما كان  
 من كبار المتعصبين لمدرسة الخلافة . ولست أدري لماذا لم يعتذر ابن كثير عن  
 يزيد ويقول : أنّه مجتهد ، وأنّه أنشد هذا البيت باجتهاده ؟!

(١) العقد الفريد ٣٩٠/٤ .

(٢) ابن كثير ٢٢٤/٨ ، وفي رواية الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٦٧ .



## في سبيل طاعة الخليفة

مسير جيش الخلافة إلى مكة ومناجاة أميره ساعة الاحتضار ووصيته :  
 قال الطبري وغيره : ولما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة وإنهاب  
 جنده أموالهم ثلاثاً ، شخص بمن معه من الجند متوجّهاً إلى مكة حتى إذا انتهى  
 إلى المشلل ، نزل به الموت وذلك في آخر المحرم من سنة ٦٤ هـ ، فدعا حصين  
 ابن نمير السكوني فقال له : يا ابن برذعة الحمار ! أما والله لو كان هذا الامر  
 إليّ ما وليتكم هذا الجند ، ولكن أمير المؤمنين ولّاك بعدي وليس لأمر أمير  
 المؤمنين مردّ ، فاحفظ ما أوصيك به ! عمّ الاخبار ولا ترع سمعك قرشياً أبداً !  
 ولا تردّن أهل الشام عن عدوّهم ! ولا تقيمنّ إلّا ثلاثاً حتى تناجز ابن الزبير  
 الفاسق ! ثمّ قال : اللهمّ انّي لم أعمل عملاً قطّ بعد شهادة أن لا إله إلّا الله  
 وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبّ ولا أرجى عندي في الآخرة<sup>١</sup> .  
 وفي لفظ ابن كثير : أحبّ إليّ من قتل أهل المدينة ، وأجزى عندي في  
 الآخرة وإن دخلت النار بعد ذلك انّي لشقيّ ! ثمّ مات<sup>٢</sup> .

(١) تاريخ الطبري ١٤/٧ ، وابن الاثير ٤٩/٣ ، وابن كثير ٢٢٥/٨ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٢٢٥/٨ .

وفي تاريخ اليعقوبي، قال: اللهم ان عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرّة فأنّي إذا لشقيّ¹.

وفي فتوح ابن أعثم، أن مسلم بن عقبة قال في وصيته للحصين بن نمير: فانظر أن تفعل في أهل مكة وفي عبد الله بن الزبير كما رأيته فعلت بأهل المدينة. ثم جعل يقول: اللهم انك تعلم أنّي لم أعص خليفة قطّ، اللهم أنّي لا أعمل عملاً أرجوه النجاة إلّا ما فعلت بأهل المدينة. ثم اشتدّ به الأمر فمات. فغسلوه وكفّنوه ودفنوه، وبايع الناس للحصين بن نمير السكوني من بعده، وسار القوم يريدون مكة، وخرج أهل ذلك المنزل فنبشوه من قبره وصلبوه على نخلة. قال: وبلغ ذلك أهل العسكر فرجعوا إلى أهل ذلك المنزل فوضعوا السيف فيهم، فقتل منهم من قتل وهرب الباقيون، ثم أنزلوه من النخلة فدفنوه ثم أجلسوا على قبره من يحفظه².

جيش الخلافة يحرق الكعبة في حرب ابن الزبير وينشد الأراجيز:  
قال المسعودي: فسار الحصين حتّى أتى مكة وأحاط بها، وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام، ونصب الحصين في من معه من أهل الشام المجانيق والعرّادات على البيت، ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتّان وغير ذلك من المحروقات فانهدمت الكعبة واحترقت البنية.  
ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المنجنيق أحد عشر رجلاً فكان ذلك يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الأول وقبل وفاة يزيد بأحد عشر يوماً، واشتدّ الأمر على أهل مكة وابن الزبير، واتصل الأذى بالأحجار والنار والسيف فقال راجزهم:

¹ تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥١.

² فتوح ابن أعثم ٥/٣٠١.

ابن نمير بثسما تولى قد أحرق المقام والمصلّى

وقال اليعقوبي : رمى حصين بن نمير بالنيران حتى أحرق الكعبة، وكان عبيد الله بن عمير الليثي قاصص ابن الزبير إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة فنأدى بأعلى صوته : يا أهل الشام ! هذا حرم الله الذي كان مأمنا في الجاهلية، يأمن فيه الطير والصيد، فاتقوا الله يا أهل الشام، فيصبح الشاميون : الطاعة الطاعة، الكرّ الكرّ، الرواح قبل المساء، فلم يزل على ذلك حتى احترقت الكعبة. فقال أصحاب ابن الزبير : نطفئ النار. فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة. فقال بعض أهل الشام إن الحرم والطاعة اجتمعتا فغلبت الطاعة الحرم<sup>٢</sup> !!

وفي تاريخ الخميس وتاريخ الخلفاء للسيوطي : واحترقت من شرارة نيرانهم استار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى الله إسماعيل وكان معلقا في الكعبة<sup>٣</sup> !

وقال الطبري وغيره : أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرم وصفر كلّ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة ٦٤ هـ قذفوا البيت بالمجانيق وحرّقه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون :

خطارة مثل الفنيق المزبد نرمي بها أعواد هذا المسجد  
ويقول راجزهم :

كيف ترى صنيع أم فروة تأخذهم بين الصفا والمروة  
يعني بـ «أم فروة» المنجنيق.

(١) مروج الذهب ٧١/٣ - ٧٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٥١/٢ - ٢٥٢ .

(٣) تاريخ الخميس ٣٠٣/٢، تاريخ السيوطي ص ٩ .

قالوا: واستمرّ الحصار إلى مستهلّ ربيع الآخر حين جاءهم نعي يزيد وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول<sup>١</sup>.

وفي تاريخ الطبري وغيره: بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير إذ جاء موت يزيد، فصاح بهم ابن الزبير وقال: إنّ طاغيتكم قد هلك؛ فمن شاء منكم أن يدخل في ما دخل فيه الناس فليفعل، فمن كره فليلق بشامه، فغدوا عليه يقاتلونه. فقال ابن الزبير للحصين بن نمير: أدن منّي أحدثك. فدنا منه فحدثه فجعل فرس أحدهما يجفل، (الجفل: الروث) فجاء حمام الحرم يلتقط من الجفل فكفّ الحصين فرسه عنهنّ، فقال له ابن الزبير: ما لك؟ قال: أخاف أن يقتل فرسي حمام الحرم، فقال له ابن الزبير، أخرج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين؟ فقال: لا أقاتلك؛ فاذن لنا نطف بالبيت وننصرف عنك. ففعل، قالوا: فأقبل الحصين بمن معه نحو المدينة.

قالوا: واجتراً أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام، فذلّوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلّا أخذ بلجام دابّته ثم نكس عنها! فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون، وقالت لهم بنو أميّة: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا، فمضى ذلك الجيش حتى دخل الشام<sup>٢</sup>.

الحجاج يرمي الكعبة ثانية:

قال ابن الاثير وغيره: أرسل عبد الملك بن مروان الحجاج لحرب ابن الزبير بمكة فنزل الطائف، وأمّده بطارق فقدم المدينة في ذي القعدة سنة ٧٢ هـ وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلا من أهل الشام اسمه

(١) تاريخ الطبري ١٤/٧ - ١٥، وابن الاثير ٤٩/٤، وابن كثير ٢٢٥/٨.

(٢) تاريخ الطبري ١٦/٧ - ١٧ في ذكر حوادث سنة ٦٥ هـ. ذكر الطبري وغيره محادثات أخرى بين ابن الزبير والحصين لم تكن ثمة حاجة لذكرها وانا ذكرنا رجوع الجيش إلى الشام بإيجاز.

ثعلبة، فكان ثعلبة يخرج المخ على منبر النبي (ص) يأكله ويأكل عليه التمر ليغيط أهل المدينة<sup>١</sup>.

وقال الدينوري: فقال الحجاج لأصحابه: تجهّزوا للحجّ - وكان ذلك في أيام الموسم - ثمّ سار من الطائف حتّى دخل مكّة ونصب المنجنيق على أبي قبيس، فقال الاقيشر الاسدي:

[ف-] لم أر جيشاً غرّ بالحج مثلنا	ولم أر جيشاً مثلنا غير ماخرس
دلّنا بيت الله نرمي ستوره	بأحجارنا زفن الولايد في العرس
دلّنا له يوم الثلاثاء من منى	بجيش كصدر الفيل ليس بذئ رأس
فإلّا تُرحنا من ثقيف وملكها	نصلّ لا يوم السباسب والنحس

فطلبه الحجاج فهرب. وأنّخ الحجاج بابن الزبير، وتحصّن منه ابن الزبير في المسجد، واستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي، فجعل يرمي أهل المسجد ويقول:

خطارة مثل الفنيق الملبد نرمي بها عوّاذ أهل المسجد<sup>٢</sup>

قال المسعودي: وكتب الحجاج إلى عبد الملك بحصار ابن الزبير وظفره بأبي قبيس، فلمّا ورد كتابه كبر عبد الملك، فكبر من معه في داره، وأتصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبروا، وأتصل ذلك بأهل الاسواق فكبروا، ثمّ سألوا عن الخبر فقبل لهم: إنّ الحجاج حاصر ابن الزبير بمكّة وظفر بأبي قبيس، فقالوا: لا نرضى حتّى يحمله إلينا مكبلاً، على رأسه برنس، على جمل يمرّ بنا في الاسواق، هذا الترابي الملعون<sup>٣</sup>!

(١) تاريخ ابن الاثير ١٣٥/٣.

(٢) الأخبار الطوال ص ٣١٤.

(٣) مروج الذهب ١١٣/٣.

كان « أبو تراب » كنية الامام عليّ كناه بها رسول الله ؛ فاتخذها بنو أمية نبزا للامام وسمّوا شيعته ترابياً بهذه المناسبة، وأصبح هذا اللقب في عرف آل أمية وشيعتهم طعناً، فنزوا بها ابن الزبير أيضاً.

قال ابن الاثير: قدم الحجاج مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجة، فنزل بئر ميمون وحجّ بالناس في تلك السنة الحجاج إلا أنه لم يطف حول الكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة، منعه ابن الزبير من ذلك.

قال: ولم يحجّ ابن الزبير ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار.

قال: ولما حَصَرَ الحجاج ابن الزبير ، نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة، وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية، ثم أمر به، فكان الناس يقولون خُذِلَ في دينه<sup>١</sup>.

وقال الذهبي: وألحّ عليه الحجاج بالمنجنيق وبالقتال من كلّ وجه، وحبس عنهم الميرة فجاءوا، وكانوا يشربون من زمزم، فتعصبهم وجعلت الحجارة تقع في الكعبة<sup>٢</sup>.

قال ابن كثير: وكان معه خمس مجانيق، فالحّ عليها بالرمي من كلّ مكان. ثم ذكر مثل قول الذهبي<sup>٣</sup>.

#### احتراق الكعبة ونزول الصواعق:

وفي تاريخ الخميس بسنده قال: إنّ الحجاج رمى الكعبة بالحجارة والنيران حتّى تعلّقت بأستار الكعبة واشتعلت، فجاءت سحابة من نحو جدة

(١) تاريخ ابن الأثير ١٣٦/٤.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١١٤/٣.

(٣) ابن كثير ٣٢٩/٨.

مرتفعة يسمع منها الرعد ويرى فيها البرق، واستوت فوق الكعبة والمطاف فأطفأت النار وسال الميزاب في الحجر، ثم عدلت إلى أبي قبيس فرمت بالصاعقة وأحرقت منجنيقهم قدر كوة، وأحرقت تحته أربعة رجال، فقال الحجاج: لا يهولنكم هذا فأنها أرض صواعق فأرسل الله صاعقة أخرى، فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلاً<sup>١</sup>.

وقال الذهبي: وجعل الحجاج، يصيح بأصحابه: يا أهل الشام، الله الله في الطاعة<sup>٢</sup>.

وروى الطبري وغيره عن يوسف بن ماهك قال: رأيت المنجنيق يرمى به فرعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة فاشتعل عليها، فأعظم ذلك أهل الشام فأمسكوا بأيديهم، ورفع الحجاج بركة قبائه فغرزاها في منطقته، ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه، ثم قال: ارموا ورمى معهم، قال: ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام، فقال الحجاج: يا أهل الشام! لا تنكروا هذا فإني ابن تامة، هذه صواعق تامة، هذا الفتح قد حضر فأبشروا أن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم، فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة<sup>٣</sup>.

وجاء في تاريخ ابن كثير بعده: وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون:

(١) الطبري ٢٠٢/٧ في ذكر حوادث سنة ٧٣ هـ.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ١١٤/٣.

(٣) الطبري، ط. اوربا ٨٤٤/٢ - ٨٤٥، وابن كثير ٣٢٩/٨. وليس فيه كلمة (خطارة) وإنما

نقلناها من الأخبار الطوال ص ٣١٤.

خطارةً مثل الفنيق المزبد نرمى بها أعواد هذا المسجد  
فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقتة فتوقف أهل الشام عن الرمي  
والمحاصرة فخطبهم الحجاج، فقال: ويحكم ! ألم تعلموا أنّ النار كانت تنزل  
على من قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم ؟ فلولا أنّ عملكم مقبول ما نزلت  
النار فأكلته<sup>١</sup>.

وفي فتوح ابن أعثم أمر الحجاج أصحابه أن يتفرقوا من كلّ وجه: من  
ذي طوى، ومن أسفل مكة، ومن قبل الابطح، فاشتدّ الحصار على عبد الله  
بن الزبير وأصحابه فنصبوا المجانيق وجعلوا يرمون البيت الحرام بالحجارة وهم  
يرتجزون بالأشعار، وتقع الحجارة في المسجد الحرام كالطر، وكان رماة  
المنجنيق إذا ونوا وسكتوا ساعة فلم يرموا يبعث إليهم الحجاج فيشتهم،  
ويتهذهم بالقتل، فأنشأ بعضهم يقول:

لعمري أبي الحجاج لو خفت ما أرى

من الامر ما أمست تعذلني نفسي

الابيات<sup>٢</sup>

نشيد الحجاج عندما رأى البيت يحترق:

قال: فلم يزل الحجاج وأصحابه يرمون بيت الله الحرام بالحجارة حتى  
انصدع الحائط الذي على بثر زمزم عن آخره، وانتفضت الكعبة من جوانبها.  
قال: ثم أمرهم الحجاج فرموا بكيزان النفط والنار حتى احترقت  
الستارات كلّها فصارت رماداً، والحجاج واقف ينظر في ذلك كيف تحترق  
الستارات وهو يرتجز ويقول:

(١) تاريخ الخميس ٣٠٥/٢.

(٢) الفتوح ٢٧٥/٦ - ٢٧٦.



أما تراها ساطعا غبارها      والله في ما يزعمون جاراها  
فقد وهت وصدعت أحجارها      ونفرت منها معاً أطيّارها  
وحان من كعبتها دمارها      وحرقت منها معاً أستارها  
لما علاها نبطها ونارها<sup>١</sup>

قال الطبري وغيره واللفظ للطبري: فلم تزل الحرب بين ابن الزبير  
والحجاج حتى كان قبيل مقتله، وقد تفرّق عنه أصحابه، وخرج عامة أهل  
مكة إلى الحجاج في الأمان، وخذله من معه خذلانا شديدا، حتى خرج إلى  
الحجاج نحو من عشرة آلاف، وفيهم ابنه حمزة وخبيب فأخذاه منه لأنفسهما  
أمانا.

نهاية أمر ابن الزبير وارسال الرؤوس إلى عبد الملك:  
فقاتل قتالا شديداً حتى قتل، وبعث الحجاج برأس ابن الزبير  
وعبد الله بن صفوان وعمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها، ثم  
ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان<sup>٢</sup>.

وفي تاريخ ابن كثير: وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد، وأمرهم  
إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها ثم يسيروا بها إلى الشام ففعلوا ما  
أمرهم، وأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته  
ونواصي أولاده فرحا بمقتل ابن الزبير!

قال: ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كداء عند  
الحجون، يقال: منكسة. ثم أنزل عن الجذع ودفن هناك<sup>٣</sup>.

(١) فتوح ابن أعثم ٢٧٥/٦ - ٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢٠٢/٨ - ٢٠٥.

(٣) تاريخ ابن كثير ٣٣٢/٨، وفي فتوح ابن أعثم ٢٧٩/٦ أكد أنه صلبه منكوساً.

قال الذهبي : واستوسق الامر لعبدالمملك بن مروان واستعمل على الحرمين الحجاج بن يوسف، فنقض الكعبة التي من بناء ابن الزبير وكانت تشعّت من المنجنيق، وانفلق الحجر الاسود من المنجنيق فشعبوه<sup>١</sup>.

الحجاج يختم أعناق أصحاب النبي (ص):  
وقال الطبري بعده: ثم انصرف إلى المدينة في صفر، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبّث بأهل المدينة ويتعتّتهم، وبنى بها مسجداً في بني سلمة فهو ينسب إليه، واستخفّ فيها بأصحاب رسول الله (ص) فختم في أعناقهم، وكان جابر بن عبد الله مختوماً في يده وأنس مختوماً في عنقه يريد أن يذّله بذلك.

وأرسل إلى سهل بن سعد فدعاه فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفّان، قال: قد فعلت، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه برصاص<sup>٢</sup>.

انتهاء ثورة الحرمين وقيام ثورات أخرى:  
هكذا انتهت ثورة الحرمين، وثارَت معها وبعدها بلاد أخرى، مثل ثورة التّوابع في سنة خمس وستين في الكوفة الذين خرجوا ينادون: يالثرات الحسين! وقاتلوا جيش الخلافة بعين الوردة حتى استشهدوا، ثم ثورة المختار في الكوفة سنة ست وستين، وقيامه بقتل قتلة الحسين (ع).  
ثم ثورات العلويين مثل زيد الشهيد وابنه يحيى<sup>٣</sup>، وأخيراً ثورة

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١١٥/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢٠٦/٧ في ذكر حوادث سنة ٧٤ هـ.

(٣) راجع تاريخ الطبري، وابن الأثير، وابن كثير في ذكرهم حوادث سني ٦٥ و ٦٦ - ٦٧ و ١٢١ -

١٢٢، ١٢٥.

العباسيين وقيامهم باسم الدعوة لآل محمّد، وتهديمهم الخلافة الامويّة،  
واقامتهم الخلافة العباسيّة بهذا الاسم؛ فقد كان أبو سلمة الخلال يسمّى:  
وزير آل محمّد، وأبو مسلم: أمير آل محمّد!  
ولما قتل أبو سلمة، قال الشاعر:  
إنّ السوزير وزير آل محمّد أودى فمن يشنّاك كان وزيراً

الناثرون أضعفوا الخلافة والائمة (ع) أعادوا أحكام الاسلام:  
وقعت كلّ تلكم الثورات اثر استشهاد الحسين (ع) ومن قبل القائمين  
بها في جانب. وفي جانب آخر استطاع الائمة على اثر استشهاد الحسين أن  
يجدّدوا شريعة جدّهم سيد الرسل بعد اندراسها، ونشطت مدرستهم في نشر  
أحكام الاسلام، كما يأتي بيانه في الباب التالي.

(١) تاريخ اليعقوبي ٣٤٥/٢ و ٣٥٢ - ٣٥٣، وابن الاثير ١٤٤/٥ و ١٤٨ في ذكر حوادث سنة  
١٣٠ هـ، ومروج الذهب ٢٨٦/٣.



## البحث الخامس

إعادة أئمة أهل البيت (ع)  
سنة الرسول (ص) إلى المجتمع بعد قيام الامام الحسين (ع)

- الفصل الاول : نتيجة استشهاد الإمام الحسين (ع)
- الفصل الثاني : تقويم كتب الحديث بمدرسة أهل البيت (ع)
- الفصل الثالث : رأيا المدرستين في تقويم كتب الحديث



## الفصل الأول

### نتيجة استشهاد الإمام الحسين (ع)





نتيجة لكل ما سبق ذكره تيقظت ضمائر بعض أبناء الأمة الإسلامية من سباتها العميق، واشمأزت نفوسهم من أوضاع الخلافة، وانتشر حب آل بيت النبي (ص) في الأوساط الإسلامية غير المنتفعة بالحكم، وزمن الصراع بين الامويين والعباسيين حول الخلافة، فُسِحَ المجال للواعين منهم لأن يلتفتوا حول الإمامين الباقر والصادق (ع) ومن ثم تمكن الامامان من نشر الأحكام الإسلامية التي جاء بها رسول الله (ص) وبيان زيف الاحكام المحرّفة، ودحض الشبهات المثارة حول بعض الآيات القرآنية. فعلا ذلك تارة بالرواية عن كتاب عليّ «الجامعة»، وأخرى بالحديث عن رسول الله (ص)، أو ببيان حكم الله دونها ذكر سند له، وفي هذا الصدد أُتيحت الفرصة للإمام الصادق أكثر من غيره من سائر أئمة أهل البيت، فاجتمع حوله في بعض الاحيان آلاف من رواد العلوم الإسلامية ورواة أحاديثه، وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف<sup>١</sup>، مثل الحافظ أبي العباس ابن عقدة (ت: ٣٣٣ هـ) الذي

(١) راجع الارشاد، للشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) ص ٢٥٤ منه، وإعلام الوري ص ٢٧٦ تأليف الفضل الطبرسي من أعلام القرن السادس.

صنّف كتاباً جمع فيه رواة حديثه، وأنّهم إلى أربعة آلاف<sup>١</sup>. وفي عصر الإمام الكاظم (ع) كان جماعة من أصحابه وأهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم الواح أبنوس لطاف، وأميال، فإذا نطق أبو الحسن كلمة أو أفتى في نازلة، أثبتوا ما سمعوه منه في ذلك. هكذا دوّن أصحاب الأئمة ما سمعوه منهم، وبلغت مؤلفاتهم الآلاف، نجد تراجمها في فهرستي النجاشي والشيخ الطوسي، وكل واحد منهما يروي تلك الكتب عن مؤلفيها بسنده الخاص اليهم. وفي عصر الأئمة دوّن أصحابهم الاصول والاصل في اصطلاح المحدثين من مدرسة أهل البيت هو الكتاب الذي جمع فيه مصنّفه الاحاديث التي رواها هو عن المعصوم أو عن الراوي عن المعصوم ولم ينقل فيه الحديث عن كتاب مدون. وكان من دأب أصحاب الأصول أنهم إذا سمعوا من أحد الأئمة حديثاً بادروا إلى اثباته في اصولهم لئلاّ يعرض لهم نسيان لبعضه أو كلّه بتمادي الآيام، واستقر أمر المتقدمين على أربعمئة أصلّ بما دوّن منذ عصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إلى عصر أبي محمّد الحسن العسكري وسميت بالاصول الأربعمئة، وجلّ الاصول الاربعمئة دونت من قبل أصحاب الامام الصادق سواء كانوا مختصين به أو ممن أدركوا أباه الامام الباقر أو ممن أدركوا ولده الامام الكاظم (ع) بعده<sup>٢</sup>.

(١) ابن عقدة الحافظ أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي كان زيدياً جارودياً (ت: ٣٣٢ هـ) من مؤلفاته: كتاب أسماء الرجال الذين رواوا عن الصادق أربعة آلاف رجل خرج فيه لكل رجل الحديث الذي رواه - ترجمته في الكنى والالقب ٣٤٦/١. وسنة وفاته فيه: (٣٣٣ هـ).  
(٢) وأول موسوعة حديثة جامعة الفت بمدرسة أهل البيت هو كتاب الكافي، ألفه ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت: ٣٢٩ أو ٣٢٨ هـ) حاول مؤلفه أن يجمع فيه الاصول والمدونات الحديثية الصغيرة الأخرى، وجاب من أجله البلاد في عشرين سنة. وأخذ من الكافي ومن الاصول والمدونات الحديثية الأخرى الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن

كيف أخذ المصنفون من رسائل أصحاب الأئمة وأصولهم ؟  
 لمعرفة كيفية أخذهم من الاصول ومدونات أصحاب الأئمة ؛ ندرس في  
 كتب المشايخ الثلاثة كيفية أخذهم من « أصل ظريف » أو كتاب الديات رواية  
 ظريف بن ناصح ، بعد تعريف ظريف وأصله في مايلي :

ظريف بن ناصح وأصله أو كتابه :

أ - ظريف بن ناصح :

كان أبوه بياع الاكفان<sup>١</sup> . أدرك ظريف الامام الباقر (ع)<sup>٢</sup> .  
 قال النجاشي في ترجمته : كوفي نشأ ببغداد وكان ثقة في حديثه  
 صدوقاً<sup>٣</sup> .

وله كتب اخرى ذكرها النجاشي والشيخ في ترجمته ، وروايات الكتاب  
 منتشرة في الموسوعات الحديثية ، ذكرها الاردبيلي في ترجمته بجامع الرواة .



علي بن الحسين بن باهويه القمي (ت: ٣٨١ هـ) الروايات الخاصة بالفقه وألف فقيه من لا يحضره الفقيه  
 وهو أول موسوعة حديثة في فقه مدرسة أهل البيت، ونحا نحوه من بعده الشيخ أبو جعفر محمد بن  
 الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في كتابه تهذيب الأحكام الذي شرح فيه مقنعة الشيخ المفيد ثم في كتابه  
 الاستبصار في ما اختلف من الأخبار ، وسميت هذه الكتب بالكتب الأربعة للمحمد بن النجاشي ، وأصبحت  
 مدار البحث في الحلقات التدريسية بمدرسة أهل البيت منذ تأليفها حتى اليوم، شأنها في ذلك شأن الصحاح  
 الستة بمدرسة الخلفاء عدا ان مدرسة أهل البيت لا تلتزم بصحة جميع ما في كتاب ما عدا كتاب الله جل  
 جلاله .

(١) ترجمته بجامع الرواة ٤٢٣/١ .

(٢) ترجمته بمجمع الرجال ٢٣٢/٣ .

(٣) ترجمته برجال النجاشي ص ١٥٦ .

## ب - أصل ظريف :

ليس ما يسمى بأصل ظريف أو كتاب في الديات تأليف ظريف، وإنما هو كتاب كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) لامرائه ورؤساء أجناده، كما يعرف ذلك من سند رواية الكليني (د) ' عن أبي عمرو المتطبب، قال : عرضته على أبي عبد الله، قال - أي عرضت كتاب الديات موضوع البحث على أبي عبد الله الصادق فقال في تعريف الكتاب - : أفتى أمير المؤمنين، فكتب الناس فتياه، وكتب به أمير المؤمنين إلى امرائه ورؤوس أجناده . . . الحديث .

وفي سند رواية الكليني (ج) عن محمد بن عيسى وعن يونس جميعا، قالوا : عرضنا كتاب الفرائض عن أمير المؤمنين على أبي الحسن الرضا، فقال هو صحيح . . . الحديث .

يتضح من هذه الروايات وغيرها ان كتاب ديات ظريف إنما نسب إليه لرواية جمع من المشايخ عنه<sup>٢</sup>، وقد صرح بذلك الشيخ الطوسي في ترجمة محمد بن أبي عمرو حيث قال : محمد بن أبي عمرو الطيب، كوفي، روى كتاب الديات عن أبي عبد الله (ع) وهو المنسوب إلى ظريف بن ناصح، لأنه طريقه<sup>٣</sup>.

ويستفاد أيضاً من تلك الأسانيد - خاصة ما ورد في سند حديث

(١) قسمنا روايات الكافي عن ظريف إلى خمسة :

أ - ما ورد في ٣١١/٧ منه، وب - ما في ٣٢٤/٧، وج - ما في ٣٢٧/٧، ود - ما في ٣٣٠/٧ - ٣٤٢ منه وه - رواية الفقيه .

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦١/٢ في البحث عن الاصول .

(٣) مجمع الرجال ١١٧/٥ .

الكافي (د) عن الامام الصادق - أنّ بعض شيعة الامام علي في عصره كانوا قد كتبوا الكتاب عن املائه أو خطه .

ويظهر أيضاً من تلك الروايات ان كتاب الديات هذا لم يكن جزءاً من كتاب الجامعة للإمام علي، وأنما سُمّي في الروايات بكتاب الديات، وكتاب ما أفتى به عن أمير المؤمنين، وكتاب الفرائض عن أمير المؤمنين، وهو أيضاً غير صحيفة الفرائض عن أمير المؤمنين في المواريث والتي كانت بخط أمير المؤمنين .

هذا ما وجدنا عن ظريف وأصله، أمّا سند المصنفين إلى رواية الكتاب فإنه يتصل بالائمة بسلسلة متصلة الحلقات كما يلي:

#### أسانيد المصنفين إلى كتاب الديات رواية ظريف:

تتصل أسانيد المشايخ في روايتهم كتاب الديات الذي كان بإملاء أمير المؤمنين باثنين من أئمة أهل البيت: أ - الإمام الصادق (ع)؛ ب - الإمام الرضا (ع).

وندرس في ما يلي أسانيد المشايخ إلى كل امام على حدة:

#### أ - أسانيدهم إلى الإمام الصادق (ع):

تنقسم أسانيد الكتب إلى الإمام الصادق إلى مجموعتين نوردهما في ما يلي:

#### أسانيد المجموعة الأولى:

وردت أسانيد المجموعة الأولى في روايات الشيخ الكليني و الشيخ

الطوسي كما يلي:

أولاً - الشيخ الكليني:

قال الكليني في باب « ما يمتحن به من يصاب في سمعه . . . »

من كتاب الديات في الكافي:

١ - عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن ظريف، عن أبيه ظريف بن ناصح، عن رجل يقال له عبدالله بن أيوب، قال: حدثني أبو عمرو المتطبب، قال: عرضت هذا الكتاب على أبي عبدالله (ع). الحديث<sup>١</sup>.

وقصد الكليني من عده من أصحابنا في طريق سهل بن زياد بكتاب الكافي: علي بن محمد بن إبراهيم، علان، ومحمد بن الحسن الصفار، ومحمد بن جعفر أبا عبدالله الأسدي، ومحمد بن عقيل الكليني<sup>٢</sup>.

روى الكليني بهذا السند هنا بعض أحكام الديات من الكتاب المذكور.

وروى في « باب آخر » من نفس الكتاب كثيراً من أحكام الديات من الكتاب المذكور بنفس السند وفي لفظه (حدثني رجل يقال له عبدالله بن أيوب قال: حدثني أبو عمرو المتطبب، قال: عرضته على أبي عبدالله (ع) قال: أفتى به أمير المؤمنين (ع) فكتب إلى امرائه ووؤوس أجناده فمما كان فيه إن أصيب شفر العين فشتت . . . الحديث<sup>٣</sup>.

(١) الكافي ٣٢٤/٧.

(٢) وفي جامع الرواة ٤٦٥/٢ « علي بن محمد بن علان » خطأ والتصويب من مجمع الرجال ٢٠١/٧، ومستدرک الوسائل ٥٤١/٣.

(٣) الكافي ٣٣٠/٧ - ٣٤٢.

وتبعه الشيخ الطوسي في التهذيب<sup>١</sup> في باب (ديات الأعضاء والجوارح . . . ) وقال: « سهل بن زياد » ثم أورد سند الكليني بلفظه، وفي لفظ الحديث عند الطوسي: « أفتى أمير المؤمنين فكتب الناس فتياه، وكتب أمير المؤمنين به إلى امرائه ورؤوس أجناده فمما كان فيه: ان أصيب شفر العين . . . » الحديث إلى آخر دية الشتر والحاجب، وانما قلنا تبع الشيخ الطوسي الكليني في هذه الرواية لأنه قال في مشيخة تهذيب الاحكام<sup>٢</sup>:

وما ذكرته عن سهل بن زياد فقد رويته بهذه الاسانيد عن محمد بن يعقوب أي الكليني .

و أورد الكليني أيضاً بنفس السند في باب « القسامة » ما يخص القسامة<sup>٣</sup>.

وهكذا وزّع الكليني كتاب الديات على أبواب كتاب الكافي .  
أمّا الشيخ الطوسي فقد أورد بعضه في أبواب التهذيب متفرقا، وأورد جميع الكتاب مرة واحدة كما يأتي ذكره:

ثانياً - الشيخ الطوسي :

قال الشيخ الطوسي في باب « ديات الشجاج . . . » من كتاب التهذيب :

٢ - محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ظريف بن ناصح .

(١) تهذيب الشيخ الطوسي ٢٥٨/١٠ .

(٢) مشيخة تهذيب الاحكام ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) الكافي ٣٦٢/٧ - ٣٦٣ .

- ٣ - وروى أحمد بن محمد بن يحيى عن العباس بن معروف عن الحسن بن علي بن فضال عن ظريف بن ناصح .
- ٤ - وعلي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن فضال عن ظريف بن ناصح .
- ٥ - وسهل بن زياد عن الحسن بن ظريف عن أبيه ظريف بن ناصح .
- ٦ - ورواه محمد بن الحسن بن الوليد عن أحمد بن إدريس عن محمد ابن حسان الرازي عن اسماعيل بن جعفر الكندي عن ظريف بن ناصح ، قال : حدثني رجل يقال له : عبدالله بن أيوب ، قال : حدثني أبو عمرو المتطبب ، قال : عرضت هذه الرواية على أبي عبدالله (ع) .
- ثم أورد بعدها أسانيد الرسالة إلى الإمام الرضا (ع) ثم أورد جميع كتاب الديات<sup>١</sup> .

في هذه الأسانيد :

أولاً : محمد بن الحسن بن الوليد . قال الشيخ في مشيخة التهذيب : وما ذكرته عن محمد بن الحسن بن الوليد ، فقد أخبرني به الشيخ أبو عبدالله - المفيد - عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن محمد بن الحسن بن الوليد<sup>٢</sup> .

ثانياً : أحمد بن محمد بن يحيى . قال الشيخ الطوسي في رجاله : أخبرنا عنه الحسين بن عبيدالله وأبو الحسين بن أبي جيد القمي وسمع منه سنة ست وخمسين وثلاثمائة<sup>٣</sup> .

(١) تهذيب الاحكام ٢٩٥/١٠ - ٣٠٨ .

(٢) مشيخة التهذيب ص ٧٥ .

(٣) مجمع الرجال ١/١٦٨ ، وفي مشيخة التهذيب ص ٣٤ وأخبرني به أيضاً الحسين بن عبيدالله وأبو الحسين بن أبي الجيد القمي جميعاً عن أحمد بن محمد بن يحيى .



ثالثاً: علي بن إبراهيم . قال الشيخ الطوسي في مشيخة التهذيب<sup>١</sup> : و م ذكرته عن علي بن إبراهيم بن هاشم فقد رويته بهذه الاسانيد عن محمّد بن يعقوب أي الكليني .

رابعاً: سهل بن زياد . و سبق قولنا فيه ان الشيخ - أيضاً - ينقل روايته عن الكافي .

خامساً: محمّد بن الحسن بن الوليد . و سبق القول فيه .

### أسانيد المجموعة الثانية :

تنحصر برواية الشيخ الصدوق و من تبعه : قال الشيخ الصدوق في باب « دية جوارح الانسان . . . » من كتاب : فقيه من لا يحضره الفقيه :

٧ - روى الحسن بن علي بن فضال عن ظريف بن ناصح عن عبد الله بن أيوب ، قال : حدّثني حسين الرواسي عن ابن أبي عمرو والطبيب ، قال : عرضت هذه الرواية على أبي عبد الله (ع) فقال : نعم هي حقّ ، وقد كان أمير المؤمنين (ع) يأمر عمّاله بذلك ، قال : أفتى (ع) في كل عظم له مخّ . . الحديث<sup>٢</sup> .

روى الشيخ الصدوق هنا كتاب الديات عن الحسن بن علي بن فضال وقال في مشيخة كتابه : وما كان فيه عن الحسن بن علي بن فضال فقد رويته عن أبي - علي بن الحسين بن بابويه القمي - رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن علي بن فضال<sup>٣</sup> .

أورد الشيخ الصدوق بهذا السند في هذا الباب جميع كتاب الديات أو

(١) مشيخة التهذيب ص ٢٩ .

(٢) فقيه من لا يحضره الفقيه ٥٤/٤ .

(٣) مشيخة كتاب الفقيه بآخر المجلد الرابع منه ص ٩٥ .

فرائض علي في اثنتي عشرة صفحة من اخريات كتابه<sup>١</sup>.

أسانيد اخرى للكتاب إلى ظريف فحسب:

قال الشيخ الطوسي بترجمة ظريف من الفهرست:

٨ - له كتاب الديات، أخبرنا به الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله عن

أبي الحسين أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد.

٩ - وأخبرنا ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد

ابن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عنه<sup>٢</sup>.

١٠ - وقال أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي

(ت: ٤٠٥ هـ) في ترجمة ظريف من رجاله: له كتب، منها كتاب الديات،

رواه عدة من أصحابنا.

١١ - أخبرنا عدة من أصحابنا عن أبي غالب أحمد بن محمد، قال:

قرأ عليّ عبد الله بن جعفر وأنا اسمع، قال: حدّثنا الحسن بن ظريف، عن

أبيه به<sup>٣</sup>.

\* \* \*

انتهت أسانيد المشايخ في روايتهم الكتاب عن الإمام الصادق إلى عشرة

أسانيد حسب احصائنا لها في مصنفاتهم، وتنقسم سلاسل أسانيدهم إلى

الإمام الصادق إلى قسمين:

أ - من ظريف إلى الإمام الصادق .

ب - من المشايخ إلى ظريف .

(١) فقيه من لا يحضره الفقيه ٥٤/٤ - ٦٦ .

(٢) فهرست الشيخ الطوسي ص ١١٢ .

(٣) رجال النجاشي ص ١٥٦ .

## أ - أسانيد الكتاب من ظريف إلى الإمام الصادق (ع) :

ورد سند ظريف إلى الإمام الصادق (ع) في المجموعة الأولى كما يلي :  
ظريف بن ناصح عن عبد الله بن أيوب عن ابن أبي عمرو الطيب عن الإمام  
الصادق، وفي المجموعة الثانية : ظريف بن ناصح ، عن عبد الله بن أيوب عن  
حسين الرواسي ، عن ابن أبي عمرو الطيب عن الإمام الصادق .

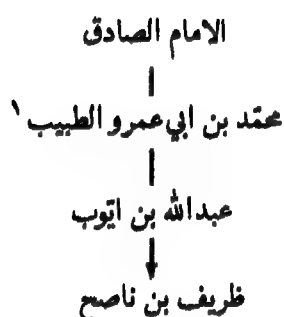
ورد في سند المجموعة الثانية « حسين الرواسي وابن أبي عمرو » بين  
عبد الله بن أيوب وأبي عمرو ، بينما لم يرد اسمهما في سند المجموعة الأولى ،  
ونرى أنّ منشأ ذلك أولاً سقوط لفظ ( ابن ) قبل ( أبي عمرو ) من نسخهم  
وبذلك أصبح ( أبو عمرو ) الأب هو الراوي عن الإمام الصادق وهو  
المتطّيب ، بينما الراوي عن الإمام كان ابنه محمد بن أبي عمرو ، وكان من  
أصحاب الصادق<sup>١</sup> وكان هو الطيب كما ورد في ترجمته بمجمع الرجال  
وجامع الرواة نقلاً عن رجال الشيخ قال : محمد بن أبي عمرو الطيب كوفي  
روى كتاب الديات عن أبي عبد الله (ع) وهو المنسوب إلى ظريف بن ناصح ،  
لأنه طريقه<sup>٢</sup>

هذا عن ابن أبي عمرو ، أمّا رواية عبد الله بن أيوب في المجموعة  
الثانية عن حسين الرواسي عن ابن أبي عمرو ، وفي المجموعة الأولى عن ابن  
أبي عمرو بلا واسطة فذلك يعني ان ابن أيوب يروي الكتاب عن الرواسي  
عن ابن أبي عمرو تارة ، وأخرى عن ابن أبي عمرو مباشرة ، وقد ورد نظير

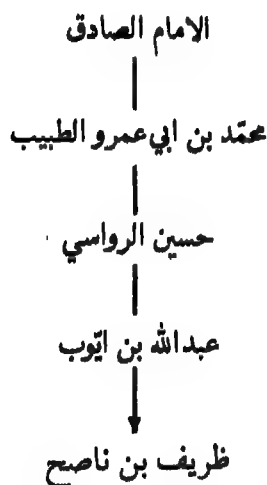
(١) رمز في ترجمته بـ « ق » إلى انه من أصحاب الصادق كما هو دينهم، ونقل ذلك في الزريعة  
١٦١/٢ عن رجال الشيخ الطوسي .  
(٢) ترجمته بمجمع الرجال ١١٧/٥ وجامع الرواة ٥٠/٢ .

ذلك في رواية الاقران كثيراً. ويبين الجدول الآتي سند ظريف إلى الإمام الصادق (ع) لدى المجموعتين الأولى والثانية:

#### أ - جدول سند المجموعة الأولى:

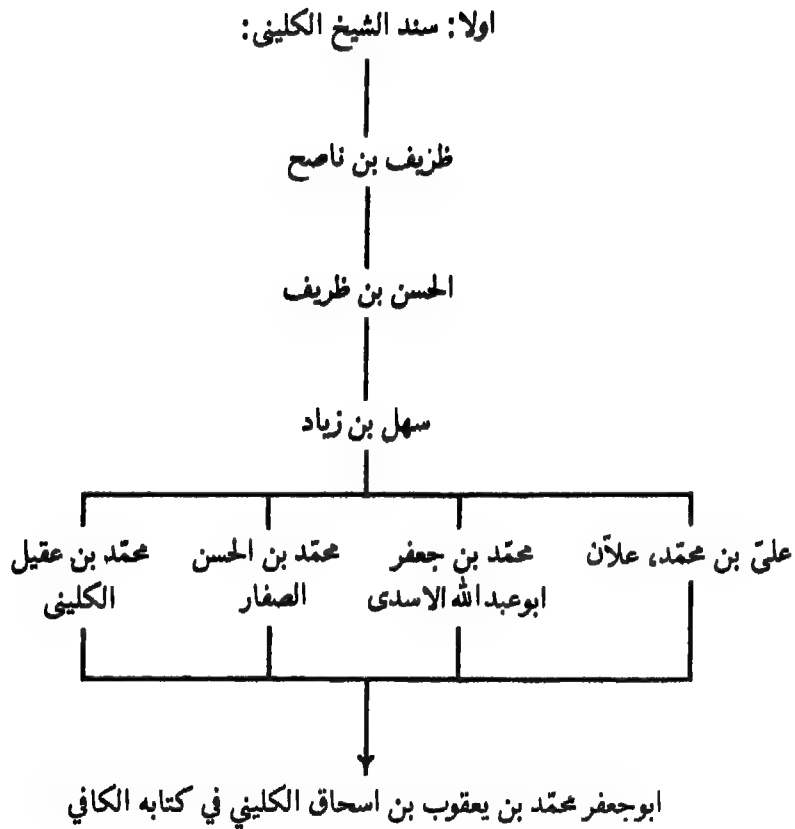


#### ب - جدول سند المجموعة الثانية:



(١) كتبنا محمد بن أبي عمرو بناء على ما رجحناه من أن اسمه سقط سهواً لديهم كما بيناه في محله .

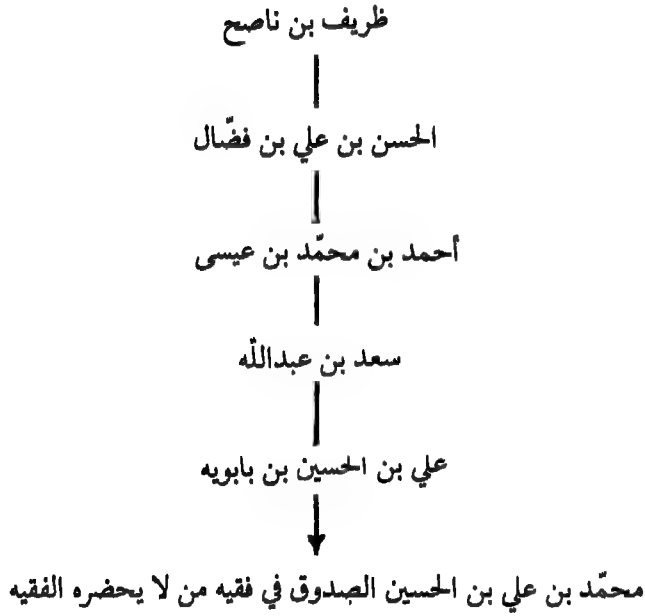
ب - أسانيد الكتاب من المشايخ إلى ظريف :  
أوردنا آنفاً أسانيد المجموعتين إلى ظريف ، و نكتفي هنا بإيرادهما في  
جدولين ليسهل البحث حولهما :  
أ - أسانيد المجموعة الأولى :



(٢) ذكر الشيخ الطوسي في مشيخة التهذيب ص ٨ أنه يروي الكافي عن الشيخ المفيد عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن الكوفي

## ب - جدول سند المجموعة الثانية :

### سند الشيخ الصدوق :



\* \* \*

كانت هذه سلسلة أسانيد المشايخ إلى الإمام الصادق في رواية كتاب الديات قضاء أمير المؤمنين وفي ما يلي أسانيدهم إلى الإمام الرضا (ع) .

ب - أسانيدهم إلى الإمام الرضا في روايتهم كتاب الديات :  
 يروي المشايخ كتاب الديات الذي كان بخط الإمام علي أو باملائه عن  
 الإمام الرضا بثلاثة أسانيد :

أولاً - سند الحسن بن علي المشهور بابن فضال :

١ - أخرج الكليني في عدة أبواب من كتابه الكافي أقساماً من رواية كتاب  
 الديات عن ابن فضال هذا ، منها ما في باب « دية الجراحات » .  
 أخرج فيه عن علي بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن ابن  
 فضال ، قال : عرضت الكتاب على أبي الحسن ، فقال : هو صحيح . « قضى  
 أمير المؤمنين في دية جراحات الأعضاء كلها . . . ثم أورد قسماً من كتاب  
 الديات »<sup>١</sup> .

وتبعه الشيخ الطوسي و أورد هذا القسم من كتاب الديات ، في باب  
 ديات الشجاج من تهذيبه بلفظ الكليني في سنده و متنه<sup>٢</sup> .

ثانياً - سند يونس بن عبدالرحمن مولى آل يقطين :

روى الكليني في باب « ما يمتحن به من يصاب . . . » من كتابه  
 الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس . قال يونس :  
 عرضت عليه الكتاب فقال : « هو صحيح » . و أورد من الكتاب ما يخص  
 كيفية امتحان من أصيب في إحدى عينيه<sup>٣</sup> .

و تبعه الشيخ الطوسي و أورد بلفظ الكليني في سنده و متنه بباب

(١) الكافي ٣٢٧/٧ .

(٢) التهذيب للشيخ الطوسي ٢٩٢/١٠ .

(٣) الكافي ٣٢٤/٧ .



« ديات الأعضاء والجوارح . . . » من كتاب التهذيب<sup>١</sup>

ويجمع المشايخ بين السندين في جلّ ما أورده في روايتهم الكتاب عن الإمام الرضا.

في المثال الأوّل، قال الكليني و الطوسي: علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي الحسن (ع). وعنه عن أبيه، عن ابن فضال، قال: عرضت الكتاب على أبي الحسن، فقال: هو صحيح . . . وفي المثال الثاني، قالوا: علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس. وعن أبيه عن ابن فضال جميعاً عن أبي الحسن الرضا (ع). قال يونس: عرضت عليه الكتاب فقال هو صحيح . . .

وكذلك فعل الكليني في « باب آخر » من كتاب الديات وقال: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال. ومحمّد بن عيسى، عن يونس جميعاً، قالوا: عرضنا كتاب الفرائض عن أمير المؤمنين (ع) على أبي الحسن الرضا (ع) فقال: « هو صحيح » . . .

ثم أورد قسماً كبيراً من كتاب الديات في هذا الباب<sup>٢</sup>، وتبعه الشيخ الطوسي في إيراد أحد أسانيد الكليني وما فيه بيان شتر العين وفقد الحاجب من أوّل ما أورده الكليني<sup>٣</sup>.

وفي باب « القسامة » من الكافي أيضاً أورد الكليني من الكتاب ما يخص القسامة بالسندين المذكورين<sup>٤</sup>.

(١) تهذيب الشيخ الطوسي ٢٦٧/١٠.

(٢) الكافي ٣٣٠/٧ - ٣٤٢، وأورد أحياناً مع ما في كتاب الديات روايات أخرى تناسب الباب.

(٣) تهذيب الشيخ الطوسي ٢٥٨/١٠، أورد سند الكليني إلى الإمام الصادق ولم يورد سنده إلى

الإمام الرضا (ع).

(٤) الكافي ٣٦٢/٧ - ٣٦٣.

وقال الكليني في باب « ما تجب فيه الدية كاملة من الجراحات . . . »  
علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس . وعدة من أصحابنا ، عن  
سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس . انه عرض على أبي الحسن  
الرضا كتاب الديات ، وكان فيه ذهاب السمع . . .

ثم أورد من الكتاب ما يخص الباب ، وبعد انتهائه من إيراد ما أراد ،  
قال : علي ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن الرضا مثله<sup>١</sup> .

وتبعه الشيخ الطوسي في باب ديات الأعضاء والجوارح . . من التهذيب  
وأورد هذا القسم مما أورده الكليني هنا بسنده ومثله<sup>٢</sup> .

امتاز هذا الحديث على ما سبقه بروايته عن محمد بن عيسى بطريقتين :

أ - علي بن إبراهيم .

ب - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد .

وروى الشيخ في كتاب التهذيب بباب « الحوامل والحمول . . » وفي  
الاستبصار بباب « دية الجنين » ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن  
فضال ، ومحمد بن عيسى ، عن يونس جميعاً ، قالوا : عرضنا كتاب الفرائض  
عن أمير المؤمنين على أبي الحسن (ع) قال : « هو صحيح » . وكان مما فيه :  
أن أمير المؤمنين جعل دية الجنين مائة دينار . . .<sup>٣</sup>

وقال الشيخ الطوسي أيضاً في باب « ديات الشجاج وكسر  
العظام . . » من التهذيب بعد إirاده اسناده إلى الإمام الصادق : وروى علي  
بن إبراهيم عن أبيه عن ابن فضال ، ومحمد بن عيسى ، عن يونس جميعاً ،

(١) الكافي ٣١١/٧ .

(٢) تهذيب الشيخ الطوسي ٢٤٥/١٠ .

(٣) تهذيب الشيخ ٢٨٥/١٠ ، والاستبصار ٢٩٩/٤ .

عن الرضا (ع) قالاً: عرضنا عليه الكتاب، فقال: نعم هو حق<sup>١</sup>، وقد كان أمير المؤمنين يأمر عمّاله بذلك... الحديث<sup>٢</sup>.

ثالثاً - رواية الحسن بن الجهم:

قال الكليني في باب « ما يمتحن به من يصاب في سمعه... » عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن ظريف... إلى قوله، حدّثني أبو عمرو المتطّيب، قال: عرضت هذا الكتاب على أبي عبد الله (ع). وعلي بن فضال عن الحسن بن الجهم، قال: عرضته على أبي الحسن الرضا (ع) فقال لي: أرووه فأنه صحيح، ثم ذكر مثله<sup>٣</sup>.

قصد الكليني أنّ عده من أصحابنا رووا عن سهل بن زياد، عن الحسن بن ظريف رواية عرض الكتاب على الإمام الصادق (ع).

و أنّ أولئك العدة من أصحابنا أيضاً رووا عن سهل بن زياد عن عليّ بن فضال رواية عرض الكتاب على الإمام الرضا، وهذا دأب الكليني وسائر المشايخ المحدثين في اختصار السند، وحذف صدر السند الثاني إذ كان قد ورد في صدر الحديث السابق.

وقصد الكليني من علي بن فضال: علي بن الحسن بن علي بن فضال، فهذا روى بواسطة الحسن بن الجهم عن الإمام الرضا، و روى أبوه الحسن بن علي بن فضال عن الإمام الرضا بلا واسطة كما مرّ بيانه في بحث السند الأوّل.

كان هذا ما وجدنا من أسانيد كتاب الديات إلى الإمام الرضا (ع) كما تبينه الجداول الثلاثة الآتية:

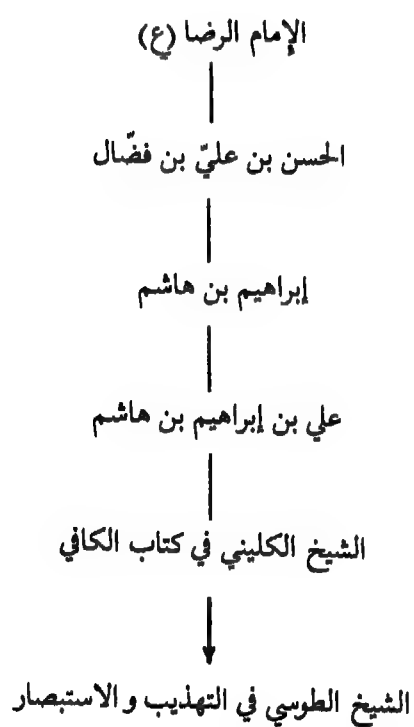
(١) في الأصل « هو نعم حق » ورأينا الصواب « نعم هو حق » كما ورد في رواية الصدوق في الفقيه

نظيره.

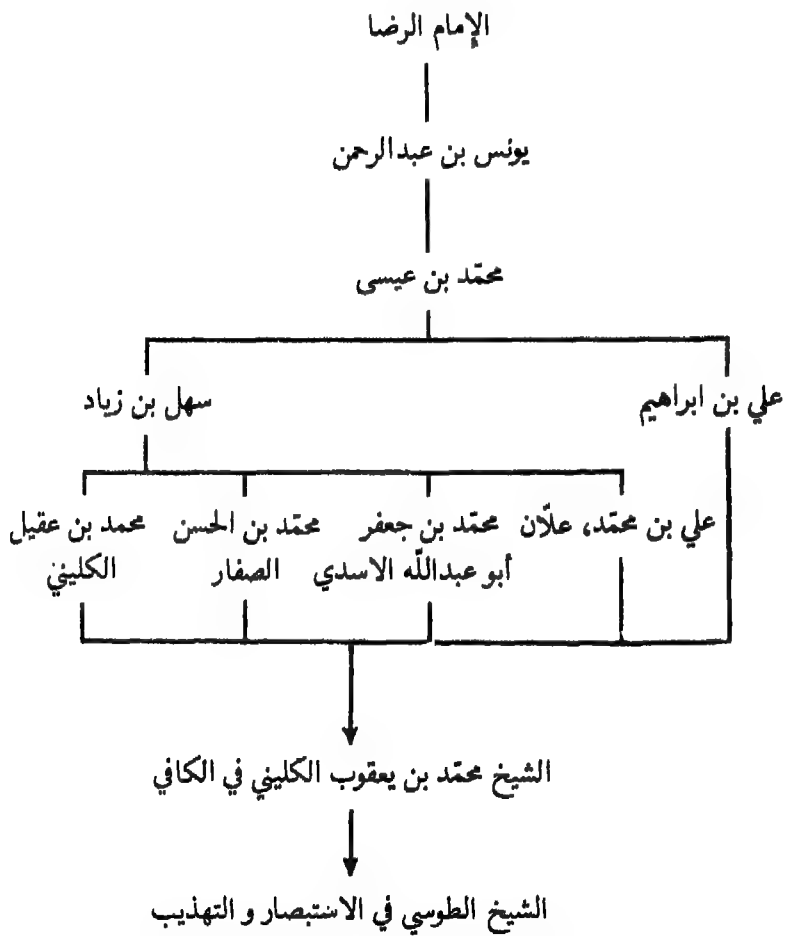
(٢) تهذيب الشيخ الطوسي ٢٩٥/١٠ - ٣٠٨.

(٣) الكافي ٣٢٤/٧.

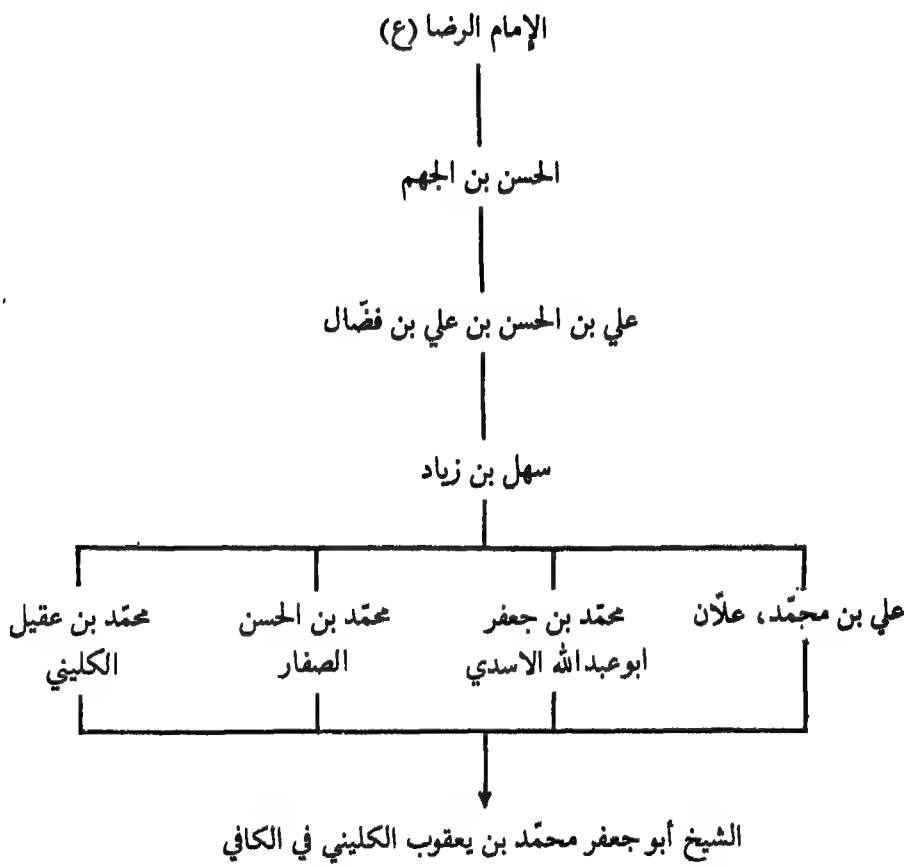
## أ - سلسلة سند الحسن بن علي بن فضال



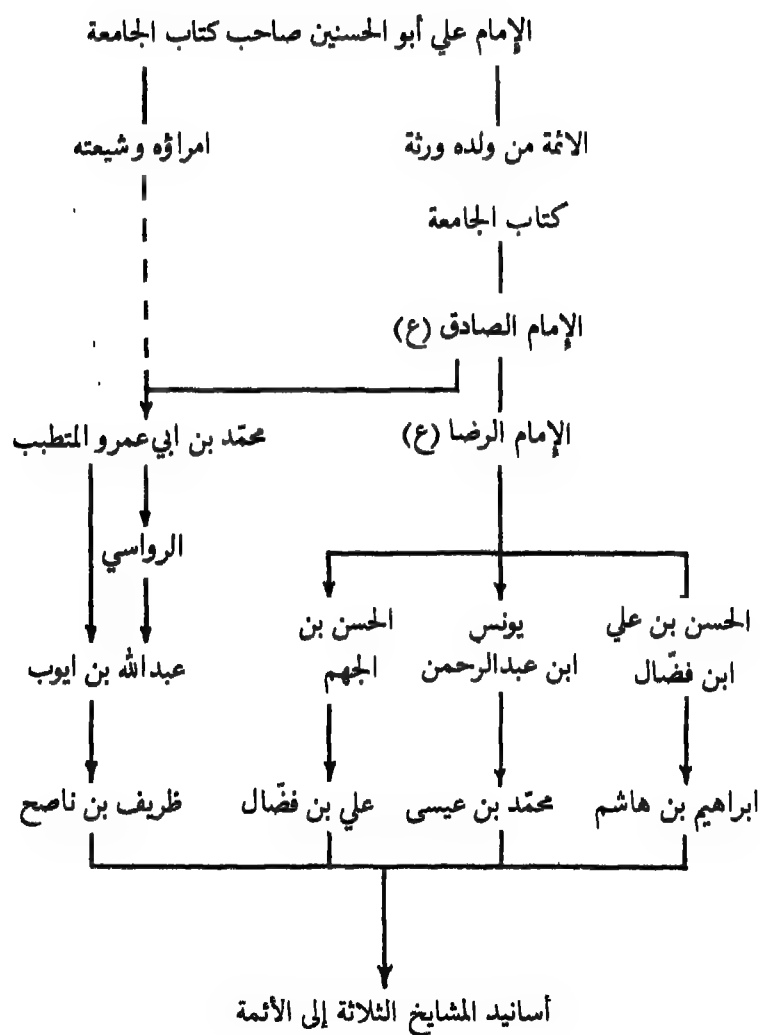
ب - سلسلة سند يونس بن عبد الرحمن



## ج - سلسلة سند الحسن بن الجهم



## سلسلة رواية كتاب الدييات عن الإمام علي (ع)



## خلاصة البحث

إنّ كتاب الدييات المنسوب إلى ظريف بن ناصح ، كان الإمام عليّ قد كتبه بخطه أو أنّه كان قد أملاه ، وكتب به إلى امرائه ، وكتبه شيعته وتوارثوه جيلاً بعد جيل حتى إذا انتهوا إلى عصر الإمام الصادق عرضوه عليه فقال عن الرواية : « نعم هو حق وقد كان أمير المؤمنين يأمر عماله بذلك » .  
وفي رواية : أفّى أمير المؤمنين فكتب الناس فتياه ، وكتب أمير المؤمنين به إلى امرائه ورؤوس أجناده .

ثمّ تسلسل الرواة عن الإمام الصادق حتى عصر المشايخ ، وفي هؤلاء الرواة من أدرك الإمام الرضا (ع) وعرض الكتاب عليه ، فقال لأحدهم : نعم هو حق ، قد كان أمير المؤمنين يأمر عماله بذلك !

وقال للثاني : هو صحيح .

وقال للثالث : أرووه فانه صحيح .

ثمّ تسلسل الرواة أيضاً عن الإمام إلى المشايخ ، وأدرجه المشايخ في الكتب الأربعة : الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار .

فرّق الكليني الكتاب على أبواب الدييات في الكافي . وأورد الصدوق جميعه مرة واحدة وفي باب واحد من الفقيه .



و أورد الشيخ الطوسي جميعه في مكان واحد من التهذيب، و أورده أيضاً متفرقاً في أبواب مختلفة منه .

و أورد قسماً منه في باب واحد من الاستبصار .

تسلسلت روايات المشايخ إلى الأئمة في نقل كتاب الديات عنهم، و أوردوا أحاديث أخرى عن الأئمة في نفس مواضع كتاب الديات، و بنفس المغزى، مثاله ما قاله الكليني في باب « دية الجنين » :

و بهذا الاسناد، أي بالاسناد الذي أوردته في أول الباب إلى الإمامين ( الصادق و الرضا ) في نقل كتاب الديات، قال :

١ - و بهذا الإسناد عن أمير المؤمنين (ع) قال : جعل دية الجنين مائة ديناراً و جعل مني الرجل إلى أن يكون جنيناً خمسة أجزاء : فإذا كان جنيناً قبل أن تلجه الروح مائة دينار و ذلك أن الله عز و جل خلق الإنسان من سلالة وهي النطفة فهذا جزء، ثم علقه فهو جزءان، ثم مضغة فهو ثلاثة أجزاء، ثم عظما فهو أربعة أجزاء، ثم يكسى لحماً فحينئذ تم جنيناً فكملت له خمسة أجزاء مائة دينار، و المائة دينار خمسة أجزاء فجعل للنطفة خمس المائة عشرين ديناراً، و للعلقة خمسي المائة أربعين ديناراً، و للمضغة ثلاثة أخماس المائة، ستين ديناراً و للعظم أربعة أخماس المائة، ثمانين ديناراً، فإذا كُسي اللحم كانت له مائة دينار كاملة، فإذا نشأ فيه خلق آخر وهو الروح؛ فهو حينئذ نفس فيه ألف دينار دية كاملة إن كان ذكراً، و إن كان أنثى فخمسمائة دينار، و إن قتلت امرأة وهي حبلى فتم فلم يسقط ولدها و لم يعلم أذكر هو أم أنثى، و لم يعلم أبعدها مات أو قبلها؛ فديته نصفان، نصف دية الذكر و نصف دية الأنثى، و دية المرأة كاملة بعد ذلك و ذلك ستة أجزاء من الجنين، و أفتى (ع)

في مني الرجل يفرع<sup>١</sup> من عرسه فيعزل عنها الماء ولم يرد ذلك نصف خمس  
المائة عشرة دنانير ، وإذا أفرغ فيها عشرين ديناراً ، وقضى في دية جراح الجنين  
من حساب المائة على ما يكون من جراح الذكر والأنثى الرجل والمرأة كاملة ،  
وجعل له في قصاص جراحته ومعقلته على قدر ديته وهي مائة دينار<sup>٢</sup> .

و ورد أيضاً في نفس الباب عن سعيد بن المسيّب قال : سألت عليّ بن  
الحسين (ع) عن رجل ضرب امرأة حاملاً برجله فطرحته ما في بطنها ميتاً  
فقال : إن كان نطفة فإنّ عليه عشرين ديناراً ، قلت : فما حدّ النطفة ؟ فقال :  
هي التي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه أربعين يوماً ، قال : وإن طرحته  
وهو علقه ؛ فإنّ عليه أربعين ديناراً ، قلت : فما حدّ العلقه ؟ فقال : هي التي  
إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه ثمانين يوماً ، قال : وإن طرحته وهو مضغّة ؛  
فإنّ عليه ستين ديناراً ، قلت : فما حدّ المضغّة ؟ فقال : هي التي إذا وقعت في  
الرحم فاستقرّت فيه مائة وعشرين يوماً ، قال : وإن طرحته وهو نسمة مخلّقة  
له عظم ولحم مزيل الجوارح قد نفخ فيه روح العقل فإنّ عليه دية كاملة . . .  
الحديث<sup>٣</sup> .

و ورد فيه عن محمّد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر (ع) عن الرّجل  
يضرب المرأة فتطرح النطفة ؟ فقال : عليه عشرون ديناراً ، فقلت : يضربها  
فتطرح العلقه ؟ فقال : عليه أربعون ديناراً ، قلت : فيضربها فتطرح المضغّة ؟  
قال : عليه ستون ديناراً ، قلت : فيضربها فتطرحه وقد صار له عظم ؟ فقال :  
عليه الدية كاملة ، وبهذا قضى أمير المؤمنين (ع) ، قلت : فما صفة خلقه  
النطفة التي تعرف بها ؟ فقال : النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة

(١) في الكافي ٣٤٣/٧ (بفرغ) وهو خطأ .

(٢) الكافي ٣٤٣/٧ .

(٣) الكافي ٣٤٧/٧ .

فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً ثمّ تصير إلى علقه، قلت: فما صفة خلقه العلقه التي تعرف بها؟ فقال: هي علقه كعلقه الدم المحجمة الجامدة تمكث في الرحم بعد تحولها عن النطفة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة: قلت: فما صفة المضغة وخلقتها التي تعرف بها؟ قال: هي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة، ثمّ تصير إلى عظم، قلت: فما صفة خلقتها إذا كان عظماً؟ فقال: إذا كان عظماً شقّ له السمع والبصر ورُتبت جوارحه فإذا كان كذلك فإنّ فيه الدية كاملة<sup>١</sup>.

و عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله (ع) قال: دية الجنين خمسة أجزاء: خمس للنطفة عشرون ديناراً، وللعلقه خمسان أربعون ديناراً، وللمضغة ثلاثة أخماس ستون ديناراً، وللعظم أربعة أخماس ثمانون ديناراً، فإذا تمّ الجنين كانت له مائة دينار، فإذا أنشأ فيه الروح فديته ألف دينار أو عشرة آلاف درهم إن كان ذكراً، وإن كان أنثى فخمسمائة دينار، وإن قتلت المرأة وهي حبلى فلم يدر أذكر كان ولدها أو أنثى فدية الولد نصفان نصف دية الذكر ونصف دية الأنثى وديتها كاملة<sup>٢</sup>.



في هذا المورد وجدنا الحكم المبين في حديث الإمام الصادق (ع) نظير الحكم المشروح في حديث الإمام الباقر (ع)، والحكم في حديثيها نظير الحكم في حديث الإمام السجّاد (ع) والحكم في أحاديثهم هذه نظير ما في كتاب الديات الذي أملاه الإمام علي (ع)، وفي الباب أيضاً حديثان آخران عن الإمامين الباقر والصادق (ع) لا يختلفان عمّا سبق إلّا بمقدار ما بين الموجز

(١) الكافي ٣٤٥/٧.

(٢) الكافي ٣٤٣/٧.

## والمفصل والمجمل والمبين<sup>١</sup>.

وكذلك نجد في باب « دية الجنين » ثلاثة أحاديث عن الإمام الصادق (ع) بمغزى واحد؛ روى الأول أبو بصير عن أبي عبد الله، قال: إن صرب رجل بطن امرأة حبلى فألقت ما في بطنها ميتاً؛ فإن عليه غرة عبد أو أمة يدفعها إليها<sup>٢</sup>.

وروى الثاني داود بن فرقد، عن أبي عبد الله (ع) قال: جاءت امرأة فاستعدت على اعرابي قد أفرعها فألقت جنيناً فقال الأعرابي لم يهل ولم يصح ومثله يطل فقال النبي (ص): اسكت سجاعة: عليك غرة وصيف، عبد أو أمة<sup>٣</sup>.

وروى الثالث السكوني، عن أبي عبد الله (ع) قال: قضى رسول الله (ص) في جنين الهلالية حيث رميت بالحجر فألقت ما في بطنها؛ غرة عبد أو أمة<sup>٤</sup>.

في هذا المورد، أفتى الإمام الصادق في الحديث الأول وبين حكم الله دون أن ينسبه إلى أحد، أما الحديثان الثاني والثالث فقد رواهما عن رسول الله مع بيان الحادث الذي حكم فيه رسول الله (ص).

ونجد نظير ما ذكرنا في كتاب الديات من الكافي كثيراً حيث نرى الحكم الواحد مبيناً في رواية ما عن أحد الأئمة تارة، وأخرى يرويه الإمام عن الإمام علي (ع)، وثالثة عن جدّهم الرسول (ص)، كما ورد في الصفحات: ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٨ و ٢٨١ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٣٢٠ و ٣٢٣ و ٣٢٦ و ٣٢٩ و ٣٣١

١) الحديثان السادس والثامن في الباب ص ٣٤٤ و ٣٤٥.

٢) الحديث الرابع ص ٣٤٤ من الكافي ج ٧.

٣) الكافي ٣٤٣/٧ الحديث الثالث.

٤) الكافي ٣٤٤/٧ الحديث السابع.

و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٥٣ - ٣٥٧ و ٣٦٠ و ٣٦٤ - ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٣  
و ٣٧٥ من الجزء السابع من الكافي :

وكذلك الأمر في غير كتاب الدييات من الكافي، وكذلك أيضاً في غير  
الكافي من الموسوعات الحديثية الإمامية مثل الفقيه والتهذيب والاستبصار .  
وإذا انتهينا من البحث في كتاب الدييات إلى هنا، فلا بد لنا عندئذ من  
التعرّف على الرجال الوسطاء بين المشايخ والأئمة في ما يلي :

## معرفة رواة كتاب الديات

انقطعت صلة الرواة بمن أخذوه عن الإمام في عصر بني امية على أثر نشاط خلفاء بني امية العدائي ضد الأئمة من آل علي (ع) وشيعتهم، حتى إذا كان عصر الإمام الصادق (ع)، عرضوا الكتاب الذي ورثوه من أسلافهم عليه، ومن بعده عرضوه على الإمام الرضا (ع) فتسلسل الرواة عنهما إلى المشايخ. وفي ما يلي تعريف أولئك الرواة:

أ- من روى كتاب الديات عن الإمام الصادق (ع) في المجموعة الأولى:

أولاً: سند الشيخ الكليني في الكافي:

روى الشيخ الكليني كتاب الديات عن «عدة» عن سهل بن زياد. ومن أولئك العدة:

١ - محمد بن جعفر بن محمد بن عون الاسدي:

قال النجاشي في ترجمته: أبو الحسين الكوفي، ساكن الري، له... أخبرنا... بجميع كتبه، ومات سنة ٣١٢ هـ.

وقال الطوسي: له كتاب... أخبرنا به جماعة... ورواياته بجامع

الرواة<sup>١</sup>.

٢ - محمد بن الحسن الصفار :

سبقت ترجمته .

٣ - علي بن محمد بن أبان الرازي الكليني المعروف بعلّان :

قال النجاشي في ترجمة الكليني : و كان خاله علّان الكليني . وقال في ترجمة علّان : يكنى أبا الحسن ، ثقة ، عين ، له كتاب أخبار القائم ، وقتل بطريق مكة . وفي مجمع الرواة : ثقة ، عين<sup>٢</sup> .

٤ - محمد بن عقيل الكليني :

لم يفرّدوا له ترجمة لانهم انما يترجمون أصحاب الاصول والمدونات ولم يكن محمد بن عقيل هذا من أصحاب المؤلفات ، وانما هو من الرواة ، وذكر في مجمع الرجال وفي جامع الرواة ما روي عنه من حديث<sup>٣</sup> .

وسهل بن زياد الادمي :

قال النجاشي : أبو سعيد الرازي ، له كتاب النوادر ، أخبرناه . . .  
وقال الشيخ الطوسي : له كتاب أخبرنا به . . . أدرك الإمام الجواد والهادي وكاتب الإمام الحسن العسكري سنة ٢٥٠ هـ وقد ضعفوه في الرواية<sup>٤</sup>

وروى سهل بن الحسن بن ظريف :

قال النجاشي في ترجمته : أبو محمد ، ثقة ، والرواة عنه كثير : أخبرنا

(١) مجمع الرجال ١٧٧/٥ ، و جامع الرواة ٨٦/٢ .

(٢) رجال النجاشي ص ٢٩٢ و ص ١٩٨ ، و مجمع الرجال ٢١٤/٤ ، و جامع الرواة ٥٩٦/١ .

(٣) مجمع الرجال ٢٦٥/٥ ، و جامع الرواة ١٥٠/٢ .

(٤) رجال النجاشي ص ١٤٠ ، و الفهرست ص ١٠٦ ، و جامع الرواة ٣٩٣/١ ، و مجمع الرجال

اجازة... .

وقال الشيخ الطوسي في ترجمته: له كتاب أخبرنا به عدة من أصحابنا... وذكر الأربيلي رواياته في جامع الرواة<sup>١</sup>. وروى الحسن بن ظريف، عن أبيه ظريف بن ناصح وسبقت ترجمته.

وروى ظريف بن ناصح عن عبد الله بن أيوب بن راشد الزهري قال النجاشي في ترجمته: بيّاع الزطبي، روى عن جعفر بن محمد (ع). له كتاب النوادر، أخبرنا... .

وقال الشيخ الطوسي في ترجمته: له كتاب رويناه عن جماعة... . وتعريف رواياته بجامع الرواة<sup>٢</sup>.

وروى ابن أيوب كتاب الديات عن محمد بن أبي عمرو الطيب عن الإمام الصادق (ع)، وقد سبقت ترجمة ابن أبي عمرو.

ثانياً: سند الشيخ الطوسي:

تنتهي أسانيد الشيخ الطوسي إلى ظريف بثلاثة طرق:

١ - سند الشيخ الكليني الذي درسناه آنفاً:

يتصل سند الشيخ الطوسي إلى الشيخ الكليني في رواية كتاب الكافي بواسطة جماعة ذكرهم في مشيخة كتاب التهذيب، قال: فما ذكرنا في هذا الكتاب عن محمد بن يعقوب الكليني (ره) فقد أخبرنا به الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ره)، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ره)، عن محمد بن يعقوب و... . نكتفي بهذا السند وندرس

١ و ٢) رجال النجاشي ص ١٤٦، وفهرست الطوسي ص ١٣٠، وجامع الرواة ٤٧٧/١ و ٤٧٤/١، وجمع الرجال ٢٥٦/٣ و ١١٧/٢.  
٣) قاله الشيخ الطوسي في مشيخة كتابه: التهذيب ص ٥ - ٢٣.



النواسطتين فيه :

أ - الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان :

قال النجاشي : شيخنا و استاذنا (رض) فضله أشهر من أن يوصف في  
الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم، له كتب . . . ( ت : ١٣ هـ ) .  
سمعنا منه هذه الكتب كلها؛ بعضها قراءة عليه، وبعضها يقرأ عليه  
غير مرة<sup>١</sup>.

ب - الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه :  
قال النجاشي : كان أبو القاسم من ثقات أصحابنا وأجلاتهم في  
الحديث والفقه، روى عن أبيه وأخيه عن سعد وقال : ما سمعت من سعد  
إلا أربعة أحاديث، وعليه قرأ شيخنا أبو عبد الله الفقيه، ومنه حمل .  
وله كتب . . . قرأت أكثر هذه الكتب على شيخنا أبي عبد الله (ره)،  
وعلى الحسين بن عبيد الله .

؟ وقال الطوسي في الفهرست : ثقة، له تصانيف كثيرة على عدد أبواب  
الفقه منها . . . وغير ذلك، وهي كثيرة، وله فهرست ما رواه من الكتب  
والاصول أخبرنا برواياته، وفهرس كتبه جماعة، منهم . . .  
وقال في رجاله : أخبرنا عنه محمد بن محمد بن النعمان - الشيخ المفيد -  
و . . . مات سنة ثمان وستين وثلاثمائة . وعين في جامع الرواة من أخرج  
حديثه من المصنفين<sup>٢</sup>.

٢ - سند الطوسي بواسطة المفيد والصدوق :

روى الشيخ الطوسي عن شيخه المفيد، والمفيد عن الشيخ أبي جعفر

(١) مجمع الرجال ٣٣/٦ - ٣٨ .

(٢) فهرست الطوسي ص ٦٧، ومجمع الرجال ٣٧/٢ - ٣٨، وروضات الجنات ١٧١/٢، وجامع

الرواة ١٥٧/١ - ١٥٨ .

محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن حسان الرازي، عن إسماعيل بن جعفر الكندي، عن ظريف بن ناصح، . . .

أولاً - الشيخ المفيد:

مضت ترجمته .

ثانياً - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه بن موسى القمي

نزىل الري:

قال النجاشي: شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين و ثلاثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، وله كتب كثيرة منها. . .

أخبرنا بجميع كتبه، وقرأت بعضها على والدي علي بن أحمد بن العباس النجاشي (ره)، وقال لي: أجازني جميع كتبه لَمَّا سمعنا منه ببغداد، ومات سنة (٣٨١ هـ).

وقال الشيخ في الفهرست: كان جليلاً حافظاً للحديث، بصيراً بالرجال، ناقدًا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف. . .

أخبرنا بجميع كتبه ورواياته جماعة من أصحابنا، منهم. . . كلهم عنه، وذكر نظير هذا القول في رجاله<sup>١</sup>.

ثالثاً - محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد:

قال النجاشي: أبو جعفر شيخ القميين وفقههم ومتقدمهم، ثقة، عين مسكون إليه، له كتب منها. . . أخبرنا. . . بجميع كتبه وأحاديثه،

(١) جمع الرجال ٢٦٩/٥ - ٢٧٣، وجامع الرواة ١٥٤/٢.

مات سنة (٣٤٣ هـ).

وقال الشيخ الطوسي في الفهرست: جليل القدر، عارف بالرجال، موثوق به، له كتب جماعة، منها... أخبرنا بروايته ابن أبي جيد عنه، وأخبرنا جماعة عن... وأخبرنا جماعة... عنه... وقال نظير هذا في رجاله، وعين الاربيلي أماكن رواياته في الكتب<sup>١</sup>.

رابعاً - أحمد بن إدريس :

قال النجاشي: أبو علي الأشعري القمي، كان ثقة، فقيهاً في أصحابنا، كثير الحديث، صحيح الرواية وله كتاب النوادر، أخبرني عدة من أصحابنا اجازة. توفي بالقرعاء في طريق مكة سنة ست وثلاثمائة. وقال الطوسي في الفهرست: له كتاب النوادر كبير، كثير الفوائد، أخبرنا بسائر رواياته الحسين بن عبيد الله... .

وقال في رجاله: وروى في رجاله عن التلعكبري انه قال: سمعت منه أحاديث يسيرة في دار ابن همام وليس لي منه اجازة. وفي جامع الرواة أماكن رواياته<sup>٢</sup>.

يعرف مما سبق ان النجاشي لم يسمع كتاب نوادره من شيخ، ولم يقرأه على شيخ، وانما له اجازة بروايته، وان الشيخ الطوسي سمع رواياته من شيوخه، عدا كتاب النوادر، وهذا لا ينافي ان الشيخ الطوسي روى كتاب الديات، برواية ظريف بوسائط عنه، فان كتاب الديات كان من مروياته اللاتي أخبره بها اساتذته.

(١) النجاشي ص ٢٩٧، وفهرست الطوسي ص ١٨٤، وجمع الرجال ١٨٢/٥ - ١٨٣، جامع الرواة ٩٠/٢.

(٢) جمع الرجال ٩٣/١ - ٩٤، وجمع الرواة ٤٠/١ - ٤١.

خامساً - محمد بن حسان الرازي الزينبي أو الزيني :  
قال الشيخ في الفهرست : له كتب منها . . . أخبرنا به .  
وقال النجاشي : له كتب منها . . . أخبرنا ابن شاذان عن . . . بكتبه .  
وذكر صاحب جامع الرواة رواياته .

و اسماعيل بن جعفر الكندي :  
لم يكن من أصحاب التوالمف فلم يفردوا له ترجمة خاصة .

٣ - سند الشيخ الطوسي إلى الحسن بن فضال و منه إلى ظريف :  
تتصل أسانيد الشيخ الطوسي بالحسن بن فضال في ثلاث سلاسل :

أولاً - بواسطة الكليني في الكافي وهذا اسناده : روى الشيخ الطوسي عن  
شيخه المفيد ، عن شيخه جعفر بن محمد بن قولويه ، عن الشيخ الكليني في  
الكافي . ورواه الكليني في الكافي ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم بن  
هاشم ، عن الحسين بن علي بن فضال ، عن ظريف .  
وفي ما يلي تراجع من لم يترجم له في ما سبق :

١ - إبراهيم بن هاشم القمي :

قال الكشي : من أصحاب موسى بن جعفر (ع) .  
قال النجاشي : كوفي انتقل إلى قم ، وهو أول من نشر حديث الكوفيين  
بقم ، له كتب ، منها . . . أخبرنا . . . عن علي بن إبراهيم عن أبيه بها .

وقال الطوسي : ذكروا أنه لقي الرضا ، والذي أعرف من كتبه . . .  
و . . . أخبرنا بهما جماعة من أصحابنا منهم . . . كلهم عن علي بن إبراهيم بن

(١) مجمع الرجال ٥/١٨٠ ، و جامع الرواة ٢/٨٨ .

هاشم، عن أبيه. وفي جامع الرواة تعريف رواياته<sup>١</sup>.

٢ - علي بن إبراهيم بن هاشم القمي:

قال النجاشي: أبو الحسن ثقة في الحديث، ثبت معتمد، صحيح المذهب، سمع فاكثراً، وصنف كتباً، له... أخبرنا... بإجازة سائر حديثه وكتبه.

وقال الطوسي: له كتب، منها... أخبرنا بجميعها جماعة... عن علي بن إبراهيم إلّا حديثاً واحداً استثناء من كتاب الشرائع في تحريم لحم البعير، وقال: لا أرويه، وروى حديث تزويج المأمون أم الفضل من محمد بن علي، رويناه بالاسناد الأول. وفي جامع الرواة تعريف برواياته<sup>٢</sup>.

٣ - الحسن بن علي بن فضال التيملي الكوفي:

وقال النجاشي: من أصحاب الرضا، أخبرنا ابن شاذان... عن الحسن بكتابه الزهد، وأخبرنا ابن شاذان عن... عنه بكتابه المتعة وكتاب الرجال (ت: ٢٢٤ هـ).

وقال الشيخ الطوسي في الفهرست: كان خصيصاً بالرضا، له كتب، منها... أخبرنا بجميع رواياته عدّة من أصحابنا... عنه وأخبرنا... عنه. وفي جامع الرواة تعريف رواياته<sup>٣</sup>

ثانياً - سند الطوسي إلى ابن فضال بسلسلة ثانية غير سلسلة الكليني:

روى الشيخ الطوسي، عن الحسين بن عبيدالله، وأبي الحسين بن جئد - كليهما - عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن العباس بن معروف، عن

(١) مجمع الرجال ٧٩/١ - ٨٠، وجامع الرواة ٣٨/١.

(٢) النجاشي ص ١٩٧، وفهرست الطوسي ص ١١٥، وجامع الرواة ٥٤٥/١، ومجمع الرجال

١٥٢/٢

(٣) مجمع الرجال ١٨٢/٢ - ١٨٣، وجامع الرواة ٢٤٦/١.

الحسن بن علي بن فضال، عن ظريف بن ناصح.  
وفي ما يلي تعريف رواة هذا السند:

- ١ - الحسين بن عبيدالله بن إبراهيم الغضائري:  
قال النجاشي: أبو عبدالله شيخنا (ره) له كتب منها... أجازنا جميعها وجميع رواياته (ت: ٤١١ هـ).  
وقال الشيخ الطوسي في رجاله: سمعنا منه وأجاز لنا بجميع رواياته<sup>١</sup>.  
٢ - علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد القمي:  
في جامع الرواة ومجمع الرجال: أبو الحسين شيخ النجاشي والطوسي.

وفي شرح مشيخة التهذيب: سمع أحمد بن محمد بن يحيى العطار  
سنة (٣٥٦ هـ) وله منه اجازة...<sup>٢</sup>

- ٣ - أحمد بن محمد بن يحيى العطار القمي:  
قال الشيخ: أخبرنا عنه الحسين بن عبيدالله وأبو الحسين بن أبي جيد  
وسمع منه سنة ست وخمسين وثلاثمائة وله منه اجازة، وذكر طرقه إليه في  
مشيخة التهذيب. وتعريف رواياته في جامع الرواة<sup>٣</sup>.

- ٤ - والعباس بن معروف، أبو الفضل مولى جعفر بن عبدالله الأشعري من  
أصحاب الامامين الرضا والهادي (ع):  
قال النجاشي: قمي ثقة، له كتاب الادب و... حدثنا بجميع حديثه

(١) رجال النجاشي ص ٢٦ - ٢٨، وفهرست الطوسي ص ٧٣، وجامع الرواة ٢١٤/١، وجمع الرجال ١٣١/٢ - ١٣٧.

(٢) جمع الرجال ١٦٤/٤، وجامع الرواة ٥٥٤/١، وشرح مشيخة التهذيب ص ٣٤.

(٣) جمع الرجال ١٦٧/١ - ١٦٨، ومشيخة التهذيب ص ٣٤، وجامع الرواة ٧١/١.

ومصنفاته . . .

وقال الشيخ : له كتب عدّة أخبرنا بها جماعة . . . وتعريف رواياته  
بجامع الرواة<sup>١</sup>.

ثالثاً - الشيخ الطوسي إلى ابن فضال بسلسلة ثالثة غير سلسلة الكليني :  
روى الشيخ الطوسي : عن الشيخ المفيد، عن أبي جعفر الصدوق،  
عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد  
ابن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال.  
وفي ما يلي تعريف رجال السند :

أ - أحمد بن محمد بن عيسى، أبو جعفر الأشعري القمي :  
قال النجاشي : شيخ القميين ووجيههم وفقههم . لقي الرضا وأبا  
جعفر الثاني وأبا الحسن العسكري . له كتب، منها . . . أخبرنا بكتبه . . .

وقال الشيخ الطوسي : أخبرنا بجميع كتبه ورواياته عدّة من أصحابنا،  
منهم ابن أبي جيد . . . وتعريف رواياته بجامع الرواة<sup>٢</sup>.

\* \* \*

بالطرق الثلاث الأنفة روى الشيخ الطوسي، عن ظريف بن ناصح،  
عن عبد الله بن أيوب، عن ابن أبي عمرو الطبيب، عن الإمام  
الصادق (ع).

كانت هذه أسانيد المجموعة الأولى . ونذكر في ما يلي سلسلة سند  
المجموعة الثانية :

(١) مجمع الرجال ٣/٢٥٠، وجامع الرواة ١/٤٢٣ .

(٢) النجاشي ص ٦٤، والفهرست ص ٤٨ - ٤٩، وجامع الرواة ١/٦٩، ومجمع الرجال  
١/١٦١ - ١٦٥.

## سلسلة سند الشيخ الصدوق في كتاب الفقيه :

روى الشيخ الصدوق في كتاب الفقيه ، عن علي بن الحسين بن بابويه ،  
عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن عليّ  
ابن فضال ، عن ظريف بن ناصح ، عن عبدالله بن أيوب ، عن حسين  
الرواسي ، عن محمد بن أبي عمرو الطبيب ، عن الإمام الصادق .  
وسبق تعريف رواة هذه السلسلة عدا ثلاثة منهم ، وهم :

١ - علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، أبو الحسن القمي :  
قال النجاشي : شيخ القميين في عصره ، وفقههم ، وثقتهم ، له كتب ،  
منها . . . قدم بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، واجاز فيها العباس بن  
عمر الكلوذاني بجميع كتبه ، وتوفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .  
وقال الطوسي : كان فقيهاً جليلاً ثقة ، له كتب كثيرة ، منها . . . أخبرنا  
بجميع كتبه ورواياته الشيخ المفيد . . . وعرف الارديلي رواياته بجامع  
الرواة

٢ - سعد بن عبدالله بن أبي خلف الاشعري القمي :  
قال النجاشي : شيخ هذه الطائفة وفقهها ، ووجهها ، سمع من  
حديث العامة شيئاً كثيراً وصنّف كتباً كثيرة ، وقع إلينا منها . . . أخبرنا  
بكتبه . . . وقالوا : حدّثنا سعد بكتبه ؛ قال الحسين بن عبيدالله  
الغضائري : جئت بكتابه ( المنتخبات ) إلى أبي القاسم بن قولويه (ره)  
أقرؤها عليه ، فقلت : حدّثك سعد ؟ فقال : لا ، بل حدّثني أبي وأخي

(١) مجمع الرجال ١٨٦/٤ - ١٨٨ ، وجامع الرواة ٥٧٤/١ .



عنه، وأنا لم أسمع من سعد إلا حديثين (ت: ٣٠١ أو ٢٩٩ هـ).  
وقال الشيخ الطوسي: أخبرنا بجميع كتبه ورواياته عدّة من أصحابنا،  
عن محمّد بن علي بن الحسين، عن أبيه. ومحمّد بن الحسن، عن سعد بن  
عبدالله، عن رجاله.

قال محمّد بن علي بن الحسين: إلا كتاب المنتخبات فأنّي لم أروها عن  
محمّد بن الحسن إلا أجزاء قرأتها عليه، واعلمت على الاحاديث التي رواها  
محمّد بن موسى . . . وفي جامع الرواة تعيين رواياته<sup>١</sup>.

٣ - حسين بن عثمان بن زياد الرواسي:

روى عنه الكشي في رجاله ص ٢٣٦، وذكره مع غيره في ص ٣٧٢ منه،  
ثم قال: كلّهم فاضلون، خيار؛ ثقات.  
وقال الشيخ الطوسي في فهرسته: له كتاب، رويناه بالاسناد، وعين  
الاردبيلي رواياته في كتب الحديث<sup>٢</sup>.

\* \* \*

أوردنا في ما سبق تعريف سلسلة رواة كتاب الدييات عن الإمام  
الصادق (ع)، وفي ما يلي نعرّف سلسلة رواة الكتاب عن الإمام الرضا (ع).  
يرتفع سند الكتاب إلى الإمام الرضا بثلاثة طرق:

أ - سلسلة الرواة عن الحسن بن علي بن فضال:

روى الشيخ الطوسي بسنده عن الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم،  
عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن الحسن بن علي بن فضال، عن الإمام

(١) مجمع الرجال ١٠٥/٣ - ١٠٧، وجامع الرواة ٣٥٥/١ - ٣٥٦.

(٢) فهرست الشيخ الطوسي ص ٨٢، ومجمع الرجال ١٨٦/٢، وجامع الرواة ٢٤٧/١. ونقص  
من «رجال الكشي» اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي، ط. دانشگاه مشهد سنة ١٣٤٨ هـ ش.

الرضا (ع). وقد سبقت تراجمهم .

ب - سلسلة الرواة عن يونس بن عبد الرحمن :

وهم : الشيخ الطوسي بسنده ، عن الشيخ الكليني عن عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن الإمام الرضا ، وعن علي بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى كذلك .

وفي هذا السند :

١ - محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني ، مولى أسد خزيمه :

قال النجاشي : أبو جعفر ، جليل في أصحابنا ، ثقة عين ، كثير الرواية ، حسن التصانيف ، سكن بغداد ، وروى عن أبي جعفر الثاني - الإمام الجواد - مكاتبة ومشافهة ، له من الكتب . . .

ثم ذكر سنده في رواية كتبه إلى الحميري الذي قال : حدثنا محمّد بن عيسى بكتبه ورواياته .

وروى النجاشي عن أحمد بن محمّد ، عن سعد ، عنه بالمسائل .

وذكر الشيخ الطوسي في الفهرست كتبه ، وقال : أخبرنا بها جماعة عن . . . وعين الارديلي أماكن رواياته في الكتب<sup>١</sup> .

٢ - يونس بن عبد الرحمن ، مولى علي بن يقطين ، مولى بني أسد :

قال النجاشي : كان وجها في أصحابنا ، متقدّما ، عظيم المنزلة ، ولد في أيام هشام بن عبد الملك ، ورأى جعفر بن محمّد (ع) ولم يرو عنه ، وروى عن الإمامين : موسى بن جعفر وابنه الرضا ، كان الرضا يشير إليه في العلم والفتيا .

(١) مشيخة تهذيب الأحكام ص ٨٣ وجمع الرجال ١٧/٦ - ١٨ وجامع الرواة ١٦٦/٢ .

له تصانيف كثيرة، منها . . . ثم ذكر سنده في رواية الكتب إلى محمد ابن عيسى الذي قال: حدّثنا يونس بجميع كتبه .  
وقال الشيخ في الفهرست: له كتب كثيرة أكثر من ثلاثين . . . أخبرنا بجميع كتبه ورواياته جماعة . . . وأحصى الاردبيلي رواياته مع تعيين أماكنها<sup>١</sup>.

### ج - سلسلة الرواة عن الحسن بن جهم:

روى الشيخ الكليني، عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال، عن الحسن بن الجهم، عن الإمام الرضا (ع).

وعلي بن الحسن بن فضال مولى عكرمة بن ربعي الفياض:  
في رجال الكشي: لم يكن كتاب عن الأئمة (ع) في كلّ صنف إلا وقد كان عنده.

قال النجاشي: أبو الحسن، كان فقيه أصحابنا بالكوفة، وجههم وثقتهم، وعارفهم بالحديث، والمسموع قوله فيه، سمع منه شيئا كثيرا، ولم يعثر له على زلّة فيه ولا ما يشينه، وقلّ ما روى عن ضعيف، وكان فطحيًا ولم يرو عن أبيه شيئا، قال: كنت أقابله وسنيّ ثمانين سنة بكته ولا أفهم إدراك الروايات، ولا استحلّ أن أرويه عنه، وروى عن أخويه، عن أبيهما. وقد صنّف كتباً كثيرة، ومنها ما وقع إلينا كتاب . . .

وقال: ورأيت جماعة من شيوخنا يذكرون: أنّ الكتاب المنسوب إلى عليّ بن الحسن بن فضال المعروف باصفياء أمير المؤمنين، موضوع عليه، لا

(١) رجال النجاشي ص ٣٤٩ والفهرست ص ٢١١ ومجمع الرجال ٢٩٣/٦ - ٣٠٧ ومجمع الرواة

أصل له، قالوا: وهذا الكتاب الصق روايته إلى أبي العباس بن عقدة وابن الزبير، ولم نر أحداً ممن روى عن هذين الرجلين، يقول: قرأته على الشيخ، غير أنه يضاف إلى كل رجل منهما بالاجازة، حسب.

قصد النجاشي: ان كتاب «أصفياء أمير المؤمنين» أنها روي اجازة عن ابن عقدة وابن الزبير عن علي بن فضال، ولم نجد أحداً من تلامذة الرجلين يقول: قرأته عليهما إذا لم يتصل سند الكتاب قراءة إلى علي بن فضال.

ثم قال النجاشي: قرأ أحمد بن الحسين كتاب الصلاة والزكاة؛ ومناسك الحج، والصيام... على أحمد بن عبد الواحد في مدة سمعتها معه.

وقرأت أنا كتاب الصيام عليه في مشهد العتيقة؛ عن ابن الزبير، عن علي بن الحسن. وأخبرنا بسائر كتب ابن فضال بهذه الطريق.

إذا فالشيخ النجاشي سمع قراءة زميله كتب ابن فضال على شيخه. كما قرأ الشيخ النجاشي أيضاً بنفسه كتب ابن فضال على شيخه في مشهد العتيقة، ثم قال النجاشي: وأخبرنا محمد بن جعفر في آخرين عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن علي بن الحسن بكتبه.

يعني النجاشي: أن محمد بن جعفر كان قد أخذ عن أحمد بن محمد ابن سعيد وهذا عن ابن فضال كتبه، وأخبر محمد بن جعفر بهذا السند جماعة بكتب ابن فضال كان من ضمنهم النجاشي، وبهاتين الطريقين روى الشيخ النجاشي كتب ابن فضال.

وقال الطوسي في الفهرست: كوفي، ثقة، كثير العلم، واسع الاخبار، جيد التصانيف؛ غير معاند، وكان قريب الأمر إلى أصحابنا الامامية القائلين بالاثني عشر؛ عليهم السلام؛ وكتبه مستوفاة في الاخبار؛

حسنة؛ وقيل: أنها ثلاثون كتاباً؛ منها... .

أخبرنا بكتبه قراءة عليه أكثرها، والباقي إجازة؛ أحمد بن عبدون عن علي بن محمد بن الزبير سماعاً وإجازة عن علي بن الحسن بن فضال. وذكر الأردبيلي رواياته في جامع الرواة<sup>١</sup>.

والحسن بن الجهم:

قال النجاشي: الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين الشيباني الزراري. أبو محمد، ثقة. روى عن أبي الحسن موسى والرضا؛ له كتاب... . أخبرنا عدة من أصحابنا... .

وقال الطوسي في الفهرست: له مسائل، أخبرنا بها... . وبحث الأردبيلي في جامع الرواة عن رواياته<sup>٢</sup>.

تداخل الأسانيد وتشابكها:

وجدنا في ما سبق:

أ - أن عبد الله بن أيوب يروي الكتاب عن حسين الرواسي، عن ابن أبي عمرو تارة، وعن ابن أبي عمرو نفسه تارة أخرى.  
ب - و أن الحسن بن علي بن فضال، مرة يروي الكتاب عن الإمام الصادق عن ظريف بن ناصح، وأخرى يعرض الكتاب بنفسه على الإمام الرضا ويرويه عنه.

ج - وأن سهل بن زياد يروي الكتاب عن الحسن بن ظريف، عن أبيه

(١) رجال النجاشي ص ١٩٥ - ١٩٦، وفهرست الطوسي ص ١١٨، وجامع الرواة ٥٦٩/١ وجميع الرجال ١٨٠/٤ - ١٨٢.

(٢) رجال النجاشي ص ٤٠، وفهرست الطوسي ٧٢، وجامع الرواة ١٩١/١، وجميع الرجال ١٠٠/٢ - ١٠١.

ظريف، عن أيوب، عن ابن أبي عمرو الطيب عن الإمام الصادق. كما يرويه عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن الإمام الرضا (ع).

د- وان محمد بن الحسن الصفار، يروي عن أحمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ظريف، وسهل بن زياد، عن الحسن بن ظريف، عن ظريف بسنده إلى الإمام الصادق (ع). كما روى عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الإمام الرضا (ع).

هـ- وانّ علي بن إبراهيم يروي عن أبيه، عن الحسن بن فضال، عن ظريف بسنده عن الإمام الرضا. كما يروي عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الإمام الرضا.

و- وانّ محمد بن الحسن بن الوليد، يروي عن أحمد بن ادريس، عن محمد بن حسان عن اسماعيل، عن ظريف، وعن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن عيسى، عن الحسن بن فضال، عن ظريف بسنده إلى الإمام الصادق (ع).

ز- وانّ الشيخ الكليني يروي: بأربعة أسانيد، عن سهل، وبسندين عن محمد بن عيسى ويونس. وينتهي بثلاثة أسانيد إلى الإمام الرضا.

ح- وانّ الشيخ الصدوق يروي عن محمد بن الحسن بطريقه السابقين، إلى الإمام الصادق (ع) وإلى الإمام الرضا (ع). وهكذا تتداخل الاسانيد، وتشابك في رواية أمثال كتاب الديات، ومن ثمّ يعلم أنّ ضعف أحد الرواة في سند ما، يجبر بتسلسل رواة عدول في السند الآخر.

أضف إليه أنّه أحياناً كان عندهم الاصل أو الكتاب الذي يأخذون عنه، مشتهراً في عصرهم، متواتراً نقله عن مؤلفه، مثل اشتهاار الكتب الأربعة: الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار اليوم لدينا، ولم يكونوا

بحاجة إلى إثبات الكتاب إلى مؤلفه، وأما كانوا يذكرون اتصال سندهم قراءة إلى مؤلفه، وأحيانا إجازة بواسطة أو بوسائط مضافاً إلى اتصال سندهم قراءة بوسائط أخرى.

و كذلك يعلم أنّ انقطاع سند هذا الكتاب إلى أبي الأئمة ( الإمام علي (ع) ) لا يقدح في صحة انتسابه إليهم بعد اتصال سلاسل أسانيده إلى الإمامين الصادق والرضا (ع).



هكذا أدخل أصل ظريف - أو بالاحرى كتاب الديات برواية ظريف - في الموسوعات الحديثية وأصبح جزءاً من آحادها وانتهى إلينا بوساطتها، مع بقاء أصله منفرداً بين أيدي المحدثين، يرويه محدث عن محدث، حيث قال الشيخ أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن الهذلي المولود بالكوفة (٦٠١ هـ) و(ت: ٦٨٩ أو ٦٩٠ هـ) بالحلّة<sup>١</sup>، في آخر باب الديات من كتابه « جامع الشرايع »:

فصل: فلما انتهيت إلى هنا، وهو المقصود بالكتاب، سألت من وجب حقه، اثبات كتاب الديات لظريف بن ناصح (ره) باسناده، وأجبتني إلى ذلك، وها أنا ذاكره على وجهه ان شاء الله تعالى. أخبرني . . .

ثمّ أورد أسانيده البالغة ثمانية إلى الشيخ الكليني والطوسي، مثل قوله: أخبرني الشيخ محمد بن أبي البركات بن إبراهيم الصنعاني في شهر رجب سنة ست وثلاثين وستمائة، عن الشيخ أبي عبد الله الحسين بن هبة الله بن رطبة السوراوي، عن أبي علي، عن ولده الشيخ أبي جعفر الطوسي<sup>٢</sup>.

(١) الذريعة ٦١/٥ في ترجمة جامع الشرايع.

(٢) مستدرک البحار ٣٠٨/٣.

وقال شيخنا صاحب الذريعة: و «نسخة الجامع» هذه التي عليها خط المؤلف، وقد قرئت عليه؛ موجودة في مكتبة سيدنا الحسن صدر الدين بالكاظمية وهذه صورة خطه: «انهاه قراءة وسامعاً له، وفقه الله وإيانا لمرضاته بمحمد وآله، وكتب يحيى بن سعيد في ج ٢/٦٨١».

وقال النوري في شرح حال الكتب ومؤلفيها من خاتمة مستدرك الوسائل<sup>١</sup>: كتاب الديات هو من الاصول المشهورة واعتمد عليها المشايخ... إلى قوله:

وبالجملة فهذا الكتاب معروف مشهور معتمد عليه وقد نقله في الوسائل - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة<sup>٢</sup> - عن الكافي والتهذيب والفقيه وفرق أجزاءه على الابواب، ونحن نقلناه عن الاصل وبينهما اختلاف في بعض المواضع..

\* \* \*

وجدنا هذا الاصل أو هذا الكتاب منذ القرن الأول الهجري إلى عصرنا هذا: ( القرن الخامس عشر الهجري ) تتداوله أيدي المحدثين، يرجعون إلى نسخة الأصل أحياناً وآونة إلى من نقل عنه، ولم تنقطع صلتهم به، وأن آخر من رجع إلى نسخة الأصل من المحدثين هو المحدث النوري المتوفى ١٣٢٠ هـ فجزا أحاديثه على أبواب كتاب الديات من مستدرك الوسائل.

\* \* \*

ضربنا مثلاً لرجوع المشايخ إلى الاصول والمدونات الحديثية الصغيرة برجعهم إلى كتاب الديات رواية ظريف، وفي ختام البحث ينبغي أن ندرس

(١) تأليف الحاج ميرزا حسين النوري.

(٢) تأليف الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ).



كيفية اتصال أسانيد المشايخ إلى أصحاب تلك الاصول والمدونات الصغيرة  
ومنها إلى أئمة أهل البيت (ع).

## اتّصال سلاسل أسانيد المشايخ في مدرسة أهل البيت (ع) بهم

في سبيل هذه المعرفة ندرس أولاً بعض مصطلح المحدثين في ما يلي :  
قسم المحدثون طرق تحمّل الحديث ونقله إلى الدرجات التالية :

أولها : السماع من الشيخ :

يعتبر السماع من لفظ الشيخ - سواء أكان من حفظ الشيخ أو من كتابه -  
أرفع الطرق عندهم . ويقول التلميذ عندئذ في مقام الرواية : سمعت فلانا ،  
أو حدّثني ؛ لدلالته على قراءة الشيخ عليه .  
وقد يقول : أنبأنا .

ثانيها : القراءة على الشيخ :

وتُسمّى : العرض ، لأنّ القارئ يعرض الحديث على الشيخ ، سواء  
كانت القراءة من حفظ الراوي أو من كتاب ، وسواء كان الشيخ يعارض المقرّؤ  
على أصل بيده أو بيد ثقة غيره أو يعارضه على ما يحفظه .  
ويقول التلميذ إذا أراد رواية ذلك : قرأت على فلان ، أو قرئ عليه ،  
وأنا أسمع فأقرّ الشيخ به ، وله أن يقول : حدّثنا وأخبرنا مقيدين بقوله : قراءة

عليه .

وفي الحاليتين ان كان معه غيره، قال: حدّثنا وأنبأنا بلفظ الجمع، وبعد الفراغ من سماع الحديث كلّهُ أو الكتاب بعد الفراغ منه يجيز الشيخ للسامعين روايته .

### ثالثها: المناولة: <sup>١</sup>

وهي نوعان:

أ - المناولة المقرّنة بالاجازة، ويسمّى عرض المناولة في مقابل عرض القراءة، وهي دون السماع في المرتبة .

ب - المناولة المجردة عن الاجازة، بان يناوله كتابا ويقول: هذا سماعي أو روايتي من غير أن يقول: اروه عني أو أجزت لك روايته عني، والصحيح أنّه لا يجوز له الرواية بها، وجوزها بعض المحدثين .

وإذا روى بها، قال: حدّثنا فلان مناولة أو أخبرنا مناولة، غير مقتصر على حدّثنا وأخبرنا لإيهامه السماع أو القراءة .

### رابعها: الكتابة:

وهي أن يكتب الشيخ مرويةً لغائب أو حاضر بخطه أو يأذن لثقة يكتبه له، وهي أيضاً نوعان:

أ - مقرّنة بالاجازة: بأن يكتب إليه: أجزت لك ما كتبت لك أو كتبت به إليك ونحو ذلك من عبارات الاجازة . وهي في الصّحة والقوّة كالمناولة المقرّنة بالاجازة .

(١) لقد جعلها الشهيدان رابعاً وجعلوا الاجازة ثالثاً، غير ان ما ذكرنا في المناولة المقرّنة بالاجازة بأنها أعلى أنواع الاجازة على الإطلاق،... جعلني أعتبرها ثالثة وجعلت الاجازة بالكتابة رابعة لقولها فيها: هي في الصحة والقوة كالمناولة المقرّنة، وذكرت الاجازة بعد هذه وجعلتها خامسة في الترتيب.

ب - مجردة عن الاجازة : و اختلفوا في جواز الرواية بها وعدمه .

خامسها : الاجازة :

الاجازة : إذن و تسويغ ، مثل قول الشيخ : أجزتك رواية كذا ، أو الكتاب الفلاني ، أو رواية مسموعاتي أو ما اشتمل عليه فهرستي هذا . ولا تجوز الاجازة بما لم يتحمّله المجيز من حديث .  
و يصحّ للمجاز له اجازة المجاز لغيره ، فيقول : أجزت لك رواية ما اجيز لي روايته .

سادسها : الاعلام :

وهو أن يعلم الشيخ الطالب أنّ هذا الكتاب أو الحديث روايته ، أو سماعه من فلان ، من غير أن يقول : إروه عني ، أو أذنت لك في روايته ونحوه . وفي جواز الرواية به قولان : الجواز والمنع .

سابعها : الوجادة :

وهو أن يجد انسان بخطّ معاصر له ، أو غير معاصر ، ولم يسمعه منه ، وليس له منه اجازة ، ولا خلاف بينهم في منع الرواية بها ، وأنما يقول : وجدت ، أو قرأت بخطّ فلان « حدثنا فلان » ويسوق باقي الاسناد والمتن ، أو يقول : وجدت بخطّ فلان ، أو في كتاب فلان ، عن فلان . . .<sup>١</sup>

\* \* \*

في كلّ هذه الصور ليس الكلام من مجهول لمجهول عن مجهول ، وأنما الكلام حول شيخ وطالب و حديث أو كتاب ، موجود كلّ واحد منه في الخارج ، ومعلوم ومشخص .

(١) أوردته ملخصاً من الباب الثالث « في تحمل الحديث وطرق نقله » من كتاب دراية الشهيد الثاني زين الدين العاملي (ت: ٩٧٥ هـ) ط. مطبعة النعمان بالنجف ص ٨٢ - ١٠٨ وقد أورد المامقاني تفصيل أقوال أهل الفن في مقباس الهداية ص ٩٥ - ١٠٢ .

## دراسة اتصال المشايخ بأئمة أهل البيت (ع)

على ضوء ما أوردنا من تعريف مصطلحاتهم ندرس ألفاظهم في الاسانيد  
لنعلم مدى اتصال المشايخ في رواية الحديث بأئمة أهل البيت :

في ترجمة ظريف :

قال النجاشي : كان ثقة في حديثه ، صدوقا ، له كتب ، منها كتاب  
الديات ، رواه عدة من أصحابنا .

أخبرنا عدة من أصحابنا ، عن أبي غالب أحمد بن محمد ، قال : قرأ  
عليّ عبد الله بن جعفر وأنا أسمع ، قال : حدّثنا الحسن بن ظريف ، عن أبيه  
به .

وقال الطوسي : له كتاب الديات ، أخبرنا الشيخ أبو عبد الله . . .  
وأخبرنا ابن أبي جئد . . .<sup>١</sup>

قال النجاشي : ( أخبرنا عدة من أصحابنا ، عن أبي غالب )  
وأخبرنا - في اصطلاحهم - مشترك بين سماع التلميذ من الشيخ ، وقراءة

التلميذ أو قراءة زميله على الشيخ والشيخ يسمع ، ولعلّ كلّ ذلك وقع في رواية عدّة من الاصحاب عن أبي غالب ، أمّا رواية أبي غالب عن شيخه وإلى آخر سلسلة السند فقد كانت سماعاً عن الشيخ حسب مفاد الألفاظ الواردة في السند .

وقال الطوسي هنا أي في الفهرست : « أخبرنا المفيد و ابن أبي جَيد » وذكر صدر السند ، بينما هو يحذف صدور الأسانيد في رواياته بكتابه : الاستبصار والتهذيب ويختزل الفاظ الأسانيد .

وكذلك فعل الصدوق في الفقيه وقبله الكليني في الكافي وحذف صدور أسانيد كتاب الديات .

وكذلك دأب المشايخ مع أسانيد جلّ رواياتهم يحذفون صدور الاسانيد ويرمزون إلى مقصودهم أحياناً ، و اخرى يجمعون القول ، مثل قولهم : « علي بن إبراهيم ، عن أبيه » ، « وعدّة من أصحابنا ، أو عدّة عن سهل بن زياد » .

ثمّ يشرحون في محلّ آخر رمزهم ، ويبينون تفصيل ذلك المجمل ، ويذكرون تمام السند ، كما فعل الصدوق في ذكر مشيخته بآخر الفقيه ، والطوسي في شرح مشيخته بآخر الاستبصار والتهذيب .

وقد قصدنا في ما أوردنا ببحث « معرفة رواة كتاب الديات » اراء شرحهم لكيفية تلقّيهم الرواية من كل شيخ في ترجمة ذلك الشيخ ، ووجدنا في ما ذكروا بتلك التراجم تثبتاً في تحمل الحديث ونقله بما لا مزيد عليه ؛ فهذا العالم يروي عن شيخه أربعة من أحاديثه بلا واسطة لأنّه قد سمعها منه بنفسه ، ويروي سائر رواياته عنه بواسطة أبيه وأخيه .

وآخر يسمع من أبيه كتبه مقابلة ومع ذلك فإنّه لا يرويها عنه بلا واسطة لأنّ سنّه كان عند سماعه أيّاه عنها ثمانية عشر عاماً ولم يكن يفهم معنى

الحديث تماماً. ولهذا فهو يروي تلك الكتب عن أبيه بواسطة أخويه اللذين سمع الكتب منهما في حال كمال ادراكه.

وذلك الشيخ الثالث يروي جميع ما في كتاب الشرائع ويستثني منه حديثاً واحداً في حكم لحم البعير ويحتاط في روايته.

والرابع يقول: سمعت منه روايات يسيرة في دار ابن همام وليس لي منه اجازة.

\* \* \*

من كل ما أوردناه آنفاً ومن نظائره الكثيرة في سلاسل أسانيد الروايات ومحتويات رسائل الاجازات يطمئن الباحث إلى سلامة اتصال سلاسل أسانيد المشايخ إلى أئمة أهل البيت في حدود القدرات البشرية.

وبعد البرهنة على ذلك ينبغي البحث في كيفية اتصال فقهاء مدرسة أهل البيت عبر القرون بالموسوعات الحديثية التي ألفها أولئك المشايخ، ولنضرب مثلاً لذلك اتصالهم بأول الموسوعات الحديثية بمدرسة أهل البيت، وأقدمها زمناً، وهو كتاب الكافي تأليف محمد بن يعقوب الكليني، وفي هذا الصدد، قال الشيخ الطوسي في الفهرست: « محمد بن يعقوب الكليني، يكنى أبا جعفر، ثقة، عارف بالآخبار، له كتب منها كتاب الكافي، وهو يشتمل على ثلاثين كتاباً، أوله كتاب العقل ». ثم سجل أسماء كتب كتاب الكافي، وقال في آخره: « كتاب الروضة آخر كتاب الكافي ».

وقال: أخبرنا بجميع كتبه ورواياته الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن محمد ابن يعقوب بجميع كتبه.

و أخبرنا الحسين بن عبيد الله قراءة عليه أكثر هذا الكتاب الكافي عن جماعة، منهم: أبو غالب أحمد بن محمد الزراري، وأبو القاسم جعفر بن

محمّد بن قولويه، وأبو عبد الله أحمد بن إبراهيم الصيمري المعروف بابن أبي رافع، وأبو محمد هارون بن موسى التلعكبري، وأبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني، كلّهم عن محمد بن يعقوب.

وأخبرنا الاجل المرتضى، عن أبي الحسين أحمد بن علي بن شعيب الكوفي، عن محمد بن يعقوب.

وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عبدون، عن أحمد بن إبراهيم الصيمري، وأبي الحسين عبد الكريم بن عبد الله بن نصر البزاز بتفليس وبغداد، عن أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني بجميع مصنفاته ورواياته . . . انتهى.

إذا فالشيخ الطوسي عرف كتب الكافي واحداً بعد الآخر و كان أولها كتاب العقل و آخرها كتاب الروضة.

وقال: أنّه يرويه عن أربعة من شيوخه، و كان هؤلاء الأربعة يروون الكتاب عن تلاميذ الكليني، و كان أحد شيوخ الطوسي يروي الكتاب عن خمسة من تلاميذ الكليني، و آخر عن اثنين منهم.

وروى الطوسي عن شيوخه بلفظ (أخبرنا) و أخبرنا مشترك بين سماع لفظ الشيخ والقراءة على الشيخ، غير أنّه لمّا ذكر في روايته عن الحسين بن عبيد الله أنّه يروي الكتاب عنه قراءة عليه أكثرها، نفهم بأنّه قد روى الكتاب من بقية شيوخه في سلسلة هذا السند سماعاً منهم.

هذا ما كان عن الشيخ الطوسي. أمّا النجاشي فقد قال: . . . صنّف الكتاب الكبير المعروف بالكليني، يسمّى الكافي في عشرين سنة، شرح كتبه: كتاب العقل . . . كتاب الروضة.

يظهر مما ذكره النجاشي وغيره أنّ الكتاب كما كان يسمّى باسم «الكافي» كان يسمّى أحياناً باسم مؤلفه «الكليني» كما نسّمى نحن اليوم أحياناً كتاب



تاريخ الأمم والملوك» تأليف الطبري باسم مؤلفه «الطبري» .  
ويظهر أيضاً من تعريف النجاشي والطوسي للكافي أنه كان مقسماً  
حسب مواضيعه إلى ثلاثين كتاباً على صورة أجزاء، كل كتاب منه في مجلد  
واحد، غير أنها لم تكن مرقمة بالتسلسل، كما هو شأن مجلدات الكتب في  
عصرنا، لذلك حصل بعض التقديم والتأخير في ذكر أسماء كتبه، عدا اسم  
الأول: كتاب العقل، واسم الكتاب الأخير، الروضة .  
وقال النجاشي أيضاً: كنت أتردد إلى المسجد المعروف بمسجد  
اللؤلؤي، وهو مسجد نفطويه النحوي، أقرأ القرآن على صاحب المسجد،  
وجماعة من أصحابنا يقرؤون كتاب الكافي على أبي الحسين أحمد بن أحمد  
الكوفي الكاتب: «حدثكم محمد بن يعقوب الكليني» ورأيت أبا الحسن  
العقراوي يرويه عنه .  
إذا فالشيخ النجاشي أدرك اثنين من تلاميذ الكليني يرويان الكافي عنه،  
أحدهما كان يخاطب تلاميذه عندما يقرأ الكافي، وهو يقول: «حدثكم محمد  
ابن يعقوب الكليني» وذلك بحكم سماعه الكتاب عن الكليني واجازته له  
أن يرويه عنه، ولكن النجاشي لا يروي الكافي عن هذين الشيخين من تلاميذ  
الكليني وان أدركهما وسمعهما، وإنما يرويه عن تلاميذ الكليني فقد قال:  
ورويانا كتبه كلها عن جماعة شيوخنا، منهم: محمد بن محمد - الشيخ  
المفيد -، والحسين بن عبيد الله - الغضائري -، وأحمد بن علي بن نوح،  
عن أبي القاسم جعفر بن قولويه، عنه رحمه الله. انتهى .  
و لنشرح بعد هذا العرض اسلوب الدراسة يومذاك لتتفهّم مغزى  
أقوالهم .

## اسلوب الدراسة في عصر الكليني فما بعد

كان اسلوب الدراسة في عصر الكليني وقبله - حسبما يستفاد ممّا بقي لدينا من اجازات رواية الاصول الاربعمئة والمدونات الحديثية الصغيرة الاخرى - ان يقرأ الشيخ كتابه على تلاميذه وهم يستمعون إليه ، أو يقرأ تأليف الشيخ أحد طلابه على الشيخ ويستمع زملاء الطالب إليه وينتبهون إلى تعليق شيخهم ان كان ثمة تعليق ، وبعد انتهاء الطلاب من دراسة كتاب الشيخ عليه باحد الاسلوبين المذكورين يمنح الشيخ طلابه اجازة رواية تأليفه عنه ، ويصبح هؤلاء الطلبة بعد ذلك شيوخاً للطلبة من الجيل الجديد الصاعد ، ويدرسونهم الكتاب كذلك ، ثم يجيزونهم أن يرووا ذلك الكتاب بواسطتهم عن مؤلفه . وهكذا دواليك جيلاً بعد جيل ، فكلّ طالب يقرأ الكتاب على مؤلفه أو على شيخ تتصل سلسلة قراءته وروايته بمؤلف الكتاب .

هكذا كانت الحالة في عصر الكليني وقبله وبعده حتى عصر الشيخ الطوسي وبعد انتقاله إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٨ هـ) وتأسيسه الحوزة العلمية هناك .

بعد تأسيس الحوزة العلمية في النجف الأشرف :

أسس الشيخ الطوسي الحوزة العلمية في النجف بعد انتقاله إليها وبقي

زعيمها حتى توفي سنة ( ٤٦٠ هـ ).

في هذه الحوزة - منذ عصر الشيخ الطوسي - وفي الحوزات المماثلة والمؤسسة بعدها كانت الموسوعات الحديثية الأربع : الكافي والفقيه والاستبصار والتهذيب ؛ محوراً للدراسات الفقهية إلى العصور الأخيرة يدرسونها على من تتصل قراءتهم لها بمؤلفيها .

وهكذا بقيت الكتب الحديثية متداولة بين أيدي الطلبة حتى اليوم شأنها في ذلك شأن الفية ابن مالك التي قرأها الطلاب على شيوخهم في الحوزات العلمية منذ تأليفها حتى اليوم .

و شأنها شأن كتب ابن سينا في الطب والفلسفة وشأن غيرهن من الكتب الدراسية التي بقيت تتداولها أيدي الطلبة الدارسين لها جيلاً بعد جيل منذ تأليفها حتى اليوم ، غير أنّ العناية بكتب الحديث كانت أكثر من أيّ كتاب بعد كتاب الله ، وبقي أسلوب روايتها سماعاً وقراءة وإجازة معمولاً به في دراساتها إلى القرون الأخيرة كما يشهد به ما تبقى لدينا من إجازات الرواية التي جمع بعضها المجلسي في المجلد السابع والعشرين من موسوعته البحار ، واستدرك عليه جدنا شيخ المحدثين الشيخ مرزا محمد الشريف العسكري في خمسة مجلدات من مستدركه على بحار الأنوار ، ومن أمثلة تلك الإجازات المصّرة باتصال قراءة الموسوعات الحديثية بمؤلفيها ما ورد في الإجازات التالية :

أ - إجازة الشيخ فخر الدين محمد (ت : ٧٧١ هـ) ابن العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر ، للشيخ محسن بن مظاهر ، ورد فيها : وأجزت له أيضاً أن يروي عني مصنفات الشيخ الأعظم والامام الأقدم ، مقرر قواعد الشريعة ، شيخ الشيعة عماد الدين أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ، فمن ذلك كتاب تهذيب الأحكام فاني قرأته على

والدي درساً بعد درس، وتمت قراءته في جرجان سنة اثني عشر وسبعمائة  
عني عن والدي، ثم والدي قرأه على والده أبي المظفر يوسف بن علي بن  
المطهر وأجاز له روايته، ثم يوسف المذكور قرأه على الشيخ معمر بن هبة الله  
بن نافع الوراق وأجاز له روايته، ثم الفقيه معمر المذكور قرأه على الفقيه أبي  
جعفر محمد بن شهر آشوب وأجاز له روايته، ثم شهر آشوب قرأه على  
مصنفه أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله سره وقرأه جدِّي مرة  
ثانية على الشيخ يحيى بن محمد بن يحيى بن الفرج السوراي وأجاز له  
روايته، والشيخ يحيى المذكور قرأه على الفقيه الحسين بن هبة الله بن رطبة  
وأجاز له روايته، والشيخ يحيى المذكور قرأه على المفيد أبي عبد الله  
محمد بن الحسن الطوسي وأجاز له روايته، والمفيد قرأه على والده وأجاز له  
روايته وعندي مجلد واحد من الكتاب الذي قرأه المفيد على والده وهو بخط  
المصنف والده وقرأت أنا هذا المجلد على والدي وباقي المجلدات في نسخة  
أخرى.

وأما كتاب النهاية والجمل فأنني قرأتها على والدي درساً بعد درس  
وأجاز لي روايتهما بالطريق الثاني عن والده قرأه عليه عن باقي أهل السند  
المذكور قراءة<sup>١</sup>. انتهى موضع الحاجة من الاجازة.

في هذا القسم من اجازة ابن العلامة للشيخ محسن بن مظاهر، يقول  
المجيز وهو في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، أنه قرأ تهذيب الشيخ  
الطوسي على والده العلامة درساً بعد درس، وأن والده العلامة كان قد قرأه  
على شيخه، وشيخه على شيخه، وهكذا يذكر سلسلة القراءات حتى ينهي

(١) البحار ٢٢٣/١٠٧، وهذه الاجازة وردت ضمن اجازة الشيخ علي بن محمد البياضي  
(ت: ٨٢٧) للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي.

تسلسل القراءات إلى قراءة على مؤلف التهذيب الشيخ الطوسي، ويقول: إنّ جزءاً من كتاب التهذيب الذي قرأه على والده كان بخط مؤلفه الذي توفي في النصف الأول من القرن الخامس الهجري.

ويقول في اجازته رواية كتاب النهاية: أنّه قرأه أيضاً على والده العلامة درساً بعد درس، ويجيز الشيخ محسن روايته بطريق آخر أيضاً تسلسلت فيه قراءة شيخ على شيخ إلى أن ينهي القراءة إلى مؤلف الكتاب.

في هذا النوع من أنواع الاجازة التي يصدرها الشيخ في رسالة خاصة يمنح فيها تلميذه اجازة رواية مؤلف واحد أو عدة مؤلفات ومرويات، تارة يذكر شيوخه، واخرى لا يذكرهم، وعندما يذكر شيوخه نادراً ما يصريح بتسلسل سند قراءته الكتاب على شيوخه إلى مؤلفه، مثل ما مرّ في الاجازة الآنف، وغالباً ما يذكر ذلك بلفظ «رويت عن فلان، عن فلان» أو بلفظ «حدّثني فلان، عن فلان» أو بلفظ «أخبرني» كلّ ذلك اختصاراً للسند. وكان هذا دأبهم على الأكثر في سلاسل الاجازات، مثاله: ما ورد في اجازة العلامة الحلي حسن بن يوسف (ت: ٧٢٦ هـ) للسيد مهنا بن سنان المدني (ت: ٧٥٤ هـ) حيث قال فيه: وما رويته من كتاب أصحابنا السالفين رضوان الله عليهم أجمعين باسنادي المتصل إليهم رحمة الله عليهم.

إلى قوله: وأجزت له رواية كتب شيخنا أبي جعفر محمد بن الحسن ابن علي الطوسي - قدس الله روحه - بهذه الطرق وبغيرها عني، عن والدي. لم يذكر العلامة - في هذا القسم من الاجازة - ما ذكره ابنه فخر الدين في اجازته الآنف: أنّ أباه العلامة قرأ تلك الكتب على أبيه «يوسف» وأنّها أشار إلى سنده إلى الشيخ الطوسي حسب. ولكن في اجازته رواية الكافي بعد هذا

(١) ترجمته في طبقات أعلام الشيعة للشيخ آقا بزرگ الطهراني، القرن الثامن ص ٢٢٣.

أورد سنده نوعاً ما أكثر تفصيلاً، حيث قال: و أمّا الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني فرويت أحاديثه المذكورة المتصلة بالأئمة (ع) عني عن والذي والشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد و جمال الدين أحمد بن طاووس وغيرهم باسنادهم المذكور إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن رجاله المذكورة في كل حديث عن الأئمة (ع).

و كتب حسن بن يوسف بن المطهر الحلي في ذي الحجة سنة تسع عشرة وسبعائة بالحلة حامداً مصلياً.

في هذه الاجازة نجد العلامة يقول « رويت أحاديث الكافي عن، عن . . » و مرّ سابقاً أنهم يقصدون من « رويته عن » أنهم سمعوه من الشيخ وورود « عن فلان » بعده يفيد تسلسل سماع شيخ عن شيخ إلى حيث ينهون التعبير بـ « عن ».

و ورد نظيره في اجازة المجلسي محمد باقر للأردبيلي حيث قال فيه: أمّا بعد فقد قرأ عليّ وسمع مني المولى الفاضل . . . حاجي محمد الاردبيلي . . . كثيراً من العلوم الدينية . . . لاسيّما كتب الاخبار الماثورة عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، ثم استجازني فاستخرت الله سبحانه وأجزت له أن يروي عني . . . بحق روايتي واجازتي عن مشايخي الكرام . . . فمن ذلك ما أخبرني به عدّة . . . تمنّ قرأت عليهم أو سمعت منهم . . . منهم والذي العلامة وشيخه . . . مولانا حسن علي التستري و . . . وبحق روايتهم واجازتهم عن شيخ الاسلام والمسلمين بهاء الملة . . . محمد العاملي قدس الله روحه عن والده.

وهكذا سلسل المجلسي في هذه الاجازة سنده حتى انتهى إلى فخر الدين محمد، عن والده العلامة الحلي، ثم سلسل السند منه إلى الشيخ المفيد

## والكليني والصدوق.

ثم بدأ بذكر سند آخر له وقال: ومنها ما أخبرني به العدة المتقدم ذكرهم بحق روايتهم عن...، ثم ذكر سلسلة مشايخه إلى الشهيد محمد بن مكي (ت: ٧٨٦ هـ)¹ وسند روايته عنهم.

وهكذا ذكر طرقه واسانيده وأكثرها بلفظ أخبرني مما يدل على السماع من الشيخ أو سماع القراءة عليه، وتسلسل ذلك إلى صاحب التأليف في اجازته رواية تأليفه، ثم ختم الاجازة بقوله: كتب بيمينه... محمد باقر بن محمد تقي... سنة ثمان وتسعين بعد الالف الهجرية².

\* \* \*

وردت نظائر هذه الاجازات كثيراً في مجلدات اجازات البحار مما فيها ذكر قراءات الكتب على الشيوخ المجيزين روايتها.

مثل اجازة الشيخ حسن علي ابن المولى عبدالله لمحمد تقي المجلسي سنة (١٠٣٤ هـ) حيث ورد فيها: وقرأ من الحديث، كثيراً من تهذيب الاحكام وسمع منه أيضاً، ومن من لا يحضره الفقيه أكثره، ومن الكافي كتباً كثيرة³.

وورد في اجازة محمد تقي المجلسي (ت: ١٠٧٠ هـ) لمرزا إبراهيم «فمنها ما أخبرني به قراءة وسماعاً واجازة بهاء الملة... والدين محمد العاملي... عن الشيخ عبدالعالي...»⁴.

وفي اجازة محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) للشيخ

١) ترجمته في المائة الثامنة من طبقات الشيخ آقا بزرك ص ٢٠٥.

٢) آخر جامع الرواة ٥٤٩/٢ - ٥٥٢.

٣) البحار ٣٨/١١٠ - ٤٢.

٤) البحار ٦٧/١١٠ - ٧٣.

محمّد فاضل المشهدي<sup>١</sup>. وقد قرأ عندي ما تيسّر قراءته وهو كتاب من لا يحضره الفقيه، من أوّله إلى آخره، وكتاب الاستبصار أيضاً بتمامه، وكتاب اصول الكافي كلّه، وأكثر كتاب التهذيب، وغير ذلك، قراءة بحث وتنقيح وتدقيق، فأحسن وأجاد وأفاد أكثر ممّا استفاد بحيث ظهر جدّه واجتهاده وقابليته واستعداده . . . و. أهليته لنقل الحديث وروايته بل نقده ودرايته، وقد التمس مني الاجازة فبادرت إلى اجابته . . .<sup>٢</sup>.

كان هذا نوعاً من أنواع الاجازة يحرّرها الشيخ في رسالة خاصّة، ونوع ثان منها يحرّرها الشيخ بظهر الكتاب الذي قرأه التلميذ عليه، مثل خمس اجازات للمجلسي محمّد باقر منحها تلميذه محمّد شفيع التويسركاني وجدناها بخطّه في أواخر كتب الكافي من نسخة مخطوطة ثبتنا صورها بآخر الكتاب وهي كالآتي:

أ - الاجازة الأولى مدوّنة بآخر كتاب العقل والتوحيد وما يقابل ١٦٧/١ ط . طهران جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

انهاه المولى الفاضل الكامل التقى الذكيّ الالمعي مولانا محمّد شفيع التويسركاني وفقه الله تعالى للارتقاء على أعلى مدارج الكمال في العلم والعمل سماعاً وتصحيحاً وتدقيقاً وضبطاً في مجالس آخرها خامس عشر شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثلاث وثمانين بعد الالف من الهجرة، وأجزت له أن يروي عني كلّما صحت روايته واجازته بحق روايتي عن مشايخي واسلافي، باسانيدي المتكثرة المتصلة إليهم، رضوان الله عليهم أجمعين، وكتب بيمناه

(١) ترجمته في الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي ص ٥٨٨ .  
(٢) البحار ١٠٧/١١٠ - ١٠٩، وراجع ص ١٢٧ و ١٥٧ وما بعدها وما قبلها.



الجانبة الفانية أحقر عباد الله محمد باقر بن محمد تقي عفي عنها حامداً  
مصلها .

ب - الازاة الثانية منه كذلك ، في آخر الازة الثاني من الكافي المخطوط  
حسب تعزثهم ، والذي يقابل ٣٦٧/١ ط . طهران مؤرخة بتاريخ ستة أشهر  
بعد الأولى قال فيها : أنها . . . في مجالس آخرها بعض أيام شهر ذي القعدة  
سنة ثلاث وثمانين بعد الألف من الهجرة وأجزت له - دام تأييده - أن  
يروي . . .

ج - والثالثة في آخر كتاب الحجة منه وما يقابل ٥٤٨/١ ط . طهران  
مؤرخة بتاريخ خمسة أشهر بعد الثانية ، قال فيها : أنها . . . في مجالس  
آخرها أواخر شهر ربيع الثاني ، سنة أربع وثمانين وأجزت له - زيد فضله - أن  
يروي . . .

د - والرابعة بآخر كتاب الايمان منه وما يقابل ٤٦٤/٢ ط . طهران  
منحت بعد سنتين وعشرة أشهر من صدور الثالثة ، قال فيها : أنها . . . في  
مجالس آخرها شهر محرم الحرام من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف  
الهجرة . .

هـ - والخامسة في آخر كتاب العشرة منه وما يقابل ٦٧٤/٢ ط . طهران  
منحت بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من تاريخ الرابعة ، قال فيها : أنها . . . في  
مجالس آخرها ثالث جمادى الأولى من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف  
هجري ، فاجزت له - دام تأييده - أن يروي . . .

في الازات السابقة وجدنا في بعضها تصريحاً بتسلسل قراءة شيخ على  
شيخ حتى تنتهي القراءة على مؤلف الكتاب .

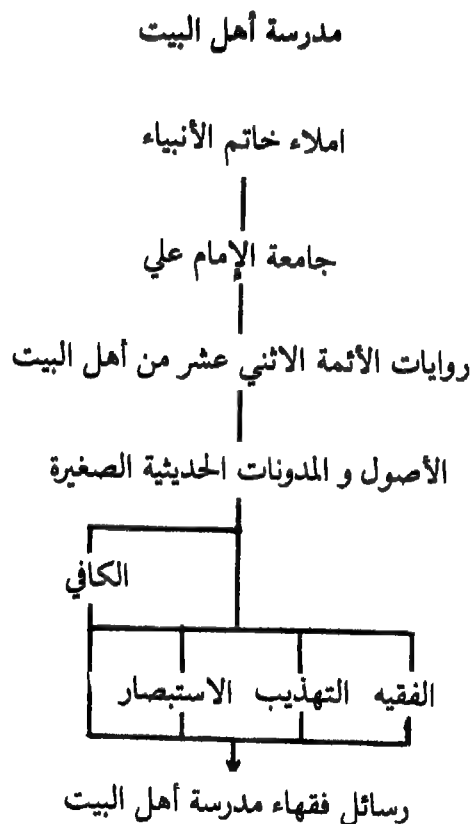
وفي بعضها تعبيراً عن ذلك حسب مصطلحهم في علم الحديث ، وفي  
بعضها تعييناً لزمان القراءة ومكانها وأنه أنهى الكتاب قراءة أو سماعاً .

ووجدنا ذلك معمولاً به منذ عصر أصحاب الكافي والفقيه والتهذيب  
وبقي معمولاً به كذلك حتى عصر المجلسي صاحب البحار .  
ومن كلّ ذلك ثبت عندنا تداول الكتب الأربعة في أيدي الطلبة بلا  
انقطاع منذ تأليفها حتى اليوم .  
وقلنا حتى اليوم لاننا نعلم استمرار رجوع فقهاء مدرسة أهل البيت ،  
استنباط الاحكام الشرعية اليها عبر القرون وإلى يومنا الحاضر .  
فإذا أراد أحد فقهاء هذه المدرسة أن يصدر رسالة فقهية رجع إلى الكافي  
والتهذيب والاستبصار والوسائل واستند إلى أحاديثها في ما يصدر من فتوى .  
وقد مرّ بنا كيف أخذ أولئك المشايخ الحديث من الاصول والمدونات  
الحديثية الصغيرة وألفوا منها كتبهم .  
وإن أصحاب تلك الاصول والمدونات كانوا قد أخذوا أحاديثها من  
أئمة أهل البيت .  
وإن أئمة أهل البيت حدّثوا عن الجامعة التي أملاها رسول الله وكتبها  
علي بخطه .



هكذا أصبحت الموسوعات الحديثية الأربع منذ تأليفها وإلى عصرنا  
الحاضر محور البحوث الفقهية بمدرسة أهل البيت ، يرجع إليها فقهاؤهم  
لاستكشاف سنة الرسول في الاحكام ومنها يستنبطون أحكام الاسلام بعد  
القرآن .  
وقد مرّ بنا ان الموسوعات الحديثية الأربع أخذت الحديث من الاصول  
والمّدونات الحديثية الصغيرة ، وإن الاصول والمدونات الحديثية الصغيرة كانت  
قد أخذت الحديث من أئمة أهل البيت .  
وإن أئمة أهل البيت كانوا يتبرّؤون من القول بالرأي وإنما كانوا

يعتمدون جامعة الإمام علي في بيان الاحكام .  
 وانّ جامعة الامام علي كان قد أملاه رسول الله على الإمام وكتبه الإمام  
 علي بخطّه .  
 وفي مقابل هذا وجدنا مدرسة الخلفاء تعتمد الاجتهاد، وانّ الخلفاء  
 كانوا يتأولون في مقابل النصوص الواردة في الشرع الإسلامي ، ويعتمدون  
 الرأي في بيان أحكام الإسلام .  
 ويوضح الجدول الآتي اتجاه مدرسة أهل البيت في أخذ سنة الرسول :





## الفصل الثاني

### تقويم كتب الحديث بمدرسة أهل البيت (ع)



## أخطاء في نسخ كتب الحديث

ومع تسلسل الاسناد في جوامع الحديث بمدرسة أهل البيت إلى رسول الله (ص) كما شاهدنا فإن فقهاء مدرستهم لم يسمّوا أيّ جامع من جوامع الحديث لديهم بالصحيح - كما فعلته مدرسة الخلفاء وسمّيت بعض جوامع الحديث لديهم بالصحيح - ، ولم يحجروا بذلك على العقول، ولم يوصدوا باب البحث العلمي في عصر من العصور، وأنما يعرضون كلّ حديث في جوامعهم على قواعد دراية الحديث، ويخضعون لنتائج تلك الدراسات، ذلك لأنهم يعلمون أنّ رواة تلك الاحاديث غير معصومين عن الخطأ والنسيان اللذين يعرضان لكلّ بشر لم يعصمه الله، وفعلا قد وقع الخطأ في أشهر كتب الحديث بمدرسة أهل البيت وهو كتاب الكافي مثل ما ورد في الأحاديث الخمسة المرقمة: ٧ و ٩ و ١٤ و ١٧ و ١٨ من كتاب الحجّة بالكافي في باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم كما نشرحه في ما يلي:

### أولا: الحديثان السابع والرابع عشر :

في كلا الحديثين في اصول الكافي: بسنده عن ابن سماعة، عن عليّ بن الحسين بن رباط، عن ابن اذينة، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر (ع)

يقول: الاثنا عشر الإمام من آل محمّد (ع) كلّهم محدث من ولد رسول الله (ص)¹، ومن ولد علي؛ فرسول الله وعليّ هما الوالدان.

وفي لفظ الحديث السابع بعده « فقال علي بن راشد . . . » الحديث. ومغزى هذين الحديثين: أن يكون عدد الأئمة من أهل البيت ثلاثة عشر: الإمام علي مع اثني عشر اماماً من ولده.

بينما نقل هذه الرواية عن الكافي المفيد في الارشاد، والطبرسي في إعلام الوري ولفظهما كما يلي: الاثنا عشر الأئمة من آل محمّد كلّهم محدث: عليّ ابن أبي طالب، وأحد عشر من ولده، ورسول الله وعليّ هما الوالدان (ع).

وأخرج الرواية عن الكليني أيضاً الصدوق في كتابه: عيون أخبار الرضا والخصال ولفظه كما يلي: اثنا عشر اماماً من آل محمّد كلّهم محدثون بعد رسول الله، وعليّ بن أبي طالب منهم².

#### نتيجة البحث والمقارنة:

يظهر من استعراضنا الحديث عن الكافي و من أخذ منه، أي الشيخ الصدوق والمفيد والطبرسي، أنّ النسخ قد أخطأوا في كتابة الحديث في الكافي بعد عصر الشيخ المفيد، ولم نقل بعد عصر الطبرسي، لأنّ الطبرسي يأخذ اخباره في اعلام الوري من كتاب الارشاد للمفيد، وينسج فيه على منواله.

(١) وجهه المجلسي في مرآة العقول ٢٢٣/٦ وقال: أي أكثرهم من ولد رسول الله.  
(٢) الحديث السابع في الكافي ٥٣١/١ عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد الخشاب، عن ابن سباعة... والحديث الرابع عشر ٥٣٣/١ ولفظ سنده: أبو علي الأشعري، عن الحسن بن عبيد الله، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن سباعة... وفي الارشاد ص ٣٢٨ بسند الحديث الرابع عشر، وفي اعلام الوري ص ٣٦٩، وفي عيون أخبار الرضا ٥٦/١. والخصال ص ٤٨٠ كلاهما عن الكليني بسند حديثه الرابع عشر.



## ثانياً: الحديث التاسع :

بسنده عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت على فاطمة (ع) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم (ع) ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي. ونقل الحديث عن الكافي بهذا اللفظ المفيد في الارشاد وتبعه الطبرسي في اعلام الوري.

ومغزى الحديث بهذا اللفظ في الكتب الثلاثة أن يكون عدد الائمة أوصياء النبي ثلاثة عشر: الإمام علي مع اثني عشر من بنيه من ولد فاطمة. بينا نرى الصدوق الذي يروي نفس الحديث باسناده، ولا ينقله عن الكافي، يخرج في عيون أخبار الرضا بسندين، وفي اكمال الدين بسند واحد، عن محمد بن الحسين، ثم يجتمع سنده مع سند الكافي إلى جابر ثم يروي عنه أنه قال: دخلت على فاطمة (ع) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد وأربعة علي<sup>١</sup>.

(١) أ - الكافي ٥٣٢/١ وهذا لفظ السند عنده: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين.  
ب - الارشاد للمفيد ص ٣٢٨ و لفظ سنده أخبرنا أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب،... وفي لفظ أسماء الأوصياء والائمة.  
ج - اعلام الوري ص ٣٦٦، و لفظ رواه محمد بن يعقوب الكليني... وآخره « وأربعة منهم علي ».

د - عيون أخبار الرضا للصدوق ٤٦/١ و ٤٧، و لفظ سنده حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار (رض)؛ قال: حدثنا أبي، عن محمد بن الحسين... و لفظ سند الحديث الثاني. حدثنا الحسين بن أحمد بن ادريس (رض)، قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن محمد بن عيسى وإبراهيم بن هاشم جميعاً، عن الحسن بن محبوب... وهذا السند في اكمال الدين ٢١٣/١. وفي مرآة العقول ٢٢٨/٦ من ولدها أي الأحد عشر أو على المجاز وأشار إلى التصحيف في « ثلاثة منهم علي ».

## نتيجة البحث و المقارنة :

ظهر أنّ في نسخة الكافي ورد « من ولدها » وهي زائدة، وورد « ثلاثة منهم علي » محرّفة، وأنّ الشيخ المفيد نقل عنه في الارشاد كذلك، وأنّ الصواب ما ورد في لفظ الرواية عند الشيخ الصدوق في العيون والخصال « أربعة منهم علي » وبدون زيادة « من ولدها ».

## ثالثاً و رابعاً: الحديثان ١٧ و ١٨ من كتاب الحجّة :

وقد رواهما الكليني عن أبي سعيد العصفري : (ت: ١٥٠ هـ) وبحثنا عن أبي سعيد العصفري فوجدنا الشيخ يقول عنه في الفهرست: عباد أبو سعيد العصفري ، له كتاب أخبرنا به جماعة عن التلعكبري عن ابن همام، عن محمّد بن خاقان النهدي ، عن محمّد بن علي أبي سميّة، عن أبي سعيد العصفري ، واسمه عبّاد. وقال النجاشي : كوفي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عمران، قال: حدّثنا محمّد بن همام قال: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن أحمد بن خاقان النهدي، قال: حدّثنا أبو سميّة بكتاب عبّاد<sup>١</sup>.

و بحثنا عن كتابه فوجدنا صاحب الذريعة<sup>٢</sup> يقول :

أصل عباد العصفري أبي سعيد الكوفي هو من الاصول الموجودة، ووجدناه يقول عن هذا الاصل وأصل عاصم : استنسخ من نسخة الوزير منصور بن الحسن الأبسي ، وهو كتبها عن أصل محمّد بن الحسن القمي الذي رواه عن أبي محمّد هارون بن موسى التلعكبري سنة ٣٧٤ هـ .

(١) مجمع الرجال ٢٤٢/٣ .

(٢) الذريعة ١٦٣/٢ في بحثه عن الاصول .

و وجدنا الشيخ النوري يبحث في مستدركه عن أصل أبي سعيد بتفصيل واف، ويقول: فيه تسعة عشر حديثاً، ثم يصف أحاديثه، وينقل تراجم أبي سعيد عن مختلف كتب الرجال<sup>١</sup>.

و وجدنا نسخة خطية من أصل العصفري بنفس الاوصاف التي وردت عنه في المستدرك والذريعة بالمكتبة المركزية لجامعة طهران ضمن مجموعة باسم الاصول الاربعائة<sup>٢</sup>.

فقارناً بين الحديتين في أصل العصفري هذا، ونسخة الكافي الموجودة لدينا، فوجدنا ما يلي:

أ- الحديث السابع عشر :

في الكافي :

١٧ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن أبي سعيد العصفري<sup>٣</sup> عن عمرو بن ثابت، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): « اني واثنى عشر من ولدي<sup>٤</sup> وأنت يا علي زرّ الأرض - يعني أوتادها وجبالها - بنا أوتد الله الأرض أن تسبخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها، ولم ينظروا »<sup>٥</sup>.

(١) مستدرك الوسائل ٢٩٩/٣ - ٣٠٠ في الفائدة الثانية في شرح حال الكتب.

(٢) نسخة « كتابخانه اهدائي مشكاة بكتابخانه مركزى دانشكاه تهران » ضمن المجموعة المسماة: الاصول الأربعائة والمرقمة ٩٦٢ الرسالة الثانية.

(٣) في نسخة الكافي لدينا «العصفري» تحريف.

(٤) وفي مرآة العقول ٢٣٢/٦: روى الشيخ في كتاب الغيبة بسند آخر « إني واحد عشر من ولدي » وهو أظهر.

(٥) الكافي ٥٣٤/١.

وفي أصل العصفري : عبّاد، عن عمرو ، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): اني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض - يعني أوتادها [و] جبالها - [بنا أوتد الله] <sup>٢</sup> الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الأحد عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا <sup>٣</sup>.

### نتيجة المقارنة:

و « اثني عشر من ولدي » و « الاثنا عشر من ولدي » في نسخة الكافي تحريف والصواب ما ورد في أصل العصفري : و « أحد عشر من ولدي » و « والاحد عشر من ولدي » والذي يروي الكليني الحديث عنه.

### ب - الحديث الثامن عشر :

ورد في الكافي: ١٨ - وبهذا الاسناد، عن أبي سعيد رفعه، عن أبي جعفر، قال: قال رسول الله (ص): من ولدي اثنا عشر نقيباً، نجباء محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق يملأها عدلاً كما ملئت جوراً <sup>٤</sup>.

وفي أصل العصفري : عبّاد، رفعه إلى أبي جعفر، قال: قال رسول الله (ص): من ولدي أحد عشر نقباء، نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً <sup>٥</sup>.

(١) في نسخة الاصول سقط [ و ].

(٢) في نسخة الاصل [ وقال وتد ] تحريف .

(٣) أصل العصفري، الحديث ٦ .

(٤) الكافي ١/٥٣٤ .

(٥) أصل العصفري، الحديث ٤ .

### نتيجة المقارنة :

ما ورد في نسخة الكافي ( اثنا عشر ) تحريف و ما ورد في أصل  
العصفري ( أحد عشر ) هو الصواب .  
ولا يحتاج هذا البيان إلى استدلال عليه لأنّ الكليني أنّما روى في الكافي  
عن أصل العصفري ، ونرى أنّ الخطأ من قلم النسخ .  
ولفظ سندي الحديثين من التلعكبري راوي هذا الاصل عن عباد  
العصفري فهو الذي يقول في صدره الحديثين (عبّاد) وهو الذي يقول : في  
سند الحديث الثاني (عبّاد، رفعه) كما ورد في الاصل ، وفي نسخة الكافي .

## أئمة أهل البيت يعيّنون مقاييس لمعرفة الحديث

هكذا يقع الخطأ في رواية الحديث وغيره، ولم يعصم الله أي كتاب من الباطل عدا كتابه العزيز ﷺ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه<sup>(١)</sup>.

أضف إليه أنه قد كُذِبَ على رسول الله، وكذلك كُذِبَ على الأئمة من أهل بيته، وانتشر الحديث المكذوب على رسول الله والأئمة من أهل بيته في كتب الحديث واختلط الحق بالباطل والصحيح بالزائف، فعالج أئمة أهل البيت هذا وذاك بأمرين:

أولاً - التشهير بالكذابين مسمّن يروون الحديث وطردهم ولعنهم أمثال أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الكوفي<sup>(٢)</sup>، والمغيرة بن سعيد<sup>(٣)</sup>، وبنان بن بيان<sup>(٤)</sup>، وغيرهم.

ثانياً - وضع قواعد وموازين خاصّة لمعرفة سليم الحديث من سقيمه،

(١) سورة فصلت/ ٤٢ .

(٢) مجمع الرجال ١٠٦/٥ - ١١٥ .

(٣) مجمع الرجال ١١٧/٦ - ١٢١ .

(٤) مجمع الرجال ١١٧/٦ .

مثل :

أ - ما رواه الإمام أبو عبد الله الصادق (ع) عن جدّه الرسول (ص)، قال: خطب النبيّ بمنى فقال « أيّها الناس ! ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فانا قُلْتُهُ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله »<sup>١</sup>.

ب - ما ورد في كتاب الإمام علي لمالك الاشر : . . . « فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول » فالرّاد إلى الله الآخذ بمحكم كتابه والرّاد إلى الرسول الآخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة<sup>٢</sup>.

ج - ما قاله الإمام الباقر (ع): إذا جاءكم عنّا حديث فوجدتم عليه شاهداً، أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به، وإلّا فقفوا عنده، ثمّ ردّوه إلينا حتّى يستبين لكم<sup>٣</sup>.

د - ما ورد عن الإمام الصادق (ع) :

١ - إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه . . .<sup>٤</sup>.

٢ - كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف<sup>٥</sup>.

٣ - أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، إنّ الكلمة لتنصرف على وجوه<sup>٦</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٧٩/١٨، ح ١٥ من الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، عن المحاسن.  
(٢) نهج البلاغة في كتاب الإمام لمالك الاشر، والوسائل ٨٦/١٨، ح ٣٨. غير المفرقة؛ أي السنة التي اجتمعت عليها الأمة.

(٣) الكافي ٢٢٢/٢، ح ٤، ووسائل الشيعة ٨٠/١٨، ح ١٨.

(٤) وسائل الشيعة ٨٤/١٨، ح ٢٩.

(٥) وسائل الشيعة ٧٩/١٨، ح ١٤، والزخرف: الباطل المؤه.

(٦) معاني الأخبار ص ١، ح ١، ووسائل الشيعة ٨٤/١٨.

ورد أمثال هذا أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت، ووردت عنهم أيضاً أحاديث يشيرون فيها إلى: الأخذ بما يخالف رأي مدرسة الخلفاء.

ورد عن الإمام الصادق (ع) في تعليل ذلك أنه قال: أتدري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة؟ فقلت: لا أدري فقال: إنَّ علياً (ع) لم يكن يدين الله بدين إلّا خالف عليه الأمة إلى غيره إرادة لا بطل أمره وكانوا يسألون أمير المؤمنين (ع) عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضدّاً من عندهم ليلبسوا على الناس<sup>١</sup>.

ومن بحث سيرة معاوية وجد فيها الأدلة الكافية على ما قاله الإمام وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ في ما مضى من بحوث موارد الاجتهاد بمدرسة الخلفاء من هذا الكتاب أدلة وافرة على اعتماد مدرسة الخلفاء في بيان أحكام الإسلام على الرأي والاجتهاد في مقابل سنة الرسول.

و مر علينا - أيضاً - في أول الجزء الثاني تحت عنوان « كيف وجد الحديثان المتناقضان » وفي آخر باب « المجتهدون في القرن الأوّل و موارد اجتهادهم » كيف كانوا يضعون الاحاديث تأييدا لمواقف الخلفاء، وكذلك نجد مزيد ايضاح لذلك في ما ورد بآخر الجزء الأوّل، في بحث اتجاه السلطة زهاء ثلاثة عشر قرناً.

وعلى ما ذكرنا في هذه البحوث من الصحيح أن نترك من الحديثين المتعارضين ما وافق اتجاه مدرسة الخلفاء<sup>٢</sup>.

ولمّا كان أتباع مدرسة الخلفاء كثيراً ما يسألون أئمة أهل البيت عن تلك المسائل في مجالس عامة حيث لم يكن بمقدور الأئمة حينذاك ان يبيّنوا حكم

(١) علل الشرايع ٢/٢١٨، ح ١، ووسائل الشيعة ١٨/٨٣، ٨٤.

(٢) لا يفهم هذا البحث حق الفهم ما لم تراجع البحوث الثلاثة المذكورة في المتن.



اللّٰه وسنة الرسول في مورد السؤال والذي كان مخالفاً لاجتهاد مدرسة الخلفاء، صونا لدمائهم ودماء شيعتهم، وكانوا مكرهين أحياناً على الاجابة بما يوافق رأي مدرسة الخلفاء، حتّى إذا أتيت لهم فرصة الاجابة دونها تقيّة، بيّنوا حكم اللّٰه وسنة الرسول في المسألة، فمن ثمّ ورد بعض الاحاديث عنهم في مسألة واحدة مختلفة في بيان الحكم كما صرح به الإمام الصادق (ع) وقال: ما سمعته منّي يشبه قول الناس فيه التقيّة، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقيّة فيه<sup>١</sup>.

وقال: إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب اللّٰه، فما وافق كتاب اللّٰه فخذوه، وما خالف كتاب اللّٰه فردّوه، فان لم تجدوهما في كتاب اللّٰه فاعرضوهما على أخبار العامّة، فما وافق أخبارهم فذروه، وما خالف أخبارهم فخذوه<sup>٢</sup>.

هكذا ذكر الأئمة هذه القاعدة مع بيان علتها وأحياناً غير معلّلة، وورد عنهم أيضاً قواعد أخرى لمعرفة الحديث، مثل حديث الإمام الرضا (ع). وقد سئل يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول اللّٰه (ص) في الشيء الواحد فقال (ع): إنّ اللّٰه حرّم حراماً وأحلّ حلالاً وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرّم اللّٰه أو في تحريم ما أحلّ اللّٰه أو دفع فريضة في كتاب اللّٰه رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأنّ رسول اللّٰه (ص) لم يكن ليحرّم ما أحلّ اللّٰه ولا ليحلّل ما حرّم اللّٰه ولا ليغيّر فرائض اللّٰه وأحكامه، كان في ذلك كلّ متّبعا مسلّماً مؤدّياً عن اللّٰه، وذلك قول اللّٰه: «ان أتبع إلّا ما يوحى إليّ» فكان (ع) متّبعا للّٰه مؤدّياً عن اللّٰه ما أمره به من تبليغ الرّسالة، قلت: فانه يرد

(١) وسائل الشيعة ٨٨/١٨.

(٢) وسائل الشيعة ٨٤/١٨، ح ٢٩.

عنكم الحديث في الشيء عن رسول الله (ص) مما ليس في الكتاب وهو في السنة ثم يرد خلافه فقال: كذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق في ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله فوافق في ذلك أمره أمر الله، فما جاء في النهي عن رسول الله (ص) نهى حرام ثم جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأننا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص) إلا لعلّة خوف ضرورة، فأما أن نستحلّ ما حرّم رسول الله (ص) أو نحرّم ما استحلّ رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأننا تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربه مسلماً له، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ مَا آتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وإنّ الله نهى عن أشياء ليس نهى حرام بل إعافة وكراهة، وأمر بأشياء ليس بأمر فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان في الدين، ثم رخص في ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله (ص) نهى إعافة أو أمر فضل فذلك الذي يسع استعمال الرخصة فيه، إذا ورد عليكم عنّا الخبر فيه باتّفاق يرويه من يرويه في النهي ولا ينكره وكان الخبران صحيحين معروفين باتّفاق الناقلة فيهما يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيّهما شئت وأحببت، موسّع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله (ص) والردّ إليه وإليّنا، وكان تارك ذلك من باب العناد والانكار وترك التسليم لرسول الله (ص) مشركاً بالله العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فاتّبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله (ص) فما كان في السنة موجوداً منهياً عنه نهى حرام ومأموراً به عن رسول الله (ص) أمر إلزام فاتّبعوا ما وافق نهى رسول الله (ص) وأمره، وما كان في

السنة نهى إعافة أو كراهة ثم كان الخبر الأخير خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله (ص) وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعاً وبأيهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والاتباع والرد إلى رسول الله (ص)، وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف، وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا<sup>١</sup>

(١) عيون الأخبار . ط. قم ج ٢ ص ٢٠، ح ٤٥، والوسائل ٨١/١٨ - ٨٦، ح ٢١.

## مقاييس العلماء لمعرفة الحديث

هكذا وضع أئمة أهل البيت قواعد لمعرفة صحيح الحديث من سقيمه، واتخذها فقهاء مدرستهم ميزانا في فقه الحديث جيلا بعد جيل، وقد جمعها بعض العلماء ونسّقها مثل الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي في الفائدتين التاسعة والعاشرة من خاتمة وسائل الشيعة، والشيخ حسين النوري في الفائدة الرابعة من مستدركه<sup>١</sup>.

وفي اخريات القرن السابع الهجري راجت قاعدة جديدة لمعرفة الحديث، نسب كشفها<sup>٢</sup> لابن طاوس أحمد بن موسى الحلي (ت: ٦٧٣ هـ)<sup>٣</sup> والعلامة الحليّ الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهر (ت: ٧٢٦ هـ)<sup>٤</sup> حيث صُنّف الحديث بالنظر إلى راويه منذ عصرهما إلى أربعة أصناف: أ - الصحيح: وهو ما اتّصل سنده إلى المعصوم بنقل الإمامي العدل، عن مثله في جميع الطبقات.

(١) وسائل الشيعة ٩٦/٢٠ الفائدة التاسعة من الخاتمة، ومستدركه ٥٣٥/٣ الفائدة الرابعة.

(٢) وسائل الشيعة ٩٦/٢٠ - ١١٢، وخاصة ص ١٠٢ منه.

(٣) ترجمته بمصنف المقال ص ٧١.

(٤) ترجمته بالكنى والالقب للفتي ٤٣٦/٢.

ب - الحسن ، وهو ما اتصل سنده إلى المعصوم بامامي ممدوح من غير نصّ على عدالته ، مع تحقق ذلك في جميع الطبقات .

ج - الموثّق ويقال له : القوي أيضاً وهو ما دخل في طريقه من نصّ الاصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته بان كان من احدى الفرق الإسلامية المخالفة للامامية وان كان من الشيعة .

د - الضعيف : وهو ما لا تجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدمة ؛ بان يشتمل طريقه على مجروح بالفسق و نحوه ، أو مجهول الحال أو ما دون ذلك ، كالوضاع<sup>١</sup> .

\* \* \*

اشتهرت القاعدة الأنفة منذ عصر العلامة فما بعد ، وغالى بعض العلماء في اعتمادهم على هذه القاعدة ، وعرض جميع الاخبار والاحاديث عليها . فعّدوا مثلاً أحاديث من السيرة لا يصدّق محتواها ولا يمكن أن يقع في الخارج - بموجب هذا الميزان - صحيحة<sup>٢</sup> .

كما ضعف هذا البعض عن قبول أحاديث صحيحة لا يصحّحها هذا الميزان .

وقابل اولئك جماعة من الاخباريين ، فشذّوا في تصحيحهم جميع ما ورد في الموسوعات الحديثية الأربع وما شاكلها<sup>٣</sup> ووقع هؤلاء في تهافت عجيب ، وكلا الجانبين ابتعدا عن الصواب في معرفة الحديث ، وليس ثمة مجال للخوض في هذا البحث .

ومن نتائج التصنيف الأخير للحديث واعتمادهم المطلق عليه ؛ أنهم

(١) دراية الشهيد الثاني ص ١٩ - ٢٤ ، الباب الأول في أقسام الحديث .

(٢) راجع فصل « عبدالله بن سبأ في كتب الحديث » من عبدالله بن سبأ - ج ٢ .

(٣) راجع الفائدتين التاسعة والعاشر من خاتمة وسائل الشيعة .

وزنوا أحاديث الكافي بالجملة عليه وقالوا: ان الكافي يشتمل على تسعة وتسعين ومائة حديث وستة عشر الف حديث، منها: ٥٠٧٢ حديثاً صحيح. ١٤٤ حديثاً حسن. ١١١٨ حديثاً موثق. ٣١٢ حديثاً قوي. ٩٤٨٥ حديثاً ضعيف<sup>١</sup>. ١٦١٢١ المجموع.

يعتمد هذا التقسيم على تصنيف الروايات بالنظر إلى درجة روايتها بحسب الميزان المشهور منذ عهد العلامة الحلي، ثم اعتماداً على معرفة علماء تلكم العصور بحال الرواة، ومع غرض النظر عن الموازين التي نقلناها عن الأئمة قبل هذا.

ومع كل ذلك فإن الحوزات العلمية بمدرسة أهل البيت لم توصل باب البحث العلمي في يوم من الأيام، بل استمر جهدها المثمر مدى العصور في جهتين من الحديث.

أ- في المحافظة على نصوص الروايات المبينة للأحكام.

ب- في طرح البحوث العلمية حول أسانيد الاحاديث ومتونها ومنطوقها ومدلولها و... .

وأخيراً فإنها خضعت لنتيجة ما وعته من نصوص الكتاب والسنة ولم تجتهد في مقابلتهما بتاتاً.

(١) قال الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين ص ٣٩٤ قال بعض مشايخنا المتأخرين: أما الكافي فجميع «أحاديثه...» وهكذا نقله النوري عن لؤلؤة البحرين في شرح حال الكليني من خاتمة المستدرک ٥٤١/٣. وقال النوري: والظاهر ان المراد من القوي ما كان بعض رجال سنده، او كله الممدوح من غير الإمامي، ولم يكن فيه من يضعف به الحديث، وله اطلاق آخر...

ويختلف الجمع الذي ذكره البحراني والنوري مع حاصل جمع هذه الارقام كما أوردناه في المتن، و ينقص ( تسعة ) عن المجموع الذي ذكره صاحب الروضات بترجمة الكليني ١١٦/٦، و يختلف عما في الذريعة ٢٤٥/١٧ فقد ذكر المجموع ستة عشر ألف حديث، والموثق ١٧٨، وأراه من الخطأ في النسخ. وقد يكون هذا الاختلاف، والاختلاف في المجموع الوارد في المتن نتيجة لحذف المكررات عند البعض.

و بذلك حافظت على الأحكام الإسلامية من الضياع ، وتسلسلت  
أسانيدھا إلى أئمة أهل البيت (ع) ، ومنھم إلى جدھم الرسول (ص) ، ومنه  
إلى جبرئیل إلى الباري ، ولنعم ما قال الشاعر:  
ووال أناسا قولھم و حدیثھم      روی جدنا عن جبرئیل عن الباري





## الفصل الثالث

### رأيا المدرستين في تقويم كتب الحديث



نختم بحوث مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين ببيان تقويمهما  
لكتب الحديث ونقول:

#### أ - تقويم كتب الحديث بمدرسة الخلفاء :

مرّ بنا في البحوث السابقة أن الخلفاء الأوائل منعوا نشر حديث  
الرسول (ص) ونهوا المسلمين عن كتابته، وإن النهي استمرّ حتى عصر عمر  
ابن عبدالعزيز حين رفع الحظر عن تدوين حديث الرسول (ص) وأمر به،  
فتسابق محدّثو مدرستهم بتدوين ما كان متداولاً بينهم من الحديث، وألفوا  
مختلف كتب الحديث، ثم اشتهرت عندهم الكتب الستة الآتية بالصحاح:

أ - صحيح البخاري، تأليف محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦ هـ).

ب - صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ).

ج - سنن ابن ماجه، تأليف محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣ هـ).

د - سنن أبي داود تأليف سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:

٢٧٥ هـ).

- هـ- سنن الترمذي تأليف محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩ هـ).
- و- سنن النسائي تأليف أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ).
- و بعضهم يجعل بدل سنن النسائي سنن الدارمي تأليف عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥ هـ) من الصحاح الستة.
- وكان نتيجة ذلك أن علماء مدرسة الخلفاء بتقليدهم العلماء الستة في تقويم الحديث، أوصدوا باب البحث العلمي في تمحيص الاحاديث على مدرسة الخلفاء وقلّدوا العلماء الستة المذكورين خاصّة البخاري ومسلم حتى اليوم، كما فعلوا ذلك في سدّ باب الاجتهاد<sup>١</sup> على مدرسة الخلفاء بتقليدهم العلماء الأربعة الآتية أسماؤهم:
- أ - أبو حنيفة عتيك بن زوطي<sup>٢</sup> المعروف بالنعمان بن ثابت (ت: ١٥٠ هـ).
- ب - مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ).
- ج - محمد بن ادريس الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ).
- د - أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ).
- و من الحنابلة تفرّعت السلفية أتباع ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٦ هـ).
- ومن السلفية تفرّعت الوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦ هـ).
- كان ذلكم تقويم الحديث بمدرسة الخلفاء وأثره.

(١) إنهم أوصدوا - بسدّ باب الإجهاد - باب استنباط الأحكام من الكتاب والسنة كما هو متداول لدى فقهاء مدرسة أهل البيت (ع).

(٢) بترجمته في تاريخ بغداد: النعمان بن ثابت بن زوطي، وكان زوطي مملوكا لبني تميم الله بن ثعلبة، فاعتق، فولّاه لبني تميم الله. أصله من كابل. وزاد ابن خلكان بعد زوطي ابن ماء. وذكر الخطيب أن أبا حنيفة اسمه عتيك بن زوطرة فسمى نفسه النعمان وأباه ثابتا.

## ب - تقويم كتب الحديث بمدرسة أهل البيت :

نلخص هنا ما سبق ذكره في هذا الباب ونضيف إليه ونقول :

أنَّ أوَّل من دوَّن الحديث في مدرسة أهل البيت هو الإمام علي (ع) حيث دوَّن ما أملاه عليه رسول الله (ص) في كتب منها الجامعة التي كان طولها سبعون ذراعاً في عرض الاديَم، ما على الأرض شيء يحتاج إليه الناس من أحكام الإسلام إلّا وهو فيه . ثم توارث الأئمة من ولده كتبه ورووا منها عن رسول الله (ص) لتلاميذهم، ودوَّنوها من أصحابهم من دوَّن ما سمعه في رسائل صغار، وكان الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) أوَّل من ألَّف بمدرسة أهل البيت موسوعة حديثية عامّة جمع فيها ما أمكنه من تلكم الرسائل، ثم تلاه الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) وألَّف كذلك مدينة العلم وهي مفقودة على أثر إحراق كتب أتباع مدرسة أهل البيت ومكتباتهم ومطاردتهم وتشريدتهم . وختم تأليف الموسوعات الحديثية العامّة بمدرسة أهل البيت بموسوعة المجلسي (ت: ١١١١ هـ) في الحديث وهو البحار، والعوالم للبحراني (من تلامذة المجلسي) واهتمَّ علماء مدرسة أهل البيت بأحاديث الأحكام وعنوا بها عناية فائقة . وكان الشيخ الصدوق أوَّل من ألَّف موسوعة فقهية من الحديث سمّاها « من لا يحضره الفقيه »، وتلاه في ذلك الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) وألَّف الاستبصار والتهذيب . ثم اشتهر الكافي ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب والاستبصار من الموسوعات الحديثية اشتهاراً واسعاً، على أنَّ الذي ألَّف بعدها جاء أوسع منها وأفضل تبويباً مثل الوسائل للشيخ الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) وجامع أحاديث الشيعة للسيد حسين ابن علي البروجردي (ت: ١٣٨٠ هـ) . وهذا الأخير أكثر إتقاناً وشمولاً من كل ما سبقه، غير أنَّ الفضل للمتقدّم .

## علماء أهل البيت (ع) لا يقلدون السلف في الفقه ولا في دراية الحديث

تمتاز مدرسة أهل البيت (ع) على مدرسة الخلفاء بأنها لا تعتبر أيّ كتاب عدا كتاب الله من أوله إلى آخره صحيحاً، ولا تقلّد أيّ واحد من السلف الصالح من العلماء في ما اتّخذ من رأي فقهي أو ما اعتبره صحيحاً من حديث مروي، خلافاً لما عليه مدرسة الخلفاء من تقليدهم العلماء الأربعة في الفقه وسدّهم باب الاجتهاد على غيرهم إلى اليوم، وكذلك اعتبرهم ما ورد في الكتب الستة من الحديث صحيحاً وخاصة ما في صحيح مسلم والبخاري، وسدّهم بذلك باب البحث العلمي في دراية الحديث على أنفسهم إلى اليوم.

ويدلّك على ما ذكرنا بالنسبة إلى مدرسة أهل البيت أنّ ما انتخبه العلامة الحلي الحسن بن يوسف (ت: ٧٢٦ هـ) من حديث، ودوّنه في عشرة أجزاء، وسماه « الدرّ والمرجان في الاحاديث الصحاح والحسان »<sup>١</sup>، وكذلك ما انتخبه من حديث صحيح حسب اجتهاده وجمعه في تأليف وسماه « النهج الوضاح في الاحاديث الصحاح »<sup>٢</sup>، وما انتخبه الشيخ حسن

(١) راجع ترجمة الكتاب في حرف الدال من الذريعة.

(٢) راجع ترجمة الكتاب في حرف النون من الذريعة.

(ت: ١٠١١ هـ) ابن الشهيد الثاني من حديث مقتفياً أثر العلامة وسماه «منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان»<sup>١</sup> لم تتداول في الحوزات العلمية، ولم يعتد بها العلماء، وانا اعتبروا عملهما اجتهاداً شخصياً، رغم اشتهار سائر مؤلفاتهما لديهم وتداولها بينهم حتى اليوم، مثل كتاب معالم الأصول للشيخ حسن الذي بقي منذ عصر مؤلفه إلى اليوم أول كتاب دراسي يدرسه طلاب اصول الفقه، ودرسه عامة الفقهاء في سلم الدراسات الاصولية، ومن جراء ذلك اشتهر مؤلفه بين العلماء بصاحب المعالم، ومع ذلك نسيت مؤلفاتهم في صحاح الاحاديث وحسانها، ولعل في العلماء بمدرسة أهل البيت من لم يسمع بأسماء كتبهم في صحاح الاحاديث وحسانها فضلاً عن التمسك بما ورد فيها من حديث بعنوان الصحيح والحسن.

(١) راجع رجال المامقاني، ط. النجف الأولى ٢٨١/١ و ترجمة الكتاب في حرف الميم من الذريعة.





# باب استنباط الأحكام الفقهية من السنّة النبوية



## تقويم أحاديث الكتب الأربعة

ان مدرسة أهل البيت لم تعتبر جميع أحاديث الكتب الأربعة: الكافي والفقيه والاستبصار والتهذيب، صحيحة كما هو الشأن لدى مدرسة الخلفاء بالنسبة إلى صحيحي مسلم والبخاري، وأن أقدم الكتب الأربعة زماناً وأنبهاً ذكرها وأكثرها شهرة هو كتاب الكافي للشيخ الكليني، وقد ذكر المحدثون بمدرسة أهل البيت أن فيها خمسة وثمانين وأربعمائة وتسعة آلاف حديث ضعيف من مجموع ١٦١٩٩ حديثاً، وإذا رجعت إلى شرح الكافي المسمى بمرآة العقول وجدت مؤلفه المجلسي - أحد كبار علماء الحديث - يذكر لك في تقويمه أحاديث الكافي ضعف ما يراه منها ضعيفاً، وصحة ما يرى منها صحيحاً، وثيقة ما يرى منها موثقاً أو قوياً باصطلاح أهل الحديث.

وقد ألّف أحد الباحثين في عصرنا صحيح الكافي<sup>١</sup> واعتبر من مجموع

(١) صحيح الكافي، تأليف محمد باقر البهبودي، ط. بيروت سنة ١٤٠١ هـ.

ولما كان المؤلف قد اعتمد في عمله على الأقوال المنقولة عن كتاب الرجال المنسوب إلى ابن الغضائري أبي الحسين أحمد بن الحسين (كان معاصراً للنجاشي والطوسي) وعلماء الدراية والرجال ينكرون وجود كتاب كهذا لابن الغضائري، لهذا لم يلق عمله المذكور القبول في المحوزات العلمية.

راجع حرف الرء من الذريعة بترجمة رجال ابن الغضائري ٨٧/١٠ - ٨٩، وحرف التاء بترجمة كتاب تفسير العسكري ٢٨٨/٤ - ٢٩١، وفصل «التشكيك في نسبة الرجال إلى ابن الغضائري» الحكم

١٦١٢١ حديثاً من أحاديث الكافي ٤٤٢٨ حديثاً صحيحاً وترك ١١٦٩٣ حديثاً منها لم يرها حسب اجتهاده صحيحة .  
وما ذكرناه يدلّك على أن مدرسة أهل البيت لا تعتبر أيّ كتاب حديث لديها صحيحاً، سواء الكافي منها وما دونه شهرة، وبعده زماناً .  
و انها تُؤمن بأن كتاب الله القرآن وحده صحيح من الجلد إلى الجلد ولا شريك له في الصحة .

### قول مجهول قائله

أما ما قيل من أنّ المهدي (ع) قال: إنّ الكافي كافٍ لشيعتنا، فإنّه قول مجهول رواه ولم يسم أحد اسمه، ويدلّ على بطلانه تأليف مئآت كتب الحديث بمدرسة أهل البيت بعد الكافي مثل: من لا يحضره الفقيه، ومدينة العلم، والتهذيب، والاستبصار والبحار، ووسائل الشيعة، وجامع أحاديث الشيعة، إلى غيرها.

### الأحاديث الصحيحة لدى فقهاء مدرسة أهل البيت

بما أنّ أتباع مدرسة أهل البيت لم يسدّوا باب الاجتهاد - أي استنباط الأحكام من الكتاب والسنة - ، كما فعل ذلك أتباع مدرسة الخلفاء، فإنهم بحاجة مستمرة إلى دراسة آيات الاحكام من كلام الله، ودراسة أحاديث الأحكام المنتهية إلى رسول الله (ص).

وفي صدد ذلك جمعوا آيات الأحكام في رسائل خاصة مثل: كنز العرفان في فقه القرآن للسيوري (ت: ٨٢٦ هـ)، ومسالك الافهام إلى آيات الأحكام لجواد الكاظمي (توفي أواسط القرن الحادي عشر الهجري)، ثم

→  
عليه بالوضع والاختلاق من المقدّمة السادسة بمعجم رجال الحديث ١٠٢/١.

عنوا بدراستها لدراية منطوقها ومفهومها، خاصها وعامها، محكمها ومتشابهها، إلى غير ذلك من الدراسات، واستنبطوا منها الاحكام الشرعية التي دونوها في كتبهم الفقهية.

و كذلك جمعوا الاحاديث المروية بواسطة الصحابة المؤمنين وأئمة أهل البيت الاطهار في موسوعات كبيرة مثل الفقيه والاستبصار والتهذيب والوسائل وجامع أحاديث الشيعة، ثم عنوا بدراسة أسانيد أحاديثها لمعرفة قوتها من ضعيفها وصحيحها من سقيمها، ودراسة متونها لمعرفة عامها وخاصها، مجملها ومبينها ورجحان ما تعارض منها، ثم أثبتوا الأحكام التي استخرجوها مما صحَّ عندهم من تلك الاحاديث في كتب فقهية، مثل النهاية للشيخ الطوسي، والمختصر النافع وشرائع الإسلام للمحقق الحلي (ت: ٦٧٦ هـ)، واللمعة للشهيد الأول (ت: ٧٨٦ هـ)، وشرحها للشهيد الثاني (ت: ٩٦٥ هـ) وجواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام للشيخ محمد حسن (ت: ١٢٦٦ هـ) إلى نظائرها.

ويتضح ممَّا ذكرنا أنَّ علماء مدرسة أهل البيت لم يُجروا في دراستهم الرسمية الحوزوية على غير أحاديث الأحكام دراسات لتمحيص الأحاديث، وأنَّ الأحاديث التي جمعوها (في مثل الوسائل وجامع أحاديث الشيعة) إنما جمعوها ليجري الفقيه عليها دراساته لمعرفة الاحاديث الصحيحة منها، ثم استنباط الأحكام ممَّا ثبت عندهم صحتها منها.

إذاً فالأحاديث الصحيحة عند فقهاء الشيعة هي التي استخرجوا منها المسائل الفقهية المدونة في الكتب الفقهية المذكورة آنفاً، ومن ثمَّ ثبت أنَّ العلماء لم يجروا أي دراسة حوزوية على أحاديث السيرة، سواء سيرة الانبياء السابقين، أو خاتم الانبياء وصحابته، أو الأئمة وأصحابهم، وروايات التاريخ الإسلامي العام، ولا على أحاديث تفسير القرآن الكريم والادعية والأخلاق،

وكذلك أغلب أحاديث الأعمال المستحبة، وتجدهم يعولون في هذه المباحث على روايات ورواة لا يعولون عليها ولا عليهم في المباحث الفقهية، بل يطرحونها ويسقطونها من الاعتبار. ولو سألت أحدهم: هل صحّ عندك جميع ما أوردت في هذا البحث غير الفقهي من حديث؟ لأجابه بالنفي وقال: انه ليس من مباحث الأحكام الشرعية وإنما هو من أبواب المعارف الإسلامية، والأمر فيه هيّن.

ومن ثم يخرجون في مباحث التفسير والسيرة والأدعية والأخلاق والأعمال المستحبة روايات عن رواة لا يروون عنهم في أبواب الفقه، وقد أكثروا في هذه المباحث من إيراد روايات مدرسة الخلفاء ممّا تخالف الواقع وانتقدوا عليها، دون أن يعلم الناقد أن النقد إنما يتّجه إلى روايات مدرسة الخلفاء فيها وليس إلى روايات مدرسة أهل البيت. وإليك ثبناً بذلك فيما يأتي.

## انتشار أحاديث مدرسة الخلافة لدى أتباع مدرسة أهل البيت

أوردنا في الجزء السابع من « نقش ائمه در احياء دين »<sup>١</sup> الأحاديث التي  
خرجها الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) من أحاديث سيف بن عمر الزنديق من  
رواة أحاديث السيرة والتاريخ بمدرسة الخلفاء.

و ذكرنا بعض ما اعتمده الشيخ الطوسي من رواياتهم بترجمة القعقاع  
من رجاله وانتشر منه إلى رجال الارديلي (ت: ١١٠١ هـ) والقهبائي ( كان  
حيًا سنة ١٠١٦ هـ) والمامقاني (ت: ١٣٥١ هـ).

و أنّ بعض ما أخرجه الشيخ الطوسي - أيضاً - من رواياتهم في تفسيره  
التبيان انتشرت منه إلى تفسير: أبي الفتوح الرازي (ت: ٥٥٤ هـ) ومنه إلى  
تفسير كازر (ت: ٧٢٢ هـ) ومنه إلى تفسير الكاشاني (ت: ٩٨٨ هـ).

و أنّ من « إحياء علوم الدين » للغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) انتشر حديث  
موضوع عن سيرة رسول الله إلى « جامع السعادات » لمهدي النراقي  
(ت: ١٢٠٩ هـ) ومنه إلى « معراج السعادة » لابنه أحمد النراقي

(١) راجع في ما نقلناه إلى هنا: « نقش ائمه » فارسي ٦٦/٧ - ٧٥، ط. طهران سنة ١٤٠٤ هـ  
١٣٦٣ ش. وقد ترجم إلى العربية باسم « قيام الأئمة باحياء السنة ».

(ت: ١٢٤٥ هـ).

وأن ابن طاووس (ت: ٦٦٤ هـ) اعتمد في كتاب دعائه «المجتنى» على رواية نقلها من تاريخ ابن الاثير (ت: ٦٣٠ هـ) والتي كان قد نقلها من رواية سيف الزنديق بتاريخ الطبري.

وإن المجلسي الكبير (ت: ١١١١ هـ) أخرج في أبواب سيرة رسول الله (ص) ومقتل الإمام علي ووفاة فاطمة بكتاب البحار ٢٦٤ صفحة من روايات كتب أبي الحسن البكري (ت: منتصف القرن الثالث الهجري)<sup>١</sup>. واستنسخ الشيخ الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) كتاب البكري المذكور وألحقه بآخر كتاب «عيون المعجزات»<sup>٢</sup> للشيخ حسين بن عبدالوهاب.

\* \* \*

هكذا انتشر في غير الأبواب الفقهية من كتب علماء مدرسة أهل البيت لشيء الكثير من الأحاديث الضعيفة، و سبب إيراد النقد الكثير عليهم، ومن ثم يرد هذا السؤال: إنه ما المبرر لهم في تدوين الأحاديث الضعيفة في غير أبواب الفقه من كتبهم؟ وفي ما يأتي جوابهم على هذا السؤال:

### الأمانة العلمية لدى علماء مدرسة أهل البيت

لما لم يكن علماء مدرسة أهل البيت بصدد تدوين الحديث الصحيح في كتبهم - كما هو شأن مؤلفي الصحاح بمدرسة الخلفاء وخاصة في غير الأبواب

(١) هو أحمد بن عبدالله بن محمد من أولاد الخليفة الأول أبي بكر قال الذهبي بترجمته: «واضع القصص التي لم تكن قط» وهو غير أبي الحسن البكري محمد بن محمد بن عبدالرحمن المتوفى ٩٥٤ هـ، وترجمته في الاعلام للزركلي ٢/٢٨٥.

راجع ترجمة أحمد بن عبدالله في ميزان الاعتدال رقم الترجمة ٤٤٠ ولسان الميزان رقم الترجمة ٦٣٩ و الاعلام للزركلي ١/١٤٨.

(٢) راجع «نقش أئمة» ٧/٧٠.



الفقهية - وكانوا بصدد جمع الأحاديث المناسبة لكل باب، فقد اقتضت الأمانة العلمية في النقل أن يدونوا كل ما انتهى إليهم من حديث في بابه، مع غرض النظر عن صحة الحديث لديهم أو عدمها، كي تصل جميع أحاديث الباب إلى الباحثين في الاجيال القادمة كاملة، مهما كان بعض الاحاديث مكروهاً لديهم وضعيفاً بموازين النقد العلمي. وإنما كانوا يرون أنفسهم مسؤولين أمام الله في تمحيص الاحاديث التي يعتمدونها في استخراج الأحكام الشرعية في تدوين كتبهم الفقهية فحسب.

إذاً فإنَّ النقد يرد عليهم لو اعتمدوا على حديث ضعيف في كتبهم الفقهية، وكذلك يرد النقد على كتب «منتقى الجمان» و«الدرر والمرجان في الأحاديث الصّحاح والحسان» و«النهج الوضاح في الاحاديث الصّحاح» و«صحيح الكافي» لو ورد فيها حديث ضعيف.

ومن كل ما سبق ذكره يتضح جلياً أنّ مدرسة أهل البيت لا تتساهل على صحة كتاب عدا كتاب الله جلّ اسمه، وأنّ المؤلفين منهم قد يوردون في غير الكتب الفقهية حديثاً لا يعتقدون صحّته ويرونه ضعيفاً، لأن الأمانة العلميّة تقتضيهم أن لا يكتموا الباحثين في الاجيال القادمة حديثاً بدليل انهم يرونه ضعيفاً، فلا يتّجه إليهم نقد في غير ما دُونوه في الابواب الفقهية، ويرد النقد على مؤلفي الصّحاح والحسان الأربعة لو وجد فيها حديث ضعيف.

\* \* \*

بعد أن بلغ البحث إلى هنا رجعنا إلى معجم رجال الحديث لاستاذ الفقهاء السيد الخوئي، فوجدناه - مدّ ظله - قد أفاض في الحديث في ذلك تحت عنوان «روايات الكتب الأربعة ليست قطعية الصدور» و«النظر في

صحة روايات الكافي ومن لا يحضره الفقيه والتهذيبين . . . » .  
و أثبت ان الشيخ الطوسي و الصدوق و شيخه لم يكونوا يرون صحة  
جميع ما ورد في الكافي من حديث .  
و أن الشيخ الطوسي لم يكن يرى صحة جميع ما ورد في « من لا يحضره  
الفقيه » من حديث .  
و الالهّم من ذلك أن الكليني نفسه لم يكن يرى جميع ما أورده من  
حديث في كتابه الكافي صحيحاً .  
و كذلك الصدوق لم يكن يرى صحة جميع ما أورد من حديث في « من  
لا يحضره الفقيه » .  
و الشيخ الطوسي لم يكن يرى صحة جميع ما أورد من حديث في  
« التهذيب » ، و « الاستبصار » .

و استدللّ فيها أفاد بأدلة قوية ؛ منها : أنه كيف يصحّ أن يقال ان الشيخ  
الكليني أو غيره يرى جميع ما في كتاب الكافي قطعيّ الصدور عن رسول  
اللّه (ص) أو أحد الائمة من أهل بيته (ع) ، وقد نقل فيه الشيخ الكليني أقوالاً  
عن أشخاص أمثال :

- أ - هشام بن الحكم .
- ب - أبي أيوب النحوي .
- ج - النظر بن سويد .
- د - أسيد بن صفوان .
- هـ - ادريس بن عبد الله الاودي .
- و - الفضيل .

(١) معجم رجال الحديث ٨٥/١ - ٩٧ .

ز - أبي حمزة .

ح - اليمان بن عبيد الله .

ط - اسحاق بن عمار .

ي - يونس .

ك - إبراهيم بن أبي البلاد .

ل - أبي نعيم الطحان .

م - اسماعيل بن جعفر<sup>١</sup> .

كيف يصحّ وليس هؤلاء الرجال الذين أخرج أحاديثهم في الكافي بالنبّي  
والائمة من أهل بيته لتكون أقوالهم أحاديث صحيحة .

(١) معجم رجال الحديث ٨٩/١ - ٩١ .



## خلاصة و خاتمة للبحثين الرابع و الخامس



كانت نتيجة ما ذكرنا من انتشار اجتهادات الخلفاء وفق سياستهم أن غمَّ أمر الأحكام الإسلامية التي جاء بها الرسول (ص) على المسلمين ونسيت، واشتهرت بين المسلمين الأحكام التي اجتهد فيها الخلفاء، وانتشرت باسم أحكام الإسلام في جميع بلاد الإسلام على وجه الأرض من اليمن إلى الحجاز والشام والعراق وأقاصي إيران و مصر إلى أقاصي أفريقيا بعد أن نسيت الأحكام التي جاء بها سيّد الرسل في تلك المسائل، ولو عرف أحيانا الحكم الذي جاء به الرسول وكان مخالفاً لأوامر الخليفة فالتدبّن عندهم في الاعراض عن حكم الله في سبيل طاعة الخليفة؛ فقد مرّ علينا قول الشاميّ في رمية الكعبة إنّ الحرمة والطاعة اجتمعتا فغلبت الطاعة الحرمة. ونادى الحجاج: يا أهل الشام ! الله الله في الطاعة ! ولولا طاعة الخليفة لاجتنبوا تلك المعاصي الكبيرة. ألم يكن قائد الحملة ( الحصين بن نمير) يخاف الله في حماية الحرم أن تطأها فرسه وهو غافل عنها ؟!!

وكذلك كان شأن شمر في قتله الحسين (ع) فقد روى الذهبيّ وقال :  
كان شمر بن ذي الجوشن يصليّ الفجر ثمّ يقعد حتّى يصبح ثمّ يصليّ،

ويقول في دعائه : أَللّهُمَّ اغفر لي ! فقيل له : كيف يغفر الله لك وقد خرجت إلى ابن بنت رسول الله (ص) فأعنت على قتله ١٩ ، قال : ويحك ! فكيف نصنع ؟ ! إنّ امرأنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم ولو خالفناهم كنّا شرا من هذه الحمرا .

وكان كعب بن جابر - ممّن حضر قتال الحسين (ع) في كربلاء - يقول في مناجاته :

« يا ربّ ! إنّنا قد وفينا فلا تجعلنا يا ربّ كمن قد غدر » يقصد بمن قد غدر من خالف الخليفة وعصى أوامره .

ودنا عمرو بن الحجاج يوم عاشوراء من أصحاب الحسين (ع) ونادى وقال : يا أهل الكوفة ! الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام .

بلغوا في تديّتهم بطاعة الخليفة إلى حدّ أنّه كان أرجى عمل عندهم ليوم القيامة لإرتكاب كبائر معاصي الله في سبيل طاعة الخليفة ، وقد مرّ علينا قول مسلم في حالة النزاع :

اللهمّ إنّني لم أعمل عملاً قطّ بعد شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله - أي بعد الإسلام - أحبّ إلّني من قتل أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة ، و ان دخلت النار بعد ذلك إنّني لشقيّ .

أرأيت هذا التديّن ؟ ! أرأيت أرجى عمل ليوم القيامة ؟ ! أرأيت كيف استطاعت عصبة الخلافة أن تقلب الإسلام إلى ضده ؟ فإنّ الذين قتلوا الحسين (ع) كانوا يصلّون في صلاتهم حين يصلّون على محمّد وآل محمّد ثمّ يقتلونه ؟ ! وإن الذين كانوا يرمون الكعبة بالمنجنيق كانوا يستقبلونها في



صلاتهم ثم يعقبون صلاتهم برميها بالنفط ومشاقات الكتّان وأحجار المنجنيق !!؟

وقع كلّ ذلك في سبيل طاعة الخليفة. إذن أصبح الخليفة يومذاك مطاعاً دون الله، وكان الخليفة الذي يأمر برمي الكعبة بالمنجنيق أعتى وأطغى من فرعون ! فإنّ فرعون لم يأمر بهدم بيت عبادته كما فعل خليفة المسلمين يزيد وعبدالمملك. هكذا ربّت مدرسة الخلافة المسلمين. فكيف أدرك المسلمون الحقيقة ؟

### كيف وعى المسلمون ؟

أصاب شريعة سيّد المرسلين (ص) بسبب تلك الاجتهادات ما أصاب شرايع الأنبياء السابقين في تلك المسائل، ولم يكن من الممكن إعادة أحكام الإسلام إلى المجتمع مع طاعة أفرادهم لمقام الخلافة التي اجتهدت في تلك الأحكام. فلم يكن بدّ من كسر قدسية مقام الخلافة في نفوس المسلمين كي يتيسّر بعد ذلك إبعاد الأحكام التي انتشرت بسبب اجتهاداتهم، ثمّ إعادة أحكام الإسلام التي جاء بها رسول الله إلى المجتمع بعد ذلك، وقد أعدّ الله الإمام الحسين للقيام بهذه المهمة كما يلي بيانه.

(١) ورد في لسان العرب و تاج العروس بمادة « عبد ».

عبد عبادة و عبودة و عبودية اطاعه، و العبادة: الطاعة مع الخضوع، و عبد الطاغوت: أي اطاعه يعني الشيطان في ما سؤل له و أغواه، و اعبدوا ربكم أي أطيعوا ربكم، و اياك نعبد أي نطيع الطاعة التي يخضع معها.

## أعدّ الله ورسوله الإمام الحسين (ع) للقيام بالتغيير

قيّض الله الإمام الحسين (ع) لكسر قدسية مقام الخلافة في نفوس المسلمين بعد أن أعدّ له الاجواء النفسية في المجتمع الإسلامي بما أنزل في حقّه ضمن ما أنزل في حقّ أهل البيت عامة بقرآنه الكريم، وفي ما بلغ المسلمين على لسان رسوله في أهل البيت عامّة وفي الإمام الحسين (ع) خاصّة:   
فأنّه لما أنزل الله سبحانه: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾.

فسرّ رسوله (القربى) بعلي وفاطمة والحسن والحسين<sup>١</sup>.   
ولمّا أراد الله سبحانه أن ينزل آية التطهير، ورأى رسول الله أنّ الرحمة هابطة، دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين وضمّهم إلى نفسه تحت الكساء، فانزل الله تعالى:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾، فقال رسول الله: أللهم إنّ هؤلاء أهل بيتي، وبقي طول حياته

(١) بتفسير الآية من تفسير الطبري والزنجشيري والسيوطي، ومستدرك الصحيحين ١٧٢/٣، وذخائر العقبى للطبري ص ١٣٨، وأسد الغابة ٣٦٧/٥، وحلية الأولياء ٢٠١/٣، وجمع الزوائد ١٠٣/٧ و١٤٦/٩.

بعد ذلك يقف على باب دارهم يوماً خمس مرات أوقات الصلاة اليومية ويقول: السلام عليكم يا أهل البيت إننا يريد الله ليذهب...<sup>١</sup> ولما نزلت الآية الكريمة: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (٦١ / آل عمران) وأراد أن يباهل نصارى نجران؛ دعا رسول الله علياً وفاطمة والحسن والحسين<sup>٢</sup> وفي رواية: وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها، وقال لهم النبي: إذا دعوت فأمنوا، فلما رأهم أسقف نجران، قال: يا معشر النصارى! إنني لأرى وجوها لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، فصالحهم على دفع الجزية<sup>٣</sup>. هذا بعض ما تلتته أبناء الأمة في قرآنها وسمعته في تفسيره عن رسول الله له وشاهدته يفسره بعمله.

وأيضاً سمعت رسول الله يقول:  
من صلى صلاة لم يصل فيها علي ولا على أهل بيتي لم تقبل منه<sup>٤</sup>.  
ولما سأله كيف يصلون عليه قال:  
قولوا: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت

(١) مضت مصادر الخبر في ص ١٨ - ٢٣ من القسم الأول من هذا الكتاب.  
(٢) صحيح مسلم، باب فضائل علي من كتاب فضائل الصحابة، وسنن الترمذي، ومستدرک الصالحين ١٥٠/٣، ومسند أحمد ١٨٥/١، وسنن البيهقي ٦٣/٧، وتفسير الآية بتفسير الطبري والسيوطي، والواحد في أسباب النزول ص ٧٤ و ٧٥.  
(٣) بتفسير الآية بتفسير الكشاف للزنجشيري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، ونور الابصار للشبلنجي ص ١٠٠.  
(٤) سنن البيهقي ٣٧٩/٢، وسنن الدارقطني ص ١٣٦.

على آل إبراهيم إنك حميد مجيد<sup>١</sup>.

وسمعتة يقول لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم  
وسلم لمن سالتهم<sup>٢</sup>.

وفي رواية: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم<sup>٣</sup>.  
وأخذ بيد حسن وحسين، فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما  
وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة<sup>٤</sup>.  
ويقول: الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا<sup>٥</sup>.

ويقول: ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة؟ ألا أخبركم بخير الناس  
عمّاً وعمّة؟ ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ ألا أخبركم بخير الناس

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات في باب الصلاة على النبي، وفي كتاب التفسير، في باب  
تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، وصحيح مسلم، في كتاب الصلاة، باب  
الصلاة على النبي (ص) بعد التشهد، ومسنند أحمد ٤٧/٢، و٣٥٣/٥، والادب المفرد للبخاري ص ٩٣،  
وسنن النسائي وابن ماجه والترمذي، والبيهقي ١٤٧/٢ و ٢٧٩، والدارقطني ص ١٣٥، ومسنند  
الشافعي ص ٢٣، ومستدرک الصحيحين ٢٦٩/١، وتفسير آية «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...» من تفسير الطبري.

٢ (٣) سنن الترمذي كتاب المناقب وابن ماجه المقدمة، ومستدرک الصحيحين ١٤٩/٣، ومسنند  
أحمد ٤٤٢/٢، وأسّد الغابة ١١٨/٣ و ٥٢٣/٥، ومجمع الزوائد ١٦٩/٩، وتاريخ بغداد ١٣٦/٨،  
والرياض النضرة ١٩٩/٢، وذخائر العقبى ص ٢٣.

٤) مسند أحمد ٧٧/١، وسنن الترمذي كتاب المناقب، وتاريخ بغداد ٢٨٧/٣، وتهذيب التهذيب  
٤٣٠/١٠، وكنز العمال.

٥) في باب مناقب الحسن والحسين من كتاب بدء الخلق من صحيح البخاري أن رجلاً سأل ابن  
عمر عن دم البعوض فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا! يسألني عن دم  
البعوض وقد قتلوا ابن النبي (ص) وسمعت النبي (ص) يقول: هما ريحانتي من الدنيا.  
وباب رحمة الولد وتقبيله، والادب المفرد له ص ١٤، وسنن الترمذي، ومسنند أحمد ٨٥/٢ و  
٩٣ و ١١٤، ومسنند الطيالسي ١٦٠/٨، وخصائص النسائي ص ٣٧، ومستدرک الحاكم ١٦٥/٣،  
والرياض النضرة ٢٣٢/٢، وحلية أبي نعيم ٢٠١/٣ و ٧٠/٥، وفتح الباري ١٠٠/٨، ومجمع الزوائد  
١٨١/٩.

أبا وأماً: الحسن والحسين<sup>١</sup>.

ويقول: هذان ابناي و ابنا ابنتي ، اللهم أني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما<sup>٢</sup>.

ويقول: من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، و من أبغضهما فقد أبغضني<sup>٣</sup>.

ويقول: كل بني آدم يتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأني أنا أبوهم وأنا عصبتهم<sup>٤</sup>.

و كان يصلي في مسجده فإذا سجد وثب الحسن والحسين (ع) على ظهره ، وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعا رفيقا فإذا عاد عادا . . .<sup>٥</sup>  
و كان يخطب في مسجده إذ جاء الحسن والحسين يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله (ص) من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه . . .<sup>٦</sup>

\* \* \*

١) مجمع الزوائد للهيتمي ١٨٤/٩، وذخائر العقبى ص ١٣٠، وكنز العمال ١٠٣/١٣ - ١١٤، ط.  
الثانية.

٢) الترمذي، كتاب المناقب، وخصائص النسائي ص ٢٢٠، وكنز العمال. ٩٩/١٣، ط الثانية.  
٣) سنن ابن ماجه، في فضائل الحسن والحسين، ومسند أحمد ٢/٢٨٨ و ٤٤٠ و ٥٣١، و ٣٦٩/٥،  
وتاريخ بغداد ١٤١/١، وكنوز الحقائق، ط. اسلامبول ص ١٣٤، ومسند الطيالسي ١٠/٣٢٧ و ٣٣٢،  
ومجمع الزوائد ٩/١٨٠ و ١٨١ و ١٨٥، وسنن البيهقي ٢/٢٦٣، و ٢٨/٤، وحلية الأولياء ٨/٣٠٥،  
ومستدرک الصحيحين ٣/١٦٦ و ١٧١.

٤) مستدرک الصحيحين ٣/١٦٤، وتاريخ بغداد ١١/٢٨٥، ومجمع الزوائد ٩/١٧٢، وذخائر  
العقبى ص ١٢١، وكنز العمال ٦/٢٦٦ و ٢٢٠.

٥) مستدرک الصحيحين ٣/١٦٣ و ١٦٥ و ٦٢٦، ومسند أحمد ٢/٥١٣، و ٤٩٣/٣، و ٥١/٥،  
وسنن البيهقي ٢/٢٦٣، ومجمع الزوائد للهيتمي ٩/٢٧٥ و ١٨١، و ١٨٢، وذخائر العقبى ص ١٣٢،  
وأسد الغابة ٢/٣٨٩، والرياض النضرة ص ١٣٢.

٦) مسند أحمد ٤/٣٨٩، و ٥/٣٥٤، ومستدرک الحاكم ١/٢٨٧، و ٤/١٨٩، وسنن البيهقي  
٣/٢١٨، و ٦/١٦٥، وسنن ابن ماجه، باب لبس الأحمر للرجال من كتاب اللباس، وسنن النسائي، باب  
صلاة الجمعة والعیدین، وسنن الترمذي، كتاب المناقب.

أعدّ الله ورسوله الامة في الآيات و الأحاديث الأنفة لتتنظر إلى أهل البيت عامّة بعد رسول الله (ص) نظرة إجلال وإكبار وحُبّ وولاء، وكذلك في آيات أخرى مثل : آية الخمس وسورة هل أتى ، وآية وآت ذا القربى حقّه، وفي أحاديث عن النبي في تفسير تلك الآيات وغيرها<sup>١</sup>.

وخصّ بالذكر من بينهم الإمام الحسين في مثل إخبار الله نبيّه باستشهاد الإمام الحسين في يوم مولده وبعده، وإخبار رسوله أمّته بذلك مرّة بعد أخرى<sup>٢</sup>.

وكذلك في ما فعل الإمام علي (ع) بعد رسول الله (ص) مثل روايته عن رسول الله (ص) في طريقه إلى صفين وغيره باستشهاد الإمام الحسين (ع).

وقوله في بعض آيām صفين :

إِنِّي أَنفَسُ بِهِذَيْنِ - يعني الحسن والحسين (ع) - على الموت لثلاثاً ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم<sup>٣</sup>.

هكذا وُجّهت الامة إلى حبّ الإمام الحسين وإجلال مقامه، أضف إلى ذلك ما كان عند بعض أبناء الامة من نصوص عن الرسول في إمامة الأئمة الاثني عشر ، وأنهم حملة الإسلام وحفظته وأن الإمام الحسين ثالثهم .  
ومهما يكن من أمر فإن الإمام الحسين كان الرجل الوحيد الذي ورث حب المسلمين لجده الرسول (ص) في عصره .

ولهذا رغب المسلمون يومذاك في أن يبايعوه بالخلافة ليصبح بتلك البيعة

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٣٣١، وأسد الغابة ٥/ ٥٣٠، والرياض النضرة ٢/ ٢٢٧، ونور الأبصار، للشبلنجي، وتفسير الآية بتفسير السيوطي.

(٢) راجع قبله فصل « أنباء باستشهاد الحسين ».

(٣) نهج البلاغة، العدد ٢٠٥ من خطبه .

الخليفة الشرعي بعد معاوية، يتبوأ عرش الخلافة بحقوقها، ولو أتيح له ذلك وأصبح خليفة المسلمين ببيعتهم آياه لما استطاع أن يعيد إلى المجتمع الأحكام الإسلامية التي بذلها الخلفاء وغيروها باجتهاداتهم، كما لم يستطع الإمام علي (ع) أن يفعل ذلك بالنسبة إلى اجتهادات الخلفاء الثلاثة من قبله<sup>١</sup>، وكان على الإمام الحسين لو بُويع أن يقرّ أحداث معاوية - اجتهاداته - على حالها بما فيها لعن أبيه الإمام علي (ع) على جميع منابر المسلمين بالاضافة إلى اجتهادات الخلفاء السابقين؛ ولما لم يقدر للمسلمين أن يبايعوه بالخلافة أصبحت حاله لدى المسلمين حال الحرمين الشريفين، له الحرمة في نفوسهم ولكنهم انتهكوها في سبيل طاعة الخليفة. وصحّ ما قال له الفرزدق في هذا الصدد (قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية).

في ضوء الدراسات السابقة نستطيع أن نعرّف مشكلة ذلك العصر كما يلي.

(١) راجع قبله، شكوى الإمام علي من تغيير الولاية قبله أحكام الإسلام بهاب: «شكوى الإمام علي (ع) من تغيير السنّة النبوية» في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

## حال المسلمين في عصر الإمام الحسين (ع)

كان المسلمون في عاصمتي الإسلام مكة والمدينة وعاصمتي الخلافة الكوفة والشام يرون التمسك بالدين في طاعة الخليفة مهما كانت صفاته وفي كل ما يأمر ، ويرون في الخروج عليه شقاً لعصا المسلمين ومروقاً من الدين ، هذه كانت حالتهم وفيهم بقية ممن رأى رسول الله وسمع حديثه ، وفيهم التابعون باحسان ، وفيهم عليّة المسلمين .

و بالقياس إلى هؤلاء ، كيف كانت حال المسلمين في سائر الحواضر الإسلاميّة وبلاده النائية مثل من كان في أقاصي أفريقيا وإيران والجزيرة العربية ممّن لم يروا رسول الله (ص) ولم يصاحبوا أهل بيته أو خريجي مدرسته ؟ أولئك المسلمين الذين كانوا يعرفون الإسلام من خلال ما يرونه في عاصمة الخلافة وبلاط الخليفة خاصة ويمثّل الإسلام في عرفهم الخليفة وسيرته ! وما أدراك ما الخليفة وما سيرته !

الخليفة الذي لا يردعه رادع من دين عن نيل ما يشتهي ! الخليفة الذي يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ! ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخراب والفتيان .



الخليفة الذي ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات<sup>١</sup>.  
 الخليفة الذي يأمر بقتل سبط الرسول ويسبي بناته ويبيح حرم الرسول  
 ويرمي الكعبة بالمنجنيق وينشد:  
 لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل<sup>٢</sup>  
 هذا هو الإسلام الذي كانوا يجدونه لدى خليفة الله وخليفة رسوله<sup>٣</sup>.  
 وكان يقال للمسلمين في كل مكان: انّ التمسك بالدين في طاعة هذا  
 الخليفة.

إذاً فقد تبين ان المشكلة يوم ذاك لم تكن مشكلة تسلط الحاكم الجائري  
 يعالج بتبديله بحاكم عادل، بل كانت مشكلة نضياح الأحكام الإسلامية،  
 وتدين المسلمين بطاعة الخليفة مهما كانت أوامره، ورؤيتهم لمقام الخلافة،  
 ومع هذه الحالة كان العلاج منحصراً بتغيير رؤية المسلمين هذه وعقيدتهم  
 تلك كي تتيسر بعد ذلك إعادة الأحكام الإسلامية من جديد، وكان الانسان  
 الوحيد الذي يستطيع أن ينهض بعبء هذا التغيير هو الإمام الحسين (ع)  
 لمنزلته من رسول الله (ص) ومقامه منه، ولما ورد في حقه من الآيات  
 والأحاديث.

كان على هذا الإنسان مع تلك الميزات أن يختار يومئذ أحد أمرين  
 لا ثالث لهما:

- (١) هكذا وصفه أمان الله أهل المدينة الذين وفدوا إليه وشاهدوه من قريب مع انه برهم وأكرمهم.
- (٢) ذكرنا مصادر هذه الأخبار في ما سبق من هذا الكتاب.
- (٣) كانت عصبة الخلافة تسمي الخليفة بخليفة الله كما مرّت الإشارة إليه، وقد قال مروان بن أبي  
 حفصة في وصف دفاعه عن المنصور يوم الهاشمية:  
 مازلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن  
 مروج الذهب ٢٨٦/٣.

إمّا أن يبايع يزيد ويحظى بعيش رغيد في الدنيا مع بقاء حبّ المسلمين  
و احترام كافّة الناس أيّاه وهو يعلم أنّ بيعته :

أولاً - إقرار منه ليزيد على كلّ فجوره وكفره وتظاهرة بهما !  
و ثانياً - إقرار منه للمسلمين في ما يعتقدونه في أمثال يزيد ممّن ترتع  
على دست الخلافة بالبيعة بأنّهم الممثلون الشرعيون لله ورسوله وأنّ طاعتهم  
واجبة على كلّ حال وفي كل ما يأمرّون !

وفي كلا الاقرارين قضاء على شريعة جدّه سيّد المرسلين، وتؤول  
شريعته بعد ذاك مآل شريعة موسى وعيسى وشرايع سائر النبيين، وبذلك  
كان سبط رسول الله يحمل آثام أهل عصره وآثام من جاء بعدهم إلى يوم  
القيامة، فإنّه لم يكن قد بقي من الرسول سبط غير الحسين، ولم يمهد لاحد  
ما مهّد له كما ذكرنا، ولم يكن يأتي بعده من يصبح له شأن عند المسلمين  
كشأن الإمام الحسين (ع).

إذن فهو الإنسان الوحيد الذي أنيطت به تلك المهمة الخطيرة مدى  
الدهر وعليه أن يختار أحد أمرين: إمّا أن يبايع، وإمّا أن ينكر على يزيد  
أعماله، وينكر على المسلمين كافّة إقرارهم أعمال يزيد، وبذلك يغيّر ما كانوا  
عليه ويمكن الأئمة من بعده من أن يقوموا باحياء ما أندرس من شريعة جدّه.  
وهذا ما اختاره الإمام الحسين (ع) واستهدفه في قيامه واتّخذ شعاراً لنفسه،  
وسلك سبيلاً يوصله إليه. كما نبيّنه في ما يلي.

## هدف الإمام الحسين (ع) و شعاره و سبيله

رفع الإمام شعار بطلان حكم الخلافة القائم وأن فيه خطراً على الإسلام حيث قال:

« وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد » .

قال ذلك في جواب من قال له :

بايع أمير المؤمنين يزيد فهو خير لك في الدارين .

قال ذلك في ظرف كان يقال له :

يا حسين ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمة !

قال ذلك في ظرف قال له ابن عمر :

أتق الله ولا تفرّق جماعة المسلمين<sup>١</sup> .

في هذا الظرف قال الإمام الحسين (ع) :

والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية أبداً .

وكان مؤدّى هذا الشعار صحّة أمر الإمامة وبطلان أمر الخلافة القائمة

ويتّضح ذلك بأجل من هذا في وصيّته لأخيه محمّد ابن الحنفية حيث كتب

فيها:

« أتسأ خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي عليّ بن أبي طالب . فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين » .

أسقط الإمام الحسين في هذه الوصيّة ذكر الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وذكر سيرتهم ، وصرّح بأنّه يريد أن يسير بسيرة جدّه وأبيه . وتتلخص سيرة الخلفاء في :

مجئهم إلى الحكم استناداً إلى بيعة المسلمين أيّاهم كيف ما كانت البيعة ، ثمّ حكمهم المسلمين وفق اجتهاداتهم الخاصّة في الأحكام الإسلاميّة . وتتلخص سيرة أبيه وجدّه في :

حملهما الإسلام إلى الناس ، ودعوتهما الناس إلى العمل به ، ووقوفهما عند أحكام الإسلام ؛ كانت هذه سيرتهما في جميع الأحوال ، سواء أكانا حاكمين مثل عهد الرسول في المدينة والإمام عليّ بعد مقتل عثمان ، أو غير حاكمين مثل حالهما قبل ذلك ، فقد كان للرسول سيرة في مكة وللإمام عليّ سيرة قبل أن يلي الحكم ، وسيرتهما في كلتا الحالين حمل الإسلام إلى الامة ، أحدهما بلّغه عن الله والآخر عن رسوله .

في كلتا الحالين دعوا إلى الإسلام وأمر بالمعروف ونهيا عن المنكر . والإمام الحسين (ع) يريد أن يسير بسيرتهما كذلك ، ولا يريد أن يسير بسيرة الخلفاء ، فمن قبله بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ ، ومن ردّ عليه ذلك صبر حتّى يقضي الله بينه وبين عصبة الخلافة بالحق .

\* \* \*

يعرف ممّا أوردنا ومن سائر أعمال الإمام وأقواله في أيام قيامه ؛ أنّه كان قد حمل إلى الناس شعار بطلان أمر الخلافة القائمة ، وصحّة أمر الإمامة . وهدفه من كلّ ما قال وفعل ؛ أن يؤمن الآخرون بهذا الشعار . فمن آمن به اهتدى ومن لم يؤمن بعد أن بلغه نداء الإمام تمّت الحجّة عليه ، ومن ثمّ كان يعمل جاهداً في سبيل نشر قضيتّه .

كان هذا شعار الإمام وهدفه واتخذ الشهادة سبيلاً للوصول إلى هدفه ، ولنعم ما قال الشاعر على لسانه :

ان كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني  
وممّا يدلّ على ذلك ما ورد في كتابه إلى بني هاشم :

أمّا بعد ، فإنّ من لحق بي استشهد ، ومن تخلف لم يدرك الفتح .  
صرّح الإمام في هذا الكتاب بأنّ سبيله الشهادة ومآلها الفتح ، وكذلك كان شأن سائر أقواله وأفعاله في هذا القيام فإنّها كلّها توضح ما حمل من شعار ، وما اتّخذ من سبيل وهدف ، وكان حين يدعو ويستنصر يدعو ويستنصر من يشاركه في كلّ ذلك على بصيرة من أمره ، مثل قصّته مع زهير بن القين فإنّ الإمام حين دعاه ذهب إلى الإمام متكارهاً ، ثم ما لبث - كما قال الراوي - أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه ، فأمر بفسطاطه فحمل إلى الحسين (ع) ، ثم قال لامرأته : أنت طالق ! الحقّي بأهلك ، فأنّي لا أحب أن يصيبك من سببي إلاّ خير ، ثمّ قال لأصحابه : من أحبّ منكم الشهادة فليقم وإلاّ فإنّه آخر العهد .

أخبر زهير بمصيره قبل أن يصل إلى ركب الإمام خبر استشهاد مسلم وهائى وانقلاب أهل الكوفة على أعقابهم ، وأخبرهم أنّه سمع في غزوة بلنجر من الصحابي سلمان الباهلي أن يستبشروا بادراك هذا اليوم .  
كان الإمام يدعو أنصاراً من هذا القبيل ، ويبعد عن نفسه من اتبعه أملاً

بوصول الإمام إلى الحكم<sup>١</sup>.

أعلن الإمام عن سبيله هذا، ورفع شعاره ذلك، مرة بعد أخرى، وفي منزل بعد منزل. فقد قال في جواب ابن عمر:

يا عبد الله! أما علمت أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغيا بني إسرائيل... فلم يجعل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر! ثم يقول له: اتق الله، يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي.

كأن الإمام يشير في حديثه إلى أن شأنه شأن يحيى ويدعو ابن عمر إلى نصره في ما اختار لنفسه من سبيل.

وقال الإمام في خطبته عند توجهه إلى العراق:

خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وقد خير لي مصرع أنا لاقية، كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكر بلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأحوية سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشد عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده.

من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا...

وما نزل الإمام منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا ومقتله<sup>٢</sup>

لبي الإمام نداء أهل الكوفة اتهاماً للحجة:

كان الإمام يعلم بالبداهة وبحسب حكم طبائع الأشياء، ومع صرف

(١) راجع قبله ص ٢٠٦.

(٢) مضي ذكر مصادر هذه الأخبار.

النظر عما كان قد علمه من الامور الغيبية بانباء رسول الله عن الله عز اسمه بمقتله، كان يعلم أن عليه أن يختار أحد اثنين لا ثالث لهما: إما البيعة وإما القتل، وكان يشير إلى ذلك في أقواله مرة بعد أخرى، وقد بان ذلك منذ أول مرة طلب منه البيعة بعد موت معاوية حيث أشار مروان على والي المدينة أن يأخذ منه البيعة وأن يقتله إن أبى، ففرّ منهم الإمام إلى مكة والتجأ إلى بيت الله الحرام.

وتبين له في مكة أن يزيد يريد أن يقتله، وخشي أن يكون الذي تُستباح به حرمة البيت كما صرح به ل أخيه محمد ابن الحنفية وقاله أيضاً لابن الزبير حين قال له:

و ايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت...  
والله لأن أقتل خارجاً منها أحبّ إليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر.  
وقال لابن عباس:

لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ من أن أقتل بمكة وتستحلّ بي.  
إذاً فإنّ الإمام كان يعلم أنّه لا محيص له عن القتل أينما كان، مازال ممتنعاً عن بيعة خليفة المسلمين يزيد بن معاوية فاختار سبيل الشهادة لنفسه ولمن تبعه!

أما أهل الكوفة، فانهم بعد أن توالى كتبهم إلى الإمام الحسين (ع) يقولون فيها أنّه ليس علينا امام فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت أخرجناه حتّى نلحقه بالشام.  
ويقولون:

إلى الحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين. أما بعد فحيّ هلا،

فان الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل . . .  
 وكتب إليه رؤساء أهل الكوفة: فأقدم على جندك مجتهد .  
 وكتبوا إليه: أنه معك مائة ألف سيف . . .  
 بعدما توالى عليه أمثال الكتب الأنفة من الرجل والاثنين والاربعة  
 ومن رؤساء أهل الكوفة وتكاثر حتى ملأت خرجين .  
 بعد كل ذلك لو أن الإمام لم يلب دعوة أهل الكوفة، وبائع يزيد، أو  
 أنه لم يبايع يزيد ولكنه استشهد بمكان آخر، كان عندئذ قد فرط في حق أهل  
 الكوفة . وكان الناس أهد الدهر وجيلاً بعد جيل يسجلون لأهل الكوفة الحق  
 على الإمام، وفي يوم القيامة كانت لهم الحجة على الله جل اسمه، ولله الحجة  
 البالغة على خلقه .  
 إذن فما فعله الإمام الحسين (ع) مع أهل الكوفة كان من باب إتمام  
 الحجة عليهم وليس غيره، ولو لم يكن هذا بل كان سبب توجه الإمام  
 الحسين (ع) إلى العراق انخداعه بكتب أهل الكوفة وطلبهم الخيثة، لرجع  
 حين بلغه خبر مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ومن قبل أن يصل إليه  
 الحر بن يزيد ويلازمه بأيام<sup>١</sup> .  
 أجل إن الإمام الحسين (ع) قد أتم الحجة بما فعل على أهل العراق وعلى  
 غيرهم وقال الله سبحانه: ﴿لثلاث يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ .

ذهب إلى العراق لاتمام الحجة لا لقول بني عقيل:  
 وقد يتوهم متوهم ويقول: كان سبب ذهاب الإمام إلى العراق بعد  
 وصول نبأ مقتل مسلم وهاني إليه قول بني عقيل: « لا نبرح حتى ندرك ثأرنا  
 أو نذوق ما ذاق أخونا » وأن الإمام بسبب هذا القول عرض نفسه ونفوس من

(١) راجع قبله ص ٢٠٤ - ٢٢٨ .



معه للقتل، فالحقّ أنّ هذا ليس بصحيح ولا ينبغي أن يقوله من له مسكة من عقل، وإنّما الصحيح أنّه لمّا كان سيّان للامام أن يتوجّه إلى العراق أو إلى أيّ بلد آخر بالنسبة إلى المصير الذي كان ينتظر الامام، وهو القتل، مازال ممتنعاً عن بيعه خليفة المسلمين يزيد، وكان من واجبه إتمام الحجّة على أهل العراق ولمّا تتمّ يومذاك، وإنّما تمّت بعد أن ألقى عليهم هو وأصحابه الخطبة بعد الخطبة منذ أن قابل جيش الحرّ حتّى يوم عاشوراء وعند ذاك فقط تمّت الحجّة عليهم. إذاً كان لابدّ للامام أن يذهب إلى كربلاء بعد اطلاعه على مصرع مسلم وهانئ أيضاً، دون الرجوع من حيث أتى أو الذهاب إلى أيّ بلد آخر.

وقد أتمّ الإمام الحجّة على أهل الكوفة وعلى من بلغه خبره من معاصريه في إنكاره على الطاغوت يزيد إنكاراً دوى صداه على وجه الأرض، وبقي مدوياً ما كرّ الجديدان، فأنّه لم يكتف بالامتناع عن بيعه يزيد والجلوس في داره حتّى يقتل فيها ويذهب ضحيّة باردة ثمّ تطمس أجهزة الخلافة على حقيقة خبره، بل قام بكلّ ما ينشر خبره، ويعلن حقيقة أمره وامر الخلافة، كما نشره في ما يلي.

## حكمة الإمام (ع) في كيفية قيامه

عارض الإمام في المدينة بيعة خليفة اكتسب شرعية حكمه لدى المسلمين ببيعتهم إياه، وقام عصبة الخلافة في المدينة حتى انتشر خبره، ثم توجه إلى مكة والتزم الطريق الأعظم ولم يتنكبه مثل ابن الزبير، وورد مكة والتجأ إلى بيت الله الحرام فاشراأت إليه أعناق المعتمرين، وتحلقوا حوله يستمعون إلى سبط نبيهم وهو يحدثهم عن سيرة جدّه ويشرح لهم انحراف الخليفة عن تلك السيرة ! . ثم أعلن دعوته وكاتب البلاد ودعا الأمة إلى القيام المسلّح في وجه الخلافة، وتغيير ما هم عليه، وطلب منهم البيعة على ذلك، وليس على أن يعينوه ليلي الخلافة، ولم يمنّ الإمام أحداً بذلك بتاتاً ولم يذكره في خطاب ولم يكتبه في كتاب، بل كان كلّما نزل منزلاً أو ارتحل ضرب بيحيى بن زكريّا مثلاً لنفسه، وحقّ له ذلك فإنّ كلّاً منهما أنكر على طاغوت زمانه الطغنيان والفساد، وقاومه حتى قتل، وحمل رأسه إلى الطاغية ! فعل ذلك يحيى بمفرده، والحسين مع أعوانه وأنصاره وأهل بيته، ولا يفعل ذلك من يريد أن يجمع الناس حوله ويستظهر بهم ليلي الخلافة، بل يمنيهم بالنصر والاستيلاء على الحكم ولا يذكر للناس ما يؤدّي إلى الوهن والفسل .

بقي الإمام أربعة أشهر في مكّة بما فيهنّ أشهر الحجّ، واجتمع به

المعتمرون أولاً ثم الوافدون لحج بيت الله الحرام من كل فج عميق ، وهو يروي لهم عن جدّه الرسول (ص) عن الله ما يخوفهم معصيته ، ويحذّرهم عذابه في يوم القيامة ، ويدعوهم إلى تقوى الله وطلب مرضيه ، وينبّههم إلى خطر الخلافة القائمة على الإسلام ، فيسمعون منه ما لم يسمعه من غيره في ذلك العصر ، وبقي هكذا حتّى أقبل يوم التروية ، وأحرم الحاجّ للحجّ ، واتّجهوا إلى عرفات ملّين .

في هذا الوقت خالف الإمام الحجيج وأحلّ من إحرامه وخرج من الحرم قائلاً أخشى أن تغتالني عصبية الخلافة لأنّي لم أبايع فتهتك بي حرمة الحرم ، ولأنّ أقتل خارجاً منه بشبر أحبّ إليّ من أقتل داخلاً بشبر . إنّ الإمام لم يقل عندئذ أذهب إلى العراق لألي الحكم ؛ بل قال : أذهب لاقتل خارجاً من الحرم بشبر .

ويعود الحجيج إلى مواطنهم ويبلغ معهم خبر الإمام الحسين إلى منتهى الخلف والحافر ، يبلغ خبره إلى أيّ صقع من أصقاع الأرض يمرّ به ركب الحجيج الذي يحمل معه إلى المسلمين في كلّ مكان النبا العظيم ، نبا خروج سبط نبيّهم على الخلافة القائمة ودعوته المسلمين إلى القيام المسلّح ضدّ الخلافة لأنّه يرى الخليفة قد انحرف عن الإسلام ويرى الخطر محدقاً بالإسلام مع استمرار هذا الحكم ، فيتعطّش المسلمون في كل مكان لمعرفة مآل هذه المعركة ، معركة أهل بيت الرسول مع عصبية الخلافة ، ويتنصّمون أخبارها فيبلغهم أنّ الحسين (ع) خرج لا يلويه شيء ، ولا يثني عزمه تحذير المحذّرين ، ولا تخذيل المخذّلين ، لا يلويه قول عبد الله بن عمر : استودعك الله من قتيل ، ولا قول الفرزدق : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أميّة ، ولا كتاب عمرة وحديثها عن عائشة عن رسول الله أنّه يقتل بأرض بابل ، هكذا تبلغهم أخبار الإمام خبراً بعد خبر ، ويمضي الحسين (ع) متريثاً متمهلاً لا يخفي من أمره

شيئاً، بل يبادر إلى كل فعل يشهر مخالفته للخليفة يزيد، فيأخذ ما أرسله وإلى اليمن إلى الخليفة من تحف و عطور و يعلن بفعله هذا عدم شرعية تصرف الخليفة، وكذلك يفعل كل ما يتم به الحجّة على من اجتمع به أو بلغه خبره، ويبالغ في ذلك، وأخيراً يستقبل بالماء جيش عدوّه وقد أجهده العطش في صحراء لا ماء فيها يرويههم و يروي مراكبهم، ولا يقبل أن يباغت هذا الجيش بالحرب، بل يتركهم ليكونوا هم الذين يبدأوه بالحرب، ثم انه يُتسمّ الحجّة على هذا الجيش و يخاطبهم بعد أن يؤمّمهم بالصلاة ويقول:

معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم علينا فأنه ليس لنا امام لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى، فان كنتم على ذلك، فقد جئتمكم، فان تعطوني ما أطمنن إليه من عهدكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، أنصرف عنكم.

وقال في خطبته الثانية:

إن تتّقوا و تعرفوا الحقّ لاهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بال جور والعدوان . . .

وأنتم الحجّة أيضاً على أصحابه وخطب فيهم وقال:

ألا ترون الحقّ لا يُعملُ به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فأنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً. فقال له أصحابه: والله لو كانت الدنيا باقية وكنا فيها مخلّدين إلّا أنّ فراقها في نصرّك ومواساتك لأثرنا الخروج معك على الإقامة فيها.

وقال في جواب اقتراح الطرمّاح أن يذهب إلى جبلي طيّ فيدافع عنه

(١) في الطبري (إلا شهادة ولا الحياة) تصحيف.

عشرون ألف طائي : أنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف .

إنه قد كان بين الحسين (ع) وبين أهل العراق عهداً أن يذهب إليهم ولا يقدر أن ينصرف عنهم حتى يتم الحجة عليهم .

\* \* \*

أتم الإمام الحسين (ع) الحجة على المسلمين في بلادهم وحواضرهم وعواصمهم مدة خمسة أشهر ، سواء من كان منهم في الحرمين أو العراقيين - البصرة والكوفة - وكذلك من كان في الشام حين أسمعهم حججه في خطبه وكتبه وعلى لسان رسله وأبلغهم نبأه .

وباشر القيام المسلح بأخذه البيعة ممن بايعه على ذلك ، ثم في قتال سفيره مسلم ثم في توجهه إلى العراق مريثاً ، وكان بإمكان جماهير الحجيج أن يلتحقوا بعد الحج بركبه المتمهل في السير ، وكان بإمكان أهل الحرمين والعراقيين وسائر البلاد الإسلامية أن يلبّوا دعوته حين استنصرهم ، فإنه لم يؤخذ على حين غرة ليكونوا معذورين لأنه لم تؤاتهم الفرصة لنصرته ، بل انه تنقل من بلد إلى بلد يداور عصبة الخلافة ويحاور بمنظر من المسلمين ومخبر ، اذن فقد اشترك الجميع في تخذيله ، وان تفرّد أهل الكوفة بحمل العار في دعوته ، وتلبية دعوته ثم قتالهم أيّاه ! .

\* \* \*

أتم الإمام الحسين (ع) الحجة على المسلمين عامة بما قال وفعل من قبل أن يصل إلى عرصات كربلاء ، ولما انتهى إليها وقلب له أهل العراق ظهر المجنّ ، وازدلف إليه هناك عشرات الألوف منهم ، يتقرّبون إلى عصبة الخلافة بدعه ، عند ذاك أتم عليهم - وعلى عصبة الخلافة خاصة - الحجة بما قال وفعل :  
فقد اقترح على عصبة الخلافة أولاً أن يتركوه فيلقي السلاح ويرجع إلى

المكان الذي أتى منه أو يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، وبذلك لا يبقى أي خطر منه على حكمهم كما كان شأن سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأسامة بن زيد مع أبيه الإمام علي (ع) حين لم يبايعوه ، فلما أبى عليه جيش الخلافة إلا أن يبايع وينزل على حكم ابن زياد ، أبى ذلك واستعدّ للقاء الله ؛ وإلتزام الحجة على جيش الخلافة من أهل العراق ، وعلى أصحابه خاصة ، طلب منهم عصر التاسع من محرّم أن يمهلوه ليلة واحدة ليصلي لربه ويتضرّع ويتلو كتابه فإنه يحب ذلك ، وبعد لأي لبوا طلبه فجمع أصحابه ليلة العاشر من محرّم وخطب فيهم وقال في خطبته :

ألا وائي أظن أن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً وائي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ، ليس عليكم مني ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً خيراً ، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم فإنّ القوم إنّما يطلبونني ، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري .

فقال له الهاشميون :

لِمَ نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً !

والتفت إلى بني عقيل وقال :

حسبكم من القتل بمسلم ، إذهبوا قد أذنت لكم !

فقالوا : . . لا والله لا نفعل ، ولكن نفديك بأنفسنا ، وأموالنا وأهلينا ،

نقاتل معك حتى نرد موردك ، فقبّح الله العيش بعدك ! .

ثم تكلم أنصاره فقال مسلم بن عوسجة :

أنحن نخليّ عنك ؟ ! وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك ؟ أما والله

لا أفارقك حتّى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في

يدي، ولولم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتم بالحجارة حتى أموت معك .

وقال سعيد بن الحنفى :

والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك . أما والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيا، ثم أحرق حيّا ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة: لما فارقتك حتى ألقى حماي، فكيف لا أفعل ذلك وأنا هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً، وتكلم باقي الأصحاب بها يشبه بعضه بعضاً . وبعد هذه الخطبة تهيّأوا للقاء ربهم وأحيوا الليل بالعبادة .

قال الراوي :

« فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرّعون » .

واستعدّوا كذلك للقاء خصوصهم و اتمام الحجّة عليهم في يوم غد، فأمر الإمام بمكان منخفض من وراء الخيام كأنه ساقية فحفروه في ساعة من الليل، وأمر فأتى بحطب وقصب فألقى فيه، فلما أصبحوا استقبلوا القوم بوجوههم وجعلوا البيوت في ظهورهم وأمر بذلك الحطب والقصب من وراء البيوت فأحرق بالنار كي لا يأتوهم من ورائهم، وبذلك منعهم الإمام من الحملة عليه بغتة وقتله قبل اتمامه الحجّة عليهم، بل ألقى عليهم هو وأصحابه الخطبة تلو الخطبة . وحين تقابل الجيشان في يوم عاشوراء واستعدّا للقتال بدأهم الإمام الحسين فركب ناقته واستقبلهم واستنصتهم ثم قال في خطبته :

أيّها الناس ! اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم . . .

آمنتُم بالرسول محمّد (ص) ثم أنكم زحفتُم إلى ذريّته وعترته تريدون

قتلهم . . .

أيّها الناس ! انسبوني من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا

هل يحلّ قتلي وانتهاك حرمتي ؟!

ألست ابن بنت نبيكم . . . ؟

أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي : هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟  
فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أنني ابن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين  
المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ، ويحكم ! أتطلبوني  
بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة ؟ !  
ونادى :

يا شبيب بن ربعي ! ويا حجار بن أبجر ! ويا قيس بن الأشعث ! ويا  
زيد بن الحارث ! ألم تكتبوا إلي أن أقدم قداً أينعت الثمار واخضر الجنب ،  
وانما تقدم على جند لك مجند ؟  
وقال :

أيها الناس ! إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم !  
فقال له قيس بن الأشعث :

. أولاً تنزل على حكم بني عمك . . ؟  
وقال الحسين (ع) :

ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين آثنتين ، بين السلّة و الذلّة ،  
وهيهات منا الذلّة . . .  
وقال :

أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريثاً يُركبُ الفرس حتّى تدور بكم دور  
الرحى . . . عهد عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله . .  
ثمّ رفع يديه إلى السماء وقال :  
اللهم احبس عنهم قطر السماء . . . وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم  
كأساً مصبرة . . .

\* \* \*



إذن فأن جيش الخلافة من أمة محمّد (ص) يقاتلون ابن بنت نبيّهم من أجل أن يبايع يزيد وينزل على حكم ابن زياد، ويتقبل الإمام الحسين وجيشه قتل رجالهم وسبي نسائهم ولا يفعلون ذلك.

جيش الخلافة يقتل ابن بنت نبيّه ويسبي عترته من أجل كسب رضا الخليفة، وواليه، وكسب حطام الدنيا منهما.

و الإمام وجيشه يستشهدون من أجل كسب رضا الله وتحصيل ثوابه في يوم القيامة.

يدلّ على ذلك بالاضافة إلى ما سبق ذكره، جميع أفعال الجيشين وأقوالهما في ذلك اليوم.

بدأ القول والفعل أمير جيش الخلافة عمر بن سعد حين وضع سهماً في كبد قوسه ثم رمى وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنني أوّل من رمى. ورفع الحسين (ع) يديه وقال:

اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة. . .

وتسابق الجيشان يكشفان عن دخائل نفوسهما في ما يقولان ويفعلان؛ مثل مسروق الوائلي من جيش الخلافة حين قال: كنت في أوائل الخيل تمنّ سار إلى الحسين فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين (ع) فأصيب به منزلة عند عبيد الله ابن زياد.

في جيش الخلافة من يريد أن يأخذ رأس ابن بنت نبيّه ليتقرّب به إلى ابن زياد.

وفي جيش الحسين (ع) جون، مولى أبي ذر، إنه يستأذن الإمام للقتال فيقول له الحسين:

إنما تبعنا طلباً للعافية فانت في اذن منّي، فيقول: أنا في الرخاء الحسّ قصاعكم وفي الشدّة أخذلكم! إنّ ريحي لمتنّ وحسبي للثيم ولوني لأسود.

فتنفس عليّ بالجنّة لطيب ريحي ويبيضّ لوني ، لا والله لا أفارقكم حتّى  
يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم . . .

ولمّا أذن له الحسين (ع) حمل عليهم وهو يقول :

كيف يرى الفجّار ضرب الأسود      بالمشرفيّ القاطع المهند  
أحمي الخيار من بني محمّد      أذبّ عنهم باللسان واليد  
أرجو بذاك الفوز عند المورد      من الاله الواحد الموحد  
وبعدما قتل وقف عليه الحسين (ع) وقال :

اللهم بيّض وجهه وطيّب ريحه واحشره مع محمّد (ص) وعرف بينه  
وبين آل محمّد (ص).

وفي جيش الحسين (ع) فتى عمره احدى عشرة سنة قتل أبوه في المعركة  
يستأذن الحسين للقتال فأبى أن يأذن له وقال : هذا قتل أبوه ، ولعلّ أمّه تكره  
ذلك فقال : إنّ أمي أمرتني ، فلمّا قتل رمي برأسه إلى عسكر الحسين (ع)  
فأخذته أمّه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها وعادت إلى المخيم  
فأخذت عموداً وتقدّمت إلى جيش العدى وهي تقول :

أنا عجوز سيّدي ضعيفة      خاوية بالية نحيفة  
أضربكم بضربة عنيفة      دون بني فاطمة الشريفة  
فأمر الحسين (ع) بردها .

وفي جيش الحسين (ع) عمرو الازديّ برز وهو يقول :

اليوم يانفس إلى الرحمن      تمضين بالروح وبالريحان  
اليوم تجزين على الاحسا      قد كان منك غابر الزمان  
ما خطّ باللوح لدى الديان      فالיום زال ذاك بالغفران  
وفي جيش الحسين (ع) خالد ابن هذا القتيل برز وهو يقول :

صبرا على الموت بني قحطان      كيما نكون في رضى الرحمن

ذي المجد والعزة والبرهان يا أبتا قد صرت في الجنان  
وفي جيش الحسين (ع) سعد بن حنظلة، برز وهو يقول:  
صبراً على الاسياف والأسنة صبراً عليها لدخول الجنّة  
يا نفس للراحة فاطرحنّه وفي طلاب الخير فارغبنّه  
ومن جيش الحسين، زهير أخذ يضرب على منكب حسين ويقول:  
أقدم هديت هاديا مهدياً فالسيوم تلقى جدك النبيّاً  
وحسناً والمرضى عليّاً وذا الجناحين الفتى الكمياً  
وأسد الله الشهيد الحيّاً

ويقول :

أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا وشيخك الخير عليا ذا الندى  
وحسنا كالبدر وافي الاسعدا وعمك القرم الهجان الاصيда  
وحمزة ليث الإله الأسدا في جنة الفردوس تعلو صعدا  
ومن جيش الحسين (ع)، حمل نافع وهو يقول :

أنا الغلام اليمني الجملي ديني على دين حسين وعليّ  
ان أقتل اليوم فهذا أملي وذاك رأيي وألاقي عملي  
وفي جيش الحسين (ع) يقول ابنه علي :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي  
ويقول القاسم ابن أخيه :

إن تنكروني فأنا فرع الحسن سبط النبي المصطفى والمؤمن  
ويقول محمد بن عبد الله بن جعفر :

أشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان  
قد بدّلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان  
وأظهروا الكفر مع الطغيان

ويقول أخوه العباس بعد أن قُطعت يمينه :  
و الله ان قطعْتُمُ يميني      لأنني أحامي أبدأ عن ديني  
وعن إمام صادق اليقين      نجل النبي الطاهر الأمين  
ويقول :

يا نفس لا تخشي من الكفار      و أبشري برحمة الجبار  
    مع النبي السيد المختار  
وفي جيش الخلافة من يرمي الطفل الرضيع في حجر أبيه الإمام .  
وفي جيش الخلافة من يقطع الصبي الذاهل بسيفه أمام أمه .

\* \* \*

ليت شعري هل قتل جيش الخلافة الطفل الصغير لانه لم يبايع  
خليفتهم ؟

أم هل سبوا بنات رسول الله و ساروا بهن من كربلاء إلى الكوفة ومن  
الكوفة إلى الشام و أحضروهن دار الامارة في الكوفة و عرضوهن في محل عرض  
الاسارى في الشام و أحضروهن مجلس الخلافة من أجل أن يبايعن الخليفة ؟  
لماذا فعلوا ذلك و غير ذلك ؟

لماذا أحرق جيش الخلافة خيام آل الرسول (ص) ؟  
و لماذا داس جيش الخلافة بحوافر خيولهم صدر ابن بنت رسول الله  
و ظهره ؟

و لماذا ترك جسده و أجساد آل بيته و أنصاره في العراء و لم يدفنوهم ؟  
و لماذا قطعوا رؤوسهم و اقتسموها في ما بينهم و حملوها على أطراف  
الرماح ؟

إنهم فعلوا ذلك من أجل أن يبلغ ابن زياد أنهم سامعون مطيعون . فقد  
قال راجزهم :

فأبلغ عبيد الله إمسا لقيتيه بأني مطيع للخليفة سامع  
إذا فقد استهدفوا من كل ذلك رضا ابن زياد وطاعة الخليفة . كما ذكره  
الأخر حين قال :

إملاً ركابي فضة وذهباً إني قتلت الملك المحجبا  
قتلتُ خير الناس أُمّاً وأباً<sup>١</sup>

من أجل كسب رضا الخليفة وواليه فعلوا كل ذلك ، ومن أجل كسب  
الذهب والفضة منهما . من أجل هذا ينشدون أمام قصر ابن زياد :  
نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الاسر  
وقال خولي لزوجته : جئتُك بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معك في  
البيت .

إذن فإن جيش الإمام (ع) عندما يقاتلون كانوا يطلبون بذلك رضا الله  
ورسوله والدار الآخرة .  
وجيش الخليفة يفعلون في سبيل رضا يزيد وابن زياد وكسب الذهب  
والفضة .

وقد أقرّ الخليفة عيونهم فأمر لعبيد الله بن زياد بن أبيه بألف ألف ، وأمر  
لأهل الكوفة جزاء السامع المطيع ، وزاد في أعطياتهم مائة مائة .  
أمّا لماذا فعل خليفة المسلمين ما فعل ١؟ ولماذا نكت ثنايا أبي عبد الله  
بالقضيبي ؟ ولماذا نصب رأسه ثلاثاً في دمشق وسار به من بلد إلى بلد ١؟ فإنه  
بنفسه قد أفصح عن سبب أفعاله وأقواله حين أنشد قائلاً :

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل  
قد قتلنا القرم من ساداتهم و عدلنا ميل بدر فاعتدل

(١) في تاريخ ابن عساكر ، الحديث ٧٧٥ ، وتهذيبه ٣٤٤/٤ وفيه ( أو قر ) مكان ( إملاً ) .

إذا فإِنَّها أحقاد بدرية ! ألم تبقر هند أم أبيه في أحد بطن حمزة، وتمثل به، وتمضغ كبده، ثم أنشأت تقول:  
شفيت من حمزة نفسي بأحد حين بقرت بطنه عن الكبدة ١٩  
أولم يضرب جدّه أبو سفيان بزجّ الرمح في شدة حمزة يومذاك ويقول:  
ذق عقق ! .

فرآه الحليس سيد الاحابيش وقال:  
يا بني كنانة ! هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه لحما ما ترون ١٩ .  
ألم يقل جدّه أبو سفيان على عهد عثمان وبمحضر منه:  
يا بني أمية تلّفّفوها تلّفّف الكرة . فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت  
أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم ورائة ١٩ .  
ألم يمرّ يومئذ بقبر حمزة ويضربه برجله ويقول:  
يا أبا عمارة ! أنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس؛ صار بيد  
غلماننا اليوم يتلعبون به ١٩  
ألم يقل أبوه معاوية:  
إنّ أخا بني هاشم - ويقصد به رسول الله - ليصاحّ به يوماً خمس  
مرّات . لا والله إلّا دفنا دفنا ! .

ألم يقتل جيش أبيه الخليفة معاوية بقيادة ابن ارة في وجهه الذي  
وجّه ثلاثين ألفاً من المسلمين وحرّق بيوتهم وذبح طفلي عبيدالله بن العباس  
بيده بمدة ١٩!  
إذا فأنّ خليفة المسلمين يزيد اقتدى بجديه وأبيه في ما قال وفعل .

(١) راجع تفصيل أخبار أبي سفيان و هند و معاوية هذه في فصل، « مع معاوية » من كتابنا  
« أحاديث أم المؤمنين عائشة » ص ٢١٣ - ٢٥٠ .

وإنَّ عَصْبَةَ الْخِلاَفَةِ يَزِيدُ وَ مِرْوَانَ وَسَعِيداً أَيْضاً اسْتَغْفَرُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ  
مَا كَانَ فَعَلًا ! .

## أثر آستشهاد الحسين (ع)

لقد قتلوا ذرية الرسول (ص) ومثلوا بهم وطافوا بآل رسول الله (ص) سبائا في بلاد المسلمين والمسلمون بمرأى ومسمع . كل تلك الأحداث الجسام وقعت بين كربلاء والكوفة والشام في أقل من شهرين من خروج الحسين من مكة يوم التروية .

وكان قد بلغ خبر خروج الإمام على خليفة المسلمين مع عودة الحاج إلى كل فج عميق .

وكان طبيعياً أن يتنسم المسلمون أخباره بعد ذلك ، وتبلغهم أنباء تلك الفجائع فجيرة بعد فجيرة ، وتنكسر لتلك الانباء قلوب المؤمنين ويحزنوا .

وكان وقع المصيبة حقاً عظيماً على من بلغه نبأها من المسلمين ، فقد وقعت الصيحة في دار يزيد ، وشمل الإنكار عليه أهل مجلسه ومسجده ،

وأينما بلغت أخبار فضائعه ، وانقسم المسلمون اثر هذه الفجيرة إلى قسمين :

قسم انضوى تحت لواء الخلافة لا يثنيه عن ولاء الخليفة قتل ذرية الرسول ، ولا استباحة حرمة ، ولا هدم الكعبة ، بل ازدادوا قساوة وفضاضة .

وقسم آخر انكسر مقام الخلافة في نفسه وتبرأ من فعل عصبة الخلافة وخرج عليهم ، مثل أهل المدينة في وقعة الحرّة وغيرهم ممن ثاروا على عصبة



## الخلافة .

وتوالت الثورات والخروج على الخلافة من قبل الفريق الآخر ، وقليل من هذا الفريق عرفوا حقَّ أئمة أهل البيت (ع) وأتبعوهم واثموا بهم . وكان بدء ذلك على عهد قيام الإمام الحسين ، كما فعل زهير بن القين الذي كان عثمانيا وأصبح بعد الاجتماع بالإمام علويّاً حسيّناً ، والحرب بن يزيد الرياحي أحد قادة جيش الخلافة لحرب الإمام الذي تاب واستشهد دون الحسين (ع) .

هذا القليل من هذا الفريق أدرك مجانبة الإسلام مع سيرة الخلافة القائمة ، وآمن بصحة امامة أئمة أهل البيت ، وتهيأت نفسه لقبول أحكام الإسلام الذي جاء به رسول الله (ص) والذي كان مخزوناً لدى أئمة أهل البيت (ع) يتوارثونه كابر عن كابر ، ومن ثمّ أمكن نشر أحكام الإسلام وتبليغها من جديد ، فعني بذلك أئمة أهل البيت ، وبدأ العمل لذلك الإمام السّجاد فمهّد له في مرض وفاته كما يلي .

## أئمة أهل البيت (ع) يتداولون موارِيث النبوة

الإمام السجاد (ع) يدفع موارِيث النبوة إلى الإمام الباقر (ع) في تظاهرة  
لما حضرت علي بن الحسين (ع) الوفاة أخرج صندوقاً عنده، فقال: يا  
محمد ! إحمل هذا الصندوق. فحمل بين أربعة، فلما توفي جاء اخوته  
يدعون في الصندوق، فقال لهم: واللّه ما لكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه  
شيء ما دفعه إليّ. وكان في الصندوق سلاح رسول الله (ص).  
ونظر الإمام السجاد (ع) إلى ولده، وهو يوجد بنفسه وهم مجتمعون  
عنده، ثمّ نظر إلى ابنه محمد فقال: يا محمد خذ هذا الصندوق فاذهب به  
إلى بيتك وقال: أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكن كان مملوّاً علماً.  
هذه التظاهرة في تسليم الكتب اختصّ بها الإمام السجاد (ع) ولم يفعل  
نظيرها من سبقه من الأئمة ولا فعل مثلها من جاء بعده منهم، والحكمة في  
عمله تهيئة الاجواء للإمام الباقر (ع) كي ينقل للناس أحكام الإسلام وعقائده  
علماً ورثه من رسول الله (ص) من كتب في مقابل من كان يفتي برأيه مثل الحكم  
ابن عتيبة فأنّه اختلف مع الإمام الباقر (ع) في شيء فقال لابنه الصادق (ع):  
يا بني قم، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً وجعل ينظر حتّى أخرج المسألة فقال:  
هذا خطّ عليّ واملاء رسول الله، وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد !

اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل .

هكذا بدأ الإمام الباقر (ع) من بين الأئمة (ع) بإراءة الكتب التي ورثوها عن جدّه الإمام علي من املاء رسول الله للمسلمين وأقرأها بعضهم ، وتابعه في ذلك الإمام جعفر الصادق وأكثر من توصيفها والنقل عنها وبيان ما فيها وأنها كيف كُتِبَتْ ، وأنّ فيها كلّ ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة حتّى ارش الخدش .

وكان الأئمة يصادمون في عملهم هذا مدرسة الخلافة في اعتمادها على الرأي والقياس في استنباط الأحكام وبيانها ، وكانوا يصّرحون بأنّهم لا يعتسدون الرأي وأنّما يحدثون عن رسول الله . كما قال الإمام الصادق (ع) :

حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ .

\* \* \*

بعدما انصرفت قلوب بعض المسلمين عن مدرسة الخلافة اثر استشهاد الحسين (ع) و أدركوا أنّ أولئك ليسوا على حقّ في ما يقولون ويفعلون ، ومالت قلوبهم إلى أهل بيت رسول الله (ص) ؛ عند ذاك استطاع أئمة أهل البيت أن يبصّروا بعضهم أمر دينهم ، ويعرفوهم أنّ مدرسة الخلفاء تعتمد الرأي في الدين في قبال أئمة أهل البيت الذين يبلغون عن الله ورسوله ، وكان الفرد المسلم بعد تفهّم هذه الحقيقة ، يتهيّأ لقبول ما يبيّنه الإمام من أئمة أهل البيت ، ومن ثمّ بدأ بعض الأفراد يتلقّى الحكم الإسلامي الذي جاء به رسول الله

عن طريقهم . وكذلك استبصر الفرد بعد الآخر حتى تكونت منهم جماعات اسلامية واعية، ومن الجماعات الواعية مجتمعات اسلامية صالحة قائمة على أسس من المعرفة الإسلامية الصحيحة، وعند ذاك احتاجوا إلى مرشدين فعين لهم الأئمة من يقوم بذلك وينوب عنهم في أخذ الحقوق المالية، فكانوا يرجعون إلى الوكلاء النواب في ذينك تارة، وأخرى يجتمعون بامامهم إذا تيسر لهم السفر إليه .

وإلى جانب ذلك ساعدت الظروف أحياناً الأئمة منذ الإمام الباقر (ع) على تكوين حلقات دراسية يحضرها الأمثل فالأمثل من أهل عصرهم، يحدثهم الإمام فيها عن آبائه عن جدّه الرسول (ص) تارة، ويروي لهم عن جامعة الإمام علي (ع) تارة أخرى، وثالثة يبين لهم الحكم دونها اسناد، وتوسّعت تلك الحلقات على عهد الإمام الصادق (ع) حتى بلغ عدد الدارسين عليه أربعة آلاف شخص، وكان تلاميذهم يدونون أحاديثهم في رسائل صغيرة تسمى بالاصول، دأبوا على ذلك حتى بلغوا عصر المهدي، ثاني عشر أئمة أهل البيت (ع)، وغاب عن أنظار الناس وارجع بدءاً شيعته أينما كانوا إلى نوابه الأربعة التالية أسماؤهم :

- أ - عثمان بن سعيد العمري .
- ب - محمّد بن عثمان بن سعيد العمري .
- ج - أبو القاسم حسين بن روح .
- د - أبو الحسن علي بن محمّد السمري .

و مارس هؤلاء النيابة عن الإمام زهاء سبعين عاماً يتوسّطون بينه وبين الشيعة حتى تعوّدت الشيعة على الرجوع إلى نواب الإمام وحدهم في ما ينوبهم، وألّف في هذا العصر ثقة الإسلام الكليني أوّل موسوعة حديثة في مدرسة أهل البيت (ع) أسماها الكافي، جمع فيها قسماً كبيراً من رسائل

خرّيجي هذه المدرسة التي كانت شائعة في ذلك العصر يرويها المئات عن أصحابها، وبذلك بدأ عهد جديد في تدوين الحديث بمدرسة أهل البيت (ع).



جاهد الأئمة بعد استشهاد الحسين (ع) لاعادة الإسلام الصحيح إلى المجتمع فأعادوه حكماً بعد حكم وعقيدة بعد عقيدة حتّى تمّ في نهاية هذا العهد تبليغ جميع ما جاء به الرسول، وأبعد عنه كلّ محرّف وزائف في حدود من تقبل منهم، وتمّ تدوين جميع سنة الرسول (ص) في رسائل صغيرة ومدونات كبيرة.

وكذلك جاهدوا في ارشاد أبناء الأمة فرداً بعد فرد حتّى تكونت منهم مجتمعات إسلامية صالحة فيها علماء يرجعون إلى مدونات حديثية، حوت كلّ ما تحتاجه أبناء الأمة من حقائق الإسلام، وبذلك انتهى واجب الأئمة التبليغي في نهاية هذا العهد، كما انتهى واجب رسول الله التبليغي في آخر سنة من حياته فقبضه الله إليه صلوات الله عليه وآله.

وكذلك اقتضت حكمة الله أن يحتجب في نهاية هذا العهد الإمام المهدي (ع) عن الانظار إلى ما شاء الله، فأرجع شيعته إلى فقهاء مدرستهم وأنابهم عنه نيابة عامة دون تعيين أحد بالخصوص، وبذلك بدأ عصر غيبة الإمام المهدي الكبرى، وناب عنه فقهاء مدرستهم في حمل أعباء التبليغ إلى اليوم وإلى ما شاء الله. كما نبّئنه في ما يلي:

### نيابة الفقهاء عن الإمام في حمل أعباء التبليغ

مارس خرّيجو مدرسة أهل البيت (ع) حمل أعباء التبليغ على عهد الأئمة تدريجياً، وتكامل عملهم في عصر غيبة الإمام الصغرى، وتنامى في

عصر غيبته الكبرى، حيث تحوّلت الحلقات الدراسية التي كانت تعقد في المساجد والبيوت على عهد الأئمة إلى معاهد تعليمية وحوزات علمية شيدت في بلاد كبيرة مثل بغداد، على عهد المفيد والمرضى، والنجف الأشرف على عهد الطوسي وغيره، ثم كربلاء والحلة واصفهان وخراسان وقم في أزمان غيرهم.

ولم يزل منذئذ ولا يزال يهاجر إلى تلك المعاهد والحوزات طلاب العلوم الإسلامية من كل صقع عملاً بالأية الكريمة:

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ التوبة/ ١٢٢.

يجتمعون في تلك المعاهد والحوزات حول أساطين العلم ويستقون من معينهم ثم يرجعون إلى بلادهم ليقوموا بحمل الدعوة الإسلامية إلى كل صقع، دأبوا على ذلك في خدمة الإسلام جيلاً بعد جيل، وكانوا وما يزالون مع المسلمين في كل نازلة، يحاربون خصوم الإسلام أعداء الله وأعداء رسوله أبداً، ويدافعون عن المسلمين في كل مكروه وكذلك لم يزل وما يزال يحاربهم بكل سلاح في كل عصر؛ كل كافر وملحد ومنافق عليم يريد أن يقضي على الإسلام! وذلك لأن نواب الإمام هؤلاء حملوا لواء الإسلام بعده، وطبيعي أن يُهاجم في المعارك حامل اللواء.

ونذكر على سبيل المثال من نواب الإمام في الغيبة الكبرى الشيخ الكليني، وكان أول موسوعي في هذه المدرسة اشتهر بتأليفه الكافي، ثم توالى التأليف الموسوعية بعده غير أن الذين جاءوا بعده كانوا يعنون بنوع واحد من الحديث فيجمعونه في مؤلفاتهم، وغالباً ما كانت العناية متجهة إلى تجميع أحاديث الأحكام مثل ما فعله الشيخ الصدوق في: «من لا يحضره الفقيه» والشيخ الطوسي في: «التهذيب والاستبصار» والشيخ الحرّ العاملي في:

« وسائل الشيعة » إلى أن لمع نجم المجلسي الكبير وألف موسوعته الكبرى « البحار » على غرار موسوعة الكليني « الكافي » في تجميعه أنواع الأحاديث، وبز المجلسي الموسوعيين جميعاً لهما جمع في موسوعته تلك بين الكتاب والسنة وفسر آيات كتاب الله وشرح بعض الأحاديث وبين علل بعضها، إلى غير ذلك من المميزات، وشارك الكليني في دراساته حول أحاديث الكافي بكتابه ( مرآة العقول ) استوعب فيها شرح الفاظ الحديث وكشف معانيها وذكر علل الحديث وقوته وصحته وفق القواعد المتبناة لدى المحدثين منذ عصر العلامة الحلي وابن طاووس، وخالفهم أحياناً فقال: ( ضعيف على المشهور معتمد عندي ) أو ( معتبر عندي ) وكان نتيجة تقويمه لأحاديث الكافي أنه وجد منها خمسة وثمانين وأربعمائة وتسعة آلاف حديث ضعيف من مجموع ١٦١٢١ حديثاً .

\* \* \*





## الفهرست



## البحث الرابع : قيام الإمام الحسين ضدّ الإنحراف عن سنّة

٧	رسول الله (ص) .....
٩	المدخل : حال المسلمين قبل قيام الإمام الحسين (ع) .....
١٤	انقسام الأمة إلى قسمين .....
١٧	نتيجة مساعي الخليفة معاوية .....
١٩	الإمام الحسين (ع) امتنع من بيعة يزيد .....

## الفصل الأول : استشهاد الإمام الحسين (ع) أيقظ الأمة من

٢٧	سباتها العميق .....
٣٠	أنباء باستشهاد الحسين (ع) قبل وقوعه .....
٣٠	١ - خبر رأس الجالوت .....
٣٠	٢ - خبر كعب .....
٣١	٣ - حديث أسماء بنت عميس .....
٣٢	٤ - حديث أم الفضل .....
٣٢	٥ - في مقتل الخوارزمي .....
٣٤	٦ - رواية زينب بنت جحش .....
٣٤	٧ - حديث أنس بن مالك .....
٣٥	٨ - حديث أبي أمامة .....

- ٩ - روايات أم سلمة ، ..... ٣٦
- ١٠ - روايات عائشة ..... ٤٠
- ١١ - رواية معاذ بن جبل ..... ٤٢
- ١٢ - رواية سعيد بن جهمان ..... ٤٣
- ١٣ - روايات ابن عباس ..... ٤٣
- ١٤ - روايات الإمام علي (ع) ..... ٤٤
- ١٥ - رواية أنس بن الحارث ..... ٥٢
- ١٦ - رجل من بني أسد ..... ٥٣
- سبب استشهاد الإمام الحسين (ع) ..... ٥٥
- وصية الحسين (ع) ..... ٦١
- مسير الإمام الحسين (ع) إلى مكة المكرمة ..... ٦٢
- ارسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة ..... ٦٥
- عزم الإمام الحسين (ع) على المسير إلى العراق ..... ٦٩
- الحسين مع ابن عباس ..... ٧٠
- كتابه إلى بني هاشم ..... ٧١
- الإمام الحسين (ع) مع أخيه محمد بن الحنفية ..... ٧١
- خروج الإمام الحسين من مكة وممانعة رسل الوالي إياه ..... ٧٢
- مع عبدالله بن جعفر وكتاب الوالي ..... ٧٢
- كتاب عمرة بنت عبدالرحمن ..... ٧٣
- مع ابن عمر ..... ٧٤
- توجه الإمام الحسين (ع) إلى العراق ..... ٧٥
- خطبة الإمام (ع) ..... ٧٥
- لفت نظر ..... ٧٥
- أوامر الخليفة يزيد ..... ٧٦
- مع الفرزدق ..... ٧٦

- مع عبد الله بن مطيع ..... ٧٧
- من رأى أن الحسين (ع) لا يجوز فيه السلاح ..... ٧٨
- مع زهير بن القين ..... ٧٨
- وصول خبر قتل مسلم وهاني ..... ٨٠
- رسولا ابن الأشعث وابن سعد إلى الحسين (ع) ..... ٨٠
- الإمام (ع) يخبر الناس بقتل مسلم ويحلّهم من بيعته ..... ٨٢
- رجل من بني عكرمة ..... ٨٢
- نذير آخر ..... ٨٣
- لقاء الإمام الحسين (ع) الحرّ ..... ٨٥
- استقاء مرة أخرى ..... ٩٢
- نزول ركب آل الرسول (ص) أرض كربلاء ..... ٩٤
- قدوم عمر بن سعد على الحسين (ع) ..... ٩٨
- ابن سعد يسأل الحسين (ع) عن الذي جاء به ..... ٩٩
- المكاتبة بين ابن سعد وابن زياد ..... ١٠٠
- ابن زياد يأمر بالنفير العام ..... ١٠١
- منع الماء عن عترة الرسول (ص) ..... ١٠٤
- معركة على الماء ..... ١٠٤
- إعذار الإمام (ع) قبل القتال ..... ١٠٥
- ابن زياد يمنع الإمام (ع) من الرجوع ..... ١٠٦
- أمان ابن زياد للعبّاس وإخوته ..... ١٠٧
- ليلة العاشر من محرّم ..... ١٠٩
- طلب الحسين (ع) المهلة ..... ١١٠
- خطبة الحسين (ع) في أصحابه ليلة العاشر ..... ١١١
- جواب أهل بيته وأصحابه ..... ١١٢
- الحسين (ع) ينمى نفسه ويوصي اخته بالصبر ..... ١١٣

١١٥	إحيائهم الليل بالعبادة
١١٦	يوم عاشوراء
١١٧	استبشارهم بالشهادة
١١٧	دعاء الحسين (ع) يوم عاشوراء
١١٨	خطبة الحسين (ع) الأولى
١٢٠	خطبة زهير بن القين
١٢١	توبة الحرّ
١٢٣	موعظة الحرّ لأهل الكوفة
١٢٣	خطبة الحسين (ع) الثانية
١٢٥	استجابة دعاء الحسين (ع) على ابن حوزة
١٢٨	زحف جيش الخلافة على معسكر الحسين (ع)
١٣٠	زحف الميمنة واستمداد قائد الفرسان
١٣١	زحف الميسرة ومقتل الكلبي وزوجته
١٣٢	زحف الميمنة ومقتل مسلم بن عوسجة
١٣٣	يزيد بن زياد يرمي بين يدي الحسين (ع)
١٣٣	أربعة استشهدوا في مكان واحد
١٣٣	مقتل بربر
١٣٥	عمرو بن قرظة الأنصاري
١٣٦	مبارزة يزيد بن سفيان والحرّ
١٣٧	إحراق الخيام
١٣٨	صلاة الخوف
١٣٨	مقتل حبيب بن مظاهر
١٤٠	سعيد الحنفي
١٤٠	زهير بن القين
١٤١	نافع بن هلال الجملي

١٤٣	.....	الغفاريان
١٤٣	.....	الجابريان وحنظلة
١٤٤	.....	عابس بن أبي شبيب وشوذب
١٤٥	.....	فرار الضحاك المشرقي
١٤٧	.....	شهداء آخرون
١٤٧	.....	عمرو بن خالد
١٤٧	.....	سعد بن حنظلة
١٤٨	.....	عبدالرحمن بن عبدالله اليزني
١٤٨	.....	قرّة بن أبي قرّة
١٤٨	.....	عمر بن مطاع
١٤٩	.....	جون مولى أبي ذر
١٤٩	.....	أنيس بن معقل
١٥٠	.....	الحجاج بن مسروق
١٥٠	.....	جنادة بن الحرث
١٥٠	.....	عمرو بن جنادة
١٥١	.....	غلام يتيم
١٥٢	.....	مقتل عترة الرسول (ص)
١٥٥	.....	أول شهيد من عترة رسول الله (ص)
١٥٥	.....	مقتل آل أبي طالب
١٥٥	.....	عبدالله بن مسلم بن عقيل
١٥٦	.....	نجلا السبط الأكبر
١٥٦	.....	مقتل إخوة الحسين (ع)
١٥٧	.....	أبو بكر بن علي
١٥٩	.....	عمر بن علي
١٦٠	.....	عثمان بن علي

١٦٠	جعفر بن علي
١٦٠	عبد الله بن علي
١٦١	مقتل العباس بن أمير المؤمنين (ع)
١٦٤	مقتل أطفال آل الرسول (ص)
١٦٤	قتل الطفل الرضيع
١٦٤	مقتل طفل آخر للحسين (ع)
١٦٤	معركة في طريق الفرات
١٦٥	مقتل طفل مذعور
١٦٦	مقتل غلام للإمام الحسن (ع)
١٦٧	رجالة جيش الخلافة تهجم على مخيم ذراري رسول الله
١٦٨	آخر قتال الحسين (ع)
١٦٨	صرخة زينب
١٦٩	مقتل سبط النبي (ص)
١٧٠	جيش الخلافة يسلب ذراري رسول الله (ص) وينهب
١٧٠	آخر شهيد
١٧١	قاتل الحسين (ع) يطلب الجائزة
١٧١	نجاة عقبة بن سمعان وأسر المرقع
١٧٢	يوطئون الخيل جسد الحسين (ع)
١٧٣	من نعى الإمام (ع) في المدينة
١٧٣	أ - أم سلمة
١٧٤	ب - ابن عباس
١٧٤	ج - ناع ثالث
١٧٦	ما وقع بعد استشهاد الإمام الحسين (ع)
١٧٨	رؤوس الشهداء يتقاسمها القتلة من جيش الخلافة
١٨١	جيش الخلافة يسوق حرم الرسول (ص) إلى الكوفة



- خطبة زينب (ع) ..... ١٨١
- خطبة فاطمة ابنة الحسين (ع) ..... ١٨٣
- خطبة أمّ كلثوم ..... ١٨٤
- آل رسول الله (ص) في دار الامارة ..... ١٨٦
- رأس الإمام (ع) يدار به في سكك الكوفة ..... ١٨٩
- إخبار مدينة الرسول (ص) بقتل سبط الرسول (ص) ..... ١٩٠
- دفن أجساد آل الرسول (ص) وأنصارهم ..... ١٩١
- إخبار الخليفة يزيد بقتل الحسين (ع) ..... ٢٩٢
- إرسال أسارى آل البيت (ع) إلى عاصمة الخلافة الشام ..... ١٩٢
- استقبال الخليفة وعاصمته لآل الرسول (ص) ..... ١٩٤
- استقبال خليفة المسلمين رؤوس آل رسول الله (ص) ..... ١٩٤
- حاجة أمّ كلثوم إلى شمر ..... ١٩٤
- عيد بعاصمة الخلافة ..... ١٩٥
- حاجة سكيئة ..... ١٩٥
- دخول أسرى آل الرسول (ص) عاصمة الخلافة الاسلاميّة ..... ١٩٧
- إدخال آل الرسول (ص) مجلس الخلافة ..... ١٩٨
- بين السجّاد (ع) ويزيد ..... ١٩٩
- حبر من اليهود يستنكر على يزيد ..... ١٩٩
- شاميّ يطلب عترة الرسول (ص) جارية له ..... ٢٠٠
- رأس سبط رسول الله (ص) بين يدي خليفة المسلمين ..... ٢٠١
- خليفة المسلمين يتمثل بأبيات ابن الزبير ..... ٢٠٢
- خطبة حفيدة رسول الله (ص) في مجلس الخلافة ..... ٢٠٤
- استنكار زوجة الخليفة ..... ٢٠٦
- رأس سبط الرسول (ص) يهدى إلى عصبة الخلافة بمدينة

٢٠٦	الرسول (ص) .....
٢٠٧	خطبة السَّجَّاد (ع) في مسجد دمشق .....
٢٠٩	إقامة المأتم في عاصمة الخلافة .....
٢١١	إرجاع ذرية الرسول (ص) إلى مدينة جدّهم .....
٢١٢	وصول آل الرسول (ص) إلى كربلاء .....
٢١٢	إقامة العزاء خارج المدينة .....
٢١٤	بعد وصولهم إلى المدينة .....
٢١٤	السَّجَّاد (ع) يقيم العزاء أربعين سنة .....
٢١٥	رأس ابن زياد بين يدي السَّجَّاد (ع) .....
٢١٧	حالة مدرسة الخلفاء بعد استشهاد الحسين (ع) .....
٢١٧	أ - عطاء وحبوة .....
٢١٨	ب - ندم عصبة الخلافة بعد ظهور نتائج أفعالهم .....

#### الفصل الثاني: ثورات أهل الحرمين وغيرهم بعد استشهاد

٢٢١	الإمام الحسين (ع) .....
٢٢٣	ثورة أهل الحرمين .....
٢٢٣	غايتنا من إيراد خبر مقتل الإمام الحسين (ع) .....
٢٢٥	رسل يزيد مع ابن الزبير .....
٢٢٧	وفد أهل المدينة عند يزيد .....
٢٢٩	ثورة الصحابة والتابعين .....
٢٢٩	ثورة أهل المدينة وبيعتهم لعبدالله بن حنظلة .....
٢٣٠	السَّجَّاد (ع) يؤوي حريم بني أمية .....
٢٣١	استغاثة بني أمية بيزيد .....
٢٣٢	أوامر الخليفة لقائد جيشه .....
٢٣٢	ما أنشده خليفة المسلمين .....
٢٣٤	مسير جيش الخلافة إلى الحرمين .....

٢٣٦	جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول (ص)
٢٣٨	أخذ البيعة من أهل المدينة على أنهم عبيد للخليفة يزيد
٢٣٩	إرسال الرؤوس إلى الخليفة يزيد
٢٤١	في سبيل طاعة الخليفة
٢٤١	مسير جيش الخلافة إلى مكة ومناجاة أميره ساعة الاحتضار ووصيته
٢٤٢	جيش الخلافة يحرق الكعبة في حرب ابن الزبير وينشد الأراجيز
٢٤٤	الحجاج يرمي الكعبة ثانية
٢٤٦	احتراق الكعبة ونزول الصواعق
٢٤٨	نشيد الحجاج عندما رأى البيت يحترق
٢٤٩	نهاية أمر ابن الزبير وإرسال الرؤوس إلى يزيد
٢٥٠	الحجاج يختم أعناق أصحاب النبي (ص)
٢٥٠	انتهاء ثورة الحرمين وقيام ثورات أخرى
٢٥١	الشارون أضعفوا الخلافة والأئمة أعادوا أحكام الإسلام

#### البحث الخامس : إعادة أئمة أهل البيت (ع) سنة الرسول (ص)

٢٥٣	إلى المجتمع
٢٥٥	الفصل الأول : نتيجة استشهاد الإمام الحسين (ع)
٢٥٩	كيف أخذ المصنفون من رسائل أصحاب الأئمة وأصولهم
٢٥٩	ظريف بن ناصح وأصله أو كتابه
٢٥٩	أ - ظريف بن ناصح
٢٦٠	ب - أصل ظريف
٢٦١	أسانيد المصنفين إلى كتاب الدييات رواية ظريف
٢٦١	أ - أسانيدهم إلى الإمام الصادق (ع)
٢٦١	أسانيد المجموعة الأولى
٢٦٥	أسانيد المجموعة الثانية
٢٦٦	أسانيد أخرى للكتاب إلى ظريف فحسب

٢٦٧	أ- أسانيد الكتاب من ظريف إلى الإمام الصادق (ع)
٢٦٨	أ - جدول سند المجموعة الأولى
٢٦٨	ب - جدول سند المجموعة الثانية
٢٦٩	ب - أسانيد الكتاب من المشايخ إلى ظريف
٢٦٩	أ - جدول أسانيد المجموعة الأولى
٢٦٩	أولاً - سند الشيخ الكليني
٢٧٠	ثانياً - أسانيد الشيخ الطوسي
٢٧١	ب - جدول سند المجموعة الثانية
٢٧٢	ب - أسانيدهم إلى الإمام الرضا (ع)
٢٧٢	أولاً - سند ابن فضال
٢٧٢	ثانياً - سند يونس بن عبد الرحمن
٢٧٥	ثالثاً - رواية الحسن بن الجهم
٢٧٦	جدول سلسلة رواة كتاب الديات عن الإمام علي (ع)
٢٨٠	خلاصة البحث
٢٨٦	معرفة رواة كتاب الديات
٢٨٦	أولاً - سند الشيخ الكليني في الكافي
٢٨٨	ثانياً - سند الشيخ الطوسي
٢٩٦	سلسلة سند الشيخ الصدوق في كتاب الفقيه
٣٠١	تداخل الأسانيد وتشابكها
٣٠٦	اتصال سلاسل أسانيد المشايخ في مدرسة أهل البيت (ع) بهم
٣٠٦	طرق تحمّل الحديث
٣٠٦	١ - السماع من الشيخ
٣٠٦	٢ - القراءة على الشيخ
٣٠٧	٣ - المناولة
٣٠٧	٤ - الكتابة

٣٠٨	٥ - الاجازة
٣٠٨	٦ - الاعلام
٣٠٨	٧ - الوجادة
٣٠٩	دراسة اتّصال المشايخ بأئمة أهل البيت (ع)
٣٠٩	في ترجمة ظريف
٣١٤	أسلوب الدراسة في عصر الكليني فما بعد
٣١٤	بعد تأسيس الحوزة العلميّة في النجف الأشرف
٣٢٥	الفصل الثاني: تقويم كتب الحديث بمدرسة أهل البيت (ع)
٣٢٧	أخطاء في نسخ كتب الحديث
٣٣٤	أئمة أهل البيت يعيّنون مقاييس لمعرفة الحديث
٣٤٠	مقاييس العلماء لمعرفة الحديث
٣٤٥	الفصل الثالث: رأيا المدرستين في تقويم كتب الحديث
٣٤٧	أ - تقويم كتب الحديث بمدرسة الخلفاء
٣٤٩	ب - تقويم كتب الحديث بمدرسة أهل البيت (ع)
٣٥٠	علماء مدرسة أهل البيت لا يقلّدون السلف في الفقه ولا في دراية الحديث
٣٥٣	استنباط الأحكام من السّنة النبوية
٣٥٥	تقويم أحاديث الكتب الأربعة
٣٥٦	قول مجهول قائله
٣٥٦	الأحاديث الصحيحة لدى فقهاء مدرسة أهل البيت (ع)
٣٥٩	انتشار أحاديث مدرسة الخلافة لدى أتباع مدرسة أهل البيت (ع)
٣٦٠	الامانة العلميّة لدى علماء مدرسة أهل البيت (ع)
٣٦٥	خلاصة وخاتمة الباحثين الرابع والخامس
٣٦٩	كيف وعى المسلمون
٣٧	أعد الله ورسوله الإمام الحسين (ع) للقيام بالتغيير

٣٧٦	.....	حال المسلمين في عصر الإمام الحسين (ع)
٣٧٩	.....	هدف الإمام الحسين (ع) وشعاره وسبيله
٣٨٢	.....	لُبي الإمام (ع) نداء أهل الكوفة إتياماً للحجة
٣٨٤	.....	ذهب إلى العراق لاتيام الحجة لا لقول بني عقيل
٣٨٦	.....	حكمة الإمام (ع) في كيفية قيامه
٤٠٠	.....	اثر استشهاد الحسين (ع)
٤٠٢	.....	أئمة أهل البيت (ع) يتداولون مواريث النبوة
		الإمام السجاد (ع) يدفع مواريث النبوة إلى الإمام
٤٠٢	.....	الباقر (ع) في تظاهرة
٤٠٥	.....	نيابة الفقهاء عن الإمام في حمل أعباء التبليغ
٤٠٩	.....	الفهرست

[illegible]

**ب - صحيفة الاجازة الثانية**

۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰



### ج - صحيفة الاجازة الثالثة

[illegible]

والله اعلم بالصواب

۱۰۰

[illegible]

إجازة المجلس الثالث

[illegible][illegible]

مفتی محمد رفیع

21

مندی

3

**THE**

مفتی محمد رفیع الرحمن

جائزة المحلى الرابع

بہارِ اقصیٰ

[illegible][illegible]

سید احمد علی خان صاحب

کتابخانه عمومی مسجد جامع کربلا

نور محمد بن عبد الله

مجلس شورای اسلامی

[illegible]

مفتی محمد رفیع الرحمن صاحب مدظلہ العالی

مجلسه معارف و افرود و طالبان و طایف  
مطالعات و تحقیقات و معارف و افرود

مستنداتی که در این باره  
موجود است، نشان می‌دهد که  
این عملیات در جریان  
عملیات نظامی بوده است.

[illegible]

*(Handwritten signature)*

مجلس شورای اسلامی

و - الصحيفة الاولى من الجزء الاول من مرآة العقول بخط المجلسي (ره)

منحطولة : المكتبة الرضوية بغراسان رقم ٧٣٢٦ .

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وهب الحياة والقوى وانما من العقل ليغلب به على الهوى وبين للورى بجذى الضلالة والهدى ورفح  
 العلم والمحي ووذو العقل والنهى من الترى الى التريا ومن دركات الردى الى الدرجات العلى واشنى عليهم عدا  
 رمل والحصى وادفع فضلم لكل من سمع ودرى فلما احدث على نعمته التى لا تحصى ولا الشكر على اياديه التى لا تستقيف  
 يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان سيد الانبياء وصفوة الاصفياء محمد صلى الله عليه وآله عبده ورسوله  
 خليله وحبيبه وخيرته من خلقه وان صهره المجتبر واخاه المتقرب وخليفته المقدر على بن ابي طالب صلوات  
 الله عليهم اشرف الوصياء وامام الاتقياء ووجه الله على اهل الارض والسما وان الائمة الراشدين والخلفاء  
 الهادين من ذريته حجج الله على الخلق اجمعين ومعاقل العباد فى الدنيا والدين وسادات الاوصياء المنتخبين  
 بآيات الله فى العالمين فصلوات الله عليهم وعليهم والاولين والاخرين ولعنة الله على اعدائهم ودمر الازهرين  
 بسمه نقول المذهب المظاهى الخاسر القاصر عن مثل المغافرة والمآثر ابن الفرق فرج رحمة الله العاقر محمد تقى  
 بسى الله روح محمد باقر غفر الله لهما وحشرهما مع ائمتها انى لما الفيت اهل دهرنا على آراء شتى واباء مختلفة  
 بطارت بهم الجهالات الى اوكارنا وعاقت بهم الفتن فرغارنا وجذبهم الدواعى المتنوعة الى اقطارنا وحيرتهم  
 ضلالا لثت فنيا فيها وقفا ما يفهمهم من سم حباله اخذنا من ذل الاله من اهل الكفر والضلالة المنكرين شرايع

[illegible]

ح - الصحيفة الأخيرة من الجزء الأول من مؤ: القول بخط المجلس (٥)  
مخطوطة المكتبة الرضوية بنو اسان رقم ٧٣٧٦ .





## نداء إلى الدعوة لتبنيها على حتمية إيمانية وتنوع جديده كالمسألة الدينية المصيرية

إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والحوارات العلمية في النجف الأشرف والجامع الأزهر في القاهرة وجامعة الزيتونة والقيروان في تونس وجامعة القرويين بالمغرب .  
إلى مفكري العالم الإسلامي وعلمائه وكُتّابه .

إلى المجاهدين المخلصين في سبيل إعادة حياة إسلامية في بلاد المسلمين .

إلى المصلحين الغيارى الساعين لتوحيد كلمة المسلمين .

إليكم جميعاً أقدم هذا الداء وهذه الدعوة (بكلّ تجلّة واحترام) وأقول إنّ العالم الإسلامي بدأ ينهض لتجديد حياة إسلامية وللوصول إلى هذا الهدف الجليل ، ينبغي القيام بدراسة موضوعية لما ورثه جميع المسلمين من مصادر سنة الرسول (ص) ، سيرة وحديثاً . وعدم النقاء على تقليد السلف الصالح في استنباط الأحكام الشرعية ولا في دراية الحديث . وبذلك يتحقق الوصول في معرفة الإسلام من الكتاب والسنة ، وينتشر توحيد كلمة المسلمين حولهما للقيام بحديد حياة إسلامية .

وها أنا ذا أقدم إليكم جميعاً هذه البحوث التي نظمت للوصول إلى الهدف المذكور ، راجياً النظر فيها بتجرد علمي ، وننبه على الأخطار التي تلازم غير المعصوم .

فل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة إنا ومن أتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين .

### المؤلف

عنوان المؤلف للمراسلة : بيروت - لبنان ص. ب ٥٦٥٥ - ١١٣ .

**مكتبة محبولى**

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع تليفون ٧٥٦٤٢١